



جامعة الأزهر  
كلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة  
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية  
الدراسات العليا

# تجربة الشيخ فتح الله كولين الدعوية

دراسة نموذجٍ لنهضة المجتمع والأمة من خلال العمل الدعوي

بحث مُقدّم لنيل درجة التخصّص " الماجستير " في أصول الدين في الدعوة والثقافة الإسلامية

## إشراف

أ.د/ محمد عبّاس عبدالرحمن

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية  
بكلية أصول الدين القاهرة

أ.د/ مجدى عبد الغفار حبيب

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية  
بكلية أصول الدين القاهرة

## الباحث

محمد يس عبد الحميد أحمد

العام الجامعى  
١٤٣٨هـ / ٢٠١٦ - ٢٠١٧م



جامعة الأزهر  
كلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة  
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية  
الدراسات العليا

# تجربة الشيخ فتح الله كولين الدعوية

دراسة نموذج لنهضة المجتمع والأمة من خلال العمل الدعوي

بحث مُقدّم لنيل درجة التخصّص " الماجستير "  
في أصول الدين في الدعوة والثقافة الإسلامية

## إشراف

أ.د/ محمد عباس عبد الرحمن المغنى

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين القاهرة

أ.د/ مجدى عبد الغفار حبيب

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين القاهرة

## الباحث

محمد يس عبد الحميد أحمد

العام الجامعى  
١٤٣٨هـ / ٢٠١٧ - ٢٠١٦م

من الروى الإلهي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾

﴿ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[ الآية : سورة يوسف ]

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي ﴾

﴿ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

[ الآية : ]

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ ﴾

﴿ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾

[ الآية : ]

## شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم البشرية وهادي الإنسانية وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .  
أحمد الله - تعالى - وأشكره على ما أنعم به عليّ من التوفيق في اختيار موضوع البحث، ومن الإعانة على إنجازه ، فله الحمد والمئة وأسأله - سبحانه - أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم ، ثم لوالديّ الكريمين الشكر الجزيل والفضل العظيم ، وهو القائل - سبحانه وتعالى - ( أن اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ) ( سورة لقمان ، الآية : ١٤ )

\*\*\*\*\*

وأ تقدّم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي ومعلمي فضيلة العالم الجليل الأستاذ الدكتور / مجدى عبد الغفار حبيب ، على ما أسداه إليّ من نصح ، وما قدّمه لى من مشورة ومعونة ، منذ اختياري لموضوع الرسالة ، وحتى انتهائي منها ، فجزاه الله خيراً، وزاده علماً وفضلاً .

\*\*\*\*\*

كما أتقدّم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور / محمد عباس ، الذى استفدتُ منه كثيراً فى الالتزام بقواعد البحث العلمى ، ولم يألُ جهداً فى إرشادى وتوجيهى نحو إخراج الرسالة إخراجاً علمياً رصيناً ، فجزاه الله خيراً ، وأعلى درجته فى الدنيا والآخرة .

\*\*\*\*\*

ولا أنسى أن أتوجّه بالشكر إلى أستاذي الدكتور / محمدى عبد البصير الذى أفادنى بتعليقاته القيّمة على الرسالة فى مجملها قبل سفره ، فجزاه الله خيراً .

\*\*\*\*\*

والشكر موصولاً لأساتذتنا الأجلاء وعلمائنا الأفاضل فى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة ، على ما يبذلون من جهدٍ ، وما يقدّمون من علم .

## إهداء

أهدى هذا العمل المتواضع - إن كتب الله له القبول - إلى روح  
أبى الكريم - رحمه الله - الذى اختار لى طريق القرآن منذ صغرى ،  
وشرفنى بالانتماء إلى الأزهر الشريف ، فرحمه الله رحمةً واسعة وأجزل  
له الثواب .

\*\*\*\*\*

كما أهديه إلى أمى الحنون ، صاحبة الفضل والصبر والعطاء ،  
أسأل الله لها دوام الصحة والعافية .

\*\*\*\*\*

وأهديه إلى زوجتى الغالية أم بُنيّاتى : علا ومنة الله ومريم ، جزاء  
ما وقت وصبرت وقدمت من وقتها وجهدها ، فجزاها الله خيرا .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وخاتم النبيين ، المبعوث رحمةً للعالمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، من قاموا بحق هذا الدين وأقاموا الدين والدنيا حضارةً تُبهر الناظرين ، وتقدّم للعالم نموذجاً لخير أمة أُخرجت للعالمين .

ويعد . . .

فقد شهد العالم الإسلامى فى عقودهِ الأخيرة ، الكثير من محاولات البعث والإحياء ومشاريع الصحوة والنهوض ، لاسيما فى عالمنا العربى .

وقد شهد العالم العربى الكثير من التطورات المفاجئة ، والأحداث المتلاحقة ، و كلُّ أدلى دلوهُ فى محاولات النهوض بطرقٍ مختلفة .

وقد اتّسمت بعض هذه الجهود بالطابع الإسلامى ، واتّخذت من الإسلام منهجاً لها ، وبرنامجاً لمشاريعها .

غير أن المتأمل لهذه الجهود يجد أنها - فى أكثرها - غلبت عليها النزعة السياسية واتّخذت من التنافس الحزبى ، والتصارع السياسى سبيلها فى محاولات الإصلاح والتغيير ، واختلط لديها ما هو دينى ودعوى ، بما هو سياسى وحزبى .

ومحاولات أخرى حاولت الابتعاد عن الدين كعنصر للتغيير الشامل ، محاولة حصر الدين فيما هو شعائرى وتعبديّ فحسب .

كما أن الكثير من هذه المحاولات أو المشاريع من هذه أو تلك ، اتّسمت بالقبولية داخل أُطرٍ محدّدة من التشكيلات المغلقة على أصحابها ، رافعةً شعاراتها الخاصة ، وطنيةً أو دينيةً ، معبرةً - فى مجملها - عن فكر أصحابها وآمالهم ، وليست - بالضرورة - عن هموم الأمة واحتياجاتها هذا إلى جانب الكثير من المعالجات الفكرية التى وإن اتّسمت بالنضج الفكرى ، والنزاهة المعنوية والبعد التنظيرى ، إلا أنها افتقدت إلى الجانب العملى التطبيقى ، فأجادت فى جانب الفكر وضمّرت فى جانب الحركة .

كما أن بعض هذه المعالجات الفكرية ، انتهجت المنهج العقلى والفكرى واقتصرت عليه ، وأخرى اعتمدت الجانب الروحى والوجدانى واقتصرت عليه أيضا ، وقلّ من هذه المعالجات ما اقترن فيه العقل والروح ، والفكر والعاطفة ، وأنار فيه العقلُ بنور الوحي ، والتقت فيه أشعة المعرفة مع شمس الوجدان .

إضافةً إلى ماسبق ، فإن البعض من هؤلاء وأولئك حين تناولوا قضية الإصلاح والنهضة ، تناولوها من منظور جزئي لا كلي .

فتناولوها من منظور وطني أو إقليمي أو جغرافي ، مرهونٍ بمكانٍ محدد في زمان ما ، فجاءت نظرتهم قُطريَّةً محدودة وليست إنسانية عالمية .

ومن منظور آخر ، فقد تناول البعض مفهوم "النهضة" باعتبارها تنميةً في الجانب الصناعي أو التجاري أو حتى العلمي فحسب ، أو باعتبارها تفوقاً حضارياً على الغرب ، أو دخولاً معه في سباقه الحضاري واللاحق بركابه .

هذا إلى جانب أن بعض تجارب الإصلاح في عالمنا الإسلامي - على اختلاف توجُّهاتها - حين أقامت نموذجها العملي ، أهملت أو أغفلت أهم عنصر في عملية النهوض ، ألا وهو : الإنسان ، فجعلته كمًّا مهملاً ، وأذابت شخصيته وألغت حرِيته في سياق المجموع .

أما قضية الخطاب الدعوي فحدّث عنها ولا حرج ، فالخطاب الدعوي الإسلامي يجب أن يكون خطاباً عالمياً لا قُطرياً ، وهو ما يجعل حاجتنا أشد إلى توجُّهات إسلامية تتبنى الإسلام باعتباره ديناً حضارياً ، وتعرضه للبشرية الحائرة ، لا على أساس فكرة العداة للغرب ، وإنما على أساس فكرة الأخوة الإنسانية ، فالغرب ليس فقط مجرد الأنظمة المستعمرة ، أو التحالفات المتآمرة ، بل هناك شعوبٌ ظمأى لروح هذا الدين ، ولرؤية أنواره على وجوه أبنائه حين يمثلونه تمثيلاً صحيحاً .

## ١) التعرف على التجربة

كانت هذه الأفكار تدور في ذهني ، وتعتل في خاطري ، حين أهداني صديقٌ لي كتاباً للدكتور فريد الأنصاري - رحمه الله - وهو الفقيه والأديب صاحب الدراسات القرآنية والخبرة الدعوية ، والكتاب على شكل رواية عن الداعية التركي الأستاذ : محمد فتح الله كولن ، اسمها : عودة الفرسان " سيرة محمد فتح الله كولن " ، وكان هذا الكتاب آخر مؤلفات الأنصاري - رحمه الله - . قرأتُ الكتاب في شوقٍ ولهفة ، وجذبتني شخصية الرجل وتجربته الروحية والدعوية ، وآثاره العملية وزاد من إعجابي أن يكون هذا الأمر ليس مجرد تاريخٍ يُسطَّر ، ولا رواياتٍ تُحكى ، وإنما هو واقعٌ معاصر ، وتجربة حيَّة بين أيدينا .

دفعني هذا إلى مزيد من البحث والدراسة ، ولفت نظري في بداية بحثي عن ما كُتب عن الرجل وتجربته ، أن المؤرِّخ والمفكر الراحل الدكتور / عبد الحليم عويس (١٩٤٣ - ٢٠١١م) - رحمه الله - ، قد صدر له كتاب عن فتح الله كولن بعنوان : فتح الله كولن ، رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة

كذلك فإن مؤتمراً دولياً عُقدَ في القاهرة ، بمقر جامعة الدول العربية ، وتحت إشرافها من ١٩ - ٢١ أكتوبر ٢٠٠٩م ، وكان عنوانه : ( مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، خبرات مقارنه مع حركة فتح الله كولن ) ، وقد ضمَّ المؤتمر عددا كبيرا من كبار المفكرين من مصر والعالم الإسلامي ، من خلال أوراق بحثية رصينة عن فتح الله كولن من حيث شخصيته وأفكاره وحركته ، وكانت المحاضرة الافتتاحية لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور / أحمد الطيب شيخ الأزهر ( رئيس جامعة الأزهر حينها ) .

ثم بدأتُ في دراسة فكر الرجل وتجربته من خلال :-

- ١) قراءة ودراسة ما تُرجم من مؤلفاته .
- ٢) قراءة ودراسة ما كُتِبَ عن شخصه أو فكره أو حركته ، ما كان منها لمؤلفين عرب ، أو لمؤلفين أترك أو غير عرب وتمَّت ترجمته ، كما ساعدني إلمامي باللغة الإنجليزية - في مطالعة طرفٍ مما كُتِبَ بها ، ولم يُترجم إلى العربية .
- ٣) مطالعة المواقع الرسمية لمؤسسات حركة "الخدمة" ، أو ما يُطلق عليها حركة فتح الله كولن وكذلك موقع مجلة حراء حيث يوجد العديد من المؤتمرات والندوات العالمية ، مقروءةً ومتلفزةً ، إلى جانب عشرات المقالات الافتتاحية بقلم الشيخ نفسه .
- ٤) زيارة المؤسسات التعليمية والثقافية لأبناء "الخدمة" ، وتلاميذ الشيخ في مصر ، ومقابلتهم مرةً بعد مرة ، ومناقشتهم حول أفكار الشيخ ، وشخصيته وما قيل ويُقال عنه ، وعن حركته وما طبيعة العلاقة التي تجمعهم ؟ ، ومادور الشيخ في إنشاء هذه المؤسسات ؟ إلى غيرها من النقاشات ، والزيارات التي اتَّضحت معها الرؤية ، وتكوّنت الفكرة .



## ل أسباب اختيار البحث

يمكن تحديد أسباب اختيار هذا البحث ، بالآتى :-

١- حاجة الواقع المعاصر فى مصر إلى عرض نموذج دعوى ناجح ، ينطلق من الدعوة وينتهى بالمجتمع والأمة .

٢- أن تجربة الأستاذ فتح الله كولن .. تجربة دعوية خالصة .. سواء فى المنطلقات والغايات أو فى الوسائل والأساليب ، فهى ليست تنظيمياً مغلقاً ، أو حزبياً سياسياً ، ولا حتى حركة ذات إطار محدد ، أو شروط عضوية مثلاً وإنما هى طريقٌ عمومى ، ليس ملكاً لأحد ، أو حكراً على فئة أو طائفة ، وطريقةٌ فى العمل الدعوى ، أبوابها مُشْرَعَةٌ للناظرين ، مفتوحةٌ للدارسين ، فكانت من هنا تجربة جديرة بالدراسة والعرض ، لتكون بين يدى الدعاة نموذجاً عملياً ، يأخذ كلٌّ منه مايناسبه ، ويطرح ما لاحاجة له إليه .

٣- أن التجربة استطاعت بنجاح الجمع بين الفكر والحركة والنظرية والتطبيق ، والعقل والعاطفة ، والتربية والسلوك ، فى توازنٍ فكري و حركية مبدعة ، دون تقييد لحرية العاملين أو حجرٍ على إبداعهم ، وأمتنا - اليوم - فى أمسِّ الحاجة إلى الجمع بين الفكر والحركة ، وتحويل النظريات إلى نماذج حيّة واقعية ، والسير على دربٍ يزاوج بين العقل والعاطفة ، والتربية والسلوك .

٤- تُعتبر التجربة الدعوية للشيخ فتح الله كولن تجربة بنائية شمولية حضارية متكاملة ، قابلة للتعميم والاستفادة منها فى المجتمعات العربية والإسلامية ، لاسيما وهى تعتمد الحوار أساساً لفكرتها ، وتتبنى فقه الائتلاف حول المقاصد العليا للإسلام ، دون الدخول فى خلافاتٍ فقهية ، أو اختلافات فكرية ، فاستطاعت بذلك عرض الإسلام على شعوب الغرب فى صورته الحضارية ، بعيداً عن الصورة التقليدية التى يروج لها عن الإسلام من خلال بعض وسائل الإعلام العالمية ، التى دائماً ماتربط بين الإسلام والإرهاب ، وتجمع بينهما فى بوتقة واحدة .

٥- اجتمعت فى الشيخ فتح الله كولن صفات الداعية المرئى القدوة ، والمفكر الذى يعى مشكلات عصره وقضاياها ، فضلاً عما يمتاز به من عاطفة جياشة ، وزهد وتعقّف عما فى أيدى الناس ، والقارئ فى مراحل حياته ، يدرك أن للرجل تجربته الروحية والوجدانية العميقة ، بالإضافة إلى مقدرته الخطابية ، وروحه الشاعرة ، وأسلوبه الأدبى الراقى ، وشخصيته الفذة التى تجمع ولا تفرّق ، وتبنى ولا تهدم ، هذا إلى جانب فكره المتدقّق ، وقلمه السيّال ، وحركته الدؤوبة ، فهو بهذا يُعدُّ شخصية دعوية جديرة بالبحث والدراسة ، ليستفيد

منها عموم الدعاة إلى الله - تعالى - ، سواء في تكوينهم الفكري والروحي ، أم في حركتهم بين الناس

٦- دراسة التجربة الدعوية في أي قطرٍ إسلاميٍّ تعد مظهراً من مظاهر وحدة الأمة الإسلامية ونقل الخبرات بين أقطاره المتباعدة ، بعيداً عن التجاذبات السياسية ، فالدعوة رحمةً بين أهلها ، ومصر لها السبق في هذا المضمار من خلال الأزهر الشريف ، فإنما هي بضاعتنا رُدت إلينا ، والحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها فهو أحقُّ بها .

٧- من أهم الأسباب كذلك أن التجربة نجحت في أن تتجاوز الحدود الجغرافية لموطنها الأصلي لتتطرق إلى آفاق العالم الإسلامي الرحب ، دون تمييز عرقيٍّ أو طائفيٍّ أو أيديولوجيٍّ ، فمثلت بذلك جزءاً مهماً من طبيعة رسالة الإسلام ، فالإسلام دعوة عالمية ، لاتحدّه حدودٌ جغرافية ، ولا تشكيلات سياسية ، وقد استطاعت التجربة الوصول إلى كثير من دول الغرب والشرق على السواء.

### فكر الأستاذ فتح الله كولن في البحث الأكاديمي العربي

بالتتبع والبحث تبين لي أن هناك الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية ، التي أُجريت عن فكر الأستاذ فتح الله كولن ، أو عن حركته ، أو عنهما معا ، أعرض بعضاً منها فيما يلي :-

#### أولاً : كتابات ودراسات علمية

١- مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي.. خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية ، مؤتمر، دار النيل، القاهرة ٢٠١٠م.

٢- عودة الفرسان.. سيرة محمد فتح الله كولن.. رائد الفرسان القادمين من وراء الغيب، أ.د. فريد الأنصاري، دار النيل، القاهرة ٢٠١٠م .

٣- الضاريون في الأرض ، أديب إبراهيم الدبّاغ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٢م.

٤- البراديم كولن، فتح الله كولن ومشروع الخدمة، على ضوء نموذج الرشد، د. محمد باباعمي، دار النيل، القاهرة ٢٠١١م.

٥- أرياب المستوى.. حضور معرفي في فكر الأستاذ فتح الله كولن، د. محمد باباعمي، دار النيل، القاهرة ٢٠١٢م.

- ٦- الانبعاث الحضاري في فكر فتح الله كولن ، أ.د. سليمان عشارتي، دار النيل، القاهرة ٢٠١٢م
- ٧- هندسة الحضارة.. تجليات العمران في فكر فتح الله كولن ، أ.د. سليمان عشارتي ، دار النيل، القاهرة ٢٠١٢م.
- ٨- عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة ، أ.د. فؤاد البنّا، دار النيل، القاهرة ٢٠١٢م.
- ٩- ذي قربتي.. مقالات وخواطر وقصص من واقع الخدمة ، د. محمد باباعمي، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.
- ١٠- الزمن والوقت.. نصوص ومفاهيم مؤسسة على الرؤية الكونية لفكر الأستاذ فتح الله كولن ، د. محمد باباعمي، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.
- ١١- العروج الحضاري.. بين مالك بن نبي وفتح الله كولن ، أ.د. فؤاد البنّا، كتاب الأمة ، قطر ٢٠١٣م.
- ١٢- فتح الله كولن في شؤون وشجون، أديب إبراهيم الدباغ، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.
- ١٣- نداء الروح.. رحلة في عالم الفرسان ، د. مريم آيت أحمد، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.
- ١٤- فتح الله كولن.. رائد النهضة في تركيا المعاصرة ، أ.د. عبد الحليم عويس، دار النيل، القاهرة ٢٠١٣م.<sup>(١)</sup>

### ثانيا : رسائل جامعية

هناك مجموعة من رسائل الماجستير والدكتوراه ، في جامعات مختلفة من العالم العربي ، وهي تكشف عن مدى الاهتمام بفكر الأستاذ فتح الله كولن ، وفيما يلي سرد لبعض هذه الرسائل العلمية في جامعات عربية مختلفة :-

- ١- " التجديد في الفكر الديني المعاصر في تركيا ، نموذج دعوة محمد فتح الله كولن " ، أبو زيد عبد الرحيم عبد العاطي ، جامعة الزقازيق ، رسالة ماجستير ، ٢٠٠٩م مصر .

---

١ - أشواق النهضة والانبعاث ، قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن ، د. محمد جكيب ، ص ٣٤٧ ، ط ١ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٣ م ،

- ٢- "محمد فتح الله كولن، ومنهجه في التجديد والإصلاح"، جمال جمعة السفرتي، كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، رسالة دكتوراه، ٢٠١٣م، بيروت.
- ٣- "تربية الإنسان عند فتح الله كولن"، محمد أحمد عواد الزعبي، جامعة اليرموك، رسالة دكتوراه، ٢٠١٣م، الأردن.
- ٤- البراداييم كولن؛ باعتباره باردايما حضاريا بديلا، طه كوزي، جامعة أريس الأمريكية بالتنسيق مع معهد المناهج في الجزائر، رسالة دكتوراه، الجزائر.
- ٥- "منهج الأستاذ فتح الله كولن في الإصلاح والتغيير الاجتماعي"، عبد الحميد داودي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، رسالة دكتوراه، المغرب.
- ٦- "الفكر التربوي عند الأستاذ فتح الله كولن، المدارس نموذجا (دراسة تحليلية)"، مولود بوزتاش، جامعة الزيتونة، رسالة دكتوراه، قيد الإنجاز، تونس.
- ٧- "محمد فتح الله كولن وجهوده في العقيدة والأخلاق"، أمل نعيمات، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، رسالة دكتوراه، الأردن.
- ٨- "الدور التربوي لمدارس الخدمة بتركيا"، جمال حوشبي، الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، رسالة دكتوراه، السعودية.
- ٩- "الخطاب الإسلامي بين مقتضيات العصر ومشروع الحداثة والتواصل، نموذج تجربة فتح الله كولن"، هشام الراس، جامعة عبد المالك السعدي، رسالة ماجستير، ٢٠١٠م، المغرب.
- ١٠- "فاعلية الإنسان" من خلال فكر: جودت سعيد وفتح الله كولن، سعاد دوفاني، جامعة الأمير عبد القادر، رسالة ماجستير، ٢٠١٣م، الجزائر.
- ١١- أسس منهجية لبناء شخصية إنسانية متوازنة عند فتح الله كولن"، إبراهيم الخمليش، جامعة عبد الملك السعدي، رسالة ماجستير، المغرب.
- ١٢- "الاستشراف الحضاري عند فتح الله كولن.. البعد الثقافي نموذجا"، أيوب يشار، جامعة الزيتونة، رسالة ماجستير، تونس. (١)

وسأتناول إحدى هذه الرسائل وهي:-

"التجديد في الفكر الديني المعاصر في تركيا، نموذج دعوة محمد فتح الله كولن"، للباحث: أبو زيد عبد الرحيم عبد العاطي، معهد البحوث والدراسات الآسيوية، قسم الدراسات والبحوث الديانات، جامعة الزقازيق، وهي رسالة ماجستير، عام ٢٠٠٩م

## الفصل الأول : الأحوال السياسية والاجتماعية فى تركيا ، ومفهوم التجديد

ويشتمل على ثلاث مباحث

يتحدث فى المبحث الأول عن الأحوال السياسية فى تركيا

ويتناول فى المبحث الثانى الأحوال والاجتماعية الفكرية والخلفية.

اما المبحث الثالث فإنه يعالج فيه قضية التجديد فى الفكر الدينى المعاصر

ويأتى الفصل الثانى من هذه الدراسة بعنوان : حياة الأستاذ فتح الله كولن وفكره ، ويشتمل على

ثلاث مباحث

يتحدث فى المبحث الأول عن مولده ونشأته ، وفى المبحث الثانى عن مؤلفاته المترجمة حتى

تاريخ كتابة الرسالة ( ٢٠٠٩ م ) ، وفى المبحث الثالث نماذج للرؤية الفكرية للأستاذ فتح الله كولن

وجاء الفصل الثالث بعنوان : أهداف الدعوة عند فتح الله كولن وسماتها ومناهجها ويشتمل على

ثلاثة مباحث

المبحث الأول عن أهداف دعوة الأستاذ فتح الله كولن

المبحث الثانى عن سمات دعوة الأستاذ فتح الله كولن

المبحث الثالث عن مناهج الدعوة عند الأستاذ فتح الله كولن

وجاء الفصل الرابع ، تحت عنوان : وسائل الدعوة وأساليبها ومناهجها عند فتح الله كولن

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول: وسائل الدعوة عند الأستاذ محمد فتح الله

المبحث الثانى: أساليب الدعوة عند الأستاذ محمد فتح الله

### ثالثاً : مؤتمرات وندوات دولية

أما المؤتمرات والندوات التى عُقدت حول فكر الأستاذ فتح الله كولن فهى كثيرة ، لاسيما فى

السنوات الأخيرة حيث شهدت هذه المؤتمرات العلمية تنوعاً فى الموضوعات والبلدان، وفيما يلي

إشارة إلى بعض تلك المؤتمرات والندوات:

١- " مستقبل الإصلاح فى العالم الإسلامى.. خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن

التركية "، جامعة القاهرة، ١٩-٢١ أكتوبر ٢٠٠٩م، القاهرة / مصر.

٢- "رؤى معاصرة للإصلاح الإسلامى ودورها فى تعزيز السلام العالمى.. تجربة فتح الله

كولن التركية نموذجاً"، ١٦ يناير ٢٠١٠، عمان / الأردن.

٣- "النور الخالد: قيم كونية من مشكاة النبوة"، جامعة محمد الخامس، ٢٦ ديسمبر

٢٠١١م، الرباط / المغرب

- ٤-قراءات في كتاب "ونحن نبني حضارتنا" للأستاذ فتح الله كولن، جامعة الجزائر، ٢٦ سبتمبر ٢٠١٢م، الجزائر.
- ٥-قراءات في كتاب "ونحن نبني حضارتنا" للمفكر محمد فتح الله كولن، جامعة محمد الخامس، ١٩ يناير ٢٠١٢م، الرباط / المغرب.
- ٦- " الانبعاث الحضاري في فكر الأستاذ فتح الله كولن"، ٢٢ مايو ٢٠١٣م، المغرب.
- ٧- " ملامح التميز المنهجي في التعامل مع السيرة النبوية من شفاء القاضي عياض إلى النور الخالد لمحمد فتح الله كولن"، جامعة القاضي عياض، ٢٠١٣م ، مراكش المغرب.
- ٨- " الثقافة والفكر والإصلاح.. الجذور التاريخية والأسئلة الراهنة، الشيخ الطاهر بن عاشور والأستاذ فتح الله كولن نموذجا"، مركز الفاضل بن عاشور للثقافة والفنون، ١٠ مايو ٢٠١٣م ، تونس.
- ٩- " فلسفة البناء الحضاري عند مالك بن نبي وفتح الله كولن"، جامعة الجزائر، ١٨ نوفمبر ٢٠١٣م
- ١٠- " القضية الكبرى لأمتنا.. من الإنسان الأفق إلى المجتمع المثالي"، مكتبة الإسكندرية، ١١ نوفمبر ٢٠١٣م، الإسكندرية / مصر.
- ١١- " إنسان العقل والفعل في فكر فتح الله كولن"، ٩ يناير ٢٠١٣م، ولاية مدني / السودان. (١)

## أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بين هذه الدراسة والدراسات السابقة

### ١-أوجه الاتفاق

- تتناول هذه الدراسة في فصلها الأول مراحل ونشأة وإعداد وتشكيل شخصية كولن وقد اهتمت دراسات سابقة بهذا المحور حيث تناولت شخصية كولن والعوامل المؤثرة في تكوينه الفكري والوجداني ، ومراحل حياته وسيرته الذاتية .
- تتفق هذه الدراسة مع ماسبقها من دراسات في محاولة اكتشاف وفهم تجربة إسلامية ، فرضت نفسها على الواقع المعاصر ، من حيث كونها حركة مجتمعية ودعوية رائدة .

## ٢- أوجه الاختلاف

تختلف هذه الدراسة عن غيرها في أنها جمعت بين الشخص والفكر والحركة في دراسة واحدة ، باعتبارها تجربة شاملة ، فلم تقتصر الدراسة على الحديث عن شخص الشيخ وحده باعتباره رائد الحركة ، ولا بالحديث عن الجانب الفكري في فقط بعيدا عن الواقع التطبيقي ، بل جمعت بين الشخص المُلمِّم ، والأفكار التي بنى عليها تجربته ، والحركة التي استلهمت من أفكاره ، وأود أن أشير في هذا السياق إلى أن استعمال لفظ "تجربة" ، جاء ليجمع بين هذه المحاور الثلاثة .

تتناول الدراسة تجربة الشيخ فتح الله كولن من حيث كونها تجربة دعوية ، تقدّم نموذجاً لنهضة المجتمع والأمة من خلال العمل الدعوى ، فهي أولا : تتناولها من حيث كونها تجربة دعوية خالصة لا من حيث كونها حركة مجتمعية فقط ، وهي ثانيا : تتناول تأثيرات هذه التجربة الدعوية على نهضة المجتمع والأمة من خلال العمل الدعوى .

فالدراسة تنظر إلى التجربة بهذا المنظار الدقيق ، ذلك أن تجربة الشيخ فتح الله كولن ذات جوانب متعددة ، لاسيما في مجال العمل الدعوى ، فالدراسة - بهذا المنظار - لا تقف عند حدود الآثار الدعوية للحركة التي استلهمت من أفكار الشيخ - على أهميتها - بل تتعدّها إلى دراسة التجربة كنموذج لمحاولة النهوض الحضارى بالمجتمع والأمة من منطلق إسلامى ودعوى ، بعيدا عن أية تجاذبات سياسية لا علاقة لها بموضوع الدراسة .

## المنهج الذي اتبعه الباحث

وقد استخدمت في بحثي عدة مناهج ، في مواضيع مختلفة من البحث .  
فاستخدمت المنهج " الاستقرائي " <sup>(١)</sup> ، ومن المجالات التي يصلح لها هذا المنهج : " قوانين السير في الأرض ، واكتشاف السنن الحاكمة لحركة الحياة أو فقه الحياة من علوم مادية وكشف حضاري سواء في مجال العلوم الاجتماعية أو التربوية أو العلمية " <sup>(٢)</sup> .  
حيث قمتُ بمحاولة استقراء ما يتعلق بموضوع البحث ، من دراسة نموذج لنهضة المجتمع والأمة من خلال العمل الدعوى ، لاسيما في كتابات الأستاذ فتح الله كولن ، ثم فيما كُتِب عن التجربة من مؤلفات ، وعُقد من مؤتمرات ، وهذه مرحلة الاستقراء وجمع البيانات والمعلومات .  
واستخدمت المنهج " التاريخي " في عرض التجارب السابقة ، والمدارس الفكرية في تاريخنا الإسلامي ، والمنهج التاريخي " يهتم بدراسة الظواهر والاحداث الماضية ، أو بدراسة الظواهر الحاضرة بالرجوع إلى نشأتها وتطورها " ( )  
حيث اعتمدتُ على : " وصف للوقائع التي حصلت في الماضي وتحليلها وتفسيرها بغية اكتشاف تعميمات تساعدنا على فهم الحاضر بل التنبؤ بأشياء وأحداث بالمستقبل . " ( )  
كذلك فقد استخدمتُ المنهج " الوصفي " في دراسة ظاهرة " حركة الخدمة " كما هي في الواقع واهتمتُ بمحاولة توصيفها ، ففكرتُ وسلوكاً بما قد يعبر عنها ، ويساعد في فهمها والاستفادة منها والمنهج الوصفي يستخدم في : " دراسة الواقع أو ظاهرة ما ، ويهتم بوصفها وصفاً دقيقاً والتعبير عنها كيفاً أو كمياً ، إذ التعبير الكيفي يعطينا وصفاً للظاهرة موضعاً خصائصها في حين يعطينا التعبير الكمي وصفاً رقمياً موضعاً مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى . " وهو أسلوب يصلح - عموماً - للدراسات الإنسانية . ( )  
وكذلك استخدمتُ من أدوات البحث " الملاحظة " ، و " الدراسة الميدانية " ، من خلال زيارة بعض مؤسسات الخدمة ، ومقابلة أفراد منها ، والملاحظة : " عبارة عن عملية مشاهدة ، أو متابعة لسلوك

١ - يمكن تعريف الاستقراء على أنه "عملية ملاحظة الظواهر وتجميع البيانات عنها للتوصل إلى مبادئ عامة وعلاقات كلية . (البحث العلمي ، مفهومه ، أدواته ، أساليبه ، د. ذوقان عبيدات ، د. عبد الرحمن عدس ، ص ٥١ ، دار إشراف للنشر والتوزيع الأردن ٢٠٠٣م - )

٢ - البحث العلمي ، مفهومه ، أدواته ، أساليبه ، د. ذوقان عبيدات ، د. عبد الرحمن عدس ، ص ١١٥ -

٣ - المرجع السابق ، ص ١٢٥

٤ - مركز تطوير التدريس والتدريب ، الدورة التدريبية السابعة ، جامعة الكوفة ، د. عبدالرازق شنين الجنابي ، ص ١٠٠٢٠ ، نسخة إلكترونية

٥ - المرجع السابق ، ص ٣٥



ظواهر محددة، أو أفراد محددين خلال فترة، أو فترات زمنية محددة، وضمن ترتيبات بيئية تضمن الحياد، أو الموضوعية لما يتم جمعة من بيانات، أو معلومات " ومن أدوات البحث المستخدمة في ثنايا هذه الدراسة : "إجراء مقابلة" ، ويمكن تعريف المقابلة بأنها : "معلومات شفوية يقدمها المبحوث ، من خلال لقاء يتم بينه وبين الباحث ، والذي يقوم بطرح مجموعة من الأسئلة على المبحوثين وتسجيل الإجابات." وذلك من خلال عدد من اللقاءات والمقابلات الفردية والجماعية بينى وبين عدد من أبناء الخدمة ، ومن تتلمذوا على يد الأستاذ فتح الله كولن ، وعایشوا التجربة منذ بدايتها .

وقد اتبعتُ في عرض البحث مايلي :-

- 1) محاولة التقديم للفكرة ، والتعقيب عليها بعد النقل ، بما يدعم الفكرة موضع البحث .
- 2) أنقل من كلام المفكرين والعلماء والدعاة ، ماقد يدعم الفكرة التي أتحدث عنها .
- 3) التعريف بالأماكن والبلدان التي تحتاج إلى تعريف ، لاسيما والكثير منها بلدان تركية .
- 4) التعريف بالأعلام والشخصيات التي وردت في ثنايا البحث .
- 5) عزو الآيات القرآنية إلى سورها ، وعزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها.

## خطة البحث

وقد قسّمتُ البحثُ إلى ستة فصول :-

### الفصل الأول

#### الشيخ محمد فتح الله كولن (الشخص والفكرة)

تحدثت فيه عن شخصية الشيخ فتح الله كولن ، وعن حياته ، وعن أدبه وشعره ومقدرته الخطابية ، وقد جاء في مبحثين ، وستة مطالب

**المبحث الأول : شخصية فتح الله كولن ، وفيه ثلاثة مطالب :-**

المطلب الأول : ميلاده ونشأته

المطلب الثاني : المحاضن التربوية المؤثرة في شخصيته

المطلب الثالث : حياته في مراحل

(من جبال الأناضول إلى الإنفتاح على العالم )

**المبحث الثاني : (كولن ) من خلال مؤلفاته ونتاجه الفكرى وفيه ثلاثة مطالب :-**

المطلب الأول : مؤلفات الأستاذ فتح الله كولن

المطلب الثاني : فتح الله كولن شاعرا وأديبا

المطلب الثالث : المقدره الخطابية لدى فتح الله كولن

### الفصل الثانى

#### إشكالية النهضة من خلال تجارب الإصلاح والتجديد فى العالم الإسلامى فى

#### ضوء تجربة فتح الله كولن

تحدّثت فيه عن إشكالية النهضة من خلال تجارب الإصلاح والتجديد فى العالم الإسلامى فى ضوء تجربة فتح الله كولن ، وتحدثت من خلال هذا الفصل عن بعض مشاريع الإصلاح والتجديد فى تاريخنا القديم والمعاصر ، ثم قارنتُ بينها وبين تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية ، وقد جاء الفصل فى مبحثين وخمسة مطالب :-

**المبحث الأول: مشاريع الإصلاح والتجديد فى العالم الإسلامى ، وفيه مطلبان :-**

المطلب الأول : نظرة تاريخية

المطلب الثانى : مدرسة الإمام الغزالى الإحيائية

- المطلب الثالث : حركة التجديد والإصلاح فى العصر الحديث  
أولاً : مدرسة الشيخ محمد عبده ودورها فى التجديد و الإصلاح  
ثانياً : مدرسة الإصلاح الدينى فى تركيا ( تجربة بديع الزمان النورسى)

- المبحث الثانى : تجربة الأستاذ فتح الله كولن فى ضوء تجارب التجديد والإصلاح ، وفيه مطلبان  
المطلب الأول: العوامل المشتركة بين هذه المدارس وتجربة فتح الله كولن الدعوية  
المطلب الثانى: هل يمكن اعتبار تجربة الشيخ فتح الله كولن مدرسة تجديدية ؟

## الفصل الثالث

### مرتكزات نهضة المجتمع والأمة فى تجربة فتح الله كولن الدعوية

تحدّثُ فيه عن أهم المرتكزات التى تركز عليها التجربة الدعوية للشيخ فتح الله كولن فى نهضة المجتمع والأمة ، وهو مرتكزات فى مجملها تدور حول العمل الدعوى وتتطلق منه ، وقد جاء الفصل فى ست مباحث :-

المبحث الأول : القرآن الكريم فى عمق الرؤية

المبحث الثانى : ثقافتنا الذاتية

المبحث الثالث : الوعى بالتاريخ ودوره فى إحداث النهضة

المبحث الرابع : الدعوة والإرشاد والتبليغ فى تجربة فتح الله كولن ، وفيه ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : مكانة "الإرشاد والتبليغ" فى تجربة فتح الله كولن

المطلب الثانى :أصول وقواعد الإرشاد والتبليغ فى تجربة فتح الله كولن

المطلب الثالث : صفات الداعية "المبلِّغ" كما يراها فتح الله كولن

المبحث الخامس : الحقائق الصوفية فى تجربة فتح الله كولن الدعوية ، وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : حقيقة التصوف والصوفىّ عند "فتح الله كولن "

المطلب الثانى : فتح الله كولن صدى "جلال الدين الرومى"

المبحث السادس : روحُ الجهاد وخدمةُ الخلق : طريق الجهاد عند فتح الله كولن وفيه مطلبان

المطلب الأول : مفهوم "الجهاد" عند فتح الله كولن

المطلب الثانى : طريق الجهاد من خلال العمل الدعوى وخدمة الخلق

## الفصل الرابع

### عوامل النهضة الإسلامية في تجربة فتح الله كولن الدعوية

تحدّثتُ من خلاله عن أهم عوامل النهضة الإسلامية في تجربة فتح الله كولن الدعوية ، وهو عوامل تدور حول الإنسان وحركته لإحياء الأمة ، في تركيز نحو الهدف ، وتعاون بينه وبين إخوانه في الإسلام لتحقيق الهدف السامي ، وقد جاء الفصل في ثلاثة مباحث :-

**المبحث الأول : الاهتمام ببناء الإنسان ، وفيه مطلبان :-**

المطلب الأول : من الوجدان إلى إعادة تشكيل العالم

المطلب الثاني : ورثة الأرض

**المبحث الثاني: المزوجة بين الفكر والحركية ، وفيه ثلاثة مطالب :-**

المطلب الأول : الفكر والحركية عند الأستاذ كولن

المطلب الثاني : المراحل السبعة لتحويل المعرفة إلى سلوك في "البراديم كولن"

المطلب الثالث : سورة الكهف: نموذج المزوجة بين الفكر والحركة عند كولن

**المبحث الثالث : التركيز نحو الهدف السامي : إحياء الأمة ، وفيه أربعة مطالب :-**

المطلب الأول : حاجة الأمة والإنسانية إلى الإسلام

المطلب الثاني : بين تحديد الهدف ... وتقديم النموذج

المطلب الثالث : تضافر الجهود ... أو الهلاك

المطلب الرابع : إحياء الأمة .. بين الأهداف والوسائل

**المبحث الرابع : صياغة فقه الائتلاف ، وفيه مطلبان :-**

المطلب الأول : أسس فقه الائتلاف

المطلب الثاني : وسائل تجسيد فقه الائتلاف

## الفصل الخامس

### تجربة فتح الله كولن الدعوية بين النظرية والتطبيق

تحدّثُ فيه عن التجربة بين النظرية والتطبيق ، متمثلة في الحركة التي استلهمت أفكارها وأنشطتها وحيويتها من تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية (حركة الخدمة) ، وقد جاء الفصل في أربعة مباحث :-

**المبحث الأول : حركة الخدمة . . المفهوم والتصنيف ، وفيه مطلبان :-**

المطلب الأول : مفهوم حركة الخدمة

المطلب الثاني : مراحل التكوين والنشأة

**المبحث الثاني : السمات العملية لحركة الخدمة ، وفيه خمسة مطالب :-**

المطلب الأول : التخطيط

المطلب الثاني : التشارك والمؤسسية

المطلب الثالث : عدم التحزب السياسي

المطلب الرابع : الهجرة من أجل الخدمة

المطلب الخامس : التفانى في الخدمة وكران الذات

**المبحث الثالث : التربية والتعليم . . المجال الحيوي لمشروع الخدمة النهضوى ، وفيه ثلاثة مطالب :-**

المطلب الأول : "التربية والتعليم" النشاط المركزى للخدمة

المطلب الثاني : "المدرسة" لبنة المشروع وعنصر النهوض

المطلب الثالث : ملامح النموذج المنشود من خلال دراسة ميدانية

" مدرسة صلاح الدين بالقاهرة "

**المبحث الرابع : ثقافة الحوار وآلياته . .**

**السبيل لفتح الآفاق الإنسانية في مشروع الخدمة النهضوى ، وفيه ثلاثة مطالب :-**

المطلب الأول : الخدمة وثقافة الحوار

المطلب الثاني : الحوار الداخلى "وقف الكُتاب والصحفيين"

المطلب الثالث : تقارب الشعوب والحوار بين الأديان

## الفصل السادس

### تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية في الميزان

تحدثت في الفصل الأخير عن أبرز الشبهات التي تعترض الباحث في تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية ، موضحا المنهج الذي اتخذته في اختيار هذه الشبهات أو الاتهامات والرد عليها ، من خلال المباحث التالية : -

المبحث الأول : إقامة الأستاذ فتح الله كولن في أمريكا

المبحث الثاني : موقف الأستاذ كولن وحركة الخدمة من قضايا الأمة

المبحث الثالث : اتهامات حول تقديس أتباع كولن لشخصه

المبحث الثالث : الاتهام بمحاولة بعمل كيان موازى وتحقيق أهداف سياسية .

### الخاتمة

وقد أنهيتُ البحث بخاتمة ذكرت فيها :-

**النتائج :** التي توصلتُ إليها من خلال البحث

**التوصيات :** التي اقترحتها من خلال الاستفادة من محتوى هذه الدراسة

### المراجع والفهارس

حيث ذكرتُ المراجع التي اعتمدتُ عليها ، سواء كانت مراجع في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة ، أو مراجع من مؤلفات الشيخ فتح الله كولن ، أو من المؤلفات عن تجربته وحركته وشخصيته ، أو مراجع عامة في جوانب الفكر المختلفة .

ثم أتبعنتها بفهارس توضح عناوين الفصول والمباحث والمطالب وبعض العناوين الفرعية ، وتبين أرقام الصفحات ، ليسهل الرجوع إليها .

## مفردات عنوان البحث

هناك مفردات جاءت في عنوان البحث ( تجربة الشيخ فتح الله كولين الدعوية : دراسة نموذج  
لنهضة المجتمع والأمة من خلال العمل الدعوى )

تستوجب الوقوف عندها قليلاً ، ليتضح المعنى المقصود ، لاسيما وبعض هذه المفردات ذات  
دلالات مختلفة ، ومن أهم هذه المفردات التي يقوم عليها عنوان البحث :

المقصود بالتجربة الدعوية والعمل الدعوى

مفهوم دراسة النموذج

مفهوم النهضة

مفهوم المجتمع والأمة

### التجربة الدعوية والعمل الدعوى

جاء في لسان العرب : "جَرَّبَ الرَّجُلُ تَجْرِبَةً : اخْتَبَرَهُ ، وَالتَّجْرِبَةُ مِنَ الْمَصَادِرِ الْمَجْمُوعَةِ . قَالَ  
النابغة: إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبَ كُلُّ التَّجَارِبِ ، وَقَالَ الْأَعشى: كَمْ جَرَّبُوهُ ، فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُ ،  
وَرَجُلٌ مُجَرَّبٌ : قَدْ بُلِيَ مَا عِنْدَهُ ، وَمُجَرَّبٌ قَدْ عَرَفَ الْأُمُورَ وَجَرَّبَهَا ."<sup>(١)</sup>

وفي المعجم الكبير : "جَرَّبَ فَلَانٌ الشَّيْءَ تَجْرِيْبًا وَتَجْرِبَةً : اخْتَبَرَهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَالتَّجْرِبَةُ : هِيَ  
المعرفة أوالمهارة أو الخبرة التي يستخلصها الإنسان من مشاركته في الحياة أو ملاحظته لها  
ملاحظة مباشرة ، والتجربة : مَا يُعْمَلُ أَوَّلًا لِتُلَاقَى النِّقْصَ فِي شَيْءٍ وَإِصْلَاحَهُ أَوَّلِإِبْدَاعِ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ  
مثال سابق ، وجمعها تجارب وتجاريب ."<sup>(٢)</sup>

أما لفظ التجربة- بالمعنى العام- فيُحِيلُ عَلَى مَجَالَاتٍ عَدِيدَةٍ وَيَحْمِلُ دَلَالَاتٍ مُتَنَوِّعَةً:  
ف:"التجربة تدل على مجموعة المعارف والخبرات التي يكوّنها الإنسان في علاقته المباشرة بالواقع ،  
كما تعني اكتساب القدرة على الإتيان ، أما في مجال المعرفة العلمية، فإن التجربة، تعني القيام  
بإعادة إحداث ظاهرة ما، تمت ملاحظتها في شروط محددة، لدراستها كوسيلة لمعرفة القوانين  
المتحكمة في الظواهر." <sup>(٣)</sup>

١ - لسان العرب لابن منظور ، ص ٢٥٩ ، حرف الباء ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٩٣ م

٢ - المعجم الكبير ، مجمع اللغة العربية ، الجزء الرابع ، حرف الجيم ص ١٧٥ - ١٧٦ ، ط ١ ، القاهرة ١٩٨١م

٣ - معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، جلال الدين سعيد ، ص ٩٥ ، ط ١ ، دار الجنوب للنشر ، تونس ٢٠٠٤م

وكذلك فإن لفظ " التجربة " يُطلق على : " المعارف الصحيحة التي يكتسبها العقل بتمرين ملكاته المختلفة ، لبااعتبار هذه المعارف داخلة في طبيعة العقل ، بل باعتبارها مستمدة من خارجه . " (١)

وقد اخترتُ لدراسة فكر وحركة الشيخ فتح الله كولن مصطلح " التجربة الدعوية " ، لشمولها دراسة تجربته الذاتية ، وأفكاره الدعوية ، والحركة التي استلهمت من تجربته وأفكاره ( حركة الخدمة ) فالمقصود بالتجربة الدعوية في هذا البحث : مجموعة الخبرات والاجتهادات الدعوية التي تكوّنت من خلال الممارسة الدعوية ، بحيث يمتزج الفكر فيها بالحركة ، والنظرية بالتطبيق والأقوال بالأفعال ، وبحيث تكون قد أثمرت نتائج دعوية ومجتمعية يُرجى الاستفادة منها لعموم الدعاة إلى الله - تعالى - .

والتجربة الدعوية بهذا المفهوم تدور حول ثلاثة محاور

ل محور الشخص ، وهو مايعالجه الفصل الأول من هذا البحث

ل محور الفكر والتنظير ، وهو مايعالجه الفصول الثاني والثالث والرابع

ل محور الحركة والتطبيق وهو مايعالجه الفصل الخامس

أما العمل الدعوى فقد جاء في عنوان الرسالة قيّداً مهماً ومحورياً في موضوع البحث ، تمييزاً للتجربة الدعوية من جهة ، وتحديدًا للمسار الذي سارت عليه التجربة في تقديمها نموذجاً لنهضة المجتمع والأمة .

فالتجربة في ماهيتها وأصلها تجربةٌ دعوية ، وفي تطبيقاتها تتبنى العمل الدعوى من خلال خدمة الآخرين .

فالعمل الدعوى هو : " كلُّ نشاطٍ فردي أو جماعي يقوم به الدعاة إلى الله بهدف نشر الدين الإسلامي ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورفعة المجتمع المسلم . " (٢)

والعمل الدعوى المذكور قيّداً في هذه الدراسة يشمل كل جهدٍ مبذول قولاً أو فعلاً ، فردياً أو جماعياً ، يقصد به نهضة المجتمع الإسلامي ، وإحياء الأمة الإسلامية ، ودعوة الإنسانية إلى الإسلام ، ويهدف إلى نشر الفضائل والتخلّي عن الرذائل والتخلّي بالرحمة والشفقة على جميع المدعويين .

١ - المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، ج ١ ، ص ٢٤٣ ، ط ١ ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢ م

٢ - دراسة مقارنة للجهود الدعوية النسائية بين كل من المدينة المنورة وكوالا لمبور ، د. شيماء خير الدين حسن ، ص

٢٥ ، رسالة دكتوراه في الدراسات الإسلامية ٢٠٠٩ م ، كلية الدراسات الإسلامية ، الجامعة الوطنية ، ماليزيا



## مفهوم النموذج

في القاموس المحيط: "النموذج بفتح النون: مثال الشيء (معرب) ، والنموذج لحن" (١) وفي المصباح المنير: "النموذج: مثال الشيء الذي يعمل عليه . " (٢) فالنموذج في اللغة هو مثال الشيء ، أي المثال على الشيء ، بمعنى تطبيق الشيء - أو الموضوع - على مثالٍ مصغرٍ للتوضيح أو البيان أو المساعدة على الفهم . ويعتبر النموذج: "إطار تصوُّري ، حيث يبدأ بناء النموذج بجمع المفاهيم المرتبطة ذات الأهمية في الموضوع المراد بحثه، وينتهي عندما ينتج نظام - أو نموذج ذو أفكار متصلة - يعين على فهم الموضوع ، وعلي هذا فإن النموذج يمكن أن يعرف علي أنه : إطار ذهني مجرد يتكون من مجموعة مفاهيم متشابهة ومتفاعلة، وله القدرة علي تفسير اتجاهات يمكن تعميمها، وعلاقات متبادلة تسود في العالم الواقعي." (٣) ويعرف د. عبد الوهاب المسيري (٤) - رحمه الله - النموذج ، قائلا : "عندما يتجه الإنسان إلى ظاهرة ما مستهدفا تفسيرها، فإنه يقوم بعدة خطوات حتى يصل إلى هذا التفسير، وحينما يرى الإنسان ظاهرة ما، فعليه التعامل مع عدد كبير من العلاقات والتفاصيل والحقائق والوقائع، وعندئذ يقوم العقل باستبعاد بعضها لأنه يعتقد أنها لا دلالة لها "من وجهة نظره" ويستبقي البعض الآخر وهذا هو التجريد" وتأتي بعد ذلك خطوة الربط بين العلاقات والوقائع والحقائق التي أبقاها فينسّقها تنسيقا خاصا بحيث تصبح حسب تصوره مماثلة للواقع ، أي أن تكون قادرة على تقديم صورة معبرة بشكل صحيح عن الواقع، وما ينتج عن عملية التجريد وتصور العلاقات بين عناصر الظاهرة يسمى "النموذج" فهو بناء يماثل الواقع لكنه افتراضي ، ومع هذا تشبه العلاقات بين عناصره العلاقات الموجودة بين عناصر الواقع." (٥)

١ - القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، باب الجيم ، فصل الواو ، ص ٢٦٦ ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، بيروت ٢٠١٢م

٢ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن علي المقرئ ، ج ٢ ، ص ٦٢٥ . ، المكتبة العلمية ، بيروت

٣ - مدخل إلى فلسفة العلوم ، د. محمد عابد الجابري ، ص ١٢٤ ، ط ٥ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ٢٠٠٢م

٤ - مفكر عربي إسلامي ، ولد في دمنهور عام ١٩٣٨ م تخرج في كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، وتخصص في الأدب الإنجليزي ، وحصل على الماجستير والدكتوراه من الولايات المتحدة الأمريكية ، عمل في عدة جامعات عربية وإسلامية ، وله مؤلفات عديدة من أهمها : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، توفي - رحمه الله - عام ٢٠٠٨ م بالقاهرة .

٥ - موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، د. عبد الوهاب المسيري ، ص ٢١ ، ط ٣ ، دار الشروق ٢٠٠٦م

ولسائلٍ أن يسأل: وماذا عن العلاقة بين "النموذج" و"الواقع" ؟

إنها علاقة تبادلية ، بمعنى أن النموذج يُنسج لواقعٍ ما ، ثم يطبَّق هذا النموذج ، فيتبين من التطبيق ضرورة التصحيح والمراجعة نتيجة الممارسة الواقعية ، فينسج نموذج جديد على نحو أفضل ، وهكذا ، حتى نصل إلى مرحلة النضج أو الرشد .

" : إننا ننحت النموذج عن طريق معاشتنا لواقعٍ ما، وعن طريق تأملنا فيه، وعن طريق قراءتنا وتمحيصنا ، وبعد نحت النموذج نعمل فيه الذهن والفكر لنولّد علاقات افتراضية، تكثفه وتصقله ، ثم نعود إلى الواقع فيُنيره لنا، ولكنّ الواقع في كثير من الأحيان، يتحدّى النموذج فيعدّله ويزيد كثافته وصقله ، باختصار، "الحركة إذن: من الواقع إلى العقل، ومن العقل إلى الواقع . " (١)

ويضرب الدكتور المسيرى لهذا مثلا ، بطالب يدخل المدرّج الجامعي فتتكون لديه صورة ذهنية عن المحاضرة ، مكوّنة من عناصر ( الأستاذ - الطلبة - المدرّج ) ، وعلاقات (الأستاذ يتحدث والطلبة في مواجهته يُنصتون ) ، فيتكوّن لديه " نموذج إدراكي " ، فإذا دخل هذا الطالب مدرّجاً آخر وهو يجمل في ذهنه هذا النموذج الإدراكي ، ورأى طلبة في مواجهة أستاذٍ يحدثهم ، فغنه سيفسر ذلك من خلال نمودجه الإدراكي ، والذي يمكن تسميته حينئذٍ " النموذج التفسيري " . والنموذج الذي يقدمه الباحث ليس إلا اجتهادا يعتقد أنه الأكثر قدرة على تفسير الظاهرة ، أو تقديم إطار مصعّر للفكرة التي يوّد التعبير عنها .

" : فكلُّ باحثٍ يجتهد في تفسير ظاهرة ، يقدم تفسيره ويقول بكل تواضع : هذا هو اجتهادى وأعتقد انه أكثر قدرة على التفسير ، وأرجو أن تختبروا صحة ماتوصلتُ إليه" (٢)

في إطار ماسبق فإن المقصود بـ" النموذج" في هذا البحث :

1 ) مجموعة القيم والتصورات والأفكار التي تمّ تنزيلها على أرض الواقع ، وتصلح لأن تكون مثالا مصعّرا يهتدى به السائرون في طريق النهضة ، والقائمون على إصلاح المجتمع والأمة

2 ) تقديم هذا المثال (النموذج) بهذا المعنى لايغنى كونه صورة مثالية ، بل هو اجتهادٌ بشريّ ، قابلٌ للتصويب والمراجعة والنقد .

3 ) من خصائص النموذج قابليته للتعميم ، ومن ثمّ فهذا النموذج - رغم محدوديته كتجربة دعوية لفرد أو مجموعة من الأفراد - يحمل في طياته الخصائص الصالحة للنمو في

١ - البراديم كولن : فتح الله كولن ومشروع الخدمة في ضوء نموذج الرشد . د، محمد باباعمي ، ص ١١ . ، ط ١ ، دار

النيل ، القاهرة ٢٠١١م

٢- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، د. عبد الوهاب المسيرى ، ص ٢٢

بيئات مختلفة ، كما تحمل البذرة الصغيرة خصائص الشجرة العملاقة ، لاسيما وقد اختبرت في بيئات متفاوتة وآتت ثمراتٍ نافعةً حيثما حلت .

## مفهوم النهضة

المعنى اللغوي للنهضة ومشتقاتها يدور حول القيام والحركة ، وكلمة النهضة في هذا البحث تتعلق بما يجعل الأمة قائمة ، فالأمة القائمة هي الهدف النهائي من هذه النهضة ، والأمة القائمة هي الأمة التي تقوم بدورها ، ذلك الدور الذي يحدد وجودها وهويتها وكيانها .

ولعل التعريف اللغوي الذي يورده المعجم الوسيط يكون أقرب إلى هذا المعنى المراد ، فقد جاء في المعجم الوسيط: " النهضة: الوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره، ويقال كان لفلان نهضةً إلى كذا، أى : حركةً ، والنهَّاض : الدؤوب على أن يسلك سبيل التقدم ، والكثير النهوض. " (١)

فالنهضة إذاً ترتبط بالحركة والنشاط واليقظة والصحة التي سبقها حالة غفلة وثبات ونوم، تسببت في فوات أمور مهمة تطلبت سرعة الاستنهاض والنهضة.

ويعرّف بعضهم النهضة تعريفاً عاماً بقوله: " حركة فكرية عامة ، حيّة منتشرة ، تتقدّم باستمرار ، وتقدم الجديد دون القطيعة مع الماضي " (٢)

وهذا التعريف يحدد مكونات النهضة المنشودة ، فهي :

- 1/ حركة وليست مجرد تنظير .
- 2/ تعتمد على الفكر بشكل أساسي .
- 3/ عامة ، فلا تختص بجزء من المجتمع والأمة دون جزء .
- 4/ حيّة ومنتشرة وتتقدم باستمرار ، فهي تتميز بالحيوية والفاعلية والاستمرارية .
- 5/ تطرح الجديد دون قطيعة مع الماضي ، بل إنها تستمد من نقاء التراث ما يعينها على الاستمرار

وهناك تعريف آخر للنهضة ، يعرفها بأنه : " حركة ديناميكية واسعة تطرأ على مستوى الوعي والفعل تُخرج أمة من الخمول والركود إلى الحركة والتغيير المؤسسين على إدراك تاريخي عميق و رؤية إستراتيجية (٣) مستقبلية واعية. " (٤)

١ - المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية تصدير د. إبراهيم بيومي مذكور، وإخراج: أحمد حسن الزيات وآخرون، - ج ٢ ، ص ٩٥٩ ، ط ٢ - ١٩٧٢م - القاهرة

٢ - تاريخ عصر النهضة الأوروبية ، د. نور الدين حاطوم ، ص ٥١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٥م

٣ - الرؤية الاستراتيجية ، تعنى : الرؤية بعيدة المدى

٤ - من الصحة إلى اليقظة ، د. جاسم سلطان ، ص ٢٠ ، مؤسسة أم القرى ، ط ٤ ، المنصورة ٢٠١٠ م

وهذا التعريف يقترب أكثر - من حيث المدلول - من حالة النهضة الإسلامية المنشودة للمجتمع والأمة ، وهو يتفق مع التعريف الأول فى الحركية والاستمرارية والعمومية أو السعة ، ويزيد عليه :

) أهمية الوعى وليس مجرد الفكر ، فالنهضة لابد وأن تلامس وعى المجتمع والأمة

) أن يقترن الوعى بالفعل والتطبيق

) النهضة حركة تغيير من الخمول والسكون إلى الحركة والتغيير

) يؤكد هذا التعريف على إدراك العمق التاريخى ، بما يشمل من تراث دينى وفكرى وثقافى

) ينبغى أن تكون لهذه النهضة رؤية مستقبلية تتطلق على أساسها وتسعى إليها

وهذا التعريف هو التعريف المختار فى هذا البحث .

من خلال عناصر التعريفين السابقين وبالجمع بينهما ، يتضح المقصود من النهضة المعنيّة فى طبيّات هذا البحث .

**فنهضة المجتمع والأمة** ، حركة واسعة المدى تشمل البنية التحتية لأفكار الناس وعقائدهم وسلوكهم ، وتستمد شرعيتها من تراث الأمة وثقافتها ، وبالتالي فإن النهضة المنشودة ليست مجرد تنمية اقتصادية فى مجال معين ، وليست شعارا سياسيا لخوض انتخابات فى بلد ما .

## ) مفهوم المجتمع

المجتمع اسم مكان من : اجتمع ، وهو مكان الاجتماع .

وفى المعجم الوسيط : " المجتمع : جماعة من الناس تربطها روابط ومصالح مشتركة وعادات وتقاليد وقوانين واحدة . " (١)

ويقترّب هذا التعريف اللغوى من التعريف الاصطلاحى لمفهوم المجتمع فى علم الاجتماع ، حيث يُطلق لفظ المجتمع على : " مجموعات من الأفراد تؤلف بينهم روابط واحدة ، تثبتتها الأوضاع والمؤسسات الاجتماعية ، ويكفلها القانون أو الرأى العام ، ويطلق لفظ المجتمع على الاجتماع فى الأسرة أو القرية أو القبيلة أو المدينة أو الدولة . " (٢)

ومن هنا فإن أبناء المجتمع الواحد يجمعهم حيّز جغرافى مجدد ، وتجمعهم لغة واحدة ، وبينهم روابط اجتماعية ، ويكفلهم قانون عام .

- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية تصدير د. إبراهيم بيومي مذكور، وإخراج: أحمد حسن الزيات وآخرون، - ج ١ ،

## مفهوم الأمة

والأمة تأتي في اللغة بعدة معاني ، جاء في لسان العرب <sup>(١)</sup> أمثلة على ذلك ، منها :-

١- تأتي بمعنى الدين، قال الله- تعالى:- (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ) <sup>(٢)</sup>

٢- وقد تكون الأمة جماعة العلماء ، كقوله -تعالى - ( وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) <sup>(٣)</sup>

٣- والأمة بمعنى المدة، كما في قوله - تعالى - ( قَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ) <sup>(٤)</sup>

٤- وتأتي بمعنى الإمام :وهو كل من اقتدي به وقدم في الأمور ، ( إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ) <sup>(٥)</sup>

## والأمة اصطلاحاً

جاء في تعريف الأمة ، أنها : " مجموع أفراد من عنصر واحد ، ولغة واحدة ، وحضارة واحدة ، أولي إرث تاريخي شامل عام، وشعور بإرادة تأليف جماعة سياسية واحدة . " <sup>(٦)</sup>  
وهذا التعريف :-

يرى أن الذي يجمع الأمة هو الإطار السياسي

ثم يشترط أن يكون أفراد الأمة من عنصر واحد، ولهم لغة واحدة

هذا التعريف أقرب إلى مفهوم الدولة منه إلى مفهوم الأمة .

الأمة تختلف عن الدولة، فالأمة : لها وجود تاريخي امتد عبر العصور، وأما الدولة : فهي كيان سياسي اقتضاه الواقع.

وقيل إن الأمة : " جماعة كبيرة من الناس، تنتمي إلى أصل عرقي واحد، يوجد بين أفرادها لغة مشتركة ، أوتاريخ مشترك ومصالح كبرى ، فضلاً عن الوجود الجغرافي والتاريخي، لقرون طويلة في أرض بعينها . " <sup>(٧)</sup>

١ - لسان العرب ، ابن منظور ، ج ١ ، ص ١٣٢ - ١٣٥

٢ - سورة الزخرف ، الآية : ٢٢

٣ - سورة آل عمران ، الآية : ١٠٤

٤ - سورة يوسف ، الآية : ٤٥

٥ - سورة النحل ، الآية : ١٢٠

٦ - مجلة المنار ، الشيخ محمد رشيد رضا ، العدد ٢٣

٧ - الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله - تعالى - ، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ص ١١ ،

والملاحظ في هذا التعريف أنه يجعل قوام الأمة هو العرق ، والأمة لا تقوم على أساس العرق، فقد كان الناس على عهد النبي- صلى الله عليه وسلم - أعرافاً مختلفة ، فسيدنا بلال كان حبشياً، وسيدنا سلمان كان فارسياً، وسيدنا صهيب كان رومياً، فرسالة الإسلام رسالة عالمية وليست للعرب وحدهم، والأمة تضم المؤمنين من العرب وغيرهم .  
وقيل إن الأمة هي : " جماعة كبيرة من الناس ينتمون إلى دين واحد ، ولهم تاريخ مشترك، وتجمعهم مصالح كبرى، ولهم حضارة امتدت حِقْبَةً من الدَّهْرِ . " (١)  
وهذا التعريف هو المختار في هذه الدراسة ، والأقرب لمفهوم الأمة المقصود في هذا البحث ، فهو يشمل :-

- ] اشتراك أبناء الأمة في دين واحد
- ] التاريخ المشترك ، وما يحمله من ثراث مشترك ، وثقافة مشتركة
- ] الأمة تجمعها مصالح كبرى مادية ومعنوية
- ] الأمة لها حضارة امتدت فترة من الزمن ، بحيث يمكن لأفراد هذه الامة استعادة هذه الحضارة من جديد
- ] ليس شرطاً في الأمة الواحدة أن تكون هناك لغة مشتركة بين أبنائها ، أو ان يجمعهم عرق واحد .

---

١ - الأمة الإسلامية : سماتها ومقوماتها وأهدافها ، دراسة موضوعية من خلال السنة النبوية ، أ. عبد الوهاب زيدان ، ص ١٥ ، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدين ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين ٢٠١٣ م

# الشيخ هـ

”

”

وفيه مبحثان ، وستة مطالب

المبحث الأول : شخصية فتح الله كولن ، وفيه ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : ميلاده ونشأته

المطلب الثاني : المحاضن التربوية المؤثرة في شخصيته

المطلب الثالث : حياته في مراحل

(من جبال الأناضول إلى الإنفتاح على العالم )

المبحث الثاني : (كولن ) من خلال مؤلفاته وإنتاجه الفكرى وفيه ثلاثة

مطالب :-

المطلب الأول : (كولن) من خلال مؤلفاته

المطلب الثاني : ( كولن) شاعرا وأديبا

المطلب الثالث : المقدره الخطابية لدى فتح الله كولن

## تمهيد

لاتكاد تنفصل تجربة الأستاذ فتح الله كولن الدعوية عن حياته على اختلاف مراحلها وتعدّد فصولها، فمن يريد التعريف بالرجل بصدد البحث في تجربته الدعوية وأثرها على المجتمع والأمة وسبل الاستفادة منها في العمل الدعوى لاسيما في عالمنا الاسلامي المتعطّش إلى التجارب الحيّة لايمكنه الفصل بين الشخص والفكرة والحركة .

والباحث في تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية يجد أمامه شخصاً متعدد المعارف واسع الاطلاع يجمع بين مختلف الثقافات ، فهو شاعرٌ وفيلسوف ، مفكّرٌ وحركي ، خطيبٌ مفوّهٌ ومحاورٌ لايشق له غبار ، كاتبٌ عميقٌ وأديبٌ بليغٌ ، وهو مع كل هذا صاحب إنجازات حضارية عميقة تتخذ من بناء الإنسان منطلقاً ومن رضا الله غاية .

والمقصد في هذا الجزء من البحث هو رسم المعالم الرئيسية لشخصية "محمد فتح الله كولن" باعتباره أحد الرموز الدعوية والفكرية الإسلامية والعالمية المعاصرة ، التي تسهم بطريقة منهجية وعلى نحو فعّال في تجديد الخطاب الإسلامي، ورسم الطريق نحو نهضة إسلامية شاملة تجمع بين الفكر والحركة وبين النظرية والتطبيق وبين العقل والعاطفة وبين التربية والسلوك من دون ذاك الفصام بين هذه الثنائيات والذي عانت منه أمتنا الإسلامية... ولا تزال !

ذلك أن البحث يتصدى للتجربة الدعوية للشيخ بجوانبها المختلفة ومنجزاتها الحضارية باعتبارها نموذجاً دعويّاً معاصراً يمكننا الاستفادة منه .

من أجل ذلك فقد اخترتُ تعريف الشيخ فتح الله كولن من خلال محورين : الأول يدور حول شخصه وحياته الخاصة ، من حيث نشأته ، والمحاضن التربوية التي أثرت في شخصيته وتكوينه العلمي والوجداني ، ثم مراحل حياته المختلفة ، التي بدأت من قرينته في الأناضول ، وانتهت بالانفتاح على العالم .

ويقوم المحور الثاني بتقديم "كولن" من خلال مؤلفاته وكتاباتاته ، وجمعه بين الحكمة والفلسفة من جانب وبين الأدب والشعر من جانب آخر، وركّزت في هذا الجانب على قدرته الكتابية الفائقة وملكاته الخطابية .



---

المبحث الأول

# شخصية فتح الله كولن

وفيه ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : ميلاده ونشأته

المطلب الثاني: المحاضن التربوية المؤثرة في شخصيته

المطلب الثالث : حياته في مراحل

(من جبال الأناضول إلى الإنفتاح على العالم )

## المطلب الأول ميلاده ونشأته

هو : محمد فتح الله كولن "الأناضولي الموطن، والتركي الجنسية و اسمه إلى جده الرابع: محمد فتح الله ، بن رامز أفندي، بن شامل، بن الملاً أحمد، ابن خورشيد بن خليل، و"كولن" هو لقب عائلته. (١)

و" محمد فتح الله" اسمٌ مرگبٌ ، ولذا فقد غلبَ عليه اسم " فتح الله " .  
أما "كُولَن" ، فهي بالتركية " Gulen " ، ومعناها " البسَام " أو الضحَّاك " (٢) ، ويتم تعريب الاسم في العربية إلى " جُولن " أو "غُولن " أو " كُولن " ، وقد غلب في الترجمة إلى العربية الاسم الأخير، لأن كلَّ الكتابات المترجمة للشيخ مصدرّة بهذا التعريب ، سواءً من مؤلفاته ، أو من الدراسات التي كُتبت عنه باللغة العربية ، أو تُرجمت من اللغات الأخرى .

وُلد "محمد فتح الله كولن" في ١٧ من رمضان سنة ١٣٥٧هـ - ١٠/١١/١٩٣٨م في قرية "كوروجك" التابعة لمدينة "حسن قلعة" في محافظة "أرضروم" (٣)

و : " سكان الأناضول (٤) في عمومهم تغلب عليهم نزعة التدين، والاعتزاز بالقومية، والتمسك بالتقاليد والمحافظه عليها في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية ، وأسرة فتح الله كولن تنتمي إلى الطبقة المتوسطة ، ولكن لها من الاعتزاز بالقيم والعادات والتقاليد، القدر الكثير بالإضافة إلى حب طلب العلم، واعتبار ذلك ثروة كبيرة لا تقدر بثمن ، وفي مثل هذه الأوساط تزدهر النزعات

١ - أشواق النهضة والانبعاث ، قراءات في مشروع الأستاذ فتح الله كولن ، د. محمد جكيب ، ص٢٨ ، ط ١ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٣ م

٢ - مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية ( مؤتمر دولي نظمته جامعة الدول العربية ، بالقاهرة ٢٠٠٩م ) ص٢١٨ ، ط ١ ، دار النيل ، بالقاهرة ٢٠١١م

٣- أرضروم : هي مدينة تركية في شرق الأناضول ، سماها السلاجقة في القرن الحادي عشر : أرض الروم وقد عانت هذه المنطقة من الزلازل والثورات والحروب ( المصدر : المعجم الكبير ، الجزء الأول ، حرف الهمة ، ص ٢٠٧ ، ط ١ ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ١٩٨٠ م )

٤- الأناضول : منطقة جغرافية وتاريخية قريبة من شرق أوروبا تشكل شبه جزيرة جبلية في غرب آسيا على البحر المتوسط تشمل الأراضي التركية عدا القسم الشرقي المعروف تاريخيا باسم هضبة أرمينيا. ويعرف الأناضول أيضا بآسيا الصغرى. ، وقد فتحها المسلمون عام ١٠٧٤م ( المصدر : تاريخ الدولة العثمانية ، ج ١ ، ص ٢٢١ ، المؤلف : يلماز أوزتونا ، ترجمة عدنان محمود سليمان ، ط ١ ، مؤسسة فيصل للتمويل ، استانبول . ١٩٨٨ م )

الساعية للتغيير والإصلاح، إلى جانب التطلع الدائم نحو المستقبل عبر بناء الذات، وبذل أقصى ما في الوسع للنجاح فيما تمارسه من أعمال ومهن مختلفة .<sup>(١)</sup>

يُعدُّ هذا الملمح البارز والعلامة الفارقة في نشأة الكثير من الدعاة والمصلحين والقادة والزعماء ف " الطبقة المتوسطة " هي التربة الخصبة لإنبات المواهب وميلاد العبقريات ، تلك الطبقة التي لم تُتخَمها رخاوة العيش ورغد الحياة ، ولم تُدْفَن مواهبها وطموحاتها تحت وطأة الفقر المُدقع ، ومن الناحية الأخرى فإن توجُّه الأسرة نحو الاهتمام بـ"العلم" ، والاعتزاز بـ"التقاليد" المنبثقة من شرائع الدين الحنيف ، عمل على توفير البيئة الخصبة والمناخ الصالح ، الذي ساهم في بناء شخصية فتح الله كولن وتكوينه الفكري والوجداني .

نشأ الأستاذ فتح الله كولن في بيئة ذات طابع خاص منذ طفولته، فأسهم من حوله جميعاً في بناء شخصيته ؛ فلنشأته مناخ متميز هيأته له خصائص أسرته أنفة الذكر، وملازمة أهل الذكر والقلوب النيرة لبيتهم بسبب حب للعلماء وأهل الذكر : " وباستعراض قصة حياة كولن فقد شكَّلت شخصيته ثلاثة عوامل : أسرته ، والصوفية وشيوخها ، وكتاباتُ بديع الزمان النورسي<sup>(٢)</sup> . " <sup>(٣)</sup>

ومن حديثه عن هذه الفترة يقول : " لم أجالس أترابي وأقراني قطَّ في طفولتي أو فتوتي، فديني أن أجلس إلى الكبار وأصغي إليهم، حتى أصبح ذلك خُلُقاً فيّ، ولوالدي أثرٌ كبير في هذا؛ فحديث هذه المجالس تطرب له الآذان وتستملحُه العيون، لا سيما حديث الشيخ الأورلي<sup>(٤)</sup> ، فكلما حدَّثك قلت : هل من مزيد؟ وربما لم أستطع فهم كلِّ ما كان يقول، لكنني كنت أحفظه كلَّه ؛ فأحكيه لأمي وجدتي ، وهذا له مذاق خاصّ عندي . " <sup>(٥)</sup>

١- مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية ( مؤتمر دولي نظمتها جامعة الدول العربية ، بالقاهرة ٢٠٠٩م ) ص ٢٢٠

٢- وُلد النورسي في قرية نُورس (NURS) التي يُنسب إليها، حتى صارت هذه النسبة علماً عليه عرف بها في تركيا وخارج تركيا ، وقد وُلد عام ١٨٧٦ م ، ورسائل النور هي الكتابات التي ألَّفها وسجل فيها كل ما استلهمه من نور القرآن الكريم وأملاها على محبيه بقصد إنقاذ الإيمان ، ( المصدر : بديع الزمان النورسي : نظرة عامة عن حياته وآثاره ، إحسان قاسم الصالحى ، ص ٧ ، ط ١ ، دار سوزلر للنشر ، استانبول ، ١٩٨٧ )

٣- نحو تنوير إسلامي : حركة فتح الله كولن ، حاقان يافوز ، ص ٣٦ ، منتدى العلاقات العربية والدولية ، ط ١ ، ٢٠١٥ م

٤- الإمام "محمد لطفي الأورلي" - نسبة إلى قرية "ألوار" - التابعة لمدينة أرضروم - هو أحد العلماء الذين أخذ عنهم الشيخ فتح الله كولن ويُعدُّ الأكثر تأثيراً في تكوينه الروحي والفكري ( عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ٣٧ )

٥- فتح الله كولن قصة حياة ومسيره فكر ، أرطغرول حكمة ، ص ١٦ ، ط ١ دار النيل بالقاهرة ، ٢٠١٣ م نقلا عن حوار مع الأستاذ بعنوان : " دنياى الصغيرة "

## المطلب الثاني

### المحاضن التربوية المؤثرة في شخصيته

المقصود في هذا المطلب بـ" المحاضن التربوية " هو ذلك المحيط المؤثر في الإنسان في مهده وطفولته ، تلك المؤثرات التي تنطبع في وجدان الإنسان في مراحلها الأولى فتشكّل شخصيته الوجدانية والروحية ، وتترك في وعيه أكبر الأثر، وهذه المحاضن في الحقيقة أهم المؤسسات التربوية الفاعلة والمؤثرة في بناء التكوين النفسي والوجداني للأجيال الناشئة ، إن لم تكن أهمها على الإطلاق ، وتشمل هذه المحاضن المكونات الثلاثة : الأسرة ، و العائلة ، والمجتمع المحيط . وإنك لتلمح أثر أسرة الشيخ ومحيطه العائلي ومجتمعه الصغير لا في تكوينه النفسي فقط بل حتى في أحاديثه وكتاباته .

#### المحاضن الأولى : شخصية الجدّ الوقور

كان جدّه "شامل أغا" رجلاً قوياً مهيباً ، وكان مثالا للوقار، والجديّة ، حتى وهو في شيخوخته ، كان الطفل "فتح الله" يرقبه ويتأمله ، ويلتقط منه المشاهد والأحوال، مما ينسج به رجولته الناشئة ، وإنه ليذكر أنه : "ما رآه يضحك أو يقهقه قط، وإنما ربما تبسم تبسماً، مما جعل له في قلوب أهالي القرية مهابةً عظيمةً، وتوقيراً كبيراً ، وبميزانٍ دقيقٍ كان يقيس العلماء والمشايخ ، فيحترم أهل الصدق منهم ، إذ كان رجلاً علمٍ، وصاحب مقام إيماني عالٍ، لم يكن يستغل علمه للتكسب، ولا صلاحه ونسبه لجمع المال، ولا كان يسأل الناس شيئاً، بل لم يكن يقبل حتى الهدايا، كان قواماً صواماً . " (١)

ويرسم الأنصاري - رحمه الله - لوحةً فنيةً رائعةً لهذه العلاقة الخاصة بين الجد والحفيد ، مستوحياً إياها من أحاديث الشيخ عن هذه المرحلة لخاصة طلابه وإخوانه.

يقول : "كان الجدُّ عميق المحبة لجميع أبنائه وحفدته، لكنه لم يكن يُعلن ذلك لأحد منهم، ولا لفتح الله...!! بل كان يضربهم أحياناً، ويزجرهم زجراً، كان "شامل" يبدو رجلاً صلباً، إلى ما يشبهه القساوة أو يقاربها..، ولكن على الرغم من كل هذا، فقد كان يستبطن علاقة من المودة مختلفة

١- عودة الفرسان : سيرة محمد فتح الله كولن ، د. فريد الأنصاري ، ص ٣١، الطبعة الأولى ، دار النيل ، بالقاهرة ،

نحو حفيده الأثير "فتح الله" .. كانت مودة مكتومة ، لم تكذ تخرج من أعماق الوجدان، فقد كانت نظرات "شامل آغا" نحو حفيده عبارة عن رسائل وجدانية عميقة ، وقد تلقى فتحُ الله تلك الرسائل كلها؛ فكانت - رغم ندرتها - كافية لتجعله يكتشف حقيقة جده، وليدخل من خلالها في وحدة وجدانية كاملة معه! وألّف الحفيدُ جده إلفاً غير عادي، حتى إنه لم يعد يطيق الحياة بغير وجوده، وسماع حديثه! " (١)

وقد اضطر والد " فتح الله " أن يرحل إلى قرية مجاورة ليعمل إماماً بأحد مساجدها ، وبعد مرور أسبوع على رحيل الأسرة الصغيرة، ولم يكن قد جاوز التاسعة من عمره، أمره والده بالذهاب إلى كُرُوجُك لجلب بعض أغصان الصفصاف ، من حديقة بيت الأسرة الكبير كي يغرسها أمام البيت الجديد .

: " وما أن رأى الجدُّ حفيده الأثير لديه الإواحتضنه بكلتا يديه وأجهش بالبكاء !! وتساءل الصبى متعجباً: "جدي شامل هو أيضا يبكي؟" وجعل الجد شامل يردد كلمات من الشعر التركي الحزين، رسخت أبياته في ذاكرة "فتح الله" فلم ينسه قط:

" قد غادرت الوردة المكان .. ورحل العنديل !  
فكيف يطربنا ضحكك؟ .. وما يجدينا النحيب؟ " (٢)

### المحضن الثاني : جدّة عارفةً بالله

عندما سئل الشيخُ فتح الله عن أكثر الناس تأثيراً فيه ؟ أخبر قائلاً : لو تحدثنا عن تأثير لأحد عليّ فقد كان من جدتي "مؤنسة هانم" .

فقد كان لها أثرٌ بليغ في حياته، وكان لبكائها من خشية الله أثر كبيرٌ في نفسه، يصفها الأستاذ فيقول : " ياالله كم أثرٌ في عمقها مثل البحار الهادئة، فبشائر الإيمان عليها بادية ، وصلتها بالله ظاهرة." (٣)

فلم تكن "مؤنسة هانم" جدة "فتح الله" امرأةً عادية ، كانت : " ذات مقامات وأحوال ، فقد كانت شخصيتها الريانية أول من فتح الطريق لفتح الله، في مسلك التعرف إلى الله، ومنها تعلم معنى

١- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ٣٦

٢- المصدر السابق ص ٤١

٣- فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ، أرطغرول حكمة ، ص ١٢

الارتباط بالله ، و شاهد في صمتها العميق تجليات النور على السالكين إلى الله ، فتعلم من صمتها مالم يتعلمه من بطون الكتب !<sup>(١)</sup>

## ل وفاة جدّه وجدّته

كانت وفاتهما في يوم واحد وبفارق ساعة أو ساعتين بين وفاتهما وكان ذلك في بداية سنة ١٩٥٤م ، وهكذا مات الزوجان في يوم واحد ، وعندما وصل خبر وفاتهما إلى الشيخ "فتح الله" ظل يبكيهما بكاءً مرّاً شاعراً بالوحدة والغربة من بعدهما .

يقول الشيخ: "إن جدّي "شامل أغا" كان كل حياتي أما جدتي "مؤنسة هانم" فما كنت أتخيل أني أستطيع مواصلة حياتي من دونها ، وإذا بي أفقدتهما معاً في يومٍ واحد فكيف أقوى على تحمل حُزني على فراقهما ... ؟ حتى إنني تضرعت إلى الله : إلهي توفني وألحقني بهما ."<sup>(٢)</sup>

يستطيع الباحثون في علم الاجتماع الوقوف كثيراً عند هذه الصورة ، التي توضح مدى تأثير الأسرة - بمفهومها الواسع - والذي يشمل "الجدّ والجدّة" بل والأعمام والعمّات والأخوال والخالات في أحيانٍ كثيرة، لينتبن لنا التأثير القوي للمحيط العائلي في التربية والتنشئة .

والله - تعالى - يقول : "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ"<sup>(٣)</sup>

وهكذا نهل الفتى فتح الله من هذا المنهل الصافي ، وارتمى بكليته في هذا المحضن الدافئ ، بين جدة عارفة بالله ، لها مع الله حال ، وجدّ محبّ للعلم ، موقر للعلماء ، ذي فراسة صادقة في الناس وطبيعة جادة صارمة .

لقد كانت " كثرة البكاء " . أحد الصفات المميّزة لجدته ، فهل ورث منها هذه الصفة ، فامتألت خطبه ومواظمه بالبكاء والنحيب !؟

وكان جدّه رجلاً قويا جلدّاً يتحمل المشاق والصعاب ، دون أن يتشكّى أو يتبرّم ، تجرّع مرارة التهجير ، وتقلّب الأحوال ، فما لان في دينه قط .

فهل تعلم " فتح الله " منه ، الجدّ على شدائد الحياة ومقاساة الحرمان والتهجير ، والسجن والتضييق !؟

١- فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ، أرطغرول حكمة ، ص ٤٣

٢- التجديد في الفكر الديني المعاصر "نموذج دعوة فتح الله كولن" ، ابوزيد عبد الرحيم ، رسالة ماجستير . معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق ، نسخة الكترونية ٢٠٠٩م

٣- سورة الطور ، الآية ٢١

### المحضر الثالث: والده رازم أفندي "والدٌ وصديق"

يصف الشيخ "فتح الله" والده بأنه كان حريصاً على الوقت لا يُضيِّعه ، ف: "عندما كان يعود من المزرعة إلى البيت، كان يبدأ بقراءة فصل أو فصول من كتاب، قبل أن يخلع حذاءه ! فيستغرقه الكتابُ إلى أن يُجهِّز له الطعام ، وكانت قراءته للكتب متعةً عنده ، كان لسانه دائم الذكر ، يكثر من قراءة القرآن ، وتكرار الأبيات الشعرية الجديدة التي حفظها ."<sup>(١)</sup>

كانت الأحداث العديدة التي اضطرت أسرة "رازم" إلى الهجرات المتتالية ، قد جعلته يتأخر في طلب العلم ثلاثين سنة ولكنه تعلم - خلال ذلك - أهم درسٍ له في الحياة وهو: (الإحساس العميق بالزمن ) ، ولذلك فما أن استقرت الأوضاع حتى سارع الرجل - وهو أب أسرة آنذاك - إلى مكابدة حفظ القرآن، فقد كان يعمر وقت الطريق ذهاباً وإياباً ، بمراجعة المحفوظ واستنكاره ، رغبةً في طلب العلم ، جنباً إلى جنب مع ابنه فتح الله ، ولم يجد في ذلك أيّ غضاضة ! .

" فلم يكن فمه يفتُر، إما من تكرار محفوظه الأخير من القرآن، وإما من ترديد الأبيات الشعرية العربية أو الفارسية، كان والده رازم أفندي محباً للشعر أيضاً، وكان كثيراً ما يردد قصيدة "البردة" للإمام البوصيري<sup>(٢)</sup> في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - : ومنها قول البوصيري في بث الأمل وعدم اليأس من رحمة الله:

يا نفسُ لا تقنطي من زلَّةٍ عظُمت  
لعل رحمة ربي حين يقسمها  
إن الكبائر في الغفران كاللحم  
تأتي على قدر العصيان في القسم

يقول "فتح الله" إنه حفظ بردة البوصيري من كثرة استماعه لوالده وهو ينشدها ، كما حفظ عنه أشعاراً أخرى كثيرة باللغتين العربية والفارسية ، وبلغت من رقة قلبه أن : "جسده كان يرتعش كلما سمع اسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، أو ذكر اسم صحابيٍّ أمامه وتهطل عيناه بالدموع ، فهذا مثلي الأعلى الذي تربيت في حجره، إنه غمامة من الإيمان والأحاسيس والمشاعر تتهاطل عليّ دائماً فتشفي كل أجزاء نفسي ."<sup>(٣)</sup>

١- مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي : خيرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية ، ورقة بحثية مقدمة من د.

إبراهيم البيومي غانم ، ص ٢٣٠

٢- الإمام البوصيري : محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري ( ٦٠٨ - ٦٩٦هـ )، شاعر اشتهر بمدائحه النبوية، تُعد قصيدته الشهيرة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية"، والمعروفة باسم البردة أهم أعماله المصدر : بردة

المدح للإمام البوصيري ، المقدمة ص ٥ ، ط ١ ، الشمري للطبع والنشر ، ١٩٧٠م

٣- مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي. د. إبراهيم البيومي غانم : ص ٢٣١

ويتبين مما ذكره الأستاذ كولن عن والده ، كيف كانت همته عالية في طلب العلم ، وحفظ القرآن حتى في أحلك الظروف وأشدّها قساوةً ، فخلال السنوات العجاف التي ضربَ فيها المنع والحصار على تعليم القرآن .

: " حفر السيد رامز أفندي في إصطبله نفقاً سرياً ، يسلك من تحت الأرض حتى يفتح على بيت إمام المسجد في الجوار القريب! وخلال هذا النفق السري كان يتم عبور رامز وأبنائه ، إلى غرفة الإمام يتعلمون القرآن! حتى إذا انتهت الحصة، ورجعوا إلى بيتهم عبر النفق كما جاؤوا؛ سد رامز مدخله بالقش وروث البهائم " (١)

وعلى طريق العلم نشأت صداقة خاصة بين الفتى ووالده ، فكانت علاقة الوالد مع ابنه علاقة زمالة في طلب العلم ، ففي الوقت الذي كان يجلس فيه فتح الله لحفظ مقرره اليومي من القرآن ، كان الوالد يجلس إلى جانبه ليحفظ درسه من ذلك اليوم. ولذلك فقد كان الفتى يكتسب منه طاقةً وحيويةً لا تُوصف، وكان يجد لذة في مسابقة أبيه، محاولاً أن يحفظ مقرره قبله .

### ﴿ درسٌ تربيويٌّ ﴾

وليس ينسى فتح الله أبداً ذلك الدرس الرهيب ، الذي تلقاه يوماً من مقام الأبوة ، سيّاطاً تقرّيع صامت لو أبدلها له بمائة جلدة لكانت أهون عليه .

: " كان في حوالي الخامسة عشرة من عمره ، حيث التقط آفة التدخين لأيام قليلة تقليداً لبعض الرجال في القرية على عادة الأطفال في تقليد ما يعتقدونه مظهراً من مظاهر الرجولة ، فاستمر على ذلك لمدة شهر، فإذا بالوالد يكتشف الخلل الطارئ على مسلك الفتى ، فما انتهره ولا زجره ولكن جعل له مسلكاً آخر من العقاب المعنوي، هز كيانه الفتى هزاً ، ففي مجلس من مجالسهما الخاصة ، والابن جالس بين يدي والده، إذا بالأب يضع رجلاً على أخرى، بنوعٍ من التظاهر بالعجرفة على غير عادته ، ثم أخرج من جيبه علبة السجائر نفسها التي كان الفتى قد أخفاها تحت وسادته ، وأشعل سيجارة ، وكأنه يهم بتدخينها، وما هو من المدخنين!.. وسقط في يد الابن الحبيبي! حتى إنه ودّ لو ابتلعت الأرض ، ورأى رأي العين ، فيما مثله له أبوه ساعتها من هيئة استكبارية ، كيف أن تلك الحال الدنيئة لا تليق بجلال الرجل العالم ، فكان ذلك الدرس العملي البليغ ، كفيلاً بجعل الفتى يتخذ قرار مقاطعة التدخين إلى الأبد . " (٢)

وهكذا تعلم فتح الله من أبيه دروساً، لا يمكن أن يتلقاها في أي مدرسة أو جامعة ، تلقى منه المهمة العالية في طلب العلم ، والتعلق الشديد بسيرة الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – وصحابته

١- عودة الفرسان ، فريد الأنصاري ، ص ٤٧

٢- المصدر السابق ، ص ٥٠



الأجلاء ، وتلقى فتح الله من أبيه فى شبابه ، كيف يكون المرئى حازماً وهو رحيم ، وكيف يوجّه إلى الخطأ فى حينه بالأسلوب غير المباشر ، والذي يكون فى بعض الأحيان أوقع أثراً من المواعظ المباشرة ، وكأن القدر يهيئ الفتى ليكون "مربياً" لأجيالٍ من أمته فى حكمة وأناة .

وقد تُوفى والده رامز أفندى فى مطلع رمضان الموافق ١٩٧٤/٩/٢٠ م<sup>(١)</sup> ، وكان فتح الله حينها قد تم تعيينه واعظاً، يقول الأستاذ فتح الله : " ويوم تنفيذ التعيين قبّلت يد أبي وقلت : أتأذن لي؟ سأبأشرعلمي ، فقال : انتظر إلى الخميس القادم ، ثم توقف وفكّر ، وقال : اذهب ، فهنا عينان اثنتان ، وهناك آلاف العيون تنتظرك - يعنى تلاميذه ومحبيه - ، كم أحزنني أنني لم أكن بجواره لحظة الوداع ، وكم أغمّنتي غفلتي عن كرامته لما قال : اذهب بعد الخميس القادم ، فذاك جرح ما زال يلتهب فى أعماقي، وأنى لي بأبٍ مثله؟" <sup>(٢)</sup>

#### المحضن الرابع : والدته " ربيعة هانم " معلّمة القرآن :

تأثر " فتح الله " بوالدته ، ومن سيرتها التي حكاها هو بنفسه ، نعرف أنها كانت تتمتع بخصال تشبه خصال والده رامز أفندي، من رقة المشاعر، والتمسك بتعاليم الدين، وحب الخير ومساعدة المحتاجين من أهل القرية ، والتعلق بالرسول - صلى الله عليه وسلم - .

والسيدة "ربيعة هانم" كانت معلّمة القرآن لنساء القرية وبناتها <sup>(٣)</sup>، وقد صار عبء الأمّ المجاهدة أشدّ فهي بالإضافة إلى واجبها الدعوىّ الذى ألزمت نفسها به من غير توانٍ أو تفريط ، هناك واجباتها المنزلية ، وقد كانت مسؤولة عن تربية ثمانية أطفال ، وهي المرأة العليلة التي لا تكاد الأمراض والأوجاع تفارق جسمها الليل والنهار .

وقد : " تحمّل فتحُ الله جزءاً من هذه المعاناة ، فكان خير مساعد لأمه ؛ لأنه أصبح هو الابن الأكبر فى البيت، وإن لم يكن قد تجاوز العاشرة من عمره بعد ، فصار يعجن الخبز ويطبخ الطعام ويغسل الأواني والملابس، علاوة على اشتغاله اليومي بإتمام حفظ القرآن الكريم ، كل ذلك وهو لا يدري أن القدر إنما يُعدّه بذلك التدريب لحياة خاصة ، سيجد فيها نفسه وحيداً يحتاج إلى إتقان ذلك كله . " <sup>(٤)</sup>

١ - أشواق النهضة والانبعاث ، قراءات فى مشروع الأستاذ فتح الله كولن ، د. محمد جكيب ، ص ١٣٠

٢ - فتح الله كولن : قصة حياة ومسيرة فكر ، نقلا عن " دنياى الصغيرة " ، ص ٨٩

٣ - حركة فتح الله كولن ، تحليل سوسيلوجى لحركة مدنية متجذرة فى الاسلام المعتدل ، هيلين روز أيبو ، ترجمة عبد

الرحمن أبو ذكري ، ص ٥٠ ، الطبعة الأولى ، تنوير للنشر والاعلام ، القاهرة ٢٠١٥م

٤ - عودة الفرسان بتصرف ، د. فريد الأنصارى ، ص ٥٣

وفد كانت أمه معلّمه الأول ، فكان لأمه أكبر الأثر في حياته بعشقها لتعليم القرآن الكريم، ومواظبتها على أداء العبادة.

يروى الأستاذ كولن : " ذات ليلة هممت وأنا ابن الثانية أو الثالثة عشرة أن أنام قبل أن أصلي العشاء، فأذنتي أمي بالصلاة، فأجبتُها : إنني مُرهق، لعلّي أستيقظ ليلاً وأصلي، فقالت : ربما يشق عليك ذلك، فتفوّت الصلاة، تكلّنتك الليلة إذا لم تنهض لتصلي . " (١)

ولا عجب فالأمّ هي المدرسة الأولى التي يتخرّج منها الأبناء ، وهي المعلّم الأول وكل ما يأتي بعدها مكملٌ لدورها ، يقول حافظ إبراهيم - رحمه الله - :

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددتها أعددت شعباً طيبَ الأعراق  
الأمُّ أستاذُ الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مدى الآفاق (٢)

وقد توفيت والدته - رحمها الله - في ١٨ من يونيو ١٩٩٣ م ، وقد: " أمّ الناس في الصلاة عليها ، وقال عنها : هي سبب وجودي، وأول معلّمة ومرشدة في رحلتي التعليمية ، الأمّ فوق كلّ الكائنات الفانية ، تمشي ورأسها في السماء والجنة تحت قدميها، عزيزة عزة تجعل من تراب حذائها كحلاً لعيوننا، كريمة كرامة تبلغ بالشفاه التي تقبل قدميها مقام الشفاه التي تسجد تحت العرش، أئينها لا ينقطع، تنن ما عاشت وتتألم... " (٣)

### المحضن الخامس : "الإمام الألوارلي" الشيخ المربّي

كانت أسرة كولن كلها متأثرة بهذا الرجل أشدّ التأثر.. فقد كان محبوباً لدى جميع أفرادها، كان مجرد ذكر اسمه يبعث على ذكر الله - بالنسبة إليهم .

كان الإمام "محمد لطفي الألوارلي" - نسبة إلى قرية "ألوار" - التابعة لمدينة أرضروم - هو الأكثر تأثيراً في تكوين الأستاذ فتح الله الروحي والمعرفي ، مقارنة ببقية الأساتذة الذين درس على أيديهم خارج المدرسة.

يقول عنه : " كنت أتذوق كلامه كمن يتذوق شهداً خالصاً ، كنت إذا تحدّثتُ إليه، وكأن على رأسي الطير، فكلامه ينفذُ سريعاً إلى أعماقي، كنت أشعر أنني بإزاء عالم عظيم الشأن ،

١- فتح الله كولن : قصة حياة ومسيرة فكر، أرطغرول حكمة ، ص ١٥ نقلا عن : " دنياى الصغيرة " وهو حوار مطوّل مع الأستاذ كولن ، لم يترجم

٢- ديوان حافظ إبراهيم ، الجزء الأول ص ٢٨٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢ م

٣- فتح الله كولن : قصة حياة ومسيرة فكر ، أرطغرول حكمة ، ص ١٠٣

والدي ووالدتي كان ارتباطهما به ارتباط مريدَين بشيخهما، وكنت أنا جزءاً من هذا الكلّ الروحاني.<sup>(١)</sup>

بقي الأثر الذي تركه الشيخ محمد لطفي الألورلي حاضراً في وجدان تلميذه فتح الله حتى إنه ليذكر هذا التأثير على الرغم من مرور عشرات السنين ، فيقول الأستاذ فتح الله : "رغم مرور السنين لا زلتُ أشعر برطوبة لمسات الشيخ محمد لطفي الحانية على أذني، وهو يقول لي: أَلنْ أُنْذِيكَ، وأصغ جيداً لكي يتفتح ذكاؤك وتقوى فراستك." <sup>(٢)</sup>

الرفق بالناس ، ومراعاة مشاعر الآخرين ، والتلطّف في نصّحهم ، كانت كلها من الدروس التربوية التي تشربها فتح الله من شيخه، وأثمرت هذه الدروس ثماراً طيبة تجلّت - فيما بعد- في منهجه الدعوي والإرشادي وفي كتاباته وأضحت سمةً مميّزةً له ولتلاميذه الذين تربوا في مدرسته الدعوية . فقد : " كان الشيخ محمد لطفي الألورلي ممن وقّفوا إلى الجمع بين موزاين الشرع والتفكير الصحيح، وبين مواجيد القلب وأذواق الروح ، ولذلك كان له سلطان عجيب على مريديه من الكبار والصغار على السواء." <sup>(٣)</sup>

ورغم أن صحبة الفتى لشيخه الصوفى إنما كانت خلال طفولته الأولى حتى بداية شبابه فإن عمق الصلة التي جمعت بينهما كانت ذات طبيعة أخرى ، فقد كان احتضان الشيخ لتلميذه أكثر من احتضان تروي أو تعليمي، بل كان احتضاناً عاطفياً فيّاضاً .

: " ولم ينس فتح الله كيف هاج أستاذه لما علم أن الأسرة سوف ترسله إلى شيخٍ آخر ليتعلم العربية فانقض الشيخ ثم أدخل تلميذه في حضن حضوره الروحي، وصاح مخاطباً إياه: والله وبالله وتالله! لو ذهبَ لتمزقتَ إرباً إرباً! ، كان حاله كحال أمٍّ أريد نزعُ ولدها منها." <sup>(٤)</sup>

وهكذا كان من توفيق الله -تعالى- للفتى الناشئ أن أعدّه إعداداً خاصاً ، فجمع له بين البيئتين الصالحة ذات البعد الروحي العميق ، وبين التأثير الإيجابي لمعلمه الأول الذي فتح مكامن القلب لدى تلميذه ، ليستقبل الأشواق النورانية ، والمعاني الربانية ، إستعداداً لمرحلة النضج الفكري والوجداني .

١- سيرة فكر وحياة ، أديب إبراهيم الدباغ : ص١٦ غيرمطبوع ، الموقع الرسمي لـ "مجلة حراء"

٢- المصدر السابق ص ١٦

٣- عودة الفرسان، د. فريد الأنصاري ، ص٥٤

٤- مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن ، ورقة بحثية مقدّمة للمؤتمر

من د/ إبراهيم البيومي غانم ، ص٢٣٢

## المطلب الثالث

### حياته فى مراحل

#### توطئة

الأستاذ " فتح الله كولن " رجلٌ ذو " همّةٍ عاليةٍ " و " روحٍ مغامرةٍ " لم يقنع من حياته بالقليل من العلم أو النذر من العمل ، فلم يزل يتنقل كالبطائر المحلّق من غصن إلى غصن، وإنه لكما قال " المتنبى " :

وإذا كانت النفوس كباراً  
تعبت فى مرادها الأجسام<sup>(١)</sup>

وعن علوِّ الهمة ، يقول الشيخ محمد الخضر حسين<sup>(٢)</sup> - رحمه الله -

: " كبير الهمة دوماً فى عناء ، وهو أبداً فى نصب لا ينفضى ، وتعب لا يفرغ ، لأن من علت همته وكبرت ، طلب العلوم كلّها ، ولم تقتصر همته على بعضها ، وطلب من كل علم نهايته ، ثم يرى أن المراد العمل فيجتهد فى قيام الليل ، وصيام النهار ، والجمع بين ذلك وبين العلم صعب ، ثم يرى ترك الدنيا ، وهو محتاج إلى ما لا بد منه ، وتمنعه عزة النفس من الكسب من وجوه التبدل ، ولكنّ تعب عالى الهمة راحة فى المعنى ، وراحة قصير الهمة تعب وشين إن كان ثمة فهم . " <sup>(٣)</sup> ومن كانت همته رضا مولاه ، فإن نفسه لا تكلُّ ولا تملُّ حتى تصل إلى مبتغاها ، وهذا فى الحقيقة هو أرقى مراتب علو الهمة .

وهذا المعنى تمثله مراحل حياة الأستاذ فتح الله كولن ، وهو الرجل الذى نذر حياته لبعث الروح فى أبناء أمته ، يقول مخاطباً صاحب الرسالة أو " إنسان الفكر والحركة " الذى نذر حياته لخدمة أمته ونهضتها :

" تشبّع بحبِّ الله إلى حدِّ الجنون، لا يغريتك عنه حسنٌ ولا يفتنك جمال، ارق على كلّ المعادلات، وتسام على كلّ المقاييس، ارفع شعار الثورة ضدّ كلّ مألوف ، واسلك درب أهل السموّ الواصلين

١- ديوان المتنبى ، ص ٣٢٠ ، ط ٣ ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م

٢ - ولد - رحمه الله تعالى - فى تونس عام ١٨٧٦ م ، وقد نشأ الشيخ فى بيئة علم ودين ، فحفظ القرآن، ودرس العلوم الدينية واللغوية على يد عدد من العلماء، وقد ارتحل إلى الشام ومنها إلى مصر ، وفى مصر ذاع صيته واختير للتدريس فى قسم التخصص بالأزهر، وهذا دال على مدى علمه؛ إذ لا يدرس فى الأزهر آنذاك إلا كبار العلماء. وتولى رئاسة تحرير مجلة "لواء الإسلام " ، واختير عضواً لهيئة كبار العلماء ، ثم شيخاً للأزهر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ م ، وقد توفى - رحمه الله - فى مصر عام ١٩٥٨ م . ( موسوعة الاعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين ، أ. على الرضا الحسينى ،

ج ١ ، ص ٥ - ٢٠ باختصار وتصرف ، ط ١ ، دار النوادر ، دمشق )

٣- علو الهمة ، محمد إسماعيل المقدم ، ص ٢٩ ، دار بن الجوزى ، ط ١ ، القاهرة

لتكون من الناجين . . . . مجانيين أريد، حفنةً من المجانين... يثورون على كلِّ المعايير المألوفة ، يتجاوزون كلَّ المقاييس المعروفة أريد حفنة ممن نسبوا إلى خفة العقل لشدة حرصهم على دينهم وتعلقهم بنشر إيمانهم؛ إذ لا يفكرون بملذات أنفسهم، ولا يتطلعون إلى منصب أو شهرة أو جاه، ولا يرومون متعة الدنيا ومالها، ولا يفتنون بالأهل والبنين ، ياربُّ، أتضرع إليك... خزائن رحمتك لا نهاية لها، أعط كلَّ سائل مطلبه، أمّا أنا فمطلبي حفنة من المجانين... يا ربَّ يا ربَّ... (١)

وقد مرّت حياته بست مراحل ، يمكن تفصيلها فيما يلي :-

### المرحلة الأولى : طالب علم وإرهاصات داعية

عندما افتتحت أول مدرسة ابتدائية في القرية انخرط فيها فتح الله مستمعا فقط، وذلك لمدة ثلاث سنوات ، حيث لم يُسمح له بالانتساب الرسمي إليها لصغر عمره آنذاك عن السن القانوني ، ولم يزل أثناء سنواته الأولى محافظا على صلاته ، مرتببا بمواقبتها .

"والصلاة كانت محنة لصاحبها في تلك المرحلة العصبية من تاريخ تركيا ! فقد كان هناك جيش من المعلمين ، تلقنوا الإلحاد (٢) في مدارس العلمانية (٣) الحديثة ، ثم نُشروا على طول البلاد وعرضها؛ لتربية الناشئة على نظريات الإلحاد وإنكار حقائق الدين، وصادف أن كان المعلم الذي يدرس الطفل فتح الله أحدهم، فجعل يمنعه من أداء صلاته ويطارده من أجلها حتى في أوقات الاستراحة! ولكن بقدر ما كان المعلم يسخر بالدين وأهله ، كان فتح الله أشد ارتباطا بصلواته ، وأكثر إصراراً على الحضور بمواعيدها ؛ مما أثار حفيظة المعلم وأذكى غضبه ، فجعل يسخر من الطفل وينعته بلقب "الملا" - وهو لقب للمتخرجين من مدارس التعليم الديني - وكل ذلك إنما

١- ذى قربتى ، د. محمد باباعمي ، ص ٢١٧ ، ط ١ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٣ م ،

٢- الإلحاد : في اللغة الميلُ عن القصد ، وفي تاريخ العرب ظهر الإلحاد قبل الإسلام باسم آخر وهم طائفة الدهريين الذين كانوا يؤمنون بقدوم العالم وأن العالم لا أول له ويذكرهم القرآن : (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ) سورة الجاثية، الآية: ٢٤، والمقصود بالإلحاد - هنا - المذهب الذي يقوم على إنكار وجود الله - سبحانه - ، ويذهب إلى أن الكون بلا خالق ، وأن الحياة وُجدت بالمصادفة ، وسينتهي الكون كما بدأ ، فلا حياة بعد الموت ( المصدر : المعجم الفلسفي ، د . مصطفى حسيبه ، ص ٥٨ ، ٥٩ باختصار وتصرف ط ١ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ٢٠٠٩ م ) .

٣- العلمانية : هي اللادينية أو الدنيوية ، ومدلولها ينحصر في مفهوم عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع ، وإبقاؤه حبيسا في ضمير الفرد ، لا يتجاوز العلاقة بينه وبين ربه ( المصدر : الإسلام والعلمانية وجهها لوجه ، د. يوسف القرضاوي ص ٤٥ ، ط ١ ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٧ م )

كان يزيد الفتى محبة في صلاته ، وعشقا لمعراجه الروحي الأثير، رغم قساوة تلك المضايقات البلدية .<sup>(١)</sup>

وبعد أن أتم الفتى دراسته في مدرسة القرية ، وفي هذه الفترة رحلَ والد الفتى فتح الله عن قرية ألوار، ليصبح إماماً فترة من الزمن في قرية مجاورة واستقرَّ الفتى بمسجد " قرشَنُلو " بمدينة أرضروم في مدرسة صغيرة سَقَّفها خشب ، كان يدرس فيها "سعدى أفندى" حفيد الشيخ الألوارلي ، يقيم فيها خمسة طلاب أو ستة ، وقد عانى فتح الله كثيراً ، فرغم المشاق التي جابهته إلا أنه واصل طلب العلم .

وقد وصف الأستاذ فتح الله نظام مذاكرة الدروس فقال : " أذاكر دروسي الأول فالأول، أقضي الليل في المذاكرة ولا أنام إلا قليلا ، أستضيء بشمعة ، فلا حيلة لي سواها ، ولا تمر ليلة دون أن يمرَّ المعلمُ بي يتفقدي خفية ، فيسعد بي كلما رأني أذاكر."<sup>(٢)</sup>

يحكي عن تلك الفترة : " كان لدينا موقد غاز، نطهو طعامنا ونأكله في غرفة نومنا؛ كان الطلاب الموسرون يغتسلون في الحمامات ، أما الفقراء فأحياناً كانوا يحصلون على تذاكر مجانية، وإلا تجشموا الأمرين، وأنا منهم، فكم كنت أغتسل في المراحيض في الشتاء القارس، فتلرزق قدماي بالجليد، فأغسل واحدة وأضعها على الأرض ثم أغسل الأخرى، إن أنسَ لا أنسى الماء البارد وأنا أصبُّه على رأسي، كئاً حقاً في ضنك وضيق " <sup>(٣)</sup>

ويروى لنا الأستاذ "حاتم" أحد أصدقاء الأستاذ فتح الله كولن في مراحل الدراسة الأولى شطراً من سلوكه وصفاته في هذه المرحلة المبكرة من العمر .

يقول : " كئاً نحضر الجنائز لنقرأ القرآن بشيء من المال ، أما فتح الله فكان يأبى ، ولا أتذكر أنني أديتُ صلاةً بدونه قطّ ، كنتُ ظلّه الذي لا يفارقه أينما ذهب، كان الأستاذ فتح الله مقيماً في المدرسة يومئذ ، لكنه لم يكن في عزلة عن العالم الخارجي ، كانت النظافة من أبرز سمائل الأستاذ فتح الله أثناء دراسته ، فملابسه نظيفة دائماً، وله فضل عناية بنظافة مسكنه ، بينما كاد مفهوم النظافة يكون معدوماً في المدارس يومئذٍ، رأيتُه مراراً يشمر عن ساقيه ، وينظف المراحيض على الرغم من حسّه المرهف ، فهو يشمئز من أدنى شيء ، إلا أن هذا لم يحلّ دون تنظيفه لمراحيض المدرسة ، قضينا أياماً كلها ذكريات جميلة، بل لعلّها أجمل أيام حياتي . " <sup>(٤)</sup>

١- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ٥٥

٢- قصة حياة ومسيرة فكر ، أرطغرول حكمة ، ص ٢٧

٣- المرجع السابق ، ص ٢٧، نقلا عن : دنياى الصغيرة .

٤- المرجع السابق ، ص ٢٧

وهكذا كانت البدايات الأولى للفتى الناشئ طالب العلم ، شاقّةً وعسيرةً على قدر ماكانت جميلة وممتعة ، ومليئةً بلذة المعاناة ، وممتعة الأمل في طلب العلم ، وكما وصفه رفيقه في جزءٍ من هذه الرحلة، فقد كان الفتى مميّزاً في سلوكه ونمط معيشتته ، فقد تحدث عنه أقرانه وكأنه أستاذهم وليس مجرد زميل لهم .

### ﴿ أول صعود للمنبر في حياة فتح الله كُولن ﴾

وفي الرابعة عشر من عمره وما زال تلميذاً يتلقى دروسه الدينية في "أرضروم" ولجّ الفتى إلى عالم الكلمة ، وكان القدر يهيئّه ويدفعه دفعاً إلى أن يتصدر الكلام . .

ففي ذات يومٍ : " كان المسجد مكتظاً بالمصلين وهم في انتظار الشيخ "رامز أفندي" والد الفتى ليلقى موعظته ، وطال انتظارهم وبدا وكأن صبرهم ينفد ، فما كان من أحد وجهاء القرية إلا أن يقوم من مكانه حاملاً بيده عمامة ثم يأتي الفتى في مجلسه ويضع العمامة على رأسه ، ثم يحتضنه ويصعده إلى كرسى الوعظ والفتى في حال من الذهول والارتباك ، ومما زاد الموقف إجرأاً تفاجئه برؤية أبيه قبالته ، ولكن الأب الحصيف ترك ابنه يُمّر بالتجربة ، وعلى الرغم من الارتباك الذي انتابه أول مرة إلا أنه استطاع أن يتغلب عليه ويلقى درساً وعظياً جميلاً في جو من الاندهاش والإعجاب من قبل المصلين ، ومنذ تلك اللحظة ولج الفتى عالم الكلمة خطيباً وواعظاً . " (١)

### ﴿ الأستاذ "عثمان بكتاش" .. ﴾

ترك الفتى مدرسة سعدي أفندي حفيد الإمام الألواري، والتحق بحلقة الأستاذ عثمان بكتاش : والأستاذ عثمان كان متمكناً من علم النحو والصرف والفقه وأصوله، وغيرها من علوم الشريعة لدرجة أن مفتي المدينة كان يستدعيه لاستشارته كلما عرضت له نازلة. " (٢)

ورغم انشغالاته المتعددة فقد اهتم الأستاذ عثمان بالفتى فتح الله اهتماماً خاصاً ، لِمَا رأى من سبقه وتميزه ، فجعل يدرسه مقررات المستوى العالي.

"وبذلك تمكن الطالب من علوم اللغة والبلاغة ، والفقه وأصوله ، فانفتحت أمامه آفاق عالية وارتقى إدراكه العلمي إلى مستوى أدقّ ، حتى صار أستاذه يكلفه بتدريس المستويات الأولى وبمراجعة الدروس مع المبتدئين ، وذلك كله أفاده في اكتساب خبرة أولية في التدريس والتعليم ، وقد كانت سمته الأولى أنه معلّم ومربي . " (٣)

١- التجديد في الفكر الديني المعاصر ، أبو زيد عبد الرحيم ، ص ١١٩

٢- أشواق النهضة والانبعاث ، د. محمد جكيب ، ص ١٤٦

٣- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ٨٤

ولعل الأستاذ عثمان هو الشيخ الوحيد الذي يمكن أن نقول - إلى حد ما أن الطالب فتح الله قد تخرَّجَ على يديه ، رغم قصرِ المدة التي لازمه فيها ، فالمدة التي قضاها متلمذاً على شيخه عثمان بكتاش كانت كافية لانطلاقه في بحر العلوم وحده ، فبتلقائه لأسرار البلاغة وقواعد اللغة ، وقواعد الفقه والأصول ، انفتحت أمامه كنوز التراث القديم ، فراح يعبُّ منها كيفما شاء وشاءت له همته العالية .

ولم يكتف فتح الله بالعلوم الشرعية وعلوم اللغة والتراث ، وإنما أخذ ينهل من كلِّ معين يرى فيه علماً نافعا ، ف : " ركَّز على تلقين نفسه مبادئ العلوم الطبيعية والفلسفة والأدب والتاريخ ، وكان يسهر حتى وقت متأخر من الليل يدرس المبادئ الأساسية للعلوم الحديثة مثل الفيزياء والكيمياء الأحياء والفلك ، إضافة إلى التراث الفلسفي الغربي والشرقي على حدِّ سواء ."<sup>(١)</sup>

## ر ) رسائل النور

"محمد قرقنجي" ، طالبُ علمٍ ، درسَ مع فتح الله في حلقة الأستاذ عثمان بكتاش، لكنه كان أكبر منه سناً بكثير ، فقد كان قرقنجي في حلقة المتقدمين، وكان فتح الله حديث القدوم إلى المدرسة ، فلما أدرك الأستاذ عثمان تفوق الفتى أحقه بحلقة المتقدمين فكان أصغرهم سناً .

وكان محمد قرقنجي قد تعرف على رسائل النور للأستاذ بديع الزمان النورسي، وبسبب هذه الصحبة الصالحة ، والأخوة الصادقة بين فتح الله ومحمد قرقنجي ، كان التحول الأكبر في حياة فتح الله كولن ، ذاك التحول الذي رسم ملامح شخصيته ، وحدد مهمته في الحياة عندما تعرف على " رسائل النور " .

: " جاء قرقنجي إلى فتح الله ، فوجده جالسا مع زميليه في الدراسة ، فأخبرهم بأن رجلا غريبا - اسمه : مظفر أرسلان - قد قدم إلى أرضروم من عند الأستاذ بديع الزمان النورسي، وأنه سيعقد مجلسا بمكان ما في المدينة ليلا ، وسيلقي كلمة ، فرعَّبهم في الحضور ، وما أن دقت ساعة الموعد حتى كان الطلاب أمام مكان اللقاء، كان مجرد دكان ضيق لا يتسع لأكثر من حلقة صغيرة من الجلُساء، وتحلَّق الحاضرون بروحانية بالغة ، كأنهم أسرة واحدة اجتمع أفرادها بعد فراق طويل، رغم أن أغلب هؤلاء لم يكن يعرف بعضهم بعضا ."<sup>(٢)</sup>

تأثر فتح الله كثيرا بهذا الجو الروحاني ، وهذه النفوس الصافية ، وهذا التفاني في خدمة الدين وإحياء الأمة ، رغم التضيق والحصار ، فأخذ الفتى بما سمعه في أول درس ويمن حضر أيضا

١- تحليل سوسيولوجي لحركة مدنية متجذرة في الاسلام المعتدل هيلين روز أيبو

٢- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ١٠٤



لا سيما أنه رأى فيهم ما يشبه حياة الصحابة خاصة الصّدق والزهد، فتأثر كثيراً بهذا، ولازم الدرس ولم يفارقه .

يقول : " كان زهدُ طلاب رسائل النور يفيض عليّ بمشاعر متنوّعة، علاوة على تعمّقهم في العبادات، فصلاّتهم ودعاؤهم غير ما عهدتُهُ من غيرهم . " (١)

## ل وبلغوا سلامي إلى فتح الله..

كان فتح الله في صحبة إخوانه بمجلس الذكر، عندما زفّ إليه أحدهم خبر ورود رسالة من الأستاذ بديع الزمان النورسي، تخصّ مجلس طلاب النور بأرضروم، أي هذه المجموعة الصغيرة نفسها، التي تجلس متخفية تحت جناح الليل بديكان صغير وقرئت الرسالة على الجميع

كانت مفاجأة غير عادية لجميع الجلساء، لكن مفاجأة الفتى كانت ذات طبقة أعلى.. : " فعندما اختتمت الرسالة بالسلام على من بلغ خبره إلى الأستاذ النورسي، وقع ذكر اسم فتح الله على قلبه المشوق، ووقع البرق على الشجر، حتى إنه لا يذكر أنه سرّ في حياته إلى هذه الدرجة إلا بضع مرات ، وأي شيء أسعد لقلبه من كون مجدّد الدين ببلاد الأناضول قد سلّم عليه ؟ وإنّ في ذلك ما فيه من الدلالات والإشارات التي كان قلبه في حاجة ماسّة إليها ، ومهما طال الزمن وتناسخت الأيام، فلن ينسى أبداً سلام بديع الزمان: وبلغوا سلامي إلى فتح الله!..." (٢)

تعتبر هذه المرحلة وما حصله فيها فتح الله من معارف بما فيها حفظ القرآن الكريم بمثابة الأساس الذي يقوم عليه البناء قويا ، لقد حصّن الأستاذ فتح خلال هذه المرحلة نفسه بمقومات الأصالة والهوية الإسلامية.

وهنا نتوقف حيث تبدأ المرحلة الأهم في حياة الفتى الناشئ وهي مرحلة المجاهدات الروحية والمكابدات الإيمانية .

١- فتح الله كولين قصة حياة ومسيرة فكر: أرطغرول حكمة ، ص ٣٥

٢- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ١٠٥

## المرحلة الثانية : المجاهدات الروحية

فى كتاب ( أضواء قرآنية فى سماء الوجدان ) وهو كتاب يشمل بعض خواطره حول آيات من القرآن الكريم ، يذكر الأستاذ فتح الله كولن فى حديثه عن سورة الكهف عند قوله تعالى : ( نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا )<sup>(١)</sup>

يقول : " والحقيقة أن الكهف هو مكان لإتمام عملية الشحن، وموضع لاكتشاف الإنسان لنفسه ... لم؟ ذلك لأن النضال ضد الكفر - ولا سيما فى الأوقات التى لا يوجد هناك أي توازن بين قوة الكفر وقوة الإيمان - وهزّه ، ثم الانتصار عليه لا يتم إلا بعزم يقارب عزم الأنبياء، تأمل حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ألم يقض مدةً فى تأمل وتحنُّت فى مغارة لأجل استكمال الاستعداد اللازم لتلقّي الوحي؟ والحقيقة أن الشيء نفسه وارد بالنسبة لأصحاب الدعوات الذين يقومون بحركات التجديد وإعادة الإنسانية إلى رشدها وإلى خط سيرها الصحيح فى الحقب التاريخية المختلفة ، لا بد وأن يكون فى حياتهم فترة غارٍ أو كهف ، أو فترة شحن ، وفترة رجوع إلى النفس، فترة انزواء لتجميع الطاقة والقوة لمواجهة الأعباء والكفاح . . أجل ، نحن نشاهد فترة الانزواء الكهفي عند جميع من مثلوا روح الفتوة هذه ... إن الإنسان لكي يكون مظهرًا لبعض النعم الإلهية، والإلهامات السماوية فلا بد له من فترة كهفية . " (٢)

وهكذا نرى أن المصلحين الكبار والمجددين لابد لهم من هذه " الفترة الكهفية " التى يعيشون فيها تجربة روحية عميقة يكون لها الأثر الأكبر فى تجربتهم الإصلاحية أو النهضة .

وليست هذه الفترة انزواءً عن الحياة أو اعتزالاً للناس بقدر ماهى عملية شحن معنوى وروحي وقد كان لرسائل النور وقرائنها بالغ الأثر فى حياته ، لدرجة أن مجرد الالتحاق بهم والسير على دربهم ، كانت أمنيته التى يتضرع إلى الله فى خلواته أن يحققها له ، فقد كان يرى فى دعوة النورسى أمله ، ففي ليلة من الليالى صلى العشاء، ثم صعد إلى مقصورة المسجد يتضرع ويدعو الله أن يلحقه بكتائب طلاب النور .

يقول : " ما إن صليت حتى وجدتني قد امتلأت شوقاً ولوعة ولهفًا لا يوصف... تضرعتُ إلى الله بكل كياني : اللهم لا ملجأ لي إلا إليك، فتقبلني فيمن تقبلت من هؤلاء الإخوة ، وحبب الخدمة إليّ لأهب روعي لها ، ولا تجعلني بينهم عابر سبيل ، ابتهلتُ تلك الليلة حتى السحر، بكيت وجأرتُ

١- سورة الكهف ، الآيتان : ١٣-١٤

٢- أضواء قرآنية فى سماء الوجدان ، فتح الله كولن ، صد١٩٣، ط٦ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٣م

وفاضت عيناى حتى الصباح ، وما وُفِّتُ الدعاء بمثل هذا الحال في عمري إلا مرةً أو مرتين - وما دعوت الله - عز وجل - في ذلك اليوم بغير هذا، وما رغبتُ إليه بشيء سوى قبول الدعاء . . وفي صبيحة تلك الليلة التقى بزميله في الدراسة الأستاذ حاتم عند باب المسجد، فقص عليه الأستاذ حاتم رؤيا رآها بالأمس، وكأنها بشرى بقبول الدعاء، قال: رأيت الأستاذ الثورسي الليلة، وكان يرسل لك رسالة ومعها جرةٌ مملوءة بالجوز. (١)

وبهذا نشأت رابطة روحية من نوعٍ خاص بين الفتى ، والأستاذ الكبير بديع الزمان على الرغم من أنه لم يره قط ، ولم يتلمذ على يديه مباشرة ، ولعل هذه الحادثة توضح الأثر الكبير والعميق الذى تركته "رسائل النور" فى روحه ووجدانه .

فطار قلبه بعد هذه البشرى فرحا : "وجعل يردد ما كان يقوله الإمام الألورلي من الشعر، كلما غمرته الألفاظ الإلهية بالكرم والعطاء ، فكيف بعددٍ لم يزل في بدء الطريق، ثم تفاجئه كرامات المقامات العالية؟ أتى له وأنى أن تتحمل حدقتاه العليلتان النظر إلى قرص الشمس؟

هُوَ أَمْرٌ فَوْقَ حَدِّي وَأَنَا عَبْدٌ ضَعِيفٌ لَسْتُ أَهْلًا لِلْكَرَمِ!  
فَلِمَاذَا كُلُّ هَذَا اللَّطْفُ وَالْإِحْدِ سَانَ يَرْمِينِي بِأَمْطَارِ النَّعْمِ؟ (٢)

### ل وهناك فى أدرنه (١) كانت مجاهدات

كان رامز أفندي يرى أنّ على ابنه فتح الله أن يغادر أرضروم برمتها ، فقد كان الأب يدرك أن أرضروم لن تسع عقل ابنه ولا روحه المتطلعة إلى المقامات العالية، وما إن وصل الفتى إلى " أدرنه" حتى ذهب إلى خال أمه ، والذي كان يعمل إماما وواعظا فى المدينة ذاتها .

: "وعلم الفتى أنه للحصول على وظيفة دينية، لا بد من موافقة المفتي أو وكيل المفتي بالمدينة ، ومن ثم اصطحبه خاله إلى وكيل المفتي ، فلما رأى الوكيل الفتى استهان به لصغر سنه، ولم يثق بقدرته على شيء ، فقال: يجب أن أمتحنه ، فأعطاه الوكيل كتابا من كتب الفقه، فتحه على إحدى الصفحات بصورة اعتباطية ، وأمره بالقراءة ، فقرأ الفتى ، وكلما قرأ فقرة ترجمها إلى التركية ، كان الانبهار والإعجاب يدق بقلب الوكيل حتى إذا أتم الشاب مقروءه أمره الوكيل بالخروج من المكتب ، وبعد قليل لحقه خاله حسين أفندي وهو يكاد يطير من الفرح فقال له: أبشر! إن الوكيل قد

١- فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر: أرطغرول حكمة ، ص ٣٦

٢- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصارى ، ص ١١١

٣- أدرنه إحدى مدن تركيا ، وتقع في أقصى الجهة الشمالية الغربية ، وهى مدينة ذات أهمية استراتيجية ، وقد اتخذت عاصمة للدولة العثمانية عام ( ٧٦٢هـ/١٣٦٦م )، وهى أقرب إلى أوروبا منها إلى تركيا ( الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، د. محمد على الصلابى ، ج ١ ، ص ٥٨ ، بتصرف ، دار التوزيع والنشر ، ٢٠٠١ م )

أعجب بك جداً، وشهد في حقك قائلاً : إن هذا الفتى ما يزال شاباً يافعاً، لكن يبدو أنه كَوَّنَ نفسه بشكل جيد . " (١)

وبهذا تم تعيينه فى وظيفة إمام مسجد فى المدينة ذاتها ، فى أحد المساجد ، فكان برتبة : إمام ثانى أو مساعد إمام .

### ﴿ فتح الله : إمام مسجد ﴾

وُظِّفَ فَتْحُ اللهُ إِمَامًا ثَانِيًا بِمَسْجِدِ "الصومعة البيضاء". فكان يصلي بالناس فيه ويعط زماناً ثم رُبِّتْ دَارُ الْإِفْتَاءِ بِأَدْرَنَةَ بِمَبَارَاةِ إِمَامَةِ الْمَسَاجِدِ الْفَارِغَةِ عَلَى مَسْتَوَى الْمَحَافِظَةِ، فَفَازَ فَتْحُ اللهُ بِالرَّبْتَةِ الْأُولَى، وَعُيِّنَ إِمَامًا بِمَسْجِدِ "الشرفات الثلاث" التاريخي.

كانت "أدرنة" مدينة الامتحانات والمجاهدات الروحية بحق بالنسبة للداعية الناشئ ولعل أول هذه الامتحانات كانت المدينة نفسها !!

فقد : " كانت أدرنة تتسم بمظهر غربي إلى حد ما ، وقد جعل ذلك كولن منزعاً اجتماعياً ، حتى إنه كان يقضى أغلب أوقاته فى المسجد ، وكان يرى أن أسلوب الحياة الغربى للنساء وتحررهن وتساهلن نتيجة لغياب الأفكار والمعتقدات الإسلامية ، وقد دفعه ذلك إلى أسلوب حياة أقرب إلى الانعزالية . " (٢)

وقد تعجب فتح الله ممَّا رأى بها من فظاعة الجهل بالدين ، حتَّى لدى أئمة الدين ، إلى درجة أن : " بعض المؤذنين لم يكن يصلي أصلاً؛ وإنما كان يقيم الصلاة للناس من داخل مقصورة المؤذنين، حتى إذا سمع تكبيرة الإمام بالإحرام غادر المسجد ، مسرعاً نحو وفود السياح الأجانب ، ليجول بهم فى فناء المسجد وفى محيطه الخارجى؛ لقاء بضع ليرات! ، ثم يعود مسرعاً إلى المسجد قبل السلام ؛ ليقراً الأذكار والتسبيحات على المصلين . " (٣)

### ﴿ فتنة النساء ﴾

ما إن استقر الوضع المادي للفتى نسيباً ، حتى شرع فى البحث عن بيت للإيجار، وهنا تعرض الشاب فتح الله لفتنةٍ من أشد الفتن على من هو فى مثل سنه ، لاسيما فى مثل هذه الأجواء التى نقلت طرفاً منها فى الأسطر القليلة السابقة .

فقد : "سكن منزلاً فى زقاق مسدود ، وكان بابُه آخر الأبواب ، وكان الفصل صيفاً، وعلى طول الزقاق كان نسوةٌ الحيّ يقضين أوقاتهم على أرصفة الدرب حتى وقت متأخر من الليل ، وكُنَّ

١- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصارى ، ص ١٢٩

٢ - نحو تنوير إسلامى : حركة فتح الله كولن ، حاقان يافوز ، ص ٤٧

٣- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصارى ، ص ١٣٣

يجلسن متبذلات فأدرك الفتى أنه وقع في حرجٍ عظيم ، فلكى يستطيع الوصول إلى بيته كان مضطراً للعبور بينهن، فكان في كل خطوة يشعر كأنما يطأ على الجمر، وعيونهن ترميه بسهام الإغراء من كل جوانبه. " (١)

بقي فتح الله على هذه الحال مدة من الزمن ، إلى أن قرر جمع متاعه القليل ، ثم التحق بمسجده "ذي الشرفات الثلاث" ليكون دار إقامته ، كانت نوافذ المسجد عالية فسيحة وكأنها أبواب - كما هي العادة في هندسة أغلب المساجد بالعهد العثماني ومثلها كثير من المساجد العثمانية العتيقة في مصر - ، لكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، وكأن القدر كان يهيئ فتح الله ليكون "مجاهداً" ذا طبيعة خاصة ، وأول ميادين الجهاد التي يخوضها كان ميدان "النفس" ورغباتها ، وما أشقه من ميدان لا يصمد فيه إلا أولو العزم من الناس ، لاسيما إذا تعلق الأمر بفتنة "النساء" ، ألم يقل النبي - صلى الله عليه وسلم : " مَا تَرَكَتُ بَعْدِي فِتْنَةٌ هِيَ أَضْرُّ عَلَى الرَّجَالِ مِنَ النَّسَاءِ " . (٢)

فذات يوم فرغ فيه من صلاة العشاء وانصرف الناس عن المسجد : " لم يلبث إلا قليلا حتى فاجأته امرأة فاتنة ، فجعلت تدعوه بألسنة من نار إلى فتنتها! وفي أقل من لمحة البصر قفز الشاب قفزة قوية ، وارتقى بسرعة إلى النافذة من خلفه ، فغلق الأبواب ، وقال: الموت لك! ، فتراجعت الفتاة خائبة وهي تشتم الفتى: إذن فأبق على هذه الحال البئيسة وحدك ، حتى تهلك بتعاستك وحدك ، ألا بعداً لك! " . (٣)

ولعلها كانت المرة الأخيرة التي تعرّض فيه لمثل هذه الفتن ، لكنه تعرّض إلى ألوانٍ أخرى من الوسوسة !!

## ج ) فتنة الفلسفة الإلحادية

بعد التمكّن من علوم التراث ، انفتح عقل "فتح الله" على كتب الأدب والفكر والفلسفة وانطلق في مغامرة جديدة من نوعٍ آخر ، يحدثنا الشيخ الأنصاري عن هذه المغامرة قائلاً : " ما إن أكمل الشاب العابد رواية فلسفية لأحد الكتاب الأتراك - وهو مختلٌ بنافذته - حتى شعر بقلبه يخفق خارج قفص صدره ، كانت الرواية تتبنى التصور الدارويني (٤) للوجود البشري ، وكان المؤلف قد

١- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ١٣٤

٢- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب ما يتقى من شؤم المرأة ، حديث رقم (٥٠٩٦) ، (٨/٧) ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الرقائق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء . . حديث رقم (٢٧٤٠) ، (٢٠٩٧/٤)

٣- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ١٥٩

٤ - تُسمّى نظرية دارون " نظرية النشوء والارتقاء " ، وتفترض أن تقوم الظروف الخارجية، وأحياناً التأثيرات الداخلية بإجراء تأثير على الكائنات الحية، حيث تؤدي هذه التأثيرات إلى تغييرات كبيرة أو صغيرة فيها . ، وتلعب هذه التغييرات بدرجة ما دوراً مفيداً للأحياء بشكل أو آخر. وتنتقل هذه التغييرات الطفيفة عن طريق الوراثة إلى الأجيال والأنسال ، وينتقل

صاغها بأسلوب فنيّ خاص بحيث يجعل القارئ يتلقاها جرعةً جرعةً إلى النهاية، ودخل فتح الله في صراع مرير مع الشيطان ، والسؤال المتسلسل الذي لا يلد إلا سؤالاً ، كان ضغط الداروبينية آنئذ في العالم كبيراً، إلى درجة أن بعض علماء الإسلام جعلوا يفكرون في تأصيلها من القرآن والسنة ، وكان كلما كبر للصلاة ورماه الشيطان بالوساوس المتسلسلة ، ولقد اشتدت به الفتنة يوماً إلى درجة أنه فكر لو صعق نفسه بتيار كهربائي، لكن فتح الله ما يؤس ولا فقد الأمل ، فلم يزل مستغرقاً في الدعاء والابتغال إلى الله حتى تجلّت عليه الرحمة بنور السكينة، وجمال الطمأنينة فانكشفت الغمة! وخرج الفتى من المعركة منتصراً بإذن الله " (١)

ومنذ ذلك الحين وهو يواصل القراءة في كل الفنون وفي مختلف العلوم ، لا يهاب الاطلاع على الفلسفات الأخرى ، فقرأ كتب الفلسفة اليونانية ، والفلاسفة المعاصرين، وأفاد من بعضهم ونقد وفنّد البعض الآخر ، وأشار إلى المنحى الإيماني والروحي عند آخرين .(٢)

### لماذا لم يتزوج !!؟

فرق كبير بين من يختار " العزوبة " اختياراً شخصياً محضاً وبين من يزعم أن العزوبة دين !! يقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي (٣) : " نحن نعلم أن عيسى ويحيى - عليهما السلام - لم يتزوجا ، لكنّ كلا الرسولين الكريمين لم يشأ حرياً على الزواج ، ولم يسأ مسالك الرهبانية المتوحّشة، لأنهما لم يبعثا لدمار الحياة ، وعدم زواجها هو لظروف تخصّصها وحدهما ، وقد عاش ابن تيمية عازباً ، وكذلك عاش جمال الدين الأفغاني ، ولم يؤثّر عن أحدهما أنه دعا إلى عزوبة . " (٤)

---

من هذا إلى فرضية تطور الإنسان من أسلاف آخرين ( المصدر : حقيقة الخلق ونظرية التطور ، فتح الله كولن ، ص ٣٠ ، ط ٥ . دارالنيل ، القاهرة ، ٢٠١١ م )

١- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ١٦١

٢- انظر : محاورات حضارية بين كولن وفلاسفة الفكر الإنساني ، د.جيل كارول ، وهو عبارة عن مقارنة فلسفية بين فلسفة الأستاذ كوان وبين فلاسفة كبار مثل أفلاطون وسقراط ونيتشه ، وكانت وغيرهم ، مصدر سابق

٣- هو : فضيلة الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا. وُلِدَ في قرية (نكلا العنب) بإيتاي البارود بمحافظة البحيرة في مصر، عام ١٩١٧ م ، وقد سُمِّي الشيخ محمد الغزالي بهذا الاسم تيمناً من والده بالإمام أبي حامد الغزالي ، التحق بمعهد الإسكندرية الديني الابتدائي حتى حصل على شهادة الكفاءة، ثم الثانوية الأزهرية، ثم انتقل إلى القاهرة، ليحصل على العالمية من كلية أصول الدين عام ١٩٤٣ م ، أثنى الشيخ محمد الغزالي المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب التي تتميز بتنوعها، وسهولتها مع عمقها الفكري، وبلاغتها، وجِدَّة مواضيعها، ونفاذها إلى القلب، ومن هذه المؤلفات: عقيدة المسلم، وكيف تفهم الإسلام؟، وهموم داعية، وخلق المسلم، ومع الله، والحق المر ، توفي - رحمه الله - أثناء مشاركته في مهرجان الجنادرية الثقافي بالملكة العربية السعودية عام ١٩٩٦ م ، ودُفِنَ بالبقيع . ( المصدر : مجلة الأدب الإسلامي ، ص ١٥ ، عام ٢٠٠٣ م )

٤- المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، الشيخ / محمد الغزالي ، ص ١٤٣ ، ط ٤ ، دار الشروق ٢٠٠٤ م

وقد اختار بعض العلماء في تاريخنا " العزوبة " وأغلبهم كان تفضيلُهُ للعزوبة راجعاً إلى طبيعة المصاعب التي تعرّض لها ، وإلى طبيعة المهمة التي تحمّلها، وليس رغبةً عن سنةٍ من سنن النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - فلم يزل البعض منهم يُفنون أعمارهم ما بين جهادٍ وتصنيفٍ حتى ما بقي للزواج في حياتهم وقت ولا نصيب ، فمن هؤلاء : شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري، والإمام الزمخشري، والإمام النووي ، والإمام ابن تيمية ، والأستاذ بديع الزمان النورسي عرض علي فتح الله الزواج كثيراً ، فأبى ، وعرض عليه في سنوات لاحقة من حياته ، فكان يأبى ولعل تفسير هذا في قوله : " لا يعلم نيتي وما في أعماق قلبي إلا الله ، فضلتُ أن لا يشغل عقلي شيءٌ سوى خدمة الدين والدعوة ، ميزاني دقيقٌ وحساسٌ فربما تضيق به النساء ، وربما كنت عاليةً عليها بينما المفروض أن أكون أنا المعيل لها ، وربما ظلمتها من هذه الناحية ، بينما ضميري يمنعني أن أظلم أحداً من خلق الله ، وهذا أيضاً كان له أثر كبير في عزوفي عن الزواج ؛ قرّرت منذ البداية أن أهب نفسي لخدمة الدين . " (١)

وعندما عاد إلى أرضروم اجتمعت عليه الأسرة ، أبوه وأمه وأخته الكبرى، كلهم يلحّون عليه بترك حياة العزوبة ، لكنّ أحداً منهم لم يستطع إقناعه بتغيير موقفه .

" أما والدته فقد قالت له معبرة بالمثل التركي: يا بني إننا نريد أن نربط رأسك ، ونحن ما نزال على قيد الحياة ، فأجابها: يا أمّاه أنا مربوطُ القدمين بدعوة الإيمان وخدمة الإسلام ، فإذا ربطتم رأسي أيضاً فكيف أتحرك؟ " (٢)

ولسنا - هنا - بصدد تقييم موقفه ذلك ، لاسيما وأن الرجل لم يدعُ أحداً من تلاميذه إلى ترك الزواج بل ولم يشجّع عليه قط ، لكن مايعيننا - حقاً - وماهو ذو صلةٍ وثيقةٍ بالبحث هو: وضوح الرؤية لدى الداعية الناشئ للمهمة المنوطة به ، واستعداده لها بكل ماأوتى من وسائل ، فقد كان يرى أن مجتمعه المحيط ، وعالمه الإسلامي ليس بحاجةٍ إلى مجرد وعظٍ أو تبليغ ، وإنما إلى حركة "إحياء" ، ونفخٍ للروح في هذا الجسد الإسلامي الذي أدركه الهزال ، وفي حوارٍ مرثى له عام ٢٠١٢ م ، يتحدّث الأستاذ عن فلسفته في اختياره عدم الزواج . . .

يقول : " أعلم ان هذا الحكم ليس موضوعياً ، ولايلزم أحداً ، لكنني إنسانٌ ضعيفٌ لاطاقة لى بحمل شيئين في آنٍ واحد ، الشئ الوحيد الذي أردته هو أن يرفرف علم الإسلام ، واسمُ مُحَمَّد -

١- فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر: أرطغرول حكمة ، ص٤٠

٢- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص١٦٢

صلى الله عليه وسلم - فى أرجاء العالم ، وما أظننى قمتُ بما ينبغى القيام به حيال هذه المهمة الجليلة .<sup>(١)</sup>

ومع هذا التفرغ للدعوة والعبادة ، بدأ الشابُ الناسك ، مرحلة أخرى من المجاهدات.

### ل تجربة روحية جديدة

قرّر "فتح الله" الفرار إلى رياضة الروح ، ومجاهدة النفس إلى أن تنهزم غرائزها ، ومن شدة فراره من نار الفتنة سار على حد السيف فعانى كثيراً ، كان يحاول الارتقاء فى مدارج السالكين فيرتقى من مقامٍ إلى آخر ، فكأنه كان يريد أن يحاصر نفسه حتى لا تضعف بين يدي الفتنة التى تتربص به من كل جانب .

لكن سلوكه فى هذا كان غير مألوف ، فلم يكن ينام إلا قليلاً ، ولا يأكل إلا قليلاً ، ولا يتكلم إلا قليلاً ، وازدادت رياضة فتح الله قسوة على نفسه حتى لقي منها عنناً ، لكنه - رغم ذلك - لم يزل يُكره نفسه على السير فى هذا الطريق .

: " لم يكن يملك سوى بطانيتين، فى ليالي الشتاء القارس كان يفترش إحداهما ويتدثر بأخرى ، ولم يكن ينام من الليل إلا ساعتين ، قاطع اللحم ولذيذ الطعام حتى هزل جسمه وشحب وجهه ، . . . ومع ذلك استمر الفتى فى رياضته الروحية الغريبة حتى صار إلى نوع من الشعور بالاستيحاش من الناس . . . وفى يوم من الأيام ، بينما كان يغفو بين النوم واليقظة ، تجلّت له نفسه فى صورة قطة! فجعل يطاردها حتى فرّت ، ثم استمرّ فى الرياضة فتجلّت له نفسه مرة أخرى مثل دُبّ ، فجعل يصارعه حتى انتبه من غفوته ، دون أن تنتهي المصارعة بهزيمة أحدهما ، وفى مشاهدة ثالثة - بعد زمن آخر من الرياضة - تجلّت له نفسه على صورة غوريلاً ، ففزع منه وفر محتمياً بالأسوار العالية! ، وضعف جسمه جرّاء الجوع والبرد والسهر ، فتسلّلت إليه العلل والأدواء، ثم تهاوى مريضاً ليقضى بعد ذلك مدة نصف شهر بالمستشفى تحت الرعاية الطبية! " <sup>(٢)</sup>

وهذا يعنى أن الفتى الناشئ أسلم نفسه إلى نوع قاسٍ من المجاهدات التى كادت أن تتلف جسده . وكانت تلك مناسبة للدخول فى مرحلة المراجعات ، فقد كانت هذه الأحوال والأطوار التى سلكها الشيخُ فى بداياته ، اجتهاداً منه ، ومحاولةً لمحاصرة ذاته وتضييق الخناق عليها ، إلا أنه أدرك - فيما بعد- أن هذا ليس هو الطريق الصحيح لمجاهدة النفس ، بل طريق المجاهدة هو اتباع هدى النبى - صلى الله عليه وسلم - .

١- www.youtube.com صفحة مجلة حراء على اليوتيوب

٢- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصارى ، ص ١٤١ - ١٤٥ ، باختصار وتصرف



والله - تعالى يقول : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ) (١)

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال: أحدهم: أما أنا، فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: أنتم الذين قتلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني . " (٢)

ولا شك أن المنهج التعبدي الذي جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - ، هو المنهج الأكمل الذي يصل بالمسلم إلى أعلى مراتب الإيمان، وأعلى مراتب القرب، فإذا بحث المسلم عن منهج آخر من أجل أن يصل به إلى أعلى المراتب يكون واهماً، لأن المنهج النبوي هو أكمل منهج ، ولذلك فإن أية فرقة دينية، أو أية طريقة من الطرق تكلف طالب العلم بغير ما كلف به النبي أصحابه، فهذه طريقة مرفوضة، لأنها تخالف منهج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في التعبّد، فيجب أن نعبد الله - تعالى - وفق ما أمر الله ، وبيّن رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - .

## الدعوة : طريقه نحو النور

أدرك فتح الله أن مجاهدة النفس ، وتهذيب غرائزها ؛ لا بد أن يكون من خلال الانخراط في المجتمع، وخوض غمار الحياة الاجتماعية ، ومشاركة الناس همومهم وآلامهم... وأن "العزلة الروحية المطلقة " مغامرة خطيرة غير مضمونة العواقب ثم شاهد عياناً أن مجاهدة النفس وترويضها بالسير في مسلك الدعوة إلى الله ، وخدمة الدين ونصره في البأساء والضراء ، هو أكبر ضمان لتحقيق توازنها الروحي ، وحفظها من الانزلاق إلى منعطفات الهاوية ومنذ ذلك الحين تبدأ مرحلة " فتح الله كولن .. الداعية " تلك المرحلة التي كانت منصّة الانطلاق وقاعدة الارتقاء .

١- سورة المائدة ، الآية : ٨٧

٢- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، حديث رقم (٥٠٦٣) ، (٢/٧) ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، حديث رقم ( ١٤٠١ ) ، (١٠٢٠/٢)

## المرحلة الثالثة : فتح الله الداعية

وبدأ الفتى يخرج من عزلته فحاول أن يكوّن علاقات مع المجتمع العام ، فوجد أنه لم يكن قد تعرف إلا على بضعة أفراد من الشباب ، والشباب هم عماد الدعوة ووقودها ، لذا فقد حاول أن يوسّع من دوائر معارفه من الشباب ، لكن الشباب في هذا الزمان - في معظمهم - لا يذهبون إلى المساجد ، فأين يجدهم ؟ وكيف السبيل إليهم ؟ !

### ل في المقهى لأول مرة

ذات يوم بعد أن سلّم من صلاته بالناس ، وبدل أن يذهب إلى زاوية نافذته المعهودة ليخلو بنفسه ، ذهب مباشرةً إلى المقهى .

: " وهناك في المقهى ، انخرط فتح الله مع الناس مشاركاً إياهم الحديث عن هموم الدين والوطن ، وما هي إلا لحظات حتى أخذ الفتى بزمام الكلام ، فاستقطب الاهتمام ، والتفت حوله العيون والآذان ، ثم أوقد من لهيب روحه مدافئ تجمع حولها كل الحاضرين ، فما تفرق عنه المجلس إلا على شوق للمزيد ، كان يوماً ممتعاً ومختلفاً ؛ فقد وجد أن حماسه الديني قد توقّد أكثر ، وأن رصيده الإيماني قد ارتفع بقلبه عالياً ، فتجلت له مدرج المسلك الجديد واضحة المعالم، وعلم أنه إنما خلق لهذا الطريق . " (١)

ثم بدأت علاقاته الدعوية تؤتي أكلها بإذن ربها ، فكان - أول الأمر - إذا أدن المؤذن غادر المقهى إلى المسجد وحده ، وبعد أيام استطاع أن يصطحب معه مُصلياً جديداً ثم بعد أيام أخرى اصطحب اثنين ، فثلاثة وأربعة.. وهكذا .

: " حتى قويت جماعة المصلين ، ثم جعل يحارب العادات السيئة في جلسائه مثل التدخين، فبادرت كثيرٌ من الأفواه المؤمنة إلى التطهر بماء التوبة، ولا ينسى فتح الله مشهد "العم خليل"، كيف انتفض بعد موعظة بليغة؛ فأخرج علبة سجائره ومزقها تمزيقاً، ثم طوّح بفئاتها بعيداً ، فكان ذلك اليوم آخر عهده بهذا السم اللعين . " (٢)

وجد الشيخ فتح الله نفسه مدفوعاً لتصحيح مفاهيم مغلوطة عن انعزالية الدين ، وعن كونه شيئاً يتعلق بالموت والموتى أكثر من تعلقه بالحياة والمجتمع - هذه المفاهيم التي أريد لها أن تروّج بين أوساط المجتمع التركي آنذاك .

١- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ١٤٦

٢- المرجع السابق ، ص ١٤٧

ومن خلال المواظ والخطب التي كان يلقيها على الناس في المساجد حاول أن يفند هذه المفاهيم وبيِّن بعدها عن جوهر الدين وحقيقته ، وكيف أنّ الدين له ارتباط وثيق بكل شئون الإنسان الفردية والاجتماعية والحياتية.

وفى الدعوة إلى الله ، وجد فتح الله ذاته - التي كان يبحث عنها - وجدها بين الناس وليس بعيدا عنهم ، وهكذا ينبغي أن يكون الداعية إلى الله - تعالى - فالداعى إلى الله لا يعرف الانعزال أو الانزواء هروبا من الفتنة أو حفاظا على مستواه الروحي مثلا .

وهذا درسٌ تلقاه فتح الله عمليا من خلال هذه التجربة التي مرَّ بها وعاشها ، وهو درسٌ لكل داعية وإن لم يمرَّ بالتجربة ذاتها ، أن يبدأ عمله من المجتمع وأن يخالط الناس وأن تكون دعوته ملتحمةً مع الجماهير، معبرةً عن آمالهم وآلامهم .

### ل) وللدعوة وسائل أخرى

كانت هناك جريدة أسبوعية هي الصوت الوحيد للاتجاه الإسلامى في تركيا آنذاك ، لذلك كان فتح الله يطلب منها أربعين نسخة زائدة فيشتريها جميعها ثم يوزعها مجانا!

: " وكان يشتري أحيانا بكل راتبه نسخا من "رسائل النور" وبعض الكتب التي يراها مفيدة ، ثم يوزعها مجانا كذلك ، حتى إنه ربما استدان من أجل ذلك ، أو ربما ظل أياما يصارع الجوع! " (١) لم يكن مثل هذا العمل في تلك المرحلة العصبية من تركيا سهلا ، فكيف كان فتح الله يتمكن من توزيع هذه النسخ؟

لقد كان يحتال لهذا الأمر بحيلة لطيفة فكان إذا أراد إهداء نسخة من كتاب أو جريدة إلى أحد الأشخاص : " دعاه إلى كوبٍ من الشاي أولا، ثم أنسه بحديثٍ لطيف، ثم بعد ذلك أتحفه بالهدية على حذر. " (٢)

وهكذا كان فتح الله لا يترك وسيلةً ممكنةً إلا أخذ بها ، هذا كله على الرغم من الأخطار المحدقة بمن يمارسون الدعوة بأى وسيلة كانت ، وفى هذا درسٌ عمليٌ لكل داعية ، فالدعوة ليست خطبة تُقال على منبرٍ فحسب ، بل هي سعيٌ وحركةٌ دؤوبةٌ بشتى الوسائل والطرق المتاحة .

١- فتح الله كولين قصة حياة ومسيرة فكر ، أرطغرول حكمة ، ص ٤٢

٢- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصارى ، ص ١٤٨

## الشيخ "يَشَارُ طُونَاكُور"

كان دخول الشيخ "يَشَارُ طُونَاكُور" إلى مدينة أدرنه - مفتيا عاما لمحافظةها - مدداً عظيماً للداعية الشاب محمد فتح الله ، فالسيد "يَشَارُ" كان موظفا برئاسة الشؤون الدينية ، لكنه كان رجلاً من طراز مختلف تماماً .

: " كان الشيخ يَشَارُ رجلاً ذا تجربة كبيرة ، وصاحب خبرة في مجال الدعوة والتواصل مع الجماهير، ومعرفة عميقة بأحوال الزمان ، كان يتمتع بذكاء رفيع في مجال التواصل مع الناس، بل حتى مع خاصة المسؤولين ، ونظرا لما يتمتع به الرجل من خبرة وحكمة في التواصل مع كل طبقات الناس استطاع في فترة وجيزة أن يعقد صلات متميزة مع المسؤولين ، بل مع والي المدينة نفسه ، وصار له جمهور عريض من المصلين على المستوى الشعبي، يذهبون كل جمعة للاستماع إلى خطبته ، وكانت له عادة عجيبة عند خروجه إلى صلاة الجمعة ، فقد كان يلبس أحسن ثيابه ثم يتقلد سيفاً على جانبه الأيسر مشيراً بذلك إلى أن أدرنه لم تنزل ثغراً من ثغور الجهاد على حدود الغرب ، وبهذا وذاك أعاد الرجل لمؤسسة الشؤون الدينية -بمحافظة أدرنه- حرمتها واعتبارها، في نظر العامة والخاصة، وأصبح الموظفون بها أكثر حيوية ونشاطاً. " (١)

وتوثقت صلة الشيخ فتح الله بالأستاذ يَشَارُ، فأخذ يستشيريه في كل ما يهمه ؛ فيستفيد من حكمته وخبرته ، وتعلم منه كيف يكون التواصل مع الجماهير ، وكيف لا يفقد تواصله كذلك مع رجال الدولة والمسؤولين في الحكومة ، لا من أجل منفعة شخصية ، ولكن من أجل ضمان استمرار دعوته .

وهنا تبرز أمام أعيننا الأهمية البالغة لوجود الشخصية المؤثرة ذات البعد الاجتماعي الواسع ، والخبرة الميدانية العميقة ، نعم .. قد كان فتح الله وهو في شبابه - وكذلك الكثير من الدعاة المخلصين - متقدماً حماساً وحيوية ، ومع ضرورة هذا في مجال الدعوة ، إلا أن الحكمة والأناة والتبصّر لمواقع الأقدام ضروريٌ كذلك ، وهو ما وجدته فتح الله عند أستاذه الجديد "يَشَارُ طُونَاكُور" . كذلك مما تعلمه فتح الله كولين من أستاذه أن الاتصال برجال الدولة - في حدود العمل الدعوى - قد يفيد كثيراً في مواقف تكون الدعوة في أمس الحاجة إلى دعمهم دون أن يعطى الداعية الدينية من نفسه أو دينه أو دعوته

## المرحلة الرابعة :

### فترة الخدمة العسكرية (التضييق الخارجي والتعمق الداخلي)

تعد هذه المرحلة - المهمة - من حياة الأستاذ فتح الله مزيج بين المرحلتين السابقتين - الدعوية والروحية - أو هي تطبيق عملي لكلا المرحلتين ، فقد تهيأت له - تحت ظروف شاقة خلال فترة الخدمة العسكرية - أن يمارس الخلوة والاعتزال والمناجاة الروحية بالتوازي مع العمل الدعوى ، الذى أصبح كظله لا يفارقه أبداً ، فكانت مرحلة ثرية بكل معانى الإيمان والعمل .

استدعي الأستاذ فتح الله للجيش في شهر نوفمبر عام ١٩٦١م ، وقد أمضى في "أدرنه" قرابة ثلاث سنوات ، اتجه إلى إسطنبول ثم أنقرة، وخدم في السرية الأولى للاتصالات بأحد المناطق العسكرية ، وقد لفت الأنظار بجدّه وانتظامه، فتوطدت صلته بقيادة السرية، حيث تدرّب أربعة أشهر بقطاع اللاسلكي وعمل فيه .

لكن ، على الرغم من هذا لم يسلم الجندي فتح الله من الأذى ، وأتى له أن يسلم؟؟ وقد خالف التيار العام - آنذاك - بسبب حرصه الشديد على إقامة شعائر دينه .

يقول الأستاذ : " أذكر ذات مرة أنى تأخرت عن تعداد الصباح اليومي مدة دقيقتين لأنى كنت أكمل صلاتى ، فجلدت جلدًا مبرحاً ، فقد كانوا ينظرون إلى المصلّى بريبة ويتصيّدون أخطاه لينزلوا به أشد العقاب وربما تعمدوا إغاضته بالإساءة إلى أقدس مقدساته. " (١)

إلا أن حادثاً وقع فى تلك الفترة من حياة فتح الله ترك أثراً كبيراً فى مسيرة حياته الروحية والوجدانية فقد : اضطربت البنية السياسية فى تركيا فى عام ١٩٦٠م ، ووقعت على إثر ذلك أحداثٌ جسام ، وعلى الرغم من كون فتح الله كولن بعيداً كلّ البعد عن هذه الاضطرابات ، إلا أن أحد القادة العسكريين برتبة " عقيد " ، أراد أن يشارك بكتيبته فى هذه الأحداث ، فأشرك ١٥ ألف جندي من المنطقة التى كان يخدم فيها فتح الله فوجد الأستاذ فتح الله نفسه بينهم ، ولما فشل العقيد سلّم جنوده أنفسهم، وصودر سلاحهم ، وصدر أمرٌ بمنعهم من مغادرة الكتيبة مدة شهرين . " (٢)

استغلّ الأستاذ فتح الله هذه الفترة فى تزكية النفس ، واعتبرها فترة انقطاع عن الدنيا واستفاد من مجاهداته السابقة ، ومطالعا ته فى التصوف وكتب التهذيب والسلوك فى أن يجعلها خلوة بنفسه ، وتربية لها ، وقد أطلق هو على هذه الفترة : الأربعين (٣)

١- التجديد فى الفكر الدينى المعاصر فى تركيا ، د. أبوزيد عبد الرحيم ، ص ١٣٤

٢- فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر: أرطغرول حكمة ، ص ٤٦

٣- مصطلح صوفي معناه : أن يتفرغ الإنسان أربعين يوماً للعبادة والذكر مع التزامه بقلة الأكل والنوم والكلام. ( المصدر

: مولانا جلال الدين الرومى ، أ.د. جيهان أوقويجو ، ص ٩ ، ط ١ ، دار النيل ٢٠١٤م )

يقول : " فهي أول (أربعين) أرغمتُ عليها في الجيش ، وقفتُ فيها نفسي على العبادة كنت أجدو إلى المسجد مبكراً في ليالي الشتاء الطويلة ، فأتعبتُ إلى آخر الليل ، فصفا عقلي وزكّت نفسي شيئاً ما . " (١)

وعموماً ، فقد تعرّض في فترة الخدمة العسكرية لمشاق ومصاعب صقلت من معدنه الأصيل ، وهياتته لتحمل مشاق الطريق الطويل الذي اختاره لنفسه : طريق الدعوة إلى الله - تعالى - ، يحكي الأستاذ فتح الله عن مشاق في الجيش لا تتسى بالنسبة له ، وخاصة أول أربعة أشهر . يقول : " كنا ننام دون أن نخلع أحذيتنا لنسلم من التجمد في قرّ الشتاء القارس ؛ فإن اقتضى الأمر الماء وجدت مشقة عظيمة ، لكن بدني كان قويا آنذاك ، كان الجنود يغتسلون معاً بلا مبالاة ، فكانت أرفض أن أدخل معهم ، وذات مرة أمر الجنود بالتعري في فحص طبي عام ، فقال الطبيب : اخلع سروالك ، فقلت : سيدي ، منذ أن عقلت ما رأى ما بين الركبة والسرة أحد ، ولا أمي التي ولدتني فقال : امض ، فنجوت وكان الطبيب طيباً . " (٢)

### الجندي . . واعظاً !!

صارت الدعوة إلى الله - تعالى - روح الرجل فلا يستطيع مفارقتها أبداً وإلا هلك . وهاهو يتعرّض لدرس يوسف بليغ ، يتعلمه الشاب الداعية من نبي الله يوسف - عليه السلام - الذي لم يشغله سجنه عن دعوة رفيقيه إلى التوحيد والعقيدة الصحيحة . ذلك أنه وبعد أشهر التدريب الأولى ، تم توزيعه إلى مدينة إسكندرون (٣) ، وهناك بدأ نشاطا دعويا جديدا ، فقد : " بدأ فتح الله يتعرف - خلال العطل الأسبوعية - على أهالي مدينة ويقرب منهم شيئاً فشيئاً ؛ حتى توثقت صلته ببعضهم ، واكتشفوا موهبته الوعظية ؛ فطلبوا منه القيام بالوعظ خلال أيام الجمع ، بالمسجد المركزي للمدينة على اعتبار أنه شخص مدني . " (٤)

ولم يكتف بهذا ، بل نقل الدعوة إلى داخل وحدته العسكرية : " فبادر بجرأة عجيبة إلى اتخاذ مسجد للجنود داخل الثكنة العسكرية ، إذ عمد إلى ساحة صغيرة هناك ، ففرشها بالرمل ، ثم زرع حولها بعض الأعشاب على هيئة الحدود أو الجدار ، مستعينا ببعض الجنود الصالحين ، ثم صلى فتح الله

١- فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر : أرطغرول حكمة ، ص ٤٨ ، نقلاً عن : " دنياى الصغيرة "

٢- المرجع السابق ، ص ٤٩ ، نقلاً عن : " دنياى الصغيرة " .

٣- وهى مدينة تقع على البحر المتوسط ، من أهم الموانئ في تركيا ، بناها الاسكندر الأكبر عام ٣٣٣ ق.م ، وأطلق عليها الإسكندرية الصغيرة ، وهى أحد المحافظات التركية الشهيرة (المصدر : المعجم الكبير ، حرف الهمزة ، ص ٢٩٣ ، وتاريخ الدولة العثمانية ، يلماز أورتزنا ، ص ٧٥٤)

٤- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصارى ، ص ١٨٨

هناك إماما بستة أشخاص أو سبعة فقط ، ثم بدأ العدد يتكاثر حتى بلغ عدد المصلين ثلاثين ،  
فبعض الذين لم يصلوا في حياتهم قط بدأوا الصلاة هناك .<sup>(١)</sup>

والداعية إلى الله لا يعرف الراحة ، ولا يستكين إلى الدعة ، فهو وقفٌ لله - تعالى - والشيخ فتح  
الله كان في بداياته الدعوية كان شديد الحماسة ، على الهمة ، لا يفتُر ولا يعطى نفسه راحةً أو  
إجازة ولذلك فقد مرض جسده ، ونُقِل إلى المستشفى ، فتبين بالفحص أن حالته خطيرة ، فوُضِع  
في المستشفى فترة ، ثم مُنح إجازة لمدة ثلاثة أشهر؛ فاستطاع أن يزور أرضروم "مسقط رأسه"  
وهناك في أرضروم ، أخذ يجول بين المساجد ، واعظا وداعيا ، أعطته الوحدة العسكرية إجازة  
من الخدمة ، فلم يعط نفسه إجازة من الدعوة .

وحدثت وهو في إجازته تلك حادثة ذات مغزى . . . ف: " قد علم أن فيلماً يتحدث عن عهد النبي  
-صلى الله عليه وسلم - سيعرض في سينما بأرضروم ، وأغضبه أن امرأة لا وجود للدين في  
حياتها تمثل دور السيدة عائشة رضي الله عنها ؛ فتحدث عن هذا في الموعظة ، فثار المصلون  
وهاجموا السينما، فحاول أن يثنيهم عن هذا قائلاً : لا تفعلوا ، فليس لنا أن نفعل مثل هذه  
الأفاعيل، علينا أن نعالج الأمر بطرق أخرى مناسبة " <sup>(٢)</sup>

لكن محاولته باءت بالفشل ؛ فانضم إليهم آخرون فصاروا جمعاً كبيراً ، ولم يستطع أن يقف في  
وجههم حتى الواعظ الذي أثار حفيظتهم .

ف: " هاجموا دار السينما، وعطلوا آلة تشغيل الفيلم ، وكان صاحب السينما خائفاً فزعاً ، فلما وقع  
بصره على شاب يعرفه ، لا صلة له بالدين وأهله ، وإنما هو شاب متمرد عرييد ذو بنية رهيبة  
ومزاج عصبي ، فرح صاحب السينما واستبشر؛ ذلك أن هذا الشاب كان يشرب الخمر عنده من  
حين لآخر، اقترب منه الرجل على الفور، وقال له: يقولون إن هُوجاً <sup>(٣)</sup> فتح الله قد انتقد الفيلم ،  
لكن الفيلم ما به من بأس ، ولم يكد الرجل يتم كلامه حتى انتفض الشاب صارخاً: وتقول إن هُوجاً  
فتح الله قد انتقده ؟ إذن فهو فيلم شرير قطعاً ، ثم انقضَّ عليه بكلتا يديه ، وانهاه عليه ضرباً حتى  
أدماه. " <sup>(٤)</sup>

١- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ١٩٠

٢- فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر: أرطغرول حكمة ، ص ٤٩

٣- كلمة تركية ، تعنى : الشيخ أو العالم (مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي : خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن  
التركية ، ورقة بحثية مقدمة من د. إبراهيم البيومي غانم ، ص ٢١٥)

٤- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ١٩٦

وعلى الرغم من أن هذا التصرف لم يكن مطلوباً ، ولا يصلح كوسيلة لتغيير المنكر ، وقد اعترض عليه الداعية فتح الله ، إلا أنه رأى من خلال هذه الحادثة كيف أن سلطان كلمات الله أقوى من سلطان الصورة ، ورأى كيف أن سلطان العلماء والدعاة أقوى من أي سلطان ، وأن الجماهير إن وجدت في الدعاة صدق الكلمة وحرارة الإخلاص ، وروح التجرد من الهوى والمنفعة انقادت لهم ، وأصبحت كلماتهم برنامجاً عملياً يرتضيه الناس دونما عناء ، وهذا مأسرناه - بمشيئة الله - واضحاً جلياً في ثنايا هذه التجربة الدعوية .

### ل الدعوة داخل " حزب الشعب الجمهوري " !

فتح الله داعية مشغولٌ بفكرته يبحث لها عن منفذ ومنبر ولو كان حزب الشعب الجمهوري (١) المعروف آنذاك بعدائه الشديد لكل توجه إسلامي ! فقد أخذ يتردد على مقر جمعية "دار الشعب" ، التي كانت تابعة لحزب الشعب الجمهوري آنذاك ، والتي كانت تخدم في الغالب أفكاره العلمانية (٢) ، لكن عندما كان يتولى إدارة بعض فروعها رجالاً صالحون كانت تقدم أنشطة مفيدة ، والقائمون على فرع أضرروم وقتها كان أغلبهم متدينين ، رغم أن الإلحاد وقتها كان هو الموضة الثقافية للجيل . وذات مرة : "دُعي فتح الله إلى مقر جمعية "دار الشعب" لإلقاء كلمة حول الصوفي الكبير جلال الدين الرومي (٣) ، كان قد تحدث قبله أساتذة جامعيون وشخصيات أخرى كبيرة ، وكان هو آخر المتحدثين - ربما أخروه لصغر سنه - فألقى كلمته ارتجالاً كعادته قرأ خلالها أبياتاً من الشعر الفارسي ، ثم ترجمها إلى اللغة التركية فبهر السامعين ، وخالف كل المتدخلين قبله ، الذين استغلوا شخصية جلال الدين الرومي لتحريف عقيدة الإسلام ، لكن الفتى الإمام رسّخ في أذهان السامعين العقيدة الصحيحة للدين الحنيف (٤).

١ - حزب الشعب الجمهوري : هو الحزب الذي أسسه مصطفى كمال أتاتورك ، وكان الغرض منه جعل تركيا علمانية ، وقد ظل الحزب مهيمناً على الحياة السياسية في تركيا حتى عام ١٩٥٠ م ( المصدر : تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين ، د. علي الصلابي ، ص ١٢١ ، ط ١ ، مكتبة الصحابة ، الإمارات ٢٠٠١ م )

٢ - سبق التعريف بها ، ص ٤٣

٣ - وُلد الرومي في مدينة " بلخ " في خراسان ( ٦٠٤ هـ ١٢٠٧ م ) . وجمال الدين عالم فقيه، وصل في الفقه إلى مرتبة الاجتهاد والأهلية ولذا وردت ترجمته في كتب طبقات الحنفية بين الفقهاء والمفتين، وهو إلى جانب ذلك أحد أقطاب التصوف المشهورين. ( المصدر : مولانا جلال الدين الرومي ، أ.د.جيهان أوقويجو ، ص ٣ - ١٥ ، ط ١ ، دار النيل ( ٢٠١٤ م )

٤ - عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ٢٠٠



## ١) تأسيس نادٍ لمواجهة الشيوعية ( )

انتقل مع بعض رفاقه إلى مرحلة جديدة، وذلك بتأسيس نادٍ لمواجهة الشيوعية وأعلن الواعظ فتح الله عن فكرة النادي على ملاً كبيرٍ من الناس بعد انتهائه من درس الوعظ بالمسجد ، لكن بعض رفاقه من جماعة النور قلقوا من هذا التصرف الغريب ، وأمروه بالاكْتفاء في دعوته بقراءة رسائل النور للنورسي فقط... ولم يكن في ربيع تركيا كلها سوى نادٍ واحدٍ من هذا النوع ، كان هناك في مدينة إزمير، وهي على بعد كبير جداً من مدينة أرضروم ، ورغم طول المسافة ومشقة السفر؛ فقد أرسل فتح الله أحد الشباب من رفاقه إلى هناك، والإتيان بقانونه الأساسي للاستفادة منه في تأسيس نادٍ مشابه بأرضروم.

: " وتأسس النادي، ثم شرع في أنشطته، فبدأ يُعطي ثماره، وكان من أقوى الوسائل في محاصرة الإلحاد ونشر رسائل النور وسط الشباب! وما هي إلا فترة أدرك بعض طلاب النور الذين عارضوا الفكرة في البداية أهمية هذا النوع من النشاط ، فانخرطوا في نادي معارضة الشيوعية " (٢) وهكذا قضى فتح الله أجازته في عمل متواصل ، ونشاط دؤوب ، فمن الدعوة في المساجد وإلهاب حماس السامعين ، إلى مجابهة العلمانية في عقر دارها ، ثم محاولة الانتقال إلى العمل المؤسسي من خلال تأسيس هذا النادي .

## ٢) الواعظ السجين

وعندما انتهت فترة الإجازة المرضية ، عاد الجنديُّ الواعظ إلى تكنته العسكرية بمدينة إسكندرون . ورغم أنه محكومٌ بقوانين العسكرية الصارمة إلا أن روحه كانت قد أخذت طريقها إلى الانطلاق في الدعوة إلى الله ، حتى لكانه نسي تماماً أنه جنديٌّ محكومٌ بقوانين وأعراف شديدة . ثم بدا لبعضهم من بعد مارأوا اجتماع الناس حوله وتأثرهم بموعظه ليسجُنَّه حتى حين ، ففي أحد المرات بعد موعظة ألقاها في المسجد الجامع : " لما خرج الناس من المسجد وجدوا الجنود يطوقون الأبواب ، فسمعوا أحد الجنود يصرخ : ترقبوا الوغد ، إذا حاول الفرار أطلقوا عليه النار مباشرة !

١- الشيوعية : هو مذهب فكري واعتقادي واقتصادي ، أسسه كارل ماركس ، ويقوم على أساس لا إله وأن الكون مادة ، ويرى ضرورة استيلاء الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين على مقاليد الحكم وصولاً إلى القضاء على الحكومات لإقامة الشيوعية الكاملة ( المصدر : الإسلام والحركات الهدامة المعاصرة ، عبد المحسن بن حمد البدر ، ص ٩٨ ، الناشر / الجامعة الإسلامية بالمدينة ، ١٩٧٥م )

٢- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ٢٠١

---

لم يتمالك الناس أنفسهم فثاروا، وبدؤوا يرددون الهتافات ضد الجند، وتوتر الوضع وكان فتح الله مايزال داخل المسجد، فلما علم أنه هو المطلوب خرج إليهم ، فرأى قائد الشرطة العسكرية واقفاً غير بعيد ، فأسرع نحوه وأدى له التحية العسكرية واستسلم له .<sup>(١)</sup>

كان بعض الجند يريدون أن يحدثوا فتنة كبرى تصبح وسيلة لاعتقال كثير من المتدينين، لكن استسلام فتح الله بصورة سريعة وذكية أفضل خطتهم ، فعادوا من حيث أتوا .

وبعد فترة قصيرة أُطلق سراح الإمام الشاب ، لكن خير اعتقاله كان قد انتشر ، فقد : " نشرت جريدة "الاستقلال الجديد" الخبر بصيغة إيجابية ، تحت عنوان: حفيد محمد الفاتح: محمد فتح الله بينما نشرته الجرائد العلمانية بصورة تحريضية ، منتقدةً قرار إطلاق سراحه ."<sup>(٢)</sup>

كانت هذه هي أيام فتح الله الأخيرة في الخدمة العسكرية ، تلك الفترة من حياته التي كانت ممثلةً بالمشاق والتجارب الجديدة ، والأعمال الجليلة ، والتي لم يتوقف فيها للحظة عن رسالته التي نذر لها حياته ، لتبدأ مرحلةً جديدةً من حياة الداعية الكبير .

---

١- سيرة فكر وحياة ، أديب إبراهيم الدباغ ، مرجع سابق ، ص ٢٩

٢- فتح الله كولين قصة حياة ومسيرة فكر: أرطغرول حكمة ، ص ٥١

## المرحلة الخامسة : إلى إزمير... فتح الفتوح

عندما أنهى فتح الله واجب الخدمة العسكرية ، كان قد اشتدَّ شوقه إلى مسجده في "أردنة" وإلى زاويته المحببة في هذا المسجد العتيق ، كان ذلك في عام سنة ١٩٦٤م ، عندما وصل الأستاذ فتح الله أرض أردنة من جديد ، قصد مسجده آملا في أن يرجع إلى إمامته وخطابته لكنه صادف إماما جديداً فما كان منه إلا أن استسلم لقدر الله ، وكان الشيخ ما يزال يحتفظ بشهادة نجاح في أهلية الوعظ والإرشاد ، من إدارة الشؤون الدينية ، فأبداها للمسؤولين بأردنه ؛ فقرروا أن يوظفوه بمقتضاها معلماً للقرآن الكريم بإحدى المدارس الدينية .

" لكن فاجأه أنَّ النَّاس صاروا يعرفونه أكثر، بل إن شخصيته قد اتَّسعت شهرتها عن طريق الجرائد والصحف ، بسبب أخبار الحوادث والمحاكمات التي تعرض لها أثناء خدمته العسكرية ، حتى إن إحدى الجرائد العلمانية ، بمجرد أن علمت بقدمه إلى أردنه واستلامه وظيفة التدريس للقرآن نشرت ضده خبراً استعدائياً ، يذكرون فيه أنه ضد العلمانية ، ومتسائلة في الوقت نفسه بعنوان مثير: رجلٌ كهذا، كيف يمكن استمراره في وظيفة رسمية؟ . " (١)

ومن ثم صار دخوله إلى أردنه حدثاً إعلامياً في حد ذاته ، ومشكلة من المشكلات السياسية ، فما هو إلا يوم أو يومان حتى بدأ أذئاب العلمانية يلاحقونه في كل مكان ، ما خطا خطوة نحو مسجد درس ، أو منزل صديق، إلا كانوا وراءه كظله ، يترصدونه ويراقبونه .

### ل من هنا كانت البداية : حلقات الدروس

قدَّر الله للداعية فتح الله الذي تعلق قلبه بالمساجد أن يعود إلى العمل إماماً لأحد المساجد ، وهو مسجد : دار الحديث ، واستطاع الشيخ فتح الله رغم التضيق الأمني الشديد عقد دروسٍ للشباب في مسجده الجديد ، وكانت جلسات مباركة رغم قلة عدد من يحضرها ، والشباب هم عدة الحاضر وأمل المستقبل ، وقد كانت لتلك الجلسات أثرٌ عميق في مسيرة فتح الله كولين الدعوية ، وكان لها أثرٌ كبير في هذه المجموعة من الشباب الذين واطبوا عليها .

وبلغ من تعلق قلوبهم بهذه المجالس ، أن جاءهم أحدهم ذات يوم : " يحمل بشارة من رؤيا رآها.. وكان شابا صدوقا صالحا ، حكى أنه رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - بداخل مسجدهم ذاك، وأمُّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها واقفةً بالباب، فكانت تسأله - صلى الله عليه وسلم - : يا رسول الله ، إن هؤلاء الشباب يسألونك هل أنت راضٍ عنهم؟ مشيرة إلى مجلسهم ، فقال لها - صلى الله عليه وسلم - : نعم ، أنا راضٍ عنهم جميعاً، وخاصة عن واحد منهم ، كان الشاب يقص

رؤياه والجلساء تكاد تختنق أنفاسهم بالبكاء، شوقاً وفرحاً ، مما زاد في تعلقهم بمجلسهم، وازدياد شوقهم إلى مواعيده ، ونشاطهم للتدارس والذاكرة. (١)

فصار هؤلاء الشباب بدورهم دعاءً إلى الله ، ولعل هذه البشارة جعلتهم أنشط في دعوة أقرانهم من الشباب ، وبهذا تزايدت الأعداد حتى ضاقت بهم غرفة المسجد، فخرجوا إلى مصلاه، وعقدوا حلقتهم وسطه .

### ل إلى إزمير ( ) : مديراً لمدرسة "سوق الكستناء"

انتقل الأستاذ إلى عدة محافظات ، حتى استقر به المقام في إزمير بناءً على طلب كان قد تقدّم به إلى إدارة الشؤون الدينية تحت إلهام صديقه الشيخ " يشار طوناكور " وكان حينها يشغل مساعد رئيس الشؤون الدينية في إزمير .

وفي إزمير بدأ العمل في مدرسة مسجد سوق الكستناء، أو "كستانه بزاري" بتعبير الأتراك ، وهو سكن طلاب ثانوية الأئمة والخطباء التي كان يشرف عليها مُحسنون تحت إدارة رئاسة الشؤون الدينية ، على عادة الأتراك في الوقف (٣) .

وكان السكن الطلابي يعاني من الفوضى ؛ فاضطّر بادئ الأمر إلى مواصلة العمل ليل نهار في إدارة السكن ، فلم يكن ينام سوى ساعة أو ساعتين أملاً في عودة الانضباط إلى السكن ؛ يحكي الأستاذ فتح الله عن أيامه الأولى التي قضاها في "كستانه بزاري" قائلاً:

" بناءً على تقييمي المبدئي اقتنعتُ بأنه من الضروري ملازمة الطلاب بشكل دائم ، فاقترضتُ هذا مني أن أصل الليل بالنهار فلا أنام ، فحالة الطلاب عموماً تقتضي ذلك فهزلّ بدني كثيراً إذ قلماً أتناول الطعام ، ورغم ذلك كنت أكتفي بنوم الساعة أو الساعتين في اليوم ، وبينما أشرف على الطلاب وهم نائمون كنت أتجول عدّة مرات في الحمامات والغرف ، فتوثقتُ علاقتي بتلامذتي وصرتُ واحداً منهم يلجأون إليّ ، ويستشيرونني ويأخذون بنصائحي وكنت أنتهز فرصة يومي العطلة لأنتقل إلى كافة أنحاء المدن الغربية داعياً إلى الله تعالى، وهكذا بدأت الدعوة تنتشر ،

١- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ٢٢٨

٢- إزمير : بكسر الهمزة ، نكرها ابن بطوطة في رحلته باسم " يزمير " ، وهي مدينة كبيرة من أهم المدن التركية بآسيا الصغرى ، واقعة على الرأس الشرقي من الخليج المسمّى باسمها في البحر المتوسط ( المعجم الكبير ، ج ١ ، حرف الهمزة ص ٢٥٥ ) ، وهي بذلك تعتبر الميناء الرئيسي لدولة تركيا في جزئها الآسيوي، وكذلك هي أحد أكبر المحافظات التركية وأشهرها، وقد كانت إزمير المنطلق الفعلي لدعوة فتح الله كولن .

٣- انظر : فتح الله كولن ، رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة ، د. عبد الحليم عويس ص ٣٣ ، ط ١ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٣م

ويقبل عليها الناس بلهفة واشتياق فكنا نزرر المدن بمواكب إيمانية تضمُّ الكثير من الشباب ، وهكذا بدأت الخدمة تشق طريقها بتؤدة وعلى مهل . " (١)

نعم . . بدأت فكرة " الخدمة " من هنا ، وبدأت الدعوة تشق طريقها في سكون وهدوء وهكذا هي الأشجار الباسقة المثمرة ، تبدأ من نبتة صغيرة ضئيلة لا يكاد أحد يهتم بشأنها من هنا بدأت فكرة المؤسسات التعليمية التي انتشرت بعد عشرات السنين في ربوع الأرض .

## ل المؤسسة التعليمية الأولى

انتقل تفكير فتح الله إلى إقامة مبنى جديد لثانوية الأئمة والخطباء الرسمية ، وإقامة مبنى خاص لمعهد العلوم الإسلامية التابع للجامعة ؛ ذلك أن الدولة كانت يومئذ تهمل مؤسسات التعليم الديني التابعة لها ، فلا توفر لثانويات الأئمة والخطباء إلا بنايات متهالكة ، فكان فتح الله يخرج ومعه بعض رفاقه وأصدقائه للبحث عن قطعة الأرض المناسبة ، فكان أن عثروا على مكان مناسب بالفعل فتم شراؤه، وكانوا يذهبون من أجل ذلك لجمع المال من رجال الأعمال وكبار التجار، وكانت لفتح الله في ذلك تجارب مريرة استفاد منها دروسا كثيرة ، شكَّلت له فيما بعد خبرة جيدة في صناعة الخطاب المؤثر على أرباب المال ، مما أفاده في تطوير دعوته كثيرا .

: " وليس ينسى كيف تصدق عليهم مرة أحد أصحاب المصانع الكبرى بخمسين ليرة فقط ! ، وهناك أدرك أن هذا الأسلوب لا يفيد إطلاقا في جمع المال من المحسنين، وأن عليه أن يستدعيهم إلى مكان ما بدل السعي إليهم في محلاتهم ، فكان أول اجتماع لذلك في غرفة فوق أحد المتاجر ، كانوا بضعة أشخاص من التجار ، فكان أول المتحدثين فتح الله ، ثم تحدث بعده أحد رفاقه ، ثم انطلقت عملية جمع النقود فأعطى أحدهم مائة ألف ليرة ، وأعطى آخر نصفها ، وأعطى كل شخص بعدهما على قدر همته ، لكن الذي استغرب منه فتح الله هو أن أغناهم وأكثرهم مالا أعطى ألفي وخمسمائة ليرة فقط، ثم قال: كلُّ يعطي على قدر إيمانه! ، فأدرك فتح الله أن أهم شيء في مجالس التطوع هو إقناع المحسنين بأهمية المشروع الإسلامي، والخدمات الدعوية ، فكان ذلك أساس خطابه بعد . " (٢)

وكانت هذه أول خطوة استراتيجية في مشروع العمل على إخراج جيل جديد ، جيل لا يعمل من أجل تركيا وحدها ، بل همته أبعد من ذلك ، يعمل من أجل الإنسان وسعادة الإنسانية ، بتعريفها قيم الإسلام الراقية ، ومثله العليا .

١- فتح الله كولين قصة حياة ومسيرة فكر: أرطغول حكمة ، ص ٦٠ ، نقلا عن : دنياى الصغيرة

٢- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصارى ، ص ٢٥٤

شكّلت هذه البدايات خبرة فائقة لدى الأستاذ فتح الله وتلاميذه ، فى كيفية بناء المشاريع الدعوية ، فبمثل هذه المجالس انطلقت مشاريع عملاقة تربوية وحضارية فى كل مكان فى العالم .

### ﴿ زمن المخيمات: معسكرات ومحارِب ﴾

وكانت مرحلة إقامة المخيمات الإيمانية من أهم الخطوات وأعظمها تأثيراً فى حياة الشيخ فتح الله ، وفى تلاميذه الذين حضروها ، وفى تجربته الدعوية بشكل عام .

كانت مخيمات ذلك العهد من أهم ما يذكره الأستاذ فتح الله ويتذكره فى عمله الدعوي.. فقد كان لها من الأثر الكبير على الشباب ما لا ينساه أحدٌ مرّاً بمعسكراتها التربوية. كان يتم تكوين الطلبة فيها وتزويدهم بالحقائق الإيمانية والدعوية ما لا يتلقونه فى العام الدراسي كله ، دامت مخيمات تلك المرحلة ثلاث سنوات متتالية.

ويُعرِب الأستاذ فتح الله عن أهداف المخيم قائلاً: " يهدف المخيم إلى استغلال الطلاب لعطلة الصيف فى هذه المخيمات ، كيلا يذهبوا إلى قريتهم أو بلدتهم فينقطعوا عن طلب العلم ، ومن أهدافه أن تنتظم عقولهم وقلوبهم وأرواحهم ، وأن يتعمقوا فى طلب العلوم الشرعية ."<sup>(١)</sup>

لم تكن المخيمات مألوفة فى هذه الفترة ، فلم تجد كثيراً من المؤيدين ، فمن الناس من تردّد فى تعليم الشباب بهذه الطريقة ؛ فواجه الأستاذ فتح الله عقبات عدّة فى هذا الصدد ، منها محاولته توفير مصروفات المخيم من ناحية ، وتطبيق النظام والالتزام به فى الحياة اليومية بالمخيم من ناحية أخرى ، وتصديّه لصعوبات المكان الذي نُصِب فيه المخيم .

يقول: " كان المخيم الأول كئيباً بعض الشيء ؛ فكنْتُ المسؤول عن كلّ شيء ، من نصب الخيمة إلى تجهيز الطعام ، وكثيراً ما كانت مضخة البئر تتعطل ، فأصلحها بنفسى فى كلّ مرّة ؛ ولم تتوفر الكهرباء فى العام الأول ، وحصلنا فى العام التالي على مولّد كهربائي صغير ، وكثيراً ما كان يتعطل المولّد أيضاً ، وكلما ازداد عدد الطلاب تضاعفت المشقة ، ففي السنة الثالثة خاصّة حلّت بالمخيم أزمة كبيرة فى المياه ، كنت أحمل المياه بعربة من الآبار من مسافة بعيدة فى تلك المنطقة ، فكنْتُ السائق والساقي والمدرّس، فى الحقيقة إن توفير الطاقة لكل ذلك كان أمراً شاقاً لأبعد حد، لكننى كنت أحاول جاهداً ، وإنما أذكر هذه الأعباء لأننى أرى فيها أجمل لحظات حياتى، لا لأحكي عن مكابِدات قاسيتها يومئذ ."<sup>(٢)</sup>

وهنا تبرز إحدى سمات التجربة الدعوية للأستاذ فتح الله كولن ، وهى **سمة الاهتمام بالبناء الداخلى للإنسان** ، من الفرد المسلم نحو آفاق المجتمع والأمة ، فقد كانت المخيمات أحد أهم

١- فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر: أرطغرول حكمة ، ص ٧٠

٢- المرجع السابق ، ص ٧٠

الوسائل التربوية لإعادة تشكيل الجيل الجديد ، وتربية عناصر متميزة تتفانى فى خدمة أمتها وصالح مجتمعاتها .

لم يبال فتحُ الله بكل ما يلاقيه فى سبيل هذه الغاية النبيلة - غاية إعداد جيل جديد - من مشقات ، بل لقد استعذب فى هذا السبيل كل عناء .

وقد كان التنظيم لهذه المخيمات مبهراً لكل من رآه ، ف : "رُؤُورُ المخيم كلهم انبهروا بنظامه البديع ، ومسلكه الرفيع ، فقد تردد على المخيم الأول بعضُ كبار التجَّار وقَدَّموا له خدمات كثيرة ، وكذلك الداعيان الكبيران تلميذا بديع الزمان النورسي الشهيران؛ السيد خلوصي، ومصطفى صنغور<sup>(١)</sup>، ومن ثم اشتهر أمر المخيمات بإزمير، وشاع خبره بين صفوف أبناء الدعوة الإسلامية بكل تركيا حتى إن منهم من أرسل طلبته من أقصى الشرق التركي ، وإزمير فى أقصى الغرب التركي وعلى أثر ذلك تناسلت هذه المخيمات الإيمانية فى كل الربوع التركي." <sup>(٢)</sup>

### ١ برنامج المخيمات

كانت البرامج تُبنى على الإعداد الروحي والتزكية الإيمانية من جهة، وعلى التكوين العلمي والتدريب على القراءة ، خاصة فيما يتعلق بمواجهة الفكر الشيوعي والإلحادي، الذي كان يغزو تركيا آنذاك بشراسة ، بل وكلَّ العالم الإسلامي ، كما كان هناك برنامج يومي للتدريب الرياضي الجسماني.

: " ذلك أن فتح الله أقام نسيج مخيماته على ثلاثة أسس : أولها التكوين العلمي، وثانيها التزكية الروحية ، والثالث الانضباط العسكري، وكان فى ذلك من التوازن التربوي ما لم يُعرَف له مثيل بتركيا فى تلك المرحلة." <sup>(٣)</sup>

لقد أدَّت هذه المخيمات دورا كبيرا فى تحجيم الانحراف الفكرى والعقدى لدى الشباب ، وكذلك شكَّلت سداً منيعاً أمام الأفكار المتطرفة الداعية إلى التغيير بالقوة وحمل السلاح .

١- من تلاميذ النورسي الذين رافقوه فى مراحل حياته المختلفة ، ونشروا دعوته بعد وفاته ( المصدر : فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر : أرطغرول حكمة ، ص ٧٠ )

٢- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصارى ، ص ٢٥٨

٣- المرجع السابق ، ص ٢٦٠

## الزمن في المخيمات ( مقال <sup>(١)</sup> )

في مقالٍ له عن زمن المخيمات ، يوضح الأستاذ فتح الله كولن كيف أن هذه المخيمات كانت بمثابة المحاضن الأولى التي تخرّج منها أبناء الدعوة الأوائل ، وكيف كان تأثيرها عميقاً في جميع من حضرها .

وهذه مقتطفات من هذا المقال . . .

" كنا نستيقظ كلّ سحر عندما تهبُّ نسَماتُ الأُنس، على خريِر الماء ، وحفيف الأشجار، فنهرع

إلى السّجاد الظامئ إلى سماع أنين الساجدين وآهات المتهجدين ...

ثم نأخذ في انتظار شروق الشمس كما تنتظر القلوب المؤمنة البعث والحشر في قبورها وفي أوقاتٍ معينة من اليوم تنزل علينا الصلوات والتسبيحات والأذكار الجماعية، حتى كنا نشعر وكأنّ الملائكة الذين ينزلون بها لمسحون على رؤوسنا بأيديهم اللطيفة الرقيقة الوضّاءة.

المخيم في رأيي كان بقعة مباركة تهبّ عليها رياح المحبة والشفقة ووجود الأصدقاء كنا هناك مثل النحل في خلية روحية ، نتردد بين رحيق الأزهار والعسل اللذيذ ، ولقد توحدت هذه الأفكار والمشاعر وامتزجت بأرواحنا، ورغم مرور سنين عدة فإنني ما زلت أشعر بها بقوة وحيوية في قلبي وروحي وذاتيتي ، من يدري كم من أسرار لم تكشفها لنا تلك المخيمات ؟! ، لقد استوعبنا ما تسأل منها إلى آفاق أفكارنا وتخيّلاتنا ، وحاولنا عرضها بقدر المستطاع ، غير أن تلك الأيام ستظل بالنسبة لي حتى النهاية أزهى فترات حياتي فلو أتاحت الفرصة للناس لاصطحاب ذكرى ما في الرحلة إلى الدار الآخرة فلا جرم أنني كنت سأحمل معي ذكريات تلك المخيمات التي تشبه أزهار الربيع في تألقها وخيالاتها وغموضها وزُرقتها ."

## الإعلام <sup>(٢)</sup> وسيلة العصر في نشر الدعوة

أدرك الأستاذ فتح الله كولن في هذه الفترة المبكرة ضرورة وأهمية الإعلام كوسيلة دعوية مؤثرة - بل لعلها أضحت اليوم أقوى الوسائل التي تشكل وعي الناس وتغير من أفكارهم -

١- مقتطفات من مقال للأستاذ فتح الله كولن يوضح مدى أهمية تلك المرحلة في حياته خاصة وفي تجربته الدعوية عامة

، انظر: [www.fgulen.com](http://www.fgulen.com)

٢- الإعلام هو : تزويد الناس بالأخبار الصحيحة، والمعلومات السليمة، والحقائق الثابتة التي تساعد على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات، بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم ( المصدر : الإعلام والدعاية ، د. عبد اللطيف حمزة . ص ٧٦ ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة



يقول الأستاذ فتح الله: " الصحف والمجلات منبرٌ عظيمٌ من منابر الدعوة إلى الله تعالى وما كان ينبغي لنا أن نتأخر عن التفكير بذلك ، وقد جرت عدة محاولات من قبل بعض الإخوة لإصدار جريدة يومية ولكنهم لم يوفقوا لشدة المضايقات والتحريرات والضغط مما جعلهم يعزفون عن التفكير في الأمر ، ولكن الفكرة كانت لاتزال قائمة ، لذا فقد انتهزتُ فرصة قدوم الأخ صالح أوزجان إلى إزمير ففاتحتهُ بالموضوع ، وكذلك الأخ زبير وهكذا استقر رأينا - نحن الثلاثة - على إصدار مجلة أسبوعية باسم : الاتحاد ، وكان ذلك عام ١٩٦٨م ، حيث استطعنا إصدار الجريدة باللغتين التركية والعربية ، وقد أرسلنا أعداداً كبيرةً منها لتوزيعها على حُجَّاج بيت الله الحرام في موسم الحج بمنى ، ومزدلفة، ومكة المكرمة ، فحظيت الجريدة بالمباركة في تلك الأماكن الطاهرة وفي هذه الأيام المقدسة . " (١)

وبهذا استطاع فتح الله وإخوانه الخروج بدعوتهم من الحدود الجغرافية الضيقة ، من خلال الجريدة والصحف آنذاك كانت من أهم وسائل الإعلام وأدوات التأثير .

### نيران السياسة تصيب " فتح الله "

لم يكن للأستاذ فتح الله أي هدف سياسي في حديثه ، ولم يتدخل في أي مسألة سياسية وكان إذا اجتمع بالناس في حوار أو مدرسة بذل وسعه في تجنب أي موضوع يُقلق الناس ، لاسيما في تلك الأجواء المسمومة التي تصيب الناس بالهلع من أي متحدث في الشأن العام باسم الإسلام .  
ف " لقد مر على تركيا حين من الدهر (٢) كان مجرد قراءة القرآن يُعدُّ جنحةً يعاقب عليها القانون، وظلت كليات رسائل النور للنورسي ممنوعة التداول لسنوات عديدة ، ولقد ابتليت الجماعات الإسلامية بتركيا آنذاك بفتن الفرقة والاختلاف ، فكان همُّ فتح الله وقتها هو العمل على درء الفتن والحدُّ من آثار الاختلاف ، وكانت ثمَّة جماعات ذات خيارات سياسية عنيفة ، تستجيب بسرعة للاستفزاز ، وتتصرف بمنطق ردود الأفعال . " (٣)

أما طلاب النور فبعد وفاة مؤسسها الأول الأستاذ بديع الزمان النورسي سنة ١٩٦٠م فإنها وإن حافظت على هدونها الدعوي إجمالاً، ومنهجها المفارق للسياسة ؛ إلا أنها هي أيضا أصيبت بداء الاختلاف في ذاتها .

وكان لذلك أثر سلبي على الوضع الإسلامي بالبلاد ، فما أن مضى على موت النورسي رحمه الله نحو عشر سنوات حتى كانت الفتنة قد بلغت درجة من الشحنة قابلة للاشتعال في أي حين .

١- تجديد الفكر الديني في تركيا ، أبو زيد عبد الرحيم ، مرجع سابق ، ص ١٤٥

٢- منذ سقوط الخلافة عام ١٩٢٤م ، وحتى الفترة التي نتحدث عنها في نهاية الستينيات .

٣- فتح الله كولين قصة حياة ومسيرة فكر: أرطغرول حكمة ، ص ٧٠

فهذا " في مارس ١٩٧١م سيطر الجيش مباشرة على إدارة الحكم في تركيا ، وأعلن حالة الطوارئ بالبلاد ، فيما عُرف بأحداث ١٢ مارس ١٩٧١م ، ثم بدأت حملة الاعتقالات بعد مدة قصيرة ، فتم اعتقال كثير من زعماء اليسار، وقادة الجماعات الإسلامية ."<sup>(١)</sup>

وشمل هذا - بطبيعة الحال - كل من له نشاط إسلامي واضح ، حتى ولو لم تكن له علاقة بالسياسة ، ومن هؤلاء الشيخ فتح الله كولن . يقول الأستاذ فتح الله عن هذه الفترة الحرجة :

" دخلت منزلي فرأيت الأمن السياسي قد قلبه رأساً على عقب ، صادروا نحو أربعين كتاباً ، ليس فيها واحد يُدينني ، قلت : هل سأتأخر ، فأكل لقيمات؟ أردت أن أطلع على نياتهم ، قال : كل حتى تشبع، فلا ندري متى تعود ، ثم ذهبوا بي إلى قسم الشرطة ، فلما وصلنا حلقوا شعري وشاربي ، وقبل أن أساق طلبت ماءً للوضوء ، فجاءني عريف بقصعة فيها ماء ، فتوضأت ، فلما خرجنا صليتُ العشاء ، فاستروحت لأنني أمنت فوت صلاة مفروضة حتى الصباح ، زجوا بي في حجرة صغيرة، وجرّدوني من كل شيء حتى القرآن الكريم ودعاء " الجوشن الكبير"<sup>(٢)</sup> فكنت أقرأ القرآن عن ظهر قلب ، أما الجوشن فشقّ عليّ تذكره ، فأحزنتني كلّ الحزن أنّي لم أحفظه ، راسلتُ أحد أصدقائي سرا، ليأتيني بالجوشن الكبير، فجاء به قبيل العصر، فانكببتُ عليه أقرؤه سرا بمتعة والدموع تخالجني ، كأنني لم أقرأه من قبل .. ثم علمت أن كل موعظة ألقيتها سُجّلت في ورقات ، ذكروا بعض الأسماء وقالوا : هل تعرف هؤلاء؟ كيف عرفتهم؟ ما الكتب التي تقرأها؟ هل قرأت رسائل النور؟ لم أتوقع هذا السؤال فسؤال واعظ عن أمر كهذا يُعدّ أمراً مضحكا !! ، وما زالوا يسألوني عن الكتب وأنا أسرد لهم أسماء كتب لا يعينهم أمرها حتى قلت: لا يحضرنني غير ما ذكرت، فكفوا عن أمر الكتب ؛ لم يكن في أقوالي ما يدينني، لكن الأوامر العليا تحتمّ اعتقالي، وهذا ما حدث."<sup>(٣)</sup>

في تلك الأيام كان فتح الله قد رأى النورسي في المنام، فكانت بالنسبة له بشارة بقرب انتهاء المحنة فقد رأى النورسي وهو : " يلبس عباءة سوداء ، ويقف أمام السجن ، فجعل النورسي يدخل محببته

١- الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة : د. طارق عبد الجليل ، ص:٧٥، جواد الشرق للنشر والتوزيع ، ط ١ ، القاهرة ٢٠٠١م

٢- الجوشن الكبير والصغير : مجموعة من الأدعية المأثورة عن بعض العارفين وعلى رأسهم الإمام : علي زين العابدين والجوشن في الأصل : درع من حديد . ( الجوشن الكبير ، المقدمة ، ص ٣ ، طباعة دار سوزلر ٢٠١٢م )

٣- فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر: أرطغرول حكمة ، ص ٨٣

الواحد تلو الآخر إلى مكان يشبه القلعة، وفي رؤى أخرى قبل مدة قليلة من إطلاق سراح فتح الله وصاحبه أنزلهما الأستاذ النورسي من قمة عالية وأوصلهما معاً إلى الكعبة." (١)

وقد جاء الفرج بعد انتهاء المحاكمة ، فقد برأت المحكمة فتح الله وصديقه في هذه المحنة الأستاذ مصطفى بيلريك ، وخرج فتح الله من إزمير وهو لا يملك من حطام الدنيا شيئاً ، ولم يجد أمامه إلا أن يعود إلى أرضروم ، إلى موطنه الأول .

## ل الداعية فارس لايترجل

بعد إطلاق سراحه في التاسع من شهر نوفمبر ١٩٧١م، حاول الأستاذ فتح الله أن يعود إلى اعتلاء منبره القديم في مدينة إزمير، فقد صارت هذه المدينة تحتضن براعم جهاده الدعوي، وهو أشد ما يكون حرصاً على العودة إلى هناك لرعايتها وتتميتها ، لكنه مُنع من ذلك ، فبقي بأرضروم يعظ بغير تصريح رسمي : " لكنه ما لبث أن استدعي إلى رئاسة الشؤون الدينية بأنقرة ، وهناك حدّثه مسؤول التعيينات عن ضغوط على الإدارة في شأنه هو خاصة ، على أساس إجلائه عن مدينة إزمير، وتعيينه في مكان آخر غيرها. فكان أن تم تعيينه في مدينة بعيدة عن إزمير وكان ذلك في ٢٣ فبراير ١٩٧٢م . " (٢)

ورغم بعده عن محضن طلابه الأوائل في إزمير ، إلا أنه استطاع أن ينشئ غرساً جديداً في كل مكان يذهب إليه ، ف : " بعد صدور العفو عنه ، أرسلوه إلى مدينة أدرميت، ثم نقل منها إلى "مانيسا" ، ومنها إلى "بورنوفاً" في محافظة إزمير، حيث بقي هناك إلى سنة ١٩٨٠م ، وفي هذه السنوات كان "كولن" يجوب البلاد طويلاً وعرضاً ، يلقي خطبه ومواعظه على الناس في الجوامع، كما كان يرتب المحاضرات العلمية والدينية والاجتماعية والفلسفية والفكرية، ويعقد الندوات والمجالس واللقاءات الخاصة، يجيب فيها على الأسئلة الحائرة التي تجول في أذهان الناس وخاصة الشباب؛ فكانت أجوبته بلسماً شافياً لعقول وقلوب هؤلاء الشباب ، مما جعلهم يلتفون حوله ويطلبون إرشاداته . " (٣)

ومضى الأستاذ فتح الله يعظ في أماكن كثيرة عدا المساجد - حيث كان ممنوعاً من الوعظ فيها - ويدرس للطلاب ، ويحاضر في مجالات عدة داخل الوطن وخارجه ، وفي مقاهي المدن عامة وإزمير خاصة .

١- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ٢٥٩

٢- المرجع السابق ، ص ٢٩٧

٣- فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة ، د. عبد الحليم عويس ، ص ٣٤

ومن ثمَّ بدأت الدعوات تتوارد عليه لإلقاء المحاضرات في هذا الموضوع أو ذاك من شتى بقاع تركيا ، حتى لم تكف تبقى محافظةً من المحافظات الكبرى إلا وحاضر فيها ، ثم اشتغل في الوقت نفسه - على المستوى الداخلي - بكتابة المقال الرئيس لعدد من المجلات ، التي أصدرها طلابه، في مختلف التخصصات والمستويات.

ومن تلك المقالات تكونت كثير من كتبه التي نشرت فيما بعد ، وترجم بعضها إلى لغات أخرى<sup>(١)</sup>

### المدارس : عودة الروح

كانت سياسة التعليم التركي - في ذلك الحين - قد تنكّرت للإسلام ولتعاليمه ، ومن الجدير بالذكر هنا أن نظام التعليم التركي في هذه الآونة وما قبلها - منذ سقوط الخلافة عام ١٩٢٤م - ، كان يعاني من ازدواجية المدرسة الدينية والمدرسة الحديثة .

يقول الأستاذ محمد أنس أركنة<sup>(٢)</sup> : " كانت المدارس الدينية مؤسسات تعليمية مستقلة خارجة عن سيطرة الدولة ، لأن المؤسسات الوقفية (الأوقاف) كانت هي المسؤولة عن إدارة هذه المدارس ،... ولما ضعفت المؤسسات الوقفية أدى هذا بدوره إلى ضعف المؤسسات التعليمية المنبثقة منها ."<sup>(٣)</sup> وهو هنا يشير إلى التغيير الكبير الذي أحدثته محاولة محو الهوية الدينية للمجتمع التركي من خلال نشر العلمانية ، وكان من نتيجة هذه "العلمنة " أن فُتحت ماسمى بـ"المدارس الحديثة" في مقابل المدارس التقليدية ، وكانت المدارس الحديثة مدارس علمانية الهوية ، تنتكّر للدين ، ولكل ما يمتُّ له بصلة ، وتهتم بالعلم الحديث دون غيره .

" صحيحٌ أن المدارس الحديثة فُتحت ، لكن المدارس الدينية استمرت في الوجود ، وقد أدت الثنائية الموجودة بين المدارس الحديثة والمدارس الدينية إلى ثنائية في فكر الأتراك ، مما أفرز صراعاً شديداً بينهما ، ونتيجةً لهذا الصراع تفوقعت المدارس الدينية على نفسها ، من جهةٍ أخرى

١- في هذا الفصل قائمة تفصيلية بالكتب التي صدرت للأستاذ كولن ، وما تم ترجمته منها إلى اللغة العربية

٢ - هو أحد الباحثين الأتراك في فكر الأستاذ فتح الله كولن ، وحركة الخدمة ، وكذلك هو أحد الكتاب البارزين في مجلة حراء ومجلة نسيمات .

٣-"فتح الله كولن : جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية " ، محمد أنس أركنة ، بتصرف ص ٢٨٠ ، ط ١ . دار النيل ،

فإن المدارس الحديثة لم تستطع مواكبة التطور في الغرب ، فانقلبت إلى مدارس تكرر نفسها بتكرار معلومات وشعارات معينة .<sup>(١)</sup>

ولعل هذا كان السبب الأبرز في اهتمام الأستاذ كولن بقضية التعليم ، بل وجعلها القضية المحورية في مشروعه النهضوى .

ومن إزمير انتشرت تجربة المدارس في كل مكان، احتضنها طلاب الأستاذ فتح الله، ومولها محبوه من رجال الأعمال، الذين تنافسوا في البناء والشراء ، حتى أشرفت بنايات المدارس على كل المدن في جميع أنحاء تركيا .

فقد : " كانت إزمير هي المكان الذي جرب فيه كولن أفكاره وطبقها ، فقد بدأت حركته بوصفها حركة تعليمية ، تتبنى مبدأ التضحية الشخصية من أجل الصالح العام ، وتجعل للمجتمع والأمة والإسلام والإنسانية الاهتمام الأول ، فقد كان كولن يقدم حركته باعتبارها " حسبة الله " مثله مثل النورسي تماما ."<sup>(٢)</sup>

ولكن ، ماذا كانت عدة فتح الله كولن في هذه المعركة - معركة التعليم - ؟ وما هي وسيلته في بناء هذه الصروح وتلك المؤسسات ؟ وما الذي جعل الناس يتلقون كلماته كأنها تعليمات للتنفيذ ؟ لم يملك فتح الله كولن من أداة سوى "الكلمات" ، ولم يعرف وسيلة سوى "الدموع" ولم تكن في يده سلطة قاهرة ، سوى سلطان " الحب" .

ومن ثم لم تلبث دعوة فتح الله إلا نحو بضع وعشرين سنة ، حتى كانت قد وصلت إلى عمق المجتمع ، من خلال أجهزة الإعلام ، ومؤسسات الاقتصاد ، ونماذج من الرجال المخلصين لدعوتهم، ينتصبون بهمتهم العالية في كل قطاع حيوي، لبناء صرح الأمة من جديد ، يقف من وراء هذا كله أستاذ يروى هذه المشاريع بدموعه ونحيبه - على حد قول الأستاذ نوزاد صواش - المشرف العام على مجلة حراء<sup>(٣)</sup>

١- فتح الله كولن : جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية " ، محمد أنس أركنة ، ص ٢٨٣

٢- نحو تنوير إسلامي : حركة فتح الله كولن ، حاقان يافوز ، ص ٤٩

٣- محاضرة مرئية ، من مؤتمر دولي ، عام ٢٠١١م ، على صفحة مجلة حراء على موقع اليوتيوب  
www.youtube.com ، مجلة حراء .

## ل الواعظ الطريد

فى عام ١٩٨٠م ، وقعت حوادث عدة ، فى هذه الآونة بزغ نجم البروفوسير ( العالم والأستاذ الجامعى ) نجم الدين أريكان ( ) ، وقد كان خطابه إسلاميا ذو وتيرة عالية ، مما استقرّ القوى العلمانية التى كانت لاتزال قوية ومؤثرة فى مواطن أخذ القرار .

أضف إلى هذا أن البلاد كانت تعاني من ظهور متزايد للعنف وحوادث قتل ، واغتيال واختطاف تقوم بها بعض الجماعات الماركسية ، وتزايدت الهجمات المسلحة على أعضاء الأحزاب السياسية وقُتل عدد من الرموز السياسية ، ومسئولون بالوزارات والهيئات الحكومية . (٢)

وفى ظلّ هذا التنافر بين مختلف القوى والفئات والأحزاب السياسية ، دعا الأستاذ فتح الله الناس إلى الاعتدال والفتنة فى الحوادث الاجتماعية والسياسية التى تسارعت وتيرتها فى تلك الأيام ، ونبّههم إلى أن المؤمن أساس الأمن، فعليه أن يتجنب المشاركة فى النزاعات الهدامة، وما يُرفع من شعارات لا نفع فيها للإسلام ولا للأمة بل هي ضرر محض ؛ فهذه الحوادث مكيدة لنا دبّرتها عدة قوى وظل يحذر من وقوع فتنة مستشعراً الخطر قبل وقوعه.

على الرغم من أن فتح الله كولن لم تكن له علاقة بأية أحزاب سياسية ، ولم يكن هو أو أحد من تلاميذه طرفاً فى الصراع السياسى والتجاذب الاجتماعى الحاصل فى هذه الأثناء ، وعلى الرغم من محاولاته المستميتة لدرء الفتنة ، وتجميع الفرقاء ، إلا أن هذا كله لم يشفع له ، فصار هدفاً للملاحقات الأمنية ، لمجرد أن نشاطه إسلامي !!

يقول الأنصارى : " والشيء العجيب من ذلك كله، هو إصرار الأستاذ على إلقاء درسه العلمى ، مهما كانت الظروف ، فكم من مرة كانت السيارة الهاربة التى يركبها الشيخ مع طلابه ، هي الفصل الدراسى الذى يلقي فيه درسه ، فهناك طالب يقود، وآخرون فى الخلف أو فى الأمام يستمعون ، والأستاذ بينهم يشرح ويفسر مطمئناً ، وكأنما هو فى حلقة الدرس بمسجده ولم يزل المعلم المجاهد على تلك الحال العجيبة ، إلى أن قبض عليه فى اليوم الثانى عشر من شهر يناير، سنة ١٩٨٦م . " (٣)

١- مهندس وسياسى تركى تولى رئاسة حزب الرفاه ورئاسة وزراء تركيا من الفترة بين ١٩٩٦ و ١٩٩٧ م عرف بتوجهاته الإسلامية. ( المصدر تجربة الإسلاميين فى تركيا :مركز الكاشف للدراسات الاستراتيجية ، ص ١١ ، إصدار ٢٠١٠ ، تقرير إلكترونى)

٢- انظر: الحركات الإسلامية فى تركيا المعاصرة : د. طارق عبد الجليل، ص ٥١

٣- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصارى ، ص ٣١٨

ولاريب أن هذه الفترة التي امتدت لما يقارب ست سنوات ، أفادت فتح الله كداعية أولاً وكمصلح ثانياً ، فقد طوّف بالبلاد طويلاً وعرضاً ، فرأى الناس عن كثب ، وخالطهم عن قرب ، فكانت هذه إضافةً نوعية لرجلٍ كلُّ همه أن ينهض بهذا المجتمع ، فكان من الضروري أن يعايش هذا المجتمع ليس فقط كواعظٍ رسمي ، وإنما كفردٍ من بين أفرادهِ ، يحمل همومه ، ويعيش آلامه ، وهكذا يجب أن يكون كلُّ داعية .

في هذه الفترة كانت التوترات قد هدأت ، وتم تسليم السلطة مرة أخرى إلى المدنيين ، فحمّلت الانتخابات العامة إلى رئاسة الوزراء الرئيس "تورغوط أوزال"<sup>(١)</sup> ، وقد كان لفتح الله صلةً به قبل ذلك بزمان قديم .

ف : " قد سبق للرئيس أن شرب من كؤوس الواعظ الداعية ، في مجالس صحبته، وتلقى شيئاً من مواظمه ، وقد أثرت هذه المواظم في مسيرته السياسية ، سواء وهو رئيس للوزراء، أو وهو رئيس للجمهورية فيما بعد ، فقد كان أول رئيس يصلي الجمعة علناً وبشكل رسمي ، واستطاع بحنكته السياسية أن يحقق مكاسب من الحريات العامة غير مسبوقه في المجتمع التركي ، وقد كان لعهدهِ السياسي أثر لا يخفى على حرية العمل الإسلامي." <sup>(٢)</sup>

وكان لهذا الهدوء النسبي أثره في التحقيقات التي أجريت مع فتح الله في محنته هذه، ف : " بعد تحقيقات مطوّلة، لم يعثروا على شيءٍ يدينه ، وكانوا قد أرسلوه إلى إزمير ، ليحاكم هناك ، فأُخلى سبيله ، وأصبح حراً طليقاً." <sup>(٣)</sup>

استطاع فتح الله كولن وتلاميذه أن يستثمروا مناخ الحرية الذي أتاحتها التطورات الأخيرة ، وقد رأى فتح الله كيف أن الفرقة والخلاف كانا هما السبب الرئيسي لأحداث العنف التي شهدتها المجتمع التركي آنذاك ، وعلمته التجربة التي خاضها في فترة الملاحقة ، أن لاسبيل إلى نهضة المجتمع إلا من خلال الائتلاف والوحدة ، ولذا فقد بدأ نشاطاً موسّعاً ، للحوار بين مختلف فئات المجتمع وتياراته المتباينة ، ثم توسع نشاطه هذا ليمتدّ إلى خارج حدود تركيا ، من خلال حوار الثقافات ، وعرض الإسلام في صورته النقية من دون شوائب الغلو والتفريط .

---

١- سياسي تركي كردي الأصل. هو الرئيس الثامن لتركيا تولى رئاسة الوزراء بالفترة من ديسمبر ١٩٨٣م إلى أكتوبر ١٩٨٩م ، ثم تولى رئاستها من نوفمبر ١٩٨٩م حتى تاريخ وفاته في إبريل ١٩٩٣م . (المصدر : فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ، أرطغرول حكمة ، ص ٩٩)

٢- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ٣٢٨

٣- فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر : أرطغرول حكمة ، ص ١٠٠

## المرحلة السادسة

### الحوار مع مختلف الفئات.. والانفتاح نحو العالم

فى مرحلة التسعينات أصبح " فتح الله كولن " بفعالياته ونشاطاته حديث الساعة فى تركيا ، ومركز اهتمام المثقفين والكتاب بل والسياسيين وكبار رجال الدولة المحايدين.

وأصبحت أعوام التسعينات بالنسبة إليه أعوام إجراء الحوارات مع مختلف الفئات داخل المجتمع التركى من جهة ، وأعوام الانفتاح على العالم الخارجى من جهة أخرى .

فقد قامت المدارس التى حثَّ على إنشائها كولن - الابتدائى منها والثانوي - بالاشتراك فى المسابقات العلمية العالمية ، حيث أثبتت جدارتها فى مدة قصيرة بالنتائج الجيدة التى حصلت عليها ، والنجاحات الرائعة التى سجَّلتها .

فى الوقت ذاته بدأ عهد حوار لم يحدث مثله فى التاريخ التركى الحديث ، ففى مجتمع مثل المجتمع التركى فى الستينات والسبعينات والثمانينات تتصارع فيه المذاهب والافكار والأيدولوجيات المختلفة والمتناحرة ، تصبح ثقافة الحوار وقبول الآخر وكأنها ضربٌ من الخيال .

### ل نحو آسيا الوسطى

بعد انهيار الاتحاد السوفيتى عام ١٩٩١م ، خرجت الجمهوريات المسلمة ، التى كانت تترج تحت أغلاله ، حائرةً مضطربة ، فقد استطاعت الشيوعية قطع الروابط التى كانت تربط هذه الجمهوريات بالدول الإسلامية ، بل بالإسلام ذاته ، فكان أن : " انتبه الأستاذ فتح الله إلى هذا ، فألقى درسه التاريخى بمسجد السليمانية فى إسطنبول، حيث شجع رجال الدعوة الأتراك ورجال الأعمال المساندين على نقل خدماتهم الإيمانية إلى جمهوريات آسيا الوسطى ، والهجرة إلى دولها المختلفة ، مثل كازاخستان، وأذربيجان، وتتارستان، ونحوها، خاصة وأنها دول كانت لها صلة بالدولة العثمانية من قبل، وفى زمن وجيز كانت المدارس والشركات التركىة قد تأسست وانتشرت فى كثير من دول المنطقة ، بل بلغت إلى العمق الروسى ، فتأسست مدارس فى موسكو وغيرها من المدن فى أنحاء العالم. " (١)

١- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصارى ، ص ٣٢١ ، ولمزيد من التعرف على مدى التأثير الذى تركته دعوة الشيخ فتح الله كولن فى إنشاء مدارس فى هذا الجزء من العالم الإسلامى، ، يُراجَع كتاب " إلى جبل قاف " لنور الدين صوّاش ، وأديب الدبّاغ ، ويروى قصصا واقعية لنماذج من هذه التضحيات، طبعة دار النيل ، "مترجم " ( من ترجمة هيئة التحرير بمجلة حراء )



## وقف الصحفيين والكتاب

استطاع الأستاذ فتح الله أن يُدشّن حركة حوار وطني كبرى، على صعيد القطر التركي، حيث بدأ يعقد صلاتٍ مع الأقليات من أهل الأديان الأخرى، مثل الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس<sup>(١)</sup>، وطائفة الأرمن وغيرهم<sup>(٢)</sup>، وامتدت علاقته إلى رؤساء الأحزاب السياسية من اليمين إلى اليسار، من خلال حوارات، كان لها أثرٌ كبير في تخفيف الضغط على الدعوة الإسلامية بتركيا، وتيسير أمر الخدمات الإيمانية المنتشرة في كل مكان .

ف: "ابتداءً من عام ١٩٩٤م قابل الأستاذ فتح الله فئات كثيرة من التيارات المختلفة والسياسيين والإعلاميين، وشهد افتتاح "وقف الصحفيين والكتاب"، الذي كان وراء تنظيم مؤتمرات للحوار، وتبادل الأفكار، وعرض وجهات النظر المختلفة. فكان هذا الوقف مظلة واسعة لاجتماع عدد من أبرز رجال الثقافة والفكر، والكتاب الأتراك، من كل الاتجاهات الفكرية والسياسية، كما كان مناسبة للقاء رجال، ما كان ليلتقوا لولا هذا الوقف الأول من نوعه في تاريخ تركيا ."<sup>(٣)</sup>

وصار لـ"فتح الله" بذلك فضل عظيم في الجمع بين المختلفين، والتقريب بين المتباعدين، وتكوين جو من التعايش السلمي بين الأطياف المتناحرة .

وتصدرت شخصية هذا الواعظ الداعية واجهات الإعلام المختلفة، من خلال الحوارات واللقاءات، سواء على الصعيد المحلي بتركيا، أو على الصعيد الدولي والأوروبي خاصة .

## لقاءات وحوارات

أحدث هذا الظهور الإعلامي الكبير لـ"فتح الله كولن" أثراً كبيراً لدى مختلف الأوساط التركية، فبادرت الكثير من وسائل الإعلام لإجراء حوارات موسّعة مع هذا "الشيخ!" الذي يجمع المثقفين والسياسيين حوله، ويحدثهم بلغتهم .

---

١ - هي أشهر الفرق المسيحية المعاصرة، والكنيسة الكاثوليكية أو الغربية تعنى العامة وتتبع النظام البابوي، وتتبعها دول الغرب مثل فرنسا وبلجيكا وإيطاليا وإسبانيا، أما الكنيسة الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية فمرها في بلاد الشرق، وبينهما اختلافات كثيرة حول طبيعة المسيح - عليه السلام - وبعض الشرائع الدينية، والكنيسة البروتستانتية أو الإنجيلية فهي تعارض الكنائس الأخرى في فهم الإنجيل وتنتشر في ألمانيا وانجلترا والدنمارك وأمريكا الشمالية (المصدر: المسيحية، أ. د. أحمد شلبي، ص ٢٥١ - ٢٥٣، بتصرف، ط ١١، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٢ م)

٢- هم طائفة عرقية دينية وثقافية، كان عددهم في الدولة العثمانية حوالي ١,٢ مليون نسمة سنة ١٨٩٦م. ويقدر الخبراء عدد الأرمن في تركيا اليوم بحوالي ٦٠ ألف نسمة، يتمركزون على الخصوص في إسطنبول، ويتوزعون بين كاثوليك وبروتستانت، لكن الأغلبية أرثوذكسية (المصدر: أشواق النهضة والانبعاث، د. محمد جكيك، ص ٣٩)

٣- "فتح الله كولن: جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية"، محمد أنس أركنة، ص ٤٥

ففي يناير ١٩٩٥م أجرت معه جريدتاً "الصباح" و"الحرية" التركية حوارات عن قضايا الساعة، وعن طبيعة فكره، وعن حركة طلابه وغيرها من القضايا. (١)

وفي ٢٠ مارس التقى "بولند أجويت" (٢) - رئيس الوزراء حينها - ولم يكن لقاءً سياسياً بل بحث معه موضوعات أدبية وصوفية وفلسفية، وقد قال أجويت معبراً عن سعادته بالزيارة: أرى أن الأستاذ فتح الله وأتباعه يسهمون كثيراً في عملية التطور الديمقراطي (٣)

وفي هذا العام أجرى معه حوار في قناة TRT (٤) وكذا "جريدة الجمهورية" واستمر حوار سبعة أيام، ومع جريدة الزمان واستمر حوار خمسة عشر يوماً، وطبع في كتاب "جولة الآفاق مع فتح الله كولن". (٥)

كان حديثه ينبم عن شخصية لها باعٌ في شتى العلوم؛ وقد تركت ردوده القائمة على العلم والمنطق في مختلف المجالات من فن، وأدب، وعلم اجتماع، وعلم نفس، وفلسفة، وسياسة، كثيراً من المثقفين الأتراك في دهشة وحيرة، ليس فقط لعمقه الفلسفي، بل لكون ذلك صادراً من "واعظ"، بما تعنيه هذه الكلمة عند تلك الأوساط من معاني الجمود والتقليد!! .

في هذه الآونة، شارك الأستاذ فتح الله في عدّة برامج وقابل فئات شتى لتطوير الحوار بين الأديان **ففي هذا العام زار البابا يوحنا بولس الثاني** - بابا الفاتيكان حينها - : "وكان لزيارته صدى كبير في العالم عامّة وفي تركيا خاصّة، وأجرت معه وسائل الإعلام الروسية والأوروبية خاصة الإيطالية حوارات في هذا الشأن، وهنا كان للإعلام التركي الهادف سلوكٌ حميد، بينما ذهب آخرون كلّ مذهب في التهم الباطلة أثناء تفسيرهم للحدث، فبيّن الأستاذ فتح الله في برنامج على التلفاز أنه قد استشار رئيس الوزراء بولند أجويت قبل لقاء البابا فوافق في ذلك وأيده وأشار إلى أنّ مثل هذه الزيارة ستسهم في السلام العالمي". (٦)

١-انظر الحوار : فتح الله كولن . . الرؤية والتأثير ( تجربة فاعلة في المجتمع المدني ) ص ٣٥ ، ظ ، دار النيل القاهرة ، ٢٠١٥م

٢- مصطفى بولند أجويت ١٩٢٥ - ٢٠٠٦ م : سياسيّ وشاعر وكاتب تركي بارز؛ تولى رئاسة الوزراء خمس مرات ، وكان من رواد اليساريين في تركيا .

٣- انظر : فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر : أرطغرول حكمة ، ص ١٠٧

٤- الاسم العام لقنوات الإذاعة والتلفاز الرسمية للجمهورية التركية ( نقلا عن الأستاذ / عثمان أقجا )

٥- انظر : موقع فتح الله كولن [www.fgulen.com](http://www.fgulen.com)

٦- فتح الله كولن ، جذوره الفكرية واستشراقاته الحضارية ، أنس أركنة ، ص ٥١

## ج عاصفة هوجاء

في عام ١٩٩٤م ، وصل حزب "الرفاه" ، الذي يتزعمه نجم الدين أريكان إلى السلطة حيث اشترك مع أحزاب أخرى في تشكيل حكومة ائتلافية ، تولّى رئاستها أريكان ذاته ، وتطورت الأحداث سريعا وتلاحقت واتفقت جهات داخلية وخارجية على إجهاض التجربة الوليدة ، بالإضافة إلى كثير من الممارسات من قبل أريكان وحكومته ساهمت في هذا .

وكان ماتوقعه الكاتب المصري الأستاذ فهمي هويدي في حينها ، حيث كتب ناصحاً : " أتمنى أن لا تتورط قيادة الرفاه في تشكيل الحكومة التركية في الوقت الراهن فلدّي قناعة قوية بأن ثمة أطراف عدة لن تتردد في العمل على إفشال تجربتهم بأي ثمن ، ولو اقتضى ذلك تخريب الاقتصاد وتمزيق البلاد ... ولعلي لا أبالغ إذا قلت أن توريط الرفاه في تشكيل الحكومة قد يكون تدبيراً من شياطين الإنس للإيقاع بهم في كمين لا يراد لهم أن يخرجوا منه سالمين . " (١)

وقد حدث هذا فكان يوم ٢٨ فبراير ١٩٩٧م ، يوم انطلاق عاصفة سياسية رهيبة في تركيا ، أتت على الأخضر واليابس ، عاصفة في صورة انقلاب منهجي شامل ، تسلط على الحكومة ، وأرغمها قهراً على توقيع قوانين وإصدار قرارات ، وحصل منها على تفويضات ، حاصرت العمل الإسلامي من كل جهاته ، وخنقت أنفاس التدين في المجتمع التركي خنقاً أدى إلى تدمير كثير من المكتسبات التي حققتها الدعوة الإسلامية طيلة عقود من التضحيات. (٢)

حيث تم إرغام أريكان تحت التهديد على توقيع قوانين ظالمة في حق الدين والوطن، بل وفي حق تاريخه هو شخصياً ، فصدرت القوانين التي تمنع كل مظاهر الدين في المؤسسات الرسمية والخاصة ، وحُرِّم على كل محجبة أو رجل متدين أن يدخل في أي من وظائف الدولة ومؤسساتها بل مُنعت المحجبات من حقهن في الدراسة من الثانوية إلى الجامعة ، وفقد كثير من الأطباء ووظائفهم، وأساتذة جامعيون، ورجال قانون ، ثم حلَّ حزب الرفاه الإسلامي ، بل حتى الطرق الصوفية منعت من ممارسة أنشطتها ، وامتدت نار العاصفة إلى برامج التعليم ، وقوانين المدارس والجامعات ، فأحرقت ما كان بقي فيها من أوراق خضراء. (٣)

وصارت الحياة داخل تركيا جحيماً لا يطاق ، وغادر تركيا بعض العلماء والدعاة والمربين، مفضلين المنافي البعيدة على البقاء في لهيب العاصفة ، وفتحت المحاكم ضد آخرين، وامتدت

١- أريكان ودوره في السياسة التركية ، منال الصالح ، ص ١٧١ ، ط ١ ، الدار العربية للعلوم ، ٢٠١٢م

٢- المرجع السابق ، ص ١٧٩

٣- انظر: الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة : د. طارق عبد الجليل، ص ٦٢

سلاسل الاعتقال إلى كثير من نشطاء العمل الإسلامي في مختلف الاتجاهات، ولم يعد أحد يأمن على نفسه في ظل هذه الأوضاع الاستثنائية .

### ج حصار الدعوة والرحيل إلى أمريكا

أما المدارس والمؤسسات التربوية التي أنشأها تلاميذ الشيخ فتح الله كولن ، فقد حُوصرت في كل مكان ، ومن كل الجهات ، وكثُر التفتيش على المدارس التي حثَّ على إنشائها وعلى سائر المؤسسات الأخرى .

وأصبح شخص فتح الله كولن مستهدفاً ، فأوصاه تلاميذه والمقربون منه أن يترك أرض الوطن إلى حين ، ف: " استغلَّ الأستاذ فتح الله مرضه بشرايين القلب للسفر إلى أمريكا قصد العلاج فخرج من البلد في شهر مارس ١٩٩٧م ، وبقي هناك لمدة سبعة أشهر ، فلما شعر بنوع من الانفراج في الحياة السياسية بالبلد؛ عاد إلى وطنه لمواصلة جهاده، وتفقّد ما أصاب خدماته من التصدع أو الاضطراب ، لكن هذه المرة صار الرجل مهذّباً بما يقضي على حياته نهائياً، ربما باغتيال، أو بإعدام ظالم كما وقع من قبل لعدد من الزعماء السياسيين والعلماء الدينيين ، فخرج من البلد من أجل السفر للعلاج ، في الحادى والعشرين من شهر مارس من سنة ١٩٩٩م، لكنه هذه المرة خرج ولم يعد.. " (١)

وهناك في ولاية " بنسلفانيا " (٢) بالولايات المتحدة الأمريكية صارت الوفود تأتيه ، سواء من طلابه ، أو من رجال الخدمة ، أو رجال الأعمال ، وفود مختلفة تتقاطر لزيارة الأستاذ المرّبي . لكنه وعلى الرغم من بعده عن موطنه الأم تركيا لا يزال يحمل وطنه في قلبه وقد : " بلغ من حبه لتركيا أنه احتفظ بملابس أتى معه بها دون أن يغسلها ، ولما سُئل عن ذلك قال: بلى ، أحتفظ بها منذ مجيئى ولم أغسلها قط ، بل لم أنفض ترابها بعد ، فوطئى معى روحاً ورائحة " (٣) وهو يرفض أن يقيم في المركز الذى بناه تلاميذه في أمريكا ، إلا في غرفة متواضعة يُصرُّ على أن يدفع أجرتها ، من عائد كتبه . (٤)

١- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصارى ، ص ٣٢٩

٢- بنسلفانيا وهي واحدة من أربع ولايات في الولايات المتحدة الأمريكية تسمى "كومونولث" ، وتقع الولاية في القسم الشمالي الشرقي من الولايات المتحدة الأمريكية ، وتعتبر بنسلفانيا من أكثر الولايات الأمريكية تاريخاً و عاصمتها هاريسبرغ وتحتل ولاية بنسلفانيا المرتبة العاشرة من حيث نسبة عدد السكان من أصل عربي، وتبلغ نسبة المسلمين في الولاية حوالي ٤% من إجمالي السكان طبقاً لتقرير مجلس المنظمات الإسلامية بأمريكا (الموقع الإلكتروني للموسوعة الحرة " ويكيبيديا " )

٣- فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر: أرطغرول حكمة ، ص ١١٣

٤- من لقاء أجره الباحث مع أ. سنان يورولماز ، أ. عثمان أقجا ، من تلاميذ الأستاذ فتح الله كولن ، بالقاهرة ، مدينة نصر ، مركز الخدمات التعليمية ، أغسطس ٢٠١٤ م

وهو من غرفته تلك يحمل هم العالم الإسلامي ، ويوجه تلاميذه ومريديه إلى أن يهاجروا لخدمة الإنسانية في كل أصقاع العالم ، فحجرته في أمريكا هي بيت أسراره وشاهدٌ على معاناته ومكابداته ، يموت حسرةً عند حدوث فاجعة في العالم الإسلامي ، فيظل يتردد بين الحجرة والممر المقابل لها علّه يعثر على شفاءٍ لقلبه الكليم . (١)

## ل عمل متواصل

ولا يزل الشيخ كما كان، يلقي دروسه على صفوة من طلابه ، ويتابع مسيرة العمل الدعوى الذى يمارسه أبناء الخدمة الإيمانية فى أنحاء العالم .

وهناك من منفاه الاختيارى هذا ، لايتوقف الأستاذ فتح الله كولن عن مهمته الأولى وهى : التدريس والوعظ ، فحلّق دروسه لاتكاد تنتهى ، وتلاميذه يتوافدون عليه من كل الأقطار ، ومن كل الأعمار بل إنه يوصى تلاميذه أن يظلّوا على درب تعليم الأجيال القادمة مهما كانت الظروف .

فقد : "نقل عنه أنه قال لبعض طلبته : "أنا ليس لي عليكم من حقّ، وإن كان لي ذلك كنت طلبتُ منكم أن تقوموا بمهمّة تدريس الطلبة حتى تقبض أرواحكم.. فمهما كبر الطلبة وأصبحوا أساتذة كان يوصيهم الأستاذ بأن يبقوا طلبة دوماً ، وأحياناً كان يقول مداعباً الطلبة: إنّ الملائكة تقبض أرواح طلبة العلم بمناولتهم العسل والقشدة، ومن غير أن تولمهم ، حاثاً إياهم على أن يبقوا طلبة دائماً، ثم على أن يلازموا التعليم وتنظيم حلق الدرس طول حياتهم؛ حتى لا ينقطع حبل العلم والخير بحول الله تعالى. " (٢)

وقد أخبرنى الأستاذ يوسف الدمرداش - أحد تلاميذ الأستاذ المقيمى فى القاهرة - أنهم يختارون له بعض الشباب المتميزين من طلبة العلم أصحاب القابليات والحضور المعرفى ، من أبناء الدول التى يقيمون فيها ، فيرسلونه ليتلمذوا مباشرة على الأستاذ فتح الله كولن ، سألته : هل وقع اختياركم على أحد من مصر ، قال : نعم ، ومن أبناء الأزهر (٣) وأصبحت نشاطات الأستاذ كولن تتسم بـ"العالمية" فكان أن طوّر مع إخوانه من الدعوة إلى الحوار البنّاء ، وتبادل الثقافات .

١- المصدر : من لقاء الباحث مع أ. سنان يورولماز ، أ. عثمان أفتا ، من تلاميذ الأستاذ فتح الله كولن ، بالقاهرة ، مدينة نصر ، مركز الخدمات التعليمية ، أغسطس ٢٠١٤ م

٢- "أرباب المستوى : حضور معرفى فى فكر الأستاذ فتح الله كولن" ، د. محمد باباعمى ، ص٢٠، ط١ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٣ م

٣- من لقاء آخر للباحث مع أ. يوسف الدمرداش ، أحد تلاميذ الأستاذ فتح الله كولن ، بالقاهرة ، فبراير ٢٠١٥ م

---

المبحث الثانى

فتح الله كولن

من خلال مؤلفاته ونتاجه الفكرى

وفيه ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : مؤلفات الأستاذ فتح الله كولن

المطلب الثانى : فتح الله كولن ... أديباً وشاعراً

المطلب الثالث : المقدرة الخطابية لدى فتح الله كولن

# المطلب الأول

## مؤلفات الأستاذ فتح الله كولن

### أولاً : الكتب المترجمة إلى اللغة العربية

المترجم من كتب الأستاذ فتح الله كولن إلى العربية قليل بالنسبة لما ألفه ، فالكتب المترجمة قد لا تلبي سوى جزء يسير من أفق انتظار المثقف العربي ، لأن المترجم من فكر الأستاذ فتح الله كولن يجيب على جزء مهم من أسئلة القارئ العربي ، ولذلك فإن ترجمة كل تراث الأستاذ سيفتح آفاقاً أوسع يستفيد منها القارئ العربي بكل تأكيد .

### تصنيف مؤلفات الأستاذ فتح الله كولن :

يمكن تصنيف هذه الكتابات - ماتم ترجمته حتى الآن - من حيث الموضوعات التي تناولتها يأتي التصنيف على النحو التالي :-

#### ١- مؤلفات في " العقائد " : مثل

القدر في ضوء الكتاب والسنة

حقيقة الخلق ونظرية التطور

سلسلة أسئلة العصر المحيرة ( مترجم منها ثلاثة أجزاء )

#### ٢- مؤلفات في السيرة النبوية المطهرة : مثل

(كتاب النور الخالد محمد صلى الله عليه وسلم مفخرة الإنسانية) وهو في سبعة أجزاء جمعت أخيراً في مجلد واحد .

#### ٣- مؤلفات في التفسير : مثل :

كتاب " أضواء قرآنية في سماء الوجدان "

#### ٤- مؤلفات في الانبعاث الذاتي ونهضة المجتمع والأمة :

نحن نقيم صرح الروح

نحن نبني حضارتنا

الموازين أو أضواء على الطريق

طرق الإرشاد في الفكر والحياة

ترانيم روح وأشجان قلب

روح الجهاد وحقيقته في الاسلام

- من سلسلة " الجرّة المشروخة " الجزء الاول : "شدُّ الرّحال إلى غاية سامية " )  
الموشور )  
من البذرة إلى الثمرة ( تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة ) )  
الاستقامة في العمل والدعوة )  
لمسات في إصلاح المجتمع )  
جيلنا وإشكالاته العصرية )  
نفخة البعث )

#### ٥ - مؤلفات في التصوف والسلوك : مثل

- سلسلة " التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح " - الجزء الأول )  
القلوب الضارعة " أوراد وأدعية " )

#### ٦ - أشعار : ألوان وظلال في مرآة الوجدان

(وهي تأملات لتجليات أسماء الله وصفاته في مظاهر الكون والوجود)

### ثانيا : الكتب غير المترجمة إلى اللغة العربية :

#### ١-سلسلة " الجيل والعصر "

وهي سلسلة مقالات الأستاذ الافتتاحية في مجلة " سيزنتى " من عام ١٩٧٩م وحتى اليوم ( في تسعة أجزاء )

- |                                    |                             |
|------------------------------------|-----------------------------|
| -Ça ve Nesi                        | ) العصر والجيل .....        |
| Buhranlar Anaforunda               | ) الإنسان في دوامة الأزمات  |
| Yitiri Imis cennete Do ry.         | ) نحو الجنة المفقودة....    |
| Zamanin Altin Dil.                 | ) شريحة الزمن الذهبية...    |
| Günler Bahari Soluklar ken         | ) أيام تتنفس أنساماً ربيعية |
| Ye eren Düçünceler                 | ) أفكار في طور الاخضرار     |
| I i in Göründ ü üufuk              | ) أفق يلوح منه النور        |
| Örnekleri Kendinden Ben Birtareke. | ) حركة نماذجها من ذاتها.    |
| Sükutun Çı lıkları                 | ) دوي الصمت....             |



## ٢-سلسلة " الجرة المشروخة "

( وهى دروس الأستاذ المسائية في الولايات المتحدة الأمريكية مفرغة من التسجيلات ، فى اثنى عشر جزءاً )

Kırık Testi.	الجزء الأول: الجرة المشروخة...
Sohbet-i Canan	الجزء الثانى: صحبة الحبيب.....
Gurbet Ufukları	الجزء الثالث: آفاق الغربة...
Ümit Burcu.	الجزء الرابع: فانار الأمل....
kindi Ya murları.	الجزء الخامس: غيث الأصيل...
Ölümsüzlük ksiri.	الجزء السادس : إكسير الخلود....
Vuslat Mu tusu	الجزء السابع : بشرى الوصال..
Kalb bresi.	الجزء الثامن : بوصلة القلب....
Cemre Beklentisi.	الجزء التاسع: فى ارتقاب الجمرة....
Ya atma deali..	الجزء العاشر : رسالة الإحياء...
Yenilenme Cehdi....	الجزء الحادى عشر: السعى إلى تجديد النفس....

## ٣-سلسلة المنشور الضوئى

( مجموعة من دروس الأستاذ المسائية مفرغة فى ثمانية أجزاء )

Prizma-1.	الجزء الأول:المنشور الضوئى ....
Prizma-2	الجزء الثانى :المنشور الضوئى
Prizma-3	الجزء الثالث : المنشور الضوئى
Prizma-4	الجزء الرابع : المنشور الضوئى
Kendi klimimizi	الجزء الخامس : مناخنا نحن....
Yol Mülahazalar	الجزء السادس : ملاحظات على الدرب .....
Zihin Harmanı	الجزء السابع : بيدر الفكر.....
Çizgimizi Hecelerken.	الجزء الثامن :فى تهجى خط سيرنا.....

## ٤-سلسلة " التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح "

( فى أربعة أجزاء، تُرجم الأول ..وجارى ترجمة الأجزاء الثلاثة الأخرى )

## ٥-سلسلة الفصول.....Fasıldan Fasıla Serisi :

- 
- (من الدروس المسائية فى خمسة أجزاء )
- ٦- سلسلة تعليم العربية بطريقة حديثة... فى خمسة أجزاء
- ٧- ريشة العزف المكسورة.....Kırık Mızrap
- (ديوان شعري جمع فيه جملة ما كتبه الأستاذ من قصائد وأشعار )
- ٨- فى عالم القرآن الذهبى..... Kur'an'ın Altın kliminde
- ٩- عالمنا الفسيح..... Enginli iyle Bizim Dünyamız
- ١٠- دنياي الصغيرة..... Küçük Dünyam
- ١١- البعد الميتافيزيقي للوجود..... Varlı ın Metafizik<sup>(١)</sup>

---

١- قائمة الكتب غير المترجمة نقلا عن :قصة حياة ومسيرة فكر ، أرطغول حكمة ، ص ١٣١ :١٣٥ ، وكتاب أرياب  
المستوى ، د. محمد بابا عمى ، ص ٢٣٧

## المطلب الثاني

### فتح الله كولن ... أديباً وشاعراً

الحس الشعري والأدبي المرهف يطفو عفويا من قلم الأستاذ وهو يعالج قضايا إيمانية غاية في الأهمية . . فهو لا يقصد في كتاباته إلى الأدب في صورته المباشرة لكن كتاباته المختلفة ، ذات الموضوعات المتعددة تحتوى على الكثير من التعابير الأدبية .

#### أولاً : كولن .. أديباً

##### ل مفهوم (الأدب ) عند فتح الله كولن :

وللأدب عند فتح الله كولن تعريفٌ خاص ، يتجاوز فيه زخرفة الألفاظ ، وتحسين الكلمات بالمحسنات المختلفة إلى المعاني الحيّة ، فيصير الأدب عنده لوناً من الفكر الراقى الذى يرتفع بفكر الإنسان وروحه .

يقول الأستاذ: " الأدب هو اللغة البليغة للبنية الروحية والفكرية للأمة، ودرجة نضجها، والأفراد الذين لا يمتلكون البنية الروحية نفسها والنظام الفكري نفسه ، ولا يشتركون في درجة النضج ، يستحيل على مثل هؤلاء الأفراد التفاهم فيما بينهم حتى وإن كانوا منتسبين إلى الأمة نفسها." (١)

فالأدب عنده هو اللغة المشتركة بين أفراد الأمة حال نضجها واستقامتها ، وهو ليس مقصوداً لذاته ، بل هو وسيلة لتقديم الأفكار والمبادئ السامية فى ثوبٍ جديد .

يقول كولن : " يجب تقديم الأفكار والمبادئ السامية بأسلوبٍ بليغ له قدرة النفوذ إلى الأذهان، وتحريك القلوب ، وإلا فإن الكثير من هوة الزينة والزخرف في الكلام لن يلتفت إلى جواهر المعاني العميقة إن قُدِّمت لهم في ثياب مهلهلة . " (٢)

وهو هنا يشير إلى قضيةٍ دعوية فى المقام الأول ، وهى قضية أسلوب العرض وطريقة الأداء عند الدعاة وأرباب الإصلاح ، فليس المهم فقط أن تحمل قضية عادلة ، ولكن من المهم أيضاً ان تُحسن عرض هذه القضية وأن تُظهرها للناس فى أجمل الثياب وأبهى الحُلل .

وفى الوقت ذاته لاينبغى أن تشغل الداعية زخرفة الألفاظ وتنسيقها عن الهدف من ورائها ، فالكلمات - مهما كانت بلاغتها وروعيتها - إنما هى وعاء المعنى .

١- الموازين أو أضواء على الطريق ، فتح الله كولن ص ١١٤ ، ط ٥ ، دار النيل ٢٠١٠م

٢- المرجع السابق ، ص ١١٥

ويوضح الأستاذ كولن هذا المعنى قائلاً : " يجب أن يكون كلُّ كلام مستعمل في شرح المقاصد أو توضيح المعاني سواءً أكان نثرًا أم نظمًا - ظرفاً لهذه المعاني ومحفوظة لها - وألاً يقوم بإلقاء أي ظل عليها، فإن قامت هذه المحفوظة - حتى وإن كانت من الزبرجد واللؤلؤ - بإلقاء ظل على هدف الكلام وغايته ومقصده، فقد الكلام تأثيره وقوته، وكان قصير العمر . " (١)

والأديب عند كولن فنانٌ باحثٌ عن نفسه ، فمن عرف نفسه بحق عرف ربه ، فمن أراد أن يبحث عن العظماء في الأدب والفن فسيجدهم بين هؤلاء الذين عرفوا الله حق المعرفة فذ: " الأديب مثل الفنان ، يبحث دوماً في ألوان الكون وخطوطه وأشكاله عن نفسه ، وفي اللحظة التي يجد فيها ما يبحث عنه ويعبر عنه يكسر قلمه، ويرمي بفرشاته ، ويغيب بذهولٍ عن نفسه ، لذا فمن أراد أن يبحث عن العظماء في الفن وفي الفكر ، فليبحث عنهم بين المفكرين المؤمنين بالحق تعالى . " (٢)

وانطلاقاً من هذا المعنى العميق للأدب والأديب يمكننا فهم طبيعة ما يكتبه الأستاذ فتح الله كولن ، ولعلَّ أول ما تلمحه من هذا هو العناوين التي اختارها لمؤلفاته : التلال الزمردية ، ، وصرح الروح، والترانيم، والنور الخالد...

والقارئ لكتابات الأستاذ يلحظ بما لا يدع مجالاً للشك هذه الروح الأدبية الراقية التي تنطلق من فكرٍ سامٍ وروحٍ متأقفة .

وحين نريد أن نورد نماذج على الجوانب الأدبية في كتاباته فقد تضطرنا الأمانة العلمية أن ننقل مقالاتٍ كاملةً للتدليل على ذلك !!

ولسنا في حاجةٍ ملحةٍ للإحاطة باللغة التركية اللغة الأصلية التي يكتب بها الأستاذ ، إذ العبرةُ بالمعنى المنفرد ، والمغزى العميق .

من أجل هذا فقد اخترتُ معيارين نستطيع بهما أن نقيس الأسلوب الأدبي وإن اختلفت اللغات :-

### الأول : الصور المجازية

### الثاني : الحكم أو العبارات الموجزة عميقة المعنى

وقد اعتبر الباحث الجزائري د. محمد باباعمي في كتابه " البراديم كولن" أن هذين الأسلوبين ، من الأمور التي تمثل حداثاً فاصلاً يميز فكر الأستاذ كولن وكتاباته . (٣)

١- الموازين أو أضواء على الطريق ، فتح الله كولن ، ص ١١٦

٢- المرجع السابق ، ص ١١٧

٣- البراديم كولن : فتح الله كولن ومشروع الخدمة على ضوء نموذج الرشد ، د. محمد باباعمي ، ط ١ ، دار النيل، القاهرة ٢٠١١م ، و مصطلح " البراديم " Paradigm يمكن ترجمته بأنه (النموذج الفكري) أو (النموذج الإدراكي) ،

## الأول : الصور المجازية

وهي من أصدق الملامح إلى الرؤية الكامنة في ذهنية الكاتب ، ومن أحسن الوسائل للولوج إلى عمقه وبخاصة عندما يكون المؤلف لهذه الصور واعيا بها وعيا تاما، دقيقا في توظيفها دقة بالغة نابغة من ذاته لا من محفوظاته ، ونحسب كولن من هذا الصنف، وهو الأديب المفكر، والعالم العامل .

ومن هذه الصور المجازية التي ترد في كتابات الأستاذ كولن ، مايمكن أن نسميه " النموذج الهندسي في بناء الأهداف السامية "... يقول الأستاذ :

" ينبغي أن يكون الهدف السامي، الذي يلهب الحماس في صدور الناس ويدفعهم إلى التحرك، هدفا منضبطا بضوابط معينة، ومرتبطا بنظام معين ، فإن كنت مهندسا، فعليك أن تُعدَّ العدة قبل البدء بإنشاء صرح، فتتفحص متانة عناصره وسلامتها، وانسجام آحادها فيما بينها ومشاركتها في جماله ومظهره ، وهل يتحقق الكمال من غير توافر التوافق والمواعمة والانسجام في الأجزاء كلها؟

إنَّ الهمم والحملات الفردية ، إن لم تتضبط بالحركة المشتركة ولم تنظَّم تنظيمًا حسنا، ستؤدي إلى تصادم بين الأفراد لا محالة... فيختلُّ النظام، وتتهض كلُّ حملة في عكس اتجاه حركة أخرى، وتُنقص كلُّ عملية من قيمة الناتج حتى يقرب من الصفر، كما في حاصل الضرب لكسور الأرقام ببعضها في الحساب. " (١)

فالهدف لا يتحقق إلا بالانسجام التام والتكامل بين عناصره المختلفة ، تماما كالبناء الذي يشد بعضه بعضا ، كما أن الهدف السامي لا بد أن يحتوى على عنصر الجمال في المظهر كما يحتوى على التناسق بين أجزائه في الجوهر .

وفي موضع آخر يصور لنا كيف أن العمل بمفرده بعيدا عن الإطار الجماعي قد يكون صالحا ، لكن في غياب التناسق والتناغم وتتعارض الأعمال فيلغى بعضها بعضاً ، ويؤدي هذا التعارض إلى تساقط الأعمال في الطريق .

ويصور لهذا المعنى بـ"نموذج أفراد النمل " فيقول : " وأحيانا قد تُبِيد الأعمال بعضها بعضاً بـ"التعارض" و"التساقط"، وإن كان كل عمل من هذه الأعمال بمفرده خيرا وصالحا؛ فعندما يحاول أفراد النمل أن تنقل مادة إلى خليتها، فتتشوش بموجات الحس المؤقت أو باختلاف الأهداف في

---

والكاتب يعنى به هنا : الحد الفاصل بين المشروع الفكري والحضارى للأستاذ كولن وغيره من المشاريع .( المصدر : مقدمة الكتاب المذكور ، ص ٦ )

برنامجها الانسيابي المشترك، يَسحبُ بعضها المادة إلى جهة وبعضها إلى جهة أخرى... فتبدد طاقتها كلها ثم لا تتقدم إلى الهدف ، كذلك المجتمعات التي لا توجد لها أهداف سامية ومثل عليا، أو وُجِدَت ولم تمتلك معها جاهزية ذهنية تناسبهما ، تجدها تتحرك باستمرار، لكنها لا تقطع شوطا . (١)

ومن التعبيرات المجازية الرائعة التي نحتها الأستاذ من معطيات القرآن الكريم ، فأضحت معبرةً عن فكره ورسالته .

( وارثو الأرض ) ، ( مهندسو الروح ) ، ( إنسان الفكر والحركة ) ، ( أجيال الأمل ) ، ( بطل القلب والروح ) ، ( الأجيال المثالية ) ، ( عِقة الفكر ) ، ( سلطنة القلوب ) ، ( حضارتنا الذاتية ) ، ( بوصلة النيّة ) ، ( فدائيو المحبة ) .

### الثنائي : (الحكم) أو العبارات الموجزة ذات المعنى العميق

وهذا نوعٌ من الأدب الخاص الذي اشتهر به بعض المفكرين والعلماء ، وتكمن أهمية هذا اللون من الأدب في أنه يُعد خلاصة تجارب هؤلاء المفكرين ...

من أشهر هؤلاء قديماً الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه "الفوائد" ، والإمام ابن الجوزي في كتابه "صيد الخاطر" ، وكذلك ابن عطاء الله السكندري في حكمه المسماة "الحكم العطائية" ، وحديثاً نذكر الدكتور مصطفى السباعي في كتابه " هكذا علمتني الحياة " ... وغيره من المفكرين . (٢)

١- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ، ص ٢٥

٢- الإمام ابن قيم الجوزية : ( ٦٩١ - ٧٥١ هـ )، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، كان والده قيماً على المدرسة الجوزية بدمشق ، العلامة المجتهد ، المصنف المشهور ، سمع من ابن تيمية ولازمه قرابة ١٦ عاماً، وأخذ الفرائض عن أبيه ، وبرع في جميع العلوم ، وفاق الأقران وتبحر في مذاهب السلف ، وغلب عليه حبُّ ابن تيمية ، وسجن في قلعة دمشق في أيام سجن ابن تيمية وخرج بعد أن توفي شيخه . ( المصدر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الشوكاني ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، دار المعرفة ، بيروت )

الإمام ابن الجوزي : ( ٥١٠ - ٥٩٧ هـ ) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن القرشي الفقيه الحنبلي الحافظ المفسر الواعظ المؤرخ الأديب ، ولد وتوفي في بغداد ، وقد مات والده وهو ابن ثلاث سنين ، حظي بشهرة واسعة، ومكانة كبيرة في الخطابة والوعظ والتصنيف، كما برز في كثير من العلوم والفنون ، عرف بابن الجوزي لشجرة جوز كانت في داره بواسطة (المصدر : مشيخة ابن الجوزي ، تحقيق محمد محفوظ ، ص ٥ ، ٦ ، ط ٣ دار الغرب الإسلامي ، ٢٠٠٦ م )

الإمام ابن عطاء الله السكندري : ( ٦٥٨ - ٧٠٩ هـ ) هو تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم فقيه مالكي من أهل السلوك والتصوف ، وكان لوعظه تأثير في القلوب، وكان له معرفة تامة بكلام أهل الحقائق وأرباب الطريق، وله ذوق ومعرفة بكلام الصوفية وآثار السلف. ( المصدر : إيقاظ الهمم بشرح الحكم ، ابن عجيبة ، ص ٢٩ بتصرف )

يقول الشيخ محمد الغزالي في تحقيقه لـ : صيد الخاطر : " هذا الكتاب طرازٌ فريدٌ في الأدب الديني ، ذلك أنه بحثٌ نفسى يتَّسمُ بصدق الفكرة وحسن البيان ويستعرض من قضايا السلوك الإنسان، والتأمل الوجداني مالاتبلى جدته أو ينتهى أمده . " (١)

ويوضح الغزالي أن الداعية الملتحم بالجماهير حين يتناول هذا اللون من الأدب فإن تشخيصه للعِلل ، ووصفه للدواء يكون أعمق وأبلغ يقول : " ثم إن ابن الجوزى اشتغل طول عمره بعلاج الجماهير، فلم يكن الرجلُ أديباً مترفاً يحبرُ المقالات في بيته ، بل كان فارساً معلماً يقتحم كل ميدان . " (٢)

ولذلك اعتبرت هذه المقولات الموجزة وسيلة جيدة لمعرفة حقيقة الفناعات والرؤى الكلية التي يطرحها المفكر أو الداعية أو الأديب .

وبالنسبة للأستاذ كولن فقد استصحب هذا النوع من الأدب منذ بدايات مسيرته في السبعينيات، وهو في الثلاثينيات من عمره .

: " ذلك أنه كان يودعها دفاتر خاصة إلى أن شاء الله تعالى إصدار مجلة "الرشحة"، فصار يُخرجها جوهرةً جوهرةً ، ثم جمعت وأودعت كتاب "الموازن أو أضواء على الطريق" والعنوان دالٌّ على الغرض والمطلوب . " (٣)

ونعرض - هنا - طرفاً من هذه المقولات التي تحتاج شرحاً مفصلاً ، وقد تحتاج إلى مقالٍ أو كتابٍ لشرح الفكرة وعرضها ، فهو - مثلاً - حين أراد أن يتعرض للحديث عن الحضارة ومكوناتها وعناصرها ، تراه يقول :-

" أهمُّ أركان الحضارة: الإنسان المؤهل، وأقوى أسسها الحيوية : دولة حرة وأثمن رؤوس أموالها : الزمن " (٤)

ترى كم مقالاً فكرياً نحتاج إليه لشرح " مكونات الحضارة " كما ذكرها الأستاذ فتح الله في هذه العبارة الموجزة والعميقة ؟

---

د، مصطفى السباعي : (١٩١٥-١٩٦٤م) ، عالم ومفكر وأديب سورى ، درس في الأزهر ، وعمل عميداً لكلية الشريعة بدمشق ، واشتغل بالصحافة والعمل السياسى ( المصدر ، هكذا علمتلى الحياة ، د.مصطفى السباعى ، ص ٤ ، المكتب الإسلامى ، بيروت ١٩٩٧م )

١- صيد الخاطر ، بتحقيق محمد الغزالي ، ص ٣ ، طبعة نهضة مصر ، ٢٠١٠م

٢- المرجع السابق ، ص ٥

٣- البراديم كولن : فتح الله كولن ومشروع الخدمة على ضوء نموذج الرشد ، د. محمد باباعمى ، ص ٣٤

٤- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ١٨

وحيث يعرض العلاقة بين الإسلام كدين وعقيدة ، وبين المسلم الذي يدين بهذا الدين ويؤمن بهذه العقيدة ، وما الذي يحتاجه هذا المسلم حتى يتمثل هذا الدين في حياته ؟ يقول : " لا حاجة إلى تلقين المسلم فهماً جديداً للإسلام ، ولا إلى إعادة تعليم الإسلام للمسلمين من جديد ، وإنما المطلوب العمل على تفهيم المسلم الأهمية الحيوية لما يعرفه عن الإسلام فعلاً ، وقوة تأثيره ، وديمومته الأبدية " (١)

فالمسلم اليوم يعرف من الإسلام ما يمكنه من إقامة شعائر دينه ، بل ويحفظ كثير من المسلمين نصوص القرآن والسنة ، دون أن يكون لهم أثر فاعل في حياتهم ، ذلك أننا - في الغالب - لاندرک قيمة ما نحمله وحيويته وفاعليته .

ويقول متحدثاً عن حتمية انتصار قيم الخير والجمال والفضيلة دائماً في نهاية المطاف ، مهما كانت العوائق ، ومهما فشا الباطل وانتشى ، ومهما استضعف الدعاة إلى الخير والحق : "الخير والجمال والصدق هو خميرة الفضيلة في الدنيا ومهما يكن من أمر فإن الدنيا متجهة لا محالة إن عاجلاً أو آجلاً نحو هذا الخط ، ولن يكون باستطاعة أحد منع أو إعاقة هذا الأمر." (٢)

ويتحدث عن أن الوسيلة الباطلة والنظم الكاذبة مآلها الانهيار والزوال - لامحالة - فيقول : "النظم القائمة على الكذب مصيرها الانهيار على رؤوس مؤسسيها والزوال ولو بعد حين ، ثم لا يبقى منها سوى ذكريات أليمة وسوى حسرات." (٣)

ويتحدث عن ماسمائه " التوتّر المفقود " اللازم لنجاح وبقاء الأعمال العظيمة : "كلُّ نجاح هو نتيجة لمعاناة وتوتر وتعبئة سابقة ، وهو بداية وسبب لنجاح تالٍ ، ولكن بشرط ألا يرتخي الواصلون إلى الفوز و ألا يسكرهم النجاح فيكسلوا" (٤)

وهذه طائفة من الحكم التي سطرها الشيخ فتح الله ، نوردها دون تعليق :

ل) لا تصرف جهدك في تعريف نفسك ... دع تصرفاتك هي التي تعرفك.

ل) حتى وإن كان الحق سيفاً منقضاً على رأسك ، فلا تتردد في مد عنقك تحته.

ل) أفضل إكسير لإزالة صدام الأفكار هو المشورة.

ل) عليك أن تبذر ثم تمضي في طريقك ، ولا يهتك من سيحصد.

ل) الإسراع في معونة الآخرين ، أفضل دعوة موجهة للعناية الإلهية.

١- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ٣٨

٢- الموازين أو أضواء على الطريق ، ص ١٠٦

٣- المرجع السابق ، ص ١٠٨

٤- المرجع السابق ، ص ١١٣



قلب الأحمق على طرف لسانه ، أما لسان العاقل ففي أغوار صدره.  
هناك إنسان ينحت الزمن لحسابه. وهناك إنسان ينحته الزمن طوال عمره.  
عندما تتوقف الخدمات الإيمانية تبدأ البلايا بالقدوم.  
سلوك رجل الدعوة ثابت لا يتغير سواءً أكان منتصراً أم مغلوباً.  
الفلسفة التي لا تستند إلى الإلهامات الإلهية فكر زائف.  
الدعاء سحر يمنح الإرادة جناحين ، ولا يفهم سر هذه القوة إلا المداومون  
على الدعاء. (١)

وقد عقّد الدكتور عبد الحليم عويس - رحمه الله - فصلاً في المقارنة بين هذه المقولات وبين حكم  
" ابن حزم " الأندلسي (٢)

وعلى الرغم من أن بين عصر ابن حزم الأندلسي وعصر فتح الله كولن نحو عشرة قرون ، إلا أن  
د.عويس يرى أن : " كليهما قد عاش الهمّ الإسلامي، وحاول بعث الأمة.، وكانت النتيجة (الآنيّة)  
مؤلمة لابن حزم في زمانه الذي عاشه، ثم كانت آثاره عظيمة مؤثرة في العالم الإسلامي بعد موته  
أما الشيخ كولن فكانت النتيجة ممزوجة بالألم في بدايتها، ثم كانت طيبة في بقية حياته ، وفي  
العصور التالية بإذن الله. " (٣)

وحكم ابن حزم هي : " رسالته الصغيرة التي كتبها عندما يئس من إصلاح الأحوال في عصر  
الطوائف (٤٢٢-٤٧٨هـ) فذهب إلى قريته وكتب رسالته "رسالة في مداوة النفوس" وتُسمّى باسم  
"رسالة في الأخلاق والسير". (٤)

١- متفرقات مختارة من كتاب : الموازين أو أضواء على الطريق

٢- هو : أبو محمد علي بن حزم الأندلسي (٣٨٤ - ٤٥٦هـ) ، يعد من أكبر علماء الأندلس ومن أكثر علماء الإسلام  
تصنيفاً وتأليفاً وهو أديب، وشاعر، كما أنه إمام حافظ ومتكلم وفقه على المذهب الظاهري .

٣- فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة ، د. عبد الحليم عويس ، ص ٢١٥

٤- مقدمة كتاب "ابن حزم وجهوده في البحث التاريخي والحضاري" ، د. عبد الحليم عويس ط ١ : دار الصحوة ،

## ثانياً : كولن ... شاعراً

على الرغم من أن المشتغلين بالفكر والعلم - فى الغالب - لا يُحسنون نظم الشعر وإن أُعجبوا به او استشهدوا بأبياته .

ألا أننا نرى الإمام الشافعى - رضى الله عنه - وهو صاحب أحد المذاهب الأربعة الأكثر انتشاراً فى العالم الإسلامى، قد قال الشعر ونظمه ، إلا أن كونه عالماً فقيهاً جعله يُقدّم داعى العقل (العلم) على داعى الفن ( الشعر ) فقال :

ولولا الشعرُ بالعلماء يُزرى  
لكنتُ اليوم أشعر من لبيد (١)

وفى عصرنا الحالى هناك عددٌ من أبرز علمائنا الاجلاء كانوا شعراء ولبعضهم دواوين مطبوعة وإن لم تتل شهرة نتاجهم العلمى والفكرى .

من أبرز هؤلاء الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى، وفضيلة الشيخ محمد الغزالى - رحمهما الله - (٢) وغيرهم من العلماء الذين عالجوا الشعر وقرضوه .

### مفهوم الشعر عند كولن

" الشعر " عند الكثيرين هو هذا الكلام الموزون المقفى الذى تتعدد أغراضه ما بين مدح وهجاء ، ووصف ورتاء ، إلى غير ذلك من الأغراض . فما مفهوم الشعر عند الأستاذ فتح الله كولن ؟؟  
الشعر عند الأستاذ كولن هو لونٌ من الفلسفة ، والبحث فيما وراء هذا العالم ، وبهذا فالشاعر باحثٌ عن الحقيقة ، سائرٌ على دربها ، وشعره هو لسان حاله ، وتعبيرٌ صادقٌ عما يدور فى وجدانه من انفعالات روحية ، وحالات وجدانية .

يقول الأستاذ : " الشعر هو بذل الجهد فى محاولات البحث فيما وراء هذا العالم . وتختلف أصوات ونفحات الشعر حسب حالات الشاعر وحسب العمق النفسى له فتكون أحياناً مثل شلالٍ هادر، وتكون أحياناً أرق من ورق الورد ، لذا فكل كلمة للشعر وكل صوت لا يمكن فهمه بحق إلا بعد فهم ومعرفة الحالة الروحية التى فجّرت ذلك الشعر . " (٣)

١- من مقدمة ديوان الإمام الشافعى ، ص ٥

٢- لفضيلة الشيخ الشعراوى ( ١٩١١ - ١٩٩٨ م ) ، ديوان شعر ، جمعت فيه أشعاره ، وطبعته الهيئة المصرية للكتاب ، بعنوان : " ديوان الإمام الشعراوى " ٢٠٠٩ م ، ولفضيلة الشيخ الغزالى ( ١٩١٧ - ١٩٩٦ م ) . ديوان شعر مطبوع ، بعنوان "الحياة الأولى " ، تحقيق د. مصطفى الشكعة ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٨م

٣- الموازين أو أضواء على الطريق ، ص ١١٨

فالشعر - عنده - ليس مجرد أقوالٌ موزونة تتحكم فيها قواعد العروض ، ونغمات البحور ، يقول :  
" من الخطأ أن نفهم الشعر أنه كلام موزون فحسب ، فكم من نثرٍ يُعدُّ شعراً في القمة بما يملكه  
من جاذبية للروح ومن مضمون ومن تعبير يثير الإعجاب والذهول في القلوب. " (١)  
ولا قيمة للشعر - عنده - إن لم يكن تعبيراً صادقاً عن العالم الداخلي للشاعر ، وإن لم يكن له  
معنى ( إلهياً ) ، فيصير بهذا المعنى كأنه مناجاة خالصة.  
يقول : " الأشعار كالأدعية ، تعبر عن العالم الداخلي للإنسان ويكل ما يموج فيه من شوق وحن  
ومد وجزر ، وينسب امتزاج الفرد بالحقيقة العليا يصبح الشعر أنفاساً لاهوتية . والحقيقة أن كل  
مناجاة شعر ، وكل شعر مناجاة وذلك بشرط أن يعرف الشعر كيف يفتح أشعرته نحو اللانهاية " (٢)  
وفى ضوء هذه النظرة ، ومن خلال هذا المفهوم يمكننا أن نقرأ شعر الأستاذ فتح الله كولن ، وأن  
نحسن فهمه والإفادة منه .

### ر شعر " فتح الله كولن "

للأستاذ فتح الله كولن مجموعة من الأشعار بعضها تُرجم إلى العربية في كتاب مطبوع وهو  
ديوان " ألوان وظلال ..."  
ومنها ما تُرجم بعضه ونُشرت ترجمته على موقع مجلة حراء ، وموقع الأستاذ كولن وهو ديوان "  
ريشة المعزف المكسور " ، وقد قام بالترجمة لأشعاره الأستاذ : أديب إبراهيم الدباغ .  
ولاشك أن للترجمة إلى العربية دورٌ كبير في صياغة النص الأدبي عموماً والشعر على وجه  
الخصوص ، وقد تكون الترجمة أحد وسائل انتشار النص بين قراء العربية ...  
ف: " لكل لغة جو خاص ، ونفسية خاصة ، ومنهج تفكير ، وأسلوب تعبير ، وتشبيهات ومجازات  
تتعلق ببيئتها ومجتمعها وتاريخها ومزاجها ، فإذا تُرجمت حرفياً فقدت جمالها ومعناها ، ولم تؤدِّ  
رسالتها . " (٣) ولنبدأ بالنقاط صورٍ شعرية من "ألوان وظلال "

١- الموازين أو أضواء على الطريق ، ص ١١٩

٢- المرجع السابق ، ص ١٢٠

٣- روائع إقبال : أبو الحسن الندوى ، ص: ١٦ ، ط١ ، دار وحى القلم ، بيروت ٢٠١٤ م ، ومن الجدير بالذكر أن  
كتاب " روائع إقبال " جاء ترجمة نثرية لشعر محمد إقبال من الفارسية - اللغة الأصلية لشعر إقبال - إلى العربية ، حين  
رأى الأستاذ أبو الحسن الندوى أن ترجمة شعر إقبال إلى العربية في قالب شعري - والتي قام بترجمتها د. عبد الوهاب عزام  
، والشيخ الصاوي شعلان - ، لم تُبرز كل محاسن شعر إقبال في لغته الأصلية ، وليس هذا قصوراً من المترجم بقدر ما  
كان بسبب قيود الوزن والقافية ، لذلك اختار الندوى - وهو متقن للفارسية والعربية كليهما - النثر ليكون أدواته في ترجمة

القلم والسيوف: فعن السلم والحرب، يقول كولن، مخاطبا السيوف المشهّرات ، بل كلّ سيوف العالم ، وكلّ آلات الحرب والدمار:

"متى يا سيوف أقلاما تُعوّدين؟!  
متى يا دماءُ على الأرض تجفّين؟!  
والسيوفُ إن عاد قلمٌ، . . مسح الألم، . . . وهتك الظلم والظلم،  
وعالج الداء، . . . وجاء بالدواء...  
فمداد الأقلام في عقول الأجيال،

أوقع اليوم، . . من سيفٍ كرّار، . . ودمٍ هدّار،

وهو في الميزان كنجيع الشهداء في الميدان . " (١)

والأستاذ فتح الله بهذه العبارات الشعرية يعبر عن نزعة السلم ونداء السلام الذي هو أحد سمات تجربته الدعوية ومشروعه الحضاري - كما سيأتي بيانه - .

"لكنّه ليس سلما ادعائيا، ولا هو سلم الشعارات ، وإنما هو سلم مرده إلى العلم، وإلى "اقرأ"، أي إلى القلم الذي يكتب باسم ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(٢)</sup>؛ وكلُّ سلم دون هذا هو ردٌّ وهراء. " (٣)

الإنسان: وللإنسان في فكر كولن محورية كبيرة ، وفي الحديث عن عوامل النهضة في تجربة كولن ، في الفصول القادمة سنرى كيف أن تجربة كولن تنطلق من تغيير الإنسان نحو تغيير المجتمع ، ولا يكون هذا إلا بمعرفة الإنسان لذاته ، وفي محاوره شعرية بعنوان "أيها الإنسان" ، يبين معالم فهم حقيقة الإنسان في فكر الأستاذ كولن :

"أيها الإنسان، . . امتدّ واتسع،

كن كونيّ الزمان، . . . كونيّ المكان،

لتعرف سعة الحقّ، . . . وتؤمن بعظمة الربّ... وإلّا أخذك التيه،

واحتواك المجهول، . . . وخبلت الحيرة عقلك، . . . وضيعت رشذك " (٤)

---

شعر إقبال ، وتقديمه إلى قراء العربية ولذا فإن أ. أديب إبراهيم الدباغ ، حين نقل شعر كولن إلى العربية ، ترجمه شعرا أقرب إلى النثر ، حيث لم يتقيد بقيود الأوزان والقوافي .

١- ألوان وظلال، فتح الله كولن ، ترجمة : اديب الدباغ ، ص ١٨، ط ١ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٣م

٢- سورة العلق ، الآيتان : ٤-٥

٣-البراديم كولن: فتح الله كولن ومشروع الخدمة ، د. محمد باباعمي ، ص ٣٨

٤- ألوان وظلال، فتح الله كولن ، ص ٨٣

ولعلَّ شعر الأستاذ ورؤيته الفنية جديرةً بأن يُفردَ لها بحثٌ مستقل ، وليس هذاغرض هذا البحث ، ولا إليه القصد ، وإنما الهدف - هنا - أن أشير إلى مكان الشعر ومكانته في هذه التجربة الثرية . وأختم بأبيات ، هي فيض مناجاة ، وعنوان انكسار بين يدي الله- سبحانه وتعالى - ، وهي من قصيدة مطوّلة ، أقتطف منها أبياتا . يقول تحت عنوان " راجعُ أنا ... :  
آتِ أَنَا ... من وراء حُجْبِ القُطَيْعَةِ قَدِمْتُ ... عبدًا أَبَقًا لك رجعت ...  
شفيعي إليك ... عبوديتي لك ...

\*\*\*

أحملُ ذُلِّي ومسكنتي... أتعثّرُ بذنبي... وعلى ظهري أثقال همي !..  
أسقط مرةً وأنهضُ أخرى ...  
ولكني أحتُ الخُطَى... وأتابع المسير... أقطع المسافات... وأتجاوز العقبات...  
ولإني لبابك أسير... فتعبني في رוחي راحة... ومرارة الطريق في فمي حلاوة ...  
سيدي... قارع بابك لا يُصدُّ... وطالب رحمتك لا يُردُّ ...  
فافتح سيدي... وخذ بيدي !..

\*\*\*

روحي ألم... وقلبي شجن ...  
مكبل اليدين... معصوب العينين... مشلول الرجلين ...  
تعطفُ عليّ... تحنُّ على عبدك... اكسر قيدي... أطلق يدي... وأزح عصابة عيني ...  
تكرم عليّ... تلطف بي ...  
بالباب واقف... افتح لي... فقد هدّني الانتظار... وأنحني طول السُّهاد!..<sup>(1)</sup>

### المطلب الثالث

## المقدرة الخطابية عند فتح الله كولن

الخطابة <sup>(1)</sup> المؤثرة هي إحدى أهم فنون القول ، وكذلك هي أشهر الوسائل الدعوية التي لم تفقد بريقها عبر التاريخ ، والخطيب حين يكون صاحب رسالة تكون خطبه ومواعظه خُطَطاًعملية تستقبلها الجماهير راضية .

وفرق بين الداعية والخطيب ، الداعية صاحب رسالة ، يحمل همَّها في كل حين ، ومن أدواته التي يستخدمها لتبليغ دعوته : الخطابة .

ف : " الداعية ليس مجرد خطيب ، الخطيب خطيبٌ وكفى ، أما الداعية فرجلٌ مؤمن بفكرة يدعو إليها بالخطابة والمحاضرة والحديث العادي والعمل الجدى في سيرته الخاصة والعامة ، وبكل مايسطيع من وسائل الداعية ، فهو كاتبٌ وخطيبٌ ومحدِّثٌ وقُدوة ، يؤثر في الناس بعمله وشخصه . " (٢)

ولدينا الكثير من الأمثلة كان الخطباء فيها دعاةً عاملون ، وعلماءٌ مجتهدون ، أنشأوا بخطبهم المؤثرة مدارس فكرية عامرة .

وكيف يمكننا ونحن نبحث في تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية أن نغفل أسلوبه الخطابى المؤثر ، وحضوره الفريد فى دروسه ومواظمه ، وهو لم يفعل - فى بداياته - إلا الوعظ والإرشاد !! بهذا عرفه الناس ، ولهذا أحبوه .؟؟

إن فهم التجربة الدعوية للشيخ فتح الله كولن والحركة التى تولدت من ثنائيا هذا التجربة مرتبطٌ بإدراك مفهوم ثقافة "الصحبة" ( الدروس الدعوية ) ، وقد كانت خطبه ودروسه ومواظمه هى وسيلته الأولى ، لإثارة مشاعر الجماهير فيما يخدم المجتمع والدين ، وأظهر بقابليته الفذة فى الخطابة ، مدى فاعلية " الكلمة " وتأثيرها : " فالعديد من الناس ( فى تركيا ) لم يكونوا يعرفون عنه سوى أنه خطيب مفوّه ولسنوات طويلة ظلت جوانبه المعرفية الأخرى مغمورة فى ظل هذه القدرة الفذة على الخطابة . " (٣)

## ج قوة الكلمات

هل ماتزال الكلمات - مسموعةً أو مقروءةً - تؤثر فى الناس ؟ هل لاتزال لديها نفس القدرة على تغيير الأمم والمجتمعات ؟؟ أم أن هذا أمرٌ تجاوزه الزمن ؟  
هل الإنسان المعاصر مع تقدم وسائل الاتصالات ، وتعقيد الحياة ، وتشابك المعلومات ، وتعدد وسائل وأدوات الحصول عليها ، لاتزال الكلمات قادرة على زلزلة كيانه ، وتوجيه حياته ؟؟

١ - الخطابة هى : فن مخاطبة الجماهير بطريقة إقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة ( المصدر : الخطابة وإعداد

الخطيب ، أ. د عبد الجليل عبده شلبي ، ص ١٣ ، ط ١ ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨١ م )

٢- تذكرة الدعاة، البهى الخولى ، ص ٦ ، ط ١ ، دارالتراث ، القاهرة ١٩٨٨م

٣- فتح الله كولن : جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية ، محمد أنس أركنة ص:٣٦

نعم . . ف : " فى عالمٍ لم يعد يؤمن بالمعجزات ، لاتزال الكلمات قادرةً على صنع المعجزات ، ألم يختر الله - سبحانه- " الكلمة " لتكون وعاء المعجزة الأخيرة للرسالة الخاتمة ، ألا يحوى هذا دلالة عميقة على " قوة الكلمات " ! ، نعم ... ليست الكلمات - وحدها - كفيلاً بإحداث التغيير لكن الكلمات تقدح شرارةً ما ، هذه الشرارة يمكن له أن تُخمد ، ويمكن أن تصير ناراً تحرق مايجب أن يُحرق من عالمٍ قديمٍ متداعٍ يسمونه أحياناً " عالم الواقع " ... أو أن تصير الشرارة نورا يضىء الدرب إلى عالم تتواعم فيه الحقيقة مع الواقع ... ليست بالكلمات وحدها بالتأكيد ... لكن الكلمات عنصرٌ أكيد من معادلة معجزة التغيير " (١)

فقد انطلق فتح الله كولن من منصة الوعظ ومنبر الخطابة ليحدث هذا التغيير الهائل ويبنى هذه المؤسسات العملاقة ، ليس بشئ يمتلكه إلا " قوة الكلمات " !!  
" وهناك الشئ الكثير الذى يمكن أن يُذكر حول قابلية الخطابة لدى الاستاذ فتح الله كولن ، ولكن نستطيع أن نقول باختصار بأن " قوة الكلمة " التى همدت منذ زمن ونامت قد استيقظت بفضل أسلوبه الحماسى وطابع إخلاصه " (٢)

### ل سمات المقدرة الخطابية عند الأستاذ فتح الله كولن :

الدعوة إلى الله - تعالى - هى محور حياة الأستاذ فتح الله كولن ، والتأثير الكبير لمواعظه ودروسه فى مساجد تركيا ، أو دروسه بين تلاميذه فى مجالس الصحبة ، هى حجر الزاوية والعنصر الفعال فى هذه الحياة الدعوية !!

١ - سلسلة كيمياء الصلاة ، د. أحمد خيرى العمرى ، ص ٧ ، ج ٢ ، دار الفكر ، دمشق ٢٠٠٨ م

٢ - فتح الله كولن : جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية ، محمد أنس أركنه ص ٣٨

للأستاذ فتح الله كولن أسلوبٌ رائعٌ في الحديث والإلقاء ، يأخذ بمجامع القلب ، ويحيط الشعور والوجدان بهالةٍ من التأثير الإيجابي الفعّال ، ثم هو إلى جانب هذا يخاطب العقل والفكر ، ويحتكم إلى المنطق ، وأنت لاتكاد تسمع له حديثاً مثلثراً - بعضها مترجماً على موقع مجلة حراء - إلا وجدته يبكي حين تعجز الكلمات عن ملاحقة مشاعرة الجياشة

: "إن ماجدّب الناس إلى أفكار فتح الله كولن كان خطبه العامة ، التي كان يلقيها أمام آلاف المستمعين ، ومحاضراته التي سُجّلت ونُشرت في جميع أنحاء البلاد ، وكان معظم مستمعيه من الشباب وطلاب الجامعات فضلا عن التجار وغيرهم ، وقد اجتذب أناسا نشروا أفكاره ، ليس فقط بحضور محاضراته ، بل وبالدمع المالي والجهد الذاتي أيضا . " (١)

فكيف كان لخطابته هذا التأثير الكبير ؟ وماهى السمات الرئيسية لهذه المقدرة الخطابية عند فتح الله كولن ؟؟

هذه السمات هي :-

### أولاً - عمقه الداخلى وانسجام أقواله وأفعاله

فقد كانت حياته ذات نمطٍ خاصٍ جدا ، فالرجل - كما يتضح جلياً من مسيرة حياته - ذو تجربةٍ روحية عميقة ، كما أنه صاحب علمٍ غزير ، وكان من آثار هذه التجربة أن انضبطت انفعالاته الوجدانية بضابط الشرع الحنيف ، وأصبحت حساسيته فائقة تجاه كل مايصدر منه من كلمات وما يعبر عنه من ألفاظ

: "فقد عاش وهو يهتم بكل حركة تبدر منه ، وكل كلمة تخرج من فمه ، ويتصرف بشعور شخص موضوع تحت المراقبة ولاينبع هذا من رغبته فى الاحتفاظ بحسن ظن الجماهير المتدينة ، فهو زاهد وعابد و"درويش" (٢) على النمط الحديث ، قد تطهرت عنده جميع الانفعالات البشرية وانضبطت فتراه وهو فى ذروة الحماس فى خطبه وقوراً وسيطراً على نفسه ، بينما نرى الكثير من الخطباء يفقدون السيطرة على مشاعرهم فى خضم شعورهم الحماسى وفى جو حماس الجماهير ، فمالم نفهم مدى قدرته على الخطابة ، ومالم نستوعب أسلوب حياته الحساسة التي تشكلت حولها فلن ندرك مدى تأثير هذا التراث الخطابى على مقومات التجربة . " (٣)

١ - حركة فتح الله كولن : تحليل لحركة مدنية متجذرة فى الاسلام المعتدل ، هيلين روز ايبو ، ص٥٦

٢ - الدرويش : الصوفى المتجول

٣ - فتح الله كولن .. جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية . محمد أنس أركنه ص٣٩



وربما هذا هو ماقصده ابن عطاء الله السكندري في حِكْمَه الشهيره عند الحديث عن العلاقة بين العمق الداخلي للمتكلم ، وبين أثر حديثه في النفوس ،يقول : "تسبق أنوار الحكماء أقوالهم ، ... فحيث صار التنوير ، وصل التعبير " (١)

أى حيث حصل التنوير في قلوب السامعين وصل التعبير فينتفعون بأقوالهم أتم انتفاع . ويقول في حكمة تالية مؤكدا على المعنى ذاته : " كلُّ كلامٍ يبرزُ وعليه كسوةُ القلب الذي خرج منه. " (٢)

بل إن الأستاذ فتح الله كولن في دروسه ومواعظه ، يعلن كثيرا أنه لا يستطيع التعبير بالكلمات عما يجول في أعماقه من معاني يريد أن يبثها إلى المستمعين ، ففي درس له بأحد مساجد إزمير عام ١٩٩٠م يقول : " إخواني الأعزاء .. إنكم تنتظرون هنا منذ ساعات ، أشعر أنكم أصحاب حقٍ علىّ كان ينبغي أن تسمعوا مني مايفيدكم ، لكنني عاجزٌ عن أن أبثكم مشاعري ، أردتُ فقط أن أقاسمكم الهموم ، وأبادلكم الغموم ، فأنا ألقى مافي صدري من هموم ، وأنزع مافي صدري من أشواك ، لكنني فشلت في ذلك ، فشلتُ في التعبير عما خطّطتُ أن أقوله...، ياإخوتاه ، اعذروني فقد اخترتُ أن أكون من أهل الأنين ، لأن وضع العالم الإسلامي يُرثي له ، فقد اخترتُ الأنين والنواح ، لعلّي أعبر به عما لاتستطيع كلماتي التعبير عنه . " (٣)

وقد أخبرني الأستاذ يوسف الدمرداش - أحد من تتلمذوا مباشرةً على يد الأستاذ فتح الله كولن - أن أشدَّ مايكرهه الأستاذ أن يسمع كلماتٍ لاتعبر عن حال قائلها ، سواء في ذلك الوعاظ أو الدعاة أو المفكرين أو أصحاب الطرق الصوفية ، ولذا فهو شديد الحساسية تجاه مايعبر عنه من أحوال ، وما يخرج من فمه من مواعظ (٤)

## ثانيا - التحضير والحضور

١ - الحكم العطائية ، ابن عطاء الله السكندري ، ص ٦٤

٣- المرجع السابق ، ص ٦٥

٣ - مقطع من درس وعظي للشيخ تحت عنوان " مقاسمة الهموم " ، مترجم كتاباً على صفحة حراء على موقع اليوتيوب [www.youtube.com](http://www.youtube.com)

٤- من مقابلة للباحث مع الأستاذ يوسف الدمرداش وهو تلميذ الأستاذ كولن منذ عام ١٩٩٠م ، القاهرة ، التجمع الخامس ، مركز دار النيل ، أغسطس ٢٠١٤م

والتحضير الذى أعنيه - هنا- ليس مجرد رصّ الكلمات ، وتزويق الألفاظ ، وتنميق العبارات ، وإنما يعنى الإحساس بأمانة "الكلمة" ومسئوليتها ، مع حمل الهم أن تخرج خالصةً لوجه الله - تعالى - ثم أن تلقى آذاناً واعية ، تتلقاها ، ليس بالقبول والتأثر فحسب ، وإنما بالعمل والتطبيق .  
فقد : "كان الأستاذ فتح الله يشعر قبل خروجه للجماهير بآلام تشبه آلام المخاض ، وبالتالي يعتنى عناية فائقة ألا يخرج من فمه أى فكر أو كلام لم يأت أو أن ولادته بعد " (١)

وهذا التحضير المسبّق لدروسه الدعوية ، يلزمه حضور القلب وحضور البديهة ، والتفاعل التام مع المستمعين ، فكثيراً ما كان المستمعون يشاركونه الهمّ والبكاء والنحيب (٢)  
وسياتى فى سياق البحث فى الفصل الثالث - بمشيئة الله - الحديث مفصلاً عن "الدعوة والإرشاد والتبليغ" ، كأحد أهم مرتكزات تجربة فتح الله كولن الدعوية .

ومن حضوره الدائم أنه : "إذا تكلم أبان ، وإذا جادل ألان ، وإذا استطاع أعان ، يمتلك قدرة هائلة على الإقناع ، ومما يروى فى ذلك أن استطاع فى بضع دقائق أن يحوّل مجرى حياة أحد رجال الأعمال ١٨٠ درجة ، والذى كان قد بنى لأبنائه بيوتاً راقية فى أحد أفخم مناطق اسطنبول ، وهى منطقة تدعى " نل العرايس " ، وجاء يريد التبرع بمغسلة للموتى ، لكن كولن أقنعه بأن الأحياء أحوج إلى الغسل من الأموات ، حيث تمتلئ الكثير من القلوب والعقول بالأدران ، وحنّهُ على إرسال تلك البيوت إلى الآخرة ، حتى ينمّيها الله لأولاده ، فصارت تلك البيوت مدرسة " جوكشون " ، فى نل العرايس ، لتربية عرايس المستقبل التى يربط فى ثغورها أبناء الخدمة من تلاميذ كولن . " (٣)

### ثالثاً - التعبير عن هموم الأمة

حيث تعرف - من خلال اندماجه بالجماهير - على مشاكلها الدينية والاجتماعية والثقافية ، فصبّ جُلّ اهتمامه على إيجاد طرق تتقذ الجماهير من الضيق أو الفوضى التى تعانى منها .

١- فتح الله كولن .. جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية . محمد أنس أركنه ص ٣٩

٢- قام مجموعة من تلاميذ الأستاذ كولن بترجمة بعض هذه الدروس إلى اللغة العربية ، على صفحة مجلة حراء على موقع اليوتيوب ، وهى دروسٌ مرئية ، ويتضح فيها مدى التجاوب بين الأستاذ والمستمعين على كثرتهم ، وأغلبهم من الشباب .

٣- صورة قلمية لسراج الزمن فتح الله كولن ، أ. د فؤاد البنا ، مجلة حراء ، العدد ٤٢ ، ص ٣٣

فقد وجد : " أن المشكلة في بلده والعالم الإسلامي ، هو الإنسان وتعليمه وتربيته ، فبدأ يؤكد في خطبه ومواعظه على أن الحاجة إلى بناء المدارس في هذا العصر، أمس من الحاجة إلى بناء المساجد ، واستهض الهمم لبناء المشاريع التربوية العملاقة . " (١)

يقول الأستاذ نوزاد صوّاش - المشرف العام على مجلة حراء - : "الأستاذ فتح الله كولن كانت بضاعته في إحياء القلوب ، ومدّ الجسور إلى مؤسسات حضارية داخل تركيا وخارجه ، كانت بضاعته : الكلمة ، لكن إذا أردتم أن تشبهوا فتح الله كولن بشئ ، يمكن أن تشبهوه بـ"النأي" ، هذا النأي الذي يئنّ ، ويكي لأنه محروق الجوف !!

فالخير الذي وُلد في تركيا سقاه الأستاذ بدموعه ، الدموع هي ماء حياة كل هذه الأعمال التي تمّت في تركيا وخارجها (٢)

وإذا كان البعض يتساءل : من أين يأتي أبناء الخدمة بتمويل مشاريعهم التعليمية ، فهذا أحد رجال الأعمال الممولين لهذه المشاريع ، يروي قصة أول لقاء لبناء أول مدرسة مستوحاة من فكر الأستاذ كولن ، ويتضح من خلالها جلياً تأثير الجانب الخطابي في تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية .

فيقول : " حضرتُ خطبة مؤثرة للأستاذ مضمونها : أنه من الواجب علينا مساعدة الطلاب المعوزين ومدّ يد العون لهم ، وضرب أمثلة في العطاء من حياة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وصحابته الكرام ، في ذلك اليوم رأيتُ أشخاصاً يكتبون شيكات ، وآخرين يدفعون أموالاً نقدية ، والبعض تبرّع بخواتم وأساور ذهبية ، لقد تأثرتُ جداً بذلك المشهد من العطاء الفوري السخي ، وقررتُ أن أكون جزءاً من هذا العمل . " (٣)

لقد كانت غايته الأولى ولا تزال هي : إنشاء جيلٍ يتّصف بصفة الصحابة الكرام في إنقاذ البشرية، وخدمة الإنسانية - دون انتظار الأجر إلا من الله -تعالى -

١- فتح الله كولن .. جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية . محمد أنس أركنه، ص: ٤٠

٢- من محاضرة : " كلمات عن مشروع فتح الله كولن " ، أ. نوزاد صوّاش ، مؤتمر "النور الخالد : قيم كونية من مشكاة النبوة" ، المملكة العربية السعودية ٢٠١١م صفحة حراء على موقع اليوتيوب [www.youtube.com](http://www.youtube.com)

٣ - حركة فتح الله كولن ، تحليل لحركة مدنية متجذرة في الاسلام المعتدل ، هيلين روز ايبو ، ص ١٠٨

: " يروى أحد تلاميذ الأستاذ فتح الله كولن الملازمين له - واسمه جمال - يقول : بعد أن انتهى  
الدرس ، حملتُ كتب الأستاذ إلى غرفته ووضعتها على الطاولة ، وأنا خارج من الغرفة ، جاء  
الأستاذ ، فأوقفني وأخذ ينظر إليّ من قمة رأسي حتى أخمص قدمي ، ثم دمعت عيناه ، وأخذ  
كتاب "حياة الصحابة " للكائدهلوى <sup>(١)</sup> ، وقال : يا جمال ، كلّ ما أريد أن أقوله لك ولإخوانك : كونوا  
أمثال هؤلاء ، أو موتوا ..!!" وهو دائما يقول : " هذا الحمل حملٌ ثقيل ، لاتحمله أكتافٌ ضعيفة ،  
هذا الحمل حملته أكتاف الصحابة ، فما أحوجنا لإحياء روحهم من جديد . " <sup>(٢)</sup>  
وهكذا ، فقد حاولتُ في هذا المبحث أن أرسم صورة حيّة للأستاذ فتح الله كولن ، من خلال مؤلفاته  
ونتاجه الفكري ، كما حاولتُ في المبحث الأول رسم صورة له من خلال تتبع سيرته الشخصية ،  
ومراحل حياته المختلفة ، لعل القارئ الكريم إذا جمع بين الصورتين اتّضحت لديه بعض المعالم  
العامة والسمات البارزة في شخصية كولن ، والمؤثرات الفكرية والروحية في تجربته الدعوية .

---

١- هو الشيخ محمد إلياس الكائدهلوى ، وُلد مدينة دلهي بالهند عام ١٩١٧م ، في أسرة عامرة بالعلم والورع ،والده هو  
مؤسس جماعة التبليغ في الهند ، وقد قام الشيخ برحلات دعوية إلى مختلف مدن الهند الكبرى ،وأثناء منفرة من العالم ،  
توفي - رحمه الله - عام ١٩٦٥م ، ويُعدُّ كتاب "حياة الصحابة" أشهر مؤلفاته ، وأكثرها تأثيرا .( المصدر ، مقدمة كتاب  
حياة الصحابة للكائدهلوى ، المجلد الأول ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٩م )

٣ - من محاضرة أ . نوزاد صواش المصدر السابق

## الفصل الثانى

# إشكالية النهضة من خلال تجارب الإصلاح والتجديد فى العالم الإسلامى فى ضوء تجربة فتح الله كولن

وفيه مبحثان وخمسة مطالب : -

المبحث الأول: مشاريع الإصلاح والتجديد فى العالم الإسلامى ، وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : نظرة تاريخية

المطلب الثانى : مدرسة الإمام الغزالى الإحيائية

المطلب الثالث : حركة التجديد والإصلاح فى العصر الحديث

أولاً : مدرسة الشيخ محمد عبده ودورها فى التجديد و الإصلاح

ثانياً : مدرسة الإصلاح الدينى فى تركيا ( تجربة بديع الزمان النورسى)

المبحث الثانى : تجربة الأستاذ فتح الله كولن فى ضوء تجارب التجديد والإصلاح ، وفيه

مطلبان

المطلب الأول: العوامل المشتركة بين هذه المدارس وتجربة فتح الله كولن الدعوية

المطلب الثانى: هل يمكن اعتبار تجربة الشيخ فتح الله كولن مدرسة تجديدية ؟

# المبحث الأول

## مشاريع الإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي

### أ) مفهوم الإصلاح والتجديد :

لاشك أن مفهومي " الإصلاح " و"التجديد" متداخلان مرتبطان من حيث الدوافع ومن حيث المآلات.

وفي لسان العرب : " الصَّلَاحُ : ضِدُّ الفِسادِ؛ صَلَحَ يَصْلُحُ وَيَصْلُحُ صَلَاحًا وَصُلُوحًا؛ وَرَجُلٌ صَالِحٌ فِي نَفْسِهِ مِنْ قَوْمٍ صُلُحاءَ وَمُصْلِحٌ فِي أَعْمَالِهِ وَأُمُورِهِ، وَقَدْ أَصْلَحَهُ اللهُ . وَالإِصْلَاحُ : نَقِيضُ الإِفسادِ

وَأَصْلَحَ الشَّيْءُ بَعْدَ فِسادِهِ: أَقامَهُ.

وَأَصْلَحَ الدَّابَّةُ: أَحْسَنَ إِلَيْها فَصَلَّحَتْ.

وفي التهذيب: تقول أصلحت إلى الدابة إذا أحسنت إليها ، والصلح تصالح القوم بينهم . " (١)

ومن هنا فإن الإصلاح : هو إقامة الشيء أو الأمر على ما يجب أن يكون عليه من حالٍ تغيرت أو فسدت، وعكسه الإفساد، فلا يكون إصلاحٌ إلا بعد فساد أو إفساد ولذلك جاء في القرآن الكريم : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢) وفي قصص القرآن الكريم ما جاء في قول موسى لأخيه

هارون - عليهما السلام - ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٣)

فالإصلاح يأتي في مقابلة الفساد، والإصلاح يأتي في مقابلة الإفساد؛ لأنهما ضدان ونقيضان لا يجتمعان.

فإذا انتقلنا من الإصلاح إلى التجديد، وجدنا التجديد : هو إعادة الشيء أو الأمر إلى ما كان عليه فعلاً في أصل وجوده قبل أن يصيبه البلى والقدم.

١- لسان العرب لابن منظور ، ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، باب الصاد ، المجلد السابع ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،

ط ٣ ، ١٩٩٣ م

٢- يونس: الآية ٨١

٣- الأعراف: الآية ١٤٢

جاء فى لسان العرب: " الجَدُّ والجُدُّ والجَدِيدُ والجَدَدُ: كله وجه الأرض؛ وفي الحديث: ما على جديد الأرض أي ما على وجهها؛ وفي المثل: من سَلَكَ الجَدَدَ أَمِنَ العَثَارَ؛ يريد من سلك طريق الإجماع فكُنِيَ عنه بالجَدَدِ.

وجديد الأرض: وجهها؛ قال الشاعر:

حتى إذا ما خرَّ لم يُوسدِ  
إلاَّ جَدِيدَ الأرضِ، أو ظَهَرَ اليَدِ

ويقال: جَدَدْتُ الشيءَ أَجُدُّه، بالضم، جَدًّا: قَطَعْتَهُ، وحبلٌ جديدٌ: مقطوعٌ؛ وثوبٌ جديد، وهو في معنى مجدودٍ، يُرادُ به حين جَدُّه الحائكُ أي قطعته.

والجَدَّةُ: نَقِيضُ البلي؛ يقال: شيءٌ جديد، والجمع أَجَدَّةٌ وجُدُدٌ وجَدَدٌ؛ ويقال: بلي بيتُ فلانٍ ثم أَجَدَّ بيتاً، زاد في الصحاح: من شعر؛ وقال لبيد:

تَحَمَّلَ أَهْلُهَا وَأَجَدَّ فِيهَا  
نِعَاجَ الصَّيْفِ أَخْبِيَةَ الظَّلَالِ

والجَدَّةُ: مصدرُ الجَدِيدِ.

والأَجْدَانُ والجَدِيدَانُ: الليل والنهار، وذلك لأنهما لايبليان أبداً .

والجديد: ما لا عهد لك به، ولذلك وُصِفَ الموتُ بالجديد، يقول أبو ذؤيب:

فقلتُ لقلبي: يالكَ الخَيْرُ! إِنْما يُدَلِّيكُ للموتِ الجديدِ، حَبَابُهَا. (١)

ونلاحظ كذلك أن معنى التجديد في اللغة كما سبق بيانه فى لسان لعرب هو المعنى ذاته الذي استعمله القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٢) وفي حكايته عن قول الكفار مستكرين إعادة خلقهم كما كانوا: ﴿أَنْذَاكُمْ كُنَّا تُرَابًا أَنْتُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (٣)، وقد جاء في الحديث الصحيح: " إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها" (٤) وبهذا فإن مسيرة الإصلاح و التجديد، مضت مع هذه الأمة منذ وفاة نبينا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهي مستمرة فيها إلى يوم الناس هذا.

"فيأتي المجدد أو المصلح فيعيد هذا الشيء إلى ما كان موجوداً عليه في أصل نشأته أو يجدد العهد بمعالمة العلمية والفكرية والثقافية؛ إما بإحياء العلم به وإما بإعادة الدعوة إلى العمل على

١- لسان العرب لابن منظور، باب الجيم، ص ٢٠٠، ٢٠١

٢- سورة سبأ: الآية ٧

٣- سورة الرعد: الآية ٥٧

٤- أخرجه الإمام أبوداود فى سننه، كتاب الملاحم، باب ما يذكر فى قرن المائة حديث رقم (٤٢٩١)، (٣٤٩/٦)، من حديث أبى هريرة - رضى الله عنه -، وأخرجه الإمام الحاكم فى المستدرک على الصحيحين، كتاب الفتن والملاحم، حديث رقم (٨٥٩٢)، (٥٧٦/٤) وقد صحَّه الحاكم - كما فى فيض القدير (٢/ ٢٨١) -، وقال ابن مفلح فى الفروع (٣٩٢/٦) عن سنده: "كلهم ثقات .

أساسه ؛ فكانت حضارة الإسلام ولا تزال حضارة متجددة دائماً ، عائدة أبداً ، وكأنها على مر الدهور باقية جذورها في الأرض لا تموت ، حافظة عوامل قوتها ونهضتها . " (١)

والتجديد مرتبط ارتباطاً وثيقاً بطبيعة رسالة الإسلام الخالده ، باعتبارها خاتمة الشرائع السماوية والتجديد لايعنى إقامة شئ جديد على أنقاض القديم ، ولا يعنى - ابتداءً - رفض كل قديم ، ولكن حقيقة ما يعنيه التجديد هو إعادة الأمر إلى ما كان عليه أولاً ، إلى مصادره الأولى قبل تراكم التطبيقات الخاطئة ، والأفكار المنحرفة ، واعتبارها جزءاً من أصل الدين ، وهي ليست منه . فهو: " لا يعنى اختراع إضافة لدين الله ، وإنما يعنى تطهير الدين الإلهي من الغبار الذي يتراكم عليه ، وتقديمه في صورته الأصلية النقية الناصعة. " (٢)

وهذا ما حدا بعلماء الأمة ومفكريها وقادة الرأي فيها أن يأخذوا زمام المبادرة ، جيلاً بعد جيل ، كل وفق معطيات عصره ومتطلبات زمانه . من أجل ذلك كان بابُ الاجتهاد (٣) في الدين مفتوحاً ، وكان المجددون في الأمة هم عنوان حيويتها.

يقول الإمام الشاطبي (٤) - رحمه الله - : " فلأن الوقائع في الوجود لا تنحصر ، فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة ، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره ، فلا بد من حدوث وقائع لا يكون منصوصاً على حكمها ، ولا يوجد للأولين فيها اجتهاداً ، وعند ذلك فإما أن يترك الناس فيها مع أهوائهم ، أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي وهو أيضاً إنباع للهوى ، وهو معنى تعطيل التكليف لزوماً ، وهو مؤدبٌ إلى تكليف ما لا يُطاق ، فإن لابد من الاجتهاد في كل زمان ، لان الوقائع لا تختص بزمان دون زمان . " (٥)

١- مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي : الإصلاح والتجديد : الأصول والفروع ، د. محمد سليم العوا ، ص ٩٦

٢- تجديد علوم الدين ، وحيد الدين خان ، ترجمه ظفر الإسلام خان، ص ٩ ، ط ١ ، دار الصحوة ، القاهرة

٣- الاجتهاد عند الأصوليين هو : استقراغ الوسع في طلب الظن بشئ من الأحكام الشرعية ، على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد عليه ( المصدر : الإحكام في أصول الأحكام للأمدى ، ج ٤ ، ص ٢١٨ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت )

٤- الإمام الشاطبي: أبوإسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي الاندلسي المعروف بالشاطبي ، تميز الشاطبي بمنزلة رفيعة

بين علماء الشريعة الإسلامية ، للإمام الشاطبي مؤلفات كثيرة في مختلف علوم العربية والشرعية ، كالنحو والصرف والاشتقاق والأدب والشعر وعلوم الحديث وفقهه والفقه وأصوله التصوف والبدع إلى غير ذلك من العلوم ( الشاطبي ومقاصد الشريعة ، د. حمادى العبيدى ، ص ٥ - ٢٥ باختصار ، ط ١ ، دار ابن قتيبة ، بيروت ، ١٩٩٢ م )

٥- الموافقات ، الإمام الشاطبي ، ص ٥٢ ، ط ٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٧٥ م



## أ تجديد لا تبديل

دار حول مفهوم " التجديد " الكثير من الجدل ، لاسيما بعد موجة المطالبة بـ"تجديد الخطاب الديني" ، فاعتقد البعض أن التجديد في الدين لا يتم إلا بمحو ثوابته ، وتغيير نصوصه ، وإنكار أصوله الثابتة .

والحق أن التجديد في الدين لايعنى تغييره أو تبديله ، وإنما يعنى المحافظة عليه ، والعودة إلى أصوله ليظل الدين غضاً طرياً كما أنزله الله - تعالى - ، ف: " التجديد المطلوب عودةً للمنابع والأصول عودة كاملة صافية ، ودعوةً للثبات على الحق ، وترك التقليد الفاسد القائم على الإتياع والمحاكاة على غير بصيرة ، ومن هنا يتبين أن التجديد عملية إصلاحية محافظة ، وليس عملية تخريبية متقلته. " (١)

والمقصد في هذا الفصل من البحث هو إلقاء الضوء على أبرز محاولات أو مشاريع ومدارس التجديد والإصلاح التي تنطلق من قاعدة الإسلام ، ومقاصد الشريعة - وفق اجتهاد أصحابها - بحيث تكون الحركة التجديدية حركة مؤثرة في محيطها وزمانها بل والأجيال التي أعقبت زمانها ، لاسيما تلك المشاريع التي اتسمت بالطابع الفكري والعملى في آن واحد ، ثم إلقاء الضوء على تجربة الأستاذ فتح الله كولن باعتبارها امتداداً لهذه المشاريع الإصلاحية الإحيائية .

١- تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف ، محمد بن شاعر الشريف ، ، ص ١٢ ، ط١ كتاب "مجلة البيان" ،

## المطلب الأول

### نظرة تاريخية

يمكن القول بأن أعظم خلاف ترك أثراً كبيراً وغيّراً في تاريخنا هو ما وقع بعد مقتل الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفّان - رضى الله عنه - والسؤال الذى ينبغى أن يُطرح هنا : ما طبيعة هذا الخلاف ؟ هل كان خلافاً فكرياً ؟ أم عقدياً ؟ أم سياسياً ؟ .

إن الخلاف الذى وقع بين الصحابة الكرام لم يكن خلافاً دينياً ، بمعنى أنه لم يكن خلافاً حول أصل دينيٍّ أو اعتقاديٍّ ، فلم يطعن أحدهم فى دين الآخر ، ولم ينل منه بل كانوا أنقياء أصفياء حتى فى أثناء المحنة ، وحال وقوع الخلاف .

فلم يكن الخلاف - إذاً - خلافاً فكرياً أو عقدياً أو مذهبياً ، وهذا ما أبقى الاختلاف بينهم فى حدود القضية المتنازع عليها - قضية الثأر من قتل عثمان ثم الأحقية فى الخلافة - لا يتعداها إلى غيرها ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه - بتعريفنا المعاصر - : الاختلاف السياسى .

ولاعجب فهم - رضوان الله عليهم - أنقى الناس قلباً وأطهرهم نفوساً ، اجتهدوا فأصاب بعضهم وأخطأ آخرون ، لكنهم اتفقوا على حفظ الدين وإقامة الملة ، فقامت على أكتافهم أعظم حضارة عرفتها البشرية .

يقول القاضى أبو بكر بن العربى <sup>(١)</sup> : " والذى تتلج به صدوركم أن النبى - صلى الله عليه وسلم - ذكر فى الفتن ، وأشار وبين ، وأنذر بالخوارج <sup>(٢)</sup> وقال : تقتلهم أذى الطائفتين إلى الحق فبين أن كل طائفة منهما تتعلق بالحق ، ولكن طائفة على أذى إليه ، وقال تعالى : (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَتُ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ) <sup>(٣)</sup> ، فلم

١ - الإمام العلامة الحافظ القاضى أبو بكر ، محمد بن عبد الله بن محمد ابن العربي الأندلسى الإشبيلي المالكي ، صاحب التصانيف الكثيرة ( ٤٦٨ - ٥٤٣ هـ ) ( المصدر : سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبى ، ص ١٩٧ ، ١٩٨ باختصار ، ج ٢٠ ، مؤسسة الرسالة ٢٠٠١ م )

٢- هم طائفة خرجت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - فى معركة صفين ، بعد التحكيم وقد سُموا بـ " الحرورية " لنزولهم فى منطقة تُسمى " حروراء " ، بعد انفصالهم عن جيش علي رضى الله عنه أثناء عودته من صفين إلى الكوفة ، وسُموا بـ " الشراة " لقولهم : شَرِينَا أَنفُسَنَا فى طاعة الله ؛ أي : بعناها بالجنة ، وسُموا بـ " المحكّمة " لإنكارهم التحكيم والحكيم " فى قصة التحكيم . " ( من كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية ، ص ٣٠ الامام أبو زهرة )

يُخْرِجُهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ " بِالْبَغْيِ بِالتَّأْوِيلِ ، وَلَا سَلْبَهُمْ اسْمَ " الْأَخُوهِ " بِقَوْلِهِ بَعْدَهُ: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ) (١) . " (٢)

ثم يشير إلى أن هذا الخلاف لم يتعدَّ كونه اجتهاداً ، وأن كلا الفريقين أراد الحقَّ وسلك إليه سبيله - وفق اجتهاده - نافيةً ما امتلأت به كتب التاريخ من الآثار الواهية ، والأخبار الكاذبة ، يقول : " فهذه كلها أمورٌ جرت على رسم النزاع<sup>(٣)</sup> ، ولم تخرج عن طريقٍ من طرق الفقه ، ولا تعدت سبيل الاجتهاد الذي يُوجر فيه المصيب عشرة والمخطئ أجراً واحداً ، وما وقع من روايات في كتب التاريخ - عدا ما ذكرنا - فلا تلتفتوا إلى حرفٍ منها ، فإنها كلها باطلة " (٤)

وقد كان لظهور الخوارج في هذه الفترة من حياة الأمة المسلمة أثرٌ كبيرٌ في المسيرة الفكرية والسياسية لتاريخنا الإسلامي ، ذلك أنهم أول من حولوا الخلاف السياسي حول الحكم وطبيعته إلى قضية إيمان وكفر .

حيث إنه : " قبل سنة ٣٧ هـ - وهو العام الذي شهد نشأة فرقة الخوارج - كانت الخلافات التي طرأت في حياة الجماعة المسلمة ذات طابع سياسي ، ووقفت عند حدود الطابع السياسي ، دون أن تُضفي على أهدافها صبغة دينية نابعة من عقائد الإسلام كدين ، فلم يزعم أحدٌ منهم أن الإسلام كدين أصبح وفقاً على فريق دون فريق . " (٥)

إذن كان الخلاف سياسياً ، يدور - في حقيقته - حول الأحقية بالإمامة ، وليس فكراً أو مذهبياً أو عقدياً فما الذي حدث ؟

حدث أن الخوارج صبغوا خلافهم حول الإمامة ومستحقِّيها بصبغة دينية خالصة ، وكان من نتيجة هذا أنهم اعتبروا كل من خالفهم في الرأي ، خارجاً عن إطار الدين ف: " كان ظهور الخوارج نقطة تحوُّل في الماهية والطبيعة التي أُضيفت على هذه الخلافات ؛ فهم لم يقفوا بخلافهم مع خصومهم عند الحدود السياسية ، بل أضفوا عليها طابعاً من الدين ، وذلك عندما زعموا أنهم وحدهم المؤمنون وأن من عداهم قد مرَّق من الدين مروق السهم من قوسه !..وزاد الطامة وعمت البليَّة عندما

١- سورة الحجرات ، الآية : ١٠

٢- العواصم من القواصم ، أبو بكر ابن العربي ، ص ١٧١ ، ١٧٢ ، تحقيق محب الدين الخطيب ، ط ٦ ، مكتبة السنة بالقاهرة ، ١٤١٢ هـ

٣- يعني أنها أخذت في ظاهرها شكل النزاع ، ولم تكن كذلك ، إذ النزاع يفرض في العادة إلى التدابر والتناحر والتقاطع ، ويكون في الغالب من أجل عرضٍ دنيويٍّ زائل ، وهو مالم يقع من الصحابة الكرام ، ولا انصفوا به .

٤- العواصم من القواصم ، أبو بكر ابن العربي ، ص ١٧٤

٥- تيارات الفكر الإسلامي ، د. محمد عمارة ، بتصرف ص ١٣ ، دار الشروق ٢٠٠٨ م

استخدم خصومهم ذات السلاح ، فأصبحت الفرق الأخرى تُضفى على مبادئها السياسية وآرائها الفكرية والاجتماعية صبغةً من الدين وعقائده، فانطبعت خلفات الساحة الإسلامية بالطابع الديني عندما انتقل الجميع من ساحة ماهو سياسى إلى ماهو دين! وهو مازال يعاني منه العقل المسلم حتى الآن! (١)

يؤكد هذا ما ذكره الإمام الشهرستاني (٢) فى " الملل والنحل " عن الأزارقة (٣) أنهم : " كَفَرُوا عَلِيًّا - رضى الله عنه - ، وقالوا إن الله أنزل فى شأنه (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ) (٤)، وزادوا عليه تكفير عثمان وطلحة والزبير وعائشة وعبد الله بن عباس - رضى الله عنهم - وسائر المسلمين ، وحكموا بإباحة قتل المخالفين" (٥)

إلى غير ذلك من الآراء والأفكار التى أوردها الشهرستاني عن الفرق المختلفة التى انبثقت من فكر الخوارج ، وخرجت من رحمها ، ثم بمرور الزمن وتتابع الأحداث ، نشأت داخل الفرقة الواحدة فرقٌ شتى ، حتى عدَّهم العلماء إلى عشرين فرقة .

ولسنا هنا فى هذه النظرة السريعة بصدد الاستيعاب لآراء الفرق أو سرد الأحداث التى كانت سبباً فى نشأتها ، فليس هذا داخلاً فى موضوع البحث ، وإنما هدفنا إلقاء الضوء على أبرز التغيرات الفكرية والمذهبية التى أثرت فى تراثنا الإسلامى ، وثقافتنا الدينية .

وباختصار ، فإن ظهور الخوارج على مسرح الحياة الإسلامية بأرائهم المتطرفة فى الحكم على المخالفين ، صحبه ظهور فرق أخرى تطرقت هى الأخرى فى الجانب الآخر أحياناً . وقد كان الخلاف حول الأحقية فى الخلافة أو قضية الإمامة محور ظهور الشيعة ، حيث أُطلق مصطلح " شيعة على " - رضى الله عنه - على الذين شايعوه وناصروه ، وحاربوا معه ، فى بداية الأمر ، ثم صارت الشيعة مذهباً له مبادئه وعقائده .

١- تيارات الفكر الإسلامى ، د. محمد عمارة ، ص ١٥

٢- هو : محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ( ٤٧٦ - ٥٤٨ هـ ) ، أبو الفتح ، شيخ أهل الكلام والحكمة ، برع

فى الفقه والأصول، وصنف نهاية الإقدام و الملل والنحل ( سير أعلام النبلاء ، للإمام الذهبى ، ص ٢٨٦ ، ج ٢٠ )

٣- أحد فرق الخوارج وهم أتباع نافع بن الأزرق ( الملل والنحل للشهرستاني ص ١١٤ ، الجزء الأول )

٤- سورة البقرة ، الآية : ٢٠٤

٥- الملل والنحل للشهرستاني ، ص ١١٥ ، الجزء الأول ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢م

ف: " الشيعة لم يكونوا أول الأمر فرقة دينية ، بل فكرة سياسية تعبر عن رأى سياسى فى أن على بن أبى طالب أحق بالخلافة من معاوية ، ثم تطور الأمر حتى اعتُبرت " الإمامة " منصبا إلهيا ، صار وقفا على أولاد على - رضى الله عنه - حتى الإمام الثانى عشر. " (١)

يُعرّف الإمام الشهرستانى الشيعة بأنهم: " الذين شايعوا علياً - رضى الله عنه - على الخصوص وقالوا بإمامته نصّاً ووصيةً ، إما جليّاً أو خفياً واعتقدوا أن الإمامة لاتخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بنقيّة من عنده ، قالوا : وليست الإمامة قضية مصلحة تتناط باختيار العامة ، وينتصب الإمام بنصيبهم بل هى قضية أصولية ، هو ركن الدين لايجوز للرسول - عليه السّلام - إغفاله وإهماله ، ولاتفويضه إلى العامة . " (٢)

لكن الشيعة كفرقة دينية لم تتبلور أفكارها ويتسع انتشارها إلا بعد وفاة على - رضى الله عنه - وتحديداً فى أوائل عهد الدولة الأموية ، ولعلّ السبب الأبرز فى هذا الانتشار ، ما ذكره الإمام محمد أبوزهرة من أنه : " لما اشتدّت المظالم على أولاد على فى عهد الأمويين ، وكثُر نزول الأذى بهم ، ثارت دفائنُ المحبة لهم فى قلوب الناس ، وهم ذرية النبى - صلى الله عليه وسلم - فرأى الناس فيهم شهداءَ الظلم ، ومن ثمّ اتسع نطاق التشيع ، وكثُر أنصاره ، ذلك أن الناس لما رأو ذلك ولم يستطيعوا له تغييراً ولاتبديلاً ، فاندفعوا إلى المغالاة فى تقدير أولئك الذين غالى الأمويون فى إيذائهم . " (٣)

وأضحت الشيعة مذهباً اعتقادياً له آراؤه وأفكاره والتي نشأ معظمها فى الخفاء ، نظراً للتهديد الذى كانت تمارسه الأنظمة الحاكمة عليهم ، وانقسمت هى الأخرى إلى مذاهب فرعية ، أو فرق داخل الفرقة الأم .

وكنتيجة لظهور الخوارج والشيعة ، ظهرت فرقة : **المرجئة** ، وظهر مصطلح "الإرجاء" والذى عنى به فى التراث الإسلامى : " الفصل بين الإيمان باعتباره تصديقاً قلبياً غير منظور وبين العمل باعتباره نشاطاً وممارسة ظاهرية قد تُترجم أو لاتترجم عما فى القلب من إيمان ، وهذا مؤداه : الرفض القاطع للحكم على الضمائر من قبل بشر ، أيا كان مكانه أوسلطانه ، وما علينا إلا أن نرجئ الحكم على الإيمان إلى يوم الحساب . " (٤)

١- إسلام بلا مذاهب ، د. مصطفى الشكعة ص١٧٢، ص ٢١٦، بتصرف : الدار المصرية اللبنانية

٢- الملل والنحل للشهرستانى ، ص١٤٤، ١٤٥، الجزء الأول ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢م

٣- تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، الامام محمد أبوزهرة ، ص٣٢.٣١، دار الفكر العربى ، القاهرة

٤- تيارات الفكر الإسلامى ، د. محمد عمارة ، ص٣٥، دار الشروق ٢٠٠٨م

جاء ظهور " المرجئة " كرد فعل على تكفير الخوارج لكل من خالفهم فى الرأى والاجتهاد ، فمبدأ الإرجاء تنبأه فى بداية الأمر أولئك الذين آثروا السلامة ، والبعد عن الخلافات ، خصوصاً مايتعلق بالأحكام الأخروية من إيمان وكفرٍ وجنةٍ ونار ، ومايتعلق بأمر الخلافة والأحقق بها ، وماجرى بين على ومعاوية - رضى الله عنهما - من أحداث .

وكانت المرجئة أول أمرها تُرجئُ أمر الصحابة الذين اختلفوا إلى الله تعالى، وترجئُ أمر تعذيب أهل الكباثر إلى الله، ثم غلوا بعد ذلك حتى صاروا إلى قولتهم المشهورة عنهم : لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة .

وقد شغلت قضية الإيمان والكفر وحكم مرتكب الكبيرة مساحةً كبيرة من آراء الفرق فى هذا العصر ومنهم المرجئة ، وواضح من هذا أن المرجئة قد استهانوا بقيمة العمل ، من حيث كونه معبراً عن أصل الإيمان ، بل إنهم قد حرّفوا أصل الإيمان فجعلوه مجرد الإذعان القلبى وإن خالفته الجوارح .

وخلاصة القول فى شأنهم : " أن المرجئة كانت مذهباً لإحدى طائفتين : إحداهما متوقفة عن الخلاف الذى وقع بين الصحابة ، والخلاف الذى وقع بعده فى العصر الأموى ، والطائفة الثانية هى التى ترى أن عفو الله يسع كل شئ ، وعندهم انه لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة . " (١)

ومن المعلوم أن كل فرقة من هذه الفرق قد انقسمت إلى فرقٍ داخلية - كما أشرنا - فأصبح كل اختلاف فى رأى أو مسألة يؤدى إلى تكوين فرقة يكون زعيمها صاحب هذا الرأى أو تلك المسألة ، كان من أشهرها : "الإباضية " من الخوارج ، و"الاثنى عشرية " من الشيعة ، و" الجهمية " من المرجئة (٢) .

## مدرسة الحسن البصرى

أدرك الإمام الحسن البصرى (٣) عصر الصحابة الكرام ، وعاصر كثيراً منهم ، وقد جمع الله له من المواهب مااستطاع أن يصل به إلى قلوب الناس على اختلاف مشاربهم ، وقد اشتهر بين الناس

١- تاريخ المذاهب الإسلامية ، محمد أبوزهرة، ص١٦٦

٢ - الإباضية : نسبة إلى عبد الله بن إباض التميمي، الاثنى عشرية : وتسمى كذلك لاعتقادهم بأن النبي قد نصَّ على اثني عشر إمام خلفاء من بعده، الجهمية : نسبة إلى الجهم بن صفوان

٣ - هو الحسن بن يسار البصرى عالم من علماء أهل السنة والجماعة يكنى بأبي سعيد ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب- رضى الله عنه - فى المدينة ، عام ٢١ من الهجرة، وأبوه يسار كان مولى زيد بن ثابت كاتب الوحى ، وكانت أم الحسن فى خدمة أم سلمة - رضى الله عنها - ، وكانت أم سلمة تخرجه إلى الصحابة فيدعون

بمواظبه البليغة وكلماته المؤثرة ، التي أقبل الناس عليها لأنها قريبة العهد من نبع النبوة الصافي ، وقد قال عنه الإمام أبو حامد الغزالي : " كان الحسن البصرى أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء وأقربهم هدياً من الصحابة ، اتقنت الكلمة في حقه على ذلك . " (١)

لم تكن الخلافات المذهبية والسياسية فقط هي التي أحدثت تغييراً في بنية المجتمع المسلم ، وإنما ظهرت عوامل أخرى ، أدت إليها الفتوحات الإسلامية ، وتدقق الأموال على الدولة ، ودخول جم غفير من الأجناس المختلفة في الإسلام ، ف : " نشأ الترف في المجتمع الإسلامي ، ونشأت طبقة المترفين ، وكثرت الأموال ، واشتدت الإغراءات المادية ، وفعلت فعلها في المجتمع ، وكان في هذا التطور المفاجئ خطر كبير على الأمة ، لولا أن قيض الله لها الدعاة المخلصين من أمثال الحسن البصرى وقد كان يصور في مواظبه عصر الصحابة ، ويقارن بين عصرهم وعصره ، ويصف ما أصاب المجتمع المسلم - آنذاك - من انحراف عن سيرتهم ، وكان إذا وصل إلى هذه النقطة أهاج الأحران وأثار الوجدان . " (٢)

جاء الحسن البصرى إذن على قدر ، وذلك حين كانت الأمة في أمس الحاجة لمن يذكرها بسيرة النبي وصحابته الكرام ، فتأثر الناس به ، والتفؤوا حوله ، فأنشأ الحسن تياراً وسطياً في فكره ودعوته كانت أهم أهدافه العودة بالحياة الإسلامية إلى نقائها الأول قبل ظهور الخلاف ، وظهور هذه التحولات الفكرية والسياسية في الأمة الإسلامية الوليدة : " وهي مدرسة فكرية أكثر منها فرقة منضبطة ، ونستطيع أن نجمل أهم الأصول الفكرية لهذه المدرسة :

- ١- العدل : بما يعنيه من حرية الإنسان واختياره ومسئوليته عن أفعاله .
- ٢- والتوحيد: بما يمثله من نقاء بلغ بعقيدة التوحيد الإسلامية ذروة التنزيه .
- ٣- والقول " بنفاق " مرتكب الكبيرة : بما يعنيه من موقف وسط بين إفراط الخوارج عندما كفروهم ، وتفريط المرجئة عندما صححوا إيمانه ودعوا إلى إرجاء البحث في عقيدته . " (٣)

---

له، ودعا له عمر بن الخطاب، فقال " اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس . " حفظ الحسن القرآن في العاشرة من عمره - )

باختصار من كتاب رجال الفكر والدعوة ، للندوي، ص ٨٠ )

١- إحياء علو الدين ، أبو حامد الغزالي ، الجزء الأول ، ص ٦٧

٢- رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، أبو الحسن الندوي ، ج ١ ، ص ٧٩ - ١٠٢ ، بتصرف واختصار ، ط ٣ ، دارين

كثير ، بيروت ، ٢٠٠٧م

٣- تيارات الفكر الإسلامي ، د. محمد عمارة، باختصار ص ٤٦، ٤٧

وهذه القضية الأخيرة ( حكم مرتكب الكبيرة )، كان الخلاف فيها سبباً في ظهور فرقة " المعتزلة "؛ حيث رأى واصل بن عطاء <sup>(١)</sup>، - وكان من تلاميذ الحسن البصري - أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً مطلقاً ولا كافراً مطلقاً بل هو في ( منزلة بين المنزلتين ) .

وبناءً على هذا فإن المعتزلة كفرقة لم تنشأ من خلاف سياسي - كما هو الحال في الفرق التي سبقتها - ، وإنما نشأت نتيجة خلافٍ علمي حول قضية اعتقادية .

صحيحٌ أنها في مسيرتها الفكرية انصلت برجال السياسة ، وأثرت الأحداث السياسية في تكوينها العلمي ، إلا أنها من حيث النشأة لم تكن كذلك .

ف: " المعتزلة واحدة من الفرق الإسلامية التي اعتمدت على العقل والجدل ، لكن ما يميزها أنها لم تكن فرقة سياسية - من حيث النشأة - كما هو الأمر بالنسبة للشيعة والخوارج ، أو على الأقل لم تكن كذلك أول نشأتها ، بل كانت تعتمد في تأويلاتها على العقل ، ثم ما لبثت بمرور الزمن أن دخلت غمار السياسة ، حينما استعان أئمتها ببعض الخلفاء العباسيين ، اللذين اعتنقا مذهب الاعتزال وأنزلا بخصومه الكثير من الضرر والأذى. " <sup>(٢)</sup>

### أهل الرأي وأهل الحديث

على صعيدٍ آخر، وبالتوازي - من الناحية الزمنية - مع ظهور هذه الفرق كانت هناك حركة فكرية تعالج ما استجد من مشكلات العصر الفقهية ، وكان أمراً طبيعياً وقد اتسعت رقعة البلاد الإسلامية ودخل في الإسلام أجناسٌ من مختلف البيئات والثقافات أن تجد أموراً لم ترد بصدها نصوص صريحة في الكتاب والسنة ، وعند ذلك أعمل كثيرٌ من الصحابة عقولهم واجتهدوا مستبشرين بنور الوحي ، ونبراس السنة النبوية المطهرة ، وغلب على هذا الاتجاه في التفكير والاستنباط أنهم: أهل الرأي ، وقد كان على رأسهم الإمام أبو حنيفة النعمان <sup>(٣)</sup>

١- هو واصل بن عطاء الملقب بـ"الغزال" نسبةً إلى مهنة جده وهي : الغزل ، ولد في المدينة المنورة سنة ٨٠ هـ ، وكان تلميذاً للحسن البصري ، فاختلف معه في قضية مرتكب الكبيرة ، واعتزل مجلسه ، واتخذ له مجلساً آخر ، فقال الحسن : اعتزلنا واصل ، وقد كان خطيباً بليغاً ، رغم كونه ألتغ في حرف " الرأء " ، وله خطبٌ مطوّلة لم يأت فيها بحرف الرء مطلقاً ، على الرغم من فصاحتها وجزالة ألفاظها - تيارات الفكر الإسلامي ، د. محمد عمارة بتصرف ، ص ٤٩ -

٢- إسلام بلا مذاهب ، د. مصطفى الشكعة ، ص ٣٩٩ ، ط ١ الدار المصرية اللبنانية

٣- هو: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وُلد بالكوفة عام ٨٠ هـ ، وقد كان منذ الصغر يحضر مجالس العلماء ويشاهد مناظراتهم ، ويمارس مهنة التجارة، وكان يختلف إلى حلقات العلماء، ولزم حماد ابن ابى سليمان ، وأخذ منه الفقه، ثم تولى رئاسة حلقة شيوخه وهو في الأربعين من عمره ، اشتهر بعلمه وتبحره في الفقه الإسلامي حتى قال عنه الإمام الشافعي : " الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة " ، وقد لقبه الناس بـ" الإمام الأعظم " توفي عام ١٥٠ هـ . ويسمى المذهب الحنفي مذهب أهل الرأي، وهو أول المذاهب الأربعة الشهيرة -تاريخ المذاهب الإسلامية ، لأبي زهرة باختصار -



غير أن تسمية هذا التيار الفكري بـ "أهل الرأي" ينبغي أن تُفهم في إطارها الصحيح فالأخذ بالرأى ليس إلا بعد استقراء النصوص والوقوف عند حدودها ، والاستنباط من أدلتها ، مع الأخذ في الاعتبار التطبيقات التي وقعت من الخلفاء الراشدين ومن الصحابة المهديين ، وقد قال الإمام أبو حنيفة موضحاً منهجه في الاستدلال : "أخذُ بكتاب الله - تعالى - ، فإن لم أجد فبسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فإن لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أخذتُ بقول الصحابة، أخذ بقول من شئتُ منهم وأدع قول من شئتُ منهم، ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر إلى التابعين - وعدد رجالاً منهم - فقوم اجتهدوا، فأجتهد كما اجتهدوا . " (١)

وهذا الكلام يدل على أنه يأخذ أولاً بكتاب الله ثم بسنة رسول الله ، ثم أقوال الصحابة ، ثم يجتهد كما اجتهد التابعون ويأخذ من النصوص كما أخذوا ، فالرأى عند أبي حنيفة مقيدٌ بنصوص الكتاب والسنة .

: " وكان يعارض (٢) هذا الفريق من المسلمين فريقاً آخر، هم : **أهل الحديث**، وكانوا إذا سُئلوا في قضيةٍ ، بحثوا في الكتاب والسنة فإن لم يجدوا، امتنعوا عن الإجابة ، واستمرت مدرسة الحديث في التابعين وعلى رأسهم **الإمام أحمد بن حنبل** (٣) ، ثم قامت مدرسة جديدة تقرب شقّة الخلاف فجمعت بين الرأى والحديث فلا تعمل بالرأى إلا إذا لم يوجد نصّ، ومن أعلام هذه المدرسة الإمامان **مالك بن انس** (٤) . **ومحمد بن إدريس الشافعي** (١) . " (٢)

١- تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبوزهرة، ص ٣٥٤

٢- لم يكن الاختلاف بين المدرستين من قبيل التعارض ، وإنما هو اختلاف في منهجية الاستنباط والاستدلال ، ولكليهما أثر كبيرٌ محمود في الإثراء الفكري والفقهى في الفكر الإسلامى . - الباحث -

٣- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (١٦٤ - ٢٤١ هـ) ، وُلد في بغداد ونشأ فيها ، وقد بدأ برحلته في طلب الحديث، فرحل إلى العراق والحجاز وتهامة واليمن، وأخذ عن كثير من العلماء والمحدثين، ويُعدُّ كتابه " المسند " من أشهر كتب الحديث وأوسعها انتشاراً . اشتهر ابن حنبل بصبره على المحنة التي وقعت به والتي عُرفت باسم " فتنة خلق القرآن "، وهي فتنة وقعت في العصر العباسي في عهد الخليفة المأمون، ثم المعتصم والواثق من بعده، إذ اعتقد هؤلاء الخلفاء أن القرآن مخلوق محدث، وهو رأي المعتزلة ، ولكن ابن حنبل وغيره من العلماء خالفوا ذلك، فحبس ابن حنبل وعُذب، ثم أُخرج من السجن وعاد إلى التحديث والتدريس . - ( تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبوزهرة )

٤- هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك ( ٩٣ - ١٧٩ هـ )، عالم المدينة المنورة ومحدثها ، ويُعدُّ كتابه " الموطأ " من أوائل كتب الحديث النبوي وأشهرها ، أخذ عن كثير من غيره من العلماء كنافع مولى ابن عمر ، وابن شهاب الزهري، اتخذ له مجلساً في المسجد النبوي للدرس والإفتاء، وكان يتحرز أن يُخطئ في إفتائه ويكثر من قول "لا أدري" ، وكان يقول: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأبي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه (المصدر : تاريخ المذاهب الإسلامية، ص ٢٥٠ ، الإمام محمد أبوزهرة )

وفى ظلال هاتين المدرستين: أهل الرأي وأهل الحديث ، نشأت المذاهب الفقهية الكبرى فى تاريخ الإسلام ، وعلى رأسها المذاهب الأربعة، والتي لا يزال المسلمون فى كل بقاع الأرض يعملون بها ويفتقدون بأتمتها إلى اليوم .

### أبو الحسن الأشعري ومدرسته الفكرية

وفى مطلع القرن الرابع الهجرى ، ظهر الإمام أبو الحسن الأشعريّ ، ليمثّل مدرسة وسطية بين مدرسة النص "أهل الحديث" ، والمدرسة العقلية "المعتزلة" منطلقاً من فقه الإمام الشافعى الذى كان الأشعريّ على مذهبه .

كان ظهور أبى الحسن الأشعري بعد أن انتهت سطوة المعتزلة على الحياة الفكرية والثقافية ، وكانت الأمة فى أمس الحاجة لظهور من يملأ هذا الفراغ ، ويجمع بين العلم والعقل ، والنص والرأى .

" لقد كان الإسلام يومئذٍ فى حاجة إلى شخصية قوية تفوق المعتزلة فى مواهبها العقلية ، وفى مستواها العلمى ، إلى رجلٍ لم يُلمّ بالعلوم العقلية فحسب ، بل نزل فى أحشائها ، وغاص فى أعماقها ، كان الإسلام حينها فى حاجة إلى عملاق فى العلم والعقل ، يتضاءل أمامه حملة راية العلم والعقل فى عصره ، ووجدت هذه الشخصية فى أبى الحسن الأشعري ."<sup>(٣)</sup>

وُلد أبو الحسن الأشعري بالبصرة عام ٢٦٠ هـ ، وهو من نسل الصحابىّ الجليل أبى موسى الأشعري - رضى الله عنه - وقد تخرّج على المعتزلة فى علم الكلام ، وتتلّمذ على يد شيخهم فى عصره أبى علىّ الجبائى ، حتى صار أحد رموز المعتزلة فى عصره : " وكان لفصاحته يتولى الجدل عن شيخه فى المناظرات ، حتى تصدّر المعتزلة ، وأصبح يُشار إليه بالبنان ، حتى ثار

١- محمد بن إدريس الشافعى (١٥٠-٢٠٤ هـ)، ولد الشافعى بغزة وانتقلت به أمه إلى مكة وعمره سنتان، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنين، ثم أخذ يطلب العلم في مكة حتى أذن له بالفتيا وهو ابن دون عشرين سنة. هاجر الشافعى إلى المدينة المنورة طلباً للعلم عند الإمام مالك بن أنس ، سافر إلى بغداد وألف كتاب الرسالة الذي وضع به الأساس لعلم أصول الفقه، ثم سافر إلى مصر عام ١٩٩ هـ، وأعاد تصنيف كتاب الرسالة الذي كتبه للمرة الأولى في بغداد، كما أخذ ينشر مذهبه الجديد ، حتى توفي في مصر سنة ٢٠٤ هـ (المصدر : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ص ٢٦٥ ، الإمام محمد أبو زهرة)

٢- إسلام بلا مذاهب ، بتصرف ، ص ٤٢٠

٣- رجال الفكر والدعوة فى الإسلام ، أبو الحسن الندوى ، ج ١ ، ص ١٧٨

عقله الكبير، على مذهب الاعتزال ، ونشأ في نفسه ردُّ فعل ضد تأويلات المعتزلة ، وإمعانهم في القياس وتحكيم العقل ، وصار يشعر أنهم تأوَّلوا القرآن على أهوائهم. <sup>(١)</sup> كان لهذا التحول الفكري في حياة أبي الحسن أثر كبير في تاريخ الفكر الإسلامي ، فقد انقلبت مواهبه وملكاته العقلية التي كان ينافح بهما عن مذهب الاعتزال إلى الدفاع عن عقيدة أهل السنة لكن التأثير الأكبر الذي تركه أبو الحسن الأشعري وأسس به مدرسته الفكرية ، هو منهجه الذي دافع به عن السنة ، ، فقد استطاع أبو الحسن الأشعري أن يسلك طريقاً وسطاً بين المعتزلة والمحدثين ، فقد : " سلك الأشعريُّ في الاستدلال على العقائد مسلك النقل ومسلك العقل ، فهم يُثبت ما جاء في القرآن والحديث الشريف من أوصاف الله - تعالى - ، ورسله ، واليوم الآخر والملائكة والحساب والثواب والعقاب ، ويتجه إلى الأدلة العقلية ، والبراهين المنطقية ، يستدل بها على صدق ما جاء في القرآن والسنة عقلاً بعد أن وجب التصديق بها كما هي نقلاً ، فهو لا يتخذ العقل حاكماً على النصوص فيؤولها، بل يتخذ العقل خادماً للنصوص يؤيدها. <sup>(٢)</sup> فلم يذهب الأشعريُّ كما ذهب المعتزلة إلى تمجيد العقل ، وجعله مهيمناً على النصوص ، ولم ينتهج منهج الذين رأوا إلغاء العقل في مواجهة النص ، وآثروا السكوت عن المباحث التي تكلم فيها المعتزلة وغيرهم ، فصاروا معزولين عن واقع عصرهم ، وبذلك استطاع أبو الحسن الدفاع عن مذهب أهل السنة بأدوات المعتزلة.

: " وبذلك خدم أبو الحسن الأشعري هذا الدين في عصره خدمةً باهرة ، وأعاد إلى نفوسٍ وعقولٍ كثيرة لا يعلم عددها إلا الله الثقة بهذا الدين ، والإيمان به من جديد ، وقد نشأ في مدرسة أبي الحسن الأشعري علماءٌ فحول ، وامتكلمون كبار خضع لعلمهم ونفوذهم العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وظلوا مسيطرين على الحركة العلمية والفكرية لعدة قرون ، وبفضلهم انتقلت القيادة الفكرية في العالم الإسلامي من المعتزلة إلى أهل السنة. <sup>(٣)</sup>

وبذلك نهضت الأشعرية بدور الريادة الفكرية لجماهير الأمة ، ونالت استحسان علمائها وفقهائها ليس فقط في زمانها ولكن في الأزمنة والعصور التالية لها ، وحتى عصرنا هذا .

١- رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، الشيخ أبو الحسن الندوي ، ص ١٨٨

٢- تاريخ المذاهب الإسلامية، الامام محمد أبوزهرة، ص ١٥٨

٣- رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، الشيخ أبو الحسن الندوي ، ج ١ ، ص ١٩٨

## المطلب الثاني

### مدرسة الإمام الغزالي الإحيائية

عاش الإمام الغزالي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري و: " في هذا العصر ضعفت الخلافة العباسية، وكانت تتدرج نحو الهاوية نتيجة الصراع بين دولة بني بويه الباطنية، ودولة السلاجقة السنية وانتهى الصراع بانتصار السلاجقة ودخولهم بغداد وبسطهم سلطانهم على العراق وذلك قبل ولادة الغزالي بثلاث سنين، وأصبحت السلطة الفعلية في يد السلاجقة، واقتصر أمر الخلافة العباسية على السلطة الروحية أو الظاهرية الشكلية. "(1)

#### ر حجة الإسلام : أبو حامد الغزالي

في عصر مليء بالأحداث وُلد الغزالي ونشأ وترعرع ولما اشتدَّ عزمه على أن يشق له طريقاً وسط هذه الأحداث، ويترك بصماته العلمية في حياة الناس. هو : محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي الشافعي ، وُلد الغزالي في " طوس " سنة ٤٥٠ هـ ، وتوفي فيها سنة ٥٠٥ هـ .

وقد مرّت حياة الغزالي بمراحل عدّة ، أذكرها إجمالاً ليتبين منها العوامل المؤثرة على نشأته ومنهجه في التفكير في ظل الأحداث الكثيرة التي امتلأ بها عصره :-

**المرحلة الأولى : تربيته على يد أحد المتصوفة :** لما حضرت والد الغزالي الوفاة أوصى بولديه إلى صديق له متصوف ، فلما مات أقبل الصوفي على تعليمهما إلى أن فني ذلك النزر اليسير الذي خلفه لهما أبوهما، وتعذر على الوصي القيام بقوتيهما فقال لهما: " اعلموا أي أنفقت عليكما ما كان لكما، وأنا رجلٌ من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي فأواسيكما به، و أصلح ما أرى لكما أن تلجئا إلى مدرسة ، فيحصل لكما قوتٌ يعينكما على وقتكما، ففعلا ذلك. "(2)

**المرحلة الثانية : دراسته على يد الإمام الجويني "إمام الحرمين" (3) في المذهب الأشعري:** سافر الغزالي إلى نيسابور طلباً للعلم ، وهناك تتلمذ على إمام الحرمين الجويني ولزامه، وجدّ

١- انظر :الدولة العباسية ، الشيخ محمد الخضري، ص ٤٦٩ وما بعدها ، ط١، دار القلم ،بيروت ١٩٨٦م

٢- رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، أبو الحسن الندوي ، ج ١ ، ص ٢٢٤

٣- هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، ولد عام ٤١٩ هـ، في جوين بنواحي نيسابور، وهو أحد كبار فقهاء الشافعية، ومجدد المذهب الأشعري ، درس على أبيه أبي محمد الجويني وأتى على جميع مصنفاته ، وعندما توفي أبوه جلس مكانه في التدريس وكان عمره عشرين سنة ، ثم رحل إلى بغداد ثم مكة ودرّس فيها، ثم عاد إلى نيسابور فبنى له نظام الملك المدرسة النظامية فيها . (رجال الفكر والدعوة ، أبو الحسن الندوي)

واجتهد حتى برع في المذهب الأشعري ، وصار نائباً لأستاذه ، وقرأ الحكمة والفلسفة، وصنف في كل فن من هذه العلوم كتباً أحسن في تأليفها وأجاد في وضعها .

" وقد أعجب إمام الحرمين بذكائه وغوصه في المعاني الدقيقة واتساع معلوماته ، فكان يقول : الغزالي بحرٌ مغدق . " (١) ، وظلَّ الغزاليُّ ملازماً للإمام الجويني حتى مات الأخير عام ٤٧٨ هـ

### المرحلة الثالثة : اتصاله بالوزير "نظام الملك" وتدريسه بالمدرسة النظامية في بغداد

خرج الغزاليُّ قاصداً للوزير نظام الملك : " إذ كان مجلسه مجمع أهل العلم، فناظر الأئمة في مجلسه وقهر الخصوم وظهر عليهم، فاعترفوا بفضله وتلقاه صاحب بالتعظيم، وولاه التدريس بمدرسته فقدم بغداد سنة ٤٨٤ هـ ، ودرَّس بالنظامية فأعجب الخلق بعلمه وكماله وفضله . " (٢) كان الغزاليُّ في سنٍّ مبكرة عند بلوغه هذا المبلغ ، وتصدَّره للتدريس ، والتفاف الناس حوله ، فقد كان في الرابعة والثلاثين من عمره ، وفقد نال من الشهرة وإقبال الناس عليه ما لم يجتمع لمثله في مثل سنه ، وقد شهدت هذه المرحلة من حياته تصنيفه الكتب في علومٍ مختلفة .

### المرحلة الرابعة : اعتزاله التدريس ، وخروجه في طلب اليقين

يمكن اعتبار هذه المرحلة أهم مرحلة في حياة حجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، إذ لولاها لظل "الغزاليُّ" فيلسوفاً أو عالماً أو فقيهاً أو متكلماً كغيره من العلماء الكبار الذين امتلأت المكتبات بمصنَّفاتهم ، لكنه - وبعد هذه المرحلة - كان جديراً بأن يكون إماماً مجدداً ، ومصالحاً كبيراً ، وصاحب مدرسة فكرية وروحية عظيمة .

يقول في كتابه : المنقذ من الضلال - الذي يحكى فيه تجربته الروحية العميقة - : "وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري ، غريزةً وفطرةً من الله وضعتا في جبَّتي ، لا باختيارٍ وحيلتي ، حتى انحلت عني رابطة التقليد، فتحرك باطني إلى طلب حقيقة الفطرة الأصلية ، فقلت في نفسي أولاً : إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي؟ فظهر لي أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب . " (٣)

١- رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، أبو الحسن الندوي، ص٢٥

٢- طبقات الشافعية الكبرى ص ١٩٦-١٩٧ ، ج ٦ ، ط ٢ ، دار هجر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

٣- المنقذ من الضلال ، أبو حامد الغزالي ، تحقيق د. عبد الحليم محمود ، ص ١٢٦ ، ط ٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية ،

كانت هذه الفترة فترة المراجعة والتمحيص ، حيث اشتغل فيها بخاصة نفسه ، ومال إلى الزهد والاعتزال ، وقد ترك جميع مناصبه ، وخرج من ماله وداره باحثاً عن الحقيقة التي يطلبها ، واليقين الذي يبتغيه .

وظلَّ متنقلاً بين دمشق والقدس والحجاز ومصر وغيرها من البلدان ، وقد نظر الغزاليُّ إلى الذين يدعون سلوك طريق الحق ، وإدراك عين الحقيقة فوجدهم منحصرين في أربع طوائف هم : الفلاسفة ، والمتكلمون ، والباطنية ، والمتصوفة ، وبعد درسٍ ومراجعةٍ وتمحيصٍ ، اختار الغزاليُّ طريق التصوف الحقيقي المفضي إلى معرفة الله وسلوك الطريق إليه ، وقد أُلّف في هذه المرحلة موسوعته الشاملة : إحياء علوم الدين .

يقول : " ثم إنِّي ، لما فرغتُ من هذه العلوم ، أقبلتُ بهمّتي على طريق الصوفية وعلمت أن طريقتهم إنما تتم بعلمٍ وعملٍ ؛ وكان حاصل علومهم قطع عقبات النفس . والتتُّره عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة ، حتى يُتوصلُ بها إلى تخلية القلب عن غير الله - تعالى - وتحليته بذكر الله." (١)

وهو بهذا يحدد الوجهة الجديدة التي اختارها لنفسه ، بعدما تتقلَّ بين مختلف العلوم ، وبعد تجربة عميقة رأى أن يسير في هذا الطريق ، قائلاً : " فعلمتُ يقيناً أنهم أربابُ الأحوال ، لا أصحاب الأقوال ، وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته ، ولم يبقَ إلا ما لا سبيل إليه بالسمع والتعلم ، بل بالذوق والسلوك."

#### المرحلة الخامسة : عودته من عزلته وتدريسه "الإحياء"

عاد الغزالي بعد هذه الرحلة الروحية ، وعقد مجلسه للتدريس ، وأخذ يُحدِّث بكتابه : إحياء علوم الدين ، وظاهرٌ من الإسم الذي اختاره لكتابه الذي يُعدُّ مشروعاً فكرياً متكاملًا ، الرسالة التي عاد بها من عزلته ، فرسالته ليست تلقين علوم الدين ، أو مجرد تدريسها ، أو الجدل فيها وحولها ، وإنما " إحياء" هذه العلوم لتتبعث من جديد ، وتؤدي وظيفتها في حياة الأمة ، وكانت تجربته في الزهد قد أحدثت في حياته انقلاباً كبيراً ، ظهر أثره في طريقة حياته ، وأسلوبه في التدريس والوعظ ، ومنهجه الذي سنلقى عليه مزيداً من الضوء .

#### ر منهج الإمام الغزالي في الإصلاح والتجديد :

كان منهج الإصلاح والتجديد عند الغزالي منصباً في المقام الأول على "إخراج جيل جديد" ، جيل يبنى ما كان قد تهدم ، ويصلح ما كان قد اعتراه فساد ، وكانت وسيلته إلى هذا : بناء الإنسان ومحاولة تغييره من الداخل .

يظهر هذا واضحاً جلياً لمن يطالع " الإحياء " ، وهو المشروع الفكري لأبي حامد الغزالي ، مع أهمية مؤلفاته الأخرى<sup>(١)</sup> ، وكتاب الإحياء : " من كتب الإسلام المعدودة التي أثرت في حياة المسلمين وتفكيرهم تأثيراً عميقاً ، وظلّت تؤثر على نفوسهم وعقولهم زمناً طويلاً ، ولا يزال له نفوذ في الأوساط الدينية ليس لغيره ، ولم يزل العلماء وأهل النظر يُثنون عليه ، ويعترفون بفضله ومكانته ."<sup>(٢)</sup>

تميزت معالجات الغزالي للإصلاح والتجديد بصفاتٍ عديدة منها اعتماده **النقد الذاتي** ، سواء كان هذا النقد ذاتياً بمعنى انشغال الإنسان بخاصة نفسه ، وتركيزه على إصلاحها قبل إلقاء اللوم على الآخرين ، أو نقداً ذاتياً جماعياً تمارسه الأمة في مجموعها ، قبل أن تُلقي اللوم على أعدائها من الخارج ، ولذلك فإننا نجد الغزالي : " لا يلجأ إلى التبريرات وإلقاء المسؤولية على القوى المعادية للإسلام ، بل إلى عوامل الضعف الداخلي والقابلية للهزيمة ، فكان الغزالي يعالج " القابلية للهزيمة " بدل التباكي على " مظاهر الهزيمة " ، فالمشكلة - كلُّ المشكلة - حسب تصور الغزالي في فساد المحتويات الفكرية والنفسية عند المسلمين في أمور العقيدة والاجتماع ، وماسوى ذلك هي مضاعفات تزول بزوال المرض . وبناءً على ذلك لم يجعل الغزالي منطلقه الأول هو البدء بالإصلاح السياسي أو العسكري أو ماشابه ذلك ، وإنما جعله في الإصلاح الفكري والنفسي ، وهذا مبدأ قرآني واضح ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ )<sup>(٣)</sup> . " <sup>(٤)</sup>

فالغزالي لم ينتهج الصوفية السلبية المنعزلة عن الأحداث الجارية ، ودليل ذلك أنه لم يستمر في عزلته ، بل عاد وأسس مدرسةً كان لها أكبر الأثر في التغيير المنشود ، وكان منطلقه الأول البدء بنفسه ثم تغيير من حوله وإصلاحهم .

١- للأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي بحثٌ بعنوان "مؤلفات الغزالي" ذكر فيه المؤلفات المقطوع بصحتها إلى الإمام ، والمؤلفات التي يدور الشك في نسبتها إليه ، وأخرى منحولةً عليه ولا تصح نسبتها إليه ، من إصدار دار القلم ، بيروت ، الطبعة الثانية عام ١٩٧٧ م .

٢- رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، أبو الحسن الندوي ، ج ١ ، ص ٢٢٧

٣- سورة الرعد : الآية ١١

٤- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، د. ماجد عرسان الكيلاني ، ص ١١٣

بل إن بعض المصادر تروى أن الغزالي عزم على المضي إلى يوسف بن تاشفين<sup>(١)</sup> سلطان المغرب العربي وزعيم دولة المرابطين<sup>(٢)</sup> في الأندلس ، لما بلغه من عدله ليحضه على النهوض بدار الإسلام ، فبلغه موته وهو في الاسكندرية فقطع رحلته وعاد<sup>(٣)</sup> ، وهذا يدل على دعم الغزالي لكل محاولات الإصلاح والنهوض الجادة .

لكن وعلى الرغم من أن عصر الغزالي قد شهد الاحتلال الصليبي لبلاد المسلمين ، ودخول الصليبيين بيت المقدس وإقامتهم إمارة صليبية في القدس الشريف ، وفي بلاد إسلامية أخرى ، : " لكن المطمئن على كتاب الإحياء وغيره من مؤلفات الغزالي لا يجد ذكراً لهذه الأحداث ولا تركيزاً على وجوب مقاومة هؤلاء الغزاة المحتلين ، وتغيير هذا الواقع البئيس وهو صاحب الكلمة المسموعة ، والصيت المدوي ، والبيان المؤثر ، والحجة البالغة ، وهو الذي سجّل - بنفسه - في كتبه الفقهية أن حكم الجهاد في هذه الحالة فرض عين . " (٤)

والجدير بالذكر أن هذا الموقف - الذي يبدو في ظاهره سلبياً - كان مثار انتقاد للغزالي عند بعض الذين كتبوا عنه، ومنهم د. زكي مبارك في أطروحته عن " الأخلاق عند الغزالي " ، فتراه يقول بعد ذكر الحروب الصليبية وتأثير رجال الكنيسة في إشعال فتيلها

: " أتدري لماذا ذكرت لك هذه الكلمة عن الحروب الصليبية؟ لتعرف أنه بينما كان بطرس الناسك يقضي ليله ونهاره، في إعداد الخطب وتحرير الرسائل، لحث أهل أوروبا على امتلاك أقطار المسلمين، كان الغزالي غارقاً في خلوته، منكباً على أوراقه ، لا يعرف ما يجب عليه من الدعوة والجهاد ! ويكفي أن نذكر أن الإفرنج يوم فتح بيت المقدس، قتلوا من العلماء عدداً لا يحصيه إلا

---

١- قائد وأمير مسلم وَّحدَّ المغرب وضم الأندلس تحت وسلطته ، تولى إمارة دولة المرابطين بعد أن تنازل له ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر ، واستطاع فتح بلاد المغرب العربي وضم إليها بلاد الأندلس بعد أن قضى على ملوك الطوائف بالأندلس ، وقد اختار لنفسه لقب أمير المسلمين ( المصدر : دولة الإسلام في الأندلس ، د. محمد عبد الله عناني ، العصر الثاني : دول الطوائف حتى الفتح المرابطي ، ص ٣١٤ بتصرف ، ط ٤ ، مكتبة الخانجي ، ١٩٩٧م )

٢ - هي دولة إسلامية ظهرت في القرن الخامس الهجري، أسست في منطقة المغرب الإسلامي . اعتمدت على التلاحم عد من القبائل الكبيرة ، وسمت نفسها «دولة الرباط والإصلاح» ، وأبرز وجوه هذه الدولة هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذي أسس مراكش واتخذها عاصمة للدولة، ودخل الأندلس وأخضعها لسلطته بعد معركة الزلاقة ( المصدر : دولة الإسلام في الأندلس ، د. محمد عبد الله عناني ، ص ٣٠٢ - ٣٢٠ )

٣- انظر : طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السبكي ، ج ٤ ، ص ١٠٥

٤- موسوعة الحروب الصليبية ، د. محمد علي الصلابي . ص ٥١١ ، ج ١ ، دار ابن كثير . ط ١ بيروت ٢٠١٢م



الله ، كما ذكر السبكي <sup>(١)</sup> في طبقاته ، وما ذكرنا هذه المأساة إلا لنُعدَّ القارئ لفهم حياة الغزالي ، ولنقتنع بأنه ليس من الحتم أن يكون الرجل الممتاز بعلمه صورةً لعصره، فإن كتب الغزالي لا تنبئنا بشيء على تلك الأزمة التي عاناها المسلمون حين ابتدأت الحروب الصليبية. " <sup>(٢)</sup> فهل كان الغزالي - حجة الإسلام - غافلاً عما يدور حوله من أحداثٍ جسام؟! أم أنه اختار طريقاً آخر للتغيير؟

لقد اتخذ الغزالي لنفسه منهاجاً يقوم على الاشتغال بمعالجة الأمراض الأساسية التي تتخر في جسد المجتمع المسلم ، وذلك بعد استيعابه الكامل لأمراض أمته ومشكلاتها وأحوال عصره وثقافته السائدة ، فكان كالطبيب الماهر الذي أخذ يعالج المرض العضال بعد أن درس خفاياه وآثاره الجانبية ، وعلم أسبابه ودواعيه ، ووعى كيف يستأصل الورم الخبيث من الجسد العليل ، ليحافظ على هذا الجسد نابضاً بالحياة مؤدياً لدوره فيها .

وهذا المنطلق : " عززته خبرات الغزالي بعد أن رأى بنفسه مصير محاولات الإصلاح السياسي بقيادة السلاجقة <sup>(٣)</sup> بعد أن تجرَّع مرارة الفشل التي تجرَّعها مع أقرانه الذين شاركوا في المرحلة الأولى للإصلاح في ظل هذه القيادة ، بدأ الغزالي هذا التغيير بخاصة نفسه أولاً، ثم أخذ بتغيير مابأنفس الآخرين ، واستمر أصحابه وتلاميذه ومن تأثروا به في تطبيق هذا المنهاج ، فكان من ثمار ذلك ظهور جيل نور الدين <sup>(٤)</sup> وصلاح الدين <sup>(٥)</sup> . " <sup>(٦)</sup>

١ - تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (٢٧٢ - ٧٧١ هـ) فقيه شافعي، وقاضي القضاة في دمشق ، انتقل إلى دمشق مع والده الفقيه تقي الدين السبكي وهو صغير فسكنها وعاش حياته وأصبح من أشهر القضاة في دمشق وتوفي بها . ( مقدمة طبقات الشافعية الكبرى للإمام تاج الدين السبكي ، ص ١٥ ، ط ١ ، مكتبة الحلبي ١٩٦٤ م )

٢ - الأخلاق عند الغزالي ، د. ذكي مبارك ، ص ٢٧

٣ - يشير الكاتب - هنا - إلى الدولة السلجوقية بقيادة الوزير نظام الملك ، الذي قرب العلماء وأنشأ المدرسة النظامية - نسبة إليه - ، وقد اتصل الغزالي بـ " نظام الملك " في مرحلة من حياته سبقت الإشارة إليها .. ( راجع " الأخلاق عند الغزالي " ص ٢٥ )

٤ - هو : نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ، ويلقب بالملك العادل، شملت إمارته معظم الشام، وتصدى للحملة الصليبية الثانية، ثم قام بضم مصر لإمارته وإسقاط الدولة الفاطمية فيها ، تميز عهده بالعدل وتثبيت المذهب السني في بلاد الشام ومصر . ( موسوعة الحروب الصليبية ، د. علي الصلابي، ص ١١٥ . دار بن كثير، بيروت ٢٠١٢ م )

٥ - هو : صلاح الدين يوسف ابن أيوب ، وُلِدَ في تكريت عام (٥٣٢ هـ - ١١٣٨ م) ، تولى وزارة مصر خلفاً لعمه أسد الدين شيركوه، ثم ألقى الخلافة الفاطمية، وحد مصر والشام تحت قيادته بعد وفاة نور الدين محمود ، قاد صلاح الدين عدّة حملات ومعارك ضد الفرنجة وغيرهم من الصليبيين ، وقد تمكن من هزيمة جيش الصليبيين في بيت المقدس هزيمة منكرة في معركة حطين، " هكذا ظهر جيل صلاح ، د. ماجد الكيلاني ، ص ١١٠ باختصار )

٦ - هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ص ١١٤

## ١) ميادين الإصلاح والتجديد عند الغزالي

وهكذا رأينا أن الغزالي بمدرسته تلك التي أنشأها ، كان يعالج المرض ولايشغل بالعرض ، فكان من نتيجة هذا الجهد المبارك أن ظهرَ جيلٌ جديدٌ من العلماء والمربين، كان لهم تأثيرٌ كبيرٌ فى القادة والزعماء وعموم الأمة ، فكان من نتيجة هذا أن دُحِرت جيوش الصليبيين ، وفتِح بيت المقدس على يدى القائد المظفّر صلاح الدين الأيوبي .

### ١- العمل على إيجاد جيل جديد من العلماء والمريّين

وذلك لأنه حين شخّص الأدواء التى تعانى منها الأمة ، رأى أن فساد العلماء وانتشار الشكلية الدينية من أخطرهما وأشدّها فتكاً بالمجتمع المسلم ، فعمل على ضخّ روحٍ جديدةٍ فى هذا الجسد الهامد ، فهو يقول فى الإحياء: " الداء العضال فقدُ الطبيب ، فإن الأطباء هم العلماء وقد مرضوا فى هذه الأعصار مرضاً شديداً عجزوا عن علاجه ، وصارت لهم سلوةٌ فى عموم المرض (يعنى : حب الدنيا) حتى لا يظهر نقصانهم ، فاضطروا إلى إغواء الخلق والإشارة عليهم بمايزيدهم مرضاً ، فليتهم إذ لم ينصحوا لم يَغشُوا ، وإذ لم يُصلِحوا لم يُفسدوا " (١)

بل لعل هذا الميدان كان من أهم الأسباب التى جعلته يعكف على إحياء علوم الدين ، فالغزالي يرى : " أن التّبعة الكبرى فى الفساد الشامل ، والضعف فى الدين ، والانحلال فى الأخلاق ، تقع على العلماء ورجال الدين ، وهم السبب الأول فى فساد هذه الأوضاع ، لأنهم ملح الأمة ، وإذا فسد الملح فما الذى يصلحه؟! " (٢)

وتراه يوضح وجهته تلك ويحددها فى مقدمة كتابه ، فيقول : " فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء ، وقد شغّر منهم الزمان ، ولم يبقَ إلا المترسّمون (٣) وقد استحوذَ على أكثرهم الشيطانُ ، واستغواهم الطغيانُ ، وأصبح كلُّ واحدٍ منهم بعاجل حظّه شغوفاً ، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً، حتى صار عَمُّ الدين مندريساً ، ومنار الهدى فى أقطار الأرض منطمساً . " (٤)

١- إحياء علوم الدين ، الإمام الغزالي ج ٤ ، ص ٥١ ، ط ١ ، دار الغد العربى ، المنصورة ٢٠١١م

٢- رجال الفكر والدعوة فى الإسلام ، الشيخ أبو الحسن الندوى ، ج ١ ، ص ٢٧٠

٣- الرسوم :هى الأمور الظاهرة ، وأشكال العبادات وهياتها دون بواطن الأمور، وحقائقها ، وقد انتقد فى مواضع أخرى من " الإحياء " إتقانهم الحديث عن الظهار واللعان والسبق والرمى ، وتأليفهم المجلدات حولها ، وإهمالهم الحديث عن الإخلاص ، والتوكل وغيرها من أحوال القلوب

٤- إحياء علوم الدين ، الإمام الغزالي ، ج ١ ، ص ١٢

ويردُّ الإمام الغزالي فساد الملوك والأمراء ، إلى ضعف المرئيين والعلماء عن القيام بواجبهم نحو دينهم وأمتهم ، : " وبالجملة ، فإنما فسدت الرعية بفساد الملوك ، وفساد الملوك لفساد العلماء ، فلولا القضاةُ السُّوء والعلماءُ السُّوء العلماء ، فلولا القضاةُ السُّوء والسُّوء ، لقلَّ فسادُ الملوك ، خوفاً من إنكارهم " (١) ، وما يشير إليه الإمام الغزالي هنا هو أهمية صلاح العلماء والقضاة ، وأنه بصلاحتهم يصلح الأمراء والحكام ، وبصلاح الحكام تصلح أمور الرعية .

هذا ، وقد أسهب الغزالي في تحديد صفات العلماء المطلوبين لحمل رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وميِّز بين " علماء الآخرة " و " علماء الدنيا " مما ذكره في الجزء الرابع من موسوعته " إحياء علوم الدين " .

## ٢- وضع منهاج جديد للتربية والتعليم

فلم يكتف بمهاجمة نظام التعليم القائم بل وضع منهاجا بديلا هدفه تخريج علماء آخرة، يخدمون أهداف الدين ويحملون رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وطبَّق هذا المنهاج في مدرسته الأم التي تفرعت منها مدارس نهجت نهجها ، وسارت على دربها .

وقد كان من أولى خطوات هذا المنهج التربوي والتعليمي : تحرير الألفاظ ، وإزالة الالتباس في المفاهيم ، وتقويم الانحراف الذي كان قد حدث في مدلولات كثير من المصطلحات : " فقد فطن الغزالي - لذكائه الباهر وتجربته العلمية - أن من أخطر مظاهر الالتباس ، وانخداع الناس بالمظاهر ، وبعدهم عن الحقائق ، هو استعمال كلمات النصوص الدينية في غير محلها ، وفي غير معناها الأصيل. " (٢)

فهو يعقد في الإحياء فصلاً خاصاً في بيان ما بَدُلَ من ألفاظ العلوم يقول في مقدمته : " اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية ، تحريفُ الأسمى المحمودة وتبديلها ونقلها إلى معانٍ غير ما أراد السلف الصالح والقرن الأول ، وهي خمسةُ ألفاظ : **الفقه ، والعلم ، والتوحيد والتذكير ، والحكمة**. " (٣)

ثم شرع يشرح هذه الألفاظ ويبين مدلولاتها الصحيحة قبل الانحراف بها عن مضامينها ، فمن ذلك - على سبيل المثال - حديثه عن مصطلح التوحيد، بين ما كان عليه وما صار إليه

يقول : " وكان التوحيد عند الأولين هو أن يرى الإنسانُ الأمورَ كلها من الله - عزَّ وجلَّ - رؤيةً تقطع التفاتة عن الأسباب والوسائط ، فلا يرى الخير والشر كله إلا من - جلَّ جلاله - ، وقد جعل

١- إحياء علوم الدين ، الإمام أبو حامد الغزالي ، ج ٢ ، ص ١٣٢

٢- رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، الشيخ أبو الحسن الندوي ، ج ١ ، ص ٢٧٣

٣- إحياء علوم الدين ، الإمام أبو حامد الغزالي ، ج ١ ، ص ٢٨

الآن عبارة عن صناعة الكلام ، ومعرفة طريق المجادلة ، والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم ، والقدرة على التشدق فيها ، بتكثير الأسئلة وإثارة الشبهات ، حتى تسمى المتكلمون : العلماء بالتوحيد .<sup>(١)</sup>

### ٣- محاربة المادية الجارفة والعمل على تهذيب النفوس

عالج الغزالي - ضمن خطته الإصلاحية - المادية التي جرفت العالم الإسلامي في زمانه ، بروح العالم الفقيه بأمر الدنيا والآخرة ، يخاطب العقل ، ويستهدف الإقناع .  
فقد استعرض المجتمع الإسلامي المعاصر له ، فذكر ما ينبغي فعله على أهل كل طائفة ، وما ينبغي تركه ، وذكر ما انتشر بين الناس من بدع وأوهام ، فالغزالي بهذا لم يكن من هؤلاء الذين يداهنون العامة من الناس استرضاء لهم ، وطلباً لإقبالهم وثنائهم ، بل انتقد الأوضاع التي كان عليها عامة الناس كما انتقد الحكام والسلاطين وهو في كلا الأمرين حدّد جوانب الإصلاح وطريقته ومنهاجه .

وقد رأى أن هذه الماديّة ناتجة من اختلال العلاقة بين الإنسان والدنيا ، وسببها سوء جهل الحكمة الإلهية من خلق الإنسان ، الأمر الذي ينتج عنه اختلال في مقاصد الحياة وأهدافها . ، والقارئ لموسوعة "الإحياء" يرى هذا واضحاً جلياً ، فتراه يعدّ من المهلكات حب الدنيا، و حب المال ، و حب الجاه ، و الرياء ، والكبر والعجب<sup>(٢)</sup>

وخصّص الغزالي جزءاً من كتابه لذم الغرور ، ذكر فيه أصناف المغترين، وفرّق كل صنف ، فذكر المغترّين من أهل العلم وفرّقهم ، والمغترّين من المتصوّفة ، والمغترّين من أرباب الأموال وفرّقهم ، وقد ذكر منافذ الشيطان ، ومداخل النفس في هذه الطبقات وأصنافها ، ووصف ذلك وصفاً دقيقاً يدل على تجربته الروحية العميقة التي خاضها مع نفسه أولاً ، وثانياً يدل على فهمه لطبائع النفوس وأغوارها ، فهو مصلح اجتماعي عظيم ، بكل ماتحملة الكلمة من معانٍ ، وهو عالم نفس كبير له تجارب حية ، ونظر ثاقب في طبيعة النفس البشرية .

وهناك أيضاً من الميادين بالغة الأهمية التي عمل فيها الغزالي : محاربتة للتيارات الفكرية المنحرفة فهو في كثير من كتبه يرد بأسلوب علمي رصين على الفلاسفة والباطنية وغيرهم ، إلا ان هذا الميدان ليس داخلا تحت الإطار التجديدي الذي نحن بصدد البحث فيه .

وبعد هذه الإطالة السريعة على حياة الغزالي ومنهجه في التجديد، فإنه : " مهما قيل في الغزالي أو قيل عنه فلاشك أنه من نوابغ الإسلام وعقوله الكبيرة ، ومن كبار قادة الفكر الإسلامي، ورجال

١- إحياء علوم الدين ، الإمام أبو حامد الغزالي ، ج ١، ص ٣٣

٢- انظر : إحياء علوم الدين ، ربع المهلكات الكتاب الخامس و السادس والسابع والثامن والتاسع

الإصلاح والتجديد الذين لهم فضلٌ كبيرٌ فى بعث الروح الدينية ، وإيقاظ الفكر الإسلامى والدعوة إلى حقائق الإسلام وأخلاقه. " (١)

كان من آثار المدرسة التجديدية التى أنشأها حجة الإسلام الإمام الغزالى ، ظهور نوع جديد من المدارس والمؤسسات التربوية ، التى استلهمت روح التجديد من الغزالى وسارت على دربه .  
: " وهكذا فجر الغزاليُّ حركة الإصلاح التى تتابعت حلقاتها بعده حتى انتهت بدحر الغزاة الصليبيين واسترجاع الأرض والمقدّسات . " (٢)

والواقع أنه يصعب الإحاطة بآثار التى أحدثها الغزالى ، فهى متعددة شملت مختلف النواحي الإجتماعية والدينية ، والعلمية كذلك ، لكن دوره وأثره الإصلاحى والتجديدى كان هو الأثر الباقى والممتد للأجيال التى جاءت بعده .

يقول الأستاذ فتح الله كولن عن دور الإمام الغزالى فى نهضة الأمة وإحيائها : " وقد أتبع الإمام الغزاليُّ منهج التربية وتنشئة الأجيال المؤمنة ، فقد شرح فلسفة الخدمة الإيمانية لبضعة أفراد دعاهم إلى حلقاته العلمية ، وأرشدهم إلى سبيل إحياء علوم الدين ، ومن أجل هذه الغاية ألف كتابه "المنقذ من الضلال" من ناحية ، وألف كتابه " إحياء علوم الدين " من ناحية أخرى ، فأوقد به مشاعل انبعاث الحياة الإسلامية فى قلوب المؤمنين . " (٣)

وعلى ذات الدرب سار ويسير الشيخ فتح الله كولن ، فى اعتماده المنهج التربوى والتعليمى فى إصلاح الأمة ونهضتها .

ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ كولن يؤكد - هنا - على سمة من أبرز سمات منهج الإمام الغزالى فى الإصلاح ، وهو : العمل على إيجاد جيل جديد من الدعاة والمربين ، وهو ما أسماه كولن : فلسفة الخدمة الإيمانية ، وأكد على أن الإمام الغزالى استطاع بهذا النهج التربوى الخالص أن يوقد مشاعل انبعاث الحياة الإسلامية فى قلوب المؤمنين .

١- رجال الفكر والدعوة فى الإسلام ، الشيخ أبو الحسن الندوى ، ص ٢٨٧

٢- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، د. ماجد عرسان الكيلانى ، ص ١٨٥

٣- لمسات فى إصلاح المجتمع ، فتح الله كولن ، ص ٢٥ ، ط ١ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٦ م

## المطلب الثالث

### حركة التجديد والإصلاح فى العصر الحديث

أولاً : مدرسة الشيخ محمد عبده ودورها فى التجديد و الإصلاح

شهد العالم الإسلامى تراجعاً حضارياً كبيراً مع ظهور الضعف فى الخلافة العثمانية وعلى الرغم من أن هناك نهضة عمرانية وتنموية ظهرت فى مصر - على وجه الخصوص - فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى ، إلا أن هذه النهضة لم تواكبها نهضة علمية وثقافية ، ولا تغيير جذرى فى مناهج التعليم الدينى ، أو الإلقاء الوعظى والإرشادى

#### الإمام محمد عبده ... حياته فى مراحل

نستطيع باستقراء سريع لحياة الأستاذ الإمام محمد عبده أن نقسم حياته إلى عدّة مراحل ، متميزة ومتداخلة فى آنٍ واحد ، تُبنى كلُّ مرحلة على التى سبقتها ، بحيث نصل فى نهاية المطاف إلى مرحلة نضجه الفكرى التى استطاع فيها بلورة مشروعه التجديدى والإحيائى الذى نحن بصدد الحديث عن طرفٍ منه .

**المرحلة الأولى :** طلبه العلم فى سنٍّ مبكرة وصدوده عن طلب العلم فى الأزهر ، فقد وُلد محمد بن عبده بن حسن خير الله عام ١٨٤٩م ، فى قرية " محلة نصر " التابعة لمركز " شبرا خيت " بمحافظة البحيرة .

تلقى تعليمه الأولى للقراءة والكتابة ، وحفظ القرآن فى القرية ، ثم ذهب إلى الجامع الأحمدي بـ"طنطا" عام ١٨٦٢م .

وهناك بدأ يتلقى أول دروسه الأزهرية ، بعد أن استكمل تجويد القرآن ، لكنَّ أساليب التدريس المتبعة آنذاك صدّته عن قبول الدروس ، فقرر هجران الدراسة ، وعاد إلى قريته ، وتزوج ، وعزم على أن يكون فلاحاً كأبيه ، يقول - هو نفسه - عن هذه المرحلة : " جلست فى دروس العلم ، وقضيت سنة ونصفاً لا أفهم شيئاً ، فإن المدرسين كانوا يفاجئونا باصطلاحات نحوية أو فقهية لانفهمها ، فأدركني اليأس من النجاح وهربتُ من الدروس ، ولم يبقَ عليّ إلا أن أعود إلى بلدي وأشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من أقاربي ، ورجعت إلى " محلة نصر " ، على نية ألا أعود إلى طلب العلم ، وتزوجتُ فى سنة ١٢٨٢هـ ، على هذه النية . " (١)

١- عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده ، للأستاذ : عباس محمود العقّاد ، ص٥٩ ، ط١ ، مؤسسة هندواى للتعليم والثقافة ، القاهرة ٢٠١٢م

## المرحلة الثانية : التأثير الصوفي عليه من قبل الشيخ درويش، وإقباله على طلب العلم

ففي هذه الفترة التقى بالشيخ درويش خضر- خال والده - وهو صوفيٌّ كان علي اتصال بالزاوية السنوسية ، فألقى إليه ببعض من حكمة التصوف وقاده إلي شيء من سلوك الصوفية ، فعادت إليه الرغبة في التعليم ، وعاد إلي الجامع الأحمدي سنة ١٨٦٥م - ١٢٨٢ هـ .

" اتصل الشيخ محمد عبده بالشيخ درويش ، فصار إنساناً آخر ، ولم يكن ذلك عن عصا سحرية ولا معجزة سماوية ، كان عند الفتى عقدة نفسية ، اعتقد أنه لا يفهم ولن يفهم ، فما فائدة الاستمرار ؟ وحلَّ الشيخ درويش هذه العقدة ، بأن أعطاه كتاباً سهلاً في المواعظ والأخلاق ، وجعله يقرأ ، أخذ الشيخ يشرح ، فإذا الطالب يفهم ، وإذا العقدة تُحل . " (١)

وبدأ الفتى المقبل على العلم يفكر في الذهاب إلي القاهرة كي يلتحق بالجامع الأزهر ، و حدث ما يحكيه الإمام - ولعل هذا من توفيق الله له - عندما كتب ليقول : " في يوم من شهر رجب من تلك السنة -١٢٨٢هـ - ، كنت أطالع بين الطلبة ، وأقرأ في شرح الزرقاني ، فرأيت أمامي شخصاً يشبه أن يكون من أولئك الذين يسمونهم بالمجانيب ، فلما رفعتُ رأسي إليه قال ما معناه : ما أحلى حلواء مصر البيضاء .. فقلت له وأين الحلوى التي معك ؟ فقال : سبحان الله ! من جدِّ وجد ! ثم انصرف ، فعددتُ ذلك القول إلهاماً ساقه الله إليّ ، ليحملني علي طلب العلم في مصر دون طنطا . " (٢)

## المرحلة الثالثة : اتصاله بالسيد جمال الدين الأفغاني : حيث زار السيد جمال الدين الإفغاني مصر

عام ١٨٧١م - ١٢٨٨هـ وطاب له المقام فيها ، فأتصل به الكثير من الدعاة والأدباء والسياسيين ، وكان من بينهم الشيخ محمد عبده ، ولازم مجلسه ، حيث يقول : " وقد صاحبته من ابتداء شهر المحرم سنة ١٢٨٧ هـ ، وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية، وأخذ مشايخ الأزهر والجمهور من طلبته يتقوّلون عليه وعلينا الأفاويل ، ويزعمون أن تلقّي تلك العلوم قد يفضي إلى زعزعة العقائد الصحيحة." (٣)

كان لاتصال الإمام محمد عبده بالسيد جمال الدين الأفغاني الأثر الأكبر في حياته ، ومسيرته الفكرية ، مما جعله يقول : " إن أبي وهبني حياةً يشاركني فيها عليّ ومحروس (٤) ، والسيد جمال

١- زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، أحمد أمين ، ص ٢٨٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت

٢- المرجع السابق ، ص ٦١

٣- عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده ، لعباس العقاد ، ص ٦٤

٤- وهما أخوان له كانا مزارعين

الدين وهبني حياةً أشارك فيها محمداً وإبراهيم وموسى وعيسى - عليهم الصلاة والسلام - ،  
والأولياء والصدّيقين .<sup>(١)</sup>

**المرحلة الرابعة :** المرحلة التي تولّى فيها دعوة الإصلاح في مصر بعد نفى الأفغانى ، وذلك حين نُفى الأفغانى إلى باريس ، وعُزِلَ الشيخ محمد عبده من منصبه في التدريس في مدرستي دار العلوم والألسن ، وذلك عام ١٨٧٩م ، حيث أنه : " لم تمضِ سنوات بعد أول لقاء له بالسيد جمال الدين حتى جاشت البلاد بقلقل وإرهاصات الثورة ، وكان محمد عبده يُلقِي دروسه ، ويكتب مقالاته ، ويشارك زعماء الثورة ، فيوافقهم على أمور ويخالفهم على غيرها ، ومن أهم ما خالفهم عليه أن يهتموا بتعليم الأمة لتوكل إليها حقوقها وهي أمينة عليها ."<sup>(٢)</sup>

وبعد أقل من عام صدر العفو عن الشيخ محمد عبده ، وتولى رئاسة الوقائع المصرية ، فاشتغل بالصحافة ، واتخذها منبراً للإصلاح ، و: " هنا برز اختلافه عن الأفغانى في وسيلة النهضة بالشرق ، وبدا الفرق واضحاً بين الإفغانى الثورى وبين محمد عبده المصلح " <sup>(٣)</sup>

في هذه الفترة انضمَّ الإمام إلى ثورة عرابى ، وأيدها وكان من دُعَاتِهَا ، على الرغم من الاختلاف بينه وبين قادتها في بعض الوسائل التي تنمُّ عن فكرته الأصيلة في الإصلاح الذي يجب أن يبدأ من المجتمع أولاً ، فتراه يقول لعرابى : " علينا أن نهتم الآن بالتربية والتعليم بعض سنين ، وأن نحمل الحكومة على العدل بما نستطيع ، وأن يبدأ بتربيتها في استشارة الأهالي ، وليس من المصلحة أن نفاجئ البلاد بأمرٍ قبل أن تستعد له ، فيكون من قبيل تسليم المال للناشئ قبل بلوغ سن الرشد ، فيفسد المال ويفضي إلى الهلكة ."<sup>(٤)</sup>

وبعد هزيمة الثورة ، عوقب الإمام مع قادتها ، فسُجِنَ ثلاثة أشهر ، ثم حُكِمَ عليه بالنفى ثلاث سنوات .

**المرحلة الخامسة :** مرحلة المنفى ، حيث نُفى أولاً إلى بيروت ، ثم دعاه أستاذه الأفغانى أن يقيم معه في باريس ، وهناك أخذ يعمل مع أستاذه على إصدار جريدة " العروة الوثقى " ، وصال وصال مع الأفغانى في عدد من الدول ، لكنه : " في النهاية وبعد توقف " العروة الوثقى " يئس من العمل

١- زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، أحمد أمين ، ص٢٩٣ ، والأولى بالكاتب أن يظهر التوقير لمقام الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام ، وأقلها أن يسبق أسماءهم لفظ - سيدنا - .

٢- عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده ، عباس العقاد ، ص٧٢

٣- المنهج الإصلاحى للإمام محمد عبده ، د. محمد عمارة ، ص ١٩

٤- عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده ، عباس العقاد ، ص٧٣



السياسى المباشر كوسيلة لنهضة الشرق ، فغادر باريس إلى تونس ، ومنها إلى بيروت حيث مارس العديد من الأنشطة الفكرية والثقافية والتربوية . " (١)

المرحلة السادسة : المرحلة التى تبوأ فيها الصدارة الفكرية فى العالم الإسلامى ، فى هذه المرحلة تميّز المشروع الإصلاحى لمحمد عبده عن المشروع الثورى لجمال الدين الأفغانى ، وفى هذه المرحلة أصبح واضحاً جلياً ما بين الرجلين من اتفاق واختلاف ، فهو اتفاقٌ أصيل فى الغايات والاهداف ، واختلافٌ جوهريٌّ فى الأدوات والوسائل ، وعندما عاد الأستاذ الإمام إلى مصر شرع فى تنفيذ مشروعه الإصلاحى ، وكانت غايته أن يعود إلى منصة التدريس ، لكن السلطات رفضت أن تُتيح له فرصة التواصل المباشر مع جماهير الشباب ، خشية التأثير فيهم ، ثم عُيّن قاضياً فمستشاراً بمحكمة الاستئناف عام ١٨٩١م .

: " حاول الإمام إقناع الخديوى عباس حلمى الثانى بالعمل على إصلاح المؤسسات التعليمية والتربوية والاجتماعية الثلاث : الأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية . وفى عام ١٨٩٩م عُيّن فى منصب " مفتى الديار المصرية " ، وتبعاً لهذا المنصب أصبح عضواً فى مجلس الأوقاف الأعلى ، فسعى إلى إصلاح الأوقاف وإصلاح المساجد ، وفى سنة ١٩٠٠م أسّس جمعية " إحياء العلوم العربية " فحققت ونشرت عدداً كبيراً من آثار التراث العربى الإسلامى الفكرية الهامة . " (٢)

وقد توفى الإمام فى شهر يوليو من عام ١٩٠٥م ، عن ٥٧ عاماً ، قال عنه تلميذه السيد محمد رشيد رضا : " سليم الفطرة، قدسيّ الروح ، كبير النفس ، وصادف تربية صوفية نقية زهّده فى الشهوات والجاه الدنيوي وأعدّته لورثة هداية النبوة، فكان زيتته فى زجاجة نفسه صافياً يكاد يضيء ولو لم تمسه نار . " (٣)

وهكذا عاش الإمام حياة كلها جهدٌ وجهادٌ فى تبليغ رسالته وإحياء أمته ، تعددت مراحلها وامتألت جنباتها بكل ما يفيد الناس وينفعهم .

### الإمام محمد عبده والأستاذ جمال الدين الأفغانى :

مع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كان هناك تيارٌ إصلاحى تجديدي قد بدأ يتكون وينتشر ؛ كان هذا مع بداية بزوغ نجم السيد جمال الدين الأفغانى الذى أطلق عليه : موقظ الشرق .

١- المنهج الإصلاحى للإمام محمد عبده ، د. محمد عمارة ، ص ٢٣

٢- المنهج الإصلاحى للإمام محمد عبده ، د. محمد عمارة ، ص ٢٥

٣- عبقرى الإصلاح والتعليم للإمام محمد عبده ، للأستاذ : عباس محمود العقّاد ، ص ١٧٩

وهو أفغانى الأصل ، شريف النسب ، ينتمى إلى الحسن بن علىّ - رضى الله عنهما - ، تعلم فى بلاده الفارسية والعربية ، ودرس الفلسفة الإسلامية والتصوّف، ودرس العلوم الرياضية ثم رحل إلى بلاد المشرق العربى ، فأقام بمصر ثماني سنوات (١٨٧١ - ١٨٧٩ م).<sup>(١)</sup> وتعدّ الفترة التى قضاها السيد جمال الدين الأفغانى فى مصر - التى هى دُرّة بلاد الإسلام - هى أخصب فترات حياته ، ففيها وجد تربةً خصبةً لغرسه المبارك ، ووجد تلاميذ يأخذون عنه ، كلُّ وفق استعداده وميوله ، فالتفّ حوله السياسيون والأدباء والشعراء والعلماء والفلاسفة وغيرهم ، ويبدو أن الرجل كانت لديه إمكانيات قائمة ، وحضور غير عادى ، ولنترك تلميذه النجيب الإمام محمد عبده يحدثنا عن بعض سجايه .

يقول واصفاً إياه : " له سلطةٌ على دقائق المعاني وتحديدها وإبرازها في الصورة اللائقة بها ، كأن كل معنى قد خلق له ، وله قوةٌ في حلِّ ما يعضل منها كأنه سلطانٌ شديد البطش، فنظرةٌ منه تفكك عقدها، كلُّ موضوعٍ يلقى إليه يدخل للبحث فيه كأنه صنّع يديه، فيأتي على أطرافه، ويحيط بجميع أكنافه، ويكشف ستر الغموض عنه فيظهر المستور منه، وإذا تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها وله حدقٌ فى صناعة الحجّة ، لايلحقه فيها أحد . " <sup>(٢)</sup>

إلا أن السيد جمال الدين الأفغانى - بطبيعة تكوينه - كان يميل إلى التغيير السياسى ، فقد كانت : " خطة السيد جمال الدين للإصلاح أن يبدأ بتأسيس دولة واحدة على الأقل صالحة لقيادة العالم الإسلامى كله فى معترك السياسة الدولية، وفى تنفيذ برامج النهضة والهداية العملية. " <sup>(٣)</sup>

وقد اختلف عنه فى هذا تلميذه الأستاذ الإمام محمد عبده ، فكان يرى أن العقول والنفوس أولاً ، ثم تأتى الحكومات لتكون معبّرةً عن إرادة هذه العقول وتلك النفوس ، فالتغيير السياسى نتيجةٌ لاسبب وهذا ماركز عليه محمد عبده وبنى عليه منهجه فى الإصلاح .

وعلى كثرة تلاميذ الأفغانى فإن الإمام محمد عبده يعدُّ - عند كثيرين - أكثر تلاميذه تأثيراً وارتباطاً به ، ولذلك فقد ارتبط اسم أحدهما بالآخر ، وكوّنَا معاً مدرسةً فكريةً تجديديةً حمل لواءها فى الشرق الإسلامى الإمام محمد عبده .

صحيحٌ أن الرجلين لم يسيرا فى خطٍ واحد حتى النهاية - كما أسلفنا فى التعريف بالإمام محمد عبده - ففى حين : " كان السيد جمال الدين يرى أن تحرُّر المسلمين من الاستعمار بالعمل

١- انظر : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، أحمد أمين ، بتصرف ، ص ٥٩ ، ٦٠

٢- المرجع السابق ، ص ٦١ ، نقلا عن الشيخ محمد عبده

٣- عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده ، للأستاذ : عباس محمود العقّاد ، ص ٨٩ ،

السياسي يؤدي إلى التقدم ، كان محمد عبده يرى أنّ الاستعمار نتيجة وليس سبباً ، وأنه لو لم تكن هناك أسبابٌ ذاتيةٌ لدى المسلمين لما نجح الاستعمارُ في الاستيلاء على ديارهم .<sup>(١)</sup> على الرغم من ذلك إلا أننا نستطيع تلمسَ خطوطٍ عريضة لهذه المدرسة الإصلاحية التجديدية .

### ل أهم معالم مدرسة محمد عبده الإصلاحية التجديدية

أما عن معالم هذه المدرسة الإصلاحية التجديدية ، فمنها ما يشترك فيه محمد عبده مع الأفغانى ، متأثراً به ، ومنها ما يختص به الإمام محمد عبده فى مشروعه الإصلاحى ، وهى - لاشكاً - معالم متداخلة فى أمور ومتميزة فى أمور أخرى

#### ١- إصلاح المؤسسات الدينية والتعليمية

فقد كانت للشيخ محمد عبده - خاصة - اتجاهات فكرية تعلق الآمال على التربية والتعليم : " وكان يرى أن الأمة إذا امتلكت صفوة مستتيرة من أبنائها ، ثم اتسع عدد هذه الصفوة ونطاقها ونفوذها حتى غلبت الجهل والجهلاء ، فإن كل مشاكل الأمة ستأخذ طريقها إلى الحل ، كثمرة نضجت وحن لها موعد القطاف ، وكان من أثر هذا التوجُّه خاض الرجل معارك ضارية ضد الجامدين عند فكرية العصور الوسطى ، وارتبط اسمه بإصلاح التعليم الدينى وتجديد الفكر الدينى متصدياً لفكرية العصور الوسطى (المملوكى - العثمانى) التى قدّست ما لا يستحق التقديس من المتون والحواشى وأقوال الرجال ."<sup>(٢)</sup>

ولتجديد الدين كان لابد من النظر فى شأن المؤسسات المسئولة عن تدريس الدين ، وعرضه على الناس ، ومن هنا جاءت محاولات الإمام من أجل إصلاح التعليم فى الأزهر ، بل يمكننا القول أنه جعل رسالته الأولى بعد عودته من المنفى فى هذا الاتجاه دون غيره ، وفى سبيله ترك السياسة ولعنها ، حيث : " يظهر من تاريخ الشيخ أنه لا يحب السياسة ، بل يلعنها ويلعن مشتقاتها ، ولم يشتغل بها إلا تحت تأثير أستاذه جمال الدين ، أما هو فىرى نفسه معلماً للعقول ، مصلحاً للعقيدة الإسلامية ، مدافعاً عن الإسلام ، كذلك كان قبل الثورة ، وكذلك كان بعده ."<sup>(٣)</sup>

كان الإمام يرى أن فى إصلاح المؤسسات الدينية والتعليمية وعلى رأسها الأزهر ، ما يمكن أن يخرج الأمة إخراجاً جديداً ، ولهذا السبب كان جلُّ اهتمامه منصباً على التربية والتعليم فقد : " كان يريد أن يسيطر على برامج التعليم فى المدارس ، حتى يصلح النفوس من هذا الطريق ، بالتوسع

١- عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده ، للأستاذ : عباس محمود العقّاد ، ص ٧٠

٢- تيارات الفكر الإسلامى : د. محمد عمارة ، ص ٢٩٦ بتصرف ، ط ٢ ، دار الشروق ، ١٩٩٧م

٣- زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، أحمد أمين ، ص ٣١١

فى التاريخ الإسلامى ، وبتّ مبادئ الدين الصحيح ، ولهذا كان ينتهز كل فرصة لتقديم تقرير عن التعليم ، لكل مسئول يتوسم فيه إمكانية تنفيذ خطته الإصلاحية .<sup>(١)</sup>

وكان منهجه التربوى فى هذا الإصلاح : العودة إلى الدين نقيّاً من كل شائبة ، فقد كان يرى أن إصلاح الأمة عن طريق الدين هو أقصر السبل وأقومها ، وهو الطريق ذاته الذى سار فيه كلّ المصلحين قبله ، فهو يقول

: "إن الغرض الذى يرمى إليه جميع المصلحين ، إنما هو : تصحيح الاعتقاد ، وإزالة ما طرأ عليه من خطأ فى فهم نصوص الدين ، حتى إذا سلمت العقائد من البدع ، تبعها سلامة الأعمال من الخلل والاضطراب ، واستقامة أحوال الأفراد ، وسرى الصلاح منهم إلى الأمة ، فإذا كان الدين كافلاً بتهذيب الأخلاق ، وصلاح الأعمال ، فلم العدول عنه إلى غيره؟" .<sup>(٢)</sup>

من أجل هذه الغاية السامية طرّق الإمام محمد عبده كلّ باب ، وسعى فى كلّ سبيل ، لتحقيق غايته ، فاتهمه البعض باسترضاء الإنجليز ، واتهمه آخرون بالنكوص عن مقاومة المحتل ، وهو ماضٍ فى طريقه لا يلوى على شئ ، ولا يهتم برضى الناس مادام يبتغى رضا الله - سبحانه وتعالى

## ٢- أعمال العقل مستهدياً بنور الوحي

كانت هذه السمة لدى المدرسة الإحيائية عند الإمام محمد عبده ، من آثار اتصاله الوثيق بالسيد جمال الدين الإفغانى ، فالأفغانى : "قدّم نفسه كفيلسوف متصوف ، ليس بما أحيى من دروس الفلسفة ومباحثها فحسب ، ولكن بسلوكه أيضاً ، فهو يخلط الفلسفة بالتصوف ، ويخاطب نفسه : أيها الدرويش الفانى ممّ تخشى ؟ اذهب وشأنك ولا تخف من السلطان ، ولا تخش الشيطان ، كن فيلسوفاً ترى العالم ألعوبة ، ولا تكن صبيّاً هلوفاً ، إنه سيان عندى طال العمر أم قصر ، فإن هدفى أن أبلغ الغاية ، وحينئذ أقول : فزت وربّ الكعبة" .<sup>(٣)</sup> وقد كان بحق الفيلسوف المناضل والصوفىّ المجاهد .

وقد أفاد منه تلميذه النقيب الأستاذ الإمام محمد عبده ، فكان مجال أعمال العقل - عنده - ليس أمور الدنيا فقط بل وعلوم الدين أيضاً ، فالقرآن الكريم وهو المعجزة الخارقة التى تحدّى بها الإسلام خصومه : " قد دعا الناس إلى النظر فيه بعقولهم ، فالإسلام لا يعتمد إلا على الدليل العقلى ،

١- زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، أحمد أمين ، . ص ٢٣١

٢- المرجع السابق . ص ٢٣٢

٣- تيارات الفكر الإسلامى : د. محمد عمارة ، ص ٣٠١

فلا يدهشك بخارقٍ للعادة ، ولا يغشى بصركَ بأطوارٍ غير معتادة ، ولا يخرس لسانك بقارعةٍ سماوية ولا يقطع حركة فكري بصيحةٍ إلهية. <sup>(١)</sup>

فإذا كان القرآن قد دعانا إلى تدبر آياته وإعمال الفكر والنظر فيها ، فما سواه من كلام الناس واجتهاداتهم أولى .

والعقلانية التي دعا إليها الأستاذ الإمام محمد عبده ، هي العقلانية المقيدة بنصوص الوحي الإلهي ومن هنا يتبين لنا أن السلفية التي دعا إليها كانت سلفيةً تُعَلَى من قيمة العقل في فهم النصوص وليست سلفية حرفية تقف عند حرفية النصوص ، كذلك كان الإمام ضد إطلاق المجال للعقل على غير هدى من نور الوحي ، يقول العقاد : " وهو مع تحكيم العقل والاستهداء به ، ولكنه لا يرى الاستغناء بالعقل وحده؛ لأنه يفرق بين مطابقة الدين للعقل وبين الاكتفاء بالعقل في المسائل النظرية والشرعية؛ إذ لا بد من تسليم العقل بنصيب الشرع من الهداية، ما دام العقل يعلم أنه لا ينفذ إلى كُنْه الأشياء، وأن العقول الإنسانية موكولة إلى حكمة الغيب حيث وقف بها مدى التفكير. <sup>(٢)</sup>

بل إننا نرى الإمام يجعل " العقل " ، ضمن مأسماه " الهدايات الأربع " وهي : **العقل والنقل وتجربة الحواس والوجدان** ، وهو يرى أن هذه هذا الهدايات الأربعة هي التي تقود الإنسان إلى سعادته ، وتحقق للإسلام وسطيته وأثرانه .

يقول : " لقد منح الله الإنسان أربع هدايات يتوصل بها إلى سعادته :

**أولها: هداية الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري**، وتكون للأطفال منذ ولادتهم ، **والثانية: هداية الحواس والمشاعر**، وهي متممة للهداية الأولى ، ويشترك الإنسان فيهما الحيوان الأعجم **والثالثة: هداية العقل**، خلق الإنسان ليعيش مجتمعه.. فحباة الله هداية هي أعلى من هداية الحس والإلهام، وهي العقل الذي يصحح غلط الحواس والمشاعر ويبين أسبابه، وذلك أن البصر يرى الكبير على البعد صغيراً، ويرى العود المستقيم في الماء معوجاً، والعقل هو الذي يحكم بفساد هذا الإدراك.

**والهداية الرابعة: الدين**. فقد يغلط العقل في إدراكه كما تغلط الحواس، وقد يهمل الإنسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية، ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال، فاحتاج الناس إلى هداية ترشدتهم في ظلمات أهوائهم، إذا هي غلبت على عقولهم ، فالإنسان في أشد الحاجة إلى هذه الهداية الرابعة - الدين - وقد منحها الله إياها .. <sup>(٣)</sup>

١- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، د. محمد عمارة ، ص ١٥١

٢- الإمام محمد عبده عبقرى الإصلاح والتعليم ، عباس محمود العقاد ، ص ١٦٢

٣- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، د. محمد عمارة ج ٤ ص ٤٥.٤٣ ، بتصريف

وبذلك فإنه مع إعلائه لشأن العقل ، وجعله واحداً من الهدايات الأرفع ، يجعل الوحي والنقل حاكماً عليه ، وهذا منهجٌ وسطيٌّ بين من ينيرى العقل حاكماً على النص ، وبين من يلغى العقل في مواجهة النص .

وجماع القول في مدرسة الأستاذ الإمام أنها كانت مدرسة : " المصلح الإسلامي المفكر ، الذي أعطى التفكير النظري كل حقه ، ولكنه أخذ منه حق العمل على الإصلاح الرشيد المستتير ، واستخلص منه العقيدة الإسلامية خالصةً من عقبات الجمود والخرافة ، التي تصدها عن التقدم وتقعدها عن مسايرة الزمن والتأهب للحياة بأهبة العقل البصير والضمير الحر ، والكفاية الخلقية والمادية لمناهضة القوة المستطيلة عليها بسلاح العلم والمال ؛ تلك القوة التي أنزلت المسلمين في العصر الحديث منزلة المغلوبين المستعبدين ، ومن حقهم لو عرفوا دينهم حق معرفته أن يترقعوا بأنفسهم عن مهانة الخنوع والاستعباد." (١) .

نستطيع القول أن الإمام محمد عبده قد أنشأ روحاً جديدة تنطلق من الدين لتعمر الدنيا ، فقد :  
اجتمع حوله مثقفون مصريون وشوام ، وكان من هؤلاء رشيد رضا والكواكبي وعندما توفي الشيخ محمد عبده ، كانت الحركة الإصلاحية قد انطلقت ، كما كان تلامذته ومريدوه قد صاروا ظاهرين في الحياتين الثقافية والعامة . ووسط هذه الأجواء بدأت معالم الفكر الإسلامي المعاصر بالظهور." (٢)

صحيح أن ثمار الإصلاح التي غرسها الشيخ الإمام محمد عبده لم يرها في حياته ، إلا أن هذه النبتة المباركة أينعت ثمارها ، فشهد النصف الأول من القرن العشرين نهضةً فكرية وثقافية ودينية في مصر والعالم الإسلامي ، كان فكر الإمام محمد عبده والسيد جمال الدين الأفغانى ورفاقهما ، هو الوقود لهذه الحركات الإحيائية التي ظهرت في العالم الإسلامي بعد ذلك .

١- الإمام محمد عبده عبقرى الإصلاح والتعليم ، عباس محمود العقاد ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ،

٢- مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، د. رضوان السيد : بتصرف ص ٧٥ ، ٢٠٠٩ ، ط ١ دار النيل

## ثانياً : مدرسة الإصلاح الدينى فى تركيا

### ( تجربة بديع الزمان النورسى )

من يتعرض للحديث عن الفكر الإصلاحى ذى الاتجاه الإسلامى فى تركيا لا بد له من أن يقف عند شخصية الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسى (١٨٧٦ - ١٩٦٠ م) الذى كان ملهماً لحركة إصلاحية بارزة للعيان ، والحديث عن الحركة هنا لا يعنى أن الرجل قد سعى إلى بناء كيان منظم ومهيكل، فهذا لم يحدث ولم يسمح الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسى به، إذ كان يلح دائماً على ضرورة الالتفاف حول "رسائل النور" التى كان يعتبرها فيضاً من فيوضات القرآن الكريم.

وقد أُجريت بشأنه دراسات ، وأبحاث عديدة تناولته وحركته من جوانب عدة منها ما حكمت له وأسهمت فى إطرئه ومنها ما حكمت عليه وبالغت فى اتهامه ونذر من البحوث ما قيّمته وحركته تقييماً علمياً بعيداً عن الإفراط.

### ( حياته الأولى )

وُلد النورسى فى قرية نورس (NURS) التى يُنسب إليها، حتى صارت هذه النسبة علماً عليه عرف بها فى تركيا وخارج تركيا ، وقد وُلد عام ١٨٧٦م

حيث : " تلقى تعليمه الأول على يد مشايخ وعلماء شرق الأناضول حتى حصل على الإجازة فى سن الخامسة عشرة، ثم انتقل إلى إسعرد فى جنوب تركيا، ومنها إلى مآردين فى جنوب شرق تركيا ثم إلى وأن ، وهناك ركز على تعلم العلوم التى لم يتلقها على شيوخه فى شرق الأناضول، فدرس التاريخ والجغرافيا والرياضيات والبيولوجيا والفيزياء والكيمياء والفلك، والفلسفة. "(١)

وقد شهد له الجميع بموهبة الخارقة وقدرته الكبيرة على الحفظ والاستيعاب ، وظهرت عليه علامات الذكاء والنبوغ، وتميز عن أقرانه بحب الاطلاع وكثرة الاستفسار ودقة الملاحظة، وكان يحرص على حضور مجالس الكبار، ويناقش فيها مع علماء القرية مسائل كثيرة، وفى هذا الصباً المبكر، جذبت اهتمامه مسائل فلسفية وفكرية عميقة ، كانت تدعوه إلى التأمل والتفكير فى حقيقة وجوده وماذا يريد لنفسه فى قابل الأيام .

يقول عن نفسه : " كنت قد حدّثت خيالى فى عهد صباي أى الأمرين تفضّل؟ قضاء عمر سعيد يدوم ألف سنة مع سلطنة الدنيا وأبعتها على أن ينتهى ذلك إلى العدم ، أم وجوداً باقياً مع

١- الحركات الإسلامية الحديثة فى تركيا حاضرها ومستقبلها ، د.أحمد نورى النعيمى ، ص١٥٧ ، ط ١ ، دار البشير،

حياة اعتيادية ذات مشقة؟ فرأيتُه يرغب في الثانية، وبضجر من الأولى قائلاً : **إنني لا أريد العدم بل البقاء .** (١)

وقد تنقل في سبيل طلب العلم بين المدن المختلفة ، والتقى الكثير من علمائها ، واشتهر بحجته الباهرة في المناظرات ، واتقانه لكثير من العلوم في مختلف المجالات ، حتى سُمي : بديع الزمان أدرك النورسي الدولة العثمانية في آخر مراحل حياتها حين حاصرتها القوى الغربية واقتطعت أجزاء كثيرة من ممتلكاتها ، ولاسيما بعد الحرب العالمية الأولى حيث وصل الاحتلال إلى مركز الخلافة ، ولم يتراجع إلا بعد حرب الاستقلال ، وهي الحرب التي خاضها كمال أتاتورك وانتصر فيها ، فاستطاع السيطرة على السلطة وإلغاء الخلافة عام ١٩٢٤م ، وفرض نظام سياسي واجتماعي وثقافي معاد للدين كليا .

واستمر هذا النظام حتى نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) حيث طرأ نوع من التغيير في سياسة السلطة تجاه الإسلام ، ولاسيما مع وصول الحزب الديمقراطي إلى الحكم في ١٩٥٠م .

عاش النورسي هذه المراحل كلها ، وتأثر بها وأثر فيها ، وكان شاهداً عليها وعلى عصره ، واتجه إلى البناء الداخلي لتحسين الجوانب العقديّة والتربوية لدى المسلمين وفي سبيل هذه الأهداف تعرّض لمحن متواصلة ؛ إذ قضى حياته بعد ذلك بين السجن والنفي ، فما كان يتخلص من محاكمة حتى يدخل في أخرى .

وفي كل هذه المراحل برزت شخصية النورسي عالماً زاهداً ، وفقياً متبحراً ، ومجاهداً صلباً . وقد تحدث النورسي عن مراحل حياته، فقسم مراحل حياته إلى ثلاثة مراحل : مرحلة سعيد القديم ، ومرحلة سعيد الجديد ، ومرحلة سعيد الثالث ، لكل مرحلة طبيعتها الفكرية والدعوية وفق المتغيرات والأحداث :-

### ١- سعيد القديم

وتبدأ من السنوات المبكرة لشبابه حتى نفيه إلى (بارلا)<sup>(٢)</sup> سنة (١٩٢٦م) ، وخلال هذه المرحلة حاول النورسي خدمة الإسلام عن طريق الانخراط في الحياة السياسية ومحاولة التأثير فيها ، وذلك

١- الشعاعات ، لبديع الزمان النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، ص ٢٧٨ ، ط ٦ ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة

٢٠١١م

٢- مدينة بارلا تقع على بعد حوالي ثلاثين كيلومترا من إسبرطة باليونان ، وتكمن أهميتها عند طلاب حركة النور في أنها كانت المنفى الأول له، وفيها ألف مؤلفاته الأولى من رسائل النور (النورسي : رجل القدر في حياة أمة )



بدعوته إلى الإصلاح السياسي والتعليمي في عهد السلطان عبد الحميد (١) وإلقائه الخطب في المساجد والساحات ، ونشره المقالات السياسية العنيفة ، ومحاولته استمالة رجال حزب "الاتحاد والترقي"<sup>(٢)</sup> وتسخيرهم لخدمة الإسلام ، وتصديه للتيارات المعادية للدين .

### أولى خطواته في الإصلاح :

كان النورسي مهتماً بمتابعة أحوال العالم الإسلامي من خلال الاطلاع على ما يُنشر في الصحف ، وفي هذه الأثناء قرأ خبراً مثيراً نقلته إحدى الصحف المحلية عن خطاب لوزير المستعمرات البريطانية (وليم جلاستون)<sup>(٣)</sup> في مجلس العموم البريطاني ، حيث كان يخاطب النواب ويبيده نسخة من القرآن الكريم قائلاً : " ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم ، فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود ، أو نقطع صلة المسلمين به." <sup>(٤)</sup>

هذه الخبر كيان النورسي هزأً عنيفاً ، وأدرك بذكائه واطلاعه أن العالم الإسلامي يتعرض لهجوم غربي جديد يستهدف إخضاع المسلمين وتقويض عقيدتهم ؛ وهذا ما جعله يقرر تسخير حياته لإظهار إعجاز القرآن الكريم وربط المسلمين بتعاليمه ، ووعد قائلاً : " لأبرهن للعالم أن القرآن شمسٌ معنويةٌ لا يخبو سناها ولا يمكن إطفاء نورها." <sup>(٥)</sup>

ومن هنا بدأ فكرة إنشاء جامعة تكون مركزاً لخدمة القرآن الكريم على نظامٍ حديث ، يجمع بين العلوم القرآنية والعلوم الحديثة .

---

١- هو السلطان عبد الحميد الثاني ، الخليفة العثماني الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية ، وآخر من امتلك سلطة فعلية منهم.، وحكم مدة ثلاثين عاماً ، وتم خلع على يد حزب الاتحاد والترقي عام ١٩٠٩م وظل رهن الإقامة الجبرية حتى وفاته عام ١٩١٨م ( الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، د. على الصلابي ، باختصار وتصرف ، ص ٣٧٣ وما بعدها )

٢- هي حركة معارضة بدأت تحت مسمى : جمعية الاتحاد والترقي ثم تحولت إلى أول حزب سياسي معارض في الإمبراطورية العثمانية ، وقد وصلت إلى سدة الحكم في الدولة العثمانية بعد تحويل السلطنة إلى ملكية دستورية وتقليص سلطات السلطان عبد الحميد الثاني ثم خلع (الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها ، د.أحمد نوري النعيمي )

٣- وليم جلاستون ( ١٨٠٩ - ١٨٩٨ م ) : زعيم حزب الأحرار في إنجلترا ، تقلد مناصب وزارية متعددة ، تعمق في الدراسات الدينية وله عدة مؤلفات ، وكان عداؤه للإسلام ظاهراً .(النورسي رجل القدر في حياة أمة ، أورخان محمد على )

٤- بديع الزمان النورسي : نظرة عامة عن حياته وأثاره ، إحسان قاسم الصالحى ، ص ٢٥ ط ١ ، دار سوزلر للنشر ، استانبول ، ١٩٨٧

٥- المصدر السابق ، ص ٢٦

وقد نظر النورسيُّ إلى التعليم الديني آنذاك على أنه لا يمثل أية تقدم ، وأنه عاجزٌ عن الإجابة على تساؤلات العصر الحديث وبحاجة إلى حركة تجديد شاملة تتماشى مع التطور الحادث وإلى إعادة الصلة بينه وبين العلوم الطبيعية وأن في ذلك الحل إلى إصلاح شأن الأمة الإسلامية ولحاقها بركب الحضارة.

وقد : " أعدَّ مشروعاً تعليمياً يصور فيه آرائه تحت اسم ( مدرسة الزهراء ) وكان ينشدُ في هذه المدرسة أن تكون على غرار "الجامع الأزهر" في مصر ، وأن تدرّس فيها العلوم الطبيعية جنباً إلى جنب مع العلوم الشرعية لخدمة المسلمين في الأناضول"<sup>(١)</sup>

نستطيع القول أن مساعي النورسي نحو الإصلاح في هذه المرحلة كانت تتسم بمحاولة التأثير في الطبقة السياسية الحاكمة ، دون أن تكون له - على المستوى الشخصي - أية أطماع سياسية فتراه يطرق كل بابٍ ممكن لإقناع المسؤولين في الدولة بمشروعه التعليمي ، حتى إنه قدّم التماساً إلى السلطان عبد الحميد الثاني يطلب فيه فتح مدارس للعلوم الرياضية والفيزياء والكيمياء بجانب المدارس الدينية .

تبيّن للنورسي من خلال استقراءه للخطوات التي سار عليها الاتحاديون النتيجة التي ستصل إليها الدولة العثمانية ، كما تبيّن مستقبل الإسلام في أوروبا . : " وهذه الرؤية المستقبلية تلخصها إجابته عن سؤال مفتي الديار المصرية<sup>(٢)</sup> ، إذ قال بديع الزمان : إن الدولة العثمانية حُبلى حالياً بجنين أوروبا وستلد يوماً ما ، أما أوروبا فهي أيضاً حُبلى بجنين الإسلام وستلد يوماً ما ."<sup>(٣)</sup> وهذا الذي قاله النورسيُ وصدّق عليه الشيخ محمد نجيب المطيعي - رحمه الله - ، هو ما أكدته الأحداث التالية ، فقد خلع الاتحاديون السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨م وكان ذلك تمهيداً لإسقاط الخلافة ، وتقويض دولتها نهائياً .

١- الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة ، طارق عبد الجليل السيد ، ص٤٦ ، جواد الشرق للنشر والتوزيع ، القاهرة ٢٠٠١م

٢- هو الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية ، من كبار علماء الأزهر ، اشتغل بالتدريس في الأزهر ، ثم انتقل إلى القضاء الشرعي ، وكان ممن اتصل بجمال الدين الأفغاني ، وقد عين مفتياً للديار المصرية ، وفي سنة ١٩٠٨م كان في زيارة لاستانبول ، فاقترح علماء المدينة إجراء مناظرة بينه وبين بديع الزمان ، لعله ينجح فيما فشل فيه العلماء من إحراجه وإظهاره بمظهر العاجز عن الجواب ، لكن جواب النورسي أعجب المفتي الذي قال : "إنني أوافق على ما قال ، لأنني أحمل الاقتناع نفسه ، ولا يمكن المناظرة مع مثل هذا الشاب " .(انظر : الملاحق ، بديع الزمان النورسي ، ص ٣٨٦ ؛ رجل القدر في حياة أمة ، ص ٣٨) .

٣- النورسي رجل القدر في حياة أمة ، أورخان محمد علي ، ص ٣٩

## رحلته إلى بلاد الشام :

في عام (١٩١١م) قام النورسي بزيارة لبلاد الشام ، حيث ألقى خطبة باللغة العربية في المسجد الأموي سُميت فيما بعد (الخطبة الشامية) ، خاطب فيها علماء الشام ، محلاً أوضاع العالم الإسلامي ومبينا أمراض الأمة والعلاج اللازم لها <sup>(١)</sup>.

## النورسي مجاهداً وأسيرا

حين قامت الحرب العالمية الأولى ، وأقحمت الدولة العثمانية في هذه الحرب ، وجد النورسي نفسه مكلفاً بالدفاع عن وطنه وبلاد المسلمين ، : " وقد قام بديع الزمان بمعية لجنة من العلماء بإصدار فتوى للجهاد بعد اندلاع الحرب العالمية ، وطُبعت الفتوى بجميع اللغات ، وتم توزيعها في الدولة العثمانية وباقي أنحاء البلاد الإسلامية ، ، وتشكّلت فرق مقاتلة - من طلاب النورسي ومن الأهالي - بدأت التدريب لمواجهة الجيش الروسي الزاحف على الحدود ، وكان النورسي يشاركهم في التدريب والإعداد ، ويحُضهم بقوله : إن زلزلا رهيبا على الأبواب، إلا أن الجيش الروسي تمكن من الزحف نحو الأناضول ."<sup>(٢)</sup>

وبعد انهزام القوّات العثمانية والمتطوعين من الأهالي أمام الجيش الروسي ، واستيلاء الروس على بعض المدن الحدودية ، وجد النورسي نفسه أسيراً لدى القوات الروسية .

وقد ظلّ النورسي في الأسر قرابة عامين ونصف ، وقد كانت فرصة سانحة له لأن يخلو بنفسه ليراجع مسيرة حياته ، وأحوال العالم الإسلامي ، ولم يجد مخرجاً من معاناته إلا في التأمل وتدبّر القرآن الكريم ، وتعتبر هذه مرحلة انتقالية في حياة النورسي ، وقد ذكرها بالتفصيل في كتاب اللّمعات، ومما ذكره أنه بعد خروجه من الأسر تم تعيينه في دار الحكمة وهي أكبر مجمع علمي في الدولة العثمانية آنذاك ، فطلب إعفائه يعترف النورسي - في هذا الصدد - بقوله :

" إنه لشيء عجيب ، لقد كنت عضواً في دار الحكمة لأضمدّ جراح الأمة الإسلامية ، على حين كنت في نفسي مريضاً أكثر من أي شخص آخر." <sup>(٣)</sup>

وواضح من هذا مدى التأثير الذي تركته فترة الأسر ، والانعزال في حياة النورسي وقد كانت فترة تركيز شديد على ذاته هو ، قبل أن يعالج إصلاح الأمة ، ولعلنا نلمح في هذا تشابهاً كبيراً في هذا بينه وبين حجة الإسلام الغزالي ، من حيث تطور التجربة الروحية لكليهما بحثاً عن الحقيقة ، ولا

١- انظر : صيقل الإسلام ،بديع الزمان النورسي : الخطبة الشامية . ص ٤٩١ وما بعدها

٢- النورسي رجل القدر في حياة أمة ، أورخان محمد علي : ص ٦٠ .

٣- انظر كتاب: اللّمعات ، للنورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، ص ٣٦٦ ، وما بعدها دار سوزلر للنشر ، القاهرة

غرابة في ذلك ؛ فبديع الزمان كان شديد الإعجاب بالغزالي ، وهو يذكر هذا صراحة في مواضع كثيرة من رسائل النور .

### ل النورسى وأتاتورك (١)

كان أول ظهور لنجم مصطفى كمال أتاتورك ، عندما احتلَّ الإنجليز الآستانة (استنبول) وحاصروا الخليفة ، ف: " في هذه الأثناء ظهر أتاتورك كقائد للجيش الذى هزم اليونانيين ، وتراجعت أمامه قوات الحلفاء حتى دون أن يستعمل سلاحه ، وأخلت أمامه المواقع ، ومن هنا كان الناس إذا قارنوا كفاح أتاتورك باستسلام الخليفة القابع فى الآستانة ، عظم فى نظرهم بمقدار ما يهون الخليفة ."<sup>(٢)</sup> وكان أتاتورك قد اتخذ "أنقرة"<sup>(٣)</sup> مركزاً لقيادته ، وقد تلقى النورسى دعوةً من أتاتورك للقدوم إلى أنقرة ، وأقيم له حفلٌ تكريماً له على دوره البطولى فى التحريض والمقاومة ، إلا أن النورسى حين قدم إلى أنقرة ، وخالط أعضاء مجلس النواب<sup>(٤)</sup> : " انزعج كثيراً لما رآه من انصراف النواب عن الدين وتركهم للصلاة ؛ لذا وجه إليهم بياناً من عشر نقاط يذكرهم فيه بالإسلام ، ووجوب الالتزام بتعاليمه ، واستهله بقوله : أيها المبعوثون . . . إنكم لمبعوثون ليومٍ عظيمٍ ، وتضايق (مصطفى كمال) من هذا البيان ؛ فاستدعى النورسى ليعاتبه قائلاً : لا ريب أننا بحاجة إلى أستاذٍ قديرٍ مثلك لقد دعوناك إلى هنا للاستفادة من آرائك المهمة ، ولكن أول عملٍ قمتَ به هو الحديث عن الصلاة ، فكان أولُ جهودكم هنا هو بثُّ الفرقة بين أهل هذا المجلس ، فأجابه بديع الزمان في حدة : باشا . . باشا . . إن أعظم حقيقة بعد الإيمان هي الصلاة ، وإن الذى لا يصلي خائن ، وحكم الخائن مردود ."<sup>(٥)</sup>

نستطيع القول أن هذه الزيارة - إضافة إلى خبرات أخرى متراكمة - جعلت النورسى يفقد الأمل في رجال السياسة والنخبة ، واقتنع أن إصلاح الأوضاع يحتاج إلى بناء جديد ، تكون قاعدته الأساسية جيلاً قرانياً مسلحاً بعقيدة سليمة راسخة .

١ - مصطفى كمال أتاتورك ( ١٨٨١ - ١٩٣٨ م ) : مؤسس حزب الشعب الجمهورى ، وعضو جمعية الاتحاد والترقى ، وهو قائد عسكري ، هو الذى أوقع الهزيمة في جيش اليونانيين في الحرب التركية اليونانية ١٩٢٢ م ، وأسس الجمهورية الحديثة ، فألغى الخلافة الإسلامية وأعلن علمانية الدولة. عام ١٩٢٤ م ( الحركات الإسلامية فى تركيا المعاصرة ، طارق عبد الجليل السيد ، ص ٧٥ )

٢- أوراق تركيا حول الثقافة والحضارة ، الصمصامى أحمد المرسى ، ص ١١ ، بتصرف ، جواد الشرق للنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م ،

٣- هى العاصمة الحالية لتركيا

٤- كان يُطلق علي أعضاء مجلس النواب العثماني : المبعوثون

٥- بديع الزمان النورسى : نظرة عامة عن حياته وآثاره ، إحسان قاسم الصالحى ، ص ١٠١

: "وتعتبر زيارته لـ"أنقرة" العاصمة في نهاية سنة ١٩٢٢م مرحلة حاسمة في حياته، لأنه سيدخل بعد ذلك في مرحلة جديدة، حيث لاحظ بأن الإيمان في خطر، وأدرك أن الوضع يحتاج إلى من يحول دون الإجهاز على ما تبقى من روح إسلامية في المجتمع التركي، ولذلك سيعلن ميلاد "سعيد الجديد" قاطعا العلاقة مع السياسة، وينبرى لإنقاذ الإيمان ."<sup>(١)</sup>

## ٢- مرحلة سعيد الجديد

وهي تبدأ من وصوله منفياً إلى (بارالا) سنة ١٩٢٦م ، وتستمر إلى خروجه من سجن (أفيون)<sup>(٢)</sup> سنة ١٩٤٩م .

وفي هذه المرحلة اتبع النورسي منهجاً جديداً ، اشتركت في تحديد معالمه عدة عوامل ، كان أهمها : التحولات السياسية التي عرفتتها تركيا والعالم الإسلامي ، والتحويلات النفسية لدى النورسي التي رافقت تلك الأحداث ، حيث رأى النورسي عدم جدوى الأسلوب السياسي في الواقع التركي الجديد ، خاصة بعد انعدام الحرية واتساع موجة العداة للدين ، فوجّه جميع جهوده لتجديد أمر الدين ، وبناء العقيدة السليمة القادرة على تحمل تكاليف البناء الإسلامي .

### لقد ركّز النورسي في هذه المرحلة على أمرين:

- الأول :بناء الفرد المسلم بناءً صحيحاً ، ومن ثمّ بناء أسرة مسلمة سويّة ، وهو بذلك يعمل على إيجاد " إيجاد مساحة معنوية تكون بمثابة الحصانة ضد التغييرات التي كانت الجمهورية الجديدة تجتهد في إدخال الأتراك في إطارها من خلال فرض العلمانية ، وقد كان المستهدف في مشروع النورسي هو الفرد المسلم والأسرة المسلمة ، وقد أكد أن هذين المستهدفين لا يمكن للحكومة مجابهتهما، ولا التدخل في خصوصيتهما؛ فالحكومة والنظام الأمني يتعامل مع الملموس ولا يدخل القلوب، ومن هنا جعل كفاحه مستهدفاً للفرد، ناظراً إليه على أنه نواة الأمة وآلية الحياة"<sup>(٣)</sup>
- الثاني: الجمع في مشروعه الفكري بين الرؤية الإيمانية والعلوم الطبيعية ، فقد سعي إلى : إيجاد رؤية إيمانية تراعي الواقع الذي حققت فيه العلوم الطبيعية تقدماً كبيراً يفتن الأبواب ويأخذ العقول، ووظفت توظيفاً من أجل نشر الشبهات حول الإسلام. وقد تمكّن من خلال رسائل النور أن

١- النورسي رجل القدر في حياة أمة ، أورخان محمد علي ، ص ١٢

٢- أفيون هي إحدى محافظات تركيا تقع في منطقة أيجه ، عاصمتها مدينة أفيون، يعتبر موقع أفيون نقطة اتصال طبيعي في الأناضول يصل الشمال بالجنوب والغرب بالشرق (تاريخ الدولة العثمانية ، يلماز أوزوتا ، ص١٩٨)

٣- المرجع السابق بتصرّف ، ص ١٢٧

يبني منظومة من الأدلة المستقاة من القرآن الكريم ومن التدبر المتأنى في الظواهر الكونية أو ما كان يطلق عليه القرآن المنظور. <sup>(١)</sup> .

وهذا ما يجده قارئ الرسائل واضحاً جلياً، سواءً من خلال القصص والأمثال التي يضربها ، أوفى تأملاته القرآنية في آيات القرآن ، أو تأملاته الفكرية في الكون المنظور من حوله ، فهو دائماً يستهدف بناء الفرد الذي هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع والأمة ، وبدون صلاح هذا الفرد فلا أمل في الإصلاح ولانتيجة من التغيير.

وفي الوقت الذي بدأت تتسع فيه دائرة رسائل النور ، وتجمع حولها الآلاف من الشباب ، والموظفين ، والتجار ، وغيرهم ، كان هناك من يترىص بالنورسي ودعوته ، فمثل هذا التأثير في هذه القطاعات المختلفة من الشعب لم تعجب العلمانيين ، فأزقت مضاجعهم ، على الرغم من بعدها التام عن الشأن السياسي ، وانشغالها بنشر العلم النافع ، والعمل الصالح ، لذلك فقد تم نقله إلى مدينة جديده وهي : إسبارطة<sup>(٢)</sup> ، وهناك استمرَّ النورسي في تأليف رسائله حتى عام ١٩٣٥م حيث بدأت موجة اعتقالات لطلبة النور ، كما طالت النورسي نفسه ، وسيق الجميع إلى السجن ، " وحوكموا بتهم منها : تأليف جمعية سرية ، والسعي لهدم أسس الثورة الكمالية ، وتشكيل طريقة صوفية ، إثارة روح التدين بنشر رسالة التسرُّر (الحجاب) التي تدعو النساء إلى الاحتشام والتستر واتباع توجيه الإسلام. <sup>(٣)</sup>

وقد سجّل النورسي في رسائله الدفاع الذي تولّاه بنفسه عن هذه التهم ، ويظهر منها دقة أسلوبه ، وقوة حجته ، وثقته في عدالة قضيته ، وهذه المحاكمات ودفاعها مجموعة في كتاب الشعاعات : " وعلى إثر ذلك وضع النورسي - أولاً - في سجن انفرادي بهدف الضغط عليه وتحطيم روحه المعنوية ، إلا أنه استمر في التأليف ؛ فألف هناك : (اللمعة الثامنة والعشرين) ، و (اللمعة التاسعة والعشرين) ، و (اللمعة الثلاثين) ثم (الشعاع الأول) ، و (الشعاع الثاني) ، ولم يقتصر نشاطه على التأليف ، وإنما كان يدعو كثيراً من المجرمين أثناء اتصاله بهم ، فاهتدوا على يديه واستقاموا على الطريق المستقيم. <sup>(٤)</sup>

١- أشواق النهضة والانبعاث ، د. محمد جكيب ص ٩٧

٢- مدينة اسبارطة الواقعة في جنوب غرب تركيا ، وهي عاصمة لمحافظة شهيرة تحمل نفس الاسم

٣- النورسي رجل القدر في حياة أمة ، أورخان محمد علي ، ص ١٨٠

٤- بديع الزمان سعيد النورسي : نظرة عامة عن حياته وآثاره ، إحسان قاسم الصالحي ، ص ٧٩

## ر رسائل النور

تمكّن سعيد النورسي خلال سنوات طويلة من المنافي والسجون أن يؤلف مجموعة من الرسائل في حقائق الإيمان أطلق عليها فيما بعد "رسائل النور" ، إذ هي مستوحاة من نور القرآن وهدايته، وقصة انتشار هذه الرسائل في أرجاء تركيا جديرة بالاهتمام، فأمام الحصار الذي ضرب على "النورسي" بل على كل ما له علاقة بالإسلام وخاصة نشر الكتب الإسلامية، كان النسخ باليد هو الوسيلة التي لجأ إليها النورسي في نشر رسائله بين الناس في مختلف أنحاء تركيا؛ وذلك بالاعتماد على شبكة من النساخ مقتنعين بفكره ودعوته.

ويبلغ عدد الرسائل التي ألفها سعيد النورسي مائة وثلاثون رسالة منها ما ألفه بالتركية العثمانية ومنها ما ألفه بالعربية.

وتُطبع هذه الرسائل في مصر، فقد قامت "دار سوزلر" و"دار النيل" بالقاهرة ، بجمع هذه الرسائل في تسعة مجلدات تحت اسم ( كليات رسائل النور) بعد أن ترجمها إلى العربية بلغة أدبية راقية الأستاذ الأديب : إحسان قاسم الصالحي ، وهو أديب عراقي الأصل يقيم في تركيا ، وقد حقق بعضها ، وأضاف تعليقات عليها .

وهذه الرسائل هي : الكلمات ، المكتوبات ، الشعاعات ، اللمعات ، صيقل الإسلام ، المثوى العربي النورى ، إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز ، الملاحق ، صيقل الإسلام .  
والملاحظ أن الرسائل تختلف اختلافاً كبيراً من حيث الحجم ، فهناك رسائل هي بضع صفحات فقط ، وهناك كتاب يُعد رسالة واحدة .

### ٣- مرحلة سعيد الثالث

تبدأ من وقت خروج النورسي من سجن (آفيون) سنة ١٩٤٩م إلى وفاته سنة ١٩٦٠م ، وفي هذه الفترة شهدت تركيا تطورات سياسية مهمة ؛ إذ بعد سيطرة حزب الشعب الجمهورى منذ الاستقلال حتى سنة ١٩٥٠م ، ثم السماح بتشكيل الأحزاب ، كان أقوى حزب معارض هو : "الحزب الديمقراطي" الذي شكله "عدنان مندريس"<sup>(١)</sup> واستطاع الفوز في انتخابات عام ١٩٥٠م واستجابة لهذه التطورات شرع النورسي في توجيه الرسائل إلى السياسيين ورجال الحكم يدعوهم فيها إلى اتباع الإسلام والالتزام بتعاليمه ، إلا أن جُلَّ همهم ظل مركزاً على التربية والتكوين ونشر رسائل النور وإنشاء جيل جديد .

١- عدنان مندريس ( ١٨٩٩ - ١٩٦١ م ) أول زعيم سياسي منتخب ديمقراطياً في تاريخ تركيا. كان رئيساً للوزراء فى تركيا بين عامي ١٩٥٠ ، ١٩٦٠م ( الحركات الإسلامية فى تركيا المعاصرة ، د. طارق عبد الجليل السيد ص ١١٢ )

: "برز النورسي في تلك المرحلة كقائد اجتماعي مهتم بالتطورات السياسية يحاول التأثير في الحياة السياسية والاجتماعية فكان يعرب عن امتنانه للمواقف الإيجابية التي يقوم بها الديمقراطيون ويخاطب المسؤولين بانتقاداته وقد بارك قيام المسؤولين بإعادة الأذان باللغة العربية وراسل عدنان مندريس رئيس الوزراء يوصيه بتقوية الأخوة الإسلامية والسعي إلى اتخاذ إجراءات نحو الاتحاد الإسلامي." (١)

## ل الأيام الأخيرة من حياة بديع الزمان

أقام النورسي في أواخر أيامه بمدينة (اسبارطة) ، وبالرغم من تقدمه في السن ، وسوء حالته الصحية ، كان يقوم بزيارات لبعض المدن التي ينتشر فيها طلابه ، ويتابع ما يجري في العالم الإسلامي .

: "وفي شهر رمضان من عام ١٩٦٠م ، مرض النورسي مرضاً شديداً حتى فقد وعيه مرات ، إلا أنه في الثامن عشر من الشهر ذاته استدعى طلابه وودعهم واحداً واحداً ، قائلاً : "استودعكم الله ... إنني راحل" ثم توجه إلى اسبارطة ، حيث اشتد عليه المرض ، وبالرغم من ذلك ألح على طلابه بالذهاب إلى (أورفة) (٢) وعند وصوله بتاريخ (٢١/٣/١٩٦٠م) ، أقام في الفندق يوماً واحداً ، ثم حاصرته الشرطة (٣) ؛ لأن الحكومة لم تصرح له بالتنقل خارج (اسبارطة) وبعد إبلاغ المسؤول له بوجوب عودته إلى (اسبارطة) رد النورسي بقوله : عجيب أمركم . . إنني لم آت هنا لكي أغادرها . . إنني قد أموت . . ألا ترون حالي." (٤)

وقد ظل محاصراً إلى يوم الأربعاء ٢٦ رمضان ١٣٧٩هـ (٢٣/٣/١٩٦٠م) حيث فارق الحياة ، : "وبعد انتشار خبر وفاته في جميع أنحاء تركيا ، تقاطر على (أورفة) سيلٌ من الناس للاشتراك في توديعه إلى مثواه الأخير." (٥)

١- الحركات الإسلامية في تركيا المعاصرة ، طارق عبد الجليل ، ص٧٥

٢- تقع في جنوب شرق تركيا ، والتسمية العربية القديمة هي: الرها (تاريخ الدولة العثمانية ، يلماز أوزوتا ، ص٢٣٠)

٣- كان هذا الحصار بسبب الحملة الشعواء التي شنتها وسائل الإعلام والصحف العلمانية على النورسي وطلابه ، مما اضطرت معه الحكومة إلى إجراءات تعسفية لتقييد حركته بين طلابه (النورسي رجل القدر ، أورخان محمد علي )

٤- انظر : النورسي رجل القدر ، أورخان محمد علي ، ص٢٩٠ .

٥- المرجع السابق ، ص٢٩١



## ل منهج " النورسى " فى الإصلاح

يمكننا استقراء منهج " النورسى" فى التجديد والإصلاح الدينى والمجتمعى من خلال قراءة مراحل حياته ومن خلال "رسائل النور"، ومن أبرز معالم هذا المنهج :-

### ١- تربية الأجيال على الروح الإسلامية من خلال القرآن الكريم

المتأمل فى حياة النورسى ، وآثاره العلمية والدعوية ، ومسيرة كفاحه ، يلحظ أن هدف إحياء الدين فى نفوس المسلمين كان هو الهدف الأول الذى سعى إليه النورسى . وكانت وسيلة النورسى لتحقيق هذا الهدف : تربية جيل جديد على الروح الإسلامية الخالصة لينطلق هذا الجيل بدوره داعياً إلى الله ، مرشداً إلى طريقه القويم .

يقول إحسان قاسم الصالحي عن طبيعة التوجه التربوي لدى النورسى : "ومن هنا نرى أن مرحلة "بَارلَا" و"قَسْطُمُوني"<sup>(١)</sup> (١٩٢٧م - ١٩٤٤م) تتميزان بالعمل الدؤوب والتأسيس الصامت، والتأكيد على الحذر الشديد لإرساء القواعد وتربية طلاب يتحلّون بالإخلاص الكامل والتفانى فى العمل، والوفاء الخاص والشغف بالدعوة والارتباط المتين بها ."<sup>(٢)</sup>

ورغم ذلك فلم يكن النورسى معنياً بأن يُكثِر من الأتباع بقدر ما كان معنياً بالتكوين الوجدانى والفكرى لتلاميذه ، فالعمل الذى استقر فى داخله هو إيجاد جماعة من المخلصين المؤمنين بالفكرة، الأقوياء فى ذاتهم، والواقفين بوعد الله.

وقد رأى النورسى أنه لاشئ يجعل القلب موصولاً بالله - تعالى - ، مشدوداً إلى طريقه ، مثل القرآن الكريم ، فدعوته الإصلاحية وخطابه الدعوى مستلهمٌ من الخطاب القرآن الكريم وقد لخص النورسى هذه الصلة الوثيقة بين الإنسان والقرآن بقوله : " المعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبى الدائم كما أنها تتقن أساس الإيمان وأركانه ، ليس فقط بالإستفادة من الإيمان الراسخ الموجود وإنما بإثبات الإيمان وأركانه وحفظه فى القلوب وإنقاذه من الأوهام"<sup>(٣)</sup> يتبين مما سلف أن النورسى كان يريد أن ينطلق من الإنسان للقرآن حتى يصحّ فهمه ، خاصة فى عصر اشتدّت فيه الحملات الإلحادية ، فكان لزاماً توجيه أنظار الناس إلى القرآن الكريم .

١- قسطمونى : هي إحدى ولايات الدولة العثمانية وهي الآن إحدى محافظات شمال تركيا ( الملاحق ، للنورسى )

٢- الملاحق ، كليات رسائل النور ، المقدمة ، ص ٧ ، ٨ ، ط ٦ دار سوزلر للنشر ، القاهرة ٢٠١١م

٣- أنظر : الملاحق ، ملحق قسطمونى ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، ص ١٠٥

فوحدة المسلمين لن تتحقق إلا إذا صحَّت صلّتهم بالقرآن " : ولا يتحقق هذا المبتغى إلا إذا وجَّهنا جميع حاجات المسلمين نحو القرآن الكريم حتى يبقى مهيمنا هيمنة كبرى على النفوس وتكون أوامره الجليلة مطبّقة منقّدة كلياً، فهو ليس كتاباً مباركاً يُتبرّك بتلاوته فحسب . " (١)

لهذا كان مدار رسائل النور حول القرآن الكريم ، وكان شغله الأساسى هو : خدمة القرآن والإيمان ، ولم يشتبك النورسى مع أحد فى معارك وهمية جانبية .

يقول : " مادامت خدمة الإيمان والقرآن أسمى من أية خدمة فى هذا العصر ، وأن النوعية تفضل الكمية وأن التيارات السياسية المتحولة المتغيرة وأحداثها المؤقتة الزائلة لا أهمية لها أمام خدمات الإيمان الثابتة الدائمة ، بل لاترقى لمقارنتها ولا يمكن أن تكون محورا لها فينبغي الاطمئنان بما منحنا ربنا سبحانه وتعالى من مرتبة نورانية مفاضة علينا من نور القرآن . " (٢)

ومن هنا كانت دعوته الملحة والمتكررة لبناء المؤسسات التربوية التى تتخذ القرآن منهجا لها ، بإعتبار أن شرور الأمة الإسلامية يلخصها داء الجهل ، لذا : " فقد صرف بديع الزمان عمره فى محاربة هذا الداء الفتاك ، إذ يرى بأنه مالم يتعود المجتمع على التفكير المنظم ومالم يجابه تيارات الأفكار المنحرفة ، فمن العبث الأمل فى خلاص هذه الأمة . " (٣)

## ٢- التدرج فى الخطوات وتحديد الأولويات

من خلال استعراضنا لمسيرة حياة النورسى ، نجد أنه - وفى ظل الأحداث التى مرّت به ومرّ بها - فقد رأى أن "إنقاذ الإيمان" أصبح يعتلى سلّم الأولويات الدعوية فبدأ يفكر فى وسيلة يحافظ بها على إيمان المجتمع وعقيدته وقيمه ، وانتهج لذلك المنهج التدريجى، ذلك المنهج الذى يؤمن بأولية "البناء القاعدي" .

يشير النورسى إلى أن هذا المنهج الذى اختاره وانتهى إليه هو سنة الله فى الكون قائلاً: " لقد وضع الله سبحانه وتعالى فى وجود الأشياء تدريجياً وترتيباً أشبه ما يكون بدرجات السلم، وذلك بمقتضى اسمه الحكيم ، فالذى لا يتأثّر فى حركاته إما أنه ينسى الدرجات فيسقط أو يتركها ناقصة فلا يرقى إلى المقصود. " (٤)

١- أنظر : صيقل الإسلام ، السانحات ، ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، ص ٣٤٩

٢- المرجع السابق ، ص ١٣٥

٣- من مقدمة أ. محمد فتح الله كولن لكتاب : المثوى العربى النورى ، لبديع الزمان النورسى ، ط٦ ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ٢٠١١م

٤- المكتوبات ، بديع الزمان النورسى ، ص ٣٦٢ ، ط٦ دار سوزلر للنشر ، القاهرة ٢٠١١م

فالذى يتعجل الثمرة قبل أوانها يكون بهذا مخالفاً لسنن الله فى الكون ، يصدقُ هذا على كل من يسعى إلى إصلاح أمته ، وبناء مجتمعه ، فلا بد أن يكون هذا المصلح متوفقاً مع سنن الله - تعالى - الكونية .

وفى هذا يقول النورسى : " إنَّ من يشقُّ طريقاً فى الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة، لن يكون النجاح حليفه ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التى تحكم الكون، بل تكون جميع أعماله فى سبيل التخريب والشر ، فإن الإنسجام مع قانون الفطرة ضروري. " (١)

وإذن فلا بد أن يكون التغيير والإصلاح تغييراً جذرياً ، حتى لا يختل توازن الحياة فيؤدى إلى نتائج عكسية ، ولا شك أن النورسى قد انتهى إلى هذا الرأى بعد ان استقرأ جميع الثورات الاجتماعية فى العالم فى القرن التاسع عشر وفى القرن العشرين .

لذا فقد ركز النورسى فى مسيرته الإحيائية على أولويات إنقاذ الإيمان ثم إحياء الشعائر الإسلامية ثم إقامة الشريعة الإسلامية لتنفيذ أحكام القرآن ، ولما كانت هذه الأولويات لايوافق تطبيقها سنة المجتمعات فى التغيير كان عليه أن يبدأ بإنقاذ الإيمان لنستمع إليه وهو يقول : " نعم إنه ينبغي لهذا لعصر من مجدّد له شأنه ، ليقوم بتجديد الدين والإيمان وتجديد الحياة الاجتماعية والتشريعية وتجديد الحقوق العامة والسياسة الإسلامية ، ولكن أهم تلك الوظائف هو التجديد فى مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية فهى أجل وأعظم تلك الوظائف الثلاث ، لذا تبقى دوائر الشريعة والحياة الاجتماعية والسياسية فى الدرجة الثانية والثالثة والرابعة بالنسبة لدائرة الإيمان . " (٢)

هذا ويعلم النورسى فى أكثر من موضع فى رسائله رفضه التام لفكرة السلاح كوسيلة للتغيير ويرى أن السلاح فى هذه الحالة لا يقتل إلا حامله إذ إن الجهاد المسلح ضد الحكام المسلمين سيصيب أول ما يصاب المسلمين أنفسهم ولا يجنى ثمرة هذا الجهاد المسلح الداخلى سوى أعداء المسلمين .

وقد كان من تدرج دعوته أن بدأ بالفرد ، ثم بالأسرة والبيت ، لأن الأسرة هى وحدة بناء المجتمع ، فلا صلاح له بدونها ، ولهذا عملت العلمانية فى تركيا وخارجها ، على تقنيت الروابط بين أبناء الأسرة الواحدة ، وهو ما أدركه النورسى جيداً ، فكانت الأسرة المسلمة من أولوياته ، واعتبرها خطوة أولية فى بناء مجتمع سليم

"وفى الإطار نفسه وجدنا النورسى يلحُّ على ضرورة الاهتمام بالأسرة والبيت المسلم، وضرورة إعداد أفرادها إعداداً يتناسب مع توجيهات القرآن الكريم، ومع السنن الكونية. واهتمام النورسى بهذا

١- للمعات ، بديع الزمان النورسى ، ص ١٠٦ ، ط ٦ دار سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠١١م

٢- الملاحق فى فقه دعوة النور ، للنورسى ، ملحق قسطنونى ، ص ١٩٦

المكون هو في العمق اهتمام بمكون مركزي في المجتمع، لأن إصلاح المجتمع لا يتأتى إلا بإصلاح المكونات الصغرى، والأسرة أهم هذه المكونات الصغرى. <sup>(١)</sup>

### ٣- الانطلاق من شمولية الإسلام لمناحي الحياة

فهو يؤكد في رسائله على قيمة الشريعة الإسلامية في صياغة نظم حياة المجتمع ، ودفعه إلى التقدم والرفي ، وتوفير الأمن له وأنها جاءت شاملة واضحة لمتطلبات الإنسان والمجتمع والحياة . ولم تكن استعاذته بالله من السياسة، انطلاقا من فهم اجتزائي للإسلام ، وإنما كان انشغالا بالأصل ألا وهو بناء المجتمع ، : " لقد كانت أفكار النورسي من خلال رسائله منارة ترسم منهج إعادة بناء المجتمع وبناء الإنسان بصورة هادئة دون صدام أو مواجهة مع السلطة الحاكمة ، ولقد كان إيمانه بهذا الهدف السامي هو المحرك القوي الذي جعل (سعيد الجديد) يلعن السياسة ويتعوذ منها بقوله: أعوذ بالله من الشيطان والسياسة ، ولا ينبغي فهم ذلك على أنه هروب من المواجهة، بل هو الحكمة التي تعرف أن دخول معركة من المعارك دون وسائل وأدوات تعتبر معركة فاشلة وخاسرة، ولذلك فإن ترك السياسة بالنسبة للنورسي هو في العمق ترك لما يحول دون العمل الحقيقي وهو البناء ، لأن السياسة مصدر للخلاف والتنازع ، والاشتغال بها يُلهي عن العمل الحقيقي وهو بناء المجتمع. <sup>(٢)</sup>

نعم .. لم يكن النورسي بصورة ما بعيدا عن السياسة ، لأنه ظل حاضرا في جوهرها، لكن بصورة غير مباشرة ، لكنه رفض الانخراط في السياسة حتى لا يكون الدين مطية للسياسة ولأجل ألا يكون أيديولوجية لتحقيق أهداف عابرة وليس نتائج دائمة.

وهو ذات المنهج الذي سار عليه الأستاذ " فتح الله كولن " - كما سيتضح من الفصول القادمة إن شاء الله

### ٤- التركيز على العمل الجماعي

ظلت فكرة العمل الجماعي راسخة لدى النورسي ، سواء أثناء دعوته إلى إصلاح النظام السياسي قبل سقوط دولة الخلافة أم بعده .

ولعل إيمان النورسي بالعمل الجماعي هو الذي دفعه إلى محاولة توحيد جميع جهود العلماء والمصلحين وأهل الطرق والمشارب الصوفية ، فقد حاول النورسي ألا يثير أي خلافات داخل الصف الإسلامي ، فبالرغم من انتقادات أهل الطرق له واعتراضاتهم عليه ، لم يعاملهم بالمثل ، بل إنه أوصى طلابه بالألا يهتموا بها إطلاقاً ، وأعلن عفوهم قائلاً : " فتجاه الأضرار الرهيبة

١- أشواق النهضة والاتباع ، د. محمد جكيب ص ١٠١

٢- المصدر السابق ، بتصرف ، ص ١٠٣

التي يُنزلها بنا أهل الإلحاد حالياً ، أعد تلك الانتقادات الطفيفة من إخواننا أهل الإيمان التي تمس شخصي توصية صديق شبيهة بالتذكير والتنبيه لأخذ الحذر. <sup>(١)</sup>.

بل إن مفهوم العمل الجماعي عند النورسي ليبتسع ويبتسع حتى يشمل الوحدة الإسلامية الجامعة لكل بلاد المسلمين، وقد سار على درب أسلافه من رؤاد الإصلاح في الدعوة الى الوحدة الإسلامية ، ولاسيما السيد جمال الدين الأفغاني الذي يُعد أبرز دعاة الوحدة الإسلامية في نهاية القرن التاسع عشر ، وقد ذكرنا كيف أن صحيفة العروة الوثقى التي أصدرها مع تلميذه الشيخ محمد عبده قد أرست الأسس الفكرية لمفهوم الوحدة الإسلامية ، في إطار من مواجهة الاستعمار العالمي ، إذ إن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية أصبحت تعني مقاومة الاستعمار الغربي الذي كان يستهدف القضاء على الإسلام .

ويبدو متأثر بديع الزمان بالأفغاني في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية واضحاً من خلال ما يصرح به في قوله : " فأسلافي في هذه المسألة هم الشيخ جمال الدين الأفغاني ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده ، ومن العلماء الأعلام "على سعاوي" و"العالم تحسين" والشاعر "تامق كمال" <sup>(٢)</sup> الذي دعا إلى الاتحاد الإسلامي. <sup>(٣)</sup>

كان النورسي في إطار منهجه الإصلاحى دائم الإلحاح على ضرورة العمل الجماعي وأفضليته على العمل الفردي، بل كان دائم الإلحاح على أن القوة حليفة العمل الجماعي والضعف حليف العمل الفردي.

## ر ارتباط دعوة الأستاذ فتح الله كولن بحركة النور

لا يمكن الحديث - هنا - عن الارتباط العضوى أو التنظيمى بين جماعتين أو حزبين ، ذلك أن مأسسه النورسي لم يكن تنظيمياً أو حزبياً أو حتى جماعة أو جمعية بالمعنى الهيكلى أو التنظيمى لكن مايمكن الحديث عنه هو التأثير الروحى والفكرى ، ذلك أن أهم ما يربط دعوة فتح الله بالحركة النورية هو الرسائل؛ فأدبيات الأستاذ فتح الله تشير في كثير من المواطن إلى أهمية رسائل النور وتشير إلى قيمتها التربوية، ليس هذا فحسب بل هي موجودة ضمن المصادر الفكرية والتربوية لدى تيار "الخدمة" .

: " إن تأثر الأستاذ فتح الله بالنورسي من خلال رسائل النور لا يمكن إنكاره ولا يمكن تجاهله ولا يمكن لأحد مهما بلغ من التعصب للأستاذ فتح الله كولن أن ينكر هذا التأثير ولكن مع كل ذلك

١- أشواق النهضة والانبعاث ، د. محمد جكيب ، ص ٣٣٩ .

٢- هم من العلماء الأتراك الذين دعوا إلى وحدة المسلمين

٣- صيقل الإسلام ، لبيدع الزمان (المحكمة العسكرية العرفية) ، ص ٤٤٦ .

فإن فتح الله كولن كما استفاد من الأستاذ بديع الزمان النورسي، استفاد من غيره من أعلام الفكر ، وقد مكّنته ثقافته العميقة والمتنوعة ، من أن يتفرد برؤية خاصة تمكنت من التغلغل في ثنايا المجتمع، واستطاعت أن تبني حركة مدنية جدية بالاهتمام وجديرة بالدرس والتحليل . (١)

وقد سبق في الفصل الأول الكلام عن مدى تأثير رسائل النور في فكر الأستاذ فتح الله كولن ووجدانه ، وكيف أنها أحدثت لديه تحوُّلاً روحياً كبيراً ، حتى إنه اعتبر النورسي أستاذه الروحي ومرشده الأول على الرغم من أنه لم يجالسه ولم يتلقَّ عنه مباشرة .

وهناك جانب على قدر كبير من الأهمية ، بل لعله الأهم على الإطلاق في تأسيس هذه الرابطة الفكرية والدعوية بين الرجلين، وهي أن تجربة فتح الله كولن الدعوية - على الرغم من خصوصيتها الشديدة - هي الامتداد الفكري والروحي وكذلك العملي والتطبيقي لرسائل النور .

و: "لكن فهم الصورة كاملة لفكر كولن وحركته ، لا بد لنا من إدراك الفضل الكبير الذي يدين به الرجل للعالم الكردي بديع الزمان النورسي ، فقد كان اتصال كولن بفكر وكتابات النورسي ، وارتباطه بتلاميذه نقطة تحول في رؤيته وفهمه للإسلام ، فقد اعتبر كولن نفسه من تلاميذ النورسي وقد استوعب نصوصه ، وكرّس نفسه لتعلّمها وحفظها ، وعندما يتحدث كولن عن الإسلام اليوم يمكننا سماع صوت النورسي ورسالته . " (٢)

وهناك جانب على قدر كبير من الأهمية ، بل لعله الأهم على الإطلاق في تأسيس هذه الرابطة الفكرية والدعوية بين الرجلين، وهو أن تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية - على الرغم من خصوصيتها الشديدة - تعتبر هي الامتداد الفكري والروحي وكذلك العملي والتطبيقي لرسائل النور ، على الرغم من وجود جماعات كثيرة تنتسب إلى رسائل النور وكل واحدة منها تعتبر نفسها الوريث الشرعي لفكر " النورسي " .

ولعل العبارة الآتية لبديع الزمان النورسي تؤكد أن الرجل كان يرى أنه يمهد الطريق للقادمين من عالم الغيب ، إضافة على أنها تكشف من ناحية أخرى على تواضعه الجَمِّ ، يقول :

"يا ناظر! أظنني أحفر بآثاري المشوّشة عن أمرٍ عظيم بنوع اضطرارٍ مني. فيا ليت شعري هل كَشَفْتُ.. أو سينكشفُ.. أو أنا وسيلة لتسهيل الطريق لكشّافه الآتي". (٣)

١- أشواق النهضة والانبعاث ، د.محمد جكيب بتصريف ص ١٠٥

٢ - نحو تنوير إسلامي ك حركة فتح الله كولن ، حاقان يافوز ، ص ٤١

٣ - المثوي العربي النوري، سعيد النورسي، ص٢٣٩.

## استلها م مفهوم الخدمة الإيمانية من النورسي

لعل الإمام النورسي كان أول من استخدم مصطلح " خدمة الإيمان والقرآن " في رسائله ، وقد اعتبر أن شرور الأمة الإسلامية يلخصها داء الجهل <sup>(١)</sup> فقد صرف بديع الزمان عمره في محاربة هذا الداء الفتاك .

من هنا كانت الضرورة داعية لإنشاء المدارس التربوية الهادفة ، حرصا على تخليص الأمة من وبيلات الجهل وشروره فبالتعلم حتى وإن انحرفت الأمة عن صوابها فستعود إلى جادة الطريق بعد أن يتضح لها برهان العلم والمعرفة ، وهذا هو مافعله الأستاذ كولن وماحثت الناس عليه ودعاهم إليه ، فكانت القضية الأساسية لديه هو مشروع التعليم ، وإنشاء أجيال جديدة .

## مدارس الخدمة على غرار مدرسة الزهراء

من يقرأ رسائل النور يدرك بوضوح أن مدرسة الزهراء لم تكن مجرد فكرة في ذهن بديع الزمان وإنما كانت " مشروعاً " متكاملاً ، أعده النورسي ، فحدّد الهدف من إنشائها ، ومدى الحاجة الملحة إليها ، وشروط نجاحها ، وكيفية تمويلها ، وفوائدها وثمرتها المرجوة ، وما إلى ذلك مما فصله في كليات رسائل النور ، في كل من " صيقل الإسلام " ، و " الملاحق " و " الشعاعات " .  
فجعل النورسي من الأسباب الموجبة لتأسيس مدرسة الزهراء :

تدني العلوم في المدارس الدينية

المؤامرة الخبيثة على القرآن

دفعاً للنعرات القومية وقراراً للسلام في المنطقة

وجعل - رحمه الله - من شروطها :

مزج العلوم الكونية الحديثة ودرجها مع العلوم الدينية مع جعل اللغة العربية واجبة <sup>(٢)</sup>

وأجاب النورسي عن كيفية التمويل أو " الواردات " بأن الحمية للدين والغيرة على بقاء تعاليمه هي التي تُغني عن الخزائن الممتلئة بالمال .، وذكر أوقاف المسلمين وزكواتهم ، وندور وصدقات أهل الإيمان وأصحاب الغيرة على الدين كفيلةً بالتمويل الذي لا ينضب معينه أبداً. <sup>(٣)</sup>

١ - صيقل الإسلام ، الإمام النورسي ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، ص ٤٥١

٢ - صيقل الإسلام - المحاكمات ، النورسي ، ص ٤٣

٣ - صيقل الإسلام - المناظرات ، النورسي ، ص ٤٢٨

---

وذكر النورسيّ من فوائدها :

ل توحيد المدارس الدينية وإصلاحها...

ل إنقاذ الإسلام من الأساطير والإسرائيليات والتعصب الممقوت، تلك التي أصابت سيف الإسلام المهتد بالصدأ.

ل فتح طريق لجريان العلوم الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية، بفتح نبع صافٍ لتلك العلوم بحيث لا ينفر منها أهل المدارس الدينية . (١)

ولعل تجربة المدارس في إطار المشروع التعليمي الذي دعا إليه الأستاذ فتح الله كولن يُعدُّ خير مثال على ما ذكرناه من الرابطة الفكرية والدعوية بين "كولن" و "النورسي" ، فمدارس الخدمة المنتشرة في أرجاء العالم استطاعت حلَّ إشكالية المدرسة المدنية والمدرسة الدينية ، وسيأتى الحديث عن تجربة المدارس كأحد أهم عناصر المشروع التعليمي في تجربة فتح الله كولن الدعوية بالتفصيل - إن شاء الله تعالى -



---

## المبحث الثانى

# تجربة الأستاذ فتح الله كولن فى ضوء تجارب التجديد والإصلاح

وفيه مطلبان :-

- المطلب الأول: العوامل المشتركة بين هذه المدارس وتجربة فتح الله كولن الدعوية
- المطلب الثانى: هل يمكن اعتبار تجربة الشيخ فتح الله كولن مدرسة تجديدية ؟

كان الحديث فيما سبق عن أهم الأحداث والمدارس الفكرية التاريخية التي شكّلت تراثنا الفكرى والوجدانى ، ونشأت فى ظلها أهم الفرق والمذاهب الإسلامية ، ثم أقيمت نظرة سريعة على بعض الشخصيات التي ظهرت فى العصر الأول من الإسلام ، وكان هدفها العودة إلى ينبع الأولى للإسلام ، وإلى ما كان عليه النبى - صلى الله عليه وسلم - والصحابة الكرام ، والخلفاء الراشدون ثم ذكرت طرفاً من بعض المدارس الفكرية التي كانت تحمل الروح التجديدية والاصلاحية ، وكان من أهمها قديماً : مدرسة الإمام الغزالي الإصلاحية ، وحديثاً فى مصر : مدرسة الشيخ محمد عبده ، وفى تركيا مدرسة الأستاذ بديع الزمان النورسى .

ولكن ...

**معلقة هذا كله ببحثنا الذى نحن بصدده عن تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية باعتبارها نموذجاً لنهضة المجتمع والأمة من خلال العمل الدعوى ؟**

وهل هذه الحركات أو المدارس الفكرية هى كل حركات البعث الإسلامى والتجديد الدينى قديماً وحديثاً ؟ ولماذا الاقتصار عليها دون غيرها ؟

لماذا أطلت الحديث فى بعضها واختصرته فى البعض الآخر ؟

وما هو المشترك بينها ؟ وما علاقتها المباشرة أو غير المباشرة بموضوع البحث ؟

لقد كان لدى الباحث هدف - من حيث المبدأ - من الكتابة عن الفرق لإسلامية وظروف نشأتها وأهم مبادئها وأفكارها من خلال نظرة تاريخية ، تُعتبر عابرة ومختصرة ، ثم عن بعض أهم المدارس الفكرية الإحيائية التي كان لها أثر كبير فى جيلها والأجيال التي تلتها ، بل ربما يمتد أثرها إلى عصرنا الحالى .

هذا الهدف الأولى هو : محاولة رسم صورة تقريبية لتاريخنا الثقافى والفكرى من خلال هذه المدارس والشخصيات والفرق والمذاهب ، لاسيما مايتعلق منها بالجانب الفكرى والدعوى ، التي كان لها أثر واضح فى الحياة الفكرية والوجدانية والدعوية

ومن ثمّ كان التركيز على المدارس ذات التأثير المجتمعى ، وليس السياسى ، وبالطبع ليس فى هذا تقليل من حركات البعث الإسلامى ذات الطابع السياسى أو العسكرى ، وإنما كان تركيزنا على ماله علاقة مباشرة بهذا البحث ، إذ أن المدارس الإحيائية والمشاريع الاصلاحية التي عُيننا بذكرها قدّمت نماذج لنهضة المجتمع والأمة من خلال العمل الدعوى والبعث الفكرى وإحياء الدين فى العقول والنفوس والأرواح ، وهو ذاته المجال الذى نبحت فيه وعنه .

لكن .. لماذا لجأ الباحث إلى هذا ؟

ليتبين للقارئ الكريم أن تجربة الأستاذ محمد فتح الله كولن ومشروعه الحضارى ، ليس إلا امتداداً لهذه المدارس العظيمة ، فهي تجربة لم تنشأ فى الفراغ ، ولم تنبت من غير تعهد ورعاية ، بل كان لها رصيدٌ ضخمٌ من التجارب الحية تستضى بها ، وتستمد منها ، فهي تجربةٌ حديثةٌ بالمعنى الزمنى ، لكنها متجذرةٌ فى أعماق الأمة ومُتحدةٌ مع كيانها على الحقيقة ، مع تميّزها عن غيرها ، ورعايتها لطبيعة زمانها .

### أما لماذا الإقتصار على هذه المدارس دون غيرها ؟

فإن هذه المدارس تمثل - إلى حدّ ما - صورةً معبرةً عن جزءٍ من تاريخنا الفكرى والثقافى والدعوى ، فمدرسة الإمام الحسن البصرى وبعدها مدرسة الإمام أبى الحسن الأشعرى كانتا فى صدر الإسلام والقرون الاولى ، ثم جاءت مدرسة الإمام أبى حامد الغزالى فى القرن الخامس الهجرى ، وفى العصر الحديث كانت مدرستا الأستاذ الإمام محمد عبده فى مصر ، والأستاذ النورسى فى تركيا .

شئٌ آخر هو أن هذه المدارس مثلت قاعدةً وأساساً لغيرها من المدارس الفكرية بل والحركات السياسية التى جاءت بعدها ، فقد جاءت هذه المشاريع التجديدية بعد ركودٍ طويلٍ ( مدرسة الإمام الغزالى ، ومدرسة الأستاذ الأفغانى والإمام محمد عبده ) ، فألقت حجراً فى مياه راكمه أوشكت أن تأسن ، فأحدثت دويماً هائلاً ، وجاءت على أثرها المدارس الأخرى كالدوائر المتتابعة حول المركز . ولذلك فقد اعتبر كثيرٌ من الباحثين أن الأستاذ فتح الله كولن ليس إلا امتداداً للنورسى ، وجزءاً لا يتجزأً من حركة النور ، إلا أن مدرسة الإمام النورسى جاءت بعد ركودٍ طويلٍ فى حياة المسلمين الأتراك ، فكانت مدرسة النورسى تجربةً إحيائيةً تنطلق من الفرد والأسرة والمجتمع ، وكان من آثارها وجود العديد من العلماء العاملين والدعاة المخلصين ، الذين استلهموا من النورسى وكانوا امتداداً لمشروعه الحضارى ، كان أبرز هؤلاء : الشيخ الأستاذ محمد فتح الله كولن .

فهل يأتى أحدٌ - بعد هذا - ليقول إن كولن عضوٌ فى جماعة أسسها النورسى !! ، أم أن المسألة أعمق من هذا ؟ إنها قضية التأثير والتأثير التى نشأت بين فتح الله كولن وتلاميذه من جهة وبين المناخ الذى أوجدته المدرسة النورسية من جهةٍ أخرى .

## المطلب الأول

### العوامل المشتركة بين المدارس السابقة وتجربة فتح الله كولن الدعوية

فضلاً عن ما ذكر آنفاً فإن هناك محدّدات جعلت الباحث يختار هذه المدارس لتكون بمثابة التمهيد أو التقديم قبل الحديث عن التجربة ذاتها - وذلك بعد الحديث عن صاحب التجربة كشخصٍ في الفصل الأول - ، وهو تمهيدٌ مهم ، بل أكاد أقول : إن تجربة الأستاذ كولن لا يمكن فهمها فهماً دقيقاً إلا في ظل هذه المدارس التي تمت الإشارة إليها ، لاسيما مدرستي الإمام الغزالي والأستاذ النورسي ، ولعل هذا لا تتضح أبعاده كاملةً إلا بعد قراءة التجربة ذاتها قراءة كليّةً فما هو القاسم المشترك بين هذه المدارس من جهة ، وبينها وبين تجربة الشيخ فتح الله كولن من جهة أخرى .

**أولاً :** أن هذه المدارس والحركات الإحيائية سارت - في جملتها - مع الخطّ الإسلامي العام ، فهي لم تقدّم نفسها على أنها بديل لما سبقها ، ولم تتكر جهود السابقين من علماء ومفكرى الأمة وإن اختلفت معهم ، وإنما قدّمت نفسها على أنها إحياءٌ لهذا القديم ، ونفضٌ للغبار عن جماله وبهائه ورونقه ، وعودةٌ إلى ما لا خلاف عليه من الينابيع الصافية الأولى ، قبل أن يظهر الخلاف ، وفي هذا الصدد يمكن للباحث في هذه الحركات والمدارس أن يرصد ما يلي :-

أ- أن رُود هذه المدارس الإحيائية جاءوا من العلماء التقليديين - إن صحّ التعبير - ، وأعنى به : من تخرّجوا من المدارس الدينية أو على علوم الدين والشريعة ، فهم لم يأتوا من خارج إطار علماء الدين ، يصدق هذا على جميع من ذكرنا بداية من الإمام الحسن البصرى ، ومروراً بالإمام الغزالي ، وانتهاءً بالشيخ فتح الله كولن<sup>(١)</sup> ، وهو الذى بدأ حياته العملية إمام مسجد ، وطاف أرجاء تركيا واعظاً في مساجدها .

ب- أن أصحاب هذه المدارس ورغم نقدهم الشديد وربما اللاذع - أحياناً - للواقع الذى عاشوه مما دفعهم إلى تغييره ، إلا أنهم لم يختلفوا مع جمهور الأمة من العلماء فى الأصول العامة ، والقواعد الكلية للدين ، بل نستطيع القول إن رسالتهم ماكانت إلا للحفاظ على هذه الأصول وتلك القواعد ، يظهر هذا واضحاً جلياً فيما ذكرته قبل ، وهو ماسيئّضح لنا لاحقاً فى ثنايا البحث عن فكر الأستاذ فتح الله كولن<sup>(١)</sup> ، بل إن الباحث فى فكر الأستاذ كولن يلاحظ تحرّجه الشديد فى نقد القديم أو نقضه ، وحساسيته المفرطة فى انتقاد

١- انظر: مراحل حياته فى الفصل الأول م ص ٤٣ إلى ص ٧٩

٢- سيأتى فى الفصل الثالث: ثقافتنا الذاتية ، ص ١٧٨ ، الوعى بالتاريخ ودوره فى إحداث النهضة ، ص ١٨٥

الأشخاص والهيئات والجماعات مهما كان اختلافه معها ، وذلك وفقا للسياسة التوافقية التي انتهجها في دعوته إلى فقه الائتلاف . (١)

**ثانياً :** تشترك هذه المدارس في أنها تبنت **منهج الإصلاح التدريجي** الذي يبدأ من المجتمع ، ويعتمد في جوهره على تغيير النفوس عملاً بقول الله - سبحانه : ( **نَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** )<sup>(٢)</sup> ، ولايعنى هذا بطبيعة الحال أن هذه المدارس كانت بمعزلٍ عن هموم الأمة وآلامها ، لكنها اختارت طريقاً آخر لمقاومة الفساد وتغيير الأمم والجماعات ، ولعله الطريق الأصعب ، لكنه دون شك الأجدى والأقوم .

لهذا السبب نجد أن رواد هذه التجارب الإحيائية الرائدة ، ابتعدوا عن النشاط السياسي كآلية للتغيير ، سواءً كان هذا الابتعاد نتيجة تجربة سياسية أدت بصاحبها إلى اليأس من الإصلاح من خلال هذا الطريق مثل الإمام النورسي والإمام محمد عبده ، أم أنه ابتداءً اختار طريق العمل الدعوى ، وسلك طريق التغيير من القاعدة مثل الأستاذ فتح الله كولن .

عل أنه من البدهي أن هؤلاء الأعلام لم يريدوا بمسلكهم هذا أن يفصلوا الدين عن السياسة ، فهذا ما لا يتفق مع فكرهم الشمولى ، بل ولا مع نشاطهم الحركى الواسع ، وقد ذكرت كيف أن كل واحد منهم خاض غمار الحياة بكل مافيها برسالته ودعوته ، وأثر في جوانبها المختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية ، فهم صانعو القادة ، ومنظرو الجهاد الحق ، وأمثالهم أكبر من أن يخوضوا معركة انتخابية ، أو ينضموا تحت لواء حزب بعينه ، لذا فقد اختاروا أن يكونوا للأمة بأسرها ، وأن يبتعدوا عن التحزب السياسى وليس عن المشاركة فى الأحداث وإبداء الآراء السياسية التى تخدم الأمة فى مجموعها ، من باب النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم ، وهو ما فصلت فيه القول عند الحديث عن سمات حركة الخدمة ، وهى الحركة ذات النشاط الدعوى والمجتمعى ، ومن أهم هذه السمات : البعد عن التحزب السياسى<sup>(٣)</sup>

**ثالثاً :** تشترك هذه المدارس فى كونها تجارب بدأت فردية بشخص ذى هممة عالية ، ثم تحولت إلى مدارس إحيائية ، بمعنى أن كلاً منها تمثل - فى الأساس - تجربة ذاتية تحولت بفعل التأثير المجتمعى والروح التجديدية إلى مدرسة ذات تأثير فى محيطها بل وتعدى تأثيرها حدود الزمان والمكان فى كثير من الأحيان .

١- سيأتى : صياغة فقه الائتلاف ، ص ٢٨٩

٢- سورة الرعد ، الآية : ١١

٣- سيأتى : السمات العملية لحركة الخدمة ، ومنها : عدم التحزب السياسى ، ص ٣٣٦

ولذا فقد حاولتُ أن ألقى الكثير من الضوء على حياة هؤلاء الأعلام ، وركّزتُ على مراحل حياتهم المختلفة ، وطبيعة كل مرحلة ، حيث تتداخل التجربة الذاتية مع المدرسة الفكرية ، وهو ذاته ما فعلتهُ في تجربة الأستاذ فتح الله كولن ، حيث كان سبق في الفصل الأول من هذا البحث الحديث عن حياته ونشأته والعوامل المؤثرة في تكوينه الوجداني والعلمي.

### ولكن لماذا التأكيد هلى هذه النقطة ؟

لأن هذه النقطة تفسّر لنا شيئاً من الإشكاليات التي تواجه مثل هذه المدارس الفكرية ، أو التجارب الدعوية ، ومنها تجربة الشيخ فتح الله كولن ، ألا وهي : إشكالية التصنيف ، فالبعض يحلو له أن يصور هذه المدارس على أنها تنظيم هيكلى ، أو جماعة منظمة ، أو حركة ذات أهداف سياسية مستترة ، وعلى الرغم من أن اعتبار هذه المدارس تنظيماً أو جماعة أو حركة لا يقلل من شأنها ، إذ لا شئ في أن تستخدم الدعوة الوسائل المشروعة في تحقيق أهدافها ، إلا أن هذه المدارس الإحيائية التي سبق الحديث عنها على وجه التحديد لم يعمد أصحابها إلى هذه الوسيلة ، فلا هم أنشأوا حركة ذات أهدافٍ محددة تتبنى البناء الهرمى ، ولا هم أسسوا كيانا ما تحت أى مسمى ، ولكن وجود عدد كبير من المتأثرين بالفكرة ، وسعيهم الحثيث إلى نشرها ، يجعلهم في صورة منظمة شبيهة بالقوالب المؤسسية أو التنظيمية ، ومثال ذلك ما أطلق على تلاميذ النورسى : جماعة النور ، أو ما أطلق على تلاميذ فتح الله كولن : حركة الخدمة ، وعلى الرغم من عدم رفض هذه التسمية من حيث المبدأ ، إلا أن هذا لا يعنى أن تلك الجماعة أو هذه الحركة تربط بين أعضائها برباط عضوى أو تنظيمى مثل الأحزاب السياسية أو الجماعات التنظيمية<sup>(١)</sup>.

**رابعاً :** أن هذه المدارس اتفقت أو كادت تتفق على أن محور نشاطها الأساسى هو : التربية والتعليم ، وهل فعل الغزالي بعد الخروج من عزلته أكثر من أن تبنى مشروعاً تربوياً وتعليمياً ؟ ، فأسس مدرسته في بغداد ، وأملى على تلاميذه خلاصة مشروعه الفكرى والتربوى : إحياء علوم الدين ، وكان من أهم أولوياته إخراج جيل جديد من العلماء والمرتبين .

وهل ينسى التاريخ للإمام محمد عبده أنه أول من نادى بإصلاح الأزهر - باعتباره أقدم وأكبر جامعة إسلامية في العالم الإسلامى - ؟ ، وقدّم مشروعه التعليمى الذى يشمل التعليم الدينى والمدنى لكل الجهات المسؤولة عن التعليم فى مصر ، بل إن الأستاذ الإمام قد نذر حياته - فى مرحلة ما بعد المنفى - من أجل هذا المشروع دون غيره

وهل كان مشروع النورسى الحضارى إلا مشروعاً تربوياً من الأساس ؟ فالرجل قد صاغ رسائل النور من أجل أن ينشئ بها جيلاً من الدعاة العاملين ، وقد سعى سعياً حثيثاً لمحاولة تأسيس جامعة الزهراء لتكون مؤسسة تعليمية شاملة ، تخرِّج الأجيال المؤمنة .

وهل كان من الممكن أن يتعرف الناس على تجربة الأستاذ فتح الله كولن ، خارج حدود تركيا ، لولا المشاريع التربوية المنتشرة فى أنحاء العالم ، تقدم العلم النافع ، والتربية المثمرة ، وهل كانت حياته فى مجملها إلا حياة معلِّم يربى الأجيال ، بل إن مجال التربية والتعليم ليعُدُّ بجدارة المجال الحيوى والعمود الفقري لنشاط تيار " الخدمة " الذى يعمل من خلاله تلاميذ الأستاذ فتح الله كولن ، وهذا ما فصلتُ القول فيه فى الفصل الخامس من هذا البحث .<sup>(١)</sup>

**خامساً :** أيضا فإن مما نلاحظه فى حياة هؤلاء الأعلام وتجاربهم الشخصية ، الأثر الكبير للتصوف فى صياغة حياتهم الشخصية ومن ثمَّ فى آثارهم الفكرية والروحية ، فقد تتقلنا بين مراحل حياتهم، ثم فى مناهجهم فى الإصلاح والتجديد وشاهدنا هذا الأثر بارزا واضحا لاتكاد تخطئه عين ، وكيف لا ؟ وحياتهم تُخبرنا أنهم كانوا طلاب نور ، وباحثون عن الحقيقة ، فى تجرُّد وإخلاص - نحسبهم كذلك واللح حسبيهم - ، فكان أن هداهم الله بنور من نوره ، وهل التصوف فى حقيقته إلا البحث عن الحق والحقيقة ؟ وهل الصوفى على الحقيقة إلا : " رجل الحق الذى لا ادعاء له ، تفضّل الحق - سبحانه - باختياره وانتقائه لنفسه، وصفاه من كدر النفس فصافاه."<sup>(٢)</sup>

وعلى الرغم من هذا فإن أحدهم لم يدع أنه شيخ طريقة ، ولم يسلك مسالك الوحشة والاعتراب ، بل كان تصوفهم تصوفاً سلوكياً يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، وهو ما عناه النورسى حين قال : " أنا لست شيخ طريقة صوفية ، وإنما أنا عالم دين ... إن الزمان ليس زمن الطريقة ، إن الزمان زمان إنقاذ الإيمان ."<sup>(٣)</sup>

فهم قد ارتبطوا بحقيقة التصوف دون الارتباط بأشكاله ورسومه ، ولذا فقد اعتبر الباحث أن " الحقائق الصوفية " كانت أحد أهم المرتكزات التى انطلقت منها تجربة الأستاذ فتح الله كولن الدعوية<sup>(٤)</sup>.

١- سيأتى :المبحث الثالث من الفصل الخامس : التربية والتعليم ، ص ٣٦٣

٢- التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح ، فتح الله كولن ص ٢٥

٣- المكتوبات ، بديع الزمان النورسى ، ص ٧٩ .

٤- سيأتى : الحقائق الصوفية فى تجربة فتح الله كولن الدعوية ، ص ٢١٨

## المطلب الثاني

### هل يمكن اعتبار تجربة الشيخ فتح الله كولن مدرسة تجديدية ؟

أشرتُ في بداية هذا الفصل إلى الحديث الشريف الذي فيه " إن الله يبعثُ لهذه الأمة على رأس كلِّ مائة سنة من يجددُ لها دينها " (١) .. ولا شك أن الأمة - اليوم - بحاجة إلى فهم أعمق للحديث الشريف وبخاصة في هذه المرحلة بالذات من تاريخها .

وفي إطار البحث عن مدلولات أعمق للحديث يقول د. فريد الأنصاري - رحمه الله - : " والحركات الإسلامية الدعوية الآن في العالم -سواء في العالم العربي أو في غيره- كثيرةٌ جداً، وهي في مجموعها تمثلُ جزءاً من هذا التفسير لهذا الحديث..، إن بعض شراح الحديث يرون بأن رأس المائة سنة يقع على رأس المائة من كلِّ تاريخٍ هجري..

لكن الأمر عند آخرين من العلماء غير ذلك، والدليل عليه -وهذا هو الذي أرجّحه، أي المذهب الثاني وليس الأول- أن التجديد إنما يقع حيث تكون الحاجة إليه، لأن تجديد الرسالة النبوية طيلة القرون الهجرية الثلاث الأولى، أولاً لم تكن تدعو إليه حاجة، وإنما كان الدين مستنيراً بصورة عالية جداً، فأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين عاشوا معه ، والتابعون لهم ، ومن تبعهم ، كلهم عاشوا حياتهم في ظل حياة إسلامية راشدة - على اختلاف في مستوياتهم - ، وإنما احتاجت الأمة للتجديد فعلاً مع بداية القرن الرابع الهجري.. هنالك فعلاً حدث انحراف على المستوى العقدي ، وعلى مستوى السلوك التربوي، وعلى مستوى طلب العلوم الشرعية.. واحتاجت الأمة فعلاً آنئذ إلى التجديد..

فذلك -إذن- كان القرن الرابع الهجري قرن حركة علمية مُجدّدة، ظهر هنالك محدثون، وظهر هنالك مفسرون، وكثير من العلماء في التربية وفي الدين وفي السلوك، الذين فعلاً حاولوا تجديد الدين لذلك القرن.. حتى جاء الإمام أبو حامد الغزالي القرن الخامس الهجري حاول أن يرجع بالعلوم الإسلامية إلى أصلها الأول بطريقة ما، أي أن يجعلها علوماً تربيةً . " (٢)

فالتجديد - على الرأي الثاني - كما يرجحه الأنصاري هو تجديدٌ تكون الحاجة إليه ملحةً ، وقد يكون هذا مرتبطاً بالعامل الزمني الذي يشير إليه الحديث " مائة سنة " .

وقد وُجد في الأمة مجدّدون في مختلف العصور والأزمان : " يشعرون بالآلام أمتهم ، ويدركون المخاطر المحيطة بها، ويفكّرون التفكير العميق في أسباب الداء ووصف الدواء ، وكلُّ مصلحٍ

١ - سبق تخريجه ، ص ١٠٦

٢- رجالٌ ولا كأي رجال ، د. فريد الأنصاري ، بتصرف ، ص ٦٨، دار النيل ، القاهرة



ينظر إلى المرض من زاويته ، ويدعوا إلى مداواته حسب خُطَّته ، وكلُّ قد أبلَى بلاءً حسناً ، ولاقى من العناء ما لا يتحمَّله إلا أولو العزم ، فمنهم من شُرِّدَ ومنهم من قُتِلَ ، ومنهم من رُمِيَ بالخيانة العظمى ، وهم على هذا صابرون مجاهدون ، أحبوا مبدأهم فى الإصلاح أكثر مما أحبوا الحياة ، ولم يعبأوا بالعذاب فى سبيل تحقيق فكرتهم ، وظلَّت آراؤهم تعمل عملها فى حياتهم وبعد موتهم ، حتى تحقَّق إصلاحهم ونفَّذت أفكارهم . (١)

وقد سبق الحديث عن طرفٍ من حياتهم ومحاولاتهم الإصلاحية ، وتجاربهم الإحيائية ، ورأينا كيف أن كلَّ واحد منهم جاء والامة فى أمسِّ الحاجة إلى دعوته وفكرته ، وهو ما يعنى أنهم جاءوا استجابةً للتحديِّ الذى تواحهه الامة فى حينها .

ففى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بالتقويم الميلادى (وهو ما يوازى نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر بالتقويم الهجرى) نشأت حركات تجديدية فى العالم الإسلامى فى وقتٍ واحد .

كانت حركات التجديد تلك - وكما سبق فى هذا الفصل - تعبيراً عن التحدى الحضارى الذى واجهته الأمة ، فقد كانت شعوب المسلمين تقع تحت الاستعمار الغربى للعالم الإسلامى جملةً ، ومازال الاستعمار آنذ يزيد ويكتسح فى كثير من دول العالم الإسلامى.. كان التحدى - إذاً - هو تحدى التحرُّر من النفوذ الأجنبى ، والتحرر من أغلال الفقر والجهل والمرض ، التى مكَّنت لهذا الاستعمار من أن يعبث ببلاد المسلمين .

والسؤال : هل مازال هذا التحدى قائماً - على الأقل فى صورته الاستعمارية الفجَّة - والتى تعنى احتلال الأرض ونهب خيراتها ، والسيطرة على عقول أبنائها ؟

يقول الأنصارى : " إن هذه الظروف تغيَّرت.. عندنا الآن ظروف عالمية أخرى؛ عندنا ما يُسمَّى بـ"العولمة" (٢) فى صورتها الثقافية والإعلامية والاقتصادية.. بهذا الوجه الكالح المكتسح لكلِّ العالم الآن، ما ينبغى أبداً أن يكون المنهج القديم الذى نشأ تحت تأثير الاستعمار بصورته النمطية هو نفسه المنهج الذى يقوم بالتجديد فى هذه المرحلة.. لأنَّ التحديَّات اختلفت؛ الاستعمار القديم كان

١- زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، أحمد أمين ، المقدمة ، ص ٩

٢ - العولمة : هي نظام عالمي جديد يقوم على التطور التقني والتكنولوجي وثورة الاتصالات بحيث تزول الحدود بين شعوب بالعالم ويصبح العالم قرية كونية صغيرة ، وهى بمعنى آخر: انتشار الغربى فى العالم.( العولمة ، جلال أمين ، ص ١٨ ، ١٩٩ ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ٢٠٠٩ م )

يحتلّ الأوطان دون أن يحتلّ الإنسان، بينما الاستعمار الجديد يحتلّ الإنسان قبل أن يحتلّ الأوطان. (١)

وهنا تأتي الأهمية الدعوية والحضارية لدعوة الأستاذ فتح الله كولن - والتي هي نتاج فكري ومورث حضاري لما سبقها من تجارب ودعوات - ، بحيث يمكن اعتبارها هي الأقرب لوراثه حركة التجديد التي ينتظرها العالم الإسلامي اليوم .

يقول الأنصاري : " أزعج أن أبرز دعوةٍ وأقرب حركةٍ لمعنى الحديث أولاً، ثم للحاجة المطلوبة الآن حضارياً ثانياً، هو هذا الاتجاه الذي يمثله الأستاذ فتح الله كولن.. لماذا؟ لأن الاستعمار سابقاً احتلّ الأوطان قبل أن يحتلّ الإنسان؛ فكانت الحركية التجديدية القديمة غالباً ما تتجه إلى تحرير الأوطان..

بينما هذا الاستعمار الجديد الذي استعمر الإنسان، استعمر فكره وأحلامه، وعقله ودماعه ؛ ينبغي أن تكون هذه الحركية قائمةً أساساً على تحرير الإنسان.. وما وجدتُ شخصاً أو دعوةً قام فكرها فعلاً على تحرير الإنسان كما وجدتُ كتبَ الأستاذ فتح الله كولن. " (٢)

نعم .. يمكن اعتبار هذه التجربة مدرسة إحيائية تجديدية بهذا المفهوم ، لأنها تواجه تحدياً من نوع جديد ، إنها تواجه تحدى هدم إنسانية الإنسان بمحاولة بناء إنسان القرآن ، وهو مانلحظه في كتابات ومقالات ومواعظ الأستاذ فتح الله كولن ، بل مانراه في المؤسسات التربوية التي حثت على إنشائها .

"المشروع الفكري والتطبيقي في تجربة الشيخ فتح الله قائمٌ أساساً على "تجديد الإنسان" .. لأنه حينما يتجدد الإنسان يتجدد كلُّ شيء بالتبّع، فنكون الشركات، وتكون المؤسسات بسبب أنه صنع "الإنسان" .. وهذه هي العبقرية الاستراتيجية التي يمكنها - ووحدها دون سواها- أن تواجه الاستعمار الجديد بتجلياته الثقافية والعقدية المدمرة للبنية التحتية في العالم الإسلامي. " (٣)

ولذا جاء هذا البحث لدراسة هذا النموذج الحضاري ، وهذه التجربة الدعوية ، التي تنطلق من الإنسان إلى العمران ، وتعيد صياغة الإنسان صياغة قرآنية ، والأستاذ كولن يرسم خطة الخلاص من الاضمحلال بإعلان النفير العام ، ليس على أمة من الأمم ، وليس لخوض معارك كلامية تنتهي دائماً إلى لاشئ ، وإنما لإعداد هذا " الإنسان " ، لإعداد أجيال ممن سّماهم : أطباء الروح والمعنى .

١- رجالٌ ولا كائى رجال ، د. فريد الأنصاري، بتصرف، ص ٧١

٢- المرجع السابق ، بتصرف ، ص ٧٢

٣- المرجع السابق ، بتصرف ، ص ٨٦

يقول الأستاذ فتح الله كولن في موضوع بعنوان: **نحو عالم الغد** : " إن سبيل الخلاص من الاضمحلال ، هو إعلان النفير العام لإعداد أطباء الروح والمعنى، الذين يملؤون كل الفراغات في كياننا، ويزيلون نقاط الضعف في نفوسنا، وينقذوننا من عبودية الجسم والبدن ويقودوننا إلى مستوى الحياة القلبية والروحية... أطباء تتسع قلوبهم لكل ساحات العلم والذكاء والعرفان والواردات والفيوضات... من الفيزياء إلى الميتافيزيقا، ومن الرياضيات إلى الأخلاق، ومن الفنون الجميلة إلى التصوف، ومن الكيمياء إلى الروحانية، ومن الحقوق إلى الفقه، ومن السياسة إلى السير والسلوك." (١)

لكن .. ماذا يفعل أمثال هؤلاء في مجتمع كبير وأمة مترامية الأطراف ؟ مجتمع يعاني الكثير من الأمراض والأوجاع ، وأمة منهكة ، وشعوب متفرقة ؟  
وكعادته في التشبيه والتمثيل ، يشبه الأستاذ كولن هؤلاء القلة بـ " المخ " في جسم الإنسان ، هذا العضو الصغير الذي يتحكم في حركات الجسم وسكناته من خلال شبكة الاعصاب المنتشرة في أنحاءه .

فما أشد حاجة الأمة إلى مثل هذا: " المخ المدبر ، فكما يرتبط العقل ويحاور كل جهة بعيدة وقريبة في البدن عبر الأعصاب، ويرسل الرسائل إلى أقصى نقاطه ويستلم منها، فإن هذا الفريق سيكون في تعاطٍ مع جميع خلايا جسم الأمة وجزئياته وذراته وجسيماته، ويصل إلى جميع الوحدات في المجتمع، ويمتد تأثيره إلى جميع أجزائه الحيوية، ويهمس في أذن كل شرائحه شيئاً من الروح ومن المعنى، مقبلاً من الماضي ومكتسباً عمقا أشد غورا في الحاضر، وممتداً إلى المستقبل" (٢)

لكن .. ما أكثر الكلام وما أحلاه !!

فهل ارتبط هذا الكلام بعملٍ ؟ وهل امتزج هذا القولُ بفعلٍ ؟ وهل صاحبت هذه النظرياتُ تطبيقاتٍ على أرض الواقع ؟

الحقيقة .. أن الواقع خير دليل ، فميدان القول غير ميدان العمل بكل تأكيد ، ولذا جاء الفصل الخامس من هذا البحث مطوّلاً لدراسة التجربة من الجانب العملي والتطبيقي .

ذلك أن الأستاذ فتح الله كولن قد : " تمكّن من تكوين أجيال و مؤسسات قادرة على إعادة تشكيل صورة الإسلام عبر العالم، و قادرة على خلق الأسباب المناسبة لذلك ، و قد يكون ما نراه فتوحات افتراضية كغايات تهدف إليها التجربة ، في غير قصدٍ إليها ، بمعنى أنها لا يههما كثيرا

١- ونحن نقيم صرح الروح : فتح الله كولن، ص ٢٦، ط٦، دار النيل القاهرة ٢٠١٢

٢- المرجع السابق ، ص ٢٧

أمر الفتح بمعناه السياسي و الاقتصادي، بقدر ما يههما تمثيل الإسلام خير تمثيل و السعي وراء تحقيق السلام العالمي." (١)

هذا ماأحاول إلقاء الضوء عليه ، ولفلت الأنظار إليه ، في هذا البحث ، لتتجه الهمم نحو نهضة منشودة تبدأ من " الإنسان" نحو بناء مجتمع سليم ، وأمة راشدة .

ومن يدرى ؟ . . . لعل أمتنا التي تتعثر اليوم في خطاها ، والتي تتكبت الطريق نحو غايتها المنشودة ، تكون عما قريب السراج المنير للشرق والغرب على السواء .

يقول الأستاذ فتح الله كولن : " لقد كان لكل عصر كرامة ، فوُلدت الإنسانية من جديد بالإسلام في القرن السادس الميلادي، وعاد الأتراك إلى الحياة بالإسلام في القرن العاشر الميلادي. وأظن أن كرامة القرن الحادي والعشرين ستظهر بملء شعبنا والشعوب المرتبطة به مكانه اللائق في الموازنات الدولية. نعم، نؤمن أننا بهذا الجهاد المعنوي الذي يمكن تسميته بكفاح العلم والأخلاق والحق والعدل ، سنلثمُ شعث أشلاء "أمتنا" المباركة الممرعة البئيسة والمشردة في أرجاء الأرض المختلفة، لتجتمع الأجيال التي ظلت بلا راعٍ ولا غاية حتى اليوم في ظل الفكر، فتعيش "الانبعاث بعد الموت" من جديد . " (٢)

أليست هذه - في الأصل - هي رسالة الإسلام ؟ ، أليست هذه هي وظيفة المسلمين الأولى ؟ ، وهل أرسل الله - سبحانه - محمداً - صلى الله عليه وسلم - إلا رحمةً للعالمين ؟ أليست البشرية اليوم في أمس الحاجة إلى هذا الدور الحضاري ؟

أصدرت منظمة المؤتمر الإسلامي ما عُرف بـ "إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام" ، وأكّدت فيه على أنّ دور المسلمين اليوم هوهداية البشرية الحائرة ، حيث ورد في ديباجة الوثيقة : " التأكيد على الدور الحضاري والتاريخي للأمة الإسلامية، التي جعلها الله أمةً وسطاً، وأورثت البشرية حضارة عالمية متوازنة، وصلت الأرض بالسماء، وربطت الدنيا بالآخرة، وجمعت بين العلم والإيمان ، والذي يؤمّل هو أن تقوم هذه الأمة اليوم بهداية البشرية الحائرة، بين التيارات والمذاهب المتنافسة ، وتقديم الحلول لمشكلات الحضارة المادية المزمّنة. " (٣)

١- الخطاب الإسلامي بين مقتضيات العصر و مشروع الحداثة :نموذج : تجربة فتح الله كولن ، هشام الرّس - بحوث جامعية "ملخص" - موقع مجلة "حراء"

٢- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٩٤، ط٦، دار النيل، القاهرة ، ٢٠١٢م

٣- إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات ، د. طه جابر العلوانى ، ص٣٣ ، سلسلة إسلامية المعرفة ، الدارالعالمية للكتاب الإسلامى ، الرياض ط١ ١٩٩٤م.

وبعد . . .

فهذا الفصل الثانى جاء فى سياق البحث فى تجربة إسلامية بدأت فى القرن العشرين ، ولاتزال تنمو وتنضج فى القرن الواحد والعشرين .  
وهى تجربة لا نستطيع فهمها - حقاً - إلا فى سياقها التاريخى والحضارى ، ضمن حركات البعث والتجديد الإسلامى .

وهل يمكن أن نفهم - مثلاً - عزوف الأستاذ كولن وتلاميذه عن الدخول فى المعترك السياسى على الرغم من سعة انتشار التجربة وتأثيرها مجتمعياً ، إلا فى ضوء من تجربة الأساتذة الأعلام حجة الإسلام الغزالى والأستاذ النورسى والإمام محمد عبده ؟ .

أوليس تهمته واحدة اتهم بها الإمام أبو حامد الغزالى بسلبيته فى مواجهة الاحتلال الصليبي !! ، واتهم بها الإمام محمد عبده بموالاته للإنجليز واحتفائه باللورد كرومر<sup>(١)</sup> !! . لمجرد أن كلاً منهما كان له مشروع الهادف إلى البناء من القاعدة ، ومواجهة المرض الحقيقى دون الاشتغال بالعرض الزائل - الذى لا ينبغى التقليل من أثره أو العزوف عن مواجهته - ، وهل زعم أحد منهما أنه سياسى قدير ؟ أو عسكرياً فذاً ؟ وماذا فعل الإمام الغزالى حين وجد من يقود حركة الإصلاح السياسى - يوسف بن تاشفين - مثلاً ؟ ألم يعزم أن يرحل إليه ؟ . . . وماذا فعل الإمام محمد عبده حين رأى فى الثورة العرابية وسيلة إنقاذ للشعب من الظلم ؟ ألم يكن أحد قادتها ودعاتها ؟ . . . وهل يتهم مثل الإمام النورسى - وهو الذى قضى حياته فى السجون والمنافى - بأنه لم يكن مشغولاً بقضايا الأمة ، لأنه لم يحرض تلاميذه على الثورة ضد العلمانية ؟ ولم يقُد تمرداً ضد نظام أتاتورك مثلاً ؟

فى ظل هذا كله يمكن أن يفهم الدارس لتجربة الأستاذ فتح الله كولن الاتهامات له ولتلاميذه بأنهم مشغولون عن قضايا الأمة وهمومها بمدارسهم الخاصة ومشاريعهم التعليمية !!؟  
إلى غير من الاتهامات التى سوف تكون لنا وقفة مع بعضها فى الفصل الأخير من هذا البحث - بمشيئة الله تعالى -

---

١- انظر : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، أحمد امين ، ص ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، وفيها يذكر أحمد امين أن أهم غرض للشيخ محمد عبده كان إصلاح العقيدة ومؤسسات التعليم كالأزهر والأوقاف والمحاكم الشرعية ، وقد كانت السلطة الفعلية بيد الإنجليز ، وكان الحاكم الفعلى للبلد هو اللورد كرومر ، ولذا فقد رفع تقريره لإصلاح التعليم إليه ، وقد كان يرى أن رفع مستوى التعليم عند الشعب هو الوسيلة الناجعة لجلاء الإنجليز والزوال الفعلى للاحتلال ، وقد حدد الرجل موقعه من المعركة فهو المصلح الاجتماعى والداعية الإسلامى ، وليس الزعيم السياسى والقائد الثورى .

## الفصل الثالث

# مرتكزات نهضة المجتمع والأمة في تجربة فتح الله كولن الدعوية

وفيه ست مباحث :-

المبحث الأول : القرآن الكريم في عمق الرؤية

المبحث الثاني : ثقافتنا الذاتية

المبحث الثالث : الوعي بالتاريخ ودوره في إحداث النهضة

المبحث الرابع : الدعوة والإرشاد والتبليغ في تجربة فتح الله كولن ، وفيه ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : مكانة "الإرشاد والتبليغ" في تجربة فتح الله كولن

المطلب الثاني : أصول وقواعد الإرشاد والتبليغ في تجربة فتح الله كولن

المطلب الثالث : صفات الداعية "المبليغ" كما يراها فتح الله كولن

المبحث الخامس : الحقائق الصوفية في تجربة فتح الله كولن الدعوية ، وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : حقيقة التصوف والصوفي عند "فتح الله كولن "

المطلب الثاني : فتح الله كولن صدى "جلال الدين الرومي"

المبحث السادس : روحُ الجهادِ وخدمةُ الخلق : طريقُ الجهادِ عند فتح الله كولن وفيه

مطلبان :-

المطلب الأول : مفهوم "الجهاد" عند فتح الله كولن

المطلب الثاني : طريقُ الجهادِ من خلال العمل الدعوى وخدمة الخلق

## توطئة:

جاء في لسان العرب : " رَكَزَ ، الرَّكْزُ : غَرَزُكَ شَيْئاً مُنْتَصِباً كَالرُّمْحِ وَنَحْوِهِ ، وَالْمَرَكَزُ : مَنَابِتِ الْأَسْنَانِ ، وَمَرْكَزُ الْجَنْدِ : الْمَوْضِعُ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَلْزَمُوهُ وَلَا يَبْرَحُوهُ ، وَمَرْكَزُ الرَّجْلِ : مَوْضِعُهُ ، يُقَالُ : أَخَلَّ فُلَانٌ بِمَرْكَزِهِ ، وَارْتَكَزَتْ عَلَى الْقَوْسِ إِذَا وَضَعَتْ سَيْتَهَا بِالْأَرْضِ ثُمَّ اعْتَمَدَتْ عَلَيْهَا ، وَمَرْكَزُ الدَّائِرَةِ : وَسْطُهَا . وَالْمَرْتَكُزُ : السَّاقُ مِنْ يَابِسِ النَّبَاتِ ، الَّذِي طَارَ عَنْهُ الْوَرَقُ . " (١)

وفي القاموس المحيط : " ارتكزَ : ثَبُتَ ، الرَّكْزَةُ : النخلة تُقْتَلَعُ مِنَ الْجَذَعِ ، وَالرَّكَازُ : هُوَ مَارِكُزُهُ اللَّهُ مِنَ الْمَعَادِنِ فِي الْأَرْضِ . " (٢)

فالارتكاز في اللغة يدور حول معنى الثبوت والقرار ، والركيزة هي ما يرتكز عليه ، أي الأساس الذي يُبنى عليه ويُعتمد .

والمرتكزات - هنا - هي الأسس والدعائم التي تعتمد عليها التجربة ، ومن خلالها يمكن فهم التجربة وتفسيرها تفسيراً صحيحاً ، بل والاستفادة الدعوية منها .

---

١- لسان العرب ، باب الراء ، ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ، المجلد الخامس ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ ،

١٩٩٣ م

٢- القاموس المحيط للفيروزآبادي ، ص ٥١٢ ، مؤسسة الرسالة ، ط ٣ ، بيروت ٢٠١٢ م

## المبحث الأول

### القرآن الكريم في عمق الرؤية

القرآن الكريم هو كلام الله - تعالى - ، وكلمته الأخيرة إلى البشرية الحائرة ليهديها سواء السبيل ، وهو معجزة الإسلام الكبرى ، وآيته الخالدة عبر العصور والأزمان وقد تسابق المسلمون إلى حفظه وتلاوته ، كما تسابق العلماء إلى فهمه وتفسير آياته ، واستخراج اللآلئ المكنونة من بحار معانيه . نزل القرآن الكريم على العرب وكانوا أمة أمية لا تعرف القراءة والكتابة . لكنهم تلقوه بقلوبهم ، وحفظوه في صدورهم ، وساروا عليه في حياتهم ، حتى صار الواحد من الرعيل الأول مصحفاً يمشي على الأرض ، ولم تكن حالة الأمية السائدة آنذاك ، مانعاً من التدبر والنظر في القرآن الكريم فقد نظر الرعيل الأول إلى القرآن وقرأه بقلوبٍ واعية وبصائرٍ متفتحة ، فكانت تلك القراءة مصداقاً لقوله تعالى "اقرأ".

وآتت تلك القراءة المتدبرة الواعية ثمارها في حياتهم سلوكاً وحضارة وانفتاحاً على العالم بأسره ، إلا أن هذه التلاوة الواعية المتدبرة لم تستمر طويلاً ، فقد بدأت بالتراجع شيئاً فشيئاً وتضافرت عوامل عديدة في تأخرها وغيابها عن واقع المسلمين وحياتهم ، وعلى الرغم من كثرة الدراسات القرآنية التي تعالج علوم القرآن الكريم ، وتتناوله من مختلف الزوايا ، وتعرِّفه ، وتضبط أصول النظر فيه ، واستنباط الأحكام منه ، وعلى الرغم من وجود الكثير من الكتابات والدراسات والمواظب الإسلامية عن ضرورة العودة إلى هذه التلاوة الواعية للقرآن ، واتخاذها منهجاً للحياة . ولكن كيف تكون هذه العودة المنشودة ؟ وما هو دور القرآن في إخراج أمتنا من التيه الحضاري الذي ترزح فيه منذ أمد؟

ثم هل نحسن نحن - المسلمين - التعامل مع القرآن الكريم ؟ هل نقدره قدره ؟ هل أخذ القرآن مكانه ومكانته - التي من أجلها نزل - ؟ أم أننا وضعناه في غير موضعه ؟ فقد مرَّ زمنٌ . : "والمسلمون يتعاملون مع هذا الكتاب العظيم بصورٍ شتى ، بعيدة - في الغالب - عن الهدف الأصلي من نزوله . ، فمنذ أن رُفِعَ على السيوف لأول مرة ، وهو دوماً يُعامل غطاءً وستاراً لكل أنواع التجاوزات ، ومع مرور الوقت صار كلُّ صاحب غرضٍ يجد في الكتاب ما يمرر



قيامه بمصلحته ، من طبقات الاحتكار ( السياسى والاقتصادى ) إلى المذاهب الخرافية ، التى نزل الكتاب أساساً لمحاربتها ، إلى أن صار البعض يتخذُه اليوم حرزاً وتعويدة . " (١)

## ﴿ معجزة القرآن ﴾

وإذا كانت الكثير من الكتابات قديما وحديثا قد تناولت الإعجاز البيانى واللغوى وأحيانا العلمى والعددى للقرآن الكريم ، فإن هناك إعجازا هو أعظم وأضخم .

لقد كانت المعجزة الكبرى لهذا الكتاب العظيم هو الأثر الهائل الذى أحدثه فى البشرية ، والتأثير العميق والتغيير الجذرى الذى يحدثه فى النفوس والعقول والأرواح .

وقد بين الدكتور محمد عبد الله دراز - رحمه الله - فى كتابه الرائع : النبأ العظيم أن للقرآن الكريم ثلاثة نواحٍ من الإعجاز: إعجازٌ من جهة أسلوبه البيانى واللفظى ، وإعجازٌ من جهة علومه ، وإعجازٌ من ناحية الأثر الذى أحدثه فى العالم وغيرَ به وجه التاريخ . " (٢)

هذا الأثر والتأثير النوراني هو معجزة القرآن الكبرى ، إذ هو كتاب هداية للبشرية ، وإخراج لها من الظلمات إلى النور .

ولارىب . . . فهو البيان الإلهى ، ف : "عندما يسأل المسلمون : هل الله كتابٌ يهدى العالم الجديد والقديم إلى الحقائق ، ويخرج الناس كلهم من الظلمات إلى النور ؟ فإن إجابتهم المفردة : نعم ، هذا القرآن الكريم ، هذا الكتاب الذى لم ترقَ إليه شبهة، والذى لم يختلط فيه الوحى الأعلى بفكر بشر ، والذى جمعَ ماتفرقَ فى رسالات الأنبياء الأقدمين ، فهو كتابُ الأزل والأبد ، كتابٌ استوعب هدايات موسى وعيسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - ، وتضمنَ من الوصايا ما يضبط سير البشر ويستبقيهم على صراطٍ مستقيم . " (٣)

هذا الكتاب العظيم الذى استوعب ماتفرقَ من هدايات السماء ، واختتمت به الرسالات ، وحفظه الله - تعالى - من التحريف والتبديل ، هو الكتاب المنوط به إخراج هذا العالم من الظلمات إلى النور ، ومن الجهل إلى العلم .

## ﴿ حيوية القرآن ونضارة خطابه ﴾

الخطاب القرآنى خطابٌ قديم متجدد ، فالقرآن يُتلى فى كل عصرٍ كأنه نزل له، ولذلك يقول الأستاذ كولن عن القرآن والكريم وعن حيويته واستمرار نضارة خطابه : "هو المجلى للبصيرة والمعقق

١- البوصلة القرآنية : د. أحمد خيرى العمرى ، ص ٤٦١ ، بتصرف ، ط ٣ ، دار الفكر، دمشق ٢٠١٠م

٢- انظر : النبأ العظيم ، د. محمد عبد الله دراز، ص ١٠٨، ط ١٠ ، دار القلم، الكويت ، ٢٠٠٨م

٣- المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، الشيخ محمد الغزالي ، ص ٩٠، ط ٢، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٦م

للشعور والموسّع للفكر .. وهو المصدر الثر<sup>(١)</sup> بشكلٍ يأخذ بالألباب، والكافي بمرونته لكل عصر بما فيه من مختلف أنواع البيان؛ من محكمه ومتشابهه ونصه وظاهره ومجمله ومفصله، وأيضاً بإيمائه وإشارته وتشبيهه وتمثيله واستعارته ومجازه وكنايته وغير ذلك . . . لكن الاستفادة من عظيم خيره منوطةٌ بمقدار ما تتسع له العقولُ المنصفة " (٢)

ولذلك فالقرآن الذي أنشأ جيل الصحابة الكرام ، ومن تبعهم وجاء على أثرهم ، ممن تلقوا القرآن كما تلقاه الصحابة الكرام ، وتلّوه حق تلاوته ، فكانوا نماذج من البشر لم يسبق لها في التاريخ الإنساني مثيل ، فلم يكونوا في حاجة إلى معجزات تأتيهم من السماء ، فقد كان وجودهم وفتوحاتهم ، أكبر معجزة إنسانية في التاريخ البشري وكان أول فتوحاتهم أنهم فتحوا القلوب بهذا القرآن ففتحت لهم الأمصار والبلدان ذلك أن : " درجة الكمال التي وصلت إليها الأجيال التي نشأت في جوه النوراني كانت معجزة قائمة بذاتها لا تحتاج معها إلى ذكر أي نوع آخر من المعجزات، ولا يمكن العثور على أي مثيل لهم في مستواهم من ناحية التدين والتفكير وأفق الفكر والخلق ومعرفة أسرار العبودية ، فالحقيقة أن القرآن قد أنشأ جيلاً من الصحابة آنذاك لا نبالغ إن قلنا إنهم كانوا في مستوى الملائكة . " (٣)

لقد انطلقت هذه النماذج البشرية نحو الآفاق لا يحركها سوى شيء واحد هو إعلاء كلمة الله - تعالى - في الأرض ، ولم يكن في حسابها العمل من أجل بناء مجد شخص أو قبيلة أوحى مجد أمة من الأمم ولم يكن في حسابهم إدراك أية منفعة مادية أو دنيوية ، بل كان غرضهم الأول هو أن ترفرف كلمة التوحيد في كل مكان، وتبليغ الوحي إلى كل بقعة وصلوا إليها ، لكن حركتهم بهذا القرآن فهما وتطبيقاً ، جعلتهم في مقدمة الأمم ، وأنشأت لهم الحضارة والعمران .

" إن العمران والحضارة وما يترتب على ذلك من استقرار وإنتاج معرفي ، كان في الأصل منحة إلهية لهذه النماذج البشرية ، واستمر الأمر على هذه الحال قرناً عديدة ، إلى أن تغافل الناس عن الهدف الأسمى وهو نشر التوحيد وجعل ذلك موجهاً أساسياً في الحياة، فابتلي الناس بما ابتلوا به من ضعف ومذلة وتراجع في القيم والأخلاق . " (٤)

١- ثر : عين ثارة وثائرة، غزيرة الماء ، وسحاب ثر أي كثير الماء ، وعين ثرة أي كثيرة الدموع ( لسان العرب ، باب الرء ، ج ، ٤ ، ص ١٠١ )

٢- ونحن نبني حضارتنا، فتح الله كولن، ص ٨١، ٨٢

٣- ترانيم روح وأشجان قلب ، فتح الله كولن ، ص ٢١ ، ط١ ، دار النيل ٢٠٠٤ م

٤- أشواق النهضة والانبيعات :د. محمد جكيب ، ص ١٩٠

ولا يزال هذا القرآن وسيظل قادراً على إنشاء نماذج بشرية سامية ، فهو ليس كتاباً تاريخياً نزل لعصر من العصور الغابرة ، ثم مضى أثره ، وذهب رونقه وبهاؤه ، كلا . . .

ف: " كم من أستاذ في اللغة بنى - على مر الزمان - من البيان صرحاً ساحراً ، وكم مفكر أقام نظماً فلسفية ومثالية ، لكن صروحهم تهاوت ، فهي خرائب ، ونظمهم اندثرت ، فهي ذكري في صفحات التاريخ ، ولم يحافظ بيان على جدته إلا القرآن ، وما من نظام يُرسي بسفينة الإنسانية على بر السلامة إلا محتوى هذا الكتاب المبارك ، في بيانه جذب ولمعانٍ سحري يغدو كل كلام معه لغواً لا معنى فيه ، وصاغة النظم والأفكار يتحولون إلى فقراء متسولين إزاءه . " (١)

هذه الحيوية نابغة من أن القرآن روح ، كما وصفه ربنا (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٢)

### ل تَلْقَى الْقُرْآنَ

ومعنى تلقى القرآن الكريم أن يكون القرآن الكريم حاضراً في الوعي المسلم المعاصر ، كما كان حاضراً عند الجيل الأول ، وأن نتلقى القرآن غصاً طرياً ، لاتلاوة موروثه ، وهذا المنهج في تلقى القرآن ، يأتي : " من خلال تلقي آياته كلمة كلمة ، ومكابدة حقائقه الإيمانية منزلة منزلة ، إذ لا تخلق للنفس إلا بمعاناة ، ولا تخلص لها من أهوائها إلا بمجاهدة ، فالقرآن هو خطاب الفطرة ، من حيث هي راجعة إلى "إقامة الوجه للدين" ، (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) (٣) وقد كان ذلك - منذ كان - بتلقي آيات القرآن ، وما تجدد قط في التاريخ إلا بتجديد التلقي لها ، بناءً وتربيةً وتثبيتاً ، على مكث من الزمان . " (٤)

ذلك هو المنهج الدعوي الأصيل الذي يصرح به القرآن المجيد : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) (٥) ، (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ

١- الموازين أو أضواء على الطريق ، فتح الله كولن ، ص ١٤١

٢- سورة الشورى ، الآية : ٥٢

٣- سورة الروم ، الآية : ٣٠

٤- الفطرية بعثة التجديد المقبلة ، من الحركة الإسلامية إلى دعوة الإسلام ، د. فريد الأنصارى ، ص ١٢ ، ط ١ ، منشورات التجديد ، الدار البيضاء ، ١٩٩٩م

٥- سورة الفرقان ، الآية : ٣٢

عَلَى مَكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا<sup>(١)</sup> وتلك هي الحكمة من نزول القرآن الكريم منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة .

وليس أحدٌ من الناس أحوج من الداعية إلى الله - تعالى - أن يتلقى القرآن الكريم ، وهو يسير في طريق الدعوة إلى الله - تعالى - صلاحاً وإصلاحاً .

والأستاذ فتح الله كولن عندما يستحضر القرآن الكريم باعتباره مُلهمًا لنهضة أمتنا وانبعاثها من جديد ، فإنما يستحضره باعتباره وحياً نابضاً بالحياة كأنما يتنزل باستمرار إلى أن تقوم الساعة ، وهذا هو ما يقصده الأستاذ فتح الله بأن : " البيان الإلهي - الذي يعبر عنه الخطاب القرآني ، هو فوق الزمان والمكان ، وليس مجرد مصحف يُتبرك به ، ويُعتنى بجوانب الزخرفة فيه . " (٢)

فالأستاذ فتح الله كولن عندما يطرح رؤيته عن القرآن الكريم بهذا البعد ، يطرحه بروحٍ مطلعة على تاريخ الحضارة الإنسانية عامةً ، و الحضارة الإسلامية بصفة خاصة ، يعلم يقيناً أن الحضارة الإسلامية تكون إسلاميةً بمقدار اقترابها من الوحي الإلهي ، واستمدادها من روحه ، فإذا هي ابتعدت عن هذه الروح ، فماذا بقي لها من كونها حضارة إسلامية ؟ .

وبعبارةٍ أخرى إن الأستاذ فتح الله ينظر إلى عمق التمثيل لقيم الوحي ، فكلمًا مثلت قيم الوحي تمثيلاً حقيقياً وسليماً وعميقاً كلما تحقق الشهود الحضاري ، وكلما ابتعد المسلمون في زمنٍ ما عن تمثيل هذه القيم ، في أنماط حياتهم ، وفي سلوكهم ، بل في مشاعرهم وأذواقهم ، كلما كان غيابهم حضاؤياً هو النتيجة الطبيعية والمنطقية .

### القرآن الكريم ... ومستقبل البشرية

وعند الأستاذ "فتح الله" عقيدةٌ ثابتةٌ أن حقائق القرآن الكريم ستقول كلمتها في المستقبل القريب - كما قالت كلمتها في الماضي البعيد - وهو مقتنعٌ بأن العصر الحالي هو عصرٌ آخذٌ في التوجُّه إلى القرآن الكريم ، ولعله لايعنى أن يعود المسلمون إلى القرآن باعتباره محور دينهم فقط ، بل أن تهرع البشرية الضالمة إلى القرآن ، تستجد به في حلٍّ أزمتها الروحية والفكرية

إذ يقول: "هناك العديد من المفكرين المعاصرين الذين يرون بأن العصر القادم سيكون عصر القرآن الكريم . والحقيقة أننا إن دققنا قليلاً لرأينا أن عصرنا الحالي بدأ يتجه للقرآن بسرعة أكبر مما

١- سورة الإسراء ، الآية ١٠٦

٢- الموازين أو أضواء على الطريق ، فتح الله كولن ، ص ١٤٣

كنا نتوقع أو نتصور. أجل.. حتى أصحاب أكثر النظرات بلادة وسطحية يستطيعون حدس<sup>(١)</sup> كيف أن القرآن مرتبط بالكون ومتداخلاً معه، وكيف أن جميع بياناته حول الوجود صائبة، فلا يملكون أنفسهم من الإعجاب بقوة تأثيرها ونورانية عالمها. " (٢)

فإذا كان القرآن قد غير وجه العالم منذ أربعة عشر قرناً ، فإن الأستاذ فتح الله كولن يعتقد بأن القرآن سيقول كلمته في القرن الحالي ، وهو على يقين بأن القرن الواحد والعشرين سيكون عصر القرآن الكريم .

وهناك رؤية مركزية في مشروع فتح الله كولن الإصلاحية، هي طرد اليأس واستحضار الأمل في المستقبل، فالقرآن الكريم يحمل الحل لكل مشاكل العالم، وعلى المسلم أن يكون واثقاً في ذاته وفي القيم التي يمثلها، وأن يؤمن بحقائق القرآن الكريم وقدرتها على أن تكون بلسماً لمشاكل العالم الروحية والواقعية، وشرط ذلك أن تتمثل الأجيال الحالية القرآن كما تمثله المسلمون الأوائل .

يقول كولن : "ولو تصرف مسلمو اليوم في موضوع القرآن الكريم بصفاء المسلمين الأوائل ، لاحتلوا مكانة مرموقة في التوازن الدولي الحالي في وقت قصير، ولتخلصوا من تقليد الآخرين ، إن قيام الطلاب الأوائل للقرآن الكريم بتلك الحملة الإيمانية والأخلاقية التي أدهشت العالم آنذاك يجب أن يدفع إنساننا المعاصر إلى تناول تلك الحملة بالدراسة والتدقيق بكل حرص ، أجل.. إن ظاهرة قيام الصحابة الكرام - بعد ظهور الإسلام بين جبال مكة الوعرة- بحملة وهمة أضاعوا بها أرجاء الأرض، حادثة متميزة وخارقة للعادة يجب تدقيقها وتقييمها، وهو منبع ثر غني يرجع له المؤمنون على الدوام. " (٣)

وهو يؤكد بأن "الخطاب القرآني" كان مُحركاً للفاعلية الإنسانية في عصور السعادة ( العصور الإسلامية الأولى )، وأنه يقينا يستطيع تركيز الحركة والفاعلية في كل زمان وفي كل مكان . ويقول في الموازين أيضاً : " وأنا أرى بأنه في المستقبل القريب ستشهد الإنسانية بنظرات ملؤها الإعجاب والتقدير كيف أن شلالات مختلف العلوم والفنون تتجه نحو القرآن الكريم وتصب فيه ، عند ذلك سيجد العلماء والباحثون والفنانون أنفسهم في البحر نفسه، ليس من المبالغة أبداً النظر

١- حدس الشيء : حزره أي قدره ، و الحدس هو إدراك الشيء إدراكاً مباشراً ، والحدس : الفراسة ، يُقال : قاله بالحدس (المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، باب الحاء ص ١٦١ ، ط٤ ، دار الشروق الدولية ٢٠٠٤ م )

٢- ترانيم روح وأشجان قلب ، فتح الله كولن ، ص ٦٣

٣- المرجع السابق ، بتصرف ، ص ٦٧

إلى المستقبل بأنه سيكون عهد القرآن الكريم ، ذلك لأنه الكلام الذي يرى الماضي والحاضر والمستقبل في آنٍ واحد. " (١)

إن هذا الكلام - على الرغم من كونه مبشراً - إلا أنه في الوقت ذاته يلقى بالمسئولية الكاملة على عاتق الدعاة إلى الله - تعالى - ، في هذا العصر ، فقد أصبح العالم كقربة صغيرة ، بعد الثورة الهائلة في عالم الاتصالات ، وتكنولوجيا المعلومات وأصبحت الشعوب أكثر تواجداً من ذي قبل ، وأكثر انفتاحاً على كل ما هو جديد .

إن دراسة تجربة الأستاذ كولن ، وحركة الخدمة ، تدل على أنه بالإمكان تجاوز سلبيات الماضي والنظر إلى المستقبل نظرة مغايرة ، بأن نحمل القرآن ، ليس ككتابٍ محليٍّ لعقيدة محلية ، وإنما كرسالة خالدة ، موضوعها هداية الإنسان ، كل الإنسان ، في الأرض ، مطلق الأرض .

ولاغرو ، فإن أى مشروع نهضوى يحاول أن ينهض بالأمة متجاوزاً القرآن الكريم هو مشروع مكتوب عليه الإخفاق سلفاً ، ولا ريب أن الخطاب القرآنى يشمل كذلك بين طيَّاته السنة النبوية الصحيحة ، إذ السنة النبوية هي البيان العملى للقرآن الكريم ، والمفصلة لما أجمله البيان القرآنى ، ف: " السنة النبوية بفضل سعة مساحتها فى التشريع أو بمرونتها القابلة لتفسيرات متنوعة ، لازالت مصدراً مباركاً لانجد له نظيراً فى العطاء ، فى أى دين آخر أو ملة أخرى ، فهى المصدر فى التفسير أو الفقه أو المسائل الاعتقادية أو الأخلاق أو الزهد والتقوى . " (٢)

وهذا مايلمسه الدارس لمشروع النهضة عند الأستاذ كولن من خلال تعامله مع القرآن ، فهو يتخذ القرآن الكريم مرتكزاً لانطلاق مشروعه النهضوى ، بحيث تصير الحركة الدعوية الدؤوب له ولتلاميذه وكأنها محاولة لتفسير القرآن وتنزيله على أرض الواقع وفق اجتهادهم ورؤيتهم .

ف: " الخدمة نهجٌ يفسر القرآن ميدانياً من خلال إحلال الدلالة محلاً إنجازياً، يحدو اليوم كُولن الطلابَ وأهلَ الهمةِ إلى أن يكونوا قرآنيين قولاً وفعلاً ، فإذا تحدثوا عن التقوى كانوا تُقاة بالقوة والفعل ، وإذا تحدثوا عن الفلاح كانوا مفلحين بالقلب والقلب، وإذا تحدثوا عن الموت كانوا أمواتاً بالاحتساب والأمحاء والرقابة ونكران الذات وهم أحياء ، وإذا اعتكفوا اعتكفوا في قلوبهم، فهم يعيشون في قلاع الروح حتى وهم يسيحون في الأوطان، شاغلهم العمل لله - تعالى - من حيث يحسب الجاهل أنهم يشتغلون لأنفسهم. " (٣)

١- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ص: ١٤٢

٢- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ٨٣

٣- العبادة التنفيذية وقرآنية الخدمة ، د. سليمان عسراتى ، مجلة حراء ، العدد ٤٢ ، ص ٩٨

## المبحث الثاني

# ثقافتنا الذاتية

تتحدد ملامح كل أمة من خلال مجموعة من القيم والمبادئ والمعتقدات التي توجه تصرفات أفراد هذه الأمة ، وبمرور الزمن تصبح لكل أمة من الأمم ثقافتها الذاتية المعبرة عن وجودها وتميزها عن سائر الأمم ، وقد يتداخل في هذه الثقافة ما هو ديني بما هو أخلاقي واجتماعي ، وقد تتحول الأوامر الدينية في أمة من الأمم إلى قواعد سلوكية تُبنى عليها ثقافة هذه الأمة .

وتعريف الأستاذ فتح الله كولن للثقافة ، يجعل منها أسلوب حياة وقاعدة من أهم قواعد السلوك ، فيُعرّف الأستاذ كولن الثقافة ، محدداً عناصرها بأنها : "مجموع نظم وقواعد تحكم التصرفات الاجتماعية والأخلاقية التي أنتجتها أمة أثناء تاريخها الطويل ، وجعلتها بمرور الزمان بعدا من أبعاد وجودها أو حوّلتها إلى مكتسبات في اللاشعور." (١)

فالثقافة - وفق تعريف كولن لها - ليست مجرد مجموعة من النظم والقوانين الدينية أو الأخلاقية معزولة عن التصرفات والسلوك ، بل هي قواعد تحكم السلوك وبذلك تصير الثقافة الذاتية مكون من مكونات وجود هذه الأمة ، بحيث لا يصبح لها وجودٌ معنوي بدونها .

على أن هذا التعريف للثقافة الذاتية هو تعريف عام ، يهمل خصوصيا كل مجتمع على حدة ، فالأمة الإسلامية - مثلا - أمة ذات ثقافة ذاتية منبثقة من دينها ، لكن . على الرغم من ذلك فإن لكل مجتمع من مجتمعات هذه الأمة خصوصيته الثقافية ، وهذه تختلف من مجتمع لآخر ، وتتبع هذه الخصوصية من البيئة والجغرافية واللغة .

ولذا ، يضيف الأستاذ كولن على التعريف السابق ، فيقول : " ومع أن بعض الخصوصيات الأساسية للثقافة حسب هذا التعريف يحمل سمات عالمية، لكن الواضح أن لكل مجتمع في جغرافية اجتماعية معينة، ثقافة سائدة خاصة، وبدهي أن هذه الخصوصية الثقافية عنصر مؤثر قوي في النظم الفكرية ، ولذلك يُعد الفكر المرتبط بثقافة معينة عند فرد من الأفراد، تعبيراً عن ذاته بواسطة إطار المرجعية المعينة . " (٢)

١- ونحن نبني حضارتنا، فتح الله كولن، ص ٧٧

٢- المصدر السابق ، ص ٧٧

- ويمكن من خلال ماسبق ، أن ننتبين عناصر الثقافة الذاتية ، فهي : -
- **مجموع النظم والقواعد التي تحكم التصرفات الاجتماعية والأخلاقية** : بحيث تكون هذه القواعد أساساً لتصرفات الأفراد ، وحاكماً على سلوكهم الفردي والجماعي .
  - **دور العامل التاريخي في تأصيل هذه الثقافة** : وهنا يدخل دور العامل الزمني ، ليتترك التاريخ بصمته على تلك النظم والقواعد ، فهذه القيم وتلك الضوابط ليست واردة على الأمة، بل هي جزء من أصول الأمة ومن تاريخها .
  - **تحول الثقافة إلى بُعد من أبعاد وجود هذه الأمة** : بحيث صارت هذه الثقافة بمرور الزمن عنصراً تكتسب منه الأمة سر وجودها، من حيث كونها أمة قائمة بذاتها متميِّزة عن غيرها .
  - **تأثيرها في اللاشعور الإنساني لأفراد الأمة** : بحيث تصير هذه الثقافة جزءاً من الكيان الداخلي لأفراد هذه الأمة ، فتتطبع حياتهم وأفكارهم بطابع هذه الثقافة ، وتؤثر بصورة مباشرة على نمط التفكير ، وحين ذلك فإن من يحاول إصلاح هذه الأمة دون النظر إلى ثقافتها الذاتية ، فإن الفشل سيكون مصيره لاريب ، وبالتالي وجب على المصلحين فهم ثقافة الأمة واتخاذها منصةً للانطلاق بنبي على ماسبق أن ثقافة أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات تشمل ما يغلب على نمط الحياة المعاش لدى أفراد هذه الأمة ، ف : " الثقافة هي طراز وسمه الحياة المعاشة في مجتمع ما ، والناجئة من عادات وتقاليد وتربية ولغة وفن ومشاعر ذلك المجتمع ، وكل جزء منها قطعة مهمة من الأسس الكلية للمجتمع ، وكل محاولة لإبعاد المجتمع عنها يعني وضع المجتمع في حيرة من أمره ودون سبيل يسلكه أو إدارة توجَّهه . " (١)
  - فالثقافة - إذاً - ليست كما يتم تصويرها من خلال مسئولى الثقافة والإعلام وعلى صفحات المجلات والدوريات والبرامج التلفزيونية التي تُوصَف بأنها " ثقافية!!".
  - ثقافة الأمة - إذاً - ليست حِكراً على نخبة تصف نفسها بأنها : منقَّفة ، وليست قاصرة على المقيمين فى الأبراج العاجية ينظرون من أعلى فيُنظِّرون للجموع الغفيرة دون وعي حقيقى بالآم الناس وآمالاهم .
  - نعم . . . لاشك أن الثقافة الذاتية ليست هى تلك : " العروض الفلكلورية (٢) التي لا علاقة لها بالجذور المعنوية لأمتنا، وليست هى الغرائز التي تطفح حينما تحس الكتل البشرية بالحاجة إلى

١- الموازين ، فتح الله كولن ، ص ٨٠ ، ط ٥ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٠م

٢- الفلكلور : المأثورات الشعبية أو التراث الشعبى ، (المعجم الوسيط ، باب الفاء ، ص ٧٠١ )



إشباع نزواتها الجسمانية ، وليست المراسيم التي تقام في مناسبات الأكل والشرب والأعياد والأعراس .<sup>(١)</sup>

### القبول المجتمعي كشرط للتأثير

هنا نرى الأستاذ كولن يطرح فكرة " القبول المجتمعي " كشرط للنهوض بالمجتمع ، ونعنى بالقبول المجتمعي لفكرة ما ، أن تكون الفكرة التي يتبناها الداعية أو المصلح نابعةً من ثقافة الأمة وليست غريبةً عنها ، بحيث يجد الناس صدقاً لها في نفوسهم وفطرتهم ، حتى وإن كانت هذه الأفكار بعيدة عن واقعهم المعاش .

ومن ثمَّ كان لزاماً على كل حركةٍ تبتغى إصلاح المجتمع ، أن تقوّى علاقتها مع هذا المجتمع ، من خلال التماسٍ مع هويته ، والاندماج الطبيعي والنفسي فيه ، دون شعور بالفوقية أو التمايز . ولذا اعتبر بعضُ الباحثين أن حركة فتح الله كولن تُعتبر : " أنموذجاً مثالياً من زاوية علم الاجتماع لأن أرضيتها الجماهيرية ليست محصورةً في طبقةٍ من الطبقات ، وغير محصورة في الطوائف المحرومة والمعزولة والمهمّشة ، بل إن معظمهم من الأفراد ذوي التأثير المجتمعي ، فهم متحدون بهوية المجتمع كاملاً ، ومنفتحون على العلاقات الاجتماعية ، ومن ثمَّ فليس هناك أي مشكلة لهذه الحركة مع الكيان الاجتماعي أو الثقافي للمجتمع أو الدولة ، وبالتالي استطاعت أن تنقل أفرادها إلى علاقات اجتماعية أشمل وأوسع ."<sup>(٢)</sup>

ويربط الأستاذ فتح الله كولن هذا القبول المجتمعي بعناصر ثلاثة ، هي محور التأثير والتغيير في الوقت ذاته : **قوة الدين والعلم - القيم الأخلاقية - الذوق الفني**

يقول : " فإذا تكافقت أمةٌ بفئاتها المختلفة وأصبحت كالبنيان المرصوص كما وصفها مفخرة الإنسانية - صلى الله عليه وسلم - ، وسَحَرَتْ قوتها وطاقتها في سبيل تكوين البناء الداخلي ، فإن الحزن<sup>(٣)</sup> سيصير سهلاً ، وسيكون من الطبيعي أن تأخذ تلك الأمة طريقها لتكون عنصراً فاعلاً في التوازن الدُولي ، لكنَّ تواجد رابطة اجتماعية مؤثرة على هذا المستوى من القوة ، منوطة بثقافة ذاتية ، قد استقرت أركانها وعایشَتْها شرائحُ المجتمع كافة حتى غدت جزءاً من طبيعتها وجبانتها... ثقافة مبنية على قيم أخلاقية تتغذى وتتغذى بها ، مستندة بقوة الدين القاهرة ومتخطية بالاستناد

١- ونحن نبني حضارتنا، فتح الله كولن، ص ٢١، ط ٣، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١١م

٢- فتح الله كولن : جذوره الفكرية واستشراقاته الحضارية ، أنس أركنة ، بتصرف ، ص ١١٧

٣ - الحزن من الأرض : ماغلظ ، ومن الدواب ماصعبت رياضته ، ومن الناس من خشنت معاملته ( المعجم الوسيط ،

باب الحاء ، ص ١٧١ )

إليها كل أشكال "التغريب"، سائدة لتصورتنا الفنية بحيث تكون ملجأً ومأوى آمناً لها في كل مكان".<sup>(١)</sup>

ويوضح أن هذه العناصر لا بد أن تكون محورياً يدور المجتمع حوله ، وينهل من معينه ، مختلطاً بشرائح المجتمع جميعها ، دون إقصاء أو تمييز ، فالدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، والفهم لصحيح للدين ، والتحلى بالعلم والعمل ، ولفت الأنظار إلى جماليات الحياة ، كلُّ هذا من الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهى بالتالى جزءٌ أصيلٌ من ثقافتنا الذاتية ، ينبغي أن يكون عاملاً اتفاق واتحاد لا تشبث وفرقة : "وإلا فأى ثقافة لم يتوضح إطارها ومعالمها بشكل جيد، ولم تحظ بالقبول لدى كل المجتمع، فلا مناص من أنها في حالة كهذه ستصبح دائماً مدعاةً للتنازع والتناحر! وقد يفتح أحياناً تشاجرٌ كهذا ، جروحاً يستعصي دواؤها".<sup>(٢)</sup>

وما يشير إليه الأستاذ فتح الله كولن جديرٌ بأن ينظر إليه كل مصلح يعالج البناء الداخلى للمجتمع فهذه العناصر الثلاثة ينبغي أن تكون موضع قبول عند المجتمع ، فالقضية الأخلاقية عند مجتمع ما هى العنصر الفعال فى بقاء هذا المجتمع ، والدارس لأحداث التاريخ يرى أنه : "لم يكتب البقاء لأى مجتمع ظهر فيه الفساد الأخلاقى على مدى التاريخ ، ونحن أحياناً لانشعر بالمساوى الأخلاقية وهى تنخر بهدوء فى قيم المجتمع ، مثلها مثل السرطان ، فكما لانستطيع غالباً أن نفظن إلى وجود السرطان إلا بعد غزوه المناطق شديدة الحساسية فى الجسم ، فكذلك هذه المساوى الأخلاقية".<sup>(٣)</sup>

وقضية الأخلاق عند كولن ، قضيةٌ شديدة الارتباط بالدين ، فمنه تنبثق جميع الأخلاق الفاضلة ، وإليه تعود ، وكيف لا ؟ وأساس هذا الدين العظيم هو مكارم الأخلاق ومحاسنها، فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق)<sup>(٤)</sup> والبرُّ الذي هو كلمة جامعة

١- ونحن نبني حضارتنا، فتح الله كولن، ص ٣٢

٢- المرجع السابق ، ص ٢٣

٣- من البذرة إلى الثمرة : تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة ، فتح الله كولن ، ص٢٢ ، ط٢ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٥م

٤- أخرجه الإمام البزار فى مسنده، رقم (٨٩٤٩)، (٣٦٤/١٥) وأخرجه الإمام البيهقى فى السنن الكبرى ، كتاب الشهادات ، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، رقم (٢٠٧٨٢)، (٣٢٣/١٠) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ، وأخرجه الإمام أحمد فى مسنه بلفظ " صالح الأخلاق" من حديث أبى هريرة ، رقم (٨٩٥٢) ، (٥١٣/١٤) ، وقال محققه الشيخ احمد شاكر : صحيح وإسناده قوى ، رجاله رجال الصحيح .

لمعاني الدين قال عنه النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم : (البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ) (١) ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الذى انتقل بالمدينة الفاضلة من أحلام الفلاسفة ونظرياتهم إلى أرض الواقع على أسمى وأرقى وأنقى مما كان يتخيله هؤلاء ، فكان مجتمع المدينة المنورة ، هو المجتمع المثالى ، ولذا فقد زكاه ربه فى القرآن بقوله : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ) (٢) أما فيما يتعلق بجانب التصورات الفنية فعلى الرغم من النظرة التقليدية فى عصرنا أن العالم أوالشيخ أوالمفكر لا شأن لهم بالفن والجمال ، أو على الأقل لا يتحدثون عنه باعتباره مقوماً ثقافياً على قدر كبير من الأهمية .

غير أن الفن والجمال فى فكر الأستاذ فتح الله ، يحتلان موقعا له دوره فى تحويل الفكر إلى واقع والحق أن كولن لا يلبث أن ينبّه إلى ضرورة الفن والجمال فى مواضع كثيرة من مقالاته وكتبه . والمصدر الوحيد للفن - فى نموذج فتح الله كولن - هو النظر إلى بديع صنع الله - سبحانه - حيث إنه : " إن تأملَ الوجدانُ لحظةً واحدةً فى كتاب الوجود فأبصرَ ، لشهد فى كلِّ مكانِ النظامِ والانسجامِ فوّاحاً ، ولرأى غنىً فى الجمال والمعاني مدهشاً ولا تمسُّ الحاجة إلى تحسُّس شديد الرهافة ، فالقلب المشحون بشيء من المشاعر يحسُّ كلَّ لون وصورة وصوت ونفس شعراً ونغماً متلونا بألوان اللانهاية ، فى الرعد المهيّب كما فى تغريد الطيور وزقزقة العصافير ، وفى وجوه الأزهار الفاتنة كما فى أضواء صفحة السماء الساحرة . " (٣)

ثم يتتابع الإحساس بالجمال فى كل فعلٍ يُقدم عليه هذا الإنسان المتأمل فى جماليات الحياة ، حتى يصير الذوق الفنى والإحساس المرهف علامة هذا المجتمع ، وجزءاً من ثقافته الذاتية الأصيلة التى بها يتميز عن غيره ، بل ويؤثر فىمن عداه .

كان لهذا اللون من الحسّ الفنى ، والذوق الجمالى دوره فى صياغة فكر الأستاذ كولن ، بل وفى صناعة مشاريعه التربوية الكبرى ، فقد : " شهد شباب الخدمة ، وتلاميذ الأستاذ كولن ، الملازمون له فى خلواته وجلواته ، أنه لم يدعُ إلى الجمال والفنّ بقلمه فقط ، بل عاشه فى كلِّ نبذة ، وعند كلِّ نظرة ، حتى إنه غالباً ما أرهقهم برهافة حسّه ، وأورثهم شعوراً متوتراً تجاه كلِّ كلمة ينطق بها ، ولعلّ هذا القدر الرفيع من الإحساس الفنى والجمالى ، هو من أبرز الأسباب التى ساهمت فى تحويل

١- أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تفسير البر والإثم ، حديث رقم (٢٥٥٣) ، (١٩٨٠/٤) وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه ، أبواب الزهد ، باب ماجاء فى البر والإثم ، حديث رقم (٢٣٨٩) (٥٩٧/٤) وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح .

٢- سورة القلم ، الآية : ٤

٣- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ١٠٠ ، ط ٦ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٢م

أفكار الأستاذ إلى واقع، وصاغت مخططاته ومشاريعه ، مشاريع هي في روحها ربانية ، إيمانية ، وفي ظاهرها فنية ، ذات أجود المقاييس العالمية ، فلا تعارض بين المخبر والمظهر، إنما هو التكامل والتعاقد والتوازن." (١)

ولعلّى قد أطلت قليلا في توضيح هذا الجانب - جانب الذوق الفني - لما قد يبدو فيه من الغرابة حين يتحدث عنه عالم ديني أو مفكر إسلامي .

غير أن الأستاذ فتح الله كولن لم يكن يدعأ في الاهتمام بهذا الجانب واعتباره أساسا من أسس الثقافة الذاتية ، فقد سبقه الأستاذ مالك بن نبي (٢) الذي اعتبر أن التوجيه الجمالي مدخل أساسي للحضارة ، جنبا إلى جنب مع المداخل الأخرى فهو يؤكد أنه : " لا يمكن لصورة قبيحة أن توحى بالخيال الجميل أو بالأفكار الكبيرة ، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح ، والمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة ، لا بد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله . " (٣)

ومالك بن نبي يكاد يتفق مع فتح الله كولن اتفاقا كاملا في أثر التوجيه الجمالي أو الذوق الفني في الأمم والمجتمعات ، مما يؤكد ضرورة هذا الجانب وحيويته في عملية التغيير المنشودة .

### الانشغال بالبناء عن الهدم

وفي هذا الإطار، فإن الأستاذ فتح الله كولن لايشغل نفسه بمحاربة الرذائل بالقدر الذي يشغلها بنشر الفضائل ، لخلق "الجو العام" الصحي والمناسب، ف: " بدلاً من تهيئة الأجواء والمناخ، لمن لم تتضبط قدراتهم الروحية بعد.. علينا أن نزيد من نشاطات تكسبهم المناعة لمواجهة المعضلات التي قد تواجههم في الحاضر والمستقبل، ونضع في الأساس توجيههم نحو التفكير الذي ينمي

١- البراديم كولن : فتح الله كولن ومشروع الخدمة على ضوء نموذج الرشد ، د. محمد باباعمي ، ص ١٥٤ ، ط ١ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١١م

٢- مالك بن نبي ( ١٩٠٥ - ١٩٧٣ م ) : مفكر جزائري ، من أعلام الفكر الإسلامي في القرن العشرين ، ويعد من أكثر المفكرين المعاصرين اهتماما بقضية الحضارة وعوامل النهضة ، وقد سافر في مقتبل حياته إلى فرنسا والتحق بمعهد اللاسلكي ، ليتخرج كمساعد مهندس كهربى ، وأقام في فرنسا وهناك بدأ كتاباته الإسلامية وكان من أبرزها كتاب " الظاهرة القرآنية " ثم " شروط النهضة " ، وقدم بن نبي إلى القاهرة عام ١٩٥٤م ، فلقى فيها الكثير من الاحترام والتقدير وعيّن مستشارا لمنظمة التعاون الإسلامي . ، ثم عاد إلى الجزائر بعد الاستقلال عام ١٩٦٣م ، فعمل مديرا للتعليم العالى ، وهو المنصب الذى استقال منه ليتفرغ للكتابة وإلقاء المحاضرات حتى وفاته عام ١٩٧٣م . ( المصدر : معوقات النهضة وطرق علاجها في فكر مالك بن نبي ، رسالة ماجستير ، محمد العاطف ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة الجزائر ( ٢٠٠٨/٢٠٠٧ )

٣- مشكلة الثقافة ، مالك بن نبي ، ص ٨١

لديهم موهبة اختيار الخير والجميل والصحيح.. وبذلك تنتهياً الأجواء لإمكانية ترجيح الأفراد للخيار الأفضل والأنتفع بفضل توجيه الجو العام." (١)

وهذه النقطة من أهم النقاط المميّزة لفكر وتجربة الأستاذ فتح الله كولن ، وهى : **الإنشغال الدائم بالبناء** ، دون الدخول فى صدمات تستهلك الطاقة وتستنفذ الجهد ، وتشغل عن الهدف الأصلي بالدخول فى معارك جانبية تخصم من الرصيد المجتمعى لدعاة الإصلاح ولاتضيف إليه . وللاستاذ فتح الله كولن له فلسفته الخاصة فى هذا الأمر ، فهو يرى بوضوح أنه يجب : "إنجاز مايمكن إنجازه من أجل حاضر هذه الأمة ومستقبلها بلا تخريب أو إلحاق الضرر بوحدها ، أى ينبغى عند الشروع فى " البناء " ، التّأى عن التورط بـ"دمار" يستحيل إعمارها على مدى أجيال ، وإلا عوقبنا بخلاف ماكننا نبغى . " (٢)

والحقيقة أن تغيير قناعات الناس ومجاهدة دعوتهم إلى الخير ، والصبر على أذاهم عملٌ عظيم وقد قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ( **الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ** ) (٣)

واقْتداء برسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول فتح الله كولن : " ومن ثمَّ فإننا نفضل البقاء مع الناس ، وتحمل مكابرتهم وعنادهم ، على الإيواء إلى الجبال والانزواء فى زاوية للذكر ، إننا سنعيش داخل المجتمع ، وننسحق تحت جنازيره أحيانا ، ومع ذلك سنظل فى داخله ولن نخرج عنه . " (٤)

وفى لقاءٍ للباحث مع أحد أبناء الخدمة أخبرنى أن بعضهم كان يذهب إلى الأستاذ شاكيا له سوء معاملة الطلاب فى السكن الطلابى الذى ينظمونه ، فكان رده عليهم : عليكم بالصبر حتى ولو جاء هؤلاء الطلاب بفضلاتهم وألقوها على رؤوسكم ، ولوأنكم استعجلتم الثمرة فوالله ماوقّيتم حق المجتمع عليكم ، وما أدبتم رسالة دينكم كما ينبغى . (٥)

١- مشكلة الثقافة ، مالك بن نبي ، ص ٣٣

٢- الموسور ، فتح الله كولن ، ص١٠٠ ، ط١ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٥م

٣- أخرجه الإمام الترمذى فى سننه ، أبواب صفة القيامة والرفائق والورع ، حديث رقم (٢٥٠٧) (٦٦٢/٤) بلفظ " المسلم الذى يخالط الناس ، وأخرجه الإمام ابن ماجه فى سننه ، أبواب الفتن ، باب الصبر على البلاء ، حديث رقم (٤٠٣٢) ، (١٦٠/٥) وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - حديث رقم (٥٠٢٢) ، (٦٤/٩) ، وقال محققه الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح رجاله ثاب ، رجال الشيخين .

٤- الاستقامة فى العمل والدعوة ، فتح الله كولن ، ص ١٧٣ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٥م

٥- فى لقاء للباحث مع أ. سنان يورولماز ، فى مركز النيل التعليمى ، القاهرة ، مدينة نصر ، سبتمبر ٢٠١٤ م

## المبحث الثالث

### الوعي بالتاريخ ودوره في إحداث النهضة

إن مجرد قراءة التاريخ تضيف إلى عُمر القارئ أعمار السابقين وتجاربهم ، أما الوعي بالتاريخ ، فإنه يوظف ثمرات هذه القراءة في تغيير الواقع، واستشراف المستقبل، ولذلك ، يستحيل التقدم ، وتنعدم النهضة عند أولئك الذين لايعون دروس وعبر التاريخ .

:" فتاريخ أمتنا العربية والإسلامية - على امتداد قرونه - بحاجة إلى تأمل ووعي ، لنذكر أننا لسنا بإزاء موقف جديد ، فالوعي بالتاريخ بابٌ من أبواب صناعة التاريخ . " (١)

ولذلك نرى أن للتاريخ حضوراً واضحاً في أغلب مشاريع المفكرين المعاصرين على اختلاف مشاربهم، يعتمد عليه كل واحد منهم، ويختار منه ما يوافق رؤيته ويخدم مشروعه، فما من داعية أو مصلح إلاّ وله من التاريخ موقف ، في ضوءه تُوضع البرامج وتُصاغ المشاريع، وانطلاقاً منه تُبنى أهم القضايا التي يدور عليها هذا الفكر.

#### رؤية كولين للتاريخ مستمدة من الرؤية القرآنية

القصص في القرآن الكريم ، وحكاية ماكان من أمر الأمم السابقة يُعدُّ أحد المحاور الرئيسية للقرآن صحيحٌ أن القرآن الكريم ليس كتاباً للتاريخ البشرى ، ولكنه يعرض هذا موقف البشرية في تاريخها الطويل من الرسالات السماوية ، ومن قضية الألوهية ، التي هي محور هذه الرسالات ، والقرآن المجيد حين يتحدث عن هذا التاريخ الإنساني وموقفه من هذه القضية المحورية ، يعرض لنا هذه المواقف وما آلت إليه في صورة مايمكن أن نسميه : سُنناً كونية ، أو قوانين في تاريخ الأمم والشعوب .

ويدخل في هذا الإطار كذلك ما ذكره القرآن الكريم من نماذج وأمثلة للقوانين التي تحكم المسيرة التاريخية للإنسان وما جاء فيه كدليلٍ على مصداقيتها ، مثل قوله -عز وجلّ - في إطار بيان أن عاقبة الصراع تكون دائماً للمؤمنين مهما طال الطريق وعصف بهم طغيان المشركين: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (٢) ، وقوله أيضاً: (ونريدُ أنْ نُمْنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ) (٣).

١- الوعي بالتاريخ وصناعة التاريخ ، د.محمد عمارة ، ص٤١، ط١ ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٩٩٧م

٢- سورة الأنبياء، الآية : ١٠٥

٣- سورة القصص، الآية : ٥

وبالإضافة إلى ذلك كله فإننا نجد القرآن الكريم حين أرشد إلى هذه السنن قد ذكرها نصا في بعض الأحيان كما في قوله - تعالى - (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) <sup>(١)</sup>، ولم ينص عليها في أحيان أخرى وإنما فهمت من دلالة الآية ، وهذا في القرآن كثير، كقوله سبحانه وتعالى : ( سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ) <sup>(٢)</sup> وكذلك في قوله: (سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا) <sup>(٣)</sup>

: "وسقوط الحضارة كما يؤكد القرآن ناتج أساساً عما تكسبه أيدي الناس (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) <sup>(٤)</sup>، ويأتي الظلم بوصفه أحد أبرز الأمور السيئة التي ترتكبها الحضارة بأي شكل من الأشكال، وما أهلك الله أمة إلا بين سبب هلاكها، الذي دائماً ما يكون جماعياً وليس فردياً، ومتعلق الهلاك مرتبط بطبيعة الفساد الذي يستشري في أمة من الأمم ، ولذلك فهو يتغير من الساعة إلى الغرق والفيضان والريح والقحط والأوجاع والفتن. " <sup>(٥)</sup>

وفيما يتعلق بموقف الأستاذ فتح الله كولن من التاريخ ، فقد استقرأ من تجارب النهضات أن الاعتبار بدروس التاريخ يُعدُّ من أهم الأسس التي يقوم عليها الخطاب القرآني .

: "والحقيقة أن ثقافة كولن القرآنية قد أمدته بالمنظار الأنسب لفهم فاعلية التحول الذي تعرفه المجتمعات الإنسانية عبر الزمن والعهود، إن الإشارات القرآنية المتكررة في مواطن كثيرة من النصّ القرآني، إلى الأمم والحضارات والمدنيات السابقة، وإلى المآلات والمصائر التي انتهت إليها، قد تضمّن التعريف بالشروط الذاتية والموضوعية التي تتم فيها حركة النشوء والتجدد والأقول؛ حيث تولد الظواهر المدنية، والدورات الحضارية، وتزدهر وتموت. " <sup>(٦)</sup>

وتأثير الرؤية القرآنية للتاريخ واضح في كتابات كولن ، فهو يرى أن التاريخ لأخذ العبرة ، ولفهم تجارب الأمم السابقة ، ومن ثمّ فهو يرفض اعتبار أنه لاجديد تحت الشمس ، أو أن التاريخ يُعيد نفسه ، ويكرّر أحداثه ، ف : "الحوادث التاريخية لا تتكرّر بعينها ، بل مثلها ، ومن هنا يمكن القول إن الذين ينتظرون أن تتكرّر الحوادث الغابرة عينها، يعيشون في وهمٍ وانخداعٍ خطيرٍ جداً ، ولعلّ

١- سورة الرعد، الآية : ١١

٢- سورة الأحزاب، الآية : ٦٢

٣- سورة الإسراء ، الآية : ٧٧

٤- سورة الشورى ، الآية : ٣٠

٥- سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها ، د.محمد هيشور، ص٢١٧، الرسائل الجامعية ، ط ١، المعهد العالمي للفكر

الإسلامي ، ١٩٩٦م

٦- هندسة الحضارة ، د. سليمان عسراتي ، بتصرف ، ص٢٢

مايخدعهم هو أن هذه الحوادث تبدو أحياناً كأنها تتكرر بعينها ، وهذا في الحقيقة يُعدُّ من خلط الشَّخص بظَّله .<sup>(١)</sup>

وفى هذا الإطار فإنَّ كولن يستنبط من التاريخ - وفق الرؤية القرآنية - قوانين ذكرها القرآن في صورة سنن تاريخية ، سرَّت على الأمم السابقة ، وهى ساريةٌ على كل أمةٍ انتهجت ذات النهج ، وسارت فى نفس الطريق .

" : إن الله تعالى بقَّصه علينا هذه القصص يشير إلى بعض الحقائق الكونية الجارية حتى قيام الساعة ، أي جاريةٌ منذ وجود آدم - عليه السلام - حتى آخر رجلٍ في هذه الدنيا ، لأننا عندما ننظر إلى العناصر التي يستعملها القرآن الكريم نراها غير مختصةً بزمن معلوم أو مكان معلوم ، وهذا هو المنتظر أصلاً من كتابٍ كونيٍّ ، ولكي نستطيع الاستفادة الحقيقية من القرآن يجب متابعة آياته ضمن هذا الإطار." <sup>(٢)</sup>

من جهة أخرى نرى أن كولن : " يتوقف في كتاباته ملياً عند قصة أهل الكهف والتي يسميها: نهج السلوك ، ويستخلص منها شرطاً سلوكياً يرى - الأستاذ- أن على كل منخرطٍ في المهمة الدعوية أن يتمرس به ، وهو: تجربة التكهُف، أي الأخذ بسلوك العزلة والعكوف في الخلوة، وتقييد النفس والروح ببرنامج مكثَّف يقوم على التدبر والتأمل في الملكوت والحياة ، وفى هذا استكمالٌ - لعدة الخروج إلى الدعوة ، ومواجهة صعابها . " <sup>(٣)</sup>

والمقصود أن يمرر الداعية بمرحلة من الإعداد الروحي والوجداني ، بالإضافة إلى التجهيز العلمى والفكرى .

وفى هذا يقول كولن:"على الدعاة والمرشدين أن يُشحنوا في البداية شحنات روحية مثل أصحاب الكهف، وأن يمرؤوا بمثل هذه المرحلة . " <sup>(٤)</sup>

### ل الأنبياء : نموذج الفاعل التاريخي <sup>(٥)</sup>

نموذج الفاعل التاريخي - كما يتمثله كولن- هو (النبي أو الرسول) - ، فالدعوة التي باشرها الأنبياء عليهم السلام كان لها الأثر الأكبر والحاسم في المسيرة الإنسانية ، وفى تاريخ الحياة البشرية ، لما

١- الموسور ، فتح الله كولن ، ص ٤٦

٢- أضواء قرآنية في سماء الوجدان، فتح الله كولن، ص ٢٩١

٣- هندسة الحضارة ، د. سليمان عسراتي ، ص ٢٤

٤- أضواء قرآنية في سماء الوجدان، فتح الله كولن، ص ١٧٦.

٥- يُقصد بالفاعل التاريخي ، الشخصية الفاعلة تاريخياً وحضارياً فى الأمة ، بحيث يكون لها الأثر الحاسم فى تاريخ هذه الأمة ، وبالتالي فى حاضرها ومستقبلها .



انَّسَمَتْ بِهِ دَعَوَاتِهِمْ مِنَ الشَّمُولِ ، فَهِيَ دَعَوَاتٌ شَمَلَتْ الرُّوحَ وَالْمَادَةَ ، وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ : " لِأَنَّهُمْ اسْتَهْدَفُوا تَغْيِيرَ الْأَبْعَادِ الْحَيَاتِيَّةِ بِرُمَّتِهَا ، فَلَمْ يُهْمَلُوا الْجَانِبَ الْمَادِي ، وَلَمْ يَسْتَعْرِفْهُمْ الْجَانِبَ الْغَيْبِي وَحَدَهُ ، وَإِنَّمَا وَازَنُوا فِي الدَّعْوَةِ - وَظَلَّتِ الدَّعْوَةُ عِنْدَهُمْ عَمَلًا وَبِنَاءً- ، فَكَانَ النَّاتِجُ هَذِهِ الْإِسْتِقَامَةَ الَّتِي طَفَقَتْ تَرْتَدُّ إِلَيْهَا الْبَشَرِيَّةُ عَلَى هَدْيِ الدَّعَوَاتِ السَّمَاوِيَّةِ ، وَبِذَلِكَ ظَلَّ الطَّرِيقُ يَتَمَهَّدُ لِلْإِنْسَانِيَّةِ كِي تَوَاصَلَ سِيرُهَا فِي كَنْفِ الْأَخْلَاقِ وَالْهَدَايَةِ السَّمَاوِيَّةِ. " (١)

وَمَا لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّ مَهْمَةَ الدَّعَاةِ الْيَوْمَ هِيَ ذَاتُهَا مَهْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِ ؛ إِذْ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ أَوْرَثَ الْعُلَمَاءَ رِسَالَةَ النَّبُوَّةِ ، يَقُولُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ( **إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوْرَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا مَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ** ) (٢) ، وَلِذَا وَجِبَ عَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ يَتِمَثَّلَ رُوحَ النَّبِيِّ ، وَيَجَسُدَ سُنَّتَهُ وَمَكَابِدَتَهُ .

فِرْسَالَةُ الْأَنْبِيَاءِ هِيَ : " إِشْعَارَ الْعِبَادِ بِمَسْئُولِيَّاتِهِمْ حِيَالَ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ ، وَكَيْفِيَّةَ نَهْوَضِهِمْ بِهَذِهِ الْمَسْئُولِيَّاتِ وَالْتِكَالِيفِ ، مَعَ مَلَاخِظَةِ آدَابِ وَأَرْكَانِ الطَّرِيقِ الَّتِي يَمْشُونَ أَوْ سِيْمَشُونَ فِيهَا ، وَمَا يَتَرْتَبُ عَلَى الْغَايَةِ الَّتِي سَيَبْلُغُونَهَا . " (٣)

وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ أَلَّا يَخْلُوَ زَمَانٌ مِنْ نَبِيٍّ ( **لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ) (٤) وَالْأَنْبِيَاءِ الْكِرَامِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَمْ يَبْعَثُوا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَرشُدُوا النَّاسَ إِلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ فَحَسَبَ ، بَلْ لِيَقِيمُوا لَهُمْ أَمْرَ الدُّنْيَا وَفَقَّ مَرَادَ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ - ، قَبْذَلِكَ فَهَمَّ نَمُودِجَ لِلْفَاعِلِ التَّارِيخِي الَّذِي كَانَ لَهُ الْأَثَرُ الْحَاسِمُ فِي مَسِيرَةِ التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيَّ وَالْيَزَالَ ، فَهَمَّ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ - : " أَرْبَابَ السُّمُومِ وَالْإِرْتِقَاءِ الْمَادِيَّ وَالْمَعْنَوِيَّ ، وَرُودَ طَرِيقِ الْكَمَالَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ ، وَأَسَاتِذَةَ كُلِّ النُّظْمِ وَالتَّرْتِيبَاتِ الدِّينِيَّةِ ، وَكَذَا الدُّنْيَوِيَّةِ ، وَمَهْنَدِسُوهَا ، فَبِفَضْلِهِمْ ارْتَقَى الْإِنْسَانُ مِنْ مَسْتَوَى الْحَيَاةِ الطَّبِيعِيَّةِ الْحَيَوَانِيَّةِ ، فَبَلَغَ مَرْتَبَةَ " أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ " الَّتِي تُعَدُّ تَعْبِيرًا آخَرَ عَنِ " الْإِنْسَانِ الْحَقِيقِيِّ " ، وَبِوَأَسْطِنَتِهِمْ اِكْتَشَفَ ذَاتَهُ ، وَفَهَّمَ مَوْقِعَهُ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ . " (٥)

١- هندسة الحضارة ، د. سليمان عشارتي ، ص ٣٧

٢- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، باب العلم ، كتاب العلم قبل القول والعمل ، حديث رقم ( ٦٧ ) ، ( ٢٤/١ ) ، أخرجه الإمام أبو داود في سننه ، كتاب العلم ، باب الحث على طلب العلم ، حديث رقم ( ٣٦٤١ ) ، ( ٤٥٨/٥ ) ، وأخرجه الإمام الترمذي في سننه ، أبواب العلم ، باب ماجاء في فضل الفقه على العلم ، حديث رقم ( ٢٦٨٢ ) ، ( ٤٨/٥ ) ، وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، حديث رقم ( ٢٢٤ ) ، ( ١٥١/١ )

٣- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ١٢١

٤- سورة النساء ، الآية : ١٦٥

٥- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ١٢٤

يريد الأستاذ كولن - هنا - أن يفسر التاريخ تفسيراً مختلفاً عن التفسيرات المادية ، إنه يريد أن ينظر إلى التاريخ بمنظار الوحي الإلهي ، وبهذا المنظار يرى أن الرسل والأنبياء كانوا هم القادة الحقيقيين ، والفاعلين المؤثرين في التاريخ الإنساني ، وهذه الرؤية تختلف اختلافاً كبيراً عن الرؤى التي تؤلّه الزعماء السياسيين ، أو العسكريين الفاتحين ، وهي أيضاً رؤية تُلقَى بالعبء على كاهل الدعاة والمصلحين باعتبارهم ورثة النبيين .

### ل قراءة كولن للقواعد التاريخية في مسيرة الأمم

يمكن لمتصفح كتابات الأستاذ كولن، لاسيما ما خصصه للتاريخ بوصفه محرّك تطوير وعامل بناء، أن يقف فيها على ما يشبه القواعد والمبادئ التي رآها تحكم هذه الفاعلية ، وتأثيرها في عملية التدافع الاجتماعي والحضارى . ويمكننا في هذا الصدد أن نسجّل بعض هذه القواعد والمبادئ مما أناط الأستاذ به نظريته في التاريخ.

أولاً- السنن الكونية في قيام الحضارات واندثارها : يرى كولن أن هناك حتمية تتساق وفقها التطورات، فالحوادث التاريخية تجري في أنماط متشابهة ضمن إطار عام ، دون تكرارٍ للحوادث ، أو استنساخٍ للتجارب - كما ذكرنا من قبل - ، بل هناك سنن كونية تحكم سير التاريخ ، بحيث يكون : " هناك حتمية بين السبب والنتيجة في التاريخ، فالشر يلد شراً، والظلم ينقلب إلى مظالم تدور حول حلقة مفرغة ودائرة فاسدة . " (١)

وهذا التلازم بين السبب والنتيجة هو سنة كونية ، وقانون تاريخي ، ومبدأ قرآني ، وقيام الحضارات وانهيائها تابعٌ لهذه السنة .

والفكرة أو القانون الذي نطرحه هنا يعنى أن هناك قانون ينطبق على الحضارات كلها، ويحدد مآلاتها، فهي فى وجودها ونمائها ونهايتها أشبه بالكائنات الحية، تبدأ خلية ناشئة، ثم تتخلق، ثم تولد، وتدخل مسرح التاريخ ، إلى أن تنتهي إلى وضع الخمول والانهيار، وقد يكتب لها التجدد بفعل أسباب تُوقد الجذوة فيها مرةً أخرى، وتظل هذه الحضارة قائمة بقدر ماتراعى السنة الكونية ، وما أن تحيد عن النهج السوي، فإن الانهيار يكون مآلها ، سنة الله في الكون، ولن تجد لسنة تديلاً .

ويُطلق كولن على هذا العامل "الشريعة الفطرية"<sup>(١)</sup>، تلك الشريعة الكونية والتاريخية التي لاتجامل أحداً ولا تحابي: "ويمكن أن نفسر ذلك كله بالتناسب بين السبب والنتيجة، أو الأصح والأصوب: أن نشرحه وفقاً لروح العدالة في الشريعة الفطرية ، ومع أن الأسباب القابعة خلف حوادث التاريخ كثيرة لا تحصى، لكن القدير المطلق - سبحانه - جعل الأسباب ستاراً لمشيتته وقضائه".<sup>(٢)</sup>

إن القرآن الكريم ليضرب لنا مثلاً على هذا القانون التاريخي ، أو تلك السنة الكونية في قوله - سبحانه - : ( وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمَنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ )<sup>(٣)</sup>

( لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ )<sup>(٤)</sup>

" إنه مبدأ عام جرى به التاريخ الإنساني منذ القدم ، وأخذ به من غير استثناء ، ويبدو لنا أنها سنة من سنن الكون ، اقرا تاريخ شعب من الشعوب في أي دور من أدوار التاريخ قديما وحديثا ، ترى هذا التفاوت واضحا بين الأوائل والأواخر، في السير والأخلاق وأنماط الحياة ، وبالتالي في الأقدار . " <sup>(٥)</sup>

من هنا يلحّ كولن على قراءة التاريخ في ضوء قوانينه ، إذ بتلك القوانين نفهم الأحداث، وندرك السبب في استمرارها أو انقطاعها والوقائع ، ولم يُخطئنا التوفيق والنجاح إلا حين أضحينا لا نفقه سنن التاريخ، ولا ندرك حقيقة حركته .

ومن تجليات هذا القانون أو تلك السنة التاريخية ، أن الانحرافات الكبيرة ، والكوارث العظيمة قد تبدأ من انحرافٍ محدودٍ هنا أو هناك ، أو من تراكماتٍ أخطاءٍ قد تبدو للعين صغيرة في أول أمرها ، ومعظم النار من مستصغر الشرر .

وعلى الجانب الآخر قد تبدأ الكيانات الضخمة ، والمشاريع العظيمة من نبتة صغيرة ، أو من تراكم أعمالٍ قد يستحقها آخرون في زمنٍ ما ، ومن شأن التراكمات غير المحسوسة أن تُفضي إلى

١- المقصود من الشريعة الفطرية : مجموع السنن الإلهية التي فطرها الله الكائنات عليها وأجراها فيها، فهي بهذا المعنى شريعة فطرية وقوانين إلهية واجبة الطاعة والمراعاة.

٢- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن، ص ١٢٠

٣- سورة النحل ، الآية : ١١٢

٤- سورة سبأ ، الآيات (١٥ - ١٧)

٥-روائع إقبال ، أبو الحسن الندوي ، ص ١٩٦ ، ط ١ ، دار وحى القلم ، جدة ٢٠١٤ م

نتائج جذرية : " وقد يكون دبيب تحرك صغير، بداية لكيان كبير بعد سنوات ، وقد تحصل نتائج وخيمة تزلزل العصور من قناعة خاطئة أو تصرف سقيم ، إن البشر والحوادث السالفة في الماضي والتي صارت تاريخاً، هي اليوم شبيهة بالحيوانات المنوية المودعة في حضائن اللقاح ، وتعد مصدراً لإضفاء الصور على الحاضر، وإن الأسباب المنثورة اليوم - من جهة العلية<sup>(١)</sup> - كالبدور على سفوح التاريخ ، هي عوامل تعين نتائج الغد " (٢)

وإنه ليتساءل في حرارةٍ وحزنٍ قائلاً : " أولم يتكرر هذا دائماً وحتى الآن؟ أليست الأيام العجاف التي شهدناها في مرحلة معينة، وليدة أخطاء المرحلة التي سبقتها؟ ألم يفرّ تنور الطوفان (٣) في الأرض التي يدوس عليها المعاندون للنبي نوح- عليه السلام - ؟ أليست الأعاصير الثائرة في الأحقاف (٤) تدميراً من أجل تطهير الأرض التي دنستها عاد؟ ... ألم تنسحق الهند تحت الأحذية الانكليزية سنين في الماضي القريب بسبب اعتبار قسم من أهل الهند لآخرين منهم منبوذين (٥)؟ ألم يكن التفسير الخاطئ للكون والتفرق والجهل سبباً لنهش الأقوام الآسيوية بعضها لبعض في العهود القديمة على يد جنكيز خان وهولاكو (٦) وأمثالهما؟ واكتوائهم في البأساء والضراء في العهود الجديدة على يد الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية (٧)؟ وما لنا نحوم في الأجواء البعيدة ... انظروا

١- العلية : السببية ، وهي التلازم بين السبب والنتيجة ( ونحن نقيم صرح الروح ، ص ١١٧ ، المترجم )

٢- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن، بتصرف ، ص ١١٧

٣- يشير إلى قصة الطوفان الذي أغرق الله به قوم نوح بسبب تكذيبهم وعنادهم ، في قوله - تعالى - ( حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ) ، سورة هود ، الآية : ٤٠

٤- إشارة إلى قوم عاد الذين كانت مساكنهم بالأحقاف ، وقد أهلكهم الله بالريح العاتية جزاء تكذيبهم لنبيهم ثمود - عليه السلام - ، قال - تعالى ( وَادْكُرْ آخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرْنَاهُمْ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) (٢١) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عِنْتِنَا فَأَنْتَ بِنَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمְطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تَدْمَرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ( ٢٥ ) الاحقاف ، الآيات ٢١ - ٢٥

٥- يشير - هنا - إلى أحد أسباب تمكن الاستعمار من البلاد المحتلة ، وهو الطبقة بين أفراد الأمة الواحدة ، ومثاله مايجرى في الهند من طبقة على أساس ديني وعرقى .

٦ - جنكيز خان (١١٦٥-١٢٢٧ م ) هو مؤسس دولة المغول ، كان سفاكا للدماء وقد ارتكب مجازر في حق المسلمين هولاكو خان ( ١٢١٧-١٢٦٥ م ) هو حفيد جنكيز خان وقد احتل معظم بلاد جنوب غرب آسيا ، وأسقط الخلافة العباسية واحتل بغداد ( الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية - ويكيبيديا )

٧- الرأسمالية : نظام اقتصادي يقوم على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وخلق السلع والخدمات من أجل الربح .

إلى الذين غدروا بدولة عالية (١) ، كانت عنصر موازنة في المنطقة المباركة التي امتدت عليها حتى أوائل القرن العشرين من أفريقيا إلى البلقان ومنها إلى أجزاء من آسيا، وأمة مجيدة، ألم يُصِبهُم وبِال ما صنعوا أضعافاً مضاعفة؟ . " (٢)

ثانياً - **قانون الاستخلاف:** ويعنى به مسؤولية الأمة المحمدية، ودورها المستمر في الدعوة إلى الحق والهداية إلى شريعة الإسلام الخالدة.

وقد استخلص الأستاذ كولن من قوله تعالى: ( لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) (٣) مبدأ الوعد بخلود الأمة وبقائها حيّة في التاريخ الإنساني ، فهو يشير إلى أن الآية الكريمة تقول للمسلمين إنه : " في غياب الأمم المحيطة بكم عن مسرح التاريخ بعد استكمال أعمارها الطبيعية واستهلاكها، فإنكم مرشّحون- بفضل هذا الذكر النازل عليكم للبقاء طوال التاريخ ، وتقول إنكم ستشغلون في المستقبل موقعا مشرفا لن تستطيع أمة أخرى بلوغه ، وإن هذا القرآن سيحفظ لسانكم ولغنتكم من الضياع والسقوط ، ويبقى مرجعا لكل من يريد فهم دينه." (٤)

واستخلص كذلك من إلزامية الدعوة والوعد بوراثته الأرض في قوله - تعالى - (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (٥) فرضية الدور الذي لا ينتهي ولا يُلغى ولا يتوقف، والذي أناطه الله بهذه الأمة فالوعد بوراثته الأرض يعني أن الخيرية والإمامة واجبٌ على المسلمين، ويعني وجوب ارتفاعهم إلى مستوى مرتبة هذه الخيرية وهذه الإمامة .

لقد تكرر وعد الاستخلاف للمسلمين فيما عبرت عنه الآية الكريمة ، فوراثته الأرض هي وراثته للتاريخ والتحكم في شروطه، ومعنى وراثته التاريخ : " وراثته كل ركام الماضي المعروف والمجهول والصغير والكبير، وإنماء هذا الركام، واستحداث مركبات جديدة منه ، ثم نقل ذلك كله إلى الأجيال القادمة ، أصحابه الحقيقيين، فإن لم يُوفَّ هذا الوارث رسالة التاريخ المتعلقة باليوم والغد حقها من الاهتمام، فسوف يعتبر مسؤولاً عن خراب اليوم وضياع الغد. " (٦)

١- في إشارة إلى الدولة العثمانية ، ويعنى بالذين غدروا بها : الذين ألغوا الخلافة .

٢- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، بتصرف ص ١١٨

٣- سورة الأنبياء ، الآية : ١٠

٤- أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، فتح الله كولن ، ص ٢٣١

٥- سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٥ ويؤكد المعنى ذاته ويقويه آية سورة النور ( وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) الآية : ٥٥

٦- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٨٩

---

وهو يؤمن أن تحقيق النهوض الإسلامي ينعكس عنه وضعٌ دعوي إيجابي، بحيث تصبح سُبُل الدعوة مهياً والنفوس جاهزةً لتلقَى واجباتها ، فاستعادة المجد التاريخي يساعد الأمة على مهمة التبليغ ، التي هي وظيفة هذه الأمة في الأساس : " أجل ، عندما تأخذ هذه الأمة مكانها التاريخي اللائق بها، فستتوفر أمامنا فرصة أفضل وأكثر إقناعاً، وأعلى مستوى لتبليغ الرسالة القرآنية، عند ذلك سترى الإنسانية أن ما بحثت عنه في المدينة الفاضلة ، كان قد طُبِّق قبل عصور، وستذهل من هذا الاكتشاف . " (١)

وهكذا ، فإن على الدعاة ، أن يكونوا على معرفة بالتاريخ ونواميسه؛ وسننه التي لا تتخلف ، ليستتبطوا قواعده ، لأن الوعي بالتاريخ ، يعد أكبر محفّز على بعث الهمة ، واستحداث قابلية التجدد ، فسائر الأمم تستمد من ماضيها عوامل تحقيق المكانة والشأن، فكأن التاريخ خزّان أرصدة لموازنة العجز، وموَلّد طاقة يعطي الحرارة والوقود

---

## المبحث الرابع

# الدعوة والإرشاد والتبليغ في تجربة فتح الله كولن

وفيه ثلاثة مطالب :-

- المطلب الأول : مكانة "الإرشاد والتبليغ" في تجربة فتح الله كولن
- المطلب الثاني : أصول وقواعد الإرشاد والتبليغ في تجربة فتح الله كولن
- المطلب الثالث : صفات الداعية "المبليغ" كما يراها فتح الله كولن

## المطلب الأول

### مكانة "الإرشاد والتبليغ" في التجربة الدعوية لفتح الله كولن

#### الإرشاد والتبليغ <sup>(١)</sup> رسالة الأنبياء وغاية بعثتهم

يُعتبر الأستاذ كولن أن تبليغ رسالة الإسلام إلى العالمين ، ليست مجرد وظيفة أو مهمة لهذه الأمة تندرج ضمن وظائف عده أو مهام أخرى ، بل إن " تبليغ " رسالة الإسلام هي غاية وجودنا، وسر بقائنا .

يقول: " إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريق يؤدي إلى الغاية من خلق الوجود ، فقد فتحَ اللهُ سبحانه وتعالى قصر الكون لأجل هذه المهمة السامية والوظيفة الجليلة، وبوأ الإنسان منزلة الخلافة في ذلك القصر المنيف لأجلها، وأُسِّتْ سلسلة النبوة لهذا السبب ، فسينا آدم عليه السلام هو أول إنسان وأول نبي على الأرض ، ما إن فتح أبناؤه أعينهم حتى وجدوا أمامهم أباهم نبياً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فكان أول إنسان ونبي أدى مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا غرو فليس هو بدرج يُفتح لمرّة واحدة فقط ثم يُسدل الستار عليه ، بل تابع عقب سيدنا آدم عليه السلام أنبياءٌ عظام يسلكون الدرب نفسه ، إلى أن أثمرت شجرة النبوة سيد الكونين الذي كانت غاية بعثته أيضاً هي التبليغ ، والدعوة إلى الله " <sup>(٢)</sup>

وعلى الرغم ومن وعورة الطريق ، والمخاطر التي تحقُّه، فإن الأنبياء الكرام وعلى رأسهم سيد الانبياء - صلى الله عليه وسلم - ما فتئوا يكابدون مشقته ، ويستسهلون الصعب في سبيل الله . وفي هذا يضيف الأستاذ فتح الله قائلاً : " على أن الأخذ بيد الإنسانية والصعود بها إلى الشواهد العالية وجعلها تدرك إنسانيتها كاملة عن طريق التبليغ ، ليس بالأمر السهل الميسور، فلقد استشهد أنبياءٌ كثيرون في هذا السبيل حتى أن زكريا عليه السلام شقَّ إلى شقين بمنشارٍ من حديد واستشهد يحيى عليه السلام أيضاً في هذا السبيل ، أما ما تعرض له رسول الله صلى الله عليه وآله

١ - الإرشاد : هو علاقة فريدة تتسم بالتفاعل والتواصل العقلي والعاطفي ، بين شخص أو مجموعة أشخاص يواجهون مشكلة معينة مع من يمتلك مهارة حل هذه المشكلة وتوجيههم إلى هذا الحل ( المصدر : بحث حول الإرشاد النفسي والاجتماعي ، د. صالح بن عبدالله أبو عبادة ، ص ٥٥ جامعة الامام محمد بن سعود ، الرياض ٢٠٠٠ م )  
التبليغ : هو بيان حقائق الاسلام ، ويشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من أهم صفات الأنبياء الكرام - عليهم الصلاة والسلام - ( النور الخالد ، فتح الله كولن ، ص ١٣٨ )

٢- طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، المقدمة ، ص ١٧، ط ٧، دار النيل، القاهرة ، ٢٠١٤ م



وسلم في هذا الشأن فلم يسبق أحد بمثله ، إذا لم يبق شيء من المشاق والأذى إلا وتعرض له حتى أنه قال لسيدتنا عائشة- رضى الله عنها - **لقد لقيتُ من قومك مالقيتُ** (١) . " (٢) وما تعرض له الأنبياء الكرام - عليهم الصلاة والسلام - حافزاً أمام الداعية لتخطى كل الصعاب ، ولاجتياز المحن والبلايا في سبيل دعوته ورسالته .

وفتح الله كولن صاحب تجربة دعوية ، ينقل تلاميذه إلى حياة الأنبياء والصحابة الأوفياء ليتمثلوها واقعا عمليا ، وليعيدوا هذه الأمجاد ، بمقتضيات عصرهم ، فإذا كانت النبوة قد ختمت بسيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - فإن مهمة النبوة لاتزال وهى تبليغ الرسالة لاتزال فينا قائمة إلى يوم القيامة .

ف : " التبليغ هو غاية إرسال الرسل ، ولذا فإن أهم وظيفة حياتية تقع على عاتقنا هى تبليغ الناس رسالة الإسلام ، وأولى وظائفنا هى إعادة النظر فى جميع المناهج القديم منها والجديد فى هذا الموضوع ، وتطبيق المبادئ التى يمكن تطبيقها فى عصرنا ، وليس من الصحيح أن نحصر مسألة التبليغ فى المعلم والطالب أو إمام المسجد ، بل ينبغى لكل مكلف أن يخدم حيث هو فى إطار أصول هذه الخدمة . " (٣)

### ج حتمية إعداد جيل من الدعاة إلى الله - تعالى -

وفى قول الله - تعالى - **﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** (٤) دلالة على كون هذا الأمر واجب يقتضى التنفيذ ، لا مجرد نافلة من القول والعمل ، : " والمقصود من هذه الآية أن تكون هناك فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من هذه الأمة بحسبه . " (٥)

فهم الأستاذ فتح الله كولن هذا الأمر الإلهي على مستوى الفرد والمجتمع ، فشرع فى إعداد جيل من الدعاة الذين يحملون رسالة الإسلام ويجوبون بها الآفاق فى كل ميدان من ميادين العمل

١- أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين . . حديث رقم (٣٢٣١) ، ( ١١٥/٤ ) ، وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب مالقئ النبي - صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين ، حديث رقم (١٧٩٥) ، ( ٣/١٤٢٠ ) وهو جزء من الحديث .

٢- طرق الإرشاد فى الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، ص ٢٠

٣- الاستقامة فى العمل والدعوة ، فتح الله كولن ، ص ١٥

٤- سورة آل عمران ، الآية : ١٠٤

٥- تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ص ٥١٨ ، ج ١ ، ط ١ ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ١٩٩٨م

الدعوى والمجتمعي والفكري والثقافي ، وعلم يقينا أن مهمةً جليلةً كهذه لا يستطيع فردٌ واحدٌ مهما أوتى من القدرات والإمكانات أن يقوم بها وحده ، فالعمل المشترك كان وسيلته لتحقيق هذه الغاية ، وهو أيضا بعض ماتشير إليه الآية الكريمة .

فالآية تعنى : " لتتكون منكم جماعةٌ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر دائماً؛ فيدعون الناس إلى الخير ويجنبونهم الشر، ويبينون لهم الحسنات ويكفونون مثال الصدق والاستقامة، وتعبير آخر يكون كل واحدٍ منهم كالتَّجَمُّ القُطْبِيِّ في المجتمع لتتهدي بهم سفينةُ المجتمع التي تمخرُ عُبَابَ بحر الحياة الاجتماعية إلى سواء السبيل،..... فإن لم تكن ضمن مجتمعٍ جماعةٌ تتَّصف بهذه الصفات وتستمر عليها، فاقراً على ذلك المجتمع السلام،.... وبعبسه إن كان في موضعٍ ما جماعةٌ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فالله سبحانه وتعالى ضامنٌ أن يحفظ أهل ذلك الموضوع من كل المصائب السماوية والأرضية . . نعم، إن الله سبحانه ضامنٌ؛ إذ ليس غيره يقدر أن يضمن ذلك قط، وذلك بنص القرآن الكريم : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهَيِّجَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِحُونَ﴾ (١) . (٢)

### التبليغ مهمة الأمة كل على قدر طاقته

لقد ربط القرآن الكريم بين خيريَّة هذه الأمة ، وبين استمراريتها في مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالخيرية هنا أمركسبى ، بمعنى أنه ليس هبةً دائمةً غير قابلة للزوال ، وليس وصفاً لازماً للأمة على أى حال كانت عليه خيراً كان أو شراً ، فهي خيريَّة مشروطةٌ بشروط ، قال - تعالى - (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (٣)

وفى هذا المعنى يقول الأستاذ فتح الله كولن : " ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ أي أصبحتم خير أمة بين الأمم ، فهذا الحدث كسبٌ حادثٌ عرضي، أي أن زواله ممكنٌ أيضاً ، لأن الخير ليس نابعاً من ذاتيتنا قطعاً ، إذ لا فرق بيننا وبين المولود في موسكو أو في غيرها من الأماكن، فكلنا مخلوقون من قطرة ماء ، وليس هناك إلا عامل معنوي وتأثير عرضي يوجه كياننا المعنوي وماهيتنا نحو الخير، بحيث يجعلنا نتميز عن الآخرين ، فهذه الأمة ليست خير أمة من الأزل، بل وُضِعَتْ فيها

١- سورة هود ، الآية : ١١

٢- طرق الإرشاد فى الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، ص٢٧

٣- سورة آل عمران ، الآية : ١١٠

هذه "الخيرية" وليست مما لا تفارقها ولا تتفك عنها ، فإن لم تُراعِ هذه الأمة تلك الحالات التي جعلتها خير أمة، ستضيع تلك الخيرية." (١)

وحين يكون الأمر كذلك فإن المبلِّغ لن يكون إمام المسجد فحسب ، ولا طلاب الشريعة فقط ، ولن يحتكر الدعوة فئة من الناس يرتبطون بها من خلال وظيفة رسمية ، أو هيئة اجتماعية ، أو حتى جماعة دعوية ، فضلاً عن أن تحتكرها أحزابٌ سياسية.، فالدعوة الإسلامية بهذا المعنى الذي يؤسِّس له القرآن الكريم ، وتؤكد السنة المطهرة في مثل حديث النبي المعصوم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) (٢) وقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) (٣)

إنها المهمة التي تشبه حالة التعبئة العامة ، التي تشمل كلَّ الأمة ، وفي كل الأحوال دون تقيُّدٍ بمهنة أو وظيفة أو انتماء إلى طائفة بعينها .

يقول الأستاذ كولن : " ولا أعلم مهمة أجلُّ من هذه المهمة في يومنا هذا، ولهذا أعتقد أن من نذر حياته لهذه المهمة فإن دنياه وآخرته ستكونان عامرتين بإذن الله - سبحانه وتعالى - . فكل شخص مضطر لأداء هذه المهمة الملقاة عليه سواء بالإفهام أو بالكتابة أو بالتأليف وليؤدّها بأي طريقة كانت إلا أن عليه أن يؤديها حسبةً لله - تعالى - ، ومنزّهة عن أية أغراض سياسية . ، ومن المعلوم أن تأثير هذا العمل ودوامه يكون بنسبة ما فيه من الإخلاص، وبمقدار ترفعه عن الأغراض السياسية " (٤)

فالدعوة إلى الله - تعالى - هي وظيفة الأمة في مجموعها كلُّ وفق طاقته وإمكانياته ، فمن منَّ الله عليه بعلم دعى به ، أو بمالٍ أنفق في سبيل هذه الدعوة وجاهد بماله ، ومن آتاه الله - سبحانه - قوة في البيان أو حلاوة في المنطق كانت دعوته إلى الله - تعالى - أن يستثمر موهبته في تعريف

١- طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، ص ٣٩

٢- أخرجه الإمام البخارى في صحيحه ، كتاب أحاديث الانبياء ،باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ، حديث رقم ( ٣٤٦١ ) ، (١٧٠/٤) وأخرجه الإمام الترمذى في سننه ، أبواب العلم ، باب ماجاء في الحديث عن بنى إسرائيل ، حديث رقم ( ٢٦٦٩ ) ، (٤٠/٥) وقال الإمام الترمذى : " هذا حديث حسن صحيح "

٣- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان، حديث رقم ( ٤٩ ) ، ( ٦٩/١ ) وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه ، فى أبواب الفتن ، باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حديث رقم ( ٤٠١٣ ) ، ( ١٤٥/٥ ) وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده من حديث أبى سعيد الخدرى ، حديث رقم ( ١١٥١٥ ) ، ( ٧٩/١٨ )

٤- طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، ص ٤٨

الناس بخالقهم ، ولفت أنظارهم إلى نعمه وعطاياه ، ومن لم تكن له موهبة معينة كانت دعوته إلى الله - تعالى - فى سلوكه الحسن وتقديمه النموذج والقوة الصالحة من نفسه وبيته . وعموماً فالتبليغ والدعوة إلى الله - تعالى - كما هى وظيفة الأنبياء فهى كذلك وظيفة اتباعهم من سائر المؤمنين إلى يوم الدين .

### التبليغ والعلاقة بين الفرد والمجتمع

إذا كان الفرد الصالح فى مجتمع ما ، هو الذى يحترم حقوق الآخرين فلا ينتهكها ، وينهض بواجباته فلا يقصر فيها ، ولا يتهاون فى أدائها ، فإن وسيلة الدول والنظم فى إيجاد هذا المواطن الصالح هو فرض القوانين الرادعة لمن تسول له نفسه انتهاك القوانين ، ورصد الجوائز المشجعة لمن يؤدى واجبه ويرعى حقوق الآخرين .

ورغم أهمية هذه القوانين الرادعة والحوافز المشجعة إلا أن هذا المجتمع الذى لا يكف أفراداه عن الرذيلة إلا تحت سياط القانون ، ولا يندفعون إلى الفضيلة إلا طمعا فى التشجيع المادى أو المعنوى ، مجتمع مفكك فى حقيقته وإن بدا شديد التماسك .

" فإن الفطرة الإنسانية ينبغى أن يعتمد فى تربيتها على ما ينطوى فيها من الصفات الكريمة ، والمشاعر النبيلة ، وذلك لا يكون إلا بإيقاظ الشعور بالمسئولية فى كل ضمير ، بإشعار كل عامل بأن عمله معدود له وأعليه ، وهذه المسئوليه متعددة المستويات ، فمنها مسئولية المرء أمام نفسه ، ومسئوليته أمام الأمة ، ومسئوليته أمام الله - سبحانه - ، وهذه المستويات ضمتها الهداية الإسلامية ، ، وصاغها القرآن فى قانون كلى ، فى مثل قوله - تعالى - ( وَقُلْ اَعْمَلُوا فَيَسِيرَ اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(١)</sup> ) ، (فَسِيرَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ ) هذه هى رقابة العين الإلهية ، (وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ) هذه رقابة الجماعة الإنسانية، (وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ، عرض الأعمال على الناس وتركهم يحاسبون أنفسهم عليها ، ويحكمون على أنفسهم بأنفسهم ، فتلك هى محكمة الضمير . " (٢)

تُرى هل من وسيلة لتحقيق هذا الشعور بالمسئولية بمستوياته الثلاثة غير الدعوة إلى الله ؟، وهل تستطيع أقوى القوانين وأشد النظم صراحةً أن تزرع فى النفس مراقبة الله - سبحانه - ؟ .

١- سورة التوبة ، الآية ١٠٥

٢- حصاد قلم ، د. محمد عبد الله دراز ، ص٢٧٦ ، ط١ ، دار القلم للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤م

" إن هذا الواجب المقدس السامي إن لم ينفذ في حياة الفرد، فإن انتظار نشوء مجتمع فاضل لايعني غير الخيال ، وذلك للعلاقة الوطيدة بين الفرد والمجتمع ، وبخلافه سيبدأ التقهقر والتراجع تدريجياً حتى ينتهي بانتهاك ذلك المجتمع ، وللحيلولة دون بلوغ هذه النتيجة لابد من إكفاء القوة المعنوية وجعلها في حيوية مستمرة ، وهذا يحصل أيضاً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .، بمعنى أن هذه الوظيفة المقدسة حياة للفرد وللمجتمع على السواء " (١)

والقرآن الكريم يشير إلى ثقل هذه " الوظيفة المقدسة " لدى ذكره وصية سيدنا لقمان -عليه السلام - لابنه : ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٢)

وهذا العناء في التبليغ يقتضى من الداعية المبلِّغ عن الله أن يبيع نفسه ووقته وماله لله حتى يصير " وفقاً لله تعالى " ، مصداقاً لقوله -سبحانه - " إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ " (٣)

يقول الأستاذ فتح الله كولن معلقاً على هذه الآية الكريمة : " عندما يتحقق هذا العقد المتسم باللطف والكرم، يترك الأحياء الفانون أماكنهم ليصلوا إلى الوجود الأبدي .ويزول المتاع الدنيوي الفاني، لتحلَّ محله النعم الخالدة في دار البقاء...ترمى الدنيا ذات العمر القصير تحت التراب ، لتخرج سنابل جنات خالديات في عالم أبدي . " (٤)

ولهذا الترابط القوى بين الفرد والمجتمع ، ولأهمية التواصي بالخير ، فإن القرآن الكريم لايفتأ يوصينا بموالاتة المؤمنين على أساس الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة شعائر الإسلام وشرائعه ، وإلى هذا المعنى يشير القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٥)

١- طرق الإرشاد فى الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، ص ٥٦

٢- سورة لقمان ، الآية : ١٧

٣- سورة التوبة ، الآية: ١١١

٤- أضواء قرآنية فى سماء الوجدان ، فتح الله كولن ، ص ١٦١

٥- سورة التوبة ، الآية : ٧١

وفى مقابل هذه النماذج الفريدة الخالصة للمؤمنين يصور القرآن الكريم المنافقين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١) .

وإنه لجديرٌ بمجتمعٍ تتقلب فيه الحقائق حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً أن تنهار قوائمه ويتصدّع بنيانه

وفى الحديث الشريف: "مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرَوْا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤَدَّ مِنْ فَوْقِنَا فَإِنِ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا وَإِنِ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا" . " (٢)

: " أي أن هذه الوظيفة العظيمة قد أُقيت على كاهلنا جميعاً حالما ركبنا في السفينة . فلا يمكن أن نسمح لإعدامنا وإعدام ملايين الناس الأبرياء بحجة أننا نهتم بخاصة أمورنا ولا نتدخل بشؤون الآخرين ، فمن الضروري أن نكافح كل من يريد خرق السفينة أو الإخلال بالحياة الاجتماعية والخصال الحميدة والفضائل السامية. " (٣)

١- سورة التوبة ، الآية: ٦٧

٢- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيها، حديث رقم (٢٤٩٣) (١٣٩/٣)، وأخرجه الإمام الترمذى في سننه ، فى أبواب الفتن ، حديث رقم (٢١٧٣)، (٤/٤٧٠)، وقال الإمام الترمذى " هذا حديث حسن صحيح " ، وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده من حديث النعمان بن بشير، حديث رقم (١٨٣٦١)، (٣١٠/٣٠)

٣- طرق الإرشاد فى الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، ص ٧٨

## المطلب الثاني

# أصول وقواعد الإرشاد والتبليغ فى تجربة فتح الله كولن

ومن هذه الأصول والقواعد :-

### أولاً - تجريد الدعوة من كل غرض

يكاد يكون هذا الأصل أو تلك القاعدة مرتكزاً أساسياً ومحورياً فى فكر فتح الله كولن وفى تجربته الدعوية، فقلما تجده يتحدث فى مقال أو حوار أو خطبة عن الدعوة وتبليغ الدين ، إلا ويؤكد على ضرورة وحتمية أن تكون الدعوة مجردة عن كل هدف دنيوى أو سياسى .

ولطالما استشهد فى كثير من كتاباته بما خطه بديع الزمان سعيد النورسى ، وهو يتردد بين المحاكم والمنافى على مدار نصف قرن تقريباً ، بتهمة واحدة : استغلال الدين من أجل السياسة فيؤكد لهم فى كل محاكمة قائلاً : " يرددون هذه الكلمة منذ عقود : أن سعيداً الكردي يستغل الدين للسياسة ، وأنا أقسم بجميع المقدسات أن لو كان عندي ألف سياسة لكنتُ فديتها للحقائق الإيمانية ، فكيف أجعل الحقائق الإيمانية أداة لسياسة الدنيا ؟ إن حقيقة الإخلاص تمنعني عن كل ما يمكن أن يكون وسيلة إلى كسب شهرة لبلوغ مراتب مادية ومعنوية." (١)

بل إنه اعتبر فى آخر حياته أن ما حدث له من أنواع البلايا والرزايا ، كان من عند نفسه التى ابتغت بدعوتها ، الفيوضات الأخروية ، ولم تتمحّض لإنفاذ الإيمان - وفق تعبيره - رحمه الله. والأستاذ كولن فى حوار له مع " هيئة الإذاعة البريطانية " BBC ، يقول رداً على سؤال وجه إليه ، حول بعض الأزمات التى تعرضت لها "حركة الخدمة" من "السلطة الحاكمة" فى تركيا : هل ترون تشابهاً بين ما تعيشونه وما عاشه سعيد النورسى سابقاً فى عهد حكم الحزب الواحد!!؟ فيكون جوابه : أما أنا فقناعتى الشخصية أن ما نعيشه اليوم عقاب من الله لنا ، ذكرتم بديع الزمان، فهو يقول: الآن أدركتُ حكمة الأذى والتعذيب الذى تعرّضتُ له منذ سنوات ، جريمى أنا أننى استعملتُ الخدمة الإيمانية أداة لارتقائي المادّي والمعنويّ ، بينما كان ينبغي أن أبتغي وجه الله فحسب، وأتحرّى الإخلاص فى ما أقوم به ، ما أفعله يجب أن يفيد الإنسانية، ينبغي أن تجد الإنسانية فائدة لها فى ما أفعل ، فلو نذر الإنسان نفسه للدين بغية التحليق فى الهواء والمشى على الماء، فإن ذلك مناقض للإخلاص، ومن ثمّ يستحقُّ عقاب الله.

وجاء في آية كريمة: ( مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ )<sup>(١)</sup> فنحن نقول إننا ملتزمون بالسير على صراط مستقيم، ونؤكّد أننا سائرون في سبيل النادرين أنفسهم لله، ولكن لأننا لم نتصرف بما يليق بتصرّفات من نذرنا أنفسهم لله حقاً، فلربما ينبهنا الله بهذه اللطّامات. ولكن لا يعني هذا أن تصرّفات الآخرين صحيحة، فالله سيحاسبهم كذلك على ما فعلوا . " (٢)

فالدعوة التي تريد أن تصل إلى سويداء قلوب المدعوين ، ينبغي أن تكون مجردة عن حظوظ النفس والهوى ، ألم يكن شعار الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وهم يدعون أقوامهم : (وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)<sup>(٣)</sup>

لذا فإن الرجل يعلن "منهجيته" في هذه القضية ، وينصح بها تلاميذه ، وكلّ الدعاة قائلاً : " وقفة قصيرة هنا لأعرض وصيتي الأولى والأخيرة إلى الأجيال المقبلة الذين يُنظر منهم خلاص الإنسانية : كونوا أعرّاء كرماء ، لا تدعوا مراكز القوى المعلومة أن تتمكّن منكم ، وحتى إن ترددت عليهم لأجل دعوتكم فكونوا مستغنين دائماً، وإياكم أن تدخلوا ضمن قيود الآخرين لدى نشركم الحق والحقيقة ، إن مناصب الدنيا وجاهاها زائلة فانية ، لا تستحق أن يرتبط بها ولا الاغترار بها! " (٤)

وهو لا يقتصر على ما قد يبتغيه الداعية من دعوته من منافع دنيوية ، بل يتعداها حتى إلى طلب المقامات الأخروية - كما ورد في كلام النورسي السابق - ، بمعنى ألا يتخذ من دعوته سبيلاً إلى الترقى الروحي والمعنوي ، لأنه حينئذ سيكون مرتبطاً بهذه المقامات ، أو متعلقاً بها .

يقول: "ولقد عزمنا نحن في سبيل أداء التبليغ ليس على ترك المقامات والمناصب الدنيوية وحدها بل حتى على ترك المقامات والمناصب الأخروية، نعم فكما نفضّل الدعوة في سبيل الحق لبضعة أشخاص على أن نكون نواباً في البرلمان ، فإننا إذا اقتضت الضرورة نرجّحه على الولاية لأن الأصل هو تذكير الناس وإرشادهم، فلا مقام أرقى وأفضل منه سواء كان دنيوياً أم أخروياً ، لذا فإن جعل التبليغ تكّة لبلوغ مآرب دنيوية - كأن يستعمل الشهرة والصيت التي حازها المبلّغ في أثناء نشره الحق والحقيقة - حماقة كحماقة من يستبدل قطعاً زجاجية تافهة بقطع الألماس الثمين." (٥)

١- سورة النساء ، الآية : ٧٩

٢- حوار متلفز مع الأستاذ فتح الله كولن حول الأوضاع الراهنة في تركيا ، موقع الملف التركي ٢٠١٤م

٣- سورة الشعراء ، الآية : ١٠٩

٤- طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، ص ١٠٢

٥- المرجع السابق ، ص ١٠٣



وإنه لأمرٌ شديدٌ على النفس في عالمنا هذا الذى يموج بالمادية الطافحة فى كل مكان ، ويجعل الإنسان مشغولاً بهمّ الرزق وجمع المال ، ليدور فى فلك الحياة الاستهلاكية التى وضع نمطها الغرب .

لكن الحقيقة أنه لاختلاص لنا من أسر هذه الحياة إلا بنمطٍ من الدعاة الخُص الذين يندرون حياتهم لله - سبحانه - ، ويبلغون رسالات الله - تعالى - دون غرضٍ من منصب أو جاه .

## ثانياً - التزوّد بالعلم والمعرفة

لاشك أن العُدّة الفكرية لدى الداعى إلى الله والمبلّغ لرسالاته ، من أقوى الأسلحة التى يواجه بها الناس ، فالدعوة إلى الله عطاء ، ومن لم يكن لديه علمٌ ولثقافة ، كيف يعطى غيره ؟ وفاقد الشئ لا يعطيه ، ومن لم يملك النصاب فكيف يزكى ؟

ولا شك أن الثقافة الإسلامية هى أول ما يلزم الداعية من عدّة فكرية ، وأعنى بالثقافة الإسلامية : الثقافة التى محورها الإسلام مصادره وأصوله وعلومه المتعلقة به ، والمنبثقة عنه ، وهذا أمرٌ منطقيٌّ ، فالداعية لا بد له أن يعرف الإسلام الذى يدعو إليه .

ويرتبط بالثقافة الإسلامية ، أن يكون الداعية على علم بثقافة العصر الذى يعيش فيه وأن تتفتح مداركه على الكون كله بما فيه ومن فيه ، ويحتضن برسالاته السامية الإنسانية كلها ، ذلك ان هناك نفرًا من الناس فى هذا العصر: " يظنون أن الدين أمسى من المخلفات البالية، وأن الأجيال الصاعدة يجب أن تكسر قيوده ، وتسير دون رعاية لربّ خالق ، أو تهيبّ لجزاءٍ منتظر ، وهذا الكلام إفكٌ كله ، فإن اتباع الدين والانقياد لتعاليمه يقتضى تفنُّحاً ذهنياً مع آيات الله فى الكون، كما يقتضى عزيمة قوية لفظام النفس عن المظالم والآثام . " (١)

هذا من جهة عامة ، ومن جهة خاصة فللعلم الذى هو أحد قواعد "الدعوة" تعريفٌ خاص عند الأستاذ فتح الله كولن ، وإنه ليتساءل ثم ما يلبث أن يجيب نفسه فيقول : " ما العلم؟ العلم هو معرفة الإنسان لربه بعد معرفة نفسه ، أو رؤية الإنسان لربه بجعل نفسه مرصداً لمشاهدة الصفات والأسماء الإلهية ، بما يكتشفه فى مشاعره، وسعيه للوصول إلى معرفة ربه والعلم به ، فهذا هو العلم الحقيقي ، نعم، نحن كمن يتسلق ذرى الجبال، علينا أن نحسب حساباً دقيقاً أين سنضع

أقدامنا وأين سنضرب الكلاب<sup>(١)</sup> ونربط الحبل، لأن أي خطأ نرتكبه- ولو كان تافهاً - يودى بحياتنا." (٢)

فغاية هذا العلم ومحوره الذى يدور حوله هو أن يُنتج العلمُ المعرفةَ الإلهيةَ والمحبةَ الإلهيةَ ولعل هذا يتوافق مع مفهوم العلم الذى يُثني عليه القرآن: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (٣) ولاشك أن حياة العلوم والمعارف مقصودٌ ضمناً فى كلام كولن ، إلا أن مايركز عليه دائماً هو الغاية من وراء هذه العلوم والمعارف، ليس مجرد دراستها.، وليس فيما يخص الدعوة وحدها ، بل كل علم إن لم يقُدْ إلى الله - تعالى - فهو لهو وعبث ، يستوى هذا الداعية على منبره ، والكيميائى فى مختبره!!

ف: " على المبلِّغ أياً كان مستواه أن يزود قلبه بالعلوم الدينية ، وعقله بالعلوم الحديثة وأن يتعمق فى مراقبته الداخلية بتشغيل قابلياته واستعداداته التى لاتعمل إلا بكلا الأمرين معاً ، ولا بد له أن يكون لدنياً بقدر ما يستطيع ، وفقاً لمستواه وشخصيته . " (٤)

وبهذا يفسر فتح الله كولن الآيات التى تدور حول أهمية العلم والعلماء كقوله -تعالى- ( قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ) (٥)

فيقول : " هل العلم الذى يأخذ بيد الإنسان إلى الله تعالى سواء مع العلم الذى يسجن الإنسان فى المختبر؟ إن من يجول فى بطون الكتب ، و يصرف جُلَّ عمره فى كتابة الحواشي والشروح من دون أن يقرأ سطرًا واحدًا من علم الحقيقة، هذا الذى يطلق عليه اسم العالم، هو بالتعبير القرآنى كمن يحمل أسفاراً ، أين هذا من الإنسان الكامل الذى يقرأ سطرًا وإذا به يخلق فى السماوات ويعيش فى كل أن فى نشوة وانتشاء روجي ، أظن أن الفرق بينهما كالفرق بين لا شيء و كل شيء . " (٦)

هذا النمط من المعرفة الحقة ، والعلم اليقيني هو الذى ينتشر به الإسلام فى ربوع الأرض اليوم كما انتشر به الإسلام فى ربوع الأرض فيما مضى : " فإذا ما تمكن الذين يمثلون الإسلام أن يصبحوا

١- الكلاب : المَهْمَاز ، وهى الحديدية التى على خُف الرائض يَهْمَزُ بها جنب الفرس ، والكلاب : حديدية معوجة الرأس يُنشَلُ بها الشئ أو يُعَلَّقُ ( المعجم الوسيط ، باب الكاف ، ص ٧٤٩ )

٢- طرق الإرشاد فى الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، ص ٨٩

٣- سورة فاطر ، الآية : ٢٨

٤- الاستقامة فى العمل والدعوة ، فتح الله كولن ، ص ٢٩

٥- سورة الزمر ، الآية : ١٤٦

٦- طرق الإرشاد فى الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، ص ٩٠

على هذه الشاكلة فسيهرع الغربيون إلى الإسلام ويدخلونه أفواجا ، ولكن لأن الحالة معكوسة ، تجلت النتيجة معكوسة أيضاً، فابتعدوا عنا على حالنا هذا . " (١)

## ج معرفة ثقافة العصر

إن فهم الحياة المعاصرة ، وتداخلاتها ، لم يعد ترفاً لدى من يتصدّر مجال الدعوة ، وقد أصبح العلم الحديث شريان هذه الحياة والمحرك لكثير من أمورها والداعية إلى الله ليس شخصاً معزولاً عن بيئته ، أو معتكفاً في مسجده ، ولا منحصرًا بين بطون الكتب ، بل هو -رحده - أيّاً كان تخصّصه ، الشخص المؤهّل للجمع بين حقائق العلوم ، وحقائق الإيمان ، ذلك أن : " من لا يعرف عصره لا يختلف عن من يعيش تحت الأرض، بينما المبلّغ أو الداعية يجوب في الفضاءات ، وعندما يجول بين النجوم بعقله، يعاين بقلبه وبلطائفه الأخرى رياض الجنان، أي عندما يحجزه عقله في المختبر جنب (باستور)<sup>(٢)</sup> ويسيره برققة (أينشتاين )<sup>(٣)</sup> في أعماق الوجود، تراه واقفاً بروحه بكل إجلال وتوقير أمام الله سبحانه وأمام رسوله الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . " (٤)

والقرآن الكريم جعل من مقومات النبوة ، ومن أهم دعائمها أن يرسل الرسول "بلسان قومه" ، قال - تعالى- ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ )<sup>(٥)</sup> و"اللسان" لايعنى اللغة المنطوقة فحسب ، بل ثقافة العصر ،

١- طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، ص ٩٤

٢- لويس باستير ( ١٨٢٢ - ١٨٩٥ م ) : هو عالم كيميائي فرنسي وأحد أهم مؤسسي علم الأحياء الدقيقة في الطب، ويُعرف بدوره المميز في بحث أسباب الأمراض وسبل الوقاية منها ، وقد ساهمت اكتشافاته الطبية في إعداد لقاحات مضادة لداء الكلب والجمرة الخبيثة، كما دعمت تجاربه نظرية "جرثومية المرض" و يُعرف لدى عامة الناس بسبب اختراعه طريقة لمعالجة الحليب والنبيد لمنعها من التسبب في المرض، وهي العملية التي أطلق عليه لاحقاً مصطلح "البسترة" . (المصدر : علماء علموا العالم ، د. هاني حسن ، ص ٣٩ ، ط ١ ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧م)

٣- ألبرت أينشتاين ( ١٨٧٩ - ١٩٥٥م) : عالم فيزياء ألماني المولد أمريكي الجنسية، من أبوين يهوديين، وهو يشتهر ب: "أبولونسية" ، لكونه واضع النظرية النسبية التي كانت اللبنة الأولى للفيزياء النظرية الحديثة ، ولقد حصل في ١٩٢١م على جائزة نوبل في الفيزياء ، في تكافؤ المادة والطاقة وميكانيكا الكم وغيرها، وأدت استنتاجاته إلى تفسير العديد من الظواهر العلمية والفلكية . (المصدر : نظرية النسبية ، ألبرت أينشتاين ، ترجمة د، رمسيس شحاته ، ط ١ ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، عام ٢٠٠٠م )

٤- طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، ص ٩٥

٥- سورة إبراهيم ، الآية : ٤

وأسلوب الحياة ، وآليات التعايش بين أفراد المجتمع الواحد ، وهذا هو ما ينبغي أن يدركه دعاة هذا العصر ، وكل عصر .

: " إن أحوالنا الحاضرة تُدْمِي القلوب شباباً وشيباً . وهذه الحالة المؤلمة نابعة إلى حد ما من ضحالة ثقافة من يتقدم إلى الإرشاد والتبليغ . إذ لا يمكن من يجهل ثقافة عصره وأسلوب خطابه أن يفهم إنسان عصره شيئاً . . . كان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين فوق مستوى ثقافة عصرهم بكثير ، وكانوا يبلِّغون مسائل الدين بالمستوى الثقافي لذلك العصر . " (١)

أليس عجيباً أن نظل نرؤى للناس المرويات الباطلة من الإسرائيليات وغيرها ، أو أن نفسر لهم الآيات الكونية في القرآن الكريم بذات التفسير الذي فسّر منذ قرون مضت ، أو أن ينشغل المسلمون المعاصرون بقضايا خلافية كانت تشغل المسلمين منذ قرون ولم يعد لها وجود الآن ، أليس عجيباً أن ندخل معارك وهمية يتصارع فيها الدعاة ثم لا يكون الخاسر فيها إلا الدعوة ذاتها !!

### ثالثاً - اقتضاء البصيرة ، وعدم مصادمة قوانين الفطرة

إن الإسلام هو دين الفطرة ، وهو رسالة الله إلى بنى الإنسان لإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن حمأة الرذائل إلى آفاق الفضائل السامية ، والسؤال هنا : هل يكون الدعاة إلى هذا الدين العظيم على مثل مستواه ؟ هل يحلقون في سماواته العالية ؟ هل هم يحسنون تمثيله حقاً ؟ أم أنهم في وادٍ والرسالة التي يدعون الناس إليها في وادٍ آخر ؟

: " إن تعاليم الإسلام المنوَّعة في كل شأنٍ من شؤون الحياة ، هي نداء الطباع السليمة والأفكار الصحيحة ، وتوجيهاته المبنوثة في مُتَقَسِّسٍ طلق لما تتشده النفوس من كمال ، . . . . إن فقدان البصيرة الواعية للمآحة حجابٌ طامسٌ لفهم الحق بله تفهيمه ، وآفة الأديان جاءت من أن أكثر رجالها لا يصلحون ابتداءً لإدراك رسالتها . . . إن التاريخ سجّل هزائم للطوائف التي تسمّى نفسها "رجال الدين" ، وقد أراد بعض الحمقى أن يحول هذه الهزائم إلى نكبة تحيق بالدين نفسه ، وهذا ظلمٌ شنيع ، فإن انهزام هذه الأمثلة المصطنعة للتدين هو في حقيقته انتصارٌ للفطرة الإنسانية ، وهذا الانتصار يجب أن يكون تمهيداً لفهم الدين كما جاء من عند الله - عزَّ وجلَّ - ، لا لنبذها بعدما لوَّثته يد الباعة التافهين . " (٢)

١- طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن، ص ١١١

٢- جدد حياتك ، الشيخ محمد الغزالي ، ص ٥-٦ ، ط ٩ ، نهضة مصر ٢٠٠٥م

واقْتِضَاءُ البصيرة يعنى ابتداءً أن يكون للداعية سعةٌ فى الإدراك ، يستطيع بها التمييز بين خير الخيرين وشر الشرين ، والقرآن الكريم يعلمنا ( قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ) (١)

فالبصيرة : " شعورٌ وجدانى يرى القيم الروحية فى المواضيع التى يتعسّر على العقل تجاؤها لتعلقه باللون والشكل والمظاهر والكيفيات . " (٢)

هذه البصيرة هى التى تجعل الداعية فى انسجامٍ تام مع الفطرة الإنسانية، لايتعارض معها ولايسير فى عكس اتجاهها ، وهو حين يفعل ذلك يجعل من دعوته دعوةً إنسانيةً بامتياز .

ف: " المبلّغ لا يصطدم قطعاً مع قوانين الفطرة ، بل يتخذ البصيرة أساساً فى تبليغه، لأن الفطرة مستقرة بالآيات التكوينية ، فالتكاليف والأوامر التى تبتّغ يجب أن تبتّغ وفق هذه القوانين، أى تؤخذ الخصائص والمزايا التى فطر الإنسان عليها بنظر الاعتبار؛ فيخاطب وفق تلك المزايا والخصائص وبخلافه ربما لا يهتم المخاطب بالكلام مهما كان بليغاً وبراقاً؛ لأنه قد لا يفهم كلياً ما يخاطب به أو يعدّه أموراً نظرية خيالية . " (٣)

إن الداعية الذى يتخيل الدعوة منصباً مرموقاً ، أو شهرةً واسعة، أو اهتمام الناس بشأنه ، ورفعهم لقدره ، ليس له من حقيقة الدعوة إلى الله - تعالى - حظٌ وافر ، إن الدعوة فى حقيقتها معاناة التلطف بطبائع الناس ، ومشقة تحمل الألم من أجلهم .

فالداعية الذى يظن الدعوة هى أن يُصدر على الناس أحكاماً فوقية، دون نظر لطبائع الناس ، ولما فطر الله - تعالى - الناس عليه ، فقد اختصر الطريق الطويل الشاق ولكن بالجلوس فوق برج عاجى يصنعه فى مخيلته ويراقب الناس من خلاله !!!

فى الإنسان ميلٌ فطرىٌ إلى عاطفة "الحب" ، والداعية حين ينسجم مع هذه الطبيعة المستقرة فى النفس البشرية ، لايتعامل معها على أساسٍ من التحقير والازدراء ، بل على أساس من التقويم لاتجاه المحبة ، فلايقال للناس : لاتحبوا ، ولكن يقال لهم : اصرفوا مشاعركم السامية إلى ما هو أسمى وأرقى ، اجعل محبتك لله وفى الله ، حينها ستكون محبة الناس راقية وباقية .

وكذلك فى كل فرد صفة "العناد" التى قد توقع الأفراد بعضهم ببعض حتى تجعلهم كالوحوش الكاسرة ، لكن ، من قال إن هذه الغريزة الإنسانية شرٌّ كلها ؟ أليس فيها مايمكن توجيهه إلى وجهة

١- سورة القصص ، الآية : ١٠٨

٢- التلال الزمرّدية نحو حياة القلب والروح ، فتح الله كولن ، ص ١٩٥

٣- طرق الإرشاد فى الفكر والحياة ، فتح الله كولن، ص ١٤٨

الحق والخير من دون اصطدامٍ مع أصلها الغريزي في الإنسان ، ف : " العناد قوة عظيمة للثبات على الحق ، فلو لم يكن شعور العناد، يمكن أن يتراجع الإنسان عن الحق إذا رأى قليلاً من الضيق ، بمعنى أننا إذا ما وجهنا هذا الشعور إلى وجهه الإيجابي، يمكن أن نجني ثمرات ونتائج حسنة جداً. ولهذا لا يمكن أن نقول للناس: دعوا العناد جانباً أو اتركوا العناد.. بل علينا أن نقول لهم: استعملوا العناد في الثبات على طريق الحق والحقيقة ، فهذا أجدى وأسلم . " (١)

وهكذا في كل المشاعر الفطرية لدى الإنسان ، حب الجمال ، وحب الجاه ، والغضب ، وغريزة البقاء والخلود ، وغيرها من المشاعر التي لم تُوضع في الإنسان سُدى ، بل لحكمة بالغة ، ليكمل بها الاختبار الإلهي للإنسان .

والملاحظ أن من يريد أن يصادر هذه المشاعر لدى المدعويين ، ويقف في وجهها ، دون أن يوجهها الوجهة الصحيحة ، يعود غالباً بخُفي حنين ، ولايجنى شيئاً من وراء سعيه ، فهو إما أن يُلجئهم إلى كتبها ، أو إلى إهمال كل كلامٍ يصدر من هذا الداعية بل وغيره من الدعاة ، وهذا مانلاحظه في ردِّ فعل كثير من الشباب تجاه أوامر الدين ونواهيه .

وهذا الأمر يحتاج إلى جهدٍ متواصل من الداعية ، ليفهم طبيعة النفس البشرية ، ويدرك أسرارها ، ف : " لا بد من دراسة السُّبل الموصلة إلى روح المخاطب ، وأنماط التعامل الإنساني ، ثم تطبيق المبادئ التي أمرنا به ديننا ، مثل التهادى ودفع أذى ضرر يقع على المخاطب ، وبهذه السُّبل يجب التواصل معه . " (٢)

تُرى كم هي كمُّ الخسائر التي خسرها مجتمعنا من آثار مصادمة الدعاة لقوانين الفطرة وعدم اقتضاء البصيرة الراشدة، حين وضعنا الدين في مواجهة غير منطقية مع الفطرة؟! ..

#### رابعا - مشروعية الوسائل

إذا كانت الوسيلة تعنى ما يستعمله الداعية من الأمور الحسية، أو المعنوية التي ينقل بها دعوته إلى المدعويين ، فإنه لزاماً عليه أن تكون هذه الوسيلة متوافقة مع الغاية النبيلة التي يسعى إليها . والداعي إلى الله - تعالى - يتحرى بدقة الوسائل والطرق المشروعة في دعوة الناس وتبليغهم ، إذ لا طريق إلى هدف مشروع إلا بوسيلة مشروعة، ولما كان هدف الدعوة هو الحق فلبوغ هذا الهدف الحق ليس لنا أن نستعمل الباطل ، وإلا يكون الداعية قد ناقض جميع ما يدعو إليه من قيم ومبادئ .

١- طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، ص ١٤٩

٢- الاستقامة في العمل والدعوة ، فتح الله كولن ، ص ٢١

قد تكون الوسيلة خطاباً مؤثراً ، أو كتاباً نافعاً ، أو فناً هادفاً ، أو مؤسسة تربوية ، أو صرحاً تعليمياً ، أو غيرها من الوسائل التي تخدم غاية الدعوة وهدف الإصلاح .  
وفى كل هذه الوسائل : " لا يحق لنا بأي حال من الأحوال أن نزلَّ إلى ميادين غير مشروعة تحت اسم العمل الإسلامي ، ولا سيما في أيامنا هذه التي يباع فيها الكذب مع الصدق جنباً إلى جنب في حانوت واحد . " (١)

وسواء أكانت هذه الوسائل عملاً فردياً أم عملاً جماعياً ، تربوياً أم ثقافياً ، فإن القيمة الحقيقية لهذه الوسائل تكمن في أمرين : أن تكون الغاية شريفة ، وأن تكون الوسيلة مشروعة ، ف : " فلو حوّلت الدنيا إلى جنّة بل إلى جنان عن طريق لا يحبها الله تعالى لما كان لها أي قيمة ، بل كانت وبالاً على صاحبها ، لأن قيمة الوسائل والوسائط تقاس بدرجة توصيلها إلى الهدف دون حدوث أي خلل ، لذا فكلُّ وسيلة تشكّل عثرة في الطريق تعد وسيلة ملعونة ، وهذا هو الوجه الذي لعنت الدنيا من أجله وإلا كان من المفروض أن تكون الدنيا أهلاً للمديح لأنها محشرٌ كبير ومراة لتجليات الأسماء الإلهية الحسنى . " (٢)

فالدنيا بما فيها ماهى إلا وسيلةً لتحقيق السعادة الأخروية ، فإذا أصبحت هذه الوسيلة سبباً في الإعراض عن آيات الله - سبحانه - في الأنفس والآفاق ، بل وسيلةً للصدّ عن سبيل الله ، حينها تكون وسيلة مذمومة .

فعلى دعاة الإصلاح إذاً أن يحرصوا الحرص كلّهُ على تجنب كل وسيلة غير نبيلة لتحقيق غاياتهم النبيلة .

#### خامساً - البعد عن هيمنة الأغنياء ورجال الدولة

يرى الأستاذ فتح الله كولن أن المبلّغ والداعية ، ينبغي أن تكون علاقته مع أصحاب النفوذ ورجال الدولة ، مرهونةً بالقضية التي نذر لها نفسه ووقته وحياته ، فلا تكون علاقته مع رجال الدولة والطبقة العليا من الناس خارج إطار الإرشاد والتبليغ ، ولعل هذا الأمر مرتبطٌ - عند الأستاذ كولن - بالأيقع الداعية أو المصلح تحت تأثير أحد من هؤلاء ، وذلك ليبقى مسقلاً في رأيه وتفكيره وحركته بين الناس بدعوته .

١- طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن، ص ٩٩

٢- الموازين أو أضواء على الطريق ، فتح الله كولن ، ص ٢٢

فالدعاة ينبغي أن يظلموا مستقلين في الرأي والتفكير ، ف : " لا يبقون تحت منة أحد من الناس، إذ لا يكون كلام من تشبث بأبواب رجال الدولة وتملق إليهم، مؤثراً فيهم ولا في غيرهم . " (١)

ويؤكد الأستاذ فتح الله كولن أن طريق الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليس فيه حصر الدعوة بالمتقفين فقط أو الطبقة الراقية من الناس، ولا فيه مجالستهم وحدهم دون غيرهم، وإنما يحدث ذلك في أوقات الضرورة بشرط ألا يكون على حساب الأصل .

فحين طلب زعماء قريش من الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - في عهد مكة تخصيص يوم لهم لا يكون فيه عمارين ياسر ، وبلال بن رباح ، وصهيب الرومي - رضى الله عنهم - ، وليخصص الرسول المجلس لهم، نزلت الآية الكريمة منبّهة رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - ، ولتسد جميع الأبواب أمام كفار قريش : ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ مِنْ أَعْفَانِ قَلْبِهِ عَنْ نَذْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢)

غير أن هذا لايعنى بالضرورة ، عداً ما بين الدعاة ، وأصحاب النفوذ ، بل هو ضبط لهذه العلاقة الحساسة ، حتى لاتأتى على حساب الدعوة ذاتها ، فإذا وجد من رجال الدولة وأصحاب المال و السلطان من يرغب فى الدعوة ، وبمذها بما تحتاجه من مال ، ابتغاء وجه الله ، فحين ذلك تكون هذه العلاقة فى مصلحة الدعوة .

ف : " إذا أتى رجال الدولة والأغنياء إلى المرشدين والمبلغين فهذا عملٌ يستحق التقدير كله ما لم يُستغلّ لأمرٍ أخرى ، لأن الداعية الحقيقي هو الذي يدلُّ هؤلاء ويمكِّنه أن يُشعرهم بما يستشقه هو من نسائم العقبى ، فهذه النسائم اللطيفة تكون بمثابة طوق النجاة لتلك الأرواح الثملة (٣) بالحياة التجارية والاجتماعية والإدارية وراحة لهم. " (٤)

نعم فمقام الدعوة إلى الله - تعالى - مقامٌ سامٌ غاية السمو ، وصاحبه لاينبغي أن يذل نفسه للكبراء والسياسيين ، بل هم من يأتون بابه ويرجون ماعنده من علم .

١- طرق الإرشاد فى الفكر والحياة ، فتح الله كولن، ص ١٤٤

٢- سورة الكهف ، الآية ٢٨

٣- الثمّل هو الذى أسكره الشراب ، ثمّ يثمل ثملاً : أخذ فيه الشراب ، وثلّ إلى كذا : مال وأحبه ، فهو ثمل ( المعجم الوسيط ، باب الثاء ، ص١٠٠ )

٤- طرق الإرشاد فى الفكر والحياة ، فتح الله كولن، ص ١٤٥



## المطلب الثالث

### صفات الداعية "المبّغ" كما يراها فتح الله كولن

للدعاة إلى الله أوصافٌ يمتازون بها عن سائر الناس ، أو هكذا يجب أن يكون ، فالدعاة ينبغي أن يكونوا نماذج جيدة لكل مافى الإسلام من تعاليم ، وفى شريعته من مقاصد ، والأستاذ فتح الله كولن يرسم صورة قلمية لروح المبّغ ، وهى الصفات التى لا يصير الداعية مبلغاً عن الله - حقاً - إلا حين تكون جزءاً لا يتجزأ من كيانه المادى والمعنوى .

وهنا أجد لزاماً علىّ أن أشير إلى أن الأستاذ كولن فى حديثه عن الدعوة وأصولها وصفات الدعاة ، ليس حديث مصنّف يجتهد فى جمع الأدلة وترتيب العناصر ، بحيث تخضع تصنيفاته للأساليب الأكاديمية أو البحثية ، وإنما هو يذكر ما يراه من نتائج تجربته الدعوية ، وحياته الروحية ، وما يرى أن الدعاة فى أمسّ الحاجة إليه من واقع تجربته الحيه وسط الآلاف من التلاميذ والدعاة .  
ومن هذه الصفات :-

**أولاً - الشفقة :** هذه أول صفة يرى كولن أن الداعية لا ينجح فى مهمته بدونها ، والشفقة التى يعنىها كولن هى بمثابة الوقود الذى يحرك الداعية نحو هداية الناس ، إنها مزيجٌ من الرحمة والعطف والحنان ، مع الخوف على المدعوين من مصير الهلاك إن هم صدّوا عن دعوة الله ، هى ذات الشفقة الواردة فى الحديث الشريف الذى يعلمنا فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - كيفية سلوكنا أمام أخطاء الناس وتقصيرهم بهذه الصورة التمثيلية: (إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الدَّوَابَّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ فَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ ) (١)

ورسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - هو مثال الشفقة البالغة على أمته ، فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "تضييق نفسه عندما لا يجد قلباً طاهراً يبلغه دعوته ، مثلما تضيق نحن إن حُرِمَ من الأكل والشرب أو عندما نُحرَم من تنفّس الهواء ، فقد كان قلبه مفعماً بالأم دعوته . والقرآن المجيد يصف هذا فيقول (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) (٢)

١- أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب الانتهاء عن المعاصى ، حديث رقم (٦٤٨٣) ، (١٠٢/٨) وأخرجه الإمام مسلم ، كتاب الفضائل ، باب شفقته - صلى الله عليه وسلم - على أمته ومبالغته فى تحذيرهم مما يضرهم ، حديث رقم (٢٢٨٤) ، (١٧٨٨/٤) ، وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه ، أبواب الأمثال ، حديث رقم (٢٩٧٤) ، (١٥٤/٥) ، وقال الإمام الترمذى : هذا حديث حسن صحيح

وفى آيةٍ أخرى يقول (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (١) " (٢)

ومن تكون هذه صفته ، فإنه حتما لا يتعامل مع الناس بفظاظة قلب ، ولا يئثم نياتهم ، بل دوما يلتمس لهم الأعدار ، مع استمراره فى دعوتهم إلى الخير والحق .

إن الشفقة تجعل الداعية فى حراك دائم ، وفى عمل دؤوب ، لينقذ الناس من الظلمات إلى النور : "ولنوضح المسألة بمثال: تَفَكَّرْ فى نشوب حريق فى دار فيها عائلة كاملة بأولادها، ولكنك تكرههم، أو تصوّر باخرة غرقت وأفرادها - ممن لا تعرفهم- منتشرون على سطح الماء يستجدون بمن ينقذهم من الموت المحقق؛ فأمام هذا المنظر، لا شك أنك تهرع لإنقاذ أفراد تلك العائلة الذين تكرههم من النار، وإنقاذ أولئك الذين لا تعرفهم من الغرق، بل قد تخاطر حتى بحياتك فى سبيل إنقاذهم، ولو أراد أحدهم صرفك عن عزمك هذا فلا تعير له بالاً ولا سمعاً قط، لأن صوت وجدانك أقوى تأثيراً من أي صوت آخر، والحال أن من تريد إنقاذهم إنما تنقذ حياتهم التي لا تتجاوز الخمسين أو الستين سنة، فكيف يجب إذن أن يكون موقفنا تجاه أناس نريد إنقاذ حياتهم الأبدية الخالدة . " (٣)

هذا إذا كان من فى السفينة الغرقى لا تعرفهم ، ولا يمتئون إليك بصلة ، فكيف لو كانوا أهلك وعشيرتك الأقربين ؟ وكيف لو كان الحريق قد نشب بالفعل لا فى دار من تكرههم ، بل فى دارك أنت ؟ وفى مجتمعك الذى تحيا على أرضه ؟

ما أسهل أن نكره الملحد ، وأن نصبَّ غضبنا على المتقلت من أحكام الإسلام ، لكن ماذا يستفيد الإسلام من كرهنا هذا ؟

ولنا فى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأسوة الحسنة ما كان يريد لأهل مكة إلا هدايتهم و دخولهم الجنة، يريد لها حتى لأعدائه، فما كان ينتظر منهم شيئاً لنفسه قط؛ فلقد رُشِق بالطائف وأدميت قدمه الشريفة ووجهه المبارك حتى احتمى إلى بستان، وسعى الملك لإمداده قائلاً: "إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين"، ولكنه رفع يديه قائلاً: (أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً) (٤)

١- سورة الشعراء ، الآية : ٣

٢- النور الخالد محمد صلى الله عليه وسلم ، فتح الله كولن ، ص ١٥٣

٣- طرق الإرشاد فى الفكر والحياة ، فتح الله كولن، ص ١٦١

٤- أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين . . . ، حديث رقم (٣٢٣١) ، ( ١١٥/٤ )، وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب ما لى النبى - صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين ، حديث رقم (١٧٩٥)، ( ١٤٢٠/٣ ) .

وفي ساحة الحرب، عندما انكسرت سنه الشريفه، ودخل جزء من مغفره في وجهه المبارك وقعت قطرات من دمه الطاهر إلى الأرض، فرفع يديه إلى السماء كأنه يريد أن يصد غضب الله بالدعاء فقال: ( اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون )<sup>(١)</sup> وواضح جداً مدى الرحمة والشفقة من كل كلمة من هذا الدعاء الشريف .

وإذا كانت جهات كثيرة تطلق الآن صيحة إنذار من الإلحاد وإمكانية تحوله إلى ظاهرة لدى الشباب فإننا نجد الأستاذ كولن يعلن أن الحل لا يكمن في توزيع الاتهامات، ولا المواجهة بنصوص التكفير بل يتخذ من الشفقة ترياقاً لهذا السم الرعاف .

يقول : " إن الشباب الذي يضطرب بآلام الكفر محتاج إلى إسباغ رحمتكم ورأفتكم عليه ، فلن تحصدوا شيئاً بالقوة والإكراه، إن جيلاً كاملاً قد فني ومحي، ووضعت على الطرق المؤدية إلى المساجد حواجز وعقبات من الشهوات والأهواء، وجعلت الأمور الجسدية محراب هذا الجيل؛ فلم يعلموه شيئاً عن الدين والإيمان والقرآن، والآن هذا الجيل يضطرب في هذه الدوامة ، والذين يستحقون لعنة المؤمنين هم الذين دفعوا هؤلاء إلى هذا المجرى القذر ، فإن كان هناك تقصير في شيء فيعود إلى هؤلاء، ولا أقول أن الجيل الناشئ أو الشباب مبرراً عن الذنوب والآثام إلا أن مواجهته بذنوبه مباشرة بحدّة وخشونة لا يعنى شيئاً لإنقاذه، وأملنا أن ينقذ هذا الجيل من هذا المستنقع في أقرب وقت. وهذه غاية وجودنا و مبتغانا. " (٢)

نعم ، هذا الشباب ضحية مجتمعات لم تعرض له صورة الدين على وجهها الصحيح ولم تهئ له سبلّ الصلاح ، ولم تُنرّ الطريق امامه ليتبين الرشد من الغي . وعلى كلّ ، فالدعاة إلى الله - تعالى - رهم هداية الناس ، وليس توزيع الاتهامات عليهم ، والغلظة والقسوة لاتنشئ عقيدة ، ولاتبنى يقينا .

: " أجل ، يستحيل تبليغ أي شيء، لأي إنسان بالصياح والصراخ ، والحدّة والعنف ، ناهيك عن إقناعه بها ، وهذا يعنى أن يكون الداعي لئّن الجانب ، لئّن الفعّال والمقال لئّن القلب والوجدان ، حتى يتسنى له أن يكون داعياً حقاً . " (٣)

١- أخرجه الإمام البخارى في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، حديث رقم (٣٤٧٧) ، (١٧٥/٤) ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، من حديث عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - ، حديث رقم (٤٢٠٣) ، (٢٥٦/٧)

٢- طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن، ص ١٦٢

٣- الموسور ، فتح الله كولن ، ص ٤٤

**ثانيا - التضحية :** يعتبر فتح الله كولن أن التضحية من أهم صفات المبلِّغ، فالذين لا يضعون التضحية نُصب أعينهم منذ البداية ، لن يكونوا من رجال الدعوة، بينما المستعدون للتضحية بالمال -إن طُلب- وبالنفس - إذا تطلَّب- بل حتى بالأولاد والأهل والمقام والمنصب والشهرة إلى آخر الأمور التي يجعلها الآخرون مبتغى حياتهم، هؤلاء المستعدون للتضحية بهذه الأمور سينصب عرش دعوتهم في الذرى ،- على حد تعبيره - .

وقد كان الصحابة الكرام المثل الأعلى في التضحية حال هجرتهم من موطنهم إلى موطن دعوتهم : " فقد هاجر سيدنا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي- رضي الله عنهم - وهاجر كل غني وفقير وشاب وشيخ وامرأة من المسلمين ، هاجروا جميعاً وتركوا موطن آبائهم وأموالهم لظلمة مكة ولم يأخذوا شيئاً معهم إلا ما يسدّ الرمق، فالمهاجرون عندما تجشّموا كل هذه التضحيات في سبيل تبليغ دعوتهم التي آمنوا بها ، استقبلهم أهل المدينة: الأنصار، بالترحاب وضمّوهم إلى صدورهم. وهذا نوع آخر من التضحية؛ ذلك لأنهم آثروهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. **فرجال التبليغ والإرشاد أيضاً في الوقت الحاضر، عليهم أن ينفذوا هذا المفهوم للتضحية والتي تمثلت في عهد الصحابة الكرام الذين هم في الذروة في كل مجالات الحياة.** " (١)

وللتضحية بالمال وراحة البال ، في تجربة الأستاذ كولن ، مكانٌ ومكانةٌ بارزة لاتكاد تخطئها عين الباحث في هذه التجربة وتلك الحركة ، ولا ريب فدعوته في أساسها قائمةٌ على البذل والفداء والتضحية في سبيل الفكرة .

والأستاذ كولن يؤكد دائماً في كتاباته ومقالاته وأحاديثه على هذه المفاهيم ، وفي رأيه أن الداعية لا يعيش من أجل نفسه أبداً .

يقول أحد تلاميذه: " إن الأستاذ وهو يصف إنسان الخدمة يرسم صورةً لمؤمنٍ متفانٍ في الخدمة إلى حدّ نسيان طريق بيته وأسماء أطفاله ، عصاه دائماً مرتفعة ، دائماً يقول هل من مزيد؟! مهما يعمل من أجل الله ومن أجل الدين والإيمان والإسلام والإنسانية فهو قليل ، إنه فراشةٌ عشقِ دَوَّارة ، إنه يتحدث عن إنسان يقدم كل يوم تعريفاً جديداً للتضحية . " (٢)

ألا ما أروع هذا النموذج ، وما أحوجنا إليه في مجتمعنا .

١- طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن، ص ١٦٤

٢- مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، ورقة بحثية مقدم من أ. محمد انس أركنة ، ص ٣٠٦ ، ومما لاشكَّ فيه أن التوازن في حياة الداعية أمرٌ واجب ، وأن لنفسه وبدنه وأهله عليه حقا ، وأن أمثال هذه التشبيهات تحمل معاني رمزية ، لشدّ الهمم ، وإذكاء الحماسة - الباحث -

ثالثاً- المنطق والواقعية : المبلِّغ - كما يرسم صورته فتحُ الله كولين - إنسانٌ منطقيٌّ، سواءً في تقييمه الأحداث أو في تفهيمه مخاطبيه؛ فهو دائماً ينزل إلى مستوى مداركهم، ومن ثم يُقنعهم بما يريد، فكلّامه يكون مقبولاً من حيث مطابقتها أقواله وأحواله للمنطق والواقعية.

والمنطقية المقصودة ، ليست منطقية علمية بقدر ما هي منطقية واقعية ، تتفاعل مع الواقع ، وتنسجم مع الطبيعة البشرية ، ف: " لا يظنُّ أحدٌ أننا نحثُ المبلِّغ ليكون فيه جفاف المناطقة، وإنما نريد منه أن تكون أطواره وتصرفاته منطقية وضمن حدود المعقول والواقع ". (١)

ويضرب لذلك مثالا ، حين جاء شابُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستأذنه في الزنا ، فعن أبي أمامة: "أنَّ فتىً من قريشٍ أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا، فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا: مه مه، فقال: ادنُه، فدنا منه قريباً فقال: أتحبُّه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك! قال: ولا الناس يحبُّونه لأُمَّهاتهم ، قال: أفتحبُّه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك! قال: ولا الناس يحبُّونه لبناتهم ، قال: أفتحبُّه لأختك؟ ، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك! قال: ولا الناس يحبُّونه لأخواتهم ، قال: أتحبُّه لعمَّتكَ؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك! قال: ولا الناس يحبُّونه لعمَّاتهم ، قال: أتحبُّه لخالتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك! قال: ولا الناس يحبُّونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، قال أبو أمامة: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء". (٢)

لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الحوار الذي يجمع بين المنطقية والواقعية من جهة ، والرحمة والشفقة من جهة أخرى ، أن يجعل هذا الشاب بين يديه يوجهه الوجهة التي يريدُها ، وبهذه المزوجة بين المنطقية والواقعية تجد أقوال الداعية طريقها السريع في التطبيق العملي ، والداعية الحصيف طيببٌ يشخصُ العلة التي أمامه ، ويهيئ لها الشفاء المناسب من كلام الله - تعالى - ، وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - .

١- طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولين، ص١٦٧

٢- أخرجه الإمام احمد في مسنده من حديث أبي امامة الباهلي ، حديث رقم (٢٢٢١١)، (٥٤٥/٣٦) وقال محققه الشيخ أحمد شاکر - رحمه الله- ، إسناده صحيح ورجاله ثقاة رجال الصحيح ، وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير، باب الصاد، حديث رقم (٧٦٧٩)، (١٦٢/٨)

رابعاً- عمق العالم الروحي للداعية : المبلّغ- كما يراه كولن - صاحب عالم روحي عميق أيضاً، ذلك لأن قوله ينعكس على الآخرين بنسبة عمق عالمه الروحي، فكلما اقترب إلى المولى العزيز قرّبه المولى إليه حتى يكون رضا الله - سبحانه- أساس كل حركة له ، فتجرى حركاته كلها في ظل تأييد الله سبحانه ، فكلما عمل بما علّمه الله ما لم يعلم وسدّد خطاه .

: " حتى يغدو حلالاً لأصعب المعضلات المستعصية على الآخرين وبكل سهولة ويسر . فيتميز في المجتمع لاستمراره عليها، ومن كان شأنه هذا، ترده فيوضات مقدسة من الله سبحانه، فيُديم إرشاده بجاذبية قوية للمجال المغناطيسي المتولد من تلك الفيوضات، حتى يصبح محيطه كأنه ظلُّ إلهي يتقياً إليه الألوّف بل مئات الألوّف من الناس، وهكذا فالجاذبية القوية لدى المرشدين العظام نابعة من هذا العمق الداخلي، إذ قد حصل المرشد الذي بلغ هذه الحالة على اليقين التام وامتلك زمام القوة الساحرة لليقين ، وما بلوغ اليقين إلاّ بلوغ الكمال في الإيمان. " (١)

فالعمق الداخلي للداعية يجعله دائماً موصولاً بالله - تعالى - ، يشعر انه ليس في حاجة إلى استحسان الناس ، وليس أسيراً لنظرات الإعجاب ، أو كلمات المديح

يقول ابن عطاء الله السكندري : " تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التّنويرُ وصل التعبيرُ " ويقول : " كلُّ كلامٍ يبرزُ وعليه كسوةُ القلب الذي منه برز " (٢)

فالعارفون بالله إذا أرادوا إرشاد العباد توجهوا إلى الله بقلوبهم في هدايتهم فيخرج حينئذ من قلوبهم أنوار ناشئة من نور سرائرهم تسبق أقوالهم ، فحيث صار هذا التّنوير وصل التعبير في قلوب السامعين فينتفعون بأقوالهم أتم انتفاع ، ذلك أن كل كلام يصدر من قلب إنسان يخرج وعليه نور هذا القلب أو ظلمته .

١- طرق الإرشاد في الفكر والحياة ، فتح الله كولن،، ص ١٦٩

٢- الحكم العطائية ، لابن عطاء الله السكندري ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، ط ٢ ، دار السلام ، القاهرة ، ٢٠٠٨م

---

## المبحث الرابع

# الحقائق الصُّوفيَّة في تجربة فتح الله كولن الدعوية

وفيه مطلبان :-

- 1 / المطلب الأول : حقيقة التصوف والصوفيّ عند "فتح الله كولن "
- 2 / المطلب الثاني : فتح الله كولن صدى "جلال الدين الرومي"

## المطلب الأول

### حقيقة التصوف والصوفيّ عند فتح الله كولن

التصوف عند فتح الله كولن وفي تجربته الدعوية هو مايعبر عن الطرق الموصلة إلى الحق تعالى ، وهو يورد في تعريفه ماتواتر عن كبار المتصوفة ، ثم يخلص إلى تعريف للتصوف - وفق منظوره - بأنه : " الانسلاخ من الصفات البشرية - في معيار - والتدثر بالأوصاف المَلَكِيَّة والأخلاق الإلهية ، و العيش في مدار معرفة الله ومحبته تعالى والتذوق الروحاني " (١)

والانسلاخ من الصفات البشرية ، يعنى التحرر من قيود الطين ، التي تشد الإنسان إلى كل ما هو أرضي ، لتطلق روحه من أسرها الجسدي ، وحينها يستطيع أن يتخلق بأخلاق الله - سبحانه - ، ويحيا في فلك المعرفة الإلهية ، ويتذوق حلاوة الإيمان .

ثم يزيد التعريف وضوحا فيقول : " إن أساس التصوف هو الرعاية لآداب الشريعة ظاهراً، والوقوف على تلك الآداب باطناً، فالسالك الذي يحسن استعمال هذين الجناحين يرى من الباطن ما في الظاهر من الأحكام، ويشعر ويعيش في الظاهر بالأحكام التي في الباطن . وبفضل هذه المشاهدة والشعور يسير دوماً بأدبٍ نحو الهدف ، ويجول قريباً منه ويحوم حوله. " (٢)

فإذا كان الفلاسفة في بلاد الغرب ، والروحانيون في الديانات الهندية وغيرها ، يبحثون في ما وراء الطبيعة ، ثم يدخلون في مجاهل وتجارب قد تصل ببعضهم إلى طريقٍ لارجعة منه ، فإن التصوف الإسلامي يختصر هذه المسافات نحو الغيب الأعلى مستنيراً بنور الوحي الإلهي ومسترشداً بهدایات السماء ، وتعاليم الأنبياء .

إن : " الفلسفة والحكمة توسعان ذهن الإنسان وأفقَه وتساعده على فهم الأشياء والحوادث ، أما التصوف فإنه يؤمن تقارب الإنسان مع ربه وخالقه في بُعد وأفقٍ يستحيل إدراكه،، فالتصوف روح الإسلام، ولا يمكن تصور الإسلام دونَه. " (٣)

١- التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح : فتح الله كولن صد٤١، ط٥، دار النيل، القاهرة ٢٠١٢م

٢- المرجع السابق ، صد١٤

٣- الموازين أو أضواء على الطريق ، صد ١٢٢



وتوضيح هذه المسألة واجب ، لاسيما وأن هناك اتجاهٌ يسير في طريق التصوف الهندي ، وتطبيقاته من أمثال اليوجا<sup>(١)</sup> والتأمل وغيرها ، وذلك نتيجة للمادية الغربية المفرطة ، التي تجعل الكثيرين يبحثون عما يروى ظمأً أرواحهم في هذه المسالك .

إن ما يطرحه الأستاذ كولن عن التصوف ، وإن كان يبدو في بعض تطبيقاته وعباراته قريب من التصورات السابقة إلا أنه مختلفٌ شكلاً وموضوعاً عنه .

يقول الأستاذ : " وإذا ما نظرنا إلى المسألة من هذه الزاوية يتوضح أمامنا : أن الصوفي لا علاقة له بالفلاسفة والروحانيون النصارى واليوجا قطعاً ، كما أن التصوف لا علاقة له بالفلسفة ولا بالروحانية النصرانية من قريب ولا من بعيد . نعم ، إن فلاسفة اليونان والهند قد ساروا حقاً في طريق تصفية النفس قبل ظهور الإسلام وقاموا بما يشبه عمل الصوفيين من المجاهدة ، ولكن **الطريقين مختلفين اختلافاً كلياً من حيث الأصل والأساس** ، ذلك لأن الصوفيين يحققون التصفية بالتمسك بأسس الذكر والعبادة والطاعة ومحاسبة النفس والتواضع ، بينما تصفية الفلاسفة ، إن كانت تسمى تصفية ، فهي تصفية اعتبارية ، ليس فيها عبادة ولا طاعة ولا مراقبة نفس ولا تواضع ولا إنكار الذات ، بل فيها دوماً الغفلة وتضخيم الأنانية إلى حدّ الوقاحة والطيش ."<sup>(٢)</sup>

والشيخ فتح الله كولن - وعلى عادة أهل كلِّ فنٍ في التعريف بعلمهم - يوضح أن للتصوف أصلٌ وموضوعٌ وقاعدةٌ وأساس .

﴿ **أصل التصوف** : هو الاعتصام بأسس الدين بقوة ، ومراعاة أوامره ونواهيه بدقة . ومجانبة حظوظ النفس قدر المستطاع بملازمة الجوع واليقظة .

﴿ **موضوع التصوف** : رفع الإنسان إلى مستوى الحياة القلبية والروحية ، وتصفية القلب ، وتوجيه النية إلى الله ، وتجريد القلب مما سواه .

﴿ **وفائدة التصوف** : تحفيز الإنسان لتنمية جوانبه الروحية واستشعار الإيمان كرامةً أخرى كشفاً وذوقاً والعيش به .

﴿ **أساس التصوف** : تعميق شعور العبودية وترسيخه بالمواظبة على العبادة والطاعة وجعله جانباً مهماً لطبيعة الإنسان ، وبلوغ الروحانية التي تُعدُّ فطرةً ثانية للإنسان - والانتباه إلى

١- مجموعة من الطقوس الروحية القديمة تشمل طريقة فنية أو ضوابط محددة من التصوف والزهد والتأمل وموطنها الهند وهى فى الأصل جزء من الهندوسية ، وأصبحت اليوجا مرتبطة بالممارسة فى وضعية معينة من التمارين .

٢- التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح ، فتح الله كولن ص٢٧

وجهي الدنيا المتوجهين إلى العقبى وإلى الأسماء الإلهية الحسنى ، مع الانغلاق التام تجاه وجه الدنيا الفاني المتوجه ذاتها ، وإلى أهوائنا. (١)

ويرى الأستاذ كولن أن للتصوف أركاناً ، يقوم عليها ، وبدونها لا يقوم بنيان التصوف ، ولا تنمُّر شجرته المورقة ، ويمكن أن نجعلها فيما يلي :-

أولاً - **بلوغ التوحيد الحقيقي بطرق نظرية وعملية** ، وهو يعنى بالتوحيد الحقيقي ، توجه القلب إلى الله في كل حركة وسكنة ، بحيث لا يرى المؤمن في الكون مالكا أورازقا او فاعلا على وجه الحقيقة سوى الله - سبحانه - .

ثانياً - **قراءة أوامر حضرة (٢) القدرة والإرادة الإلهيتين ومعاينتهما بجنب الاستماع إلى حضرة الكلام الإلهي وفهمه** ، وهذا يعنى بالضرورة أن يحيا القلب في معية الأسماء والصفات ، فيرى قدرة الله في كل شيء ، ويرى رحمته في كل حدث ، ويرى لطفه في كل قضاء ، وهكذا ، وتتفاعل هذه المعية مع تلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته ، وحينها يكون للقرآن الكريم في عقل القارئ وقلبه روحاً جديدة .

ثالثاً - **الامتلاء بمحبة الحق سبحانه** ، والنظر لأجله إلى الموجودات أنها مهد الأخوة والقيام بحسن المعاشرة مع الناس قاطبة، بل مع كل شيء ، وهذا هو ما يتجلى فيه التصوف السلوكي ، الذي يتبنى الموقف الإيجابي من المجتمع ، والذي ينطلق من المحبة الإلهية ، إلى مخالطة الناس ، والصبر على أذاهم ، ومعالجة عيوبهم .

رابعاً - **العمل بروح الإيثار في كل وقت وحين** ، بتفضيل الآخرين قدر المستطاع على نفسه ، وتفضيل الآخرين هنا ، معناه تقديم خدمتهم ودعوتهم إلى الله على مصالح نفسه ، ولاشك أن

١- التلال الزمرديّة نحو حياة القلب والروح ، فتح الله كولن ، بتصرف ، ص ١٥ - ١٨

٢- يستعمل الأستاذ عبارات " حضرة القدرة " و " حضرة الإرادة" وأمثالها من العبارات التي تتم عن المبالغة في التوقير والتبجيل ، وعندما سئل عن سبب استعماله هذه العبارات . أجاب : لقد استعملت مثل هذه العبارات في المواقع التي تتعلق بالذات المقدّسة، فقلت حضرة العلم وحضرة القدرة لأنني أراها تسمو على الصفات، إذ ينبغي الدقة المتناهية فيما يخص ربنا الجليل . فإننا لا نتكلم عن أمر عادي، نحن نتكلم عن ذات مقدّسة جليّة، لذا تملكني منتهى الرهبة والخشية أثناء كلامي أو كتابتي عنها، فأسعى للعثور على الكلمات المناسبة والتعبير اللاتقة . (الخابية المنفطرة للاستاذ محمد فتح الله كولن" باللغة التركية"

ويرى الباحث أنه وعلى الرغم من عاطفة التقدير والتبجيل ، إلا أن التقيد بما ورد في القرآن والسنة ، أولى وأهدى وأرشد ، لاسيما فيما يختص بالحديث عن الذات الإلهية ، والله أعلم

اعتبار هذا ركناً من أركان التصوف ، نقلتُ كبيرة في المفهوم التقليدي للتصوف والصوفية بشكل عام ، وهذا المعنى هو الذي سار عليه أرباب التصوف والسلوك .

وهو مالم يبتدعه الأستاذ فتح الله ، وإنما أعاد إحياء مفهومه من جديد .  
يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني <sup>(١)</sup> ، موضحاً حال المريدين مع الناس : " يصير كأنه لا نفس له ولا طبع ولا هوى ، ينسى طعامه وشرابه ولباسه ، يصير ناسياً لنفسه ، ذاكرة لربه - عز وجل - ، يخرج بقلبه عن نفسه والخلق ، ويبقى بربه عز وجل ، كل طلبه نفع الخلق ، قد سلم نفسه إلى يد قضاء ربه عز وجل . " <sup>(٢)</sup>

وهو يقول في موضع آخر : " من صحَّت تبعيته للرسول - صلى الله عليه وسلم - ألبسه درعه وخوذته ، وقلده سيفه ، ونحله من أدبه وشمائله وأخلاقه ، وخلع عليه من خلعه ، واشتد فرحة به ، كيف هو من أمته ؟ ثم يجعله نائباً له فلا أمته ، ودليلاً وداعياً لهم إلى باب الحق . " <sup>(٣)</sup>  
والتصوف بهذا المفهوم هو تصوف متحرك ، يبني ولا يهدم ، يجوب الآفاق ولا ينزوي في زاوية المسجد ، أو على أبواب الأضرحة والتكايا .

خامساً - **الاكتفاء بالأذواق الروحية ضمن الدائرة المشروعة** ، وهو يؤكّد في هذه الإطار على عدم الإقدام خطوة إلى الدائرة غير المشروعة <sup>(٤)</sup> ، وهذا أمرٌ بالغ الخطورة لاسيما عندما نتحدث عن التصوف ، ذلك أن بعض المتصوفين خانتهم عباراتهم ، فضلوا وأضلوا ، وهو ما يحذر منه الأستاذ فتح الله كولن مؤكداً أن الدائرة المسموح بها هي دائرة الشريعة لا غيرها ، وفي هذا سدٌّ لبابٍ قد يدخل منه الأعداء ، الذين يستخدمون عبارات المتصوفين ولا يسلكون مسلكهم ، فتتشابه على الناس الأقوال ، وتختلط المفاهيم .

" إن حمرة الخجل لا تصنعها بعض المساحيق المجلوبة ، والأزهار الصناعية قد يكون بها شبه من الأزهار الطبيعية ، لكن أين عصارة الحياة ، ونعومة الملمس ، ونفح الرائحة الذاتية ؟ ، ربما نام ناسٌ على الحصير فانطبع عيادته في جلودهم ، هل يمنحهم ذلك شبها بالرسول الذي رمق الدنيا بنظرة غائبة لأن فؤاده حاضرٌ مع ربه ، يقظان في حضرته ، مستغرق في شهوده ؟ إن الرجل لا يكون قائداً لأنه عثر على بدلة قائدٍ فلبسها . " <sup>(٥)</sup>

١ - الشيخ عبد القادر الجيلاني (٤٧٠ - ٥٦١ هـ) إمام متصوف ، وفقه حنبلي ، وإليه تنتسب الطريقة القادرية الصوفية

٢ - الفتح الرباني والفيض الرحمانى ، للشيخ عبد القادر الجيلاني ، ص ٢١١ ، ط ١ ، منشورات الجمل ، بغداد ٢٠٠٧ م

٣ - المرجع السابق ، ص ١٠٧

٤ - التلال الزمرديّة نحو حياة القلب والروح ، فتح الله كولن ص ١٦

٥ - فنُّ الذكر والدعاء عند خاتم الانبياء ، محمد الغزالي ، ص ٤٩ ، ط ٢ ، دار الشروق ، القاهرة ٢٠٠١ م

سادسا - عدم النسيان- ولو للحظة واحدة - أن لا نجاهة إلا بطريق اليقين والإخلاص والرضا الإلهي ، بل إن الأستاذ كولن ليُحَدِّر من هذا النسيان حتى ولو كان العمل باسم خدمة الدين وفي سبيل إبلاغ الإنسانية قاطبة إلى الحق سبحانه (١) ، وهذا مزلقٌ خطير ينزلق فيه العاملون للإسلام ، والسالكين طريقه ، من أجل هذا وجدنا الإمام ابن القيم في " مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين " ، يستعرض منازل السائرين ، وحين ينتهي إلى آخر منزلة منها وهي منزلة الشهادة ، يقول فيها : " وهي نهاية رحلة المؤمن إلى الله ورسوله ، وتقوده إلى تكرار السير والانعطاف إلى باب البداية . " (٢)

فليس هناك مرحلة أو منزلة يقول فيها السالك : الآن قد وصلت ، بل هو في رحلة دائبة إلى الله في كل لحظة من حياته .

ويؤكد الأستاذ كولن على هذا المعنى في مواطن كثيرة ، ويؤكد أن المؤمن ينبغي له عند كل عمل يعمل ، أو خدمة يقوم بها أن يوقع بـ " لاشئ " .

ف: " من العوامل المهمة للوصول إلى التوحيد مراجعة الإنسان نظرته إلى نفسه أمام الله - سبحانه - ، وتأتي في هذا السياق مقولةٌ بديع الزمان النورسي : أيتها النفس المرئية لاتغترى بقولك : أنا خدمتُ الدين ، فإن الرسول يقول (إِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ) (٣) فعليك أن تعتبرى نفسك ذلك الرجل الفاجر ، فهو يضع نفسه موضعها ، إنه بهذا يعطينا درساً عظيماً ، فعلى أن نوقع أمام أعمالنا بـ : لاشئ. " (٤)

وهذه الأركان التي يجعلها كولن مع غيرها ، أساساً للتصوف تحدد الملامح العامة لما يراه من حقائق التصوف باعتبارها أساساً ومرتكزاً من أهم المرتكزات التي تعتمد عليها تجربته الدعوية ، وقد اخترتُ منها ما يتناسب مع موضوع البحث ، وما يعد حقيقة يمكن الاعتماد عليها في تفسير وفهم التجربة الدعوية والمدرسة الفكرية للشيخ فتح الله كولن .

١- التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح ، فتح الله كولن ص ١٧

٢- تهذيب مدارج السالكين لابن القيم ، عبد المنعم صالح العزّي ، ص ٥٣٩ ، ط ٢ ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، القاهرة ٢٠٠٣م

٣- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر (٧٢/٤) ، حديث رقم (٣٠٦٢) ، و أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١٠٦/١) ، حديث رقم (١٧٨) ، وهو جزء من حديث

٤- شدُّ الرِّحالِ إلى غاية سامية ، فتح الله كولن ، ص ٢٠٥

## المطلب الثاني

### فتح الله كولن صدى "جلال الدين الرومي" في هذا الزمان

هناك سلسلة كتب عن التصوف ألفتها الأستاذ فتح الله كولن هي: "التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح" في ثلاثة أجزاء ، وقد تُرجم إلى العربية الجزء الأول فقط (١) ، وفيها وفي غيرها من المؤلفات تتضح ثقافته في هذا الجانب الهام من جوانب المعرفة الإسلامية ، ويتبين جزء شديد الأهمية من تجربته الذاتية والدعوية .

يقول الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ : " لقد قرأ فتح الله كولن لعمالقة التصوف الكبار، من عرب وفرنس وترك ، وكان له من وجدانه الشعري، وحسّه المرهف خير معوانٍ على ذلك، فشرب من الكأس نفسها التي شربوا منها، وخاض البحار نفسها التي خاضوها، وعانى ما عانوا ، ووجدَ مثل وجدهم ، واتقدت شمسُ المحبة في قلبه كما اتقدت في قلوبهم ، وأنَّ، وحنَّ، وفاض وجدُه، والتهب شوقه، وعلا نشيجُه، واحترق قلبه، إلا أنه ظلَّ ممسكًا بميزان الشريعة ليفرق بين مقبولها ومرفوضها . " (٢)

غير أن هناك شخصية فريدة في التاريخ الإسلامي عامة ، والصوفي على وجه خاص ، لم تلقَ الكثير من الدراسة والإفادة منها في ثقافتنا العربية - في اعتقادي - وهو مولانا جلال الدين الرومي ، وحين قرأتُ سيرة "الرومي" (٣)، وطرفاً من أقواله وأشعاره - المترجمة - وقارنتُ بين سيرته وتجربته الروحية ، وبين تجربة فتح الله كولن ، لاسيما في الإنفتاح والتسامح ، وعمق الجانب الروحي عنده ، أدركتُ مدى العلاقة الوطيدة بين الرجلين ، ومدى تأثر فتح الله كولن بالرومي في تجربته الصوفية ، أضف إلى هذا أن الأستاذ سعيد النورسي - شيخ كولن - ، ألف كتابه المسمّى "المتنوي العربي النوري"، متأثراً بالرومي في كتابه الشهير "المتنوي" .

١- في لقاء للباحث مع مركز النيل للترجمة ، في التجمع الخامس بالقاهرة ، أخبرني المسئولون عن ترجمة مؤلفات الأستاذ فتح الله كولن أن الجزأين الثاني والثالث من كتاب " التلال " قيد الترجمة .

٢- أ. إبراهيم الدباغ : من مقدمة التلال الزمردية ، ص ٧

٣- هناك مؤلفات كثيرة تناولت حياة الرومي ، وقد اعتمد الباحث على مرجعين منهما : مولانا جلال الدين الرومي ، أ.د.جيهان أوقوبجو ، ترجمة أورخان محمد علي ، دار النيل ٢٠١٤م ، و " قواعد العشق الأربعون " رواية من تأليف إليف شافاق ، ترجمة خالد الجبيلي ، مكتبة طوى ، بيروت ٢٠١٢م

فالنورسي : " يفصح أنه استأنس في تأليف كتابه بـ"المتنوي" لمولانا جلال الدين الرومي، إلا أن الفرق بينهما أن متنوي الرومي كان بالفارسية، أما متنوي النورسي بالعربية، وهو وإن لم يكن شعرا كمتنوي الرومي إلا أن أنفاسه شاعرية أدبية بإجماع النقاد " (١)

والنورسي ذاته يقول : " لو عشتُ زمن الرومي لكتبتُ "المتنوي" الذي كتبه، ولو عاش هو زماني لاضطرُّ إلى كتابة "رسائل النور" التي كتبتُها. " (٢)

ومن العجيب أن "الرومي"، لم يزل الشهرة الكافية ، ولا الاهتمام بفكره وتجربته في الأوساط العربية على الرغم من أن تأثيره الكبير والعميق في كثير من الأجيال المتعاقبة ، ولكن متى كانت الشهرة دليل فضل ، ومتى كان انعدامها دليل نقص؟! بل الأمر كما ذكر الدكتور عبد الله دراز في مقدمة كتاب " الموافقات في أصول الشريعة " لأبي إسحاق الشاطبي في رده على بعض من استنكروا إطرئه للكتاب مع انعدام شهرته فقال : "فإنه لا يلزم من الشهرة وعدمها فضلٌ ولانقص ، فالكتب عندنا كالرجال ، فكم من فاضلٍ استتر ، وعاطلٍ ظهر. " (٣)

بل إنَّ هناك من تتلمذ على أفكار الرومي وآثاره ، كان أكثر شهرةً لدى القارئ العربي من "الرومي" ذاته ، وأبرز هؤلاء : شاعر الإسلام "محمد إقبال" (٤)

فلم يزل إقبال يذكر "الرومي" في أشعاره ، منوهاً بفضله ، فهو يقول في بيتٍ يخاطب أحد الذين غرَّهم سحرُ الغرب : " قد سحرَ قلبك سحرُ الإفرنج ، فليس لك دواءٌ إلا لوعة قلب الرومي ، وحرارة إيمانه ، لقد استتار بصرى بنوره ، ووسع صدرى بحرا من العلوم " (٥).

وكان إقبال يرجو أن يُجدد علم الرومي ورسالته في القرن العشرين ، ويخلفه في مهمته العلمية والروحية ، يقول إقبال : " لم ينهض روميٌّ آخر من بلاد العجم ، إلا أن إقبال ليس قانطاً من

١- إشراقات قلب ولمعات فكر : النورسي أدبيا ، أديب إبراهيم الدباغ ، ص ٢٥ ، دار النيل القاهرة ٢٠١١م

٢- المتنوي العربي النوري، سعيد النورسي، ص ٤٨

٣- من مقدمة "الموافقات" للشاطبي ، تحقيق د.عبدالله دراز ، ج ١ ، ص ١١ ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م

٤- محمد إقبال : شاعر الإسلام ، ولد عام ١٨٧٧م ، درس الفلسفة والتاريخ والسياسة ، وسافر إلى لندن عام ١٩٠٥م ، ثم إلى ألمانيا وحصل على الدكتوراه في الفلسفة ، وإقبال هو صاحب فكرة إقامة دولة للمسلمين في الهند ، والتي إقيمت بعد وفاته ( باكستان ) ، وقد نظم إقبال شعره بالفارسية ، وترجم ديوانه إلى العربية شعرا ونثرا ، وممن ترجم عنه د. عبد الوهاب عزام ، والشيخ الصاوي شعلان ، وغيرهما شعرا ، وقد ترجم الشيخ أبو الحسن الندوي ديوان إقبال نثرا لما رأى من بعض القصور في الترجمة الشعرية ، لإحاطته التامة باللغتين الفارسية والعربية . ( روائع إقبال ، باختصار وتصرف ، أبو الحسن الندوي )

٥- مقدمة ديوان إقبال ، الجزء الاول ، ص ٤٢ ، نقلا عن الترجمة النثرية لأبي الحسن الندوي .

تُرْبته ، فإذا سُقِيَت بالدموع أنبتت نباتاً حسناً، وأنت بحاصلٍ كبير " (١)، وفي ديوانه الذي ترجمه إلى العربية الدكتور عبد الوهاب عزّام يقول:

امض كالروميّ شمعاً يشتعل  
وارم من تبريز في الروم الشعل (٢)  
ويقول في موضعٍ آخر:-  
صير الروميّ طينى جوهراً  
من غبارى شاد كوناً آخر (٣)

### ل من هو "جلال الدين الرومي" ؟

وُلد محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين ، الملقَّب بـ"الرومي" في مدينة بلخ في خراسان ( تقع حالياً في أفغانستان ) ، في ربيع الأول من عام ٦٠٤ هـ ، الموافق ١٢٠٧ م . وكانت عائلته تحظى بمصاهرة البيت الحاكم ، وكان والده يُلقَّب بسُلطان العارفين لما له من سعة في المعرفة والعلم بالدين والقانون والتصوف .

عند قدوم المغول ، هاجرت عائلته هرباً إلى نيسابور ، حيث التقى الروميّ هناك الشاعر الفارسي الكبير فريد الدين العطار ، والذي كان له أثره على الشاب وكان الدافع لغوصه في عالم الشعر والصوفية ، وهناك لُقِّب بـ"جلال الدين" ، ثم تابعوا الترحال إلى سوريا ومنها إلى مكة المكرمة رغبةً في الحج ، وبعدها ، واصلوا المسير إلى الأناضول واستقروا فيها لمدة سبع سنوات حيث تزوج الرومي بجوهرخاتون ، وأنجب منها ولديه : "سلطان ولد" و"علاء الدين شلبي" . ثم توجه مع والده إلى مدينة "قونية" في بلاد الأناضول بدعوة من أميرها السلجوقي ، واستقرّوا بها ، وفي عام ١٢٤٠م توفي "برهان الدين" فانتقل الرومي إلى مزاولة العمل العام في الموعدة والتدريس في المدرسة و خلال هذه الفترة .

توجّه الرومي إلى دمشق وقضى فيها أربع سنوات حيث درس مع نخبة من أعظم العقول الدينية في ذلك الوقت ، فأصبح جلال الدين عالماً فقيهاً، وصل في الفقه إلى مرتبة الاجتهاد والأهلية ولذا وردت ترجمته في كتب طبقات الحنفية بين الفقهاء والمفتين، وهو إلى جانب ذلك أحد أقطاب الصوفية المشهورين .

١- ديوان إقبال ، الجزء الاول ، ص٤٢

٢- في إشارة إلى جلال الدين الرومي ، وشمس الدين التبريزي ، والعلاقة الروحية التي جمعت بينهما ، مما سيأتي بيانه ، ديوان إقبال ، ج١ ، ص ١٣٨

٣- يشير هنا إلى مدى تأثره بالرومي ، إلى الدرجة التي اعتبر أن الرومي أحيا روحه من موات ، وحول طينته الفانية إلى كونٍ آخر من عالم الروح والوجدان ، ديوان إقبال ، ص ٢٣٠

وفي عام ١٢٤٤م وصل إلى مدينة قونية الشاعر الفارسي "شمس الدين تبريزي"، باحثاً عن شخص يجد فيه خير الصحبة وقد وجد في الرومي ضالته ، ولم يفترق الصحابان منذ لقائهما حتى إن تقاربهما ظل دافعاً لحسد الكثيرين على جلال الدين لاستثنائه بمحبة القطب الصوفي التبريزي ، وفي عام ١٢٤٨م اغتيل التبريزي ولم يُعرف قائله ويُقال إن شمس الدين التبريزي سمع طرقاتاً على الباب وخرج ولم يعد منذ ذلك الحين.

كان حزن الرومي على موت التبريزي وحبه العميق له دافعاً له ليخوض بحر الشعر ، فجادت روحه بأشعار تحولت إلى ديوان سماه: ديوان شمس الدين التبريزي أو "الديوان الكبير" . وحتى مماته كان الرومي يقدم المواعظ والمحاضرات إلى مريديه ومعارفه وللمجتمع ، ووضع معظم أفكاره في كتب بطلب من مريديه وتوفي في ١٧ ديسمبر ١٢٧٣م وحمل نعشه أشخاص من ملل شتى إلى قبر بجانب قبر والده وسمى أتباعه هذه الليلة بـ "ليلة العرس" . (١)

## آثاره الفكرية والشعرية

﴿ **مثنويه المعاني** : أو " المثنوى" وهي قصائد باللغة الفارسية، ويعتبره كثيرون من أهم الكتب الصوفية الشعرية ، وقد نشره المجلس الأعلى للثقافة في مصر عام ٢٠٠٢م ، من ترجمة وتقديم د. إبراهيم الدسوقي شتا .

﴿ **الديوان الكبير أو ديوان شمس الدين التبريزي** والذي كتبه في ذكرى موت صاحبه العزيز وملهمه في طريق التصوف والشعر، شمس الدين التبريزي ، وكتب فيه أكثر من أربعين بيت شعر وخمسين قصيدة نثرية.

﴿ **كتاب فيه ما فيه** : وهو كتاب يحتوي على واحد وسبعون محاضرة القاها الرومي في صحبه في مناسبات مختلفة. وهو من تجميع مريديه وليس من كتابته هو .

وكتاب المثنوى ، على وجه التحديد هو أعظم إبداعات الرومي ، وأكثرها تأثيراً ، فقد : " كتبه مولانا جلال الدين الرومي في ثورة وجدانية ونفسية شديدة ، ضد الموجة العقلية الإغريقية التي اجتاحت العالم الإسلامي في عصره ، والكتاب متدفق قوةً وحياءً ، زاخرٌ بالأدب العالي والمعاني الجديدة ،

١ - مثنوى مولانا جلال الدين الرومي ، ، ترجمة وشرح د. إبراهيم الدسوقي شتا ، المقدمة من ص ٨ - ٣٠ بتصرف واختصار ، المركز القومي للترجمة ، ط٤ ، ٢٠١٥م



والأمثال الحكيمة ، والنكت البديعة ، والحكم الغالية ، ولايزال له التأثير القوى فى تحرير الفكر من رِقّ العقل ، والخضوع للمادية الرّعناء . " (١)

والدارس فى تجربة الأستاذ فتح الله كولن ، يرى هذا التأثير البالغ بالرومى لاسيما فى كتابه : المثنوى ، فى " التلال الزمردية " والذى هو عبارة عن شرح للمقامات التى يقف عندها السالك من الإخلاص إلى الاستقامة والتوكل والتواضع والفتوة بالرضا والصبر والخوف والرجاء واليقين والذكر والمعرفة والمحبة والأنس والشوق والقبض والبسط .

أقول : القارئ لهذه الملحمة الصوفية يجد أن الشيخ فتح الله كولن لا يكاد ينتهى من أحد هذه المقامات حتى يكتب بيتا يدل عليه من مثنوى جلال الدين .

وهكذا فإن الحقائق الصوفية التى يرتكز عليها كولن فى تجربته الدعوية ، تتواءم مع الأفكار التى طرحها الرومى فى عصره ، ف : " يستطيع المرء أن يلاحظ أن كولن يتحدث كأنه الرومى فلدى الرومى - كما يقول كولن - الحماس والدافع للسعى فى طلب الحق أياً كان شكله أو مظهره ، وقد غدا كولن صوتاً آخر للرومى جعل من روحانياته مصلحا وناشطا اجتماعيا ، وهو ماجعل كولن كاتباً وداعية فريدا ، ليس فى تركيبا فحسب ، بل فى المسرح الدولى أيضا تماما كما الرومى . " (٢)

## الدعوة إلى الحب

لقد ظهر الرومى فى عصر طغت فيه النزعة العقلية ، والجدل الفلسفى على مختلف العلوم ، حتى كادت أن تذهب ببريق التصوف وروحانيته ، وكان العالم الإسلامى فى حاجة ملحة ، جاء الرومى ليُشعل المحبة فى القلوب ، المحبة الخالصة لله - سبحانه - ، ومنها تتفرع محبة خلق الله - تعالى - المحبة غير المشروطة بشرط ولا المحدودة بمكان .

يقول الرومى : "إن الحب يحوّل المر حلواً ، والتراب تبرا ، والكدر صفاءً ، والألم شفاءً ، والسجن روضة ، والسقم نعمة ، والقهر رحمة ، وهو الذى يلين الحديد، ويذيب الحجر، ويبعث الميت، وينفخ فيه الحياة ."

١- روائع إقبال ، أبو الحسن الندوى ، ص ٤٧

٢- فتح الله كولن الرؤية والتأثير : تجربة فاعلة فى المجتمع المدنى ، مايمول أحسن خان ، ص ٣٤ ، ط ١ ، دار النيل ،

القاهرة ، ٢٠١٥م

ويقول : "إن هذا الحب هو الجناح الذي يطير به الإنسان المادي الثقيل في الأجواء ، ويصل من ومن الثرى إلى الثريا ، بارك الله لعبيد المادة وعباد الجسم في ملكهم وأموالهم!! لا ننازعهم في شيء. أما نحن فأسارى دولة الحب التي لا تزول ولا تحول " (١)

والحب عند الرومى هو الشفاء من كل أمراض القلب ، لأن الحب شعلة إذا التهبته أحرقت كل ما سواه ، فلا كبر ، ولا خيلاء ، ولا جبن ولا خوف ، ولا حزن ولا حسد ولا بخل ، ولا عيب من العيوب النفسية .

: "حيّاك الله أيها الحب المُنْزِي! يا طبيب علّتي وسقمي! يا دواء نخوتي وكبري! يا طبيبي النَّطَاسِي! يا مداوي الآسي!" (٢)

## احترام الإنسان والإنسانية

إن الاعتزاز بـ " الإنسان " و " الإنسانية " سمتان تميّزتا تصوف الرومى عن غيره ممن سبقه وعاصره ، إنه ينادى باحترام الإنسان من حيث كونه إنسانا ، وهو ينطلق من قول الله - سبحانه - ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾ (٣) ، وقوله - تعالى - ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (٤)

يقول الرومى : " إن الإنسان غاية هذا الخلق ، لأجله خلق العالم ، وهو القطب الذي يدور حوله رحى الكون ، وقد فرض الله طاعته على جميع الموجودات . . إن كل ما في هذا العالم من جمال وكمال إنما خلق لأجلك ويطوف حولك ، أنت الذي يحسده المقربون . . لست في حاجة إلى جمالٍ مستعار ، فأنت جمال الدنيا ، وواسطة العقد ، وبيت القصيد . . الإنسان جوهر ، والفلك عرض ، كل ما عداك فرع وظل ، أنت الغرض ، إن خدمتك مفروضة على جميع الكائنات ، إنه عارٌ على الجوهر أن يخضع لعرض . " (٥)

ومن خلال الصفحات القادمة ، سنرى كيف أن دعوة فتح الله كولن ، هي دعوة إلى المحبة والتسامح ، من خلال احترام الإنسان وخدمة الإنسانية - حسبة الله - تعالى -

١ - رجال الفكر والدعوة في الاسلام (مولانا جلال الدين الرومى) ، أبو الحسن الندوى ، ج ١ ، ص ٤٠٩

٢ - المرجع السابق ، ص ٤١٢

٣ - سورة الإسراء ، الآية : ٧٠

٤ - سورة التين ، الآية : ٤

٥ - رجال الفكر والدعوة في الاسلام (مولانا جلال الدين الرومى) ، أبو الحسن الندوى ، ج ١ ، ص ٤١٥

---

## المبحث الخامس

### روحُ الجهاد

(خدمةُ الخلق : طريقُ الجهاد عند فتحِ الله كُولن )

وفيه مطلبان

المطلب الأول : مفهوم " الجهاد " عند فتح الله كولين

المطلب الثاني : طريق الجهاد من خلال العمل الدعوى وخدمة الخلق

# المطلب الأول

## مفهوم الجهاد عند فتح الله كولن

### ج) جهاد البناء

نستطيع القول أن تجربة فتح الله كولن تسير على ذات الدرب الذي سار عليه حجّة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي وتنتهج نفس السبيل ، وبالتأكيد فإن هذا لايعنى - قطعاً - تعطيلاً لفريضة "الجهاد" ، وإنما يعنى باختصار : أن الأستاذ فتح الله كولن اختار "الطريقة" التي يمارس بها "الجهاد" ، وليس هذا ابتداءً من عنده ، وإنما هو فهمٌ وإدراكٌ لحاجات العصر ومتطلّباته وآليات العمل فيه ، وفق الظروف التي يعيشها ، والدور الدعوى والنهضوى الذي اختاره لنفسه .

وهو يقول : " ولقد كسب الجهاد في عصرنا الحاضر خواصاً متميزة، حيث تحولت دنيانا إلى ما يشبه القرية العالمية، وتوسعت فيها وسائل الاتصال والنقل توسعاً هائلاً قد لا يتصوره خيالنا، وقد أثر توازن القوى العالمية -إلى حد ما- بمعناه ومفهومه. لذا فلا شك أن شكل الجهاد سيكون أيضاً مختلفاً في هذا العصر. ولا يعني هذا تغيير معنى الجهاد ولا مضمونه. " (١)

هذا ما نلمحه في "الخطاب الدعوى" لدى حركة الخدمة ، وهو مانجده في ثنايا الدروس الدعوية التي ألقاها "فتح الله كولن" في مدينة "إزمير" التركية قبل عام ١٩٨٠م. وذلك في وقت حافل بالاضطراب والفوضى في تركيا وفيما حولها من بلاد المسلمين..، وقد جمعت هذه الدروس في كتاب أسماه "روح الجهاد وحقيقته في الإسلام"، وهو مانعتمد عليه في هذا المبحث ، بالإضافة إلى المراجع الأخرى .

ولاشك أن أي شخص أو هيئة أو حركة لاتستطيع أن تختزل الإسلام في رأيها ، أو أن تعتبر أن تفسيرها للإسلام هو الحقيقة المطلقة ، ذلك أن الإسلام ذاته من خلال نصوصه هو الحقيقة المطلقة ، أما فهمنا للإسلام ، وتفسيرنا له فليس حقيقة مطلقة.

إن الأستاذ فتح الله كولن ليس زعيماً سياسياً ، ولا قائداً عسكرياً ، فهو من جهةٍ يقرر أن الجهاد فريضة باقيةٌ إلى القيامة ، جهاد الحجة ، وجهاد القوة كليهما ، غير انه حال التطبيق ، يخاطب تلاميذه ، وأبناء دعوته ، والميدان المفتوح أمامهم هو ميدان الجهاد الدعوى ، الجهاد بالبيان

١- روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ، فتح الله كولن ، ص ١٣، ط٧ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٢م

والحجة ، والجهد بالبذل والعطاء ، والجهد ببناء المجتمع ، وإقامة صرح العلم والمعرفة فيه ، وهو نوعٌ من الجهاد يستطيعه كلُّ إنسان ، وميدان لا يقتصر على أحدٍ دون أحد ، كلٌّ وفق إمكانياته . ويبقى جهاد أعداء الإسلام والأمة من المحتلين والغاصبين لأرضها ومقدّساتها ، أو الذين يحاولون بين الناس وبين دين الله ، واجبا - على الأمة بعمومها - لا يسقط عنها إلا بقيام طائفة منها - قد تكون مؤسسة من مؤسسات الدولة أو جيوش نظامية أو حركات مقاومة مشروعة - بردّ العدوان ، وإعادة كرامة الأمة وهيبتها ، إلى جانب الأهداف الأخرى للجهاد مما سنتناول بعضه في السطور القادمة .

## ج) الجهاد : بذلُ الجهد

يرى الأستاذ فتح الله كولن أنه لن يتم القيام بواجب البلاغ الحق الذي كُلفت الأمة بها إلا إذا تشبعت نفوس المسلمين بحب الجهاد **بمعناه الشامل**، حتى يفيض النور إلى غيرهم، كما تنتقل أشعة الشمس -هادئةً مضيئةً- إلى الإنسانية كلها ، وهو يرى أن الجهاد في سبيل الله يجري في جبهتين اثنتين ، الأولى: موجّهة إلى الداخل ، والأخرى موجّهة إلى الخارج ، وقد عرّف كلا من الجهادين بالآتي

" إن بذل الجهد إلى الداخل عبارة عن عملية إيصال الإنسان إلى ذاته وإلى ربه. أما الجهاد الآخر الموجه إلى الخارج فهو عملية إيصال الآخرين إلى ذواتهم وإلى ربهم ، ويطلق على الأول "الجهاد الأكبر" وعلى الثاني "الجهاد الأصغر" ، حيث إن الإنسان بالأول يبلغ معرفة نفسه بعد اجتيازه العقبات بينه وبين نفسه حتى يبلغ معرفة الله ومحبة الله والذوق الروحاني ، أما بالثاني فتتحقق بإزالة الموانع بين الإنسان والإيمان بالله سواء بالنضال أو القتال ، لإيصاله إلى الله تعالى ومن ثم التعرف عليه والعروج في معرفته." (١)

إن الجهاد في أصله اللغوي هو : بذل الجهد ، واستفراغ الطاقة (٢)، وهو معنى شامل لكل جهدٍ يُبذل في سبيل مرضاة الله - تعالى - .

١- روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ، فتح الله كولن ، ص٢٢، ط٧ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٢م

٢ - في لسان العرب : الجَهُدُ والجُهُدُ: الطاقة، تقول: اجْهَدَ جَهْدَكَ؛ وقيل: الجَهُدُ المشقة ، والجُهدُ : الطاقة والجُهدُ بلوغك غاية الأمر الذي لا تألو على الجهد فيه؛ تقول: جَهَدْتُ جَهْدِي واجْتَهَدْتُ رَبِّي ونفسي حتى بلغت مجهودي. قال: وجهدت فلاناً إذا بلغت مشقته وأجهدته على أن يفعل كذا وكذا ، والاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود. وفي حديث معاذ: اجْتَهَدَ رَأْيِي الاجْتِهَادُ؛ بذل الوسع في طلب الأمر، وهو افتعال من الجهد الطاقة. (لسان العرب حرف الدال ، جهد ، ج ٣ ، ص

وإذا كان الأستاذ كولن ينطلق من كون الجهاد ينقسم إلى قسمين وهما: الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر، فالحقيقة أن هذا التقسيم عبارة عن وجهين لحقيقة واحدة ؛ إذ المقصود من الجهاد الأكبر - عنده - هو: "إعلاء الإنسان ورفعته إلى مستوى الإنسانية الحقة من حيث حياته القلبية والروحية. أي محاولة الإنسان مجاهدة نفسه على مدى حياته كلها، وفي كل جزء من جزئياتها، حتى في الأكل والشرب وفي الحلّ والترحال، ومقاومتها عن كل ما لا يرضى عنه الله جل وعلا. أما الجهاد الأصغر فهو جهاد الإنسان بماله ونفسه في سبيل الله حفاظاً على مقدساته، وإذا اقتضى الأمر قتال الأعداء وجهاً بوجه." (١)

ولا ريب أن جهاد النفس سابق على جهاد الكفار ، وذلك لأنَّ الإنسان لا يجاهد الكفار ، إلا بعد مجاهدة نفسه ، لأن القتال مكروه إلى النفس ، قال تعالى : ( كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) (٢)

وهناك خلافٌ (٣) حول التقسيم الذي افترضه فتح الله كولن ، ربما مناط الخلاف هو أن البعض يحاول التقليل من شأن الجهاد المادى ، والذي يشمل مقاومة الاحتلال والاستعمار ، ويستخدم بعض النصوص للغض من مكانة "الجهاد" بهذا المفهوم ، محاولاً إيهام المسلمين أن الجهاد الحق هو جهاد النفس وليس "جهاد الأعداء" ، وهذا المعنى غير مقصود في تعريف الأستاذ كولن ، فهو يرى أن مجاهدة النفس لتستقيم على مراد الله ، هي المقدمة الضرورية لجهاد الأعداء، كذلك فإن جهاد الأعداء مهمة يقوم بها البعض في بعض الأوقات ، بينما هذا الجهاد يقوم به كلُّ الناس في جميع الأوقات ، وبكليهما تستقيم الحياة ، ويحصل التوازن .

١- روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ، فتح الله كولن ، ص ٢٦

٢- سورة البقرة ، الآية : ٢١٦

٣- وهناك أقوالٌ لعلماء الحديث حول صحة نسبة الحديث الذى يشير إلى هذا المعنى ، إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - وهو الحديث الذى أخرجه الإمام البيهقى فى الزهد الكبير ، فصل فى ترك الدنيا ومخالفة النفس الهوى ، حديث رقم ( ٣٧٣ ) ( ١٥٦/١ ) ، عن جابر - رضى الله عنه - قال : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَوْمٌ غَزَاةٌ ، فَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ( قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ ، قَدِمْتُمْ مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ ، قَالُوا : وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ ؟ قَالَ : مَجَاهِدَةُ الْعَبْدِ هَوَاهُ ) ، وقال الإمام البيهقى : هذا إسنادٌ ضعيف ، وهو الحديث الذى اعتمد عليه كولن فى هذا التسمية وقد أورده الألبانى فى السلسلة الضعيفة ، المجلد الخامس ، برقم ( ٢٤٦٠ ) ، وقال الحافظ العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء : فى إسناده ضعف .

فهو يقول: "نعم، إن الجهاد الأصغر في معنى من معانيه جهادٌ مادي. أما الجهاد الأكبر فهو جهاد الإنسان لنفسه وعالمه الداخلي. فمتى ما أُوفى حق هذين الجهادين معاً فقد تأسس التوازن المطلوب. وبخلافه، أي إذا ما نقص أحد هذين الجهادين اختلت الموازنة الموجودة في روح الجهاد". (١)

والباحث يرى أنه لينبغي الاكتفاء بهذا التقسيم على إجماله ، كي لا يتخذ ذريعة من قبل المترصين الذين يودون لو تلغى كلمة "الجهاد" ، من قاموس المسلمين .  
والأولى - هنا - ما ذكره الإمام ابن القيم - رحمه الله - من أن : "الجهاد أربع مراتب : جهاد النفس ، وجهاد الشياطين ، وجهاد الكفار ، وجهاد المنافقين .

**وجهاد النفس** بأن يجاهدَها على تعلم الهدى ، والعمل به بعد علمه ، والدعوة إليه ، والصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، **وجهاد الشيطان** : جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشهوات ، والشكوك القادحة في الإيمان ، وجهاده على ما يلقي إليه من الإيرادات الفاسدة والشهوات ، **وجهاد الكفار والمنافقين** بالقلب واللسان والمال والنفس ، وجهاد الكفار أخص باليد وجهاد المنافقين أخص باللسان ... قال : وأكمل الخلق من كمل مراتب الجهاد كلها ، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله ، تفاوتهم في مراتب الجهاد ... " (٢)

### الجمع بين الجهادين ضرورة لازمة

يرى فتح الله كولن أن الجمع بين "الجهاد في العالم الداخلي للنفس" ، والجهاد في العالم الخارجي "مع الناس" ، هو ضرورة واجبة ، بل هو لب الإسلام ، ويورد الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تجمع الجهادين معاً ، وهي كثيرة جداً .

ومما لا شك فيه أن سورة النصر في مقدمة هذه الآيات:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (٣)

: "فهذه السورة تبشر بمجيء نصر الله وفتحه حينما يدخل الناس أفواجا في دين الله. وهكذا كان ، فحينما أزيلت العوائق أمام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبليغ الحق، ودخل الناس في

١- روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ، فتح الله كولن ، ص ٢٧

٢- زاد المعاد في هدى خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، باختصار ، ص ٦٧ - ٦٩ ، ج ٢ ، ط ١ ، المكتبة الفيّمة ، القاهرة ، ١٩٨٩م

٣- سورة النصر ، الآيات ١- ٣

الإسلام أواجباً، في هذه المرحلة يكون الأمر الإلهي هو : ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾... فعلى الإنسان الذي ظهر على الأعداء في الخارج، أن يظهر على نفسه أيضاً في عالمه الداخلي، ليتم جهاده ويكتمل. (١)

وفي حديث آخر يجمع الرسول صلى الله عليه وسلم هذين الجهادين معاً فيقول "عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ". (٢) ، نعم، إن جهاد من يسهر على الحدود والثغور ويرابط في ميدان الحرب، وفي أخطر المواقع الجهاد المادي ، الذي يؤدي هذا الجهاد لا تمس النار عينه ، وعين أخرى تحقق الجهاد المعنوي ، عينٌ تبكي من خشية الله. فهاتان العينان -في هذه البشرية النبوية- سواء في عدم مسهما النار .

يقول فتح الله كولن : "نعم لا تمس النار تلك العيون التي تذرّف الدموع ساخنة من خشية الله، وتحرس وتراقب مواقع دخول العدو مرابطة في الثغور والمواقع الخطرة فالذي ينذر نفسه لهذه الأمور ويجابه المهالك التي تحرق بالبلاد ويتصدى لها بإنشاء مؤسسات يتربى فيها أبناء أمته بمستوى يليق بالإنسان، ويتجافى عن حظوظ نفسه وأذواقها لأجل الآخرين ويهتم براحة الآخرين وعيشهم الهنيء.. فهؤلاء لا تمس عيونهم النار. وعلى هذا فالذين يرون الجهاد جدالاً ونقاشاً هنا وهناك إن لم يراقبوا أعمالهم ويقوموها بموازين الجهاد الذي ينادون به، فإنهم لا يعملون إلا لقتل الوقت وخداع أنفسهم. " (٣)

نؤكد على هذا المعنى (الجمع بين الجهادين ) ، لأن هناك من ينسحبون من الميدان ويقبعون في زاويتهم زاعمين أنهم يأخذون نصيبهم من الجهاد من جهته المعنوية وحدها ويقولون: لا يصح الانشغال مع الغير قبل جهاد النفس..

وقد سبق الحديث عن الصوفية الإيجابية التي يتبناها كولن ، وأنها ليست تلك الصوفية المتوارية خلف الجدران ، بحجة مجاهدة النفس واستكمال فضائلها .

وفي هؤلاء يقول الأستاذ فتح الله كولن : " فهؤلاء الذين يرون إحراز درجات معنوية لأنفسهم وبلوغ المراتب الرفيعة التي يرونها فوق كل أمر، ويعزفون عن إرشاد الناس، هم بلا شك على خطأ واضح حيث يخلطون بالإسلام بالروحانية الصوفية ، فنقول لمن يستغرقه هذا الفكر: اعلم أن

١- روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ، فتح الله كولن ، ص ٣٦

٢- أخرجه الإمام الترمذى في سننه ، كتاب فضائل الجهاد ، باب ماجاء في فضل الحرس في سبيل الله (١٧٥/٤) حديث رقم (١٦٣٩)، وقال الإمام الترمذى : حديث حسن غريب ، وأورده في كنز العمال للهندي (١٤١/٣)، حديث رقم (٥٨٧٥)

٣- روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ، فتح الله كولن ، ص ٣٧



---

الإنسان حينما يظن أنه أنقذ نفسه فقد وقع من فوره في أخطر دوامة ، فمن يطيق أن يدّعي خلاص نفسه والقرآن الكريم يقول: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (١) « (٢) ولتأكيد هذا المعنى ، فإن الأستاذ فتح الله كولن يرى أن أهداف الجهاد في الإسلام تدور حول الأهداف التالية :-

- ل دفاع الأمة المسلمة ضد من يهدد كيانها ووجودها
  - ل ردع الظلم بأن تكون الأمة المسلمة مرهوية الجانب ، مرعية الحدود
  - ل حرية الدعوة ، إن حيل بين الامة وبين نشر رسالتها إلى العالم أجمع لإنقاذ البشرية
- وقد أفاض في الحديث حول هذه الأهداف في حديثه عن الجانب العسكري في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - . (٣)

---

١- سورة الحجر ، الآية ٩٩

٢- روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ، فتح الله كولن ، ص ٣٨

٣- انظر : النور الخالد ، الجانب العسكري في حياة الرسول ، ص ٣٩٢ - ٤٢٢

## المطلب الثاني

### طريق الجهاد من خلال العمل الدعوى وخدمة الخلق

الجهاد بمعناه الواسع الشامل يُعدُّ ركيزةً أساسيةً تنطلق من خلالها تجربة الاستاذ كولن نحو بناء مجتمعٍ سديدٍ وأمةٍ راشدةٍ ، فمن خلاله يوجَّه الطاقات والقوى النفسية إلى الإبداع الحضارى ، وإقامة المشاريع التربوية ، وسدِّ الثغرات في كل مجال ، فهو يؤكد أن "الجهاد" واجب كل مؤمن ، وأنه لا عذر لأحدٍ في تركه .

ف: "الجهاد هو عملية وصول الإنسان إلى ذاته ، أو إيصال الآخرين إلى ذواتهم ، فهو - في أحد جوانبه - بمثابة الغاية من خلق الإنسان ، ولذا فهو يحمل أهمية عظيمة ، وله عند الله قيمة مقدَّسة ."<sup>(١)</sup>

وهو من أجل هذا يورد الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، المتعلقة بالجهاد والرباط في سبيل الله ، ويفسرها على نطاقٍ أوسع من مجرد الجهاد بمعنى القتال والحرب ، فهي كما تشمل معنى الرباط على الحدود ، فهي أيضا تشمل معنى المرابطة على كل ثغر من ثغور الإسلام في كل ميدان من ميادين العمل الإسلامى .

ففي حديث النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ( كُلُّ الْمَيِّتِ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيُؤَمِّنُ مِنْ فَتَنِ الْقَبْرِ ) ،<sup>(٢)</sup> والحديث الآخر ( مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ كَانَتْ كَأَلْفِ لَيْلَةٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا )<sup>(٣)</sup>

يقول : " فعليكم إذن أن تصوموا ألف يوم وتقيموا ألف ليلة كي تبلغوا ثواب المرابط ليلة واحدة في سبيل الله تجاه العدو الذي يريد الحلول في بلدكم وتخريب أمتكم ، بل هذا أَرْضَى اللهُ وَأَكْثَرَ قَبُولًا عنده ، من المؤمنين من يوفي بمهمة الجهاد حق الوفاء فينال الفضائل التي ذكرناها آنفًا . ومنهم من يعجز عن القيام الفعلي بالجهاد ولكن ينال جزاء عمله مثل أولئك فضلاً منه سبحانه وتعالى ،

١- الاستقامة في العمل والدعوة ، فتح الله كولن ، ص ١٧٦

٢- أخرجه الإمام أبو داود في سننه ، كتاب الجهاد ، باب فضل الحرس في سبيل الله ، حديث رقم (٢٥٠٠) ، (١٥٥/٤) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ، من حديث عقبة بن عامر الجهني - رضى الله عنه - ، حديث رقم (١٧٣٥٩) ، (٥٨٩/٢٨) ، وقال الشيخ شاكر : صحيح لغيره ، وهذا إسناد حسن ، وفي سنن الإمام الترمذى بلفظ ( كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا . . . ) عن فضالة بن عبيد ، حديث رقم (١٦٢١) ، (١٦٥/٤) ، وقال الإمام الترمذى : حديث حسن صحيح بهذا اللفظ ، وبهذا فإن لفظ الإمام الترمذى يقيد اللفظ الذى فى سنن الإمام أبى داود .

٣- أخرجه الإمام ابن ماجة فى سننه ، كتاب الجهاد ، باب فضل الرباط فى سبيل الله برقم (٢٧٦٦) ، (٦٠/٤) وقال

بمعنى أن من يعمل في سبيل الإيمان والقرآن الكريم ولو حمل حجراً للبناء لا يضيع عمله هباءً قط. " (١)

فالرجل مهمومٌ بأمته ، مأخوذاً بدعوته ، نذر حياته لنهضة أمته وإحيائها ، فهو يبعث الهمم ، ويوقظ الضمائر ، ويحي الأرواح بهذا الدين ولهذا الدين .

انظر إليه كيف يرى الحديث الشريف الآتى : عندما سأل الصحابةُ الكرامُ رضوان الله عليهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الخيل قال: (الْخَيْلُ لثَلَاثَةِ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رِبَطُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طَيْلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طَيْلَهَا، فَاسْتَتَتْ شَرْفًا أَوْ شَرْفَيْنِ، كَانَتْ أُرْوَاتُهَا وَأَثَارُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يَرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي هِيَ عَلَيْهِ وَزْرٌ فَهُوَ رَجُلٌ رِبَطُهَا فَخْرًا وَرِبَاءً وَنِوَاءً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَهِيَ وَزْرٌ عَلَى ذَلِكَ). (٢)

يقول: " وقد ذكر الخيل في الحديث لأنها أسرع واسطة للنقل والحرب لعصر معين نعم، واليوم ، قد تكون سيارة وزراً على صاحبها، حيث يستعملها في السفاهة والآثام، وربما وسيلة للعداء للإسلام. وسيارة تكون ستراً لصاحبها حيث يستعملها في أمور مشروعة ، وربما واسطة لرزقه ولا ينسى حق الله فيه ، وسيارة أخرى نُذرت في سبيل الله ، ينتقل بها صاحبها من قرية إلى أخرى ويصطحب فيها الدعاة والوعاظ إلى مواضع المحتاجين إليهم ، فكل قطرة وقود تحرقها هذه السيارة، وكل قرش يصرف عليها، وحتى الغازات العادمة الخارجة منها، والأصوات الصادرة منها، والطين الذي التصق بعجلاتها.. كل ذلك يُكتب حسنات في سجل حسنات صاحبها، ولسان حاله يقول: إن الغاية من شرائي هذه السيارة هي نشر الحقائق. وغني عن التعريف أن هذا مقدّمة للأعمال الجليلة التي تتحقق بإذنه تعالى في المستقبل . " (٣)

١- روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ، فتح الله كولن ، ص ٤٠

٢- أخرجه الإمام البخارى في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب الخيل ثلاثة، حديث رقم(٢٨٦٠) ، ( ٢٩/٤ ) وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة ، حديث رقم(٩٨٧) ، ( ٦٨٠/٢ ) وأخرجه الإمام النسائي في سننه ، كتاب الخيل ، حديث رقم (٣٥٦٢) ، (٢١٥/٦) ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن مسعود، حديث رقم ( ٣٧٥٥ ) (٢٩٨/٦) ، بلفظ : الخيل ثلاثة ، ففرس للرحمن ، وفرس للإنسان ، وفرس للشيطان . . . وقال الشيخ أحمد شاکر : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

٣- روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ، فتح الله كولن ، ص ٧٠

وهذا فى كل الأمور التى يفعلها المسلم بنية الدعوة إلى الله وتمكين دينه ، مهما ظهرت أمام الناس صغيرة ، أو ضئيلة ، لقول الله - سبحانه : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يِنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) (١)

وهو بهذا يعتبر العمل الدعوى فى خدمة الخلق ، واجباً شرعياً ، وجهاداً حقيقياً ، بل إنه ليعتبر أن التخلّى عن ميدان العمل الدعوى فى خدمة الناس ، من معانى " التولّى " يوم الزحف " . يقول : " إن استعمال تعبير " التولي يوم الزحف " . يعنى أن الكفاح إن كان مستمراً مع عالم الكفر ، فلا يجوز النكوص ، حتى وإن لم يكن كفاحاً وصراعاً حاراً ، أي حتى لو كان حرباً باردة ساحتها الثقافة والتربية والتعليم والسياسة والفن ... الخ من الساحات المختلفة والمهمة التى يجري الصراع فيها فى أيامنا الحالية مثلاً ، فإن المؤمن المنسحب والمتفوق على نفسه - حتى ولو كان بنية زيادة كماله الروحي - سينطبق عليه هذا المعنى ، ويكون أثماً . " (٢)

## ج) الجهاد وسيلة لوراثة الأرض

يرى الأستاذ فتح الله كولن أن فى يد المؤمن كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ) (٣) فهو منبع عزه وسؤدده ، وأمامه القدوة الحسنة للبشرية جمعاء وهو سيد المرسلين -صلى الله عليه وسلم-. ولهذا فهو المرشح الوحيد لوراثة الأرض كلها ، والقرآن الكريم يعلم المؤمن هذا المفهوم، والله سبحانه وتعالى ينتظر منه هذه النتيجة .

لكن هذه الوراثة عند الأستاذ كولن ليست استعلاءً من أمة الإسلام على الأمم الأخرى ، وإنما هى الوراثة الحقيقية للأرض المقصود فى قوله - تعالى (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (٤)

١- سورة التوبة ، الآيتان : ١٢٠ ، ١٢١

٢- أضواء قرآنية فى سماء الوجدان ، فتح الله كولن ، ص ١١٦

٣- سورة فصلت ، الآيتان ٤١ ، ٤٢

٤- سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٥

يقول الأستاذ فتح الله كولن : " إن الله سبحانه بعد ما كتب في اللوح المحفوظ ما كتب، كتب في الكتب المرسله إلى الأنبياء مُستسخَّات من اللوح المحفوظ وهي: إن عباد الله الصالحين يرثون الأرض، أي العباد الصالحون هم الوارثون الحقيقيون الدائمون في الأرض ، أما حاكمية الآخرين للأرض فهي عابرة خاطفة؛ إذ الحاكمية الدائمة على الأرض بالتجدد المستمر، إنما هي حاكمية العباد الصالحين، وما يتشكل منهم من أمم صالحة ومجتمعات صالحة." (١)

إن وراثه الأرض بالمفهوم القرآني ، لاتعنى أن تستولى فئة من الناس على الحكم فى بلد مسلم ، ويعلمون الخلافة باسم الدين ، ولاتعنى الشعارات البراقه، ولا النعرات القومية ، فإن "الحزبية الضيقة" لاتبنى أمة ، ولاتؤسس حضارة .

يقول الأستاذ فتح الله كولن : " ولا يمكن أن يحقق هذا المعنى الواسع ، هؤلاء الذين يثيرون الإرهاب والفوضى فى أنحاء العالم ويرتكبون الجرائم تلو الجرائم ، هؤلاء لا يمكنهم قطعاً أن يؤسسوا هذه الحاكمية - بمعناها الحقيقي - وسيفيقون من غفلتهم يوماً من الأيام عندما تشرق شمس الإسلام . " (٢)

وينبه إلى أن الله - تعالى - أعز هذه الأمة ، ووضع لها قانوناً إن تخلقت عنه سقطت من التاريخ ، ولاعودة لها إلا بهذا القانون .

**هذا القانون هو : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (٣)**

ف : " الله سبحانه لا يذل أمة عزيزة كانت تاجاً على الرؤوس إلا إذا غيرت الأمة ما فى داخلها. فهذا القانون سار فى المعنى الإيجابى والسلبى على السواء، لذا ينبغى الحفاظ على النفس، والتعمق فيها، والسعى لإدراكها. فمن كان يريد إحراز لقب الفاتح فليفتح قلعة النفس أولاً، ومن استعصى عليه فتح الداخل لا يمكن أن يفتح شيئاً فى الخارج." (٤)

وراثه الأرض - عند كولن - هى تمثيل عملى لحقائق الإسلام ، حين ذلك يظهر هذا الدين على الدين كله امتثالاً لقول الله - سبحانه - ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٥)

١- روح الجهاد وحقيقته فى الإسلام ، فتح الله كولن ، ص ٨٣

٢- المرجع السابق ، ص ٨٤

٣- سورة الرعد ، الآية ١١

٤- روح الجهاد وحقيقته فى الإسلام ، فتح الله كولن ، ص ٨٤

٥- سورة الفتح ، الآية : ٢٨

## الجهاد والعمل الدعوى

الجهاد هو بذل الجهد لتحقيق غاية سامية ، والأستاذ كولن هو داعيةٌ من طرازٍ فريدٍ أسَّسَ تجربته الدعوية على أساسٍ من التضحية والفداء ، عاش حياةً من البذل والعطاء ، فهو ينفث في روح الشباب المجاهد حقاً أنه ، لانسجام بين الدّعة والراحة وبين الجهاد في سبيل الله . يقول: "فالذي لا يستطيع ترك راحته ولا يضحّي بحظوظه الشخصية وأذواقه الذاتية، لا يُنتظر منه مهمة جليلة كالجهاد، بل من العبث الانتظار. ذلك لأن المهام الجليلة لا ينهض بها إلا من يضحى بمطامعه الشخصية وأذواقه المادية والمعنوية" (١)

والداعية المجاهد لاتعريه مناصب الدنيا كلها مقابل خدمة إيمانية واحدةٍ يقدمها لدينه ودعوته ، فالداعية يرى دعوته أثنى من كل منصب زائل ، وأبقى من كل عرضٍ فان : " تصوروا مجاهداً يُسرّ له الصعود إلى مقام عضوية البرلمان ، أو عرضٍ عليه ليكون رئيساً للوزراء ، فهو يفضل - حتى في هذا الموقف - أبسط خدمة تتعلق بمهمة الجهاد المقدسة على تلك العروض ، إننا ننتظر ونترقب هذا الإنسان منذ سنين طوال ، هذا الإنسان الذي استوعب روح الجهاد وأشبع بعشق النضال والكفاح" . (٢)

ولاعجب ، فقد وردت الآيات التي تقارن بين متاع الدنيا الزائل ، وعرضها الفانى ، وبين ما عند الله من ثوابٍ جزيل ، وأجر كبير ، في سياق الحديث عن الجهاد .

قال - تعالى - ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ \* إِلَّا تَتَفَرِّقُوا بِعِدْبِكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (٣)

وفتح الله كولن شديد التأثر في تجربته هذه بنمط الحياة الذى عاشه الأستاذ بديع الزمان النورسى إذ يراه نموذج المؤمن الذى عاش لدينه ، ونذر نفسه لإنقاذ الإيمان وكثيراً مايردّد ويستشعر قول النورسى : " ليكن سعيد بل ألف سعيد قرباناً ليس في سبيل إيمان المجتمع التركي البالغ عشرين مليوناً فقط بل في سبيل إيمان المجتمع الإسلامى البالغ مئات الملايين ، ولئن ظل قرآننا دون جماعة تحمل رايته على سطح الأرض فلا أرغب حتى في الجنة ، وإن رأيت إيمان أمتنا في خير

١- روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ، فتح الله كولن ، ص ١١٠

٢- المرجع السابق ، ص ١١٢

٣- سورة التوبة ، الآيات : ٣٨-٣٩

وسلام فإنني أرضى أن أحرق في لهيب جهنم، إذ بينما يحترق جسدي يرفل قلبي في سعادة وسرور." (١)

وبذلك نرى كيف أن مفهوم الجهاد في الإسلام يكتسب ألوانا من المعاني ، وأطيافا من التفسيرات والاجتهادات ، حول آليته ، وطريقته ، وزمانه ، ومكانه .

فالجهاد في الإسلام ليس هدفة الحرب والقتال ، وإنما هدفة تحرير الإنسان في الأرض من كل سلطانٍ غير سلطان الله ، فإذا حيل بين المسلمين وبين هذا الهدف ، جاء السيف ليقول كلمته .

ف : " الحرب في الإسلام ليست انطلاقا لغريزة التنشئ والانتقام ، ولا انبعاثا لشهوة التملك والاستعباد وإنما هو إجراء وقائي ضيق الحدود تفرضه الضرورة القصوى ، وتقوده الحكمة والعدل الشامل ، وتحوطه الرأفة من كل جانب ، فالجهد في الإسلام عملٌ إنسانى نبيل ، لا يقصد به جرُّ الغنائم للمحاربين ، ولكن دفع المظالم عن المستضعفين ، كما انه لا يبغي سلب الحريات ، بل التمكين للحرية في الأفكار والعقائد والعبادات والشعائر ." (٢)

ولذلك كان الجهاد في الإسلام مرتبطا بغاية ، فالجهاد ليس هو الشكل الذي يؤدَّى في جبهة القتال فحسب، حيث إن ميدان الجهاد واسع جداً ، وعلى سعته وشموله قد يكون كلمة واحدة أو سكوتاً وصمتاً أو تبسماً وطلاقة وجه أو امتعاضاً ونفورا أو تركاً لمجلس أو مشاركة فيه . وباختصار هو القيام بأي عمل من الأعمال لوجه الله، ومن هنا فإن كل جهد يبذل لإصلاح المجتمع في أي ميدان كان من ميادين الحياة ولأي شريحة من شرائح المجتمع. كل ذلك هو من مضمون الجهاد الإسلامي.

بمعنى أن ما يؤدَّى في ميدان العائلة والأقارب القريبين والبعيدين والجار ذي الجنب والصاحب بالجنب، كل ذلك هو من الجهاد ، فهي كدوائر متداخلة واسعة سعة الإسلام ذاته ، وشاملة شمول الدين نفسه ، والله -تعالى - يقول ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) .

١- كليات رسائل النور ،السيرة ذاتية لبديع الزمان سعيد النورسي، ص٤٥٧ ،

٢- زاد المسلم للدين والحياة ، مقالات د. محمد عبد الله دراز ، ص ٢٨٩، جمع : أحمد مصطفى فضيلة ، ط ٢ ، دار القلم ، بيروت ، ٢٠٠٨م

٣- سورة العنكبوت ، الآية : ٦٩

## الفصل الرابع

# عوامل النهضة الإسلامية في تجربة فتح الله كولن الدعوة

وفيه ثلاثة مباحث :-

المبحث الأول : الاهتمام ببناء الإنسان ، وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : من الوجدان إلى إعادة تشكيل العالم

المطلب الثاني : ورثة الأرض

المبحث الثاني: المزوجة بين الفكر والحركة ، وفيه ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : الفكر والحركة عند الأستاذ كولن

المطلب الثاني : المراحل السبعة لتحويل المعرفة إلى سلوك في "البراديم كولن"

المطلب الثالث : سورة الكهف: نموذج المزوجة بين الفكر والحركة عند كولن

المبحث الثالث : التركيز نحو الهدف السامي : إحياء الأمة ، وفيه أربعة مطالب :-

المطلب الأول : حاجة الأمة والإنسانية إلى الإسلام

المطلب الثاني : بين تحديد الهدف ... وتقديم النموذج

المطلب الثالث : تضافر الجهود ... أو الهلاك

المطلب الرابع : إحياء الأمة .. بين الأهداف والوسائل

المبحث الرابع : صياغة فقه الائتلاف ، وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : أسس فقه الائتلاف

المطلب الثاني : وسائل تجسيد فقه الائتلاف



## المبحث الأول

# الاهتمام ببناء الإنسان

لم ينشغل الأستاذ فتح الله كولن بأمرٍ من الأمور بقدر انشغاله بـ"الإنسان"، والإنسان هو القضية التي انشغلت بها رسالاتُ السماء ، وهل أنزل القرآن الكريم إلا من أجل صياغة الإنسان، وإعادة تشكيل وعيه الداخلي ليستقبل الفيوضات الإلهية ، ويكون أهلاً للعبادة التي خلق من أجلها ؟ إن الإنسان هو لبنة بناء الأمة والمجتمع ، فإذا صلحت هذه اللبنة قام المجتمع على أساس من التقوى ورضوان الله ، وإذا فسدت هذه اللبنة كان البنيان على شفا جرف هار . من أجل هذا كان رؤاد الإصلاح في العالم الإسلامي قديماً وحديثاً لا يرون مخرجاً للأمة من أزمتها إلا من خلال إرشاد الجماهير ، وتغيير نمط التفكير السلبي الذي سيطر على عقولها . لهذا نجد التجربة الدعوية للأستاذ فتح الله كولن ، تجعل بناء الإنسان في قمة الأولويات الدعوية وعلى رأس التحديات المعاصرة .

إن الإنسان - حين تكون هذه صفته - تتمحور حركاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإدارية كلها، حول الإسلام باعتباره قوة الجذب المركزي ، التي يدور في فلكها المسلم ، فيظهر هذا ليس في سلوكه الخارجي فحسب ، بل كذلك - وهذا هو الأهم والأخطر - في انفعالاته الداخلية ، ومشاعره وأفكاره وتصوراتهِ عن نفسه وعن الكون من حوله .

وبهذا فإن الإسلام يبدأ من هناك .. من الداخل .. من هذا المكان العميق جدا في داخل الإنسان .. فيعيد صياغته من جديد . حينئذٍ تنعكس هذه الصياغة على المجتمع والأمة ، فيعاد صياغتها ، وتقوم نهضتها .

ومن كان في شكٍ من هذا ، فيقرأ القرآن ، وليتدبر آياته ، ليجد كيف خاطب القرآن الكريم الإنسان، وحرك مشاعره ، وأثار وجدانه ، لينفعل بهذه الآيات وجدانياً ، فيتفاعل مع المجتمع المحيط به ، بل مع الكون كله ، سلوكياً وأخلاقياً وحضارياً .

وقد تناولت هذا المبحث في مطلبين :-

المطلب الأول : من الوجدان إلى إعادة تشكيل العالم

المطلب الثاني : ورثة الأرض

## المطلب الأول

### من الوجدان إلى إعادة تشكيل العالم

يمكن تقسيم رواد الإصلاح ودعاته إلى فريقين : " فريق يتجه إلى الحكم على أنه أداة سريعة لتغيير الأوضاع ، وفريق يتجه إلى الجماهير يرى في ترشيدها الخير كله ، وهؤلاء الذين يسعون إلى السلطة لتحقيق رسالة رفيعة ، لا بد أن يكونوا من الصديقين والشهداء والصالحين أو من الحكماء المتجربين والفلاسفة المحققين !! وأين هؤلاء وأولئك ؟ إنهم لم يندموا ، ولكنهم في الشرق الإسلامي عملة نادرة . ومع ذلك ، فإن أى حكم مهما كان رفيع القدر لن يبلغ غايته إلا إذا ظاهره شعبٌ نفيسُ المعدن على الهمة!... إذن الشعوب هي الأصل ، أو هي المرجع الأخير ! وعلى بُغاة الخير أن يختلطوا بالجماهير لالذوبوا فيها وإنما ليرفعوا مستواها ويفكروا قيودها النفسية والفكرية . " (١)

وقد انشغلت الحركات الإسلامية بأشياء كثيرة منها السياسى والثقافى والإقتصادى ، ولم تُولى الاهتمام المطلوب بالقضية المحورية، وهى : (الإنسان) ، على الرغم من كون هذا الأمر قانوناً إلهياً لامحيص عنه ، ولأمر منه ، (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ). (٢)

فنص الآية - حسب قواعد الإعراب - أن فاعل التغيير الأول ، المذكور في الآية هو الله - سبحانه وتعالى - وفاعل التغيير الثاني ، هم القوم ، أو المجتمع ، على الرغم من أن القدرة التعبيرية الثانية هي - أصلاً - هبة من الله تعالى وإقذارٌ منه - تعالى - للمجتمع على ذلك ، وعلينا أن لا ننسى هذا التوزيع في العملية التعبيرية ، لأنه كثيراً ما يغيب عنّا ما يخص الإنسان من التغيير ، ويختلط علينا الأمر ، وهذا الغموض ، يفقد الإنسان إيجابيته في عملية التغيير .

وإن أيّ ظنٍ ، أو طمعٍ ، في أن يحدث الله هذا التغيير الذي جعله منسوباً إليه ، قبل أن يكون القوم هم بأنفسهم قاموا بتغيير ما بأنفسهم ، إن هذا الظن ، والإغفال لهذه السنة الدقيقة المحكّمة ، يبطل النتائج المترتبة على السنة الكونية في هذه الآية.

فالتغيير الذي ينبغي أن يحدث أولاً ، هو التغيير الذي جعله الله مهمة القوم وواجبهم، وإن حدوث أيّ تهاون في الخلط بين التغييرين ، وإدخال التغيير الذي يحدثه الله بالتغيير الذي يقوم به القوم ، أو العكس ، يفقد الآية فعاليتها .

١- الطريق من هنا ، الشيخ محمد الغزالي ، ص٦٤، ط١، دار البشير ، القاهرة ، ١٩٨٧م

٢- سورة الرعد، الآية : ١١

ومعنى هذا أن: "الرجاء بأن يحدث الله - تعالى - التغيير ، قبل أن يقوم القوم (المجتمع) بالتغيير الذي خصَّهم الله به ، يكون - هذا النظر - مخالفاً لنص الآية ، وبالتالي إبطالاً لمكانة الإنسان ، وأمانته ، ومسؤوليته ، ولما منحه الله من مقام الخلافة على أرضه . لأن هذا التحديد في مجالات التغيير ، وهذا الترتيب فيما ينبغي أن يحصل أولاً ، وما يحدث تالياً ، هو الذي يضع البشر أمام مسؤولية حوادث التاريخ . ومن هذه النافذة ، يمكن إِبصار أثر البشر ، في أحداث التاريخ ومسؤوليتهم إزاءها ."<sup>(١)</sup>

هذا ماوعاه الأستاذ فتح الله كولن ، وأقام على أساسه مشروعَه الحضارى ، بحيث صار "معلماً" من معالم التغيير والإصلاح فى منهجه ، لا تكاد تُخطئه العين . وإنك لتراه متعجباً أشد العجب من الذين يبحثون عن عوامل التخلف ، خارج عالمنا الداخلى ، حتى إنه قال ذات مرة بسخريةٍ مريرةٍ - "ما من سببٍ يدعونا إلى البحث عن عدونا فى الخارج لأن عدونا فى داخلنا.. جالسٌ فى قصره، واضعٌ إحدى ساقيه فوق الأخرى، يتطلع من الشباك على ضياعنا، ويضحك ضحكاً مكتوماً ."<sup>(٢)</sup>

فالإنسان هو المخلوق المركزي فى هذا الكون وهو أثنى ما فى الوجود الإلهي، وقد عبّر عن هذه الحقيقة بأساليب كثيرة ، فهو يؤكد أن البشر هم أعظم مرآة تعكس قدرة الله ومعجزة خلقه : "حيث يرى كولن أن البشر يمثلون مرآة لامعة، وهم إحدى ثمار الحياة الرائعة، ومصدر للكون بأكمله، وبحر يبدو كقطرة صغيرة، وشمس تشكلت كبذرة ضئيلة، وهم سر الوجود كله مجموعاً فى جسم صغير، إن البشر يحملون روحاً يجعلهم يساؤون الكون بأكمله ، بل وذهب كولن إلى أن الإنسان يمتلك قيمة أكبر من قيمة الملائكة ."<sup>(٣)</sup>

نعم . . أليست جميع الموجودات مسخرة للإنسان ؟ ولا شك أن المسخر له أكرم على الله من المسخر ، (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) <sup>(٤)</sup>

١- حتى يغيروا ما بأنفسهم ، جودت سعيد ، ص٤٣-٤٥ ، تقديم مالك بن نبي ، ط١ ، دار الفكر المعاصر ، دمشق

١٩٨٩م

٢- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص٩٣

٣- محاورات حضارية بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنسانى ، د.جيل كارول ، ص٣٦

٤- سورة الإسراء ، الآية : ٧٠

بل جعل الله - سبحانه - من خلق السموات السبع بما تحويه من مجراتٍ عملاقة ، وكواكبٍ سيّارة والأرض وما فى بطنها من معادن متنوعة ، وطبقاتٍ ملتبهة ، وغير ذلك مما يكتشفه الإنسان يوماً بعد يوم ، جعله الله وسيلةً يتعرّف بها إلى هذا الإنسان على ضعفه وقلة حيلته .

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) (١)

ف: "الإسلام يبدأ بالعمل في الوجدان الفردي، وإذ يستقر فيه، يطفح منه بفائقته الخاصة الذاتية، ويفيض من محيطه وبيئته، ويجعل كلّ مكانٍ حقلَ فسائل، فيصطبغ كلّ مكان بصبغة روحه، وتبدّل جذوره - أينما انتشرت - لونَ الحياة وأداءها، ويُسمع القلوبَ نداءَ الوجود الأبدي" (٢) وصدق القائل :

وتحسبُ أنكَ جرمٌ صغيرٌ  
وفيك انطوى العالمُ الأكبرُ (٣)

وفى التجربة موضوع الدراسة نجد أن الأستاذ فتح الله كولن قد سخر كافة جهوده وجهود تلاميذه لخدمة هذا الإنسان، على المستوى الوطني وعلى مستوى الأمة ، حيث يحاولون تقديم كل ما يستطيعون من أجل خدمة الإنسان .

والأستاذ كولن يشير إلى أن : "المخاطب في الإسلام هو قلب الإنسان الذي يسع ويستوعب السماوات والأرض بسعته المعنوية ، وهدف الإسلام هو السعادة الدنيوية والأخروية." (٤)

فالإنسان هو الكائن الذى يستطيع أن يرتفع بنفسه إلى ذرة السماء ، ويمكنه أن يهمل نفسه فتَهبط به إلى طين الأرض ، فالإنسان هو أكرم الخلائق بسبب وجود هذا الاستعداد فيه ، والله يقول (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (٥)

وآيات القرآن تدور حول هذا المعنى فيما يخص الإنسان واستعداده الفطرى للصعود أو الهبوط ، ففيها : "وصفٌ له وهو فى الذروة من الكمال المستطاع له بما استعدَّ له من التكليف ، ووصفٌ له وهو فى الدرك الأسفل من الحطّة التى ينحدر إليها بهذا الاستعداد ." (٦)

١- سورة الطلاق ، الآية : ١٢

٢- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٥٧

٣- يُنسب هذا البيت إلى سيدنا على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ضمن ماُنسب إليه من أشعار ، ونسبه البعض إلى الصوفى الشهير الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى ، وآخرون إلى ابن سينا ، وفى البيت معنى فلسفى يجعل نسبته إلى أحد الأخيرين هو الأرجح ، والله أعلم .

٤- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ٤٨

٥- سورة البلد ، الآية : ١٠

٦- الإنسان فى القرآن ، عباس محمود العقّاد ، ص ١٦ ، ط ٢ ، دار الإسلام ، القاهرة ، ١٩٧٣م

ولا أروع من المثل الذي ضربه القرآن لبني الإنسان : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ . أَحَدُهُمَا أَبْكُمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) (١)

والآية الكريمة : " مع الإنسان الذي يأمر بالعدل (الفعال) تتحول إلى حقيقة حيّة متحركة تتبض بالحياة والحيوية ، وتتحول إلى سلوك مرئي يوحي إلى الآخرين بالسلوك الحي ، والإنسان الفعال يضع الآية في مكانها المناسب فكأنها تنزل الآن . بينما الإنسان الكَلٌّ ، ترى الآية القرآنية في فمه لا صلة لها بحياته العملية ، كما تجده يضعها في غير مواضعها .. " (٢)

من أجل هذا نجد الأستاذ فتح الله كولن يربط ربطاً وثيقاً بين عمق الإسلام في الصدور وبين تأثيره في مفاصل الحياة : " فثمة تناسب دائم بين تعمقه في الصدور وتأثيره في مفاصل الحياة؛ فبقدر عمق تغلغله في الأرواح وتجذره فيها، يتدفق فيض تأثيره في حياتنا وتزداد انعكاساته فيما حولنا ، وهذا يعني أنه كلما كان هذا القبول الأولي للإسلام ضارباً في أغوار أعماق الإنسان، يقوى تأثيره في محيطه ، وفي ضوء ما يُمليه هذا الإذعان الداخلي، يأخذ المجتمع وجهته في مسيرة حياته الأخلاقية والاقتصادية والسياسية والإدارية والثقافية. " (٣)

### المسلم الحق هو النموذج الحضاري

يقول شاعر الإسلام محمد إقبال (٤) عن " ذات الإنسان المسلم "

أمرها في الكون طرّاً يحكم  
يدُها من قُوّة الحقِّ أثر  
حينما الذات بعشقٍ تحكم  
فإذا ما أومأت شقَّ القمر (٥)

إن هذا الإنسان المسلم أو بالتعبير الذي أحسن استخدامه إقبال: "الذات التي حملت أمانة تجسيد الحضارة الإسلامية في كل جزئيات فكره وسلوكه. " (٦)

١- سورة النحل ، الآية : ٧٦

٢- الإنسان كلاً وعدلاً ، جودت سعيد ، ص ١٠ ، ط ٣ ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ، ١٩٨٤م

٣- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ٤٨

٤- سبق التعريف به في الفصل الثالث ، ص ١٩٩

٥- ديوان إقبال ، ص ٣٥ ، ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام

٦- المرجع السابق ، ص ١٢ ، من مقدمة د. عبد الوهاب عزام

وإذا كان الشاعر الكبير قد عاش حياته كلها بحثاً عن هذا الإنسان المثالي ، الإنسان الحيّ ، الفاعل والمتفاعل ، فإنه ليعلن من خلال شعره ، أنه بعد بحثٍ وعناء ، وجد ضالّته ، لقد كان هذا الإنسان هو : ( المسلم ) لأكثر ولأقل .

": وكان هذا الإنسان المسلم هو النموذج الحضاري الذي تتحقق فيه الشروط الكاملة للقيام بالدور الحضاري، وهي في رأي محمد إقبال ثمانية شروط:

ل الإرشاد على خطى قيادة ملهمة (النبوة).

ل وعلى اعتبار روعي (التوحيد).

ل وعلى دستور (القرآن).

ل وعلى مركز محسوس (الحرم).

ل وعلى هدف واضح تقره الجماعة المسلمة

ل وتكون له السيادة على قوى الطبيعة.

ل وأن تطور ذاته في اتجاه الذات الكلية الجامعة (١). " (٢)

التوحيد ، والنبوة ، والقرآن ، والقبلة التي تجمع المسلمين وتوحد أهدافهم ، وتسخير الطبيعة لخدمة قيم التوحيد وأخلاق النبوة وآيات القرآن وإقامة المجتمع المسلم ، وتوجيه هذا كله إلى ذات الله دون سواه ، مع الجمع بين نوعي الإنسان الذكر والأنثى ، كلٌّ يقوم بدوره المنوط به ، دون إفراطٍ أو تفريط .

هذه عناصر تكوين هذه الشخصية الفريدة ، شخصية المسلم الحق ، والذي إذا وُجد وُجدت معه كلُّ أسباب النجاح والفلاح ، وإذا لم تستطع الأمة تكوين تلك الشخصية ، فلا فائدة مرجوة من أيِّ جهودٍ تُبذل لبناء الأمة أو إقامة الحضارة .

ذلك أنه : " حين أصبح الإسلام جبايةً لاهداية ، سقطت إرادة المسلم الاجتماعية، وحين استأثر بـ"بيت المال" أسرةً أو جماعة، سقطت إرادة المسلم الاقتصادية؛ وتنازع المسلمون فيما بينهم، فسقطت عوامل كثيرة من عوامل شعورهم الواحد... وقبل كل ذلك، كانت الذات المسلمة تفقد أجزاء من ذاتها ، وكانت أزمتهما الكبرى في داخلها فلم تستطع مقاومة التحديات الجديدة . " (٣)

١- يقصد أن يتجه بذاته القاصره والمقيّدة إلى ذات الله - تعالى - القادرة والمطلقه

٢- فتح الله كولن "رائد النهضة الراشدة فلي تركيا المعاصرة"، د. عبد الحليم عويس ، ص ٣٢٨

٣- المرجع السابق ، ص ٣٢٩

وفى هذا السياق يشير الأستاذ كولن إلى أن الإسلام يتميز عن غيره من النظم الدينية والفلسفية الأخرى ، بأنه رسم للإنسانية صورةً فكريةً وحياتيةً ذات بُعدٍ عالمي، لكن وفى الوقت ذاته وعلى الرغم من عالمية الرسالة الإسلامية ، فإن المنصة الأولى لانطلاقها هو : بناء الإنسان .

إن العلاقة بين إعادة تشكيل العالم ، ووجدان الإنسان ، تماماً كالعلاقة بين البذرة الصغيرة التى يُلقى بها فى كومةٍ من القش ، وبين تلك الشجرة العملاقة والمثمرة التى أنتجتها تلك البذرة الضئيلة ولاغرو ، فإن : " الهمم الفكرية والتخطيطية والفنية تولد ابتداءً فى ذات الإنسان ، ثم تتشكل صورها، ثم تتوسع وتنبسّط إذا وجدت المناخ الملائم للنمو والتطور، فكذاك أيضاً العبادات والأخلاق والحياة الروحية والثقافة والعلاقات البشرية الأخرى كافة ، يُستشعر بها بدايةً فى عمق الإنسان إيماناً وإذعاناً، ثم تنمو لتحيط بالحياة كلاً، وتسرّب بصبغتها التصرفات البشرية كافة، فتكون موجّهةً أساسياً لكل همة وانطلاقةٍ وحركةٍ وفعالية . " (١)

نعم . . هناك حصنٌ ما ، فى أعماق النفس البشرية ، لن تستطيع هذه النفس اقتحام عقبةٍ من عقبات الأعداء ، قبل أن تقتحم هذا الحصن ، ولن تستطيع فتح بلدٍ من البلدان قبل أن تفتح هذا العالم الداخلى .

إن جيل الصحابة الكرام كان ولايزال أعظم ملهمٍ فى التاريخ الإنسانى لقومٍ استطاعوا فتح مغاليق هذه النفوس ، ففتح الله لهم قلوب العباد ، وحصون البلاد .

لقد اختار الكاتب الأمريكى مايكل هارت (٢) النبىّ محمداً - صلى الله عليه وسلّم - ليكون فى مقدمة الخالدين المائة الذين كتب عنهم ، وعُلم هذا بأن محمداً - صلى الله عليه وسلّم - هو الإنسان الوحيد فى التاريخ الذى نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الدينى والدنيوى، وبعد ثلاثة عشر قرناً من وفاته فإن أثره مايزال قوياً ومتجدداً ، لقد استطاع هؤلاء البدو المؤمنون بالله ورسوله أن يقيموا امبراطورية من حدود الهند حتى المحيط الأطلسى ، وهى أعظم امبراطورية أُقيمت فى التاريخ حتى اليوم . " (٣)

١- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٥٨

٢- فيزيائى وفلكى أمريكى معاصر ، صاحب كتاب الخالدون المائة

٣- الخالدون مائة ، د. مايكل هارت ، ترجمة أنيس منصور ، ص ١٦٦، المكتب المصرى الحديث

والرجل لم تمنعه عنصريته <sup>(١)</sup> أن يقول الحق إذا علمه ، وفق قواعد البحث العلمى النزيه ، وقد كان مقياسه محايدا ، حتى إنه قال فى آخر حديثه : " إن الامتزاج بين الدين والدنيا هو ماجعلنى أومن بأن محمدا هو أعظم الشخصيات أثرا فى تاريخ البشرية كلها . " <sup>(٢)</sup>

ما أحوجنا - حقا - إلى استلهاام هذا النموذج الإنسانى الفريد ، بعيدا عن الشعارات البرّاقة ، والخطب الرئّانة ، بل بالعمل الدؤوب ، والإرادة الناضجة .

وهو مايؤكدّه الأستاذ فتح الله كولن ، حين يؤكد أن : " أعظم الفاتحين فى الدنيا، بدأوا كل عمل، من أول وقفة للفتح، وأعني القلب ، ثم انتشروا من هذا الميناء إلى أصقاع الأرض فى أربع جهات ، فإن استطاعت الإرادات الناضجة القادرة على حمل رايات ديننا ورسالتنا، أن تسيح فى الأرض بلدا بعد بلد، ويرشدون الناس إلى "الانبعاث بعد الموت". ولعلمهم يقدحون -أيما حلّوا- الشرارات الأولى لفكر نهضة كبرى هي أشمل وأوسع نهضة تهفو إليها الأعناق منذ عدة قرون . " <sup>(٣)</sup>

هذا الانبعاث بعد الموت الحضارى ، أو النهضة الكبرى المرتقبة لأمتنا ، هو مايريد الأستاذ أن يقدم له نموذجا ، لعله يكون يوما شرارة لانطلاق فكر نهضوى ينتفع به القاصى والدانى .

---

١- ألقى مايكل هارت محاضرة عام ٢٠٠٩م ودعا فيها إلى للدفاع عن " الإرث اليهودي-المسيحي والهوية الأوروبية لأمريكا" من المهاجرين، المسلمين والأفارقة الأمريكيين.

٢- الخالدون مائة ، د. مايكل هارت ، ترجمة أنيس منصور ، ص ١٩

٣- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ١٢٨



## المطلب الثاني ورثة الأرض

القارئ لفكر الأستاذ فتح الله كولن والمتتبع لخطابه الدعوى ، سواء كان خطابة أم كتابة أم حواراً ، يرصد "مصطلحات" ذات دلالة بالغة على المشروع الفكري والنهضوى له ، والذي يحتل فيه "الإنسان" دور البطولة ، باعتبار أنه في الحقيقة محور التغيير واللبننة الاولى فى بناء الحضارة ، وهل تقوم حضارة إلا للإنسان وبالإنسان ؟

إن الإنسان يحتلُّ المكانة المركزية في عملية النهوض الحضاري، فهو هدف هذا النهوض ووسيلته، ولذلك فإنه لا يمكن قياس حضارة أي مجتمع بما يمتلك من أعراض الحياة وثرواتها وإنما بمستوى ماتحتويه من إنسانية ، وأخلاق ، ويسمى الأستاذ مالك بن نبي إنسان الحضارة الصاعدة بـ (إنسان الواجب)، وهو عنده أحد عناصر الحضارة الثلاثة ( الإنسان - الوقت - الأرض ) ، بل هو العنصر الأول <sup>(١)</sup> ، أما كولن فيطلق عليه أسماء كثيرة، أهمها: (إنسان التضحية، بطل الخدمة، فدائيو المحبة، الجيل المثالي، وارثو الأرض ، أجيال الامل)

ومفهوم "ورثة الأرض " عند كولن ، مستوحى من قول الله سبحانه - ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ <sup>(٢)</sup>

وقد عني كولن فى كتابه : ونحن نقيم صرح الروح ، عناية فائقة بوجود هذا الإنسان الفاعل ، فتحدث عن وارثي الأرض الذين هم أجيال الأمل وفدائيو المحبة ومهندسو الروح الريانيون ، وهذه كلها عناوين فرعية فى هذه الكتاب ، الذى يعتبره الباحث أحد أهم الكتب المعبره عن فكر الأستاذ فتح الله كولن .

ويتساءل الأستاذ كولن هل وارثو الأرض الحقيقيون جاهزون لاسترداد ميراثهم الذى أضاعوه، فأخذه غيرهم ؟ ، وهو يشير إلى أن "ورثة الأرض " حقُّ لأمة الإسلام إن هى أوجدت هذا "الإنسان" . وواضح أن الفرق كبير بين ماينبغى أن تكون الأمة عليه ، وبين ماهى عليه فعلا .

يقول: "إن الحق الأول شيء، والحق المستلم بالتمثيل <sup>(٣)</sup> شيء آخر ، فالحق إن لم يُمَثَّل حسب مقاييس قيمه الذاتية، يمكن أن يُسَلَب في كل وقت، وإن مُنح ابتداءً لأمة معينة وجمَعَ معين...

١- انظر : كتاب " شروط النهضة : مالك بن نبي ، ص(٧٣-١٢٥) ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ،

دمشق ١٩٨٦م

٢- سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٥

٣- أى تمثيل مبادئ الإسلام وروح الشريعة وامثالهما .

فِيَسْتَرِدُّ مِنْهُمْ، وَيُسَلِّمُ إِلَى مَنْ يَكُونُونَ الْأَسْبِقُ وَالْأَفْضَلُ نَسَبِيًّا فِي الْخَيْرِ، إِلَى أَنْ يَنْشَأَ الْمُمَثِّلُونَ الْحَقِيقِيُّونَ ، وَلَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْوَرَاثَةُ لِلْأَرْضِ بِالنِّيَابَةِ وَالْخَلَافَةِ، فَحِيَازَةُ خِصَالِ التَّمَثِيلِ الَّتِي يَرِيدُهَا صَاحِبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْحَقِّ، لِأَزْمَةِ وَضْرُورِيَّةِ ، بَلْ يَصِحُّ الْقَوْلُ بِأَنَّ هَذَا الرَّجَاءَ، يَتَحَقَّقُ بِقَدْرِ إِدْرَاكِ هَذِهِ الْخِصَالِ وَمَعَايِشَتِهَا. (١)

وَلِـ "وَرَثَةُ الْأَرْضِ " عِنْدَ كَوْنِ صِفَاتٍ وَشُرُوطٍ، بِدُونِهَا لَنْ يَكُونَ مُؤَهَّلًا لِأَنْ يَكُونَ "إِنْسَانُ النَّهْضَةِ" الَّذِي يَسْتَرِدُّ الْمَجْدَ السَّلِيبِ :-

### الوصف الأول هو الإيمان الكامل: (٢)

فَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ يَضَعُ "الإيمان" هَدَفًا لِخَلْقِ الْإِنْسَانِ؛ ذَلِكَ الْإِيمَانُ الْمَشْتَمَلُ عَلَى أَفْقِ الْمَعْرِفَةِ وَرُوحِ الْمَحَبَّةِ وَبُعْدِي الْعَشْقِ وَالشُّوقِ ، وَأَلْوَانِ لَانْتِهَائِيَّةٍ مِنَ الْأَذْوَاقِ الرُّوحِيَّةِ. وَالْإِنْسَانُ مَكْتَلَفٌ بِبِنَاءِ عَالَمِهِ الْإِيمَانِي وَالتَّفَكْرِي بِمَدِّ الدَّرُوبِ مِنْ ذَاتِهِ إِلَى أَعْمَاقِ الْوُجُودِ حِينًا، وَبِالتَّقَاطِ شَرَائِحَ مِنَ الْوُجُودِ وَتَقْيِيمِهَا فِي ذَاتِهِ حِينًا آخَرَ. وَيَعْنِي هَذَا فِي الْوَقْتِ عَيْنَهُ ظُهُورَ الْحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْكَامِنَةِ فِي رُوحِهِ. فَالْإِنْسَانُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَشْعِرَ ذَاتَهُ، وَالْأَعْمَاقُ فِي ذَاتِهِ، وَمَقَاصِدَ الْوُجُودِ وَغَايَاتِهِ، وَيَطْلُعُ عَلَى كُنْهِ الْكَائِنَاتِ وَالْحَوَادِثِ وَمَا وَرَاءَ سِتَارِ الْأَشْيَاءِ... إِلَّا فِي ضِيَاءِ الْإِيمَانِ.

وَيَعْتَبَرُ كَوْنُ أَنْ هَذَا الْإِيمَانُ أَهْمُ مَصْدَرٍ لِلْقُوَّةِ : "فِي إِطَارِ هَذِهِ الْمَوَازِينِ، يُعَدُّ سَائِحَ الْإِيمَانِ مَكْتَشَفًا لِمَصْدَرٍ مَهْمٍ لِلْقُوَّةِ ، هَذِهِ الْخَزِينَةُ وَالذَّخِيرَةُ التَّعْبُويَّةُ، الْعَائِدَةُ لِلْأَبْعَادِ الْآخَرَى، وَالْمَرْمُوزُ لَهَا بِ"لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ"، لِتَبْلُغَ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ مَوْقِعًا يَلْغِي حَسَّ الْحَاجَةِ إِلَى مَصْدَرٍ غَيْرِهِ عِنْدَ مَنْ يَحُوزُ عَلَى هَذَا الْمَصْدَرِ لِلْقُوَّةِ، وَهَذَا النُّورِ. فَإِنَّهُ لَا يَرَى إِلَّا "هُوَ" سَبْحَانَهُ، وَلَا يَعْرِفُ إِلَّا "هُوَ"، وَلَا يَفْرُ إِلَّا إِلَيْهِ "هُوَ"، وَلَا يَحْيَا إِلَّا مُتَوَجِّهًا إِلَيْهِ "هُوَ"؛ فَيَسْتَطِيعُ تَحْدِيَّ كُلِّ الْقُوَى الدُّنْيَوِيَّةِ بِقَدْرِ عَمَقِ مَعْرِفَتِهِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَى اللَّهِ، وَيَعِيشُ فِي شُوقٍ، وَلَا يَقَعُ فِي التَّشَاوُمِ وَالسُّودَاوِيَّةِ حَتَّى فِي أَشَدِّ الْمَوَاقِفِ سَلْبِيَّةِ، مَعَ أَمَلِ الْقُدْرَةِ عَلَى النِّجَاحِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. (٣)

وَهُوَ دَائِمًا يَحِيلُ إِلَى التَّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ الضَّخْمِ فِي هَذَا الْمَجَالِ وَلَا سِيَّمَا كَلِمَاتِ رِسَائِلِ النُّورِ ، لِبَدِيعِ الزَّمَانِ النُّورِيِّ .

١- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ١٣

٢- يرى الباحث أن وصف الإيمان الكامل ينبغي أن يكون وفقا على الأنبياء وحدهم من حيث مقام النبوة .

٣- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٣٤

## الوصف الثاني هو العشق (١)

والعشق - وفق المفهوم الذى يطرحه كولن متأثراً بتعبيرات جلال الدين الرومى - هو خطوة تلى هذا الإيمان الكامل فى الوصف الأول ، والعشق - عنده - " يُعدُّ أهم إكسير للحياة فى الانبعاث من جديد ، إنَّ من يُعَمِّر ويجهِّز قلبه بالإيمان بالله وبمعرفته، يحسُّ حسب درجته بمحبة عميقة وعشق أصيل لكل البشر، بل لكل الوجود... فيعيش عمره كله وسط حالات المد والجزر للعشق والمواجد والأذواق الروحانية التي تحتضن الوجود كله جمعاً ، ونحن بحاجة فى الحاضر إلى أن تفيض القلوب عشقاً، وأن تتعبأ شوقاً، لتحقيق انبعاث عظيم ". (٢).

العشق إذن وفق "الرومى" و"كولن" هو (احتضان الإنسانية)، وحب الناس كل الناس من زاوية أنهم "خلق الله"، فهو حبُّ المخلوقات من أجل الخالق سبحانه ، ويسأل أحدهم جلالاً الدين الرومى : مالعشق ؟ ، فيكون جوابه : " كن أنا تُدرك (٣) ، والحال أنه لايمكن تعلمه من قراءة الكتب والدفاتر ، فرؤية الجمره فى الموقد والعسل فى القنينة ليست علما ، فتعلم الحُرقة ممن احترق ، واعشق ان كنت تريد معرفة العشق ". (٤)

وهنا نلاحظ أن أهم سمات التصوف عند كل من الرومى وكولن أنه مضادٌ تماماً لتصوف الزهد والانسحاب ، بل يمكن القول - بلاتردد- أنه تصوف المواجهة والصراع !! لكن من أهم أدوات هذه المواجهة وهذا الصراع - عندهم - : " الحنوَّ على البشر ، والنظر إليهم بعين الإشفاق ، بل وأحياناً الفهم إلى ألوان ضعفهم ، فهو عرفانٌ ينزل إلى خضم الحياة ينزلها ويقف أمامها وجهاً لوجه ". (٥)

وهذا التلاحم بين حب الله وحب خلقه يثمر الحركة نحو خدمة الخلق ابتغاء مرضاة الله - تعالى - يقول كولن : " فما من حركةٍ يمكن أن تثمر تبقى بمعزل عن العشق... وخصوصاً إن كانت الحركة أو الحملة ذات امتداداتٍ إلى العقبى ، إن العشق الإلهي الذي يمكن أن نعرفه فى إطار تعيين موقعنا من الله سبحانه بصفته الخالق المتعالي وصفتنا العبد العاجز الضعيف؛ واستشعار نشوة

١ - يوضح كولن المقصود بـ "العشق"، قائلاً: " هو الرغبة التى لاتقاوم فى سبيل الوصول إلى الحقيقة والكشف عنها "

( المصدر : لمسات على الطريق ، فتح الله كولن ، ص ١٥٤ )

٢- المرجع السابق ، ص ٣٥

٣-يعنى أن هذا مما يتذوقه الإنسان ولايستطيع التعبير عنه بالألفاظ ، فلإدراكه يجب أن تشعر بما يشعر به.

٤- مولانا جلال الدين الرومى ، د. جيهان أوقويجو ، ص ٢٠٤

٥- من مقدمة : المثوى لجلال الدين الرومى ، د، إبراهيم الدسوقي شتا ، ص ٨ ، ط١ المجلس الأعلى للثقافة ، ج ٣ ،

الخلق باعتبار وجودنا ظلاً لضيائه وجوده "هو"؛ والإيمان بأن نيل مرضاته غاية الخلق ومقصده، والسعي لتصيدها بلا توان أو وهن، هو مصدر للقوة مكنون بالسر، ولا ينبغي أن يهمل ورثة الأرض هذا المصدر، بل ينبغي أن يحيوه جيّاشاً وفواراً. (١)

### الوصف الثالث هو الإقبال على العلم بميزان ثلاثية العقل والمنطق والشعور.

وقد أشار بديع الزمان النورسي إلى أن البشرية ستتوجه في آخر الزمان بكل طاقتها إلى العلم والفن؛ فتستمد كل قوتها من العلم، ويمتلك العلم مرة أخرى الحكم والقوة، وتصير الفصاحة والبلاغة وقوة الإفادة موضوعاً في سبيل قبول الجمهور للعلم، وموضع اهتمام الجميع، ويعني هذا عودة عصر العلم والبيان من جديد (٢)

والمقصود هنا ليس العلم المجرد، وإنما هو العلم الممتزج بالعقل والمنطق والشعور، بحيث تصير هذه الثلاثية هي ميزانه الذي يوزن به.

وفى هذا يقول كولن موضحاً كيف استعمل أعداء الأمة سلاح العلم لطعنها في أعز ماتملك وهو عقل الإنسان: "وقد شهدنا في تاريخنا القريب خلاً ملموساً في الفكر العلمي، وتزلزلاً في توكير رجال العلم يصعب تعمييره، واستفاد الأجانب المقيمون في بلادنا من هذا الفراغ فائدةً جمّة، فافتتحو المدارس بنشاط في كل زاوية من زوايا الوطن، ولقّحو أجيالنا باللقّاح الأجنبي من خلال أعشاش التعليم، وتطوعت شريحةً منا لتمكين خير أبناء الوطن استعداداً وقابليةً، من شغل مقاعد الدراسة فيها، بل حتى بتقبيل الأيدي والأرجل، ليزيدوا في السرعة المطّردة للتغريب، ثم بعد مدة، ضاع الدين وضاع الإيمان عند هذه الأجيال الغرّة المخدوعة." (٣)

وهذه المدارس الغربية والتي يعتقد البعض أنها تقدم العلم التجريدي، والبحث العلمي دون إضفاء أية صبغة أيديولوجية أو عقديّة، تدسّ السم في العسل، وتلقن أبناءنا من العلوم ما يجعلهم مرتبطين فكرياً بل وشعورياً بأعدائهم.

وحين ذلك تبقى المشكلة المطروحة أمامنا قائمة وهي: "إلى أيّ مدى يستطيع العقل المسلم أن يُنتج أفكاراً حسيّة محرّكة للأمة قادرة على وصلها بالقيم الهادية لها في الكتاب والسنة، واستصحاب هذه القيم في مجالات الحياة المختلفة؟". (٤)

١- ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، ص ٣٦

٢- انظر: الكلمات لبديع الزمان النورسي ص ٢٩٢، ط ٦، دار سوزلر، القاهرة، ٢٠١١م

٣- ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، ص ٣٨

٤- إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات، د. طه جابر العلوانى، ص ٤٤

فكانت النتيجة هو تفاقم المشكلة وليس وضع الحلول العملية لها ، " وهل نعجب من النتيجة، ما دامت هذه المدارس التي سلّمناها الأدمغة الطرية بلا توجّس أو قلق، تضع في اعتبارها من غير استثناء وفي كل وقت، تقديم الثقافة الأمريكية والأخلاق الفرنسية والعادات والأعراف الإنكليزية، على العلم والتفكير العلمي." (١)

ثم يرسم خارطة النهوض والتجديد الذاتى بأدوات العلم ، إذ لا بد من تحقيق تجددنا الذاتى ونهضتنا عن طريق تلقّيح عقول شبابنا بالتفكير العلمي، وذلك سيؤدى إلى تفاعلهم واندماجهم مع الفكر والعلم، كما فعلنا ذلك قبل الغرب بقرونٍ عديدة.

### الوصف الرابع هو إعادة النظر في قراءته للكون والإنسان والحياة

وهو ما يمكن أن نطلق عليه " الرؤية الكونية " ، وهى رؤية مستمدة من القرآن الكريم ، فالقرآن هو الكتاب السماوى الوحيد الذى يدعو الإنسان إلى التفاعل مع هذا الكون ، لينتج من تفاعله انسجاماً فى حياة وارتقاءً بها ، ف: " الكون فى الفلسفة القرآنية نقيس القيمة ، غال عند صانعه ، لا لأنه بذل فيه جهداً ، أو دفع فيه ثمناً ، كلاً ( إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) (٢) ، إن ذلك راجعٌ إلى دلالاته على خالقه ، فقد بنى لبنة لبنة بالحق ، وانتظمت أرجائه قوانين محكمة تجلّى فيها المجدُ الإلهى فى أبهى صورهِ . " (٣)

ونذكّر بما يأتى ، وفق ما ذكره كولن فى هذا الشأن :-

١- يشبّه كولن الكون بكتابٍ فتحه الله تعالى أمام العيون ليراجع باستمرار الإنسان بمنشور بلّورى (٤) مؤهّل لرصد الأعماق فى الوجود ، والحياة ترشّح (٥) هذا الكتاب ، وبذلك فهو يؤكد أن الكون والإنسان والحياة أوجهاً متنوعة لحقيقة واحدة وبالتالي فإن تفريقها عن بعضها وتقطيعها ظلمٌ وازدراءٌ للوجود والإنسان، لما فيه من إخلال بانسجام الحقيقة .

٢- يرى كولن أن قيمة الإنسان الحقيقية وثيقة الصلة بعمق ورقيّ فكره وتكامل شخصيته، وإن لهذه الأوصاف دوراً كبيراً فى تعيين مكانة الإنسان لدى الحق تعالى والخلق أجمعين ، ومن يكرّر

١- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٣٨

٢- سورة يس ، الآية : ٨٢

٣- المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، محمد الغزالي ، ص ٥٤ ، ط ٢ ، دار الشروق ، ٢٠٠٥م

٤- البلورة فى الكيمياء وعلم المعادن : جسمٌ صلب تكون فيه الجسيمات المكونة من الذرات أو الجزيئات مصطفة بترتيب منتظم وبنموذج متكرر يمتد فى الفضاء ثلاثي الأبعاد

٥- بمعنى أن الحياة هى ناتج التفاعل المستمر بين الإنسان والكون .

إيمانه بأوصاف وأفكار كُفْرية، لن يكون مظهرًا لتجلي تأييد الحق تعالى وعنايته ، وكذلك لا يمكن أن يحافظ على احترام الناس له وتقتهم به وبناء عليه : " لا يُتصور أن يتحقق نجاح عظيم أو الحفاظ على نجاح قد تحقق ، على يد أناس فقراء في قيمهم الإنسانية وضعفاء في شخصياتهم، وإن ظهر عليهم مظاهر المؤمنين الصالحين."<sup>(١)</sup>

### الوصف الخامس هو أن يكون حراً في التفكير وموقراً لحرية التفكير.

من سمات الخطاب القرآني أنه خطابٌ يحثُّ على التفكير ، ويدعو إليه ، ويرفع من قيمته ، ويجعله أساساً للإيمان العميق ، بل دعا القرآن الكريم إلى إعمال الفكر في القرآن ذاته ، وعدم التعامل معه كنصٍّ مقدسٍ يؤخذ دون تفكيرٍ أو تدبرٍ (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا )<sup>(٢)</sup>، (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)<sup>(٣)</sup> ، (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ)<sup>(٤)</sup>، (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ )<sup>(٥)</sup>، وكذلك كل خطاب في القرآن موجه إلى أولى الألباب ، هو خطابٌ إلى اللب من الإنسان ، وهو عقله المدرك الفاهم لمقتضى الخطاب .

: " فالدين الإسلامي دينٌ لا يعرف الكهانة ، ولا يتوسط فيه الكهنة والأخبار بين المخلوق والخالق ، فلا ترجمان فيه بين الله وعباده ، ودينٌ بلا هيكل ولا كهانة ، لن يتجه فيه الخطاب - بدهاة - إلى غير الإنسان العاقل حراً طليقاً من كل سلطان يحول بينه وبين الفهم القويم والتفكير السليم . " <sup>(٦)</sup>  
إن التحرر وتذوق حس الحرية عمقٌ مهم لإرادة الإنسان وباب سحري يفتح على أسرار الذات - وفق تعبير كولن - ، ف : " من العسير أن نصف بـ"الإنسان" من لم ينطلق في ذلك العمق ولم يلج من ذلك الباب ، ومنذ سنين وسنين ونحن نلتوي أماً في طوق الأسر الخارجي والداخلي الرهيب ، ولقد ضيقوا علينا وسلطوا أثقالهم أنواعاً وألواناً على مشاعرنا وأفكارنا ونحن في طوق الأسر الذي يخنقنا... " <sup>(٧)</sup>

١- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٣٩

٢- سورة محمد ، الآية : ٢٤

٣- سورة النساء ، الآية : ٨٢

٤- سورة المؤمنون ، الآية : ٦٨

٥- سورة ص ، الآية : ٢٩

٦- التفكير فريضة إسلامية ، عباس محمود العقاد ، ص ١٥ ، ط ٦ ، دار الرشاد ، القاهرة

٧- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٤٠

العجيب - حقا - أن يصدر هذا الكلام من رجلٍ يُنظرُ إليه كمؤسس "حركة" دعوية ذات تأثيرٍ كبير في الواقع التركي ، وذات امتداد واسعٍ في العالم كله !!

وقد رصد الأستاذ عمر عبيد حسنة أن بعض الحركات الإسلامية لم تستطع أن تتمثل المعاني المفقودة في الأمة ، ومنها "الحرية" حتى بين أفرادها .

: "لم تستطع الحركات الإسلامية أن تتمثل بقدر كاف المعاني المفقودة في الأمة المسلمة اليوم ، وتشيعها في نطاقها ، والتي تعتبر من مقومات وأسس النهوض ، مثل الغيرة على قيم الحرية الانسانية والجهاد والتضحية في سبيلها ، والمجاهدة لسيادة الشورى والتزامها والإفادة من الخبرات والآراء كافة وتأكيد حقوق الإنسان في العدل والمساواة والكفاية والانتصار لها ، بل لعلنا نقول : أنها وقعت فريسة لبعض ردود الفعل للمواقف الضاغطة من حولها ، التي شوهت صورتها وأدخلتها في مربعات الرفض والمغالاة." (١)

وفي هذا السياق ، نرى الأستاذ كولن يتحدث عن فترة زمنية من التاريخ التركي المعاصر، وكأنه يتحدث عن الواقع المصري الحالي .

يقول: "ونعرف من تاريخنا القريب أن الأسرة والشارع ومؤسسات التعليم وأوساط الفنون قد نفخت في أرواحنا الأفكار الشاذة والموازن الفاسدة، فقلبت رأساً على عقب كل شيء، من المادة إلى الروح، في هذه المرحلة المذكورة، كنا نبدي انحرافاً إذ نفكر، ونخطط لكل شيء على محور الأنانية، ولا نحسب حساباً لوجود معتقدات وقناعات أخرى غير معتقداتنا وقناعاتنا، ونلجأ إلى القوة باستمرار كلما سنحت الفرصة ، وإذ نلجأ إلى القوة، نخلق أنفاس الحق والإرادة والفكر الحر ونجثم على صدور الآخرين." (٢)

ويرسم فتح الله كولن خطة النهوض مؤكداً أن الواقع يقتضي - إذ نمضي في طريق تجديد الأمة - أن نعيد النظر في **المحركات التاريخية** ، ويرى أن هذا ضروري، لأن الأحكام والقرارات تُقوَّب في الحاضر حسب مقدسات مصطنعة ، والقرارات المنبثقة من تحت ثقل الفهم السائد المعلوم معطولة ، وغير ولودة ، وعاجزة بديهة عن الإعداد للمرحلة المشرقة المأمولة ، ولئن أعدت لشيء، فإنها تُعدُّ للتصارع بين الحشود المنحشرة في شباك غرائز الحرص القاتلة، والخصام بين الأحزاب، والعراك بين الشعوب .

١- مراجعات في الفكر والحركة والدعوة ، عمر عبيد حسنة ، ص ١١٠

٢- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٤١

---

وهذه المسألة التي يثيرها هي مسألة التقليد ، وتقديس المتوارث من المفاهيم والتقاليد والأفكار من دون إعمال العقل فيها ، مما يؤدي إلى مزيد من التوثّر والشقاق بين أبناء الأمة الواحدة والشعب الواحد ، فضلا عن التناحر بين الشعوب المختلفة .

والأستاذ كولن في هذا يقترب كثيراً من الأفكار التي طرحها الإمام محمد عبده في بداية القرن العشرين ، والتي شكّلت محورا هاما من محاور التجديد والإصلاح في تجربة الأستاذ الإمام . يقول الأستاذ كولن " إن التعليم التقليدي لم يزد على ترداد مسلماته الثابتة، والتكّيّة (الزاوية) دفنت نفسها في الوجدانيات تماماً، فكيف يمكن نشر هذا الفهم في المجتمع، وهل يتوقع أن تكون هذه المبادئ جزءاً من الحياة؟ ، فالحاجة ماسّة اليوم إلى صدور مئسّعة تحييط بالتفكير الحر وتفتح على العلم والبحث العلمي وتستشعر التوافق بين القرآن وسنة الله على الخط الممتد من الكائنات إلى الحياة ، ولن يقتدر على ذلك في هذا الزمان إلا جماعة تتحمّل دورا لا يمكن أن يحمله إلا أولو العزم . " (١)

فأولو العزم هؤلاء هم الذين يحاولون الخروج من أسر هذه المسلمّات الثابتة ، ولاينزويون في وجدانيات تعزلهم عن الحياة ، فما أحوجنا إليهم .

هذه - إذاً - صفات ورثة الأرض كما يراها الأستاذ فتح الله كولن ، وهي صفاتٌ في مجملها تدور حول الإيمان وحب الخلق وخدمتهم ، والإقبال على العلم ، والحرية في التفكير ، وهي صفاتٌ جعلها أحد عوامل البناء الداخلي لحركة الخدمة ، من خلال تنشئة أفرادها - فكريا ووجدانيا - على هذه الصفات وغيرها ، انطلاقا من العمق الإنساني إلى التأثير المجتمعي والحضاري .



## المبحث الثاني

# المزاوجة بين الفكر والحركية

يُلخّص الأستاذ فتح الله كولن خط كفاح "ورثة الأرض" بكلمتي (الحركية والفكر) بل إنه يعتبر أن الوجود الحقيقي لورثة الأرض لا يتم إلا عبر الحركية والفكر... حركيةً وفكرًا قادران على تغيير الذات والآخرين .

بل إنه لا يكتفى بمجرد أن يتزاوج الفكر مع الحركة ، فينصهر في بوتقة واحدة، بل أن يكون الفكر والحركة في حالة استمرارٍ دائمين ، فيدعو إلى الحركية المستمرة والفكر المستمر، ذلك أننا إن لم نتحرك وفقا لهويتنا الذاتية الأصيلة، فسندخل في تأثير أفكار وبرامج الآخرين ونقع تحت سيطرة حركتهم .

ويرى أن السكون الدائم يعني إهمال التدخل فيما يحدث حولنا، والاستسلام للذوبان الذاتي رغماً عن أنفسنا كقطعة جليد سقطت في الماء ، وفي السياق ذاته يشير كولن إلى إن أهم مميزات الحركية الإسلامية والفكر الإسلامي هو أن يكون وجودنا ذاتنا، ويعنى بهذا أن يكون وجودنا على المسرح العالمي ليس مرتبطاً بغيرنا من الأمم ، وألا تكون أمتنا جزءاً من مخططات أعدائها

وقد تناولتُ هذا المبحث في ثلاثة مطالب:-

- 1) المطلب الأول : الفكر والحركية عند الأستاذ كولن
- 2) المطلب الثاني : المراحل السبعة لتحويل المعرفة إلى سلوك في "البراديم كولن "
- 3) المطلب الثالث : سورة الكهف: نموذج المزاوجة بين الفكر والحركة عند كولن

## المطلب الأول

### الفكر والحركة عند الأستاذ كولن

في ضوء ماسبق فإن الأستاذ كولن يعرف "الحركة" بقوله: "إن الحركة تعنى: احتضان الإنسان للوجود كله بأصدق وأخلص القرارات، والتدقيق فيه، والسير من خلال المعابر التي فيه إلى اللانهاية، ثم إحلال دنياه في فلك غاية الخلق الحقيقية مستخدماً الطاقة الكلية لذكائه وإرادته بالسر والقوة التي اكتسبهما من اللامتناهي".<sup>(١)</sup>

ومن ثمَّ يعرف الفكر المقترن بالحركة، لباعتبره مصطلحاً مجرداً، ولكن باعتباره كياناً نابضاً بالحياه، فيقول: "إن الفكر عملٌ حركيٌّ داخلي، فالفكر المنظم والهادف هو التساؤل من الكائنات بذاتها عن المجاهيل التي تجابهنا في وتيرة الوجود، والاستماع إلى جوابها عنها، أو تعبيراً آخر، فعالية الشعور الباحث عن الحقيقة في لسان كل شيء وفي كل مكان، بتأسيس قرابة بين ذاته والوجود كله".<sup>(٢)</sup>

إن الأستاذ فتح الله كولن في هذين التعريفين السابقين، يجعل من الفكر والحركة كليهما كجناحي طائر، لا يمكنه التحليق إلى الآفاق بدون كليهما معاً، ومهما كانت قوة أحدهما فإنه - وحده - لا يستطيع مهما حاول أن يطير.

وهذا ما أطلق عليه د. طه العلواني<sup>(٣)</sup> - رحمه الله - : فكر الحركة . . وحركة الفكر ، فيقول وكأنه يشير إلى التعريفين السابقين : "إن المشروع الذي نرى أنه أمانة لابد من حملها وأدائها ، هو المساهمة بتقديم الأسس الفكرية والمنهجية اللازمة لحركة الأمة ، أى لابد أن نجد ونجتهد ونتابع ونعقب ، ونتابع العمل لإعادة تشكيل العقل المسلم ، وفقاً للتصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة ، ذلك التصور المدرك لغايات الخلق ، الواعي على الأبعاد كلها : البعد الإنساني ، والبعد الزماني والمكاني ، وبذلك نستطيع أن نعدى حركة الأمة بالزاد الفكري الذي تفتقر إليه".<sup>(٤)</sup>

١- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٥٨

٢- المرجع السابق ، ص ٥٨

٣ - الدكتور طه جابر العلواني، فقيه ومفكر إسلامي عراقي. تخرج في الأزهر حتى حصل على الدكتوراه في أصول الفقه من كلية الشريعة بالقاهرة، عام ١٩٧٣ عمل أستاذاً لأصول الفقه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي في جدة، وشارك في تأسيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي عام ١٩٨١، ثم مديراً للبحوث والدراسات فيه، ثم نائباً للرئيس، ثم رئيساً لمدة عشر سنوات ، وقد توفي - رحمه الله - في مارس عام ٢٠١٦ م

٤- إصلاح الفكر الإسلامي بين القدرات والعقبات ، د. طه جابر العلواني ، ص ٤٣

فالفكر هو - وفق تعبير كولن - إجابة التساؤلات حول الوجود ، وتفاعل الشعور الباحث عن الحقيقة في كل ما يلقاه ، وهذا الفكر يُنتج حركة دائبة تحتضن الإنسانية كلها دون تمييز ، ابتغاء الثواب الأخرى غير المحدود ، بل ويجعل دنياه في خدمة هذه الغاية النبيلة ، ويستخدم في سبيلها كل ما وهبه الله من قوة وقدرة وذكاء ، ثم من خلال هذه الحركة اللانهائية - في أهدافها - تتولد عنده أفكارٌ جديدة تغدّي أفكاره الأولى وتنمّيها ، ، ، وهكذا ، والحركية - وفق ماسبق - هي حركة إنسانٍ لا يعيش في حدود مطالبه الفردية أو شهواته الجسدية ، فيقطع الأواصر بينه وبين مجتمعه وأمته بل وبين الوجود كله، ويحيا في إطار من الأنانية القاتلة.

وفى هذا يقول كولن : " ولا شبهة في أن السبب في انقطاع الإنسان عن الوجود وبقائه وحيداً بذاته، هو الشهوات البدنية والصراعات الواقعة في أطراف الجسمانية وكل سلوانٍ فارغ الفحوى وذو بُعدٍ وهمي، يرجع في جذوره إلى تلك الشهوات البدنية والصراعات الجسمانية إن دنيا رجل الحركية والفكر الحقيقي، وسعادته في دنياه، ذات تلونات عالمية الشمول مؤطرة بالأبد ، فكأن دنياه لابتدائية لها ولا نهاية، أو أنها تتجاوز تصوراتنا. ولذلك، نتذكر أمثال أولئك حينما نقول "الإنسان السعيد". وهل تسمى سعادة بحق سعادة لها نهاية أو بداية؟ ".<sup>(١)</sup>

نحن إذن أمام نموذج لإنسان يسعى من خلال حركة دائبة ، ينطلق من خلالها إلى الآفاق ، آفاق الوجود كله ، الأسرة والمجتمع والأمة والبشرية ، فيرى مسؤوليته - باعتباره مسلماً - عن كل ذرة في هذا الوجود ، وفي هذا الطريق يحرر ذاته من أوهام عبودية الجسد وشهواته . ثم هو يتحدث عن ما يمكن أن نطلق عليه " الفكر المتحرك " ، وهو الفكر الذي لا يدور حول نفسه ولا يغرق في فرضياتٍ موهومة ، أو قضايا تخيُّلية ، ثم هو مرتبطٌ بالآخرة ، وماتحملة من معانى الخلود والأبدية.

يقول الأستاذ أديب إبراهيم الدباغ عن تجربة كولن الدعوية وآثارها الحركية : " إن عبقرية الرجل شكّلت تاريخ دعوته ، فجاءت مطابقة لما رسم لها وخطّط ، وهكذا نما ما كان فكراً في الرأس ليغدو واقعاً في الحياة، وما كان حلماً بعيد المنال صار حقيقة في متناول اليد، وما كان مادة دعوية صغيرة في خطبة أو وعظ أو كتاب ، أصبح صرحاً دعويًا شاملاً وكبيراً، وما كان جزءاً صار كلاً. " <sup>(٢)</sup>

١- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٥٩

٢- الضاربون في الأرض ، أديب إبراهيم الدباغ ، ص ٨١ ، ط١ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٢م

## ج) إنسان الفكر والحركة

الأستاذ فتح الله كولن مشغولٌ بإنشاء "إنسان فكرٍ وحركةٍ" في آنٍ واحد ، ويرى هذا الإنسان يمثل حركة إقامة صرح الروح والمعنى من جديد بعدما آل إلى السقوط منذ عصور، ويُفسر قيم الإسلام كَرَّةً أخرى ، ويستخدم بمهارة الإرادة والمنطق في "الفكر والحركة" ، وينقش على قماش الروح والمعنى زخارف جديدة تناسبنا .

فهو - حسب وصفه - إنسانٌ منشغلٌ بحس البناء والإنشاء أبداً ، إنه : "وليُّ الحق اللدني الذي يُعدُّ قائد أركان الروح ومهندس العقل و الفكر ، ويجعل ذلك بديلاً عن استخدام القوة المادية لفتح البلاد ودحر الجيوش، وينفخ بلا كلل نفس البناء والإعمار فيمن حوله، ويرشد أعوانه إلى سبيل عمران الخرائب ، وليُّ للحق جيّاش بالشوق والشكر، استطاع أن يوحد إرادته مع المشيئة المطلقة، وأن يحول فقره إلى الغنى، وعجزه إلى القدرة عينها ، إنه لا يُقهر أبداً ما دام يستخدم مصادر قوته هذه كما ينبغي وبحسّ الإخلاص والوفاء لصاحبها<sup>(١)</sup> ، وحتى حين الظن بأنه قد هُزم، فستجده على رأس فوج آخر للنصر والظفر." <sup>(٢)</sup>

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى أن هذا الإنسان المقصود ، ليس قالباً جامداً بحيث ينحصر لكونه مرتبطاً بالفكر في إطار ( الدعاة أو العلماء أو المفكرين ) ، ليس هذا هو المقصود قطعاً ، يقول الأستاذ كولن :-

" وقد تجد إنسان الفكر والحركة ابناً باراً للوطن، أو إنساناً حركياً ذا بُعد فكري، أو رجلاً متفانياً في العلم، أو فناً مبدعاً ، أو رجلاً دولة، أو رجلاً يجمع كل هؤلاء فيه ، وفي العصر الأخير ظهر كثير من رجال الفكر والحركة يمثلون قسماً من هذه الصفات ، فمنهم من سبق فكره عمله الحركي، ومنهم من تبارى فكره مع عمله الحركي، ومنهم رجال حركة فكرهم مكنون ومخزون." <sup>(٣)</sup>

وفي هذا الإطار فإن عالماً جليلاً مثل الدكتور محمد عبد الله دراز - رحمه الله - كتب عن هذه الحلقة المفقودة بين " الفكر " و "الحركة" أو بين "العلم والعمل"، تحت عنوان " الحلقة المفقودة في أنظمتنا الاجتماعية" ومما قاله - رحمه الله - : " نحن في حاجة ملحة إلى إيقاظ هذا الضمير الاجتماعي في الأمة لاعن طريق الدعوة والموعظة فحسب ، بل عن طريق عمليّ جدّي، نحن بحاجة إلى تكوين رأي عام أخلاقي ، له نفوذه واحترامه في نفوس كل الأفراد . " <sup>(٤)</sup>

١- وصاحب هذه القوة وواهبها هو الله - جلّ جلاله -

٢- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٦٣

٣- المرجع السابق ، ص ٦٤

٤- زاد المسلم في الدين والحياة ، د. محمد عبد الله دراز ، ص ٢٣١

---

ولاشك أن هذه المزوجة المحمودة بين الفكر والحركة عند الداعية ، تمثل الطبيعة التنفيذية ، اللزم توفرها في الداعية ، والواجب تحققها لديه ، ذلك أن : " الإيمان ليس معنىً روحياً سلبياً يصل الإنسان بالله فقط ، إنما هو إلى ذلك قوةً إيجابيةً تبعث على التنفيذ وتنهض إلى العمل ..أو هو : سرالهي في قلب الداعية وعصبه، موكلٌ بإنفاذ رسالته إلى الحياة العملية " (١)

لهذا كله كان الفكر والحركة في تجربة الأستاذ فتح الله كولن ، لاينفك أحدهما عن الآخر ، فتعريف أحدهما مرتبطٌ بتعريف الآخر ، ووجود أحدهما لايتصور بدون وجود الآخر ، فهما فكرٌ يقود إلى حركة ، وحركة تقود فكر .

## المطلب الثاني

### المراحل السبعة لتحويل المعرفة إلى سلوك في "البراديم كولن"

في إطار محاولته لتصنيف "فكر وحركة فتح الله كولن"، فإن الدكتور محمد باباعمي<sup>(١)</sup> أطلق عليه وصف (البراديم كولن)، وهو يقصد به كون تجربة كولن نموذجا مختلفا عن السياقات المعهودة، وقد رصد الدكتور باباعمي مراحل سبعة لتحويل المعرفة إلى سلوك، أو المزوجة بين الفكر والحركة، التي تؤدي إلى الفعل الحضاري، من خلال هذا الاقتباس الساطع في تجربة كولن وهي :-

#### أولا - معرفة الحق سبحانه حق المعرفة من خلال رؤية أسمائه الحسنى

وقد عبّر عنه كولن بـ"رؤية تجليات الأسماء الحسنى"، وللأسماء الحسنى في فكر كولن مكانة خاصة<sup>(٢)</sup>، إذ لا يعدّها مجرد كلمات وألفاظ، وإنما يصنع منها سلامم للراقي الروحي والوجداني، ويبدع بها أسبابا للسمو العقلي والحركي من خلال الاجتهاد في النظر إلى الأسرار والتجليات، لا إلى المظاهر والمعلومات... خلافا للكثير من مناهجنا التربوية والدعوية التي تقتصر على المعاني العقلية والمعرفية، غافلةً للدلالات الخفية العميقة القلبية الخاصة.

وفي كتابه الرائع "النور الخالد" تحدث كولن عن صفة الحلم عند النبي - صلى الله عليه وسلم - باعتباره نموذج "الإنسان الكامل"، وربطها بصفة "الحلم" عند الله - تعالى - بأسلوبٍ بديع<sup>(٣)</sup>، باعتبار أن الحلم "خلق إلهي"... في إشارةٍ منه إلى قوة فاعلية أسماء الله الحسنى، لتصير بحركيةٍ فائقة صفات البشر انعكاساً لأسماء الله وصفاته العليا - من دون تشبيهٍ أو تمثيلٍ - .

#### ثانيا - انتقال المعرفة من المداخل إلى المخارج عبر العقل

يقول كولن في "التلال الزمردية": "ففي أثناء هذه السياحة تسيل الأنوار من عيون السالك وأذنه إلى لسانه".<sup>(٤)</sup> فالأعين والآذان مداخل للعلم والمعرفة، منها تعبر المدركات، سواء أكانت حسية أم عقلية، دلالية أم لغوية.

١- مدير معهد المناهج بالجزائر، وأحد أبرز الباحثين في فكر وتجربة الأستاذ فتح الله كولن .

٢- ألقى الأستاذ كولن سلسلة محاضرات شهيرة حول "قوة فاعلية أسماء الله الحسنى" بمسجد بورنوا عام ١٩٧٦م، منشورة ومترجمة على موقعه الإلكتروني [www.Fgulen.com](http://www.Fgulen.com)

٣- النور الخالد، فتح الله كولن، ص ٢٥٩

٤- التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح، فتح الله كولن: ص ١٥

ثم يأتي اللسان، : " وهو من أبرز المخارج لهذه المُدرَكات، فيصف ما يحدث داخل العقل وفي سويداء القلب، بأخصر عبارة، وبأوضح بيان... ولا يُشترط أن يكون الواصفُ الناطقُ عالماً، لكن يكفي أن يكون صادقاً، ولو كان صبيهاً، ليخرج من فؤاده أعجب المعاني، وأوسع الدلالات..." (١)

### ثالثاً - حركية من اللسان مباشرة إلى الجنان والقلب:

المعرفة الحقّة بالإضافة إلى طابعها العقلي "قلبية وجدانية"، خلاف من يحبسها في الفلسفة أو الجانب العقلي فقط، بحيث تكون من الحواس إلى العقل، ثم من العقل إلى الحواس، ويُلغى كلّ ما كان وجدانياً، ويعتبره خارج دائرة الموضوعية، وغني عن البيان أنّ هذا الانحراف ورث البشرية ضلالاً كبيراً، يقول تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ (٢) لأنهم عطلوها وحطّوها، ومن مات قلبه مات وجدانه. (٣)

### رابعاً - تحرك آلة السلوك والجوارح:

أي بعد كلّ هذا الجهد المعرفي النظري، هل تتحوّل المعارف سلوكاً، وهل يتجلى العلم عملاً وتطبيقاً؟

أمّا الأستاذ كولن فيعيد السبب إلى المقدمات الأولى: فإذا كانت المقدمات صحيحة سليمة كانت النتائج كذلك، وإذا كانت فاسدة سقيمة جاءت النتائج على إثرها كذلك. وهذه المرحلة الرابعة، مرحلة فارقة في تتبّع الحدّ الفاصل للبراديم كولن ذلك أنّنا نصادف فكراً بلا فعل، ونصادف فعلاً بلا فكر، كما أنّنا نجد في واقع المسلمين اهتماماً بالفكر مقروناً بالفعل، لكن مع غياب عرض الوسائل والآليات، هذا العرض، على أهميته، حبيس الكتب والأوراق والأذهان، ولا يقفز إلى التمثّل الواقعي الميداني الحضاري... أمّا كولن فيختلف كلّ الاختلاف عن كلّ ذلك، والواقع شاهدٌ على هذا الحكم. (٤)

وفي هذا يقول الأستاذ كولن، في إطار وصفه لإنسان الفكر والحركة كما يسميه - : " فمن البديهة أن كلّ تصوّف للمؤمن الحقيقي عبادة، وكلّ فكر منه مراقبة، وكلّ كلام له مناجاة وملحمة معرفة، وكلّ مشاهدة منه للوجود تطلّع وتدقيق، ثم كل مناسبة بأهل وطنه شفقةً رحمانية، ومن العسير

١- البراديم كولن فتح الله كولن ومشروع الخدمة، بتصريف واختصار، د. محمد باباعمي، ص ٩٦

٢- سورة الأعراف، الآية ١٧٩

٣- البراديم كولن، بتصريف واختصار، د. محمد باباعمي، ص ٩٧

٤- المرجع السابق، ص ٩٨

الارتقاء إلى هذه الدرّة ما لم تمرر التجربة من مصفاة العقل، وما لم يُسَلِّم العقل نفسه للفظنة العظمى وما لم يقع المنطق في حال الحب ، وما لم ينقلب الحب أيضاً إلى العشق الإلهي". (١)

#### خامسا - تحوّل السلوك والأحوال إلى لسان ناطق بتصديق الحقّ:

هذه المرحلة، يصعب وصفها ، ذلك : " أنها في سلّم المعرفة مرحلة عميقة جدا، لا ترضى بشاطئ الحياة مثل أطفال صغار لا يُحسنون السباحة، بل تلج مثل غوّاص ماهر إلى أعماق بحار العقل، وإلى أغوار محيطات القلب، فتتمثل لها الأفعال مجسّدة، في صورة أقوال وكلمات... كلُّ حركة تساوي جملةً معبّرة، وكلُّ فعلٍ يعدل نصا مُحكما... إلى أن تتوحّد اللغات جميعا -لغة العقل والقلب واللسان والجوارح- في لغة واحدة، هي لغة تصديق الحق تعالى، تحت مُسمّى: "الكلمة الطيبة"، وما أروع الدليل على ذلك في قوله جل من قائل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (٢). " (٣)

وفي هذا المعنى نرى " كولن" وفي إطار المزوجة والموازنة بين الفكر والحركة في تجربته الدعوية، يدعو إلى " تعميق الكمية في عبادتنا إلى النوعية " ، يقول: " ولا يعي هذا المعنى إلا الذين يحسون الصلاة كالتائف في المعراج، ويستلذون من أداء الزكاة كحافظ الوديعة أو موظف التوزيع، ويعيشون الحج كندوة عالمية لتداول معضلات العالم الإسلامي، وفي أرضية يرصدون فيها نورانية ومهابة الروح والقلب والأبعاد الأخروية". (٤)

#### سادسا - ظهور ذلك في الأسلوب الإيمانيّ الإيجابي للفرد والمجتمع

لا شكّ أن من كانت أحواله، كما ذكر، فإنه سيولّد إنساناً آخر، ليس على شاكلة كلّ مولود يوميّ تتقاذفه رياح العصر، لكن على شاكلة النخلة السامقة المعطاء، فيكونون كما يقول كولن: "يدفعون السيئة بالحسنة، وبالكلمة الطيبة، وبسلوك الإحسان وبالقول اللين، فيقومون بإصلاح جميع السلبيات، ويقابلون الهدم بحملات البناء". (٥)

والأستاذ كولن يسمى هؤلاء أطباء المعنويات : " القادرين على تشخيص بؤسنا الداخلي والخارجي ومداواته، المشدودين إلى الأخرويات من غير انقطاع. أولئك المرشدون الذين يمتد عالمهم الفكري

١- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٥٩

٢- سورة فاطر: ، الآية : ١٠

٣- البراديم كولن ، د. محمد باباعمي ، ص ٩٨

٤- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٦٠

٥- من مقال: المؤمن لا يسقط وإن اهتزّ، مجلة حراء، المقالة الافتتاحية ، العدد ١٧، أكتوبر ٢٠٠٩م



من المادة إلى المعنى، ومن الفيزياء إلى الميتافيزيقا، ومن الفلسفة إلى التصوف، وسيكون هؤلاء ممثلين لحركات الإعمار والإحياء الآتية غداً. (١)

### سابعاً - ميلاد حضارة إسلامية تزوج بين الفكر والحركة

كم من محاولة وتجربة خاضها العالم الإسلامي في القرون الأخيرة، لاستعادة المكانة اللائقة بالأمة الإسلامية، غير أنها لم تصل الغاية، وإن كان الإنصاف يقتضى أن لا يحكم عليها أنها فشلت، بل لعلها تكون بوادر وبواكير ومؤثرات للمستقبل ، غير أنّ الذي ينبغي أن ننتبه إليه اليوم، والذي ينبغي أن نعمل وفقه في منهج "الرشد"، هو: ذاتية التغيير، لقوله تعالى: ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٢)

وإذا ما توالت مراحل تحويل المعرفة إلى سلوك، وفق الخطوات السابقة، فإنّ النتيجة تكون طبيعية، لا جدال فيها ، يقول الأستاذ "فتح الله":-

: " ينبغي أن يستشعر وارثو الأرض الذين يخططون لإقامة عالم المستقبل، نوع العالم الذي يريدون إقامته، ونوع الجواهر اللازم استعمالها في إعمار هذا العالم وعلى مهندسي مستقبل الضياء أن يجهدوا في استخدام قوتهم الفكرية - إلى جانب دوافعهم الحركية- من أجل أن تُنصت المحركات التاريخية التي ننشئ بها حياتنا الدينية والوطنية إلى صوت الإسلام كرهة أخرى، وتلتقط زاوية نظره وتجس نبضه وتستمع إلى وجيبه، بالاستفادة القصوى من المرونة والامتداد العميق والعالمية في إعلاء بناء هذه المحركات مع الحفاظ على الكتاب والسنة وصوفي اجتهادات السلف الصالح، وحسب مدارك العصر وأسلوبه . ذلك ، حتى لا يعيشوا حياة البرزخ في طريق الانبعاث بعد الموت! " (٣)

فانظر كيف جمع بين " القوة الفكرية " و" الدافع الحركي " .. فى إطارٍ من الجمع بين ثوابت الكتاب والسنة ، ومتغيرات العصر وأساليبه الحديثة .

ربما يمكننا تشبيهه (علاقة الفكر بالحركة ) فى تجربة كولن بـ"الدينامو" (أي المولّد) الكهرومغناطيسي، الذي هو عبارة عن آلة لإنتاج التيار الكهربيّ المستمر عن طريق الحركة، حيث يتم تحويل الطاقة الحركية إلى طاقة كهربية ، فالإيمان يحول الطاقة الإيمانية إلى طاقة حركية ، وهذه الحركية بدورها تولّد مزيداً من طاقة الإيمان ، وهكذا فى متواليه هندسية متتابعة يتولد منها الخير والبركة والنهوض.

١- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٦١

٢- سورة الرعد ، الآية : ١١

٣- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ٣٦

ففي مقالٍ له بمجلة حراء يقول فتح الله كولن : " على المؤمن أن يُغدّي إيمانه بنيّاته وتصوّراته وإرادته وبرامجه ، وعليه أن يُحرّك مكوّن الشعور والحسّ والإرادة دائماً من الإيمان إلى الحركية ومن الحركية إلى الإيمان، فينسج نقوش قماش حياته ورقوشه وكأنه يعرضها لمشاهدة أنظار الله - سبحانه وتعالى - بكامل انشراح الصدر. " (١)

وهناك ملمحٌ جديرٌ بالتنبيه ، أشار إليه الدكتور باباعميّ إلى أن عناوين مؤلفات كولن مرتّبة بناءً على هذه الخطوات السبع، بدايةً من (بناء الذات)، التي يمثّلها كتابه "ونحن نقيم صرح الروح"، وانتهاءً ب(بناء الحضارة)، الممثّلة في كتاب "ونحن نبني حضارتنا"، وفي عمق هذه المسيرة يقع "البيان"، ويحتاج إلى "التلال الزمرديّة"، ويستضاء بـ"النور الخالد"، ويخطّط لـ"جيل الحداثة"، فإذا ما وقعت الحيرة وكثرت الأسئلة أُحتجج إلى الجواب عن "أسئلة العصر المحيرة"، وهي في طبيعتها متجدّدة لا تنتهي، ما دامت الحياة جادة في هرولتها نحو الفناء ووجهة الخلود والأبد. (٢)

١- من مقال "نظرة إجمالية إلى الإسلام"، مجلة حراء، العدد ٢٤، السنة السادسة ٢٠١١م

٢- البراديم كولن : فتح الله كولن ومشروع الخدمة بتصرف واختصار ، د. محمد باباعميّ ، ص ٩٩

## المطلب الثالث

### سورة الكهف: نموذج المزاجية بين الفكر والحركة عند كولن

سورة الكهف ، تلك السورة العظيمة التي أمرنا بتلاوتها كل يوم جمعة ، لكأنما هي مراجعة أسبوعية لمشروع النهضة ، حيث : " تنطلق النهضة من فتية الكهف ، وهم يحملون عبء النهضة إلى الكهف ، (شبابٌ يحملون الفكرة) ... وصولاً إلى أعلى مرحلة : ذو القرنين ( مرحلة التمكين ) ... الطريق من الكهف إلى ذى القرنين لا يمكن أن يمتد دون الاستناد على البوصلة القرآنية ، فمن خلالها نحدّد الاتجاه والثابت والهدف . " (١)

يقول الأستاذ كولن في إطار تفسيره لقوله - تعالى - ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (٢)

: "إن أصحاب الكهف يمثلون رمز البعث والإحياء حتى يوم القيامة . لأن جميع حركات البعث والإحياء مرّت بفترات الضيق وفترات العيش في المغارات أو تحت الأرض، وسيكرر هذا في المستقبل أيضا ، والحقيقة أن الشيء نفسه واردٌ بالنسبة للجماعات التي تقوم بحركات التجديد وإعادة الإنسانية إلى رشدها وإلى خط سيرها الصحيح في الحقب التاريخية المختلفة. " (٣)

عالجت آيات سورة الكهف، التي تعرّضت لقصة موسى والخضر - عليهما السلام - ، كلّ الأصول النظرية للمعرفة والسلوك ، ف : "محور قصة موسى والعبء الصالح هو النزول بالفكر والعقيدة إلى الواقع ، إلى التفاعل الإجتماعي الحقيقي ، الذي يدخل هذا الفكر ليكون طرفاً في معادلة البناء الإجتماعي ... إنه النزول بالنظرية إلى إطار التطبيق ، حيث المحكّ الحقيقي لمصادقيتها . " (٤)

فتناولت السورة بدايةً أهمية الصبر في كلّ عملية تعلّم ، حتى ولو كان المتعلم نبياً عظيماً من أولى العزم من الرسل : ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٥) ، ثم بيّنت سبب عدم الصبر، وهو عدم إدراك حقائق الأمور وخفايا الأفعال : ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (٦)

١- البوصلة القرآنية ، د.أحمد خيرى العمرى، ص ٤٣٩، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ٢٠٠٣م

٢- سورة الكهف ، الآية : ١٠

٣- أضواء قرآنية فى سماء الوجدان ، فتح الله كولن ، باختصار ، ص١٩٣-١٩٧

٤- البوصلة القرآنية ، د.أحمد خيرى العمرى، ص ٤٤١

٥- سورة الكهف ، الآية : ٦٧

٦- سورة الكهف ، الآية : ٦٨

ثم ركزت على إصرار المتلقي وعلى التحدي وسيلةً للتعلم، وسرا للنجاح: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (١)

ولقد أبرز الأستاذ كولن ملامح الشخصية التي تجعل من العراقيين سلماً إلى المراقي والعظام، وقال في مقال بعنوان "رجل القلب":

: "لا يقع رجل القلب في اليأس أبداً من سوء النظام الموجود، ولا يهتئ أبداً حتى وإن وقف الناس أجمعون ضده، بل ينهض بعزم أمام جميع المصاعب، لأنه يدرك أنّ هذه الدنيا ليست بدار شكوى بل دار تحمّل، يصبر ويبحث عن طرق بديلة لحل المشاكل التي تعترض طريقه، ولا يفتر عزمه ولا إقدامه حتى في أحلك الظروف، بل يقوم بإنتاج إستراتيجيات مختلفة. " (٢)

وهو لا يبحث فقط على تحدي الصعاب، ومغالبة المشاكل، بل يدعو إلى إنتاج "استراتيجيات جديدة"، والتي ينبغي أن تكون "مختلفة" عن الاستراتيجيات السابقة؛ لأنّ من يطلب نتيجة بتكرار نفس الفعل الذي لم يثمر من قبل، فإنه يطلب المستحيل.

### أهمية الممارسة والتجربة من خلال سورة الكهف

تعرضت آيات سورة الكهف إلى ثقة المعلم في المتعلم، وبداية المشوار (التعليمي-العملي)، فرغم أنّ الخضر- عليه السلام - حذر موسى- عليه السلام - من عدم إمكانية الصبر إلا أنّ أسلوب الثقة والإصرار سمح له باختبار ما قاله، إذ ليس الهدف هو إدراك الحقيقة فقط، لكنّ الهدف الأساس هو معرفة منهج وطريقة الوصول إلى هذه الحقيقة .

ثم تأتي مرحلة التعلم عبر الخبرة، وهي أن تعتبر عملية نقل المعلومة والمعرفة جزءاً من الحياة، لا عملية منفصلة عنها،... وتأتي هنا أهمية التعلم عن طريق الممارسة والخبرة والفعل، لا بمجرد نقل المعلومات وحفظها والاختبار فيها، ثم الانتقال إلى معلومات جديدة... فيتحوّل صاحبها إلى خزّان للمعلومات، لا يملك القدرة الكافية على توظيفها، ولا تشغيلها في نسق آخر.... والمقصود هو ما يقوله كولن : "تحويل كلّ مكان، سواء أكان مدرسة أم مسجداً، شارعاً أم مسكناً، إلى مرصد ترصد الحقيقة الكامنة خلف الوجود والحياة والإنسان. " (٣)

وينبغي أن نتنبه إلى أنّ الخطأ في الخبرة جزء أساس من عملية التعلم والتعليم ، فما فعله موسى - عليه السلام - ، رغم وصف القرآن له، على لسان الخضر بـ"عدم الصبر"، وعلى لسان موسى بـ"النسيان"، إلا أنها كانت سبباً لإدراك الحقائق ووسيلة لتمثّل المعارف، فمن خاف من الخطأ لم

١- سورة الكهف ، الآية : ٦٩

٢- من مقال : صورة قلمية لرجل القلب ، مجلة حراء ، عدد ١٤ ، السنة الرابعة ، ٢٠٠٨م

٣- من مقال : لدى استكشافنا خط السير ، مجلة حراء، العدد: ٤ ، السنة الثانية ، ٢٠٠٦م

يدرك الصواب، والفرق بين إنسان وآخر هو الاستعداد للتصحيح لدى البعض، وعدم تقبل التصويب لدى البعض الآخر، ولذا وصف الله تعالى هؤلاء بقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ (١)

ونعود إلى "نموذج الرشد" الذي يتحدث عنه الدكتور باباعمي حيث يرى في "سورة الكهف" صورة هذا النموذج حيث يذكر أن مصطلح الرشد ذكر في سورة الكهف أربع مرات، وهي قوله - تعالى - في معرض الحديث عن الفتية أصحاب الكهف: ﴿إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (٢)

وفي نفس السياق مخاطبا رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعلٌ ذلك غداً إلا أن يشاءَ اللهُ وأذكرُ ربَّكَ إذا نسيتَ وقُلْ عسى أن يَهْدِيَنِي ربي لأقربَ من هذا رَشَدًا﴾ (٣)

وفي قصة موسى مع الخضر -عليهما السلام - : ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَدًا﴾ (٤) ، أما بصيغة اسم الفاعل "مرشداً"، فوردت في تقرير دلالة عقديّة وقانون رباني يضبط جدلية الهداية والضلال: ﴿مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (٥) والرشد فسره القدامى بأنه: "إصابة الخير" (٦) و"الدليل على الهدى" (٧)

أمّا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوي - رحمه الله - فقد وجّه المعنى توجيهاً جديداً بديعاً، وجعل الرشد بمعنى: "حسن التصرف في الأشياء، وسداد المسلك في علة ما أنت بصدده". (٨) لنتأمل تعريف الإمام الشعراوي، فقد: "وظف كلمات مفتاحية هي: الحسن، والتصرف، والسداد، والمسلك، والعلة... ثم ختمها بالبعد الزمني والمكاني لمدلول الرشد، بقوله: "في علة ما أنت بصدده"، أي أن تعليم الرشد يأخذ في الاعتبار حالة المتلقي النفسية والاجتماعية والمعرفية،

١- سورة البقرة ، الآية : ٢٠٦

٢- سورة الكهف ، الآية : ١٠

٣- سورة الكهف ، الآيتان : ٢٣ ، ٢٤

٤- سورة الكهف ، الآية : ٦٦

٥- سورة الكهف ، الآية : ١٧

٦- تفسير الألوسي: روح المعاني؛ تفسير سورة الكهف، الآية ٦٦.

٧- تفسير الطبري: جامع البيان؛ تفسير سورة الكهف، الآية ٦٦.

٨- الإمام الشعراوي: خواطر إيمانية متلّفة ؛ تفسير سورة الكهف، الآية ٦٦.

وظروفه الزمانية والمكانية ، أمّا التعليم غير المعتمد على الرشد فيقتصر على المعلومات مفصولة عن الواقع، وهذا ما يوئد حالة انفصام وفصام. <sup>(١)</sup>

## ل ذو القرنين ووراثة الأرض

يتحدث فتح الله كولن عن ذي القرنين - كما وردت قصته في سورة الكهف - باعتباره أحد الذين تحقّق فيهم مبدأ " وراثة الأرض" باعتباره مبدأ قرآنيا .

: " ونفهم من الآيات التي تتحدث عنه أنه كان يمثّل الإسلام أمام التوازن العالمي، وأنه كان يتوجه بجيشه إلى المناطق التي تسود فيها الاضطرابات والقتال والفساد، وأنه كان يضع السدود أمام الفساد في تلك المناطق القلقة ويؤمن التوازن والسلام ، أي كان ممن ورث الأرض، وكان عنصر توازن بين الدول ، لذا جهّزه الله تعالى بكل الأدوات والأسباب التي تمكّنه من أداء هذه المهمة وآية ( وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَاتَّبَعَ سَبَبًا ) <sup>(٢)</sup> تؤيد هذا المعنى .

وقد أدرك ذو القرنين حكمة إعطائه هذه القدرة وهذه الإمكانية الكبيرة فاستعملها حتى مداها الأخير في تحقيق الرضا الإلهي، وفي سبيل تحقيق التوازن في الأرض فكان رجل فكر ومبدأ استعمل ما سخر له في هذا السبيل. " <sup>(٣)</sup>

وفي سياق تفسيره لقول الله ( قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًا ) <sup>(٤)</sup>

يوضح أن ذا القرنين كان هو النموذج الفاعل المتحرك بفكره لتحقيق غاية سامية وهدف نبيل .  
ف: " نحن نرى بأن علينا البحث عن أحكام كلية في قصة ذي القرنين ، مثل شروط بقاء الدولة ودوامها وشروط رئيس الدولة ... الخ ، وشيء آخر نود الإشارة إليه وهو قيام ذي القرنين - الذي كان يمثّل العدالة والاستقامة في الأرض - بمساعدة العاجزين والمسحوقين ولم يتزدد ذو القرنين من الوقوف أمام هؤلاء المفسدين الطغاة أعداء الدين والعرض والملة ، وسيتكرر التاريخ في هذا الخصوص وسيقوم من يرثون الأرض بإيقاف أمثال هؤلاء عند حدهم في كل عهد. " <sup>(٥)</sup>  
فالوقوف في وجه الطغاة ، وتحرير الضعفاء من قبضتهم ، هي خصيصة من أهم خصائص الذين يرثون الأرض من بعد أهلها ، إلى هذا ترشدنا قصة ذي القرنين في سورة الكهف

١- انظر: البراديم كولن ، د. محمد باباعمي ، ص ١٠٢

٢- سورة الكهف ، الآية : ٨٤

٣- أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، فتح الله كولن ، ص ٢٠٨

٤- سورة الكهف ، الآية : ٩٤

٥- أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، فتح الله كولن ، ص ٢١٠

---

## المبحث الثالث

# التركيزُ نحو الهدفِ السامى

## إحياء الأمة

وقد تناولتُ هذا المبحثُ فى أربعة مطالب :-

- المطلب الأول : حاجة الأمة والإنسانية إلى الإسلام
- المطلب الثانى : بين تحديد الهدف ... وتقديم النموذج
- المطلب الثالث : تضافر الجهود ... أوالهلاك
- المطلب الرابع : إحياء الأمة .. بين الأهداف والوسائل

## المطلب الأول

### حاجة الإنسانية والأمة إلى الإسلام

#### أزمة الأفكار والحلول المخففة

يشير الأستاذ كولن إلى أزمة الأيديولوجيات التي أخفقت في إسعاد البشرية ، فلم توجد حتى اليوم أيديولوجية نجحت في جمع البشر في ظلها زمنا طويلاً، بل لم توجد أيديولوجية اكتشفت كلَّ الضرورات اللازمة التي يتطلبها جمع البشر تحت سقف واحد ، ويؤكد أنه على الرغم من الادعاءات الباهرة، لم تستطع الدول الغربية التي هيمنت على قسم واسع من الأرض في التاريخ القريب أن تحقق الأمان والسعادة الدائمة للعالم، ولا الشعوب الاشتراكية والشيوعية في الشرق والغرب.

: "إن الإخفاق في تحقيق الوعود، زرع أركان الثقة لدى المترقبين والمستعدين للاستقبال، وزيادة على ذلك، فإن عجز الحلول المطروحة عن البلوغ إلى مستوى العالمية، وقصورها عن احتضان البشرية كلها، ومخالفتها للطبيعة الإنسانية، قد أوقع الجميع في أزمة انعدام الثقة... بل في الريبة والشك في كل وعود من يعد! فتقف الإنسانية اليوم مع كل نظام يعرض عليها موقف الشك والقلق والاستهزاء.. لأنها باتت تعتقد أن الأنظمة التي فرضت عليها حتى اليوم لم تعمل كما ينبغي، بل عجزت عن العمل، وبالتالي هناك خلل في الأنظمة كلها!" (١)

ونستطيع أن نجمل أسباب فشل هذه الأيديولوجيات من وجهة نظر كولن في :-

التضاد مع الطبع البشري... مثل رفض الدين أو إهماله ( العلمانية )

العجز عن احتضان الفئات كلها،.. بمعنى أنها نخبوية أو طائفية أو عرقية

القصور في إنجاز وعودها.. مثل الوعود الزائفة برفاهية الشعوب والمساواة للرأسمالية

والشيوعية..وأخيراً الديمقراطية!

الضعف في الاستجابة للحاجات الإنسانية

إغفال مجموعة القيم الإنسانية..

تأجيج مشاعر الحقد والبغض بين البشر... (٢)

فهذه الأيديولوجيات أخفقت في إيجاد الحل الناجع للبشرية الحائرة ، بسبب تبنيها لواحدة أو أكثر من الأفكار السابقة ، فرأينا حلولاً تطرح البديل العلماني أو الرأسمالي أو الشيوعي وأخرى تطرح

١- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ٣٦

٢- انظر : ونحن نبني حضارتنا ، ص ٣٦ ، ٣٧



حلولا أخرى طائفية أو عرقية أو وطنية محلية ، وكلها حلولٌ لا تقي بحاجات الإنسان الجسدية والروحية معا ، ولا تراعى القيم الإنسانية جملة ، لذلك كانت حاجة الإنسانية ماسة إلى الإسلام .  
يأتى الإسلام ليملاً الفراغ الهائل الذى تركته هذه الأيديولوجيات البائسة ، وهنا يؤكد كولن أن أمتنا التى جرّبت هذه السياسات ، والبشرية من ورائها بحاجة ماسة إلى فكرٍ سامٍ يقوي إراداتها، ويبعث الأمل في قلوبنا، ولا يعرضنا للخيبة مرة أخرى.، وهو يحدد بدقة سمات هذا الفكر السامى فهو :-

ل ليس فيه فجوات عقلية أو منطقية أو حسية

ل محصن ضد النواقص التى ذكرناها آنفاً

ل وصالح للتفعيل والتطبيق بأقصى درجة كلما سمحت الظروف.

ومن هنا تأتي فرصة الدعاة إلى الإسلام بأفعالهم قبل أقوالهم ، فحين تفشل هذه الأيديولوجيات فى إسعاد البشرية وسد حاجاتها ، فهذا دورنا لنقدم إليها بضاعتنا ، وقد حدّد القرآن الكريم رسالتنا فى هذه الحياة ( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ )<sup>(١)</sup> ، : "أهى دعوة نظرية إلى الخير تظهر فى المصقات والكتيبات والنشرات العامة؟! أم هى دعوة للأمة لتقدّم من نفسها نموذجاً حياً ودعوة حسنة لما تدعو إليه ، والأمة التى لاتعرف لها هدفاً قد تتحرك فى موضعها ، أو تتحرك فى اتجاه مضاد ، أو تُصيب نفسها وهى تريد أن تصيب غيرها . " (٢)

ولهذا نرى الأستاذ فتح الله كولن ينادى أبناء الأمة ليأخذوا مكانهم اللائق بهم ، و يجتمعوا حول هذا الهدف السامى ، وألا يتركوا فرصة الإحياء تتسرب من بين أيديهم ، لاسيما بعد كل هذه التجارب الفاشلة التى مرّ بها العالم ونحن جزء منه .

حيث : "إننا نشهد مرحلة يتغير فيها مركز العوالم الفكرية فى الأرض، ويضطرّ البشر بعد التجارب الفاشلة إلى المبالغة فى التمحيص ، فإن وفّقنا فى استثمار هذا الوضع العام بإستراتيجيات متماسكة ومنسجمة، وتنظيم الحس الروحى فى المجتمع والنشاط الفعّال المتراكم فيه منذ عصور، حول هدفٍ سامٍ، فلسوف يجتمع الجمهور الأعظم من الإنسانية - ولو بنسبة معينة- ليحوموا حول هذا المركز الجاذب، إن لم يكن من يومه، ففي القابل القريب." (٣)

انظر كيف يجعل " الهدف السامى " مركزاً جاذباً تحوم البشرية حوله ، وكيف يرى أن هذا قريبٌ وإن رآه الآخرون بعيداً .

١- سورة آل عمران ، الآية : ١٠٤

٢- هموم داعية ، فضيلة الشيخ محمد الغزالي ، ص٧٧ ، ط١ ، دار البشير ، القاهرة ، ١٩٨٧ م

٣- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص٣٨

وقد جاء الوعد الإلهي وأحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - مبشّرةً بعلو هذا الدين ، وظهوره على الدين كله :

قال - تعالى - (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) <sup>(١)</sup> ، ( وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ) <sup>(٢)</sup> (وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) <sup>(٣)</sup>

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ( لِيُبْلَغَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرَكَ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ <sup>(٤)</sup> إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ ، بَعْرٌ عَزِيزٌ أَوْ بَذَلٌ ذَلِيلٌ ، عِزًّا يَعْرِئُ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ ، وَذَلًّا يَذُلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ ) <sup>(٥)</sup>

هذا الوعد الإلهي والتبشير النبوي يضع الأمة المسلمة في أمام مسئولية هداية البشرية ، وفي الوقت ذاته أمام مسئوليتها تجاه نفسها .

فالمجتمعات المسلمة تقع عليها المسئولية الكبرى ، لتنهض بالإسلام أولاً في ذاتها ثم تقدم النموذج الحضاري للعالم كله ، لاسيما وأن العالم الإسلامي منذ قرون قد تخلى عن دوره الحضاري ورسالته العالمية ، بل انشغل بخاصة نفسه ، وأثقلته همومه لأسباب كثيرة بعضها داخلي ، والبعض الآخر يرجع إلى ما وقع عليها من خارجها .

١- سورة التوبة ، الآية : ٣٣

٢- سورة التوبة ، الآية : ٣٢

٣- سورة النور ، الآية : ٥٥

٤- المدر : قطع الطين اليابس ، وكئى به النبي عن المدن أو الحضر لأن مبانيها إنما هي بالمدر ( لسان العرب حرف الراء ، باب مدر ، ج ٥ ، ص ١٦٢ ) ، الوبر : صوف الإبل والأرانب ونحوها ، والجمع أوبار ، وبيت من الوبر أى من وبر الإبل لأن بيوت العرب يتخذونها منها ( لسان العرب ، حرف الراء ، باب وبر ، ج ٥ ، ص ٢٧١ )

٥- أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث تميم الدارى ، حديث رقم (١٦٩٥٧) ، (١٥٥/٢٨) ، وقال محققه ، إسناده صحيح على شرط مسلم ، وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرک ، كتاب الفتن والملامح ، حديث رقم (٨٣٢٤) ، (٤٧٦/٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

يقول السياسى والزعيم البوسنى **على عزت بيجوفتش** (١) - رحمه الله - فى عرض النموذج الحضارى للإسلام والذى أصبحت البشرية فى حاجة ماسّة إليه : " **على الإسلام** (٢) الذى يحتل موقعا وسطا بين الشرق والغرب ، أن يصبح على وعي برسالته الخاصة ، والآن ، وقد أصبح من البين أكثر وأكثر أن هذه الأيديولوجيات المتضاربة بأشكالها المتطرفة - لايمكن فرضها على الجنس البشرى ، وأنها يجب أن تتجه إلى مرگب جديد ، وموقف وسطى جديد ، والإسلام يتسق مع هذا الأسلوب الطبيعى فى التفكير، وهو التعبير الأكثر تناغماً معه ،وكما كان الإسلام فى الماضى "الوسيط" الذى عبرت من خلاله الحضارات القديمة إلى الغرب ، فإن عليه اليوم مرة أخرى- ونحن فى عصر المعضلات الكبرى والخيارات الحاسمة- أن يتحمل دوره " **كأمة وسط** " فى عالم منقسم ، ذلك هو معنى الطريق الثالث : **طريق الإسلام** . " (٣)

ولأننا فى عصر المعضلات الكبرى التى عجزت المشاريع الأخرى عن حلها ، فإن الأمة بحاجة إلى تجاوز المشاريع السابقة لمشاريع أكثر نضجاً تستفيد من الماضى وتحلّق فى آفاق المستقبل ، وهذا مايحاول أن يقدمه الأستاذ فتح الله كولن من خلال تجربته الدعويه ومشروعه الحضارى ، فهو يؤكد أننا ..

" لن نتغلب بمشاريع سبق أن تعودناها، وبأمة متعبة بمحن متنوعة لم نشهدها فى تاريخنا إلا قليلا، إن مثل هذه الأحوال غير الاعتيادية، تستدعي همماً تتجاوز الهمة والحمية الإنسانية، و طاقة تعلق فوق ما هو معتاد ، وقد تكون هذه الأحوال المدلهمة أحيانا ميلاداً تاريخيا للأمم، بمخططاتها، ومشاريعها، واستراتيجياتها، وعقولها الممتازة التى تنتج هذه المطلوبات، وممثلها الأبطال الذين جَلّوا عن أن يحيوا أعمارهم، فنذروها لإحياء غيرهم." (٤)

ولذلك فقد أفنى الشيخ فتح الله كولن حياته ، ونذر نفسه لهذا الهدف السامى وتلك المهمة الجليلة مهمة إحياء الأمة ، ونهضتها ، وانبعاثها من جديد ، ودعا كل من له حمية وغيره على دينه أن يحدو حذوه ، وأن يسير على ذات الدرب .

١- على عزت بيجوفتش: الرئيس السابق للبوينة ، وقائدها السياسى وزعيمها الفكرى والروحى ، ولد فى يوغوسلافيا عام ١٩٢٥م ، درس القامون وأكمل دراسته العليا فيه ، أنشأ حزب العمل الديمقراطى عام ١٩٨٩م ، ودافع عن حقوق المسلمين الذين يتعرضون للاضطهاد فى بلاده ، وعمل على تحرير بلاده من أسر الشيوعية ، وسُجن لهذا السبب مرتين ، كان أول رئيس للبوينة بعد إعلان استقلالها ( هروى إلى الحرية ، على عزت بيجوفتش ، بتصرف واختصار ، الطبعة الأولى، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٢م )

٢- يقصد :المسلمين الذين هم ممثلوا الإسلام من الناحيتين النظرية والعملية ، وهذا يتضح من أسلوب الكاتب

٣- الإسلام بين الشرق والغرب ، على عزت بيجوفتش ، ص ٥٨ ، ط٦، دار الشروق ٢٠١٥م

٤- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ٤١

## المطلب الثاني

### بين تحديد الهدف ... وتقديم النموذج

لاشك أن الفعل أبلغ من القول ، وأن العمل أشد تأثيراً على الناس وأكثر نفعاً لهم من مجرد الكلام وأن حاجتنا اليوم ماسّة إلى نموذجٍ فاعل يقدم تجربة حضارية وواقعية في الوقت نفسه ، وبالطبع فالنموذج ليس بالضرورة أن يكون عملاً مثالياً ، وإنما هو تجربة واقعية ، لمن أراد أن يتفق معه أو يختلف ، يأخذ منه أو يترك .

والتجربة موضع البحث ليست مجرد تجربة محدودة الهدف قصيرة النفس ، وإنما هي تجربة ترتكز على أسسٍ من الفكر الراسخ والرؤية الواضحة .

وهدف إحياء الأمة هو أحد أهم المحرّكات الرئيسية لحركة فتح الله كولن حيث : " يهتم فتح الله كولن بهذا الهدف اهتماماً كبيراً ، ويَعِدّه من أهم الأمور التي تؤمّن يقظة الأمة ، فهذا الهدف في حضارتنا ليس مجرد تضحية ، بل هو بطولة في عالم المثل والنبل أي الإرتفاع عن كل مكسب دنيوي وتجاوزه ، ولايستطيعه سوى الذين يهدفون إلى نيل رضا الله - تعالى - مُتسامين عن كلّ منفعة ومصالحة ذاتية . " (١)

ولذا فإن الأستاذ كولن يرى أن مهمته هي نفخ الروح في جيلٍ من الشباب لحمل هذه الرسالة إلى البشرية انطلاقاً من المجتمع والأمة ، وأولى الخطوات في إقامة هذا المشروع الحضاري الكبير ، هو تقديم النموذج .

يقول : " نؤمن - في هذا الوقت الذي نرجو فيه أن نكون أمةً عظيمة - بضرورة إعداد أجيالٍ مثالية تحلم وتستهدف لإنشاء أمة عظيمة ، إنَّ تحقيق هذا الفكر بدرجة معينة، وإن كان في دائرة صغيرة، وظهور نماذجه في آلاف الأبطال الذين تركوا دُورهم وأوطانهم مهاجرين كأموج البحر إلى أرجاء الأرض المختلفة، ووضعهم اللبّات الأولى لتغور حلم المستقبل الكبير في جهات الأرض المختلفة، وعرضهم لعالمهم الروحي والمعنوي حيثما حلّوا، وكدهم من أجل إبراز موقع أمتنا الموروث من أعماق التاريخ لتملأ مقعدها الشاغر اللائق بها في التوازن الدولي، ونجاحهم في كل ذلك بقدر معين، هي أمثلة شاخصة ومهمة، تُرينا ما يمكن أن تفعله الأجيال التي تعلق قلبها بفكر سامٍ إلى حد العشق. " (٢)

١- فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية ، أنس أركنة ، ص ٣٣٦

٢- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ٤١

وحيث إن الغرض من البحث في الأساس هو محاولة عرض نموذج نهضوى ينطلق من منظور دعوى إسلامي ، فمن الأهمية بمكان التأكيد على أن الهدف الأسمى للأستاذ فتح الله كولن من خلال تجربته ، والتيار الذي أسس له ، كان هو هدف إحياء الأمة ، من خلال العمل الدعوى والخدمى والتربوى والتعليمى ، ولم يهدف إلى تكوين دولة ، أو الوصول إلى سلطة ، بل لم يقل يوماً أنه ينبغي من تربية الأجيال أن يقيم "كيانا إسلاميا " يكون بديلاً عن الدولة ، أو موازياً لها !! الهدف الأکید الذى ظل يُلحُّ عليه، هو " هدف الإحياء" ، وحوله يُدندن ، ومن أجل أنه لا يرى فى نفسه ولا فى تلاميذه والمتأثرين بدعوته أنهم بديل عن الأمة ، يعلن - كما فى الكلام السابق - أنه فقط يريد تقديم "النموذج " ، بمعنى أنه يريد عرض " البديل الحضارى " للعولمة الغربية التى تريد مسح الدين والهوية .

من السهل أن يكتب المفكرون والعلماء عن الإسلام كبديل ، وأن يطرحوا رؤية شاملة لهذا ، لكن التحدى سيكون حتماً عند "التطبيق" ، وتقديم النموذج .

: "لقد سعى "كولن" فى كل ما كتبه أو قاله إلى تهيئة جيلٍ عظيمٍ قادر على أن يكون عقل العالم حين يُجنُّ هذا العالم ويفقد عقله، وأن يكون الميزان الذى يُعيد للعالم توازنه حين تختل به الموازين، وأن يكون الحق الذى يدفع أباطيل العالم فيزهقه، وأن يكون هو الصواب حين يخطئ العالم، والضمير الحى حين يموت ضمير العالم ، إن الإرادة العبقريّة تصنع الأعاجيب، لا مستحيل يحول بينها وبين أهدافها، وهى التى تصنع التاريخ، وتصنع مجد الشعوب والأمم، بل أمضى فأقول: إنَّ الإرادات العبقريّة تحرك الجبال، وتخرق الصعاب.." (١)

ومن خلال قراءة ماسطره الأستاذ فتح الله كولن نجده يرسم معالم هذا النموذج المنشود :-

ل النموذج له هدفٌ محورى شديد الوضوح وهو هنا : إنشاء أمة عظيمة

ل النموذج لايعيبه أن يكون فى "دائرة صغيرة " مادام يسير نحو الهدف

ل التضحية من أجل الهدف...الهجرة إلى بقاع الارض لتحقيق الهدف

ل النموذج يقدم "حالة نجاح" ولو بقدرٍ معين

ويستطرد الأستاذ كولن عرضه وتفصيله لبعض ملامح هذا النموذج الذى يسعى لتقديمه فيقول:

السّر فى هذه الحركة الرائعة هو توجّه القلوب المخلصة إلى الله تعالى، ومنّ الله تعالى بزيادة

الإحسان على هذه الأمة التى توارثت العز من أعماق تاريخها ، نعم يَناط النجاح فى هذا العمل -

كما فى كل نجاح- بالهمة النابضة بالإخلاص، وبالوفاء من الأمة، وبالتوفيق من الله تعالى ،

على رغم أنف التضييق والافتراء والاتهام مثلما يحصل اليوم ، هؤلاء يوفون منذ سنوات من غير

توان أو فتور، برسالة مهمة لحساب أمتنا ، ونبع قوتهم التي لا تنفد هو إيمانهم، ووقود مشاعل عشقهم وحماسهم الذي لا يخمد هو هدفهم السامي".<sup>(١)</sup>

وهنا يعود فيؤكد على العنصر الأهم في هذا النموذج وهو "الإنسان" ، صاحب الهمة النابض قلبه بالإخلاص ، والذي يستلهم همته من معين هذه الأمة وتاريخها العظيم وأولا وأخيرا يأتي المدد والتوفيق الإلهي .

لكن بعض من ينحصر همهم في تقديم الإسلام في إطاره النظرى فقط ، لا يرون في مشاريع الخدمة ، ومؤسساتها إلا " الجانب النفعي " ، فيتساءلون كيف يحصل هذا كله ؟ ما مصلحتهم في هذا؟ .

وفى هذا يقول كولن : " ولا يعقل هؤلاء القدرة التي يوجدها الإيمان والأهداف السامية في الإنسان فيتساءلون في شكٍّ ممزوج بالحقد والبغض أحيانا، وفي رفض غاضبٍ متشرب بالهذيان أحيانا: كيف يحصل هذا كله؟ ما مصلحتهم في هذا؟ يفضحون أنفسهم ويظهرون مدى حرمانهم من الأهداف والأفكار السامية".<sup>(٢)</sup>

وتبقى القيمة الحقيقية للنموذج أنه يقدم صورة واقعية للمثل والقيم التي يراها البعض تحليفاً فلا عالم المثاليات ، ثم يصبح هذا النموذج قابلاً للاستفادة منه وفق الأزمنة والأمكنة المختلفة من دون استنساخ أو تكرار ، فتنقل الفكرة عبر الزمان والمكان لتكوّن تياراً هادراً يكون قادراً على التغيير الجاد والدائم .

يقول كولن : " وبفضل هذا الفكر السامي، تصل المساعي المتوسعة باطرادٍ إلى حركة مشتركة، وإلى مستويات مختلفة، وبطبيعة الحال إلى نسقٍ مختلف، فيكون حتماً عليها أن تجد مجرى لتيارها حتى إن اضطرت إلى اجتياح القمم، لمواصلة المسيرة".<sup>(٣)</sup>

. . . وبهذا يحقق النموذج غايته ، ويصل إلى هدفه .

١- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ٤٢

٢- المصدر السابق ، ص ٤٣

٣- المصدر السابق ، ص ٤٣

## المطلب الثالث

### تضافر الجهود ... أو الهلاك

يحتل كولن اليوم مقدمة الصفوف بين صفوة العلماء والمفكرين الذين جعلوا من قضية الإصلاح والانبعث همهم الأكبر، وشاغلم الرئيسي، ولا يزال كولن يعلن في كتاباته بأنه لا يمثل إلا حلقة ضمن سلسلة الأسلاف الذين وجدوا عبر العهود والمراحل، وعاشوا متفرغين للكبح والتسك والدعوة إلى الله، وإرساء أسس الإحسان وخدمة الأمة.

" إن الطابع الذي يصدر عنه كولن في نهجه الإصلاحية، ينسجم مع روح التجرد التي تميز سيرته، فهو من العاملين الملتزمين بقواعد السلوك ، فلا يشغلهم شاغل النفس ووسوسة "الأنا" إلى الظهور والبروز، عن الانخراط الكلي في السعي وتسديد خطط الخدمة وبرامج النهوض، لذلك أفتينا كولن لا يفتأ يؤكد التنبيهات على المخاطر التي تتهدد العمل البنائي متى ما دخلت القائمين به روح الذاتية، وتراجعت في نفوسهم ضوابط التسامي والتجرد، بل إنه ليحرص الحرص كله على ألا يترتب عن جهود الإحياء التي يبذلها العاملون أي تشرذم لصفوف المجتمع، إذ إنه يعي مدى الهدر الذي يحدثه الانقسام والفرقة والتشتت حين تتوزع الأمة التيارات والطوائف، وتتقاسمها التحزبات الفكرية والتعصبات الروحية، وتحد بذلك من انطلاقة الأمة، إذ تفقدها فرصة التركيز والتسديد الجماعي النافذ والحاسم." (١)

ومن هنا فإن كل عمل جماعي تطغى عليه الحسابات الضيقة والاعتبارات الشخصية ، تستهلكه تلك الاعتبارات والحسابات عن أن يصل إلى هدفه ، و كذلك تُزيل عنه البركة والتأييد الإلهيين، وتدرجه في عداد الظواهر التي لا طائل من ورائها ولا ثمرة لها .

وفى الكلام السابق ، تأكيداً على التركيز الشديد والحاسم والنافذ نحو الهدف ، بحيث يبقى الساعون إليه بعيدين كل البعد عن أى تحزب أو طائفية.

وهل يقوم بناءً إلا على أساس متين محكم ؟ وكل بناء لا بد له من ضوابط وأسس يُبنى عليها حتى لا يتضاعف الخلل عند ارتفاع المبنى !!

إذا اختل شيئاً بناءً الأساس	تضاعف في الصرح ذاك الخلل
فلا بد من راب كل الصدوع	وجمع الصفوف ودرء العلل
ولا بد من قصد ذات الإله	وحشد القوى ليصح العمل (٢)

١- الانبعث الحضاري في فكر فتح الله كولن ، د. سليمان عشارتي، ص ٨٠، ط ١ دار النيل، القاهرة ٢٠١٢م

٢- ديوان ألوان الطيف ، عمر بهاء الدين الأميري ، ص ٩٩ ، دار البيان ، دمشق ، ٢٠٠٨ م

ولذا فإن الأستاذ فتح الله وهو يؤسس لهدف "الإحياء"، يرى أن هذا الإحياء لا يحدث اعتباراً ولا بطريقة فوضوية ، وإنما لابد له من ضوابط وأسس يبنى عليها ، وهو يشير إلى هذا قائلاً:  
" ينبغي أن يكون الهدف السامي، الذي يلهب الحماس في صدور الناس ويدفعهم إلى التحرك، هدفاً منضبطاً بضوابط معينة، ومرتبطة بنظام معين ، فإن كنت مهندساً، فعليك أن تُعدّ العدة قبل البدء بإنشاء صرح، فتتفحص متانة عناصره وسلامتها، وانسجام أحادها فيما بينها ومشاركتها في جماله ومظهره ، وهل يتحقق الكمال من غير توافر التوافق والمواعمة والانسجام في الأجزاء كلها؟! إنَّ الهمم والحملات الفردية، إن لم تتضبط بالحركة المشتركة ولم تتنظم تنظيمًا حسنًا، ستؤدي إلى تصادم بين الأفراد لا محالة... فيختل النظام، وتتهض كل حملة في عكس اتجاه حركة أخرى، وتُنقص كلُّ عمليةٍ من قيمة الناتج حتى يقرب من الصفر، كما في حاصل الضرب لكسور الأرقام ببعضها في الحساب ، وكما أشرنا سابقاً، ينبغي أن لا تُتفأ جذوة طاقةٍ فردية البتة، باحتساب ضرر قد تسببه ، بل على العكس، تجب العناية الرفيعة حتى لا تهدر ذرة واحدة من تلك الطاقة، وتوجّه إلى مجرى الغاية المأمولة المعينة والهدف المنشود." (١)

انظر إلى وصفه للجهود المتعاكسة أو المتشاكسة بأنها كحاصل ضرب كسور الأرقام ، حيث إن حاصل ضرب كسور الأرقام تنتج عنه قيمة عددية أقل فأقل وهكذا ، حتى يقترب الناتج من الصفر ، والصفر يعنى : لا شئ ، فهكذا هي الجهود المتعارضة ، يُضعف بعضها بعضاً .  
وقد كان للداعية الإسلامي الكبير شكيب أرسلان<sup>(٢)</sup> - رحمه الله - كلامٌ في هذا المعنى ، يشير فيه إلى أن التحركات الفردية لا تنتشئ "نهضة" ولا تُحدث أثراً ، فكأنها جمع أصفار ، وذلك بعد الزلزال الذي أصاب الأمة بسقوط الخلافة عام ١٩٢٤م خلال رسالة أنشأها سنة ١٩٣١م ، يخاطب أحد أبناء فلسطين قائلاً : " تأتيني كتبٌ كثيرةٌ من المغرب ومصر وسورية والعراق وفلسطين بلدكم ، مقترحاً أصحابها عقد مؤتمر إسلامي أو انتخاب خليفة أو ما شابه ذلك، ويكون جوابي دائماً: يجب أن نؤسس من تحت ، يجب أن نربي الفرد ، . . أما أن نعقد مؤتمراً مجموعاً من ضعفاء ليس لهم إرادة مستقلة وهم لا يقدرّون أن ينفذوا قراراً، فما فائدة ذلك، أتريد أن نجمع أصفاراً؟! ". (٣)

١- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ٤٤

٢- شكيب أرسلان ( ١٨٦٩م - ١٩٤٦م ) ، داعية من دعاة العروبة والإسلام ، عني بقضايا الاسلام والمسلمين ، ترك تراثاً ضخماً من المؤلفات والمقالات في موضوعات مختلفة ، في السياسة والقومية والادب والدين والنقد والاجتماع (المقال وتطوره في الأدب المعاصر ، السيد موسى أبو ذكري ، ص ١٦٨ ، ط ١ ، دار المعارف ، ١٩٨٢ م )

٣- لماذا تأخر المسلمون وتقدّم غيرهم ، شكيب أرسلان ، ص ١١٥ ، الدار الشامية للطباعة والنشر ، ١٩٩٨م



إنَّ عقد مؤتمِرٍ لايسْتَطِيعُ المؤتمِرونَ فيه أن يحرِّكوا ساكننا ، أو يردُّوا عدواننا ، أو ينصِّفوا مظلوماً ، أو يحقِّقوا غايةً ، لأقيمة له ، إنه تماماً كعملية ضرب كسور الأرقام التي أشار إليها كولن في كلامه السابق .

ومن الملاحظ هنا أن الأستاذ كولن يشير - أيضاً - في كلامه السابق إلى ضابطين هاميين في فقه العمل الجماعي أو "العمل المشترك" ..حتى ولو لم تكن هناك أطر تنظيمية :-

**الضابط الأول :** التوافق والانسجام التام بين عناصر العمل المشترك ، بحيث لا تتعارض الحركات الفردية فينفى بعضها بعضاً وحينئذٍ يضيع جهد الجميع

**الضابط الثاني :** الموازنة بين الإرادة الحرة للفرد والانضباط مع حركة الآخرين ، وهو يرى أن "الدين" هو العنصر الفعال في هذه المعادلة ، وهو وحده القادر على إحداث هذا التوازن المنشود بين ما هو فردي وما هو جماعي ومجتمعي ، بحيث لا يطغى العمل المشترك على "قابليات" الفرد ، وفي ذات الوقت يحافظ الفرد على تكامل الحركة مع الآخرين ، وضرب لذلك مثلاً فلانياً رائعاً :

" بإرشاد الدين يوازن كل فرد حريته وفعاليته الشخصية، مع حركة المجتمع وفعاليته؛ فيتصرف حراً موفياً لإرادته حقها من جهة، ومحافظاً على تكامل الحركة مع الآخرين من جهة أخرى، فينجح في تحقيق الأمرين معاً، كالنجم التابع في موقعه، يدور في فلكه حول مركز الجذب، وحول نفسه في الوقت عينه ، ولا يغترن أحد بحيوية الحركات ونشاطها كلاً على حدة مهما بلغت، إن لم ترتبط أجزاء التكامل والتوازن بمنظومة أقوى وأمتن؛ فربما لا تسند بعضها بعضاً في خط المقصود العام، فتولد أحياناً نتائج أشد سوءاً من السكون والجمود." (١)

وهذا التناسق والتكامل في الحركة المستمرة والفعالة يؤدي إلى أن يقوم كل فرد بدوره ، محافظاً على حريته الذاتية (دوران النجم حول نفسه) ، ومحافظاً على حركته الجماعية المثمرة ( دوران النجم في فلكه ) في ثبات واستمرار .

وهو هنا يجعل كلاً من ( السكون ) و(الفوضى في الحركة ) موتاً ، من شأنه أن يجعل الأمة التي تتَّصف بأحدهما ، أمةً خارج سياق التاريخ ، فليست كل حركة بركة ، بل الحركة المباركة هي الحركة المتكاملة والمتوازنة .

## الأنانية .. الداء القاتل

من أخطر السلبيات التي تنتج من عدم التركيز نحو الهدف السامى : تضخم الأنانية عند الإنسان بحيث يجعل نفسه محورا للعمل الدعوى ، والأستاذ كولن إذ يحذر من هذا الداء القاتل ، فإنه يصف بأسى بالغ هؤلاء الذين وقعوا في شباك "الأنا" ، بأنهم : منحوسون أى محرومون من البركة والتوفيق يقول : " وقد يظهر بمثل هذه الملاحظات منحوسون : نسوا مقاصدهم تماما ، وخنعوا لمطالب الأكل والشرب والنوم وطرح الفضلات ، بعدما كانوا في صف الخدمة والدعوة يلهثون بأنفاس تنقطع شهيقاً وزفيراً طلباً لرضا الله تعالى ، إن من ينسى المقصود ، ويضيع الغاية المنشودة ، سيسقط - بالضرورة كائنا من كان - في شباك الأنانية ، وتحل رغباته الجسمانية محل عشق الخدمة والدعوة ، وتنطفئ عنده مشاعر العيش من أجل الآخرين." (١)

وقضية نكران الذات أو نسيان الخير الذى يفعله الداعى إلى الله أو الساعى فى خدمة الخلق ، وعدم النظر إليه ، واعتبار أنه مجرد واسطة لخير ساقه الله إلى عباده قضية ملحوظة لكل قارئ فى أدبيات الأستاذ كولن ، بل ويلحظها من يتابع أنشطة " الخدمة " ، ولذا فقد جعلتها أحد السمات العملية لحركة الخدمة ، وتحدثت عنها فى الفصل الخامس تحت عنوان : التفانى فى الخدمة ونكران الذات .

## المطلب الرابع

### إحياء الأمة .. بين الأهداف والوسائل

إن القضية الكبرى ، والتي تأتي في مقدمة الأولويات لدى الأستاذ فتح الله كولن ومن ورائه حركة أو تيار الخدمة هي قضية إحياء الأمة ، وتحريك طاقاتها نحو هذا الهدف ، بل يمكن القول : إن من لا يدرك من البداية محورية هذا الهدف الأصيل لن يستطيع أن يسبر غور هذه التجربة أو يحيط بها علماً .

" : لم ينجز الأستاذ فتح الله وتلاميذه من أبناء الخدمة كل تلك الفتوحات الناعمة في جبهة الجهاد الأبيض إلا بعناية الله وتوفيقه الذي منحهم الحكمة، بما فيها من استيعاب لمقاصد الشرع وسنن الكون، وحقائق المجتمع، وطبائع الناس، ومتغيرات الحياة... فقد انطلقوا من عالم "الأفكار" إلى عالم "الأفعال" عبر جسور الحكمة، بكل ما آتاهم الله من مواهب وطاقات.. فالفتوحات "الناعمة" إذاً هي ثمرة العمل "الخشن" الذي يتم على حساب راحة أصحابه وملذاتهم، ولاسيما ما يرتبط بمفارقة الأرض والوطن والأهل والمال، والذهاب إلى شتى أصقاع العالم بأقلّ الإمكانيات وفي مختلف الظروف . (1)

وعند القراءة المتأنية لفكر فتح الله كولن ، يستطيع الباحث أن يرصد مايمكن تسميته "مراحل الهدف" ، حيث أن الأهداف الكبيرة ينبغي أن تقسم إلى أهداف مرحلية، بحيث تصب جميع الأهداف الفرعية في النهاية إلى الهدف النهائي .

والأستاذ يرسم خريطة الأهداف المرحلية في مثل قوله : " يمكن القول بأن قضيتنا الكبرى التي تفوق كل القضايا هي إلهاب جمرة الرغبة في إحياء الآخرين مرة أخرى في أرواح أفراد الأمة، وفرز الأفكار الغربية المندسة بين "الأمة" وأهدافها السامية.. ومن بعده، تحريك طاقتها التي تبدو خامدة، وحثها على السير نحو هدفها التاريخي من جديد بتحفيز جيد، وبأنشطة وفعاليات منضبطة ومنظمة ، ومن الضروري لمثل هذه الحركة تجديد معالم المساحات المشتركة التي تعد محوراً لحركة المجتمع المشتركة بكل شرائحه بدواً وحضراً، ومتقنين وحرفيين، ومعلمين وطلبة، وخطباء ومستمعين... مساحات مشتركة وقواسم مشتركة مثل السعي لجعل أمتنا عنصراً مهماً في التوازن الدولي ، والعزم والإصرار على حمل الرسالة بلا فتور مهما كان ثمن التضحيات، والتركيز على أولوية الفكر، وموازنته مع مشاعر روح الأمة، ومن ثم منع حصول الثغرات العقلية والمنطقية

والحسية أثناء التحرك الجماعي، واحتساب عشق الحقيقة، والتوق للعلم والبحث وسائل للسمو العمودي إلى الله تعالى، وتغذية المجتمع بهذه المفاهيم دائماً".<sup>(١)</sup> فالهدف الكبير هو : إحياء الأمة ببيت الروح في أفرادها ، وصورته النهائية : أن تصير الأمة عنصراً مهماً في التوازن الدولي (نموذج : حركة الإحياء بدءاً من "فتية الكهف". إلى " ذو القرنين" في سورة الكهف ) .

وهذا في رؤية كولن يمر من خلال :-

ل فرز الأفكار الغربية المندسّة بين "الأمة" وأهدافها السامية.

ل تحريك طاقتها التي تبدو خامدة، وحثها على السير نحو هدفها

فالهدف ليس هدف مجموعة من الناس ينضون تحت مسمى حزبي ضيق ، وإنما هو هدف الأمة بأسرها ، ولن يتحقق إلا بمجموع هذه الأمة ، ولذا فهو يحدد وسيلتين هامتين لتحقيق هذه الأهداف السامية :-

ل أنشطة وفعاليات منضبطة ومنظمة

ل تجديد معالم المساحات المشتركة التي تعد محوراً لحركة المجتمع المشتركة بكل شرائحه بدواً وحضراً.

هذه الأنشطة وتلك الفعاليات المنضبطة والمنظمة هي آلاف المشاريع التربوية والخدمية التي يُطلق عليها "حركة الخدمة" ، وهو ما سيرضه البحث في الفصل الخامس -إن شاء الله - أما المساحات المشتركة التي تعد محوراً لحركة المجتمع المشتركة بكل شرائحه من متقنين وحرفيين، ومعلمين وطلبة، وخطباء ومستمعين،... وغيرهم من شرائح المجتمع ، فهو المبحث السادس من هذا الفصل بمشيئة الله ، تحت عنوان :فقه الإئتلاف .

وفي السياق نفسه وتوضيحاً للفكرة ذاتها يذكر الأستاذ كولن أن هناك ثلاثة مراحل تقطعها الأمم الناهضة في مسيرتها الحضارية

ل تعيين هدف سام يوقره الوجدان : وهو هدف إحياء الأمة - كما سبق -

ل تفعيل منظومة سليمة حسب معطيات الظروف والبيئة العامة - المؤسسية -

ل توجيه مختلف دورات الطاقات إلى نقطة واحدة معينة : ويعني تسخير التراكم العلمي والتجربي والطاقة الكامنة لأمر ذلك الهدف السامي والغاية المنشودة ، بمعنى التركيز نحو الهدف دون غيره.

وقبل هذا كله وبعده وأثناءه ، فإن الغاية الكبرى من وراء كل سعى فى إحياء الأمة وبناء المجتمع هى : رضا الله ، فسواء بعد ذلك إن تحققت نتيجة السعى أم لم تتحقق فالغاية موجودة ومتحققة .

" وحسب المنظور الإسلامى، يُعدُّ المقصود حاصلًا بنوال الهدف البدهى لكل حركة أو حملة، وهو رضا الله تعالى. فسواء بعد ذلك إن تحققت نتيجة الخدمات المقدمة باسم أمتنا بارتقائها إلى المكان اللائق بها فى التوازن الدولى، أو لم تتحقق؛ فإن المؤمن يسعى لنوال رضاه تعالى فى كل خدمة إيمانية وكل فعالية دعوية. فهذه النظرة يتحول غيرها من الأهداف إلى أهداف إضافية واعتبارية، ومحض وسائل تؤدي إلى الهدف الحقيقى." (١)

وحيث يتضح عند الداعية أو رجل الخدمة الإيمانية هذا الهدف السامى ، ومراحله وطبيعته ، فإن نار الشوق تمور فى وجدانه ، منطلقاً إلى غايته لايلوى على شئ .

" تجده وقد شرع أجنحته وحلّق مثل الطائر حيناً، وخطّ على الأرض وسار ماشياً حيناً آخر؛ فهو ميمّمٌ وجهه نحوه -سبحانه- يهرول إليه دون توقف وقد احتضن كل شئ بمحبة غامرة ، فى كل منزل يحط رحاله فيه، يشعر بظلال جديدة للوصال تظله فيعيش بهجة "ليلة عرس" (٢) سعيدة ، وفى كل منحى يطفئ نار شوق، ويلتهب فى الوقت نفسه بنار شوقٍ أخرى، فيبدأ بالاحتراق من جديد ، ومن يدري كم من مرة فى اليوم يجد نفسه مغموراً بنسمات الأناجس، وكم من مرة يحزن ويتألم للوحشة والوحدة التي يعانى منها البؤساء الذين حرّموا من الإحساس بهذه المواهب السنية والإشراقات البهية." (٣)

ألا ما أروع من هدف ، وما أسماها من غاية ، تلك التي تجعل المسلم فى إشراقٍ واحتراقٍ كل يوم ، بل فى كل آنٍ ، لأنه ركّز همته ، وجمع طاقته فى هذا الهدف ، فصار كشعاع الليزر الذى يفعل الأعاجيب من حزمة ضوءٍ مركّزة ، فيقطع الحديد ، ويصل إلى الفضاء ، فكذلك من جمع شتات قلبه نحو هذه الغاية ، يفتح الله به فضاءاتٍ جديدةً كل يوم .

١- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ٤٦

٢- من تعبيرات جلال الدين الرومي يعبر بها عن فرحة الوصال بالموت ولقاء الله - تعالى -

٣- من مقال " سمات المؤمن الحق" ، مجلة حراء ، العدد ٤٤ ، ٢٠١٤ م

---

المبحث الرابع

## صياغة فقه الائتلاف

وقد تناولت هذا المبحث في مطلبين :-

المطلب الاول : أسس فقه الائتلاف

المطلب الثانى : وسائل تجسيد فقه الائتلاف

## المطلب الأول أسسُ فقه الائتلاف

تكاد تكون الصفة الأبرز في عالمنا الإسلامي اليوم ، هي : الخلاف والفرقة ، ليس فقط في القضايا السياسية أو الاقتصادية ، وإنما في القضايا الكبرى للأمة ، ففي الوقت الذي يتحد فيه المختلفون ديناً وعرقاً ولغة من أجل مصالحهم المادية ، يختلف المسلمون ولديهم مؤهلات الائتلاف .

على أن " فقه الائتلاف" الذي صاغه الأستاذ فتح الله كولن من خلال تجربته ، وتجسد في ممارسات "حركة الخدمة"، لم يقف عند حدود "الواقع التركي" ، ولم يقع أسيراً لأحداثٍ بعينها ، بمعنى انه ليس مجرد "رد فعل" ، بل توسّع في مفهوم "الائتلاف" من خلال دوائر تبدأ من "الوطن" ،.. وتنتهي بـ "الإنسانية" مروراً بـ "الأمة الإسلامية" ، ومرجعاً ومنطلقاً في هذا: مبادئ الإسلام ومقاصده العليا .

ورغم أن كولن برز كواعظ وداعية ولاسيما في الشطر الأول من حياته، إلا أنه مفكر وحركي أيضاً، ولذا لم يكتف بإثارة العواطف ومخاطبة الوجدان من أجل بيان أخطار الفرقة بين مكونات المسلمين، وتوضيح أهمية الائتلاف،.. بل أقام هذا الائتلاف على عدد من الأسس التي تجمع بين الفكر والوجدان.

ويمكن تلخيص هذه الأسس في نقاط:

### ١- الأخوة العامة والخاصة

#### ( إزالة الانقسام بين الروابط الوطنية والقومية والإسلامية والإنسانية )

تعدُّ "وثيقة المدينة" التي عاهد النبي - صلى الله عليه وسلم - على أساسها يهود المدينة دستوراً عالمياً لفقه الائتلاف بين الأمة الواحدة وبين مختلف الأمم والشعوب .  
ويمكن النظر إلى المعاني الأساسية لتكوين الأمة في وثيقة المدينة هي :-

ل ) المعنى الاعتقادي (الديني) للأمة ... " أخوة الدين "

ل ) المعنى السياسي للأمة ... حيث نصّت على " يهود بني عوف أمةٌ مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم " ( المادة ٢٥) .. فكلٌّ من اليهود والمؤمنين أمةٌ دينية، والأمتان تشكّلان معا أمة سياسية واحدة

ل ) المعنى الجغرافي للأمة " المواطنة" ...

المعنى الإجتماعى للأمة ... وهو ما يكون من أواصر الأرحام والتعاضد الاجتماعى بين من يجمعهم نسبٌ أو حلف (١)

وقد اشتهر الأستاذ فتح الله كولن بدعوته للأخوة والتسامح، ومن خلال جمع مقولاته وممارساته ذات الصلة بهذا الموضوع يتضح أن للأخوة عنده أربع دوائر:-

### أولاً: أخوة " الوطن "

حبُّ الوطن والحنين إليه فطرةٌ بشرية ، يشترك فيها الناس عامتهم وخاصتهم ، مؤمنهم وكافرهم عربهم وعجمهم ، أبيضهم وأسودهم

: "ومن قرأ السيرة النبوية وأمعن فيها وجد أن النبى - صلى الله عليه وسلم - اعترف بـ"المواطنة" بين سكان المدينة من مسلمين مهاجرين وأنصار: أوسٍ وخزرجٍ ، ومن يهود على اختلاف قبائلهم معتبراً هذه المواطنة ( أى العيش فى وطن واحد هو المدينة) هو: أساس التعاقد والتعامل بين الجميع . " (٢)

وفى تجربة الأستاذ كولن فإن هذه الدائرة هي التي تضم ما يعرف اليوم بجمهورية تركيا، حيث يبني على المواطنة حقوق الأخوة، من تناصر وتعاون في كافة الشؤون المادية والمعنوية، إذ الأقربون أولى بالمعروف.

وفى كتابه "نحن نقيم صرح الروح" - والذي يمكن اعتباره أقرب إلى النظام العام لتيار الخدمة - وجّه كولن تلاميذه إلى ضرورة : "أن نجعل وطننا وإنساننا مقصودنا ونجهد في تغيير مصيرنا المعكوس، ونحيي أجسادنا بالروح المتشكل من عجين مجتمعنا، ونفتح صفحة تاريخية نقية وجديرة لشعبنا، هي شيء من الأسس لحضارة تفوق المدن الفاضلة ورؤيا التجدد . " (٣)

وهو في هذا السياق ما فتى يُذكَر الأتراك بتاريخهم الإسلامى المجيد، من أجل تحلية الوطنية بمضمونها الإسلامى المنفتح، لا الطُوراني (٤) المنغلق.

١- الوطن والمواطنة فى ضوء النصوص العقديّة والمقاصد الشريعة ، د. يوسف القرضاوى ، ص ٣٠ - ٣١ ، بتصرف واختصار ، ط ١ دار الشروق ، القاهرة ٢٠١٠م

٢- المرجع السابق ، ص ٢٥

٣- ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، ص: ٣٨.

٤- الطورانية : هي حركة سياسية قومية ظهرت بين الأتراك العثمانيين أواخر القرن التاسع عشر ميلادي ، لحساب الجمعيات السرية التركية ، وهدفها نبش الحضارة التركية القديمة وإحياء معارفها ونبذ الحضارة الإسلامية ( العلمانية نشأتها وتطورها ، د. سفر الحوالى ، ص ٥٤٩ ، رسالة دكتوراه ، دار الهجرة )



وهو كثير الاحتفاء برموز تركيا العثمانية، حيث يجتهد لإعطائها الصبغة الإسلامية، مثل بشارة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بفتح إسطنبول، وتحولها إلى قاعدة للمد الإسلامي في نواحي كثيرة من العالم، ولاسيما في شرق أوروبا. (١)

أما ما يقدمه تيار الخدمة لبلاده من خدمات فهي أفضل تجسيد للوطنية في أسمى معانيها ، إنها وطنية البناء والعمل ، وليست وطنية الشعارات الجوفاء والأغاني البلهاء .

إنها ليست وطنية الاستعلاء على الشعوب الأخرى ، ولاوطنية الفعل السلبي ، ولكنها الوطنية الفاعلة ، التي تتبغى برفعة وطنها وجه الله ، ومن ثم رفعة أمتها الإسلامية .

### ثانيا : الأخوة القومية

تختلف القوميات من أمة لأخرى ، وفق التاريخ الجغرافي والإنساني لمنطقة ما من العالم ، فالبنسبة لنا - نحن المصريين - فإن اللسان العربي جعلنا ننتمي إلى قومية العروبة ، على الرغم من تعدد القوميات السابقة على القومية العربية بالنسبة للتاريخ المصرى القديم ، غير أن العربية بالنسبة لنا يجب أن تكون مرتبطة بالإسلام كدين فلاقيمة لعروبة بلا إسلام .

و: "من المعلوم أن الأتراك لا يسكنون فقط تركيا، بل إن معظم المناطق الممتدة ما بين جنوب شرق الصين حتى تركيا تنتمي تاريخيا وعرقيا إلى القومية التركية، ولذلك فإن تيار الخدمة بفضل توجيهات كولن يمتد ليتدد في هذه المناطق بقوة ليقدم خدماته إليها، باعتبار أن لهؤلاء حقوق الأخوة القومية والدينية والإنسانية، بجانب حقوق المجاورة. (٢)

ومثلما فعل كولن في الأخوة الوطنية ، فإنه لا ينفك عن تذكير الأتراك جميعهم أنهم ما عرفوا الحياة العزيزة إلا بالإسلام، ويذكرهم بأمجاد العثمانيين، والأدوار الكبرى التي قاموا بها في الذود عن الإسلام وحماية المسلمين، وفي ذات السياق فإنه يشيد بأدوار وبطولات العثمانيين، ويدافع عنهم باستماتة(٣).

ويدافع كذلك عن رموزهم كالسلطان عبد الحميد الذي تعرض لحملة شعواء شوّهته حتى لُقّب بـ"السلطان الأحمر" فقد صُوّر من قبل أعدائه بصورة السفاح ، الذى يسرف فى الدماء من غير حساب ، ليجد هذا اللقب قبولا عند غلاة التحلل من الأصول من الأتراك، لكن كولن يقاوم هذا الاتجاه بقوة، ويرفض تلقيب السلطان عبد الحميد بهذا اللقب الظالم، ويلفت الأنظار إلى أدواره البطولية وصفحاته البيضاء .

١- انظر على سبيل المثال لا الحصر : أسئلة العصر المحيرة، فتح الله كولن، ص: ٢٨٩-٢٩١

٢- عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة ، فؤاد البنا ، ص١٧٣

٣- انظر : أسئلة العصر المحيرة ، فتح الله كولن، ص ١٤٠-١٤٤

بل إن كولن لينبري دفاعاً عن العصر العثماني من خلال الدفاع عن المدارس الدينية والزوايا والتكايا، رافضاً الاتهام الموجّه لها بأنها لعبت دوراً في سقوط الدولة العثمانية، بل يرى أن العكس هو الصحيح . (١)

وسوف يأتي في الفصل الخامس - إن شاء الله - كيف برز الدور العملي لتيار الخدمة بعد سقوط الاتحاد السوفييتي واستقلال الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا ، وهو دور إيجابي ناشط ولاسيما في المجالين التربوي والاجتماعي .

### ثالثاً : الأخوة الإسلامية

المسلمون في كافة أنحاء العالم ، " إخوة في الدين " ، ورغم انتمائهم إلى أعراق وألوان وألسنة مختلفة، ورغم توزعهم بين طوائف ومذاهب وفرق متنوعة، إلا أن عنوان الإسلام يجمعهم، كما قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (٢).

ولهذا فإن كولن ومن ورائه تيار الخدمة يؤمنون بضرورة تجديد العالم الإسلامي، حيث يقول مثلاً: "لذلك نؤمن بضرورة توجيه العالم الإسلامي جميعاً إلى التجدد بكل أجزائه في فهم الإيمان، وتلقيات الإسلام، وممارسة الإحسان، وإثارة العشق والشوق، وتحكيم المنطق، وتعديل طرق التفكير، وأسلوب التعبير عن الذات، بمؤسساته ونظمه التي تكسبه هذه الأحوال . " (٣)

وفي سبيل إيقاظ الحس الجمعي للأمة وتذكير المسلمين بأخوتهم الإسلامية، يبدأ كولن بإعادة هذه الحقيقة إلى الواجهة في التدين الإسلامي، من خلال إحياء الشعائر الدينية وإقامتها كالصلاة، وليس مجرد أدائها، مما يزرع في قلب المتدين روح الشعور بالانتماء إلى جماعة المسلمين. (٤) وهو يؤكد على أن الجهل بروابط الأخوة الإسلامية أحد أمراض أمتنا وأن ترياق هذا المرض يكون بالانتماء والتوافق ، فيقول معقّباً على الخطبة الشامية التي ألقاها سعيد النورسي في المسجد الأموي بدمشق ، قائلاً:

" قام الأستاذ بديع الزمان في هذه الخطبة التي ألقاها قبل نحو قرن من الزمان بتشخيص الأمراض التي تحول دون رقيتنا وتقدّمنا أولاً، ثم وضع الوصفات العلاجية اللازمة لإحياء العالم الإسلامي من جديد، فكان من أعظم الأمراض التي شخّصها: الجهل بالروابط النورانية التي تربط أهل

١- انظر : أسئلة العصر المحيرة ، فتح الله كولن، ص ١٩٤ - ١٩٩

٢- سورة الحجرات ، الآية : ١٠

٣- فتح الله كولن ، جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية ، محمد أنس أركنه ، ص ٢٥٢

٤- انظر: أضواء قرآنية في سماء الوجدان، فتح الله كولن، ص ١٥٢.

الإيمان بعضهم ببعض، أما الوصفة الطبية التي وضعها فهي إحياء مفهوم الوفاق والاتفاق وروح الشورى من جديد." (١)

ذلك أن القواسم المشتركة فيما بيننا على مستوى الأمة كبيرة وكثيرة ، ليس فقط من جهة مالدينا من مقومات وإنما كذلك من جهة ما يواجهنا من تحديات ، فإذا كان كل شعب مسلم ينظر إلى نفسه من زاوية الوطنية الضيقة ، أو القومية المحدودة ، فإن أعداءنا ينظرون إلينا - على اختلاف أوطاننا وقومياتنا - نظرة واحدة ، ويواجهوننا بأساليب متشابهة ، فنحن أبناء أمة واحدة ، وأبناء قدر واحد ، ومصير مشترك كذلك

ف: " قد وقعنا تحت نير ظلم واحد واضطهاد واحد واستضعاف واحد ، ولهذا نبه الأستاذ النورسي أنه من الظلم البين أن نقوم بسلوكيات تفضي بنا إلى الشقاق والنفاق والحقد والعداء رغم وجود هذا القدر من القواسم المشتركة التي تستلزم المحبة والأخوة." (٢)

هذه الدائرة الثالثة التي يُوليها كولن اهتمامه ، لكن من الإنصاف التأكيد على أن هذه الدائرة هي أهم الدوائر عنده ، بل هي الدائرة الأم التي يجعلها محور انطلاقه في كل مكان في العالم ، وهذا واضح جدا مما نقلناه من أقوال سابقة ، فالإسلام هو المركز الذي تدور حوله هذه الدوائر جميعا

#### رابعا: الأخوة الإنسانية

لقد جاء السياق القرآني في مخاطبة الأنبياء - عليهم السلام - أقوامهم ، بلفظة : أخوهم ، على الرغم من كونهم لا يدينون بدينه حين دعوتهم .

والإسلام دين عالمي الرسالة ، فلا ينبغي أن تسيطر على دُعائه نزعة قومية محدودة الزمان والمكان ، والخطاب القرآني العام يقول : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ ) ، والقرآن يؤكد وحدة الجنس البشري ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ) (٣)

وبذلك فإن التربية الإسلامية تعمل على : " الوصول إلى مفهوم وحدة الجنس البشري من خلال أمرين، الأول : غرس الإيمان بوحدة الإنسانية والتعريف بالأصول العقدية والاجتماعية لهذه الوحدة

١- شدُّ الرِّحَالِ إلى غايةٍ سامية ، فتح الله كولن ، ص ٢٠٨

٢- المرجع السابق ، ص ٢٠٩

٣- سورة الحجرات ، الآية : ١٣

والثانى : اتخاذ الخطوات العملية وتوفير الأساليب التربوية التى تحوّل هذه النظرية إلى ممارسات عملية فى واقع الإنسانية كلها . " (١)

ومن ثمّ كانت الرسالة الخاتمة رسالة عالمية ، لتؤدى وظيفتها تجاه الجنس البشرى بأكمله ، (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) . (٢) ، ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ) (٣) ، ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ) (٤)

ف : " الإسلام دينٌ عالمى ، فهو يقدم رسالاته للناس جميعا ، بوضوح تام ، لافرق بين قوم وقبيلة وشعب ، ولا ماضٍ أو حاضر أو مستقبل ، ولا بين مكان وآخر ، فآسيا وأوروبا وأمريكا وأرض العرب سواء ، إنه يخاطب البشرية جمعاء ، فبينما تجد الأنبياء يخاطبون أقوامهم : يا قوم . . يا قوم ، تجد النبى الخاتم - صلى الله عليه وسلم - يقول : يا أيُّها النَّاسُ .. " (٥)

وهكذا، فإن كولن يزيل الانفصام الذي أبداه أصحاب التدين المنقوص بين الدائرة الإسلامية، وكل من الدوائر الوطنية والقومية والإنسانية، وبالتالي أوجد بُعداً آخر من أبعاد فقه الائتلاف .

## ٢- الانشغال بالعمل لا بالجدل

هذا هو الأساس الثانى من أسس فقه الائتلاف عند فتح الله كولن، حيث عمد إلى إيجاد الشخصية الإيجابية الفاعلة، بحيث يتحول إلى لبنة في صرح المجتمع ، مبتعدا عن السلبية والأناية، حتى لا يكون معول هدم في بنیان المجتمع والأمة. ولهذا ركّز على إيجاد الفرد الإيجابي الذي يصير رقماً صحيحاً وفاعلاً، ولبنة مناسبة في جدار المجتمع،

: "إن فتح الله كولن لم يتناول الإنسان كموضوع للنقاش على المستوى الثقافى، بل حوّل هذا الموضوع إلى مشروع جدي في الحياة العملية ، فقد عمد كولن إلى بناء الذات، وتشجيع تلاميذه على التعلم الذاتى في بناء شخصياتهم، وعلى النجاح في صناعة الحياة، مما يساهم في القضاء على قابليات الحقد على المجتمع الذي يعيشون بين ظهرانیه، وبحيث يدفعهم اعتزازهم بذواتهم

١-أهداف التربية الإسلامية فى إخراج الفرد والأمة وتنمية الاخوة الإنسانية ، ماجد عرسان الكيلانى ، ص ٥١٥ ، ط ٢ ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٩٩٧م

٢- سورة الأعراف ، الآية : ١٥٨

٣- سورة سبأ ، الآية : ٢٨

٤- سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧

٥- الموسور فتح الله كولن ، ص ١٠٤ ، ط ١ دار النيل ، القاهرة ٢٠١٥ م

إلى الشعور بالانتماء إلى هذا المجتمع وعدم الانفصال عنه، وبهذا يكون هذا الفرد الإيجابي أميل إلى الائتلاف مع الآخرين والاتحاد معهم. (١)

وهذه الإيجابية تقتضى البحث عن المساحات المشتركة مع الآخرين ، والتعاون فى تحقيق هذه المشتركات ، والبعد عن مواطن الخلاف ، سواء كان الخلاف فكريا فى الأهداف والغايات أو عمليا فى الوسائل والأساليب .

: "ومن الإيجابية الفاعلة لكونن توجيه تلاميذه إلى إيجاد البدائل الطيبة للناس دون الاصطدام بهم، أو استخدام العنف معهم ولو كان عنفاً لفظياً، والتركيز على المضامين لا العناوين، وعلى الجواهر لا المظاهر، وعلى المسميات لا الأسماء، مما جعل تيار الخدمة يعيش بالإسلام دون أن يتحدث عنه." (٢)

وبسبب النزعة العملية الفذة ، نجح كولن فى تجسيد الكثير من المثل، وصب من دموعه مياه الحياة التي أحيت الكثير من الرجال وبنّت فيهم الفاعلية والنشاط، وبعثت روح المثابرة والمسابقة، لتولد على أيديهم مشاريع عملاقة فى الميادين الاجتماعية والتربوية والثقافية والإعلامية.

وعلى سبيل المثال ، فإن من تجليات هذه الإيجابية ، الطريقة التي يجمع بها أبناء الخدمة التبرعات من أصحاب الأموال ، : " إذ يبدأ الأمر بما يسمونه "مجلس صُحبة"، يُقنع فيه الداعية السامعين بضرورة العمل والتطوع والتضحية في سبيل الله، وما إن يتأثر الفرد بهذا الخطاب ويقوم بالتطوع ، حتى يصبح معروفاً بـ"المتولي" إذ يبدأ بالإنفاق على أي نشاط أو مشروع . . . . وفي هذا السياق تقام مجالس تخصصية لهؤلاء المتطوعين، يُسمى أحدها "مجلس الهمة " حيث يتسابق أهل الخدمة فى التبرع والتطوع، ويتكرر هذا المجلس مرات ومرات فى السنة." (٣)

وبهذه الإيجابية الفاعلة، أضاف فتح الله كولن أساساً متيناً لفقه الائتلاف، لأن العمل يُبعد الناس عن الجدل المفرق للصفوف، ولا سيما حين يكون العمل إيجابياً يؤلف ولا يفرق، ويجمع ولا يمزق، ويبني ولا يدمر

### ٣- الاعتراف بحق الآخر فى الاختلاف والتمايز

فهذا حقٌ منحه الله لعباده ، فجعلهم مختلفين ، ولو شاء لجعلهم على قلب رجل واحد ، قال - تعالى - (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ) (٤)

١- فتح الله كولن: جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية ، أنس أركنة ، ص ٣٥

٢- عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الخدمة وشواطئ الحكمة ، د. فؤاد البنا ، ص١٨٤

٣- المرجع السابق ، ص ١٨٥

٤- سورة يونس ، الآية ١١٨

ولما كانت الصراعات في الغالب ثمرةً مرّةً لـ "ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة"، ومن ثمّ تسفيه الآخر، فإنّ كولن يحثُّ إخوانه على الاعتراف بالآخر وعلى أن من حقّه أن يعيش بكرامة، ويتمتع بحقوقه بحرية تامة في ضوء النظام العام للمجتمع، ويستوي في ذلك أن يكون هذا الآخر دينياً أو طائفيًا أو مذهبيًا أو غير ذلك.

ولهذا فإنّ حركة الخدمة منفتحة على المجتمع التركي بكلّ مشاريعه وأطيافه، "فهي - قبل كل شيء - لا تهدف إلى أي انفصام نفسي واجتماعي عن المجتمع بل على العكس تمامًا فهي تهدف إلى التلاؤم مع هذا المجتمع وإلى الإسهام فيه، ولا تتصرف في صدد العلاقات الاجتماعية بشكل انتقائي مثلما تتصرف الحركات الأيديولوجية، بل تخاطب كل الكتل الجماهيرية وتخاطب كل عائلة وكل فرد، ولا تسعى إلى تطوير أية حركات انعزالية في الشارع أو في النوادي أو الجمعيات، وتعارض أي حركة اجتماعية انعزالية تصادم روح الحياة الاجتماعية." (١)

وهو حين يتحدث عن بعض علل التدين عند أهل الكتاب، يُحدّر أشدّ الحذر من الوقوع في الظلم، إذ ليس من الإسلام أن يكيل المسلم بمكialsين، فيستوفي لنفسه ويأخذ من حق الآخرين، بل ما يرضاه لنفسه هو ما يرضاه للآخرين.

ففي نظراته حول قول الله - تعالى - ( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ) (٢)

يقول: "وهذا الأسلوب في الدعوة إلى الإسلام مهم جدًا، وتستطيعون أن تطلقوا عليه التعبير الشائع في هذه الأيام وهو: أسلوب الحوار، أجل... إن دعوة الإسلام أهل الكتاب إلى نقطة مألوفة لديهم.. للرجبة في تشييد الجسور بيننا وبينهم." (٣)

إنه يرى أن قضية التآلف والإئتلاف لها علاقة وثيقة بفهم روح الشريعة، وحقيقة الإسلام، فالإسلام دينٌ يسع البشرية في عمقها الزماني والمكاني، والمسلمون هم الدعاة إلى هذا الدين، بسعته وشموله، فمهمتهم مدّ الجسور، وتأليف القلوب، وفتح باب الحوار مع الجميع دون تمييز. "إن عدم معرفة سعة دعوة الإسلام ودعوة التوحيد وعمقها وسمة التدرج فيها حق المعرفة يمثل هذا المقياس وعدم معرفة استراتيجيتها في بناء الجسور مع مختلف طبقات الشعب وأقسامه، والوقوع في فهم خاطئ في هذا الصدد أدى إلى ابتعاد الكثيرين عن الإسلام، وكانت النتيجة

١- فتح الله كولن: جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية، أنس أركنة، ص ١١١

٢- سورة آل عمران، الآية: ٦٤

٣- أضواء قرآنية في سماء الوجدان، فتح الله كولن، ص ١٠١

مظهراً مختلفاً بل مضاداً ومخالفاً تماماً لروح هذا الدين الذي يملك قوة جذب قوية تجذب الناس إليه. فمن جانب تم تشويه الرأي العام وتطلعات الجماهير، وكانت النتيجة التورط في اتجاه اعتبرته الجماهير اتجاهاً متطرفاً. (١)

ومهما يكن النضوج الفكري، فإن الأمر بحاجة -أيضاً- إلى أخلاق، ولاسيما في هذا السياق، وأهمها التخلي عن الأنانية والتعصب، والتخلي بالمرونة والتسامح، حتى يظل التعدد في دائرة التكامل دون التآكل، وفي ساحة التعاون دون التباين.

### الذين يزعمون امتلاك الحقيقة المطلقة

إن زعم كثير من الشخصيات والكيانات امتلاكها للحقيقة المطلقة، هو سبب تسفيها للآخرين، ومن ثمَّ الوصول إلى حالة من الصراع والصراع الآخر، وبروز ظاهرة التفرق والانقسام، سواء كان هذا الادعاء بلسان المقال أو بلسان الحال.

قد يكون هذا الإدعاء باسم "الوطنية"... حيث يدعى أصحاب هذا الزعم أنهم وحدهم "الوطنيون" وغيرهم "خائنٌ وعميلٌ!!" .. وهم - وحدهم - القادرون على رؤية الأحداث، واستبطان الأمور، والوصول إلى النتائج، و"الوطنية" حينئذٍ تكون حِكراً عليهم، ومن ينضم إلى معسكرهم فلا بد أن يلتزم بـ "شروطهم"...

وقد يكون هذا الادعاء باسم "الدين" ... حيث يدعى أصحاب هذا الزعم أنهم أصحاب الحق - وحدهم - ، وأن غيرهم "محاربٌ للدين" أو "متحالفٌ مع الشيطان!!" .

ولعل أحد أسباب هذه النظرة الضيقة أو الطائفية الجديدة أن كل طرفٍ يعيش في عالمه الفكري والتنظيمي الخاص به، يقول الدكتور طه العلوانى: "إن مفهوم التنظيم "الأحادى" كثيراً ما يُسلم أهله إلى الشعور بأنهم تجسيدٌ للأمة، وتعبيراً عن إرادتها ووعيتها في إطار الحركة، ولاشك أنه مفهومٌ يسيءُ تقدير الأمور، ولن تؤدى به الأوضاع لأن يكون بديلاً عن الأمة في حركتها الجماعية، بل سيتحول بالضرورة إلى فرقة أو طائفة ليست متميزة نوعياً، ولكنها تُضاف إلى عداد الفرق الموجودة المتصارعة القائمة منها والباطنة." (٢)

فمهما بلغت قوة كيانٍ ما، أو وصوله إلى قطاعاتٍ واسعة من الناس، فلن يكون أبداً بديلاً عن الأمة في مجموعها.

١- أضواء قرآنية في سماء الوجدان، فتح الله كولن، ص ١٠٢

٢- أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة، د. طه جابر العلوانى ص ٩٨، المعهد العالمى

ومما تجدر الإشارة إليه - هنا - أن هذه لاينطبق فقط على الكيانات الإسلامية ، وإنما هو مرضٌ تظهر أعراضه كثير من المنتديات الفكرية والثقافية ، والكيانات الحزبية ، فيتحول المجتمع إلى مجتمع " متناذباً بالألقاب " ، مهووسٌ بالتصنيفات ، فهذا إسلامي وذاك علماني ، وهذا رجعي وذاك تقدُّمي ، وهذا مع .. وذاك ضدّ .. .

و يطلق كولن على هذا مصطلح : **الاحتكار الفكري** ، ويشرح هذه الظاهرة فيقول : " إن هذا الاحتكار الفكري وادعاء صاحبه بأن الحق دائماً معه ليس إلا تعبيراً عن عبادة الوسيلة وإشارة إلى غياب الهدف ، وإلا فكيف يمكن تفسير مشاعر الحقد والنفور والكرهية عند بعضهم نحو أناس يشاركونهم العقيدة والمشاعر والمبادئ نفسها؟ أليس هذا دليلاً على عدم وجود هدف؟ آه من هؤلاء المساكين عبيد أنفسهم الذين يطمحون إلى إدارة العالم حسب أفكارهم العرجاء"<sup>(١)</sup>

وهو يرى أن الأصل في هذه المشكلة هو الكبرياء وأن التواضع هو التزيق المناسب لهذا السُّم الزعاف فيبين أن الإنسان بروحه وعقله قادرٌ على أن يدرك الحقيقة بفطرته ، وما زال كولن يشيد بالتواضع ويثني على المتواضعين ، ليس بصورة وعظية بسيطة بل بفكر عميق ، فهو يقول :

" التواضع علامة على نضج وعلى فضيلة الشخص ، والكبر علامة نقصه وانخفاض مستواه ، أكمل الأشخاص هم الذين يتعارفون مع الناس ويمتزجون ويؤسسون علاقات المودة بينهم وأنقص الأشخاص هم الذين يكرهون مخالطة الناس ويستتكفون من ذلك " <sup>(٢)</sup>

وحين يتعلق الأمر بالحديث عن التواضع ، فالأستاذ كولن يضرب مثالا رائعا في التواضع ونكران الذات ، فهو عندما يتحدث عن نفسه يشير إلي أنه مجرد خادم لإخوانه ، يدلهم على طريق الخير ، ويحرسهم حتى يتفرغوا لأداء مهمتهم الجليلة

و: " قد بلغ بتواضعه حدًّا أن أطلق على نفسه لقب "القطمير (٣)" ، وهو اسم كلب أهل الكهف ، وهذا ليس من التواضع المصطنع، فهو عندما يتعلق الأمر بطلب ما عند الله صاحب الجلال والكمال ، فإنه لا يرى نفسه إلا كذلك، وهذا من سيماء العلماء العاملين، ولهذا كلما صغر هؤلاء

١- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ص٤٥

٢- المرجع السابق ، ص ١٣١

٣- جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، في تفسير قوله - تعالى - (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا) سور الكهف ، الآية : ١٨ ، " وشملت كلبهم بركتهم ، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال ، وهذه فائدة صحبة الأخيار ، فإنه صار لهذا الكلب ذكراً وخبراً وشأن ، . . . . وقد روى الحافظ ابن عساكر عن الحسن البصري قال : كان اسم كلب أصحاب الكهف (قطمير) " (تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ٣ ، ص ٩٤ ، ط ١ ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ١٩٩٨ م )



في عيون أنفسهم أكثر ازدادوا عظمة عند الله وعند الناس، وبسبب إنكار كولن لذاته، كبر عند الناس." (١)

وهكذا، أوجد كولن أساساً آخر من أسس فقه الائتلاف، لأن الذي يعترف بالآخر، ويرى أن من حقه أن يفكر بما يريد وأن يقول ما يراه صواباً، وأن يفعل ما يتفق مع قناعاته الفكرية، فإنه لا يمكن أن يدخل معه في صراع، لا على مستوى "الكلام" ولا على مستوى "الفعل"، وبهذا تقترب الأمة خطوة أخرى من "الائتلاف" بعيداً عن "الاختلاف".

#### ٤- تجفيف منابع الفرقة بالتركيز على المقاصد العليا للإسلام

إنَّ الخلاف والفرقة ينتجان غالباً حينما يدور الناس في فلك الأشخاص والأشياء وليس في فلك الأفكار ، وحينما يجعلون من الوسائل غايات يتقاتلون من أجلها ، ويتناحرون حولها . وذلك بأن يكون : " الولاء للرسالة هو محور الأنشطة التي تَكْرَس خلالها طاقات الأشخاص ومقدّرات الأشياء في سبيل تحقيق أفكار الرسالة في الداخل ونشرها في الخارج ، وبذلك تصبح أفكار الرسالة هي غايات الحياة ، بينما يشكّل جهاد الأشخاص وبذل الأشياء دور الوسائل العامة لتحقيق هذه الغاية ." (٢)

وبذلك فإن الفرقة والخلاف ينبعان حينما يغيب الهدف الذي يستنفد طاقات الجميع من أجل تحقيقه ، ولذا فإن كولن يجعل الدوران حول مقاصد الشريعة أساساً من الأسس التي يقوم عليها فقه الائتلاف.

وقد بدأ الأمر بأن أجاد قراءة أسباب الفرقة في تاريخنا الإسلامي، حيث وجد أن غياب الرؤية الكلية والتصور الشامل هو السبب الرئيسي.

١- عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الخدمة وشواطئ الحكمة ، د. فؤاد البنا ، ص ٢٠٢

٢- أهداف التربية الإسلامية في إخراج الفرد والأمة، ماجد عرسان الكيلاني ، ص ٣٨٣

: "لقد غابت عن واقعنا منذ قرون منظومة فكرية ذاتية، وفلسفة حياة ذاتية، تعتمد على الحركيات الإسلامية التي تشكل جذور المعنى لثقافتنا "الملية" (١) "فتشنتنا شذر مذر، نحن وعالم كبير مرتبط بنا". (٢)

والأمر لا يقتصر على توجيه الجهود وتوفير الطاقات نحو الهدف السامى فحسب ، وإنما قبله وبعده ينبغي التوجه نحو المقاصد العليا للإسلام ، لهذا فإنه يدعو إلى إيجاد رؤية كلية معاصرة بعيداً عن الفلسفات الأجنبية، والحلول المستوردة ، ويحث على تفعيل فقه مقاصد الشريعة الإسلامية في هذا السبيل.

وقد سبقت شواهد كثيرة على محاولته إعادة الناس إلى ساحة الإسلام قولاً وعملاً ، فكراً وسلوكاً ، وتكون مقاصده العليا هي مركز الدائرة ، والعنصر الفعّال في أرجاء الحياة .

ولما كانت المجتمعات الإسلامية ما يزال كثير من أفرادها يؤدون الشعائر التعبدية بصورة تهتم بالكم على حساب الكيف ، فإنه يبدأ بلفت الأنظار إلى مقاصد هذه الشعائر ، داعياً إلى إقامتها وليس إلى مجرد أدائها، ويطلق على المقاصد مصطلح (النوعية) ، في مقابل (الكمية) .

حيث يقول: "ينبغي أن تكون (الكمية) تامة و (النوعية) هدفاً في العبادات، والكلمات وسيلة والروح والصدق أساساً في الدعوات، والسنة مرشدة في التصرفات، وفي كل هذه: الله غاية القصد.. فالصلاة ليست قياماً وعوداً.. ولا الزكاة مالاً مطروحاً تبرئة للذمة لا يعلم أين ذهابه.. ولئن صار الصيام جوعاً وعطشاً، فما اختلافه عن الحمية؟

والحج إن لم يجز في فلكه، فما اختلافه عن سياحة بين مدينة وأخرى تُكسب بعضهم عملات أجنبية؟ والعبادات قد تصير كلعب الأطفال إن انحصرت في الكم.. وصيحات الأدعية الخاوية من الروح شغل الباحث عن عمل الحلو . " (٣)

إن تفرغ هذه العبادات من مضامينها ، والتعامل معها على أساس من الكثرة العددية ، دون النظر إلى مقاصدها ، يؤدي بنا إلى الشكلية في العبادة، والسطحية في التدئين ، وما أكثر الآيات

١- الملة ومشتقاتها ترد كثيراً في الأدبيات التركية عموماً، كما في كتابات الأستاذ فتح الله كولن، ومعنى الكلمة في التركية غير معناها المتعارف عليها. فهي تستوعب معاني أوسع كالشعب وربما الأمة أو اتباع دين وطائفة. وحين نقول "الملي" نسبة إلى "الملة" فاللفظ يكون مشبعاً في معناه بالدين والتقاليد والموروثات والخصوصية الذاتية العائدة إلى الأمة . المصدر : ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٢٨ ( المترجم : أ. عوني أغلو )

٢- ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، ص: ٣٨.

٣- المرجع السابق ، ص ٣٠

والاحاديث التي ترشد إلى النظر في حقيقة العبادة ، والخشوع في الصلاة ، وتحقيق معنى الصيام ، وإيتاء الزكاة تطهيرا للنفس والمجتمع ، وتحقيق الوحدة الإسلامية من خلال شعيرة الحج . ولا شك أن فقه المقاصد يُشعر الجميع بوحدة الهدف والغاية ، لاسيما حين يعيش أفراد المجتمع الواحد مشاعر الانقسام والتناحر .

فإن من : " شروط تقدم الأمة وصول أفرادها إلى وحدة الهدف والغاية ، فلا يمكن توقع تقدم صحيح وسليم في مجتمع انقسم أفراده شيعاً وطوائف متناحرة." (١)

فلا بد - إذاً - من تأييد ومساعدة كل من يخدم مجتمعه وأمته ، عملاً بفقه المقاصد والغايات ، وإن اختلفت الوسائل وأساليب العمل ، هذا على مستوى المجتمع الواحد وكذلك على مستوى الأمة في مجموعها ، فلا بد من تأييد كل من يخدم : " الدين والإيمان ويعمل على إعلاء شأن الإسلام سواء أكان في المشرق أم في المغرب، ومهما كان مشربه ، صحيح أن الطرق والمسالك قد لا تكون نفسها، ولكن المهم هو الغاية والهدف ." (٢)

غير أنه مما ينبغي التنويه إليه - في هذا الصدد - أن هناك فرقا بين الإختلاف المحمود والتفرق المذموم ، فالله - سبحانه - قد خلق الناس بعقول ومدارك متباينة فهم مختلفون في الأفهام والتصورات كما هم مختلفون في الألسنة والألوان : (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلَذَلِكَ خَلَقَهُمْ) (٣)

: " والاختلاف الذي يقع بين أبناء الأمة الواحدة ، جزء من هذه الظاهرة الطبيعية ، فإن لم يتجاوز الاختلاف حدوده ، والتزمت آدابه ، كان ظاهرة إيجابية كثيلاة الفوائد فتتعدد الحلول ، وتتلاقح الآراء ، وتفتح مجالات التفكير للوصول إلى سائر الافتراضات التي تستطيع العقول المختلفة الوصول إليها ." (٤)

وقد اختلف الصحابة الكرام في قضايا كثيرة ، وكانوا في اختلافهم مثالا في أدب الاختلاف ، وليس في هذا ما ينقص من أقدارهم ، وليس فيه ما ينال من مثالية الدعوة التي حملوها ، بل هو إقرار عملي على انه دعوة الإسلام جمعت بين المثالية والواقعية في تناسق عجيب ، ذلك أن الإسلام وهو يدعو البشر إلى التسامى ، يتعامل معهم على أساس من بشريتهم القابلة للاختلاف والتنوع .

١- الموازين أو أضواء على الطريق ، فتح الله كولن ، ص ١١٥

٢- أسئلة العصر المحيرة، فتح الله كولن، ص ١٤٥.

٣- سورة هود ، الآيتان : ١١٨ ، ١١٩

٤- أدب الاختلاف ، د. طه العلواني ، ص ٢٥ ، ط ١ ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩١م

ولذلك رأينا الاستاذ فتح الله يؤصل لهذا الاختلاف المشروع ويستدعي من أقوال وقصص السلف الصالح ما يؤيد مشروعية الاختلاف ما دام خارج إطار الثوابت .

فتراه يلقي الضوء على التعدد عند السلف الصالح، وكيف كان تعدد تنوع لا تضاد، وعلى سبيل المثال يقول: " ففي سبيل الحصول على مرضاة الله تعالى كان هناك انسجام وتناغم بين الأفراد كالانسجام الموجود بين الأصوات في مقطوعة موسيقية متناغمة ، أي كان كل صوت متناغماً ومتلائماً مع الجو العام ، كان ذلك موجوداً لأن كل فرد كان فرداً ناضجاً ويتبع الحق ويطير بجناح الشوق في أفق ما يراه مقدساً، ويطمح في رؤية شعائره وهي تعظم وتبجل، ولم يكن مهما عندهم من سيقوم بالأمر، وما دام الليل قد انقضى وأشرق الصباح فلم يكن مهماً لدى أحدهم أُعطي له منصب سلطانٍ أم درجةً متسوّلاً !! " . (١)

والاختلافات الواقعة بين الدعاة سواء في القضايا الفكرية ، أو في الوسائل العملية ينبغي ألا تخرج عن إطار الاختلاف المحمود الذي يثمر التنوع ، ولا يقود إلى التضاد . ولهذا أوصى الدعاة قائلاً في هذا الشأن: "ولا تجعلوا الخلاف في الفكر والخلاف في الفهم وسائل للفرقة وللعداء، بل عدواً هذا الخلاف مصدر غنى فكري." (٢)

وعندما يدور أفراد من الأمة حول المقاصد ويتمحورون حولها، فإن هذا التمحور يشكل جماعةً من دعاة الخير ، حتى ولو لم يوجد تنظيم ، بالمعنى المتعارف عليه وكما يبدو فإن هذا الأمر هو أعظم عوامل بروز أبناء الخدمة كأنهم جماعة شديدة التنظيم بصورة أقوى من بعض الجماعات المنظمة بالفعل، وهذا ما وعاه فتح الله كولين منذ وقت مبكر، ولذلك وصل تيار الخدمة إلى ما وصل إليه.

ومن الواضح أن فكرة " الجماعة " عند الأستاذ كولين ، لاتعنى أكثر من الوعاء الذي يجمع الذين يريدون تحقيق الغاية نفسها ، ويضحون في سبيلها بمنافعهم الشخصية واهوائهم الذاتية ، وقد نقل عنه أحد تلاميذه قوله: " فكرة الجماعة هي أن يقوم كل فرد بتوظيف عواطفه وأفكاره الشخصية ومشاعره حول فكرة سامية ليتم تحقيق وحدة عقلية ومنطقية ، فالجماعة هي الوعاء المعنوي الذي تدوب فيه أنانيات الأفراد ونوازعهم النفعية ، والحقيقة أن كل شكل من أشكال الأنانية، والتهاك على المصالح والمنافع الشخصية أمر لا أخلاقي . " (٣)

١- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولين، ص ٩٠

٢- المصدر السابق ، ص ٩٣

٣- عبقرية فتح الله كولين بين قوارب الخدمة وشواطئ الحكمة ، د.فؤاد البنا ، ص ١٩٣

يمكن القول - إذاً - أن الأستاذ كولن استطاع من خلال توجيه الأنظار نحو مقاصد الإسلام العليا ، وتجميع الهمم حول غاية واحدة ، هي : إعلاء كلمة الله ، أن يقلل من دواعي الخلاف المذموم ، ويحد من آثاره ، ويجفف منابع الفرقة ويسد طرائقها .

### ج) وحدة المقاصد والغايات ... لا وحدة الوسائل والكيانات

من السليبيات التي تقضى على وحدة المجتمعات ، ولاسيما في واقعنا الإسلامى المعاصر ، أن الكيانات والجماعات والأحزاب العاملة على الساحة إسلامية وغير إسلامية ، كل واحد يركز اهتمامه الأول على " استقطاب الآخر " إلى معسكره !! فإن لم يكن .. صار هذا الآخر "عدواً" لدوداً له!! ، وكأن شعارنا " من ليس معنا فهو علينا " ، وهذه النظرة تولد عدم ثقة بين الأطراف المختلفة ، وعلاجها : أن ندور جميعاً حول المقاصد العليا والغايات النبيلة ، لا أن نجعل التفصيلات والفرعيات محور خلافٍ وشقاق ونزاع .

يصدق هذا على الكيانات الإسلامية ، والتجمعات الوطنية والتحالفات الحزبية ، ولهذا أوصى كولن الداعية المسلم بقوله: " لا تتصرف أبداً كحواري الوحدة، ولا تقل لكل من تقابله: تعال لتتحد، لأنها دعوة ليست في محلها ، أما عندما تقول هذا بأسلوب من يدعو الآخرين للانضمام إلى مجموعته فهو خطأ أكبر وعدم توفير، ذلك لأن مثل هذا الأسلوب لا ينتج عنه -حتى عند أكثر الناس جنوحاً للخيال- سوى زيادة التعصب لجماعته، بل قم بالثناء على خدماتهم، واحترم ووقر علماءهم ، وبهذا يلين حتى أكثرهم خشونة ."<sup>(١)</sup>

فهو هنا يطرح فكرة غاية فى الأهمية ، وهى فكرة نحتاج إلى تطبيقها للتمييز بين الاتفاق والاتحاد فليس معنى الاتفاق فى الغاية والهدف ، أن نتفق فى الوسيلة التى نصل بها إلى هذا الهدف . ليس هذا فحسب بل إن اتفاقنا حتى على الوسائل لايغنى أن نتحد - سوياً - فى كيان واحد ، وأن ننصهر - معاً - فى بوتقة واحدة ، فإن من منابع الفرقة الحرص الزائد على الوحدة، ومحاولة قولبة الكيانات الإسلامية .

إن الاختلاف فى الوسائل لايغنى التناحر ، والاختلاف فى آليات العمل - وإن اتفقت الوسائل - ليس مدعاة إلى التناؤد والفرقة ، بل يجب ان نستفيد من هذا التنوع فى إثراء حياتنا الفكرية والدعوية ، ولايهدم بعضنا بعضاً ، ولايحقر أحداً من جهود الآخرين ، حينها ، وحينها فقط يصير الاختلاف والتعدُّد مصدر خير وافر ، وثراء مديد .

## المطلب الثاني

### وسائل تجسيد فقه الائتلاف

تجسدت الأسس التي بنى عليها فتح الله كولن في وسائل عديدة ، أهمها وأكثرها انتشارا إقامة الحوار مع مختلف الاتجاهات سواء في الداخل التركي ، أو عبر العالم الإسلامي ، أو من خلال الاحتكاك بدوائر المجتمع المدني في العالم الغربي ، وأنشئت من أجل تحقيق هذا الهدف مؤسسات ، وعقدت ندوات ومؤتمرات ، ولعل المؤسسات التربوية المتمثلة في المدارس التي أنشأتها حركة الخدمة ، كانت من أبرز وسائل التواصل الحضاري مع العالم الغربي عموما .

ولذلك جاء الفصل الخامس من هذه الدراسة تحت عنوان : تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية بين النظرية والتطبيق ، للحديث بالتفصيل عن هذه الوسائل ودورها في المجالين التعليمي والحضاري .

ولإقامة جسور التواصل مع الآخرين ، لا بد من تجسيد لهذه الأسس السابق ذكرها ، وقد أتقن الأستاذ فتح الله كولن تجسيد فقه الائتلاف بين تلاميذه وفي محيطهم أولا ، ثم استطاع تجسيد هذا الفقه بين الفرقاء في المجتمع التركي ، وبهذا انطلق ليُجسد فقه الائتلاف عبر قنوات الحوار مع العالم كله .

وقد كان من اهم وسائله لتجسيد فقه الائتلاف في محيطه وعبر تلاميذه ، ثم منهم إلى العالم أجمع ، مايلي :-

#### ١- العمل على إيجاد جيل من الشباب يُتقنون فقه الائتلاف

في القرآن الكريم ، توجيه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- في حواره وتعامله مع المشركين - أن يقول لهم: (وَأَنَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (١)

ففي الآية الأولى لم يقل بأن المؤمنين على الهدى والمشركين على الضلال المبين - على الرغم من كون هذه الحقيقة بديهية في السياق القرآني - ، وإنما : كل طرف يمكن أن يكون على الحق أو على الضلال من الناحية النظرية الافتراضية ، حتى يستمر الحوار ، ثم نلاحظ في الآية الأخرى أنه نسب الإجماع إلى المسلمين (أجرمنا) ، بينما أطلق على سلوكيات المشركين أعمالاً (ولا نُسأل

عما تعملون). وقريبٌ من هذه الآية قوله تعالى: (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)<sup>(١)</sup>

من هذه الأرضية جاء فتح الله كولن، إذ بسبب تدبره للقرآن حاول استيعاب حقائقه وقيمه وتنزيلها على الواقع ، والبداية في هذا الصدد بإجادة استخدام اللغة وحسن توظيف الكلمة ، بحيث تحقق الهدف دون استفزاز ودون زيادة أو نقصان ، وهذا في الحقيقة هو الدرس العملي الذي نستفيده من أسلوب القرآن في الآيتين السابقتين .

ف : " الكلمة أهم واسطة لانتقال الأفكار من ذهن إلى آخر، ومن قلب إلى آخر. والذين يحسنون استعمال هذه الواسطة من أرباب الفكر يستطيعون جمع أنصار عديدين للأفكار التي يريدون إيداعها في القلوب وفي الأرواح، فيصلون بأفكارهم إلى الخلود ، أما الذين لا يحسنون هذا ولا يستطيعونه فإنهم يقضون أعمارهم في معاناة فكرية ثم يرحلون عن هذه الدنيا دون أن يتركوا أثراً فيها . " (٢)

ويمكن القول أن أهم أداة لتدريب الشباب على الحوار وآداب الخلاف هي التربية ولاسيما في المدارس، وهذا ما اهتم به فتح الله كولن وتلاميذه في تيار الخدمة. التربية هي التي تصنع الأجيال المنشودة للنهوض الإسلامي، لأنها تستطيع اجتثاث السلبات الموجودة في تكوين الفرد، والنتيجة عن طبيعة الفجور في الإنسان (فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (٣)، وشوائب النفس الأمارة بالسوء، ومن ثم يمكن تحصين هذا الفرد ضد ثقافة التعصب والانغلاق، مع تحليته بآداب الحوار وأخلاق الخلاف.

وظل كولن في تربيته لتلاميذه يحليهم بآداب التعامل مع الآخرين، ومن ذلك: التسامح والبحث عن الأعذار، وعندما تكون المعصية من الكبائر المعلومة في الإسلام، فإن كولن يُعلم تلاميذه الامتناع من الأفعال لا من الأشخاص . (٤)

وهو بهذا يفتدي بالأنبياء والدعاة والمجددين والمصلحين الذين كان هذا منهجهم في الدعوة ، مثل لوط -عليه السلام- الذي سجل الله تعالى قوله لقومه المجرمين: (إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ) (٥) ،

١- سورة القصص ، الآية : ٨٥

٢- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ص ١٤٨

٣- سورة الشمس ، الآية : ٨

٤- أضواء قرآنية في سماء الوجدان، فتح الله كولن، ص ٢٥١

٥- سورة الشعراء ، الآية : ١٦٨

ونبيُّنا محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - الذى قال له - تعالى - موجهاً ومُعَلِّماً : (فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ  
إِنِّي بِرَبِّيَءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ) <sup>(١)</sup> ، فالبراءة إذاً تكون من الأعمال السيئة لا من الأشخاص .

إن الداعية إلى الله يجب أن يعتبر أن " الناس " بكل أطيافهم وقابلياتهم ، هو مادته الخام ، فإذا  
كان كل صاحب حرفة يتعلم فى دروسه الأولى لإتقان حرفته : كيف يتعامل مع المادة الخام التى  
تنتج له الصنعة التى يريد ، فإن الداعية ينبغى أن يتعامل مع الناس على اختلاف مشاربهم على  
أساس أنهم رأس ماله ، الذى ينبغى ألا يفرط فيه .

: "فالداعية الفقيه ، يستقبل الناس جميعاً ، وهم لديه فى حسن الاستعداد سواء ، وكله رجاء بل  
يقين فى أن يجد من الجميع أعواناً له على الخير الذى يدعو إليه ، فإذا أعرض عنه إنسان ،  
أوردّه بسوء ، فإنه لا يتوقع الشر من الآخرين أبداً ، إذ هو يدرك أنهم ينطوون على فطرة الحق ،  
والحق مبعث الأمل والرجاء ، بل مبعث الثقة واليقين . " <sup>(٢)</sup>

وهكذا فإن الداعية أو المصلح أو الذى يتعرض لخدمة الناس - ابتغاء وجه الله - ليس شرطياً ،  
أو قاضياً يحاسب الناس على أفعالهم ، ويزنهم بمدى انثقافهم معه فى رأيه ومذهبه واختلافهم ،  
كلاً . . بل هو ساعٍ فى الخير إليهم وإن هم سعوا فى السوء إليه ، داعٍ لهم وإن هم دعوا عليه ،  
كأن الشاعر <sup>(٣)</sup> يقصده حين قال :

فإن أكلوا لحمى وفرت لحمومهم  
وإن ضيَعوا غيبي حفظت غيوبهم  
وإن زجروا طيراً بنحس تمرُّ بى  
ولا أحمل الحقدَ القديمَ عليهم  
وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجداً  
وإن هـووا غيبي هويت لهم رشداً <sup>(٤)</sup>  
زجرت لهم طيراً تمرُّ بهم سَعداً <sup>(٥)</sup>  
وليس رئيسُ القومِ من يحملِ الحقداً <sup>(٦)</sup>

ولذا فقد رأينا كولن يدعو المؤمنين عامة وأهل الخدمة خاصة إلى التعامل الإنساني والأخلاقي مع  
المخالفين ومن أساء إليهم .

١- سورة الشعراء ، الآية : ٢١٦

٢- تذكرة الدعاة ، البهى الخولى ، ص ٢٨٣

٣- هو : المقنّع الكندى هو محمد بن عمير ، من كندة ، وهو أحد شعراء العصر الأموى ، وكان من أجمل الناس وجهاً ،  
وأمدّهم قامة ، فكان إذا كشف عن وجهه أصيب بالعين ، فكان يتقنّع ، فسمى بالمقنّع ، وهو من شعراء هذيل المشهورين  
( المصدر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ج٢ ، ص ٧٢٨ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ )

٤- يريد أنهم إن ذكروه بسوء فى غيبته ، حفظهم فى غيبتهم ، وإن أحبوا له الغواية ، أحب لهم الرشاد

٥- يريد أنهم إذا أرادوا به شراً ، أراد هو بهم خيراً

٦- أبيات فى مكارم الأخلاق ، نقلاً عن كتاب : مختارات ، ل: مصطفى لطفى المنفلوطى ، ص ١٥٣ ، مكتبة مصر ،

القاهرة ١٩٩٤م



حيث يقول: " لا يظهر كمال الإنسان ونضوجه إلا عندما لا ينحرف عن طريق الحق حتى بالنسبة للأشخاص الذين أسأؤوا إليه، بل لا يتردد في إساءة الخير إليهم ، أجل إن على الإنسان ألا ينحرف عن الإنصاف وعن المروءة حتى تجاه من رأى منه الإساءة والشر ، ذلك لأن القيام بالإساءة تصرف حيواني، ومقابلة الإساءة بالإساءة نقص خطير في الإنسان ، أما مقابلة الإساءة بالإحسان، ومقابلة الشر بالخير فعلامة من علامات السمو والشهامة ."<sup>(١)</sup>

ولاشك أن هذا الأمر غاية في الصعوبة ، شديد على النفس ، لكن هذا ما يقرره القرآن ، ليجعل الصابرين عليه من أولى العزم من الرجال (وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ)<sup>(٢)</sup> وعلى هذا النسق العالى من التربية على فقه الائتلاف ، وإتقانه والعمل به كان الأستاذ فتح الله كولن يربى الشباب ، ويجمع حشودهم فى ساحات الحوار البناء ، ليقبلوا الاختلاف ويتعاملوا معه ، سواء كان اختلافا فكريا أم حركيا .

وقد التقيتُ ببعضهم فى القاهرة ، وحين أردتُ معرفة أى كتب يقرأونها ، وجدتهم يقرأون لكل العلماء القدامى والمحدثين ، من مختلف الأفكار والاتجاهات دون تعصب لرأى ، أو جمود على فكر بعينه ، ويقبلون أن يختلف معهم غيرهم فى التوجه والعمل ، دون تسفيه لرأى أحد .

## ٢- نشر ثقافة الحوار والتسامح

بعد وسيلة التربية على تجسيد فقه الائتلاف ، والتغلب على نوازع النفس الأمارة بالسوء ، بمحاولة التنشيف والانتقام والفوز على الخصوم ، تأتى ملاحظة الانتشار . ولأننا فى مقام الحديث عن الوسائل، فإن فتح الله كولن، قد نزل إلى الواقع العملي بتربية تلاميذه على هذه القيم، ولما نجحوا بدأ بدعوة كل الأطياف والمشارب والتيارات التركبية للتقابل وجهاً لوجه، حيث دعاهم إلى موائد الطعام التي قدمها تيار الخدمة، وهناك كسر الحواجز بين هؤلاء المختلفين، مما أعان كل واحد منهم على مقابلة الآخر أولاً والاعتراف به ثانياً ومحاورته بأدبٍ ثالثاً .

: " حيث تحولت موائد الطعام إلى "موائد للفكر" متجسدة فى مؤسسة أوجدها كولن وهي: "وقف الصحفيين والكتّاب"<sup>(٣)</sup> لدعم الفكر والثقافة، ومن رحم هذه الجمعية ولد منبر "أبنت" كمؤسسة متخصصة فى الحوار، وما هي إلا سنوات قليلة حتى أقام هذا المنبر عشرات المؤتمرات والندوات

١- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ص ٧٥ ، ٧٦

٢- سورة الشورى ، الآية : ٤٣

٣- هو أحد أهم مؤسسات حركة الخدمة ، وسيأتى الحديث عنه بالتفصيل فى الفصل الخامس - إن شاء الله -

والحوارات واللقاءات في شتى الموضوعات ومختلف القضايا، داخل تركيا وخارجها، ليصل الأمر إلى حوار الحضارات والأديان والثقافات (١) " (٢)

وإذا كان العالم في ظل "العولمة" الليبرالية يسمع دقات طبول الحرب التي يتولاها دعاة ما يسمى بـ"صدام الحضارات" ولاسيما بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، فإن هناك من ينتصب كجسر للحوار بين الحضارات والثقافات، ولا نبالغ في القول بأن تيار الخدمة يأتي في طليعتها على مستوى العالم الإسلامي.

: "إن حركة فتح الله كولن تحاول اليوم توسيع إطار مفهوم الحوار وقبول الآخر إلى مستوى عالمي حتى يمكن مقاومة التوجهات الرامية إلى صراع الحضارات"، وهذا مدعاة إلى البحث في كل الثقافات عن القيم المشتركة وقيم التسامح والتعايش مع الآخر. " (٣)

ومن المعلوم أن المدارس التركية المنبثقة عن فكرة الخدمة تتوزع في حوالي مائة وستين بلداً في العالم، وهي تقوم بدور مقدر في الحوار والتقريب بين الحضارات، والتواصل بين الثقافات . وهكذا، هياً كولن فرصة الحوار، وأشاع فنونه وآدابه، ودرّب تلاميذه على القيام بهذا الدور، وهو بذلك يوفر وسيلة من وسائل تضيق الفجوات ، حيث يملؤها بالأخلاق والمحبة والتواضع. لقد مثلت مدرستا النورسي وكولن أحد الروافد الأساسية لثقافة التسامح في العالم من منظور إسلامي ، ولذلك فقد وجدت هاتان المدرستان صدى كبير في دوائر المجتمعات الغربية – لاسيما مدرسة كولن نظراً لحدائتها وانتشارها الواسع – ، والمقصود هنا ، المجتمعات وليست الانظمة والدول .

والنورسي يقول لتلاميذه: "إخواني ، مراعاةً لمشاعر الأبرياء والشيوخ ، لاتتأروا لي ممن يقتلني ، فحسبهم عذابُ القبر والسقر. " (٤)

وقد اعتبر بعض الباحثين أن فتح الله كولن ومن قبله النورسي يُعدان من أهم دُعاة "اللاعنف" في العالم ، وإن لم يستخدموا هذا المصطلح في أدبياتهما ، غير أنهما يختلفان عن غيرهما أن اللاعنف عندهما غير مرتبط بدوافع سياسية ، إنما دافعهم الوحيد ابتغاء مرضاة الله وخدمة الإنسانية .

١- حوار الأديان مصطلح شائك ، وسيتم الحديث عن حوار الأديان كما مارسه كولن في الفصل الخامس – إن شاء الله

٢- عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الخدمة وشواطئ الحكمة ، د.فؤاد البنا ، ص ١٩٧

٣- فتح الله كولن: جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية، محمد أنس أركنه، ص ٥٥.

٤- الشعاعات ، بديع الزمان النورسي ، ص ٤٥٦ ، ط ٦ ، دار سوزلر ، القاهرة ، ٢٠١١م

حيث : " أصبح اللاعنف منهجا مهما في التعامل مع المشكلات كطريق للكفاح الاجتماعي ، وارتبط هذا المفهوم برموز كثيرة معروفة بشكل واسع ، مثل : تولستوى <sup>(١)</sup> ، في روسيا ، والمهاتما غاندى <sup>(٢)</sup> في الهند ، ومارتن لوثر كينج <sup>(٣)</sup> في الولايات المتحدة ، وثمة رمزان إسلاميان في تركيا المعاصرة ، وهما سعيد النورسي ، وفتح الله كولن . " <sup>(٤)</sup>

وعلى الرغم من الأسماء التي ذكرها الباحث، لها تأثيرها الكبير في التاريخ المعاصر ، إلا أن كلا من النورسي وكولن ينطلقان في مفهوم التسامح واللاعنف من منطلقات مختلفة ، ولغايات مختلفة عن هؤلاء ، فمنطلقاتهما إسلامية وإنسانية ، ليست سياسية أو عرقية .

### ٣- ممارسة النقد الذاتي وإعذار الآخرين

عند تفسير فتح الله كولن لقوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) <sup>(٥)</sup> أوضح منهج القرآن في اتهام الذات، ومما قاله بهذا الصدد:

" والحقيقة أن معرفة الإنسان بأن المصائب التي تصيبه هي نتيجة أعماله وما اقترفت يده هي من أمر القرآن ، وأي تفكير مخالف لهذا يسوق الإنسان إلى التفتيش عن متهم ومذنب خارجي، ومثل هذا الإنسان لن يجد مثل هذا المذنب، ولا يتخلص عن إثم سوء الظن، أجل! يعطينا القرآن مقياساً في البحث عن المذنب: المذنب ليس شخصاً آخر، بل هو أنفسنا . " <sup>(٦)</sup>

- 
- ١- تولستوى (١٨٢٨ - ١٩١٠م): روائي روسي ومصلح اجتماعي ، يعد من أعمدة الأدب الروسي في القرن التاسع عشر والبعض بعده من أعظم الروائيين على الإطلاق. ، أشهر أعماله روايتي " الحرب والسلام " و"أنا كارنينا" ( المصدر : حرب اللاعنف ، أحمد عادل ، هشام مرسى ، ص ١٩٩ ، أكاديمية التغيير ، نسخة إلكترونية ، ٢٠١٣م)
  - ٢- غاندى(١٨٦٩ - ١٩٤٨م): الزعيم الروحي للهند خلال حركة استقلال الهند من الاحتلال الانجليزي ، كان من دعاة مقاومة الاستبداد من خلال العصيان المدني الشامل ، والتي أدت إلى استقلال الهند وألهمت الكثير من حركات الحقوق المدنية والحرية في جميع أنحاء العالم ( المصدر : حرب اللاعنف ، أحمد عادل ، هشام مرسى ، ص ٢٠٠)
  - ٣- مارتن لوثر كينج(١٩٢٩ - ١٩٦٨م): زعيم أمريكي من أصول إفريقية، وناشط سياسي إنساني، من المطالبين بإنهاء التمييز العنصري ضد السود ، حصل على جائزة نوبل للسلام، وكان أصغر من يحوز عليها( المصدر : حرب اللاعنف ، أحمد عادل ، هشام مرسى ، ص ٢٢١)
  - ٤- السلام والتسامح في فكر فتح الله كولن ، د سارى تويراك ، ص ٩٩ ، ط ١ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٤م
  - ٥- سورة الشورى ، الآية : ٣٠
  - ٦- أضواء قرآنية في سماء الوجدان، فتح الله كولن، ص ٣٣٧

وأشار في ذات السياق إلى أن الفرق بين معصية آدم ومعصية إبليس، هو أن آدم اتهم ذاته، بينما نسب إبليس الغواية إلى الله.. وفي مقام آخر يقول: "والحقيقة أن أفضل طريق لجلب رحمة الله ومغفرته هو اعتراف الإنسان بتقصيره، وهذا هو طريق الأنبياء العظام عليهم السلام." (١)

وتحت عنوان **البحث عن المجرم الحقيقي** ، تراه يدعو تلاميذه أن ينقبوا داخل ذواتهم إذا ما حدث خللٌ ما قبل أن يبدأوا في البحث خارج عوالمهم الذاتية. . .

: "على المؤمن أن يفتش عن أخطائه وعيوبه أولاً حتى في الحوادث الغامضة التي نزلت به ، فمن يتهم نفسه يكون قد خطا خطوة مهمة في البحث عن المجرم الحقيقي أمّا إن برأ نفسه وراح يبحث عن المجرم في الخارج فلن يجده وإن قضى عمره كله في البحث عنه ، وبذلك ينفق عمره في اتهام الآخرين." (٢)

وبهذا تتصرف طاقة النقد الموجودة في الإنسان إلى إصلاح ذاته: مراقبةً ومحاسبةً، تقييماً وتقويماً، فينشغل عن الآخرين: اتهاماً وقذفاً، سباً وشتماً، تسفيهاً وتجريحاً، تفسيقاً وتبديعاً، ومن ثم يحنو عليهم، ويبحث لهم عن أعذار، وهذا مدعاة لتآلف القلوب وتراص الصفوف.

ولهذا فقد حث كولن على البحث للآخرين عن أعذار، وظل شعاره في هذا الشأن مقولته الذهبية الرائعة: "على الإنسان أن يتصرف تجاه أخطائه كمدعي عام، وتجاه أخطاء الآخرين كمحامي دفاع" (٣)

#### ٤ - التلطف والرحمة والحب

حركة فتح الله كولن إيمانية راقية، تجمع بين العلم الذي يوفر الدليل على ضرورة التعامل الأحسن مع الناس، وبين الإخلاص الذي يوفر الدافعية للاستمرار والصبر والتفاني والتضحية في هذا الطريق، مع ما يقتضيه ذلك من مواجهة الإساءة بالإحسان، والأخطاء بالصفح، والمقاطعة بالوصل، ابتغاء وجه الله .

لقد انطلق كولن من قوله تعالى: (وَلْيَتَلَطَّفْ) (٤) ليكون لهذا التلطف تجليات إيجابية كثيرة على جوانب الدعوة والحركة، سواء من جهة التخفي والهمس، أو من جهة اتخاذ الوسائل اللطيفة

١- أضواء قرآنية في سماء الوجدان، فتح الله كولن، ص: ٢٦٠.

٢- شد الرحال إلى غاية سامية ، فتح الله كولن ، ص ٩٦

٣- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ص: ٢٤٣.

٤- سورة الكهف، الآية: ١٩

والهادئة والمرنة وغير المستفزة للناس، وهذا واجب حتى في الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس. (١)

وأورد في مقام آخر قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٢) ، وتأمّل فيها طويلاً ليؤصل لمنهج التلطف والرحمة والهوادة واللين، ومما قاله في تنزيله لهذه الآية على هذا العصر

:" فإن المطلوب ليس إلا التصرف برحمة وشفقة نحو المؤمنين بل بأسلوب أكثر ليناً وتواضعاً، أي أدلة على المؤمنين، لا يقابل الشتم منهم إلا بالسكوت، ولا يقابل عدوانهم إلا بالصبر، أي يضع رأسه تحت أقدام المؤمنين. " (٣)

ويصف كولن رجل القرآن بأوصاف كثيرة، ومن ذلك أنه "يرى ويفكر ويتصرف بكليات قلبه كافة، وقيامه وعوده رحمة، وقوله وكلامه ونام، وأحواله كلها رقة ولطافة. " (٤) وظل يُعلّم تلاميذه بأن الرحمة تذيب جليد الحقد، ويوصيهم بأن يتنفسوا محبة، ويحثهم على اللين والهوادة .

ولا يفتأ يستخدم أعذب الكلمات وأفضل الأساليب وأقوى المؤثرات اللفظية، من أجل دفع تلاميذه وعامة المسلمين إلى التخلّق بخلق المسامحة في سائر الأحوال . ولاسيما عند القدرة على انتزاع الحق أو الثأر والانتقام، حيث يقول: "اصفح عندما تكون قادراً على العقاب، وبذلك يكون لصفحك قيمة. " (٥)

وذهب كولن إلى أبعد من ذلك، مُرتقياً إلى القمة السامقة التي لا يستطيع الوصول إليها إلا القليل من الناس، من الذين راغموا أنفسهم، وزكوها بالعلم والإخلاص، ووفق محاسبات ومجاهدات طويلة، وهو الحب حيث نختم هذا المبحث بمسك من كلام فتح الله كولن في هذا السياق.

إذ قال: "إن رجل الفكر بطلٌ للحب قبل كل شيء، فهو يحب الله حبا كحب مجنون، فيحس في ظل أجنحة الحب هذا بوشائج وثيقة تربطه مع الكائنات، فيحضن بشفقة كل إنسان، وكل شيء.. ويضم إلى صدره إنسان الوطن بحب يبلغ حد العشق ، ويداعب ويشم الأطفال كبراعم للمستقبل ،

١- انظر: أضواء قرآنية في سماء الوجدان، فتح الله كولن، ص ١٤٠، ١٤١.

٢- سورة المائدة، الآية: ٥٤

٣- أضواء قرآنية في سماء الوجدان، فتح الله كولن، ص ١٤٨.

٤- ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، ص ٩٩

٥- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ص ٢٤٥

وينفث في الشباب الاستحالة<sup>(١)</sup> إلى إنسان مثالي، إذ يباريهم في بلوغ المقاصد السامية، ويفتح سبيلاً للحوار مع الجميع ، ويتقارب بين شرائح المجتمع المختلفة بمد جسور مبتكرة فوق المهايوي السحيقة الفاصلة بينها." <sup>(٢)</sup>

إن المحبة هي كلمة السر في فقه الائتلاف عند كولن ، وفي قنوات الحوار التي يفتحها على مصراعيها مع الجميع ، وهو ما يعود بنا إلى الفصل الثاني حيث الحديث عن أن كولن هو صدى الرومي في القرن الواحد والعشرين .

فقد عاش الرومي من أجل الحب ، وأسمى أنواع المحبة عنده : محبة الله ، ومنها تنبثق محبته لجميع خلقه - سبحانه -

"فالرومي يرى أن ذروة السعادة في تحمُّل العذاب من أجل الأحبة ، ومثل هذا الحب لم يعد له مكانٌ يُذكر في حياتنا المعاصرة، وقد حاول كولن أن يوسِّع من المساحة التي يعطيها المجتمع الحديث لقيم الحب والتضحية بدون أنانية مع التأكيد على الكرامة الإنسانية المشتركة من أجل أبناء الوطن خاصة ، والإنسانية عامة." <sup>(٣)</sup>

ولمعرفة كولن بطبيعة المجتمع التركي وعاطفيته، فقد بدأ دعوته من المساجد عبر سلاح الوعظ البناء، الوعظ الذي استطاع بجناحي البلاغة والإخلاص أن يرتقي بأعداد هائلة من القاع إلى القمة ، ثم دخل المجتمع من أبواب متفرقة، منها المدارس والمعاهد والجامعات، ووسائل الإعلام الجماهيرية وجمعيات النفع العام، حيث نجح في الوصول إلى من لا يدخلون المساجد، مساعداً لهم في الوصول إلى الله .

ف: " بسبب تُلطف كولن وأبناء حركته، وحسن ظنهم بالناس، نجحوا في التغلغل في أعماق المجتمع التركي رغم الشناء القارس الذي عاشته تركيا في العقود الماضية، واستطاعوا انتشار مئات الآلاف من الشباب، والعروج بهم إلى ذرى المعالي، كجزء من "استراتيجية" الحركة في الإصلاح التحتي، والانتقال بتركيا من الشتاء الأسود إلى الربيع الأخضر." <sup>(٤)</sup>

وبهذه الوسائل التي أصبحت جزءاً من أسلحة تيار الخدمة في الجهاد المدني والدعوة السلمية المعتمدة على القدوة الحسنة والدعوة العملية، وبجانب الأسس السابقة نجح فتح الله كولن بإيجاد ما

١- الاستحالة : التحول

٢- ونحن نقيم صرح الروح، فتح الله كولن، ص ١٢٨، ١٢٩.

٣- فتح الله كولن : الرؤية والتأثير " تجربة فاعلة في المجتمع المدني " ، مايمول احسن خان ، ص ٣٠ ، ط ١ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٥م

٤- عبقرية فتح الله كولن بين قوارب الخدمة وشواطئ الحكمة ، د.فؤاد البنا ، ص ١٩٧

---

يمكن تسميته بـ"فقه الائتلاف"، في زمن تفرق فيه المسلمون حتى صاروا مضرب المثل في ذلك ،  
فنسأل الله أن تكون هذه الدراسة لتجربة فتح الله وكولن ، مصباحاً كاشفاً يضيء ، ودليلاً هادياً  
في ظلمات التفرق والخلاف السياسي والمذهبي والديني والطائفي الذي تحياه أمتنا ، لاسيما في  
هذه المرحلة العصيبة من تاريخها .

## الفصل الخامس

# تجربة فتح الله كولن بين النظرية والتطبيق (حركة الخدمة)

ويتكون من أربعة مباحث :-

المبحث الأول : حركة الخدمة . . المفهوم والتصنيف ، وفيه مطلبان :-

المطلب الأول : مفهوم حركة الخدمة

المطلب الثانى : مراحل التكوين والنشأة

المبحث الثانى : السمات العملية لحركة الخدمة ، وفيه خمسة مطالب :-

المطلب الأول : التخطيط

المطلب الثانى : التشارك والمؤسسية

المطلب الثالث : عدم التحزب السياسى

المطلب الرابع : الهجرة من أجل الخدمة

المطلب الخامس : التفانى فى الخدمة ونكران الذات

المبحث الثالث : التربية والتعليم . . المجال الحيوى لمشروع الخدمة النهضوى

المطلب الأول : "التربية والتعليم" النشاط المركزى للخدمة

المطلب الثانى : "المدرسة" لبنة المشروع وعنصر النهوض

المطلب الثالث : ملامح النموذج المنشود من خلال دراسة ميدانية

" مدرسة صلاح الدين بالقاهرة "

المبحث الرابع : ثقافة الحوار وآلياته السبيل لفتح الآفاق الإنسانية فى مشروع الخدمة النهضوى

وفيه ثلاثة مطالب :-

المطلب الأول : الخدمة وثقافة الحوار

المطلب الثانى : الحوار الداخلى "وقف الكُتَّاب والصحفيين"

المطلب الثالث : تقارب الشعوب والحوار بين الأديان



## المبحث الأول

### حركة الخدمة : المفهوم والتصنيف

من الجدير بالذكر أن "الخدمة" في الأساس إطار نظري ، لكنه تحوّل بفعل ما نُفث فيه من طاقة روحية وحركية وفكرية وثقافية إلى واقع حركي متميز.. فـ"الخدمة" مجرد فكرة تحولت إلى مشروع انبعاث حضاري هدفه أن يحرك الأمة وينهض بها .

كل هذا يجعل من طرح الأسئلة حول "الخدمة" وأنشطتها وماهيتها أمراً ملحاً، وموضوعاً جديراً بالاهتمام.

إن الأسئلة المتعلقة بماهية الخدمة وخصوصياتها وطبيعة العلاقة التي تربطها بفكر الأستاذ فتح الله كولن، قضية ذات أهمية بالغة ، والإجابة على هذه الأسئلة يفتح الباب لفهم هذه الحركة الاجتماعية والدعوية .

إن فكر الخدمة يأخذ -أولاً- النموذج من الواقع المحلي الذي نشأت فيه التجربة ، وثانياً من المؤسسات التعليمية الموائمة لظروف العصر ولطبيعة هذا الواقع ، ومع الوقت انتشر هذا النموذج في شتى أرجاء العالم، وتمت محاكاته في أماكن أخرى؛ حتى صار نموذجاً شاملاً كلّ الإنسانية.

يقول الدكتور: أركون جابان<sup>(١)</sup> : " إن فلسفة الخدمة عند الأستاذ فتح الله إنما هي حركة تأسست على الإرشاد وتهدف إلى رضا الله، متخذة من عهد الصحابة نموذجاً، ومستفيدة من تفسيرات أصحاب العلم والفكر الذين يمثلون حياة الروح وظلوا في المقدمة من أمس إلى اليوم وهم يسرون على هدي القرآن والسنة، من أمثال الإمام الغزالي وبديع الزمان سعيد النورسي وغيرهم ، إن هذه الخدمة تهتم بظروف العصر عن طريق الاستفادة من أفكار أشخاص عظام سبق الحديث عنهم، وتفسير الدين في إطار مناسب لنظم وأسس القرآن والسنة. وبعد الأستاذ فتح الله صاحب فكر متقدم وعملي، وله كتب مطبوعة يتجاوز عددها الـ ٦٠، بخلاف الآلاف من الآثار الشفهية التي تتمثل في المحادثات والمؤتمرات والأسئلة والأجوبة والوعظ. " <sup>(٢)</sup>

١- رئيس تحرير مجلة الأمل الجديد التركية

٢- مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، د. أركون جابان : ورقة بحث بعنوان " فلسفة الخدمة عند الأستاذ فتح

## المطلب الأول

### مفهوم "حركة الخدمة"

تحدّث الأستاذ فتح الله كولن معبراً عن طبيعة الآمال والطموحات التي كانت تشغل باله في شبابه المبكر ، فيقول :

" عندما كنت في الثانية أو الثالثة عشر من عمري وكنت حينئذ أدرس في تركيا، كنت أحمل كتاباً في يد وخريطة العالم في اليد الأخرى سائلاً ربي: كيف يُمكننا يا رب أن نصبح عالماً يربطه الأمل والحب والعلم وقد حلّت مشكلاته الاجتماعية؟" (١)

لقد بدأت تجربة الأستاذ فتح الله كولن كخواطر كانت تتبلور في ذهنه منذ صباه ، فقد كان سابقاً لسنه من ناحية التفكير و نمط للحياة، وقد تناولت هذه الدراسة مراحل حياته في الفصل الأول . كانت تلك الخواطر تتضح في خاطره يوماً بعد يوم وتتبلور فكرة جامعة و مشروعاً شاملاً قابلاً للتطبيق ، لكن أهم ما يميز تلك الخواطر هو ثقة صاحبها بتحقيقها، فهو القائل: " بذرة صغيرة تنشئ شجرة باسقة ، من ماء مهين نشأ هذا الإنسان العظيم ، ومن قطرات الماء هدّرت البحار وتصاخبت الأمواج، فإياك أن تستهين بالصغير فإنك لا تدري أي كبير بالغد سيكون..." (٢)

يدور هذا المطلب - بمشيئة الله - حول عدة نقاط نتعرف من خلالها على مفهوم الخدمة ، حيث يبدأ بالحديث عن إشكالية تصنيف الخدمة ، تلك الإشكالية التي شغلت الكثيرين ثم عن علاقة الخدمة بالمجتمع المدني ، حيث توصف - لاسيما في الغرب - بكونها منظمة من منظمات المجتمع المدني الناشطة ، ثم يتطرق الحديث عن الخدمة وعلاقتها بالطرق الصوفية ، وهل هي علاقة فكرية أم عضوية ، ويتبين من هذا أن الخدمة حركة تقدم نموذجاً مختلفاً ، ربما لا يخضع كلياً إلى شئ من التصنيفات المتعارف عليها ، بل هي حركة أنشأت نماذجها من ذاتها ، وأنها طريق عمومي ليس ملكاً لأحد ، ثم يُختتم هذا المطلب برؤية فتح الله كولن لحركة الخدمة ، كيف يصنفها ؟ وما هو وصفه لها ؟ وما هي طبيعة علاقته بأنشطتها وأفرادها ؟

١- ملحق مجلة حراء ، فتح الله كولن، أشواق أمة، واستنهاض حضارة ، عدد خاص ، ص ٥

٢- المرجع السابق ، ص ٧

## كيف يرى الأستاذ فتح الله كولن "حركة الخدمة" ؟

الكثير من الدراسات تصف الحركة بأنها " حركة فتح الله كولن " ، أو "حركة كولن"، وذلك للتلازم الواضح بين الخطابين ، وللتأثير الكبير للأستاذ فتح الله كولن على مسارات الحركة التي تستلهم أنشطتها من أفكاره .

والسؤال هنا كيف ينظر فتح الله كولن ذاته إلى هذه الحركة ؟ وما هو توصيفه لها ؟

في حوارٍ أجرته جريدة "الشرق الأوسط" مع الأستاذ فتح الله كولن في ٢٤ مارس ٢٠١٤م سُئِلَ : هل تنتظرون إلى ملايين الأتباع ومئات المدارس التي أنشأوها في جميع أنحاء العالم كحركة واحدة؟

فأجاب الأستاذ فتح الله كولن : " لا أرى من المناسب تسمية هؤلاء بـ"الأتباع"،سواء لي أو لأي شخص آخر. لذلك، فقد أكدت مرارا أنه يؤلمني كثيرا نسبة الناس إلى شخصي الضعيف وإحاقهم بي تحت عناوين مختلفة ، كما أريد أن أؤكد أن هؤلاء الناس قد التقوا- بشكل طوعي- حول مشاريع وجدوها مفيدة لكل الناس. ومع أن الحركة تستهدي بقيم الإسلام، فإن مشاريعها التي يعكف عليها المتطوعون العاملون في إطارها متماشية مع القيم الإنسانية الهادفة إلى تعزيز الحريات الفردية وحقوق الإنسان والتعايش السلمي بين جميع الفئات ، ومن ثم وجدت ترحيبا في ١٦٠ دولة حول العالم، ولقيت قبولا صريحا أو ضمنيا مباشرا أو غير مباشر من جنسيات ودول وأديان مختلفة." (١)

وهو يؤكد أن هؤلاء المتطوعين لايشكلون بنية متجانسة ، سياسيا أو عرقيا ، وأنهم التقوا على قيم إنسانية مشتركة ، من منطلق إسلامي خالص .

وقد اختصر كولن هذه القيم الإنسانية السامية المشتركة:-

1) كالحريات، وحقوق الإنسان، واحترام المعتقدات، وتقبل الآخر، والانفتاح على الحوار.

2) وتنزيه الدين عن الأغراض السياسية الحزبية الضيقة، واحترام القانون، ورفض استغلال

إمكانيات الدولة استغلالا سينا، وضرورة المحافظة على المسار الديمقراطي، ورفض

استخدام السلطة لإكراه الأفراد والمجتمعات على معتقدات معينة.

3) والثقة بالمجتمع المدني، وتوظيف التعليم لإحلال ثقافة السلام في المجتمعات.

١- نُشر هذا الحوار في كل من : جريدة الشرق الأوسط : (٢٤-٢٥/٣/٢٠١٤م ) ، موقع الملف التركي: (٢٦/٣/٢٠١٤م) ، ونُشر مع مجموعة من الحوارات الأخرى في كتاب " كلمات شاهدة " ، ط١، دار النيل .القاهرة

﴿ وابتغاء مرضاة الله - تعالى - في كل قول وفعل، ومحبة الخلق من أجل الخالق، وتعزيز منظومة القيم الأخلاقية لدى الأفراد بغض النظر عن قيمهم الدينية أو غير الدينية ﴾

﴿ هؤلاء الناس- الذين تجمعهم القيم السابقة مع تنوعهم - يتمتعون بوحدة روحية ، ووعي جماعي ، بحيث لا يمكن لأي جهة خارجية التلاعب بهم بهدف خرق القيم الأنفة الذكر (١) وحول إطلاق اسم أو وصف لهؤلاء الأفراد المجتمعين حول هذه القيم الإنسانية المشتركة ، فإنه لايفضل استخدام المصطلحات التي تحمل في أذهان البعض خلفيات فكرية أو سياسية معينة . يقول :- " هؤلاء الأفراد أُطلقت عليهم عدة أسماء كـ"الجماعة" ، و"الخدمة" و"الجامعة"، ومع أن هذه الأسماء لا تعبر عن المعنى الذي يمثلونه بشكل وافٍ فإن مصطلح "جامعة" باللغة التركية، الذي يعني مجتمعا كبيرا من الأفراد، هو الأنسب. " (٢)

لقد استطاع الأستاذ فتح الله كولن من خلال فكرة الخدمة التغلغل في عمق المجتمع دون أن يكون للحواجز الطبقيّة والفكرية والأيدولوجية والسياسية أي تأثير، أو أن تكون حائلا يمنع الناس من الاقتناع برؤيته ، ولذلك فالخدمة اليوم مزيج من الناس والرؤى تلتقي عند فكرة الخدمة وروحها .

### أولا : إشكالية تصنيف "الخدمة"

الدراسات العربية التي تناولت حركة الخدمة بالتحليل من حيث كونها حركة عالمية ذات تأثير كبير ليست كثيرة ،والمثقف العربي يقع في إشكالية التصنيف المنتشرة في عالمنا العربي ، وفي الوقت ذاته فإن الدراسات الغربية التي تناولت الحركة كان اهتمامها منصباً على الآليات والأنشطة ، التي تقدمها الحركة في أنحاء العالم ، فهي دراسات تُعنى بالجانب العملي والتطبيقي أكثر من عنايتها بالمحرّكات والبواعث وراء هذه الحركة .

ولذلك يتوجّب على الباحث في هوية حركة الخدمة التمييز في هذه الأسئلة بين تلك الأسئلة التي يثيرها المثقف الغربي، وتلك التي يثيرها مثقف من العالم العربي أو من أي بلد إسلامي آخر .

ف: " المثقف الغربي عندما يتساءل عن هوية الحركة تميل أسئلته إلى التركيز على طبيعة الحركة من جهة الطائفية ومن جهة كونها ديانة جديدة مثلا !! في الوقت الذي لا يثار فيه هذا الأمر بالنسبة للمثقف المسلم لمعرفة اليقينية بأن الحركة هي إحياء لتقاليد إسلامية أصيلة ، ثم إن فهم

١- حوار جريدة الشرق الأوسط ، بتاريخ ٢٤/٣/٢٠١٤م

٢-الحوار السابق نفسه

المثقف المسلم لحقيقة الإسلام يمكنه من أن يدرك بأن خطاب الأستاذ فتح الله أبعاد ما يكون عن الخطاب الطائفي". (١)

ومما لا شك فيه أن الأدبيات التي تُقدّم "الخدمة" أدبيات مُستقاة من كتابات الأستاذ كولن ومن تراثه الخطابي ومن التاريخ الدعوى له ، وأهمّ ما يُلحّ عليه كولن في هذه الأدبيات - كما تقدّم في الفصول السابقة - هو تأكيد الانتماء إلى عمق التقاليد الإسلامية ، فالمتمأمل في خطابه الإصلاحى ، سيقف على عقيدة راسخة بأن المبادئ والقيم الإسلامية قادرة على تغيير العالم كله وليس العالم الإسلامى فحسب.

ولذا فإن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الخطابين : الخطاب الدعوى للأستاذ فتح الله كولن والخطاب الحركى للخدمة ، فشخصية الأستاذ فتح الله عنصر مركزي في حركة الخدمة ، حتى إنه ل يبدو للباحث في تجربة كولن للوهلة الأولى أن الخدمة وشخصية الأستاذ فتح الله هما وجهان لعملة واحدة..

لكن ... هل تمكّنت الخدمة من أن تبني خطابها الخاص بها كـ "تجمّع مدنى إصلاحى " ؟ فى محاولته للإجابة على هذا التساؤل يقول الدكتور محمد جكيب : " في الواقع لا يمكن الحديث في هذا المقام عن خطاب واحد، وإنما يمكن الحديث عن خطابات كثيرة شارحة أو مفسرة أو مؤولة لخطاب الأستاذ فتح الله كولن، تبعا للمجالات الإنسانية والحقول المجتمعية التي تتحرك فيها الخدمة بمختلف مؤسساتها ، بعبارة أخرى لقد أسست مؤسسات الخدمة -كل واحدة على حدة- خطابا تفسيريا لخطاب الأستاذ فتح الله كولن، لكن بالحفاظ على الأصل في إطار تفاعل واسع مع هذا الخطاب". (٢)

إن الخطاب - هنا - وفى هذا السياق لايعنى استخدام التراكيب اللفظية للتعبير عن المعنى ، وإنما يعنى : أدوات التعبير ، ووسائل البلاغ للرسالة الواحدة ، فتلاميذ كولن الذين تأثروا بخطابه الدينى والدعوى ، مارسوا العمل المؤسسى مستخدمين خطابات أخرى تبدو غير دينية تماما ، لكنها تستند على خطاب كولن الدينى وتستقى منه .

١- أشواق النهضة والانبعث " قراءات فى مشروع الأستاذ فتح الله كولن " ، د. محمد جكيب ، ص٢٤٤ ، ط ١ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٣م

٢- أشواق النهضة والانبعث " قراءات فى مشروع الأستاذ فتح الله كولن " ، د. محمد جكيب ، ص ٢٤٣

## ثانياً: الخدمة والمجتمع المدني

مما لا يخفى أن تركيا منذ إسقاط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤م ، وصبغ الحياة التركية سياسياً وثقافياً وفكرياً بالصبغة العلمانية ، منذ ذلك الحين والنشاط الإسلامي في حظرٍ دائم .  
في ظل هذه الأجواء نشأت حركة الخدمة ذات الطابع الإسلامي ، فكيف استطاعت شق طريقها في هذا المناخ الصعب !؟

يمكن تفسير هذا بأن الحركة قد ظلت منذ نشأتها الأولى تعمل على أن تكون منسجمةً مع النظام القائم وعلى ألا تدخل في مواجهةٍ معه، لذلك ظلَّ الأستاذ فتح الله كولن منذ أنشطته الحركية الأولى حريصاً على عدم الإتيان بما قد يُفسَّر بأنه يريد تأسيس حركة ضد النظام العلماني القائم في تركيا ، ومن هنا يُطرح السؤال الآتي : هل حركة "الخدمة" حركة مجتمع مدني؟

الدكتور محمد شاتين، هو أحد المهتمين بحركة "الخدمة" من زاوية علم الاجتماع ، وقد أعدَّ دراسة مطوّلة في هذا الشأن نشرتها دار النيل باللغة الإنجليزية<sup>(١)</sup> تحت عنوان ( حركة كولن : خدمة مدنية بلا حدود . The gulen movement :civic service whthout borders )، وقد بيّن من خلال دراسته تلك أن المجتمع المدني مجال يشمل كل تلك المنظمات والنوادي والمجمعات الناشطة إزاء نظام الحكم ، على أساس أن منظمات الحركة الاجتماعية ليست منظمات أو مؤسسات ربحية، ولكنها مؤسسات تقوم على أساس التوافق من أجل مشاريع تقدم "خدمة" للمجتمع أفراداً وجماعات ، وعلى أساس التعاون من أجل هذه الخدمة المقدّمة في جو من محبة الآخرين ومبدأ الإيثار، وهي كذلك منظمات ومؤسسات تحرص على تحمّل المسؤولية تجاه الآخرين والمجتمع الذي ينتمون إليه .

ولذلك فقد اعتبر أن "حركة الخدمة" هي أحد منظمات المجتمع المدني التي تستلهم أفكارها من خلال منظومة قيم إسلامية راشدة بمعنى أن الخدمة توظّف مؤسساتها وإمكانيتها لإقامة جو يسوده التعاون ونشر المبادرة الحرة ومساندة المشاريع التربوية، والمشاريع التي تعود بالنفع على كل أفراد المجتمع.

ومن هنا تكون الخدمة- شأن كل منظمات المجتمع المدني - عنصراً متحملاً لجزء من المشاكل التي تواجه الدولة، بل عنصراً مساهماً في الحلول ، فالخدمة هنا لا تقف على طرف النقيض مع الدولة، بل تساهم مساهمة فعّالة مع الدولة في البرامج التي تهتم أفراد المجتمع، لتكون من خلال ذلك العنصرَ الفعال في وضع قاطرة التنمية والنهوض على الطريق ، فهي حركة تصنع ما يمكن

الاصطلاح عليه بالرأسمال الاجتماعي (Social Capital)، لكن دون أن تكون الخدمة بديلا عن الدولة، بل مكملاً لعملها ونشاطها (١)

وتوافق في هذا الطرح الدكتورة / هيلين روزابيو (أستاذة علم الاجتماع بجامعة هيوستن بالولايات المتحدة الأمريكية ) ، في بحثها عن الحركة ، فتعرّف الحركة بكونها : " مبادرة مدنية ، وحركة مجتمع مدنى ، بمعنى أنها ليست تنظيماً مدعوماً من دولة أو حكومة ، وهى حركة ثقافية تعليمية غير سياسية ، تتمركز - أساساً - حول تغيير الفرد وتعليمه ، كما تُعنى بالوعى والتطور الفكرى والروحى للفرد ، سعياً لتشكيل وجدان من شأنه تمكين الفرد من التأثير فى المجتمع . " (٢)

وعلى الرغم من أن الأنشطة والفعاليات التى تقوم بها "الخدمة" سواء فى تركيا أوفى خارجها تندرج تحت مسمى " المجتمع المدنى " ، من حيث كونها نشاطات اجتماعية وتربوية وثقافية تعمل تحت مظلة المجتمع ، إلا أن هذا - من وجهة نظر الباحث - ينطبق على المؤسسات والمشاريع التى تؤسسها الخدمة لتعمل من خلالها، لكنه لاينطبق على "الخدمة" كحركة من المتطوعين لخدمة الإسلام ، فالخدمة كحركة لايمكن اختزالها فى كونها مجرد "منظمة" من منظمات المجتمع المدنى ويؤكد هذا ما ذكره الدكتور محمد جكيب من أن : " الحركة ليس فيها أعضاء ينتمون إليها كما ينتمى الأعضاء إلى الجمعيات ، لأن الخدمة مجرد أفكار يقتنع بها الناس وينطلقون منخرطين فيها أحراراً فى كل ما يقومون به ، فالحركة تشجع الناس على أن يظلوا منفتحين على المحافظة على علاقاتهم وعلى حياتهم الاجتماعية ، بغض النظر عن طبيعة الناس الذين يتعاملون معهم ، فالخدمة من هذه الزاوية إطارٌ منفتح لا يضع قيوداً على المتطوعين فى تنزيل فلسفتها. " (٣)

وهذا من الناحية التطبيقية يتماشى مع ما ذكر سابقاً فى الفصول الماضية من المرتكزات التى بُنيت عليها تجربة الأستاذ كولن ، ومن عوامل النهضة الإسلامية فى تجربة كولن ، فالجمع بين الحرية الفردية والتزام النظام فى العمل الجماعى مسألة تحتاج إلى توازن نفسى وأخلاقى كبير ، وتحتاج كذلك إلى إحساس عالى بالمسئولية الفردية والجماعية ، وهذا ماتحاوله حركة الخدمة ، من خلال المؤسسة المنضبطة والتى لاتلغى حريات الأفراد ولا أنماط شخصياتهم .

فالخدمة ليست جمعية ذات لوائح وقوانين ونظام للثواب والعقاب ، فهى - كما ذكرنا سابقاً - تبدو تنظيماً ، حيث لاتنظيم ، الخدمة لديها مؤسسات وهذه المؤسسات تربوية مثل المدارس ، أو ثقافية

١- انظر : The gulen movement :civic service whthout borders ، حركة كولن : خدمة مدنية بلا

حدود، د. محمد شاتين ، توزيع دار النيل بالقاهرة ص: ٢٦٠-٢٧٠

٢ - حركة فتح الله كولن ، تحليل سوسيولوجى لحركة مدنية متجذرة فى الاسلام المعتدل ، هيلين روز ابيو ، ص ٨٤

٣- أشواق النهضة والانبعث ، د. محمد جكيب ، ص ٢٥٠

مثل دور النشر والترجمة ، أو مجتمعية مثل مننديات الحوار ، وهذه المؤسسات تضع ماتراه مناسباً من قوانين تحكم العمل المؤسسي - مثلها مثل كل المؤسسات المماثلة - ، لكن الخدمة كإطارعام لاوجود فيها لروابط تنظيمية .

### ثالثاً : الخدمة والطرق الصوفية

على الرغم من كون "الحقائق الصوفية" أحد أهم المرتكزات التي تركز عليها تجربة الأستاذ فتح الله كولن ، ومن ثمَّ حركة الخدمة ، إلا أنه لايمكن وصف الحركة بأنها " طريقة صوفية " . وعلى الرغم من أن فتح الله كولن: " كان حذراً من مواقف بعض المتصوفين الذين لم يقفوا عند حدود الشريعة فضلوا وأضلوا ، إلا أنه لم ينكر قط دور الطرق الصوفية وأهميتها في الحفاظ على الروح الإسلامية في القرون الأخيرة " (١)

وعلى الرغم من هذا فإن الحركة أبعد ما تكون عن الطريقة الصوفية ، التي تستوجب شيخاً ومريدين وحلق ذكر .. والأستاذ فتح الله كولن أبعد ما يكون عن ربط الناس بشخصه ، فهو يحرص على أن يربط محبيه وعموم أفراد المجتمع التركي وعموم أفراد المجتمع الإنساني بالقيم النبيلة القائمة على البذل والعطاء وعلى المحبة وعلى الخدمة.

يرى د. محمد شاتين ( أحد الباحثين في الحركة من الأتراك ) أن الطريقة تقتضي قيام الشيخ بتعيين خليفة له ، والالتزام بأذكار وأوراد معينة وهو أمر غير موجود في الخدمة ، ف: " إذا كانت الطرق الصوفية وخاصة الطرق المعروفة لها سلسلة شيوخ حتى تنتهي إلى شيخ مؤسس للطريقة ، ويحفظ المريدون في الغالب أذكارا وأورادا يرددونها بإذن الشيخ ، لا شيء مما ذكر موجود في حركة الخدمة ، لأن المنخرطين من المتطوعين في الخدمة يرتبطون بالأستاذ بعلاقة احترام وتقدير ، فهم يحترمون الأستاذ فتح الله لأنه عالم ورجل صدق ضحى بحياته في سبيل الله ، ولذلك كانت الخدمة بعيدة عن جو التكيّة (٢) وتقاليدها. " (٣)

ومن يتصل بأبناء " الخدمة" لا يلحظ أنهم يميزون أنفسهم بأسلوب معين في العبادة ولا في اللباس : " وبقي الأستاذ فتح الله يلحُّ على ضرورة أن يظل فرسان الخدمة أفراداً من المجتمع. بمعنى أن الانخراط في الخدمة وفي العمل التطوعي لا يعني انسلاخ الناس عن المجتمع الذي ينتمون إليه، وقطع كل علاقة مع أفراد ومؤسساته وما يؤكد هذه الأبعاد هو حرص الأستاذ فتح الله على

١- فتح الله كولن الرؤية والتأثير " تجربة فاعلة في المجتمع المدني " ، مايمول أحسن خان ، ص ٥٣

٢- التكيّة :جمعها " تكايا" وهي منشآت دينية ترجع نشأتها إلى العصر العثماني، لإقامة المنقطعين للعبادة من المتصوفة ومساعدة عابري السبيل ( المعجم الوسيط ، باب التاء ، ص ١٢٢ )

٣- الخدمة Hizmet " ، د. محمد شاتين ( غير مترجم ) ، ص ١٠٩ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٠م



حصر العلاقة في الأبعاد التطوعية بغض النظر عن طبيعة التوجه الفكري والعقدي للمنخرط في الخدمة . " (١)

قد تبدو حركة الخدمة وخطاب الأستاذ فتح الله متجهين إلى نوع من حياة التصوف، وقد كتب الأستاذ فتح الله الكثير في التصوف، لكنه في إطار الخدمة كان حريصا على ألا يميل بها إلى أن تكون "جماعة" بالمعنى المعروف أو أن تصير "طريقة صوفية" بالمفهوم التقليدي .

وقد يبدو الأستاذ فتح الله في مختلف مظاهر حياته رجلا زاهدا في الدنيا وناسكا بسبب نمط الحياة الذي ألزم نفسه به، لكنه لم يفرض مطلقا على محبيه وتلامذته أن يكونوا مثله أو أن يعتزلوا المجتمع ، بل على العكس من ذلك ظل دائما يحث الناس على أن يكونوا أفرادا من الناس وأن ينخرطوا في الحياة والمجتمع ويساهموا في إصلاحه وتغييره دون أن يكثروا الحديث عن الإصلاح والتغيير .

يقول أنس أركنة: "مع وجود بعض أوجه التشابه بين الآليات الرئيسية لحركة فتح الله كولن والطرق الصوفية التقليدية في استعمال بعض المفاهيم المتعلقة بالتربية الروحية والحياة القلبية، إلا أنها تختلف عنها في مجال تشكيل حركة مدنية مؤثرة وفي منهجية سلوكيات الحركة ، إن حركة فتح الله كولن حركة مجهزة بآليات الحركات المدنية، وفيها الكثير من المفاهيم الصوفية: الفكرية منها والعملية، مثل التواضع والتضحية والإخلاص، ونذر النفس للخدمة، والتوجه نحو الحق تعالى، والعيش لإسعاد الآخرين، وتقديم الخدمات دون مقابل، والتوجه نحو الحياة الروحية المعنوية والقلبية، ولكنها لا تجعل الإنسان يتوقع على نفسه، بل يتوجه إلى الآخرين وإلى المجتمع أيضا . " (٢)

فالتشابه بين الخدمة والطرق الصوفية في الدوران حول نفس المعاني ، فيمكن القول أن موضوعهما واحد وإن اختلفا في الأداء ، دون انعزالية أو تقوقع . فالخدمة إذاً ليست طريقة صوفية ، وهي لاتستخدم آليات الطريقة ، ولاتعمل بنظامها وإن تشابهت معها في توقير الشيخ واحترامه ، والأستاذ فتح الله كولن ليس شيخ طريقة ، وإن حظى بتوقير تلاميذه واتباعهم خطواته .

١- فتح الله كولن جذوره الفكرية واستشرفاته الحضارية ، فتح الله كولن ، باختصار ، ص ٤٩ ، ٥٠ ،

٢- المرجع السابق ، ص ٥٠

## الخدمة طريق عمومي ليس ملكا لأحد

في ورقته البحثية المقدمة إلى مؤتمر القاهرة ٢٠٠٩ م (مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي : خبرات مقارنه مع حركة فتح الله كولن ) ، يشير الدكتور عمّار جيدل - أستاذ العقيدة والفكر الإسلامي ، جامعة الجزائر - إلى أن الحركة ليست تنظيماً بل فكرة ، والفكرة بطبيعتها ليست ملكاً لأحد ، ف: " حركة الخدمة ليست تنظيماً بالمعنى المشهور المتداول في العالم الإسلامي، ولكنها في الواقع "فكرة" قوامها فلسفة واضحة بيّنة عُمدتها تشجيع ثقافة "الخدمة الإيمانية"، وكل ما أُسس من مدارس، جامعات، أسواق، مصانع، شركات، مستشفيات، مؤسسات إعلامية... بناء عليها لا يربطه بباعث الفكرة في المجتمع التركي رابط تنظيمي عضوي، بل لتلك المؤسسات في إطار فكرة "الخدمة" مطلق الحرية في التحرك في الفضاء الذي تتحرك فيه، وفق ما يسهل لها عملية التكيف القانوني مع المعطيات القانونية التي تحكم المكان والزمان الذي تتحرك فيهما مؤسسات الخدمة." (١)

تقوم حركة الخدمة على فكرة تعرف في أدبيات الحركة بـ "الخدمة الإيمانية"، أي : خدمة الإيمان والقرآن ، ومادامت الحركة قائمة على الفكرة وليس على التنظيم ، فإنها ملكٌ لكل من يتبنى فكرتها دون قيدٍ أو شرط ، وبالتالي فالباب مفتوح وليس عليه حارسٌ أو بواب ، وأفراد الأمة جميعهم مدعوون للولوج منه ، دون أن ينقيدوا بلافتة أو شعارٍ أو شخص أو انتماء .

ف: "ما دامت الخدمة ملكاً عمومياً يسلكه كلٌّ من امتلك الأهلوية الرسالية والمعرفية، فليس لأحد أن يدعي أنه بوابه أو مالكه، لهذا يُنتظر من الأمة أن تسلك مسلك الخدمة من خلال إقبال أفراد الأمة على بذل الخدمة لأجل نهضتها، أو على الأقل تأييد كل راغب أو باذل لأجل خدمتها والرقى بها إلى مصاف الدول والأمم الراقية، تيسيراً لخدمة الإنسانية في تنوعها، لهذا انتهى الأستاذ إلى وصف الطريق الذي يسلكه بأنه مسلك تأييد خدمة الأمة، قال الأستاذ: هو طريق تأييد كل من يقدم خدمة للأمة ويسعى لخيرها ومساندته ومساعدته ." (٢)

وهذا ما يؤكد المراقبون للحركة والمتابعون لأنشطتها والباحثون في مراميها وأهدافها من خارجها ومن داخلها ، فليست هناك عضوية ذات شروط ، أو تبعية ذات التزامات رسمية .

يقول الباحث حاقان يافوز : " إن المصطلح الأقرب إلى وصف عملية " الانضمام " للحركة هو : الانتماء أو التضامن ، وليس العضوية أو التبعية ، لأن الانضمام يقتضى عملية رسمية ومؤهلات

١- مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، د.عمار جيدل ، ص ٤٤٩

٢- المرجع السابق ، ص ٤٥٢

---

عضوية ، وليس فى حركة الخدمة هذه العضوية الرسمية ، فالناس يأتون ويذهبون على حسب التزامهم وقدراتهم على تحقيق أهداف الحركة ، والتزامهم أخلاقى فى المقام الأول .<sup>(١)</sup> من هذا المنطلق ، فإن الخدمة بهذا المفهوم السابق تُعدُّ طريقة عمل ، أو خارطة طريق ، معروضة أمام أعين الناظرين ، بنماذجها وتجاربها ، ولكلِّ أحدٍ من الناس أن يسير على هذه الخارطة دون أن يُضطر إلى أن يرفع لافتة أو يردد شعارا .

## المطلب الثاني

# مراحل التكوين والنشأة

### أ حركة الخدمة وحركة النور

من المعلوم أن الأستاذ فتح الله كولن لم يلتق بالأستاذ بديع الزمان النورسي، ولم يرتبط بالتنظيمات التي تكونت بعد وفاة النورسي على يد كبار تلاميذه، لكنه كان من أشد الناس إعجاباً بتجربة النورسي، ومن أكثرهم نشرًا لرسائل النور من خلال خطبه ومواظمه ومقالاته التي ملأت الآفاق.

لكن كولن بنى لنفسه منهجية خاصة، فعلى الرغم من أن الأستاذ فتح الله كولن مؤمنٌ بفكرة الاجتماع حول مائدة الإيمان من خلال رسائل النور، لكنه: "عمل على بناء منهجه التربوي الخاص، وسهر على تطويره وفق الآمال التي كان يطمح إليها. والدليل على ذلك هو الرعيل الذي تربى في كنفه، والرجال الذين عبروا معه ساحل التجربة، وهم اليوم من أعمدة الخدمة وأطرها الذين يسهرون على تطبيق منهج الأستاذ الحركي والتربوي، ويسهرون على تطوير المنهج والتفكير مع الأستاذ فتح الله وفي تكييف هذا المنهج وفق معطيات الواقع الزمانية والمكانية." (١)

لقد اعتبر كثيرون أن بديع الزمان كان مجددٌ قرنه، لاسيما وقد شهد العصر الذي بزغ فيه نجمه زلزلاً مدوياً أصاب العالم الإسلامي بسقوط الخلافة، فكانت رسائله تتضمن معانٍ سامية و إشاراتٍ إعجازية في تفسير القرآن الكريم.

وقد استفاد الأستاذ فتح الله كولن كثيراً من رسائل النور لاسيما كتاب الملاحق (٢) في بداية تكوينه الدعوي والإصلاحي، ذلك أنه درسها و درّسها في شكل حلقات و مجالس صحبة، وهنا تجدر الإشارة إلى أن جميع طلبة الأستاذ فتح الله كولن يقرؤون الكليات ضمن تكوينهم الروحي والفكري.

١- أشواق النهضة والانبعاث، د. محمد جكيب، ص ٢٧٣

٢- الملاحق الذي هو عبارة عن مجموعة مكاتبات جرت بين الأستاذ النورسي وطلابه الأوائل. وطابعها العام توجيهي إرشادي يبين أهمية رسائل النور، ومنهجها في الدعوة إلى الله في هذا العصر. تكتنفها مكاتبات ودية يبين فيها الطلاب مدى استفادتهم الروحية من رسائل النور، واستفادتهم العقلية منها، وكيف أنها حولت مجرى حياتهم، وفتحت أمامهم آفاقاً معرفية واسعة. وتتضمن أيضاً توجيهات لتقويم السلوك وكيفية التعامل مع الآخرين، والحث على الإيمان العميق والعمل المتواصل والترابط الوثيق والاعتصام بالكتاب والسنة، مع التأكيد على العبادة وشحن القلب بالذكر والدعاء والتفكير الإيماني، ودوام الاستغفار والانطراح بين يدي المولى القدير عاجزاً فقيراً... وأمثالها من الأمور التي تهم كل داعية إلى الله، بل كل مسلم. (الملاحق: بديع الزمان النورسي، المقدمة، ص ٥، ط٦، دار سوزلر، القاهرة ٢٠١١م)

وفي هذا السياق يقول الأستاذ أنس أركنة أنه: " مما لا يرقى إليه شك أن كُليات رسائل النور أحدثت تأثيراً بالغاً في أدبيات الحركة و غدتها فكرياً ومعنوياً ، ثم إن رسائل النور وحثت أفكارها وألفت بين قلوب أفرادها و صانتهم من التشتت والجدير بالذكر أن رسائل النور هي مؤلفات فريدة من نوعها، و قيّمة في مضامينها ، و مدونات دُونت في ضوء العقيدة الإسلامية ، ولها تأثير معنوي قوي على الحركة بشكل واضح و بديهي ، و قد لا تملك هذه الرسائل المنهجية التي تملكها الكتب العلمية الحديثة من ناحية الترتيب والتنظيم، إلا أن كيفية تناولها للموضوعات والحلول الجذرية التي تقدمها تجعل لها تأثيراً كبيراً في الحياة الاجتماعية ، والإنسانية ، فتؤسس روابط قوية بين أفراد المجتمع و تحث على الأخوة ، وهذه الرابطة الأخوية تحفظهم من البلبلة الفكرية والعقدية فهذا هو المقصود من مساهمة رسائل النور في تجربة فتح الله كولن. " (١)

ومصطلح " الخدمة" ذاته هي أحد المصطلحات التي استقاها الأستاذ فتح الله كولن من مفردات بديع الزمان النورسي .

## النشأة ومراحل التكوين

من الجدير بالذكر أن الخدمة كحركة لم تكن هدفاً استراتيجياً دعا إليه كولن أو حث عليه ، بمعنى أنه لم يسعَ إلى تكوين حركة ذات أيديولوجية معينة ، ولكنها نشأت كفكرة ، ومرّت بمراحل نمو طبيعية ، حتى آلت إلى ما هي عليه الآن .

في محاضرة للدكتور ألب أصلان دوغان (٢) تحدث عن المراحل الأولى في تكوين مؤسسات الخدمة ، وذكر أن الحركة بدأت في مدينة إزمير كجماعة محلية لخدمة الطلاب والمعلمين وأولياء الأمور وأصحاب الأعمال استلهاما من العالم والواعظ التركي فتح الله كولن ، و لتسهيل الإشارة ، تسمى هذه الحركة في الغالب "بحركة كولن" ،خصوصاً من قبل العلماء الغربيين لأن كولن هو مصدر الإلهام الرئيسي لهذه الحركة.

و لكن أعضاء الحركة يطلقون عليها اسم "الخدمة"، أو خدمات المتطوعين غير أن كولن يفضل أن يطلق عليها اسم: **حركة المتطوعين حول القيم الإنسانية العليا** .

نشأت الحركة في أواخر الستينيات من القرن العشرين في تركيا كمبادرة مبنية على العقيدة لخلق فرص تعليمية على شكل منح دراسية و سكن للطلاب و مدارس وعلى مدى أربعة عقود منذ ذلك الوقت نمت و تطوّرت الحركة لتصبح حركة تعليمية ثقافية دينية مع أعضاء يبلغ عددهم بالملايين

١- فتح الله كولن: جذوره الفكرية و استشرافاته الحضارية ، أنس أركنة ، ص ٩١

٢- رئيس تحالف القيم المشتركة ، أحد المؤسسات الحوارية المنبثقة من "الخدمة"

، وتتألف الحركة من مئات المؤسسات والشركات والجمعيات المهنية الرسمية وغير الرسمية ، وكان طلاب الجامعات ورواد المساجد و من كانوا يحضرون جلسات الأسئلة والأجوبة المفتوحة والحلقات الدراسية هم من أوائل الناس الذين انضموا إلى هذه الحركة. (١)

وقد عمل الأستاذ مديراً لسكن الطلاب والمركز التدريبي في "كاستنا بازار" (٢) أي: سوق الكاستناء ، وكانت هذه هي المؤسسة التعليمية الأولى في إزمير، مما كان له دور مهم جداً في المراحل الأولى من تطور الحركة.

وهذه المراحل الأولى شهدت نشاطاً كبيراً للأستاذ فتح الله كولن، من إلقاء للخطب والدروس في المساجد، وإدارة للمعسكرات الصيفية للشباب، وإلقاء للمحاضرات في الأماكن العامة، وصارت محاضراته وخطبه تلك تُسجّل وتنتشر في أوساط الشباب، وهو ما لم تعتد عليه الحركة الإسلامية في تركيا في ذلك الوقت المبكر. (٣)

يمكن القول بناءً على هذا أن المرحلة الأولى كانت مرحلة انتشار الفكرة بين أوساط الشباب في القرى والمدن ، في كافة أنحاء تركيا .

: " لقد جاب فتح الله كولن كافة أراضي تركيا، متنقلاً بين مدنها و قرأها، و التقى الناس على كافة المستويات، و لم يفتأ يتحدث عن هموم الأمة و الإنسانية، و يطرح لها حلولاً، و ينشر ثقافة إنتاج الحل بدلاً من النقد و التشكي، و يبحث أصحاب الحمية و الهمة على الاضطلاع بمسؤولياتهم الضخمة التي تنتظرهم، و يدعو إلى العمل الإيجابي ، و الخدمة الهادئة الحكيمة والصبر و المصابرة على بناء مشاريع طويلة النفس، و تجنب استنفاد الطاقات في نقاش و تصارع و صدام لا طائل من ورائه ، و قد أكد دائماً أن مسؤولية المسلم مسؤولية كونية، و أن صلاح العالم من صالح الفرد، و أنك إذا نجحت في تغيير الإنسان فقد غيرت الدنيا كلها، و إذا استطعت أن تصنع الإنسان فقد صنعت الحياة و الحضارة برمتها و حققت العمران. " (٤)

و يمكننا القول أن السبب الرئيسي في الخطوة الأولى نحو تأسيس التجربة يكمن وراء تأثير الأستاذ فتح الله كولن، بشخصيته المؤثرة ، و بقوة كلماته في رجال الأعمال الذين كانوا ينصتون إلى

---

١- نقلاً عن موقع : تحالف القيم المشتركة The Alliance for Shared Values ، وهي احد مؤسسات الخدمة الحوارية ، و الموقع الإلكتروني الرسمي هو اللسان الناطق باسم التحالف .

٢- سبقت الإشارة إليه في الفصل الأول ، ص ٣٩

٣- يراجع الفصل الأول : المطلب الثالث ، المرحلة الخامسة : إزمير ..فتح الفتوح ، ص ٣٧

٤- ملحق مجلة حراء : فتح الله كولن، أشواق أمة، و استنهاض حضارة. ، ص ١٨

خطبه و دروسه و مواظبه، و التي كانت تتسم كلها بالاستقلالية عن أي تنظيم أو جماعة ، و تتميز بمشروعيتها القانونية.

## ل مراحل تطوّر "حركة الخدمة"

الدراسات التي تتناول نشأة "حركة الخدمة" ومراحل تطورها قليلة جدا ، لاسيما ماكان منها باللغة العربية ، ومما يزيد الأمر صعوبةً ، أن الرواد الأوائل للحركة لم يسجلوا تجاربهم الأولى مع الأستاذ كولن ، ولم يؤرخوا للحركة منفصلةً عن ملهمها "فتح الله كولن"، فليس بين أيدينا مثلاً : أبرز رجالات هذه الحركة ، على غرار غيرها من الحركات الكبرى إسلاميةً وغير إسلامية. وفي تقديري - والله أعلم - أن هذا راجعٌ إلى التعاليم التي بنّاها ولايزال يبنيها الأستاذ فتح الله كولن في أبناء الخدمة ، وإلحاحه الشديد على "تكران الذات" و" طرح حظّ النفس" ، وهذا واضحٌ جداً في خطابه الدعوى .

فعلى سبيل المثال يقول : " ينبغي أن نفتق أنفسنا أنه ليس لنا يدٌ في حصول هذا الخير العميم ، فالنجاح كل النجاح لطفٌ من الله وفضلٌ من لده وإحسان ، فإذا آمناً بذلك فقد جنبنا أنفسنا شوائبَ الشرك ، وأنجيناها من الأوهام التي تظل النفسُ تضخها في دواخلنا لكي تضخم أنانيتنا ، بل يحسن أن نقول: في الحقيقة، لو لم أقحم نفسي في هذا الأمر، لوجد له رجالاً خيراً مني في إخلاصهم وصدق تمثيلهم، ولقطعتُ القافلة مسافات واسعة أضعاف ما قطعته حتى اليوم ، أجل . بسببي أنا تأخرنا عن المواقع التي قصدناها، وابتعدنا عن المراقبي التي حلمنا بها ."<sup>(1)</sup>

بل إنه ليحمد لهؤلاء تواربهم عن الأنظار ، ويؤكد أن هذا هو السلوك القويم ، على الرغم من توقيره الشديد لما قاموا ويقومون به من خدمات ، يقول :-

" إنني أعدّ أصدقاءنا التربويين الذين يعملون في مجال التعليم والتربية في كثير من الدول من أعظم الناس تضحياً في عصرنا؛ لأنهم انفتحوا على العالم في ظروف صعبة، وربوا طلاباً سيخدمون للحبّ والإنسانية؛ ثم آثروا البقاء وراء خشبة المسرح في حفلات يُعرض فيها شيء من ثمرة جهودهم، واكتفوا بتصفيق الملايين وتهليلهم لطلابٍ أشرفوا على تربيتهم وتعليمهم؛ اللهم لا تخيب ظننا فيهم، فإننا لنترجو أن يواظبوا على أداء أعمالهم بصدق وإخلاص كما عهدناهم ، أجل على من ينثر البذور في التراب أن يرحل إلى الآخرة مجهولاً متوارياً، ولا يشغلن نفسه بمن يحصد

١- من مقال: "تكران الذات والمدد الرباني" ، مجلة حراء ، العدد : ٢٤ ، لسنة ٢٠١١م

سنابلها ولا بمن يدرسها، ولا بمن يأتي بالغلل إلى الجرين، بل ينبغي ألا يتعلق قلبه برؤية الثمرة.<sup>(١)</sup>

فكيف يمكن التأريخ لحركة يتعمد مؤسسوها ألا يذكروا شيئاً من أعمالهم؟! ، وكيف يمكن تمييز مراحلها ، وتتبع خطوات سيرها في حين أن روادها الأوائل لا يعدون أنهم فعلوا شيئاً يمكن ذكره وأن الفاعل في الحقيقة هو المدد الرباني ، وإنما هم وسيلته في إظهاره .

وعلى الرغم من ذلك يمكن تمييز مراحل تطور الحركة على المستوى التطبيقي والعملى إلى مراحل زمنية متتالية :-

### المرحلة الأولى (١٩٧٠ - ١٩٨٠م):

وهي المرحلة التي كانت تعتمد بشكل أساسي على الجهد الحركي والدعوى للشيخ فتح الله كولن ، والتي بدأ فيها تأسيس "بيوت الطلبة" في مدينة "إزمير" ، وكانت هذه الدور تؤوي الطلبة البعيدين عن مدينة إزمير، مكان التأسيس، وتوفر لهم جو المذاكرة والدراسة والتحضير للامتحانات. ، فكان أن لقيت هذه الخطوة نجاحاً فاقبل عددٌ غير قليل من التجار على إنشاء بيوت أخرى للطلبة ، فتكاثرت تلك البيوت بتكاثر عدد ساكنيها من الطلبة، وكان ذلك في أوائل السبعينات.

وقد كان لرجال الأعمال دورٌ كبير في تغطية النفقات التعليمية والمعيشية لهؤلاء الطلاب ، وإنشاء المباني الذي يمكن أن يعيش هؤلاء الطلاب فيها بعيداً عن عائلاتهم.<sup>(٢)</sup>

كذلك يمكن القول أن هذه "الدور" كانت بمثابة "الملاجئ" الآمنة للأجيال الناشئة من العادات السيئة ، ومن انتهاج سياسة العنف السياسي التي انتشرت في تركيا في هذه الفترة بين المجموعات المتشددة من اليسار واليمين ، لهذا السبب فقد اعتبرت الكثير من الأسر، حركة كولن أفضل وسيلة لحماية أبنائها من الانحرافات الفكرية والسلوكية .

: "وبسبب خُطب الأستاذ كولن المسجلة والتي بدأت تنتشر في أنحاء تركيا ، ويورع منها عشرات الآلاف من النسخ ، فقد أُلّف الجمهور أفكاره وإلهاماته بشكل واضح ، وبحلول مطلع الثمانينيات انضمت مجموعاتٌ متزايدة إلى حلقات المدارس التي تستلم أفكار كولن ."<sup>(٣)</sup>

وقد أثبت هذا المشروع نجاحاً باهراً في مساعدة الشباب على الالتحاق بأرقى الجامعات وأفضل الكليات مما لفت إليه الأنظار، وضاعف من أعداد الملتحقين به في كل عام.<sup>(١)</sup>

١- شدُّ الرحال إلى غاية سامية ، فتح الله كولن ، ص ٥٣

٢- المصدر : موقع "حركة كولن" باللغة الإنجليزية [www.Gulen movement. Us](http://www.Gulen movement. Us) ، وهو الموقع الرسمي للحركة باللغتين الإنجليزية والتركية .

٣- حركة فتح الله كولن ، تحليل سوسيولوجي لحركة مدنية متجذرة في الاسلام المعتدل ، هيلين روز ايبو ، ص ٨٠



وعن هذه المرحلة يقول د. عبد الحلیم عویس - رحمه الله - : " قامت الجموع التي حفّزها الأستاذ كولن -دون انتظار أي نفع، وضمن إطار القوانين المرعية في تركيا- بإنشاء العديد من المدارس والأقسام الداخلية، وبإصدار الجرائد والمجلات وإنشاء المطابع وتأليف الكتب ومحطات الإذاعة والتلفزيون. " (٢)

### المرحلة الثانية ( ١٩٨٠ - ١٩٩٠م )

مع نجاح تجربة "الدور" ، واستعداد المتطوعين للحركة على بذل المزيد من العمل والجهد جاءت فكرة إنشاء مدارس جديدة ، وتم افتتاح الثلاثة مدارس الأولى في عام ١٩٨٢م في مدن مختلفة. لم يكن الأمر في بدايته سهلاً ميسوراً بسبب القيود المالية، وكانت بدايات المدارس الأولى صعبة نوعاً ما ، لكن الخريجين الذين تخرجوا من "الدور" ، أسهموا بشكلٍ ببناء في التدريس ، لتعليم الأجيال القادمة من الطلاب.

ومما ساهم في انتشار هذه المدارس واكتسابها السمعة الطيبة في المجتمع التركي ، مالمسه أولياء الأمور من تغيير ملحوظ في السلوك الاجتماعي لأبنائهم ، فضلاً عن التفوق الدراسي ، وما عاينوه من التفاني في العمل من المعلمين والقائمين على امر هذه المدارس .

كل هذا كان يحدث تحت إشراف من الدولة ، ووفق النظم واللوائح التي يقرها النظام العلماني آنذاك ، فقد كانت الحركة ورائدها فتح الله كولن حريصين أشد الحرص على الالتزام بالقانون وعدم الصدام مع الدولة . (٣)

وفي هذا السياق يقول الأستاذ أنس أركنة : " وقد حاول فتح الله كولن لسنواتٍ عديدة بشكل مباشر وغير مباشر إقناع الأوساط المحافظة بفائدة مشاريع التربية والتعليم ، كما بذل جهداً كبيراً في إقناع الأوساط الحكومية الرسمية بأنه لا يستهدف من هذه المشاريع سوى مصلحة الجماهير ، وخدمة الروح والهوية "الملية"، ولا يحمل أي هدف سياسي أو أيولوجي . " (٤)

في غضون ذلك، بدأ كولن والمشاركين في الحركة العمل على مشروع جديد كلياً، فقد رأوا الأهمية البالغة التي تمثلها وسائل الإعلام في هذا العصر ، فتوجّهوا نحو إنشاء "مجلة" تتناول القيم التي يعملون من أجلها ، وكان قد تم إنشاء مجلة سيزنتي "Sizinti" في عام ١٩٧٩م، وهي مجلة

١- المصدر : " الموقع الرسمي لـ : حركة كولن باللغة الإنجليزية www.Gulen movement. Us

٢ - فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة ، د. عبد الحلیم عویس ، ص ٣٤

٣- المصدر: الموقع الرسمي لـ " حركة كولن" على شبكة الإنترنت www.Gulen movement. Us

٤- فتح الله كولن: جذوره الفكرية و استشرافاته الحضارية ، أنس أركنة ، ص ٤١

شهرية علمية وثقافية ، ثم جاءت جريدة " زمان" ( Zaman ) في عام ١٩٨٧م ، وهي الصحيفة التركية اليومية الأوسع انتشاراً اليوم في تركيا .<sup>(١)</sup>

" :وبدأ الرأي العام يشير إلى " مدارس كولن " و " أتباع كولن " ، لكن الأستاذ نفسه لم يُشر أبداً إلى الحركة باعتبارها حركة كولن أو تجمع كولن ، ولم يقبل بهذه التسميات ، وبحلول منتصف الثمانينيات صارت هذه المدارس معروفة بأنها أفضل مدارس توفر تعليماً جيداً للنشء ، وأن تلاميذ تلك المدارس يجتازون اختبارات القبول للجامعات بمعدلات مرتفعة ، كذلك كان طلاب هذه المدارس يفوزون بجوائز المسابقات العلمية المحلية والدولية ، مما حقق لها انتشاراً واسعاً ."<sup>(٢)</sup>

### المرحلة الثالثة ( ١٩٩٠ - ٢٠٠٠م )

يقول الأستاذ أنس أركنة عن مرحلة التسعينات : " وفي التسعينات قامت المدارس - الابتدائية والثانوية - التي أنشأتها حركة المتطوعين في أنحاء تركيا بالاشتراك في المسابقات العلمية العالمية حيث أثبتت جدارتها في مدة قصيرة بالنتائج الجيدة التي حصلت عليها ، والنجاحات الرائعة التي سجلتها ، كان هذا دليلاً على أن هذه المدارس أُرسيت على قواعد علمية رصينة ، وبتعبير آخر كان هذا إشارة إلى مدى نجاح مشروع التربية والتعليم الذي بدأه الأستاذ فتح الله كولن ، ووضَع على عاتقه مهمة إنجازه ."<sup>(٣)</sup>

شهدت نهاية الثمانينيات وأوائل التسعينيات توسُّع الحركة لتعبر الحدود الوطنية وتشمل دول آسيا الوسطى التي لها نفس الخلفية الثقافية التركية ، لاسيما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي<sup>(٤)</sup> وتفكُّكه إلى دويلات ، مما أدى إلى استقلال الدول الإسلامية التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي ، ومنها ما يُطلق عليه " جمهوريات الأتراك" وهي : كازاخستان وقرغيزستان وتركمانستان وأوزبكستان<sup>(٥)</sup> وبتأثير من الأستاذ فتح الله كولن ، ومن خلال مجموعة خطب شهيرة له حثَّ رجال الأعمال ، وأبناء الخدمة ، والشباب المسلم أن يهاجروا إلى هذه الجمهوريات التي تحتاج إلى من يربِّي أبنائها

١- المصدر : الموقع الرسمي لـ " حركة كولن" على شبكة الإنترنت www.Gulen movement. Us

٢- حركة فتح الله كولن ، تحليل سوسولوجي لحركة مدنية متجذرة في الإسلام المعتدل ، هيلين روز ايبو ، ص ٨١

٣- فتح الله كولن: جذوره الفكرية و استشرافاته الحضارية ، أنس أركنة ، ص ٤٢

٤- كان تفكك الاتحاد السوفيتي رسمياً في ٢٥ ديسمبر ١٩٩١م ، إلى ١٥ دولة مستقلة . ( المسلمون في آسيا الوسطى والقوقاز ، أ. مصطفى دسوقي كسبة ، مجلة الأزهر ، عام ١٤١٤هـ )

٥- المصدر : ( بحث بعنوان : الصحوة الإسلامية في آسيا الوسطى ، الواقع والتحديات ، أ. محمد عادل ، مجلة التبيان ، العدد ٢٨٠ ، ذو الحجة ١٤٣١هـ )

على الإسلام من جديد ، بعد الإلحاد والشيوعية اللذين نشرهما الاتحاد السوفيتي في تلك الجمهوريات ، ليس فقط بالمدارس ، بل بالمدارس والمستشفيات ودور الرعاية وغيرها .  
ف: " عام ١٩٩٢م بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وحصول جمهوريات آسيا الوسطى على استقلالها أنشأ مجموعة من رجال الأعمال والمعلمين الملهمين بأفكار كولن أول مدرسة في أذربيجان ، وفي نفس العام ، افتتحت أول مدرسة في كازاخستان ، وفي العامين اللآحقين افتتحت ٢٨ مدرسة أخرى في نفس البلد ، وبين عامي ١٩٩٢ ، ١٩٩٤ م افتتح تلاميذ كولن مدارس في قيزغستان ، التي يوجد بها اليوم ١٢ مدرسة ثانوية وجامعة واحدة ، وفي نفس الوقت دشنت عشرون مدرسة في تركمانستان . " (١)

يقول الدكتور فريد الانصاري - رحمه الله - بأسلوبه الأدبي : " كان فتح الله عندما يلقي كلماته المؤثرة على طلابه المخلصين، من رجال الأعمال وغيرهم ، تنتصب صروحاً لمدارس عليا أو جامعات، أو مستشفيات من الطراز الراقى، ومن ثمّ لم تلبث دعوة فتح الله إلا نحو بضع وعشرين سنة، حتى كانت محاطة بمتاريس من أكبر مؤسسات الاقتصاد، وأقوى أجهزة الإعلام، والكثير من الرجال المخلصين لدعوتهم، ينتصبون بأكتافهم العالية في كل قطاع حيوي، أعمدة متينة ترفع صرح الأمة في الزمان الجديد . " (٢)

### المرحلة الرابعة (٢٠٠٠ - ٢٠١٠م)

إذا كانت المرحلة السابقة هي مرحلة الحوار الداخلي بين أطراف المجتمع التركي الواحد ، والانفتاح على الجمهوريات ذات الثقافة التركية بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، فإن مرحلة الألفية الثالثة هي مرحلة الانفتاح نحو العالم أكثر ، ومنه العالم العربي ، والانتقال بالحوار إلى مائدة أوسع انتشاراً ، وتقديم الخدمات إلى كل دول العالم دون قيدٍ أو شرط .

وهكذا، حولت حركة الخدمة ، أو Hizmet<sup>(٣)</sup> اهتمامها أيضا إلى بلدان أخرى في أنحاء العالم من خلال المدارس ، وجاءت أنشطة الحوار العالمية ، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ، ومحاولة البعض ربط الإرهاب بالدين الإسلامي ، كما اتسم هذا العقد بمشاريع المساعدات الإنسانية لأولئك الذين يعانون في الدول الأشد فقراً من خلال إنشاء منظمات مثل: أيدي المساعدة و"KimesYok Mu"<sup>(٤)</sup> وبدأت أنشطة جمع الأموال وجهود صندوق الإغاثة في

- حركة فتح الله كولن ، تحليل سوسيولوجي لحركة مدنية متجذرة في الاسلام المعتدل ، هيلين روز ايبو ، ص ٨٢

٢- عودة الفرسان ، د. فريد الانصاري ، ص ٣٠٩

٣- Hizmet بالتركية تعنى : الخدمة .

٤- KimesYok Mu تعنى بالتركية : هل من مُغيث ؟

جميع أنحاء العالم ، وأضحت هذه المنظمات قادرة - بماتحملة من مصداقية وحسن تخطيط وإدارة - على توفير الملايين من الدولارات إلى مناطق الجوع، والفقر، وكذلك إلى المناطق المنكوبة التي ضربتها الزلازل والأعاصير ، وفي هذا السبيل بُنيت المستشفيات ، وتطوع مئات الأطباء لمعالجة المرضى في بلدان أفريقيا السوداء . (١)

يقول الدكتور ألب اصلان دوغان : " وقد أسس المشاركون في الحركة الذين استلهموا من كولن ومن خطبه و كتاباته، المؤسسات التي نشطت في مجالات التعليم والإعلام و الرعاية الصحية والإغاثة في حالات الكوارث :-

**المؤسسات التعليمية** : تم إنشاء أكثر من ألف مؤسسة تعليمية من مرحلة الروضة الى المرحلة الثانوية، و تم إنشاء مدارس في أنحاء كثيرة من العالم و ذلك استلهاماً من فكر فتح الله كولن .  
**المؤسسات الإعلامية** : مثل الصحف والمجلات و القنوات الوطنية والمحلية ومواقع الإنترنت.  
**الإغاثة في حالات الكوارث و المساعدات الإنسانية**: وكان لمنظمة الإغاثة 'Kimse Yok MU، والتي تأسست بتشجيع من كولن ، دور فعال في تقديم المساعدات لضحايا الكوارث في جميع أنحاء العالم مثل ضحايا تسونامي في جنوب شرق آسيا، والفيضانات في بنغلاديش ، و الزلازل في باكستان و بيرو ، والعنف العرقي و السياسي في دارفور. (٢)

### المرحلة الخامسة

في هذه المرحلة ، يمكن أن يُضاف إلى ماسبق من جهود تمّت من خلال الحركة : **الانفتاح على العالم الإسلامي** ، ولا أعنى فقط الانفتاح من خلال أنشطة الخدمة من حيث المشاريع التربوية والإغاثية ، ولكن أيضاً البدء في حركة الترجمة لأفكار ومؤلفات الأستاذ فتح الله كولن وتأسيس مجلة ناطقة باللغة العربية "مجلة حراء" ، واستقطاب العديد من الأقلام الإسلامية البارزة للكتابة من خلالها ، وقد زُرْتُ مركز الترجمة بالقاهرة في دار النيل بالتجمع الخامس ، وشاهدتُ كيف تتم مراجعة النصوص وترجمتها إلى اللغة العربية بدقة بالغة .

" لقد هاجر أبناء الخدمة إلى بلدان العالم بقصد تأسيس مؤسسات مستلهمة من فكر وتعاليم كولن لاسيما مشاريع التربية والتعليم ، ومن خلال هذه المشاريع صار أبناء هذه البلدان يتعرفون على الحركة ، والنتيجة أن حركة الخدمة صارت حركة عالمية المجال والتأثير . " (٣)

١- المصدر : الموقع الرسمي لـ " حركة كولن" على شبكة الإنترنت www.Gulen movement. Us

٢- نقلاً عن موقع : تحالف القيم المشتركة The Alliance for Shared Values

٣ - حركة فتح الله كولن ، تحليل سوسولوجي لحركة مدنية متجذرة في الاسلام المعتدل ، هيلين روز ايبو ، ص ٨٣

---

## المبحث الثانى

### السمات العملية لحركة الخدمة

ويتكون من خمسة مطالب :-

- المطلب الأول : التخطيط
- المطلب الثانى : التشارك والمؤسسية
- المطلب الثالث : عدم التحزب السياسى
- المطلب الرابع : الهجرة من أجل الخدمة
- المطلب الخامس : التفانى فى الخدمة ونكران الذات

## المطلب الأول

### التخطيط

التخطيط الدقيق سمة الأعمال الناجحة ، وقد خسرت أمتنا كثيراً حين أخطأ البعض من أبنائها فهم معنى التوكل ، فظنوه ترك الأمور على عواهنها .

وقد وصف الله -تعالى- الذين لا ينظّمون حياتهم، والذين يخبطون في الدنيا خبط عشواء ، بأنهم فرطوا عقد أمورهم، وأمر رسوله الكريم بعدم اتباعهم وطاعتهم وقبول مقترحاتهم، فقال- تعالى - ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾<sup>(١)</sup>.

: "إنّ التخطيط الأعلى للأمة الإسلامية، والتنظيم والتنفيذ المناسبين لذلك، هو أعظم المهمات على الإطلاق ، في حقل الدعوة وخلافة الله في الأرض ، ولن يستطيع فيه فرد ولا هيئة إلا إذا توفرت فيه شروطٌ ثلاثة : الرسوخ في العلم ، الحكمة التي هي وضع الأمور في مواضعها والحركية ، فتخطيطٌ لا تتحرك جهةٌ ما لتنفيذه تخطيطٌ ميت . " <sup>(٢)</sup>

والأستاذ فتح الله كولن يحثُّ دوماً على التخطيط في إنجاح وتفعيل كافة المشاريع والمؤسسات سواء كانت فردية أو جماعية، فكيف بالمشروع الإسلامي الحضاري لهذه الأمة التي تجاوز أبنائها المليار ونصف المليار إنسان؟!

وأول مرحلة من مراحل التخطيط هو رفع الواقع ، بمعنى معرفة أين نحن الآن ؟ ومراجعة الماضي وربطه بالحاضر للانطلاق نحو المستقبل وهذا هو التخطيط المرتبط بالنقد .

والأستاذ فتح الله كولن يحثُّ على مراجعة الأمس ونقده، ومعرفة اليوم، حتى يمكن صناعة الغد فيقول : "إننا كأمة لا بد لنا اليوم أن نعرف البرامج والخطط التي نسير بها إلى المستقبل، والمراحل التي نريد التنقل عبرها في مسيرنا، ولا بد من وضوح الهدف، وتجديد البرامج، ورسم الخطط في ضوءه للسير إلى المستقبل." <sup>(٣)</sup>

وقد ضرب المثل باليابان كنموذج للتخطيط والاستشراف نحو المستقبل ، وفي هذا إشارة إلى إمكانية الاستفادة من التجارب الحضارية لأممٍ سبقتنا في مجال من المجالات ، فالحكمة ضالة المؤمن .

١- سورة الكهف ، الآية : ٢٨

٢- جند الله تخطيطاً ، سعيد حوى ، ص ١٠، سلسلة دراسات منهجية ، ط ٢ مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٩٥م

٣- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ١٠

فاليابان على سبيل المثال قد : " اجتازت كل العوائق وسبقتنا في طفرة واحدة مع أنها كانت قد أُصيبت بنكبتين عظيمتين في تاريخها القريب، فأخذت موقعها بين العوائل الكبيرة والقوية التي تتولى شؤون العالم ، فلم تستخف بتاريخها، ولم تلعن ماضيها، ولم تنكر جذورها المعنوية والروحية ، فخطت مشاريع قابلة للتطبيق، وآمنت بأنها ستحل معضلات التخلف كلها بمنظومة اجتماعية تقوم -إلى حد كبير- على الأسس الأخلاقية، ومآلت الفجوات الناجمة من نقص القدرات وزيادة الحاجات، بالاعتزاز الوطني، والانتساب القومي، والعزم، والحركة المنظمة الهادفة، وتنظيم المساعي والجهود ، فنجحت في الاحتفاظ بهويتها الذاتية، وصارت أنموذجاً يذكره التاريخ كشعب أنجز عجائب العصر." (١).

إن كولن لم يدع إلى الاحتذاء بنموذج اليابان كونها إحدى الدول المتقدمة تكنولوجياً أو المنتجة حضارياً ، كلاً . . إنه يحدد بدقة العوامل التي جعلته يختار هذا النموذج وهي :-

ل) الاعتزاز بالجذور الروحية والمعنوية ، وعدم التكرار للتاريخ .

ل) التخطيط المبني على أسس أخلاقية ، ومعاني وطنية .

ل) الحركة المنظمة التي تسعى نحو هدف واحد ، ينتظم كافة الجهود .

والمرحلة الثاني في التخطيط الفعال هي الوصول إلى أقصى النتائج حتى مع أقل الإمكانيات المتاحة ، وقد دعا كولن إلى نبذ الاتكالية والعجز بسبب قلة الإمكانيات أو محدوديتها، بل على رجل الخدمة أن يستخدم كافة الإمكانيات المتاحة ، لتحقيق النتائج المرجوة ، ويصف هذا بالحكمة ف: "علي المسلم أن يستعمل ما أعطاه الله - سبحانه - من فضله استعمالاً حكيماً، وألا يستعمله دون حساب ، أي يقوم "بضرب عصفورين بحجر واحد" كما يقال في المثل الدارج. أجل! على المسلم أن يخطط على الدوام ويبرمج كيف يضرب بحجر واحد مئات العصافير، مثلما نرى في العديد من الإجراءات الربانية ، فكما نحصل من بذرة واحدة نبذرها في الحقل على سبع أو سبعين أو سبعمائة من البذور، علينا أن نخطط في كل خدمة نريد تحقيقها في سبيل الإيمان وفي سبيل الملة للحصول على سبع أو سبعين أو سبعمائة ضعف." (٢)

ومن معالم التخطيط الناجح : الموازنة بين المقدمات والنتائج ، بمعنى موازنة النتائج المتوقعة بالأعمال المطلوبة ، ولذا فكلون يدعو أبناء الخدمة إلى ضرورة التنظيم للحاضر والتخطيط للمستقبل، من أجل حساب الأرباح والخسائر المحتملة.

١- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، ص ١٨ ، ١٩

٢- أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، فتح الله كولن ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥

ف : " قبل القيام بأي عمل وبأي نشاط إن لم يتم التفكير جدياً في العاقبة، وإن لم تؤخذ آراء المجربين، فلا يمكن التهرب من عاقبة خيبة الأمل والندامة ، وكم من نشاط وعمل بُدئ به دون إمعان فكر، لذا فلم يتم تسجيل خطوة واحدة فيه إلى الأمام.. ليس هذا فحسب بل خسر القائمون به سمعتهم كذلك . " (١)

ومن سمات التخطيط الفعّال أن يكون مبنياً على رؤية ذاتية ، وليس رد فعل لمخططات الآخرين فإن التخطيط الناجح يجعل الحركة ذاتية لا مجرد ردود أفعال ، وفاعلة لا منفعة ، وما أحوج أمتنا لأن تكون لها تخطيطها المستقل ، لا أن تكون جزءاً من مخططات الآخرين .

والأستاذ كولن يرى أنه مالم نخطّ لأنفسنا : " فسندخل في تأثير الدوّمات الفكرية والبرنامجية لأمواج هجمات الآخرين وأعمالهم الحركية، ونضطر إلى تمثّل فصول حركاتهم . " (٢)

ومن عوامل التخطيط الناجح : التدقيق في الأمور، ثم الصبر في نهاية الأمر على الحصول على النتائج ، ونجد فتح الله كولن في مواضع عدة يؤكد على ذلك، ويبحث تلاميذه على أن يصل تدقيقهم إلى حد تشطير الشعرة أربعين شطراً ، وهو في مقام آخر يتحدث عن تيار الخدمة ومواصفات وارثي الأرض، ومن ذلك تدقيقهم الأدق الذي يشطر الشعرة أربعين شطراً، بدون تعجل قطف الثمرة قبل نضجها، أو التأخر حتى يقطفها الآخرون أو تذوي وتذبل ، فكلاهما في الخطأ سواء ، فلا ينبغي ان تتعجل قطف الثمرة قبل أوانها ، فتكون عديمة الفائدة ، ولا ينبغي كذلك أن تتركها وقد آن أوان الحصاد ، حتى تذبل وترمى ، أو يقطفها الآخرون ، ممن لا يقدرونها قدرها ولا يحسنون استثمارها ، وتكون بذلك أيضاً عديمة الفائدة .

وعلى الجانب التطبيقي فقد تجاوز الأستاذ فتح الله كولن مرحلة التنبيه إلى أهمية التخطيط وضرورته ، وهي مرحلة أساسية لا بدّ منها ، إلى مرحلة : "التأصيل الشرعي للتخطيط، والحكم بوجوبه شرعاً وعقلاً، على الأفراد والتجمعات، وعلى الأمم والمجتمعات ، ثم راح يُنزل الحكم إلى ساحة الدفع الحركي الحضاري، فكان منذ الستينيات يرسم الخطط ويصوغ البرامج، ويقترح الغايات والمنطلقات والأهداف، بل وحتى الوسائل والمناهج والآليات؛ ولم يقتصر على هذه المرحلة، لكنه أسقط هذه الخطط على محكّ الزمن والواقع والناس، وقد يضطر إلى التعديل في المخطّط ثانياً؛ حتى إنه أحياناً يصطدم يعسر الفهم لدى الناس، ويعاني من رفضهم لمخطط معين، مثلما وقع له

١- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن ، ص ٢٣

٢- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، ص ٦٥



---

في مخطط تحويل بيوت الطلبة إلى مدارس نظامية... إلا أنه لا ينبغي ولا ينبغي، بل يغير في الأسلوب والطريقة ، إلى أن يحصل الفهم الصحيح، والتطبيق الموفق. <sup>(١)</sup>

وبذلك أضحت " الخدمة " واقعا عمليا ، ، وليس فكرا مجردا حبيس النظر والنظريات، ولا ممارسة بدائية وليدة التهور والمحاولات؛ لكنها جمعت بين التخطيط والتنفيذ، والقدرة على وضع مخططات للمستقبل، بالنظر إلى ظروف العصر، وبالحفاظ على الثوابت والمنطلقات والمرونة في الوسائل والآليات...

## المطلب الثاني

# التشارك والمؤسسية

الدارس لتجربة فتح الله كولن ، ولما تقوم به حركة الخدمة من مشاريع ، مسئلة من الروح العالية والفكر الثاقب للأستاذ كولن ، يرى - بوضوح - أن من أهم سمات هذه الأنشطة والفعاليات هي : التشارك والمؤسسية .

فلم يخلُ كتابٌ أو مقالةٌ لـ"كولن" من الحديث عن ترجمة الإيمان إلى مشاريع، وتجسيده في مؤسسات تتوزع في سائر شعب الحياة وميادينها، وذلك خدمةً للأهل والمجتمع الوطني والقومي والإنساني، وخدمةً للدين والقيم.

وقد استطاعت "الخدمة" من خلال تفعيل هذه الأفكار إيجاد "الحس الجمعي" أو "الوعي الجمعي" كما يسميه فتح الله كولن ، واليوم توجد في مختلف بلدان العالم الإسلامي طاقات كثيرة، يمكن أن تُغير الواقع إلى حد كبير، غير أنها بلا فاعلية، لأنها طاقات فردية، ولذلك تستهلك مواهبها وقدراتها في التآكل والصراعات الجانبية، أو تعاني من الإحباط ، وتعيش مرحلة السكون والانتظار .

هذه الطاقات في أمس الحاجة إلى من يستثمرها ويفعلها في إطارها الصحيح ، ومكانها المناسب ، من خلال أعمال مؤسسية تتشارك فيه الطاقات ، وتستثمر الإيرادات .

### التشارك في الأعمال الدعوية

ويؤكد كولن أن التشارك في الأعمال ضرورةٌ لامحيص عنها لمن يريد بلوغ الغاية والهدف من مساعيه ، فإن الإنسان لا ينجو بعبادته الفردية أبداً ، فهو يقول : " يوجهنا القرآن الكريم بالآية الكريمة التي نقرأها عدة مرات يومياً : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(١)</sup> ، أن نقول : "نحن"؛ فالإنسان قد لا ينجو بعبادة فردية؛ فنجاته في جهة من جهاتها مردّها إلى تحقيق الأخوة الحقيقية بينه وبين إخوة له في طريق معين، وإلى تثقيله ميزان حسناته بحسناتهم؛ وبهذا المنطق فإن تحقيق الإداريين نتيجةً أبعد عن الخطأ وأقرب إلى الصواب مردها إلى قولهم: "نحن"، وتحركهم بالعقل المشترك والوعي الجمعي".<sup>(٢)</sup>

١-سورة الفاتحة ، الآية : ٥

٢- الجزة المشروخة ، سلسلة مقالات لم تُنشر بعد : موقع فتح الله كولن [www.fgulen.com](http://www.fgulen.com)

ولاشك أن هذا التحرك الجماعي ، يؤدي إلى التشارك البناء من أجل إقامة مؤسسات ناضجة ومفيدة للمجتمع ولل البشرية .

ولذا فإنه يؤكد لأبناء الخدمة أن التشارك في الأعمال الدعوية يقود إلى التشارك في الأجور الأخروية ويضرب لذلك مثال المصباح حين يضيء في غرفة تغطى المرايا حوائطها الأربع فينعكس الضوء الواحد للمصباح ليعطي قوة مضاعفة .

ف : " لو افترضنا أن هناك مصباحاً في غرفة بها أربع مرايا مورعة على الجدران، فلا شك أن ضوء هذا المصباح سينعكسُ بعينه على جميع المرايا في نفس اللحظة، وهكذا فإن الثواب الحاصل عن الاشتراك في الأعمال الأخروية سيكتب كاملاً بفضلٍ من الله - تعالى - وعنايته في دفتر أعمال كلِّ مشارك في هذه الأعمال." (١)

وبدهي أن الأستاذ كولن استقى هذه الأفكار من المبادئ الأساسية للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؛ لأننا إذا ما نظرنا إلى القرآن الكريم المعجز البيان والسنة النبوية الشريفة سنجد أن توفيق الله تعالى مرهونٌ بالوفاق والاتفاق، وأن الأعمال التي تخيم عليها روح الوحدة والتضامن تكافؤ بثواب وبركة من نوع خاص ، يقول الله تعالى في كتابه:

﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمةَ الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألفَ بين قلوبكم فأصبحتم بنعمةِ إخوانا وكنتم على شفا حفرةٍ من النارِ فانقذكم منها كذلك يبينُ الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ (٢).

ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣)

بناء على هذا فإن كولن يوجه أنظار أبناء الخدمة إلى هذا المعنى قائلاً :

" إن إجماليَّ الثواب الناتج عن الخدمات الجليلة التي تحققت اليوم بفضلٍ من الله - تعالى - وعنايته في أنحاء كثيرة من العالم وفي كلِّ مناحي الحياة ستنعكس وتُسجَلُ بتمامها - بسرِّ التشاركية في الأعمال الأخروية- في دفتر أعمال كلِّ فردٍ هرولَ وسعى في هذا السبيل؛ وعلى ذلك فإن تجاهلَ الثواب العام والتكالب على المصالح الفردية ، يعني الحرمان من هذا الثواب الجزيل ؛ لأن الإنسان مهما كانت قابليَّاته وقدراته ، حتى وإن كان على مستوى دهاء خمسين من

١- من مقال: التشاركية في الأعمال الأخروية ، فتح الله كولن ، موقع مجلة حراء ، مارس ٢٠١٥م

٢- سورة آل عمران ، الآية : ١٠٣

٣- سورة الأنفال ، الآية : ٦٣

العباقره فلن يمكنه وحده أن يقوم بخدمة دائمة ونافعة للإنسانية في هذا العالم، ولن يحوز أيضاً هذا الأجر الأخرويّ الجزيل.<sup>(١)</sup>

ومن هنا فإن أبناء الخدمة مازالوا يؤسسون المشاريع العملاقة ، ترى الواحد منهم فلا تعرف أهو رئيس أم مروض داخل المؤسسة الواحدة ، وبهذه الروح التشاركية تُثمر الحركة ثمرات هائلة من أعمال قد تبدو للوهلة الأولى "بسيطة" .

يقول د.فؤاد البنا ، حول هذه الملاحظة : "وفي مقابلة مع أحد المسؤولين في قنوات (درب التبانة) الفضائية - التابعة للخدمة - ذكر أن مثل هذه الملاحظة أثرت من قبل خبراء غربيين كبار جيء بهم لتقييم أداء هذه القنوات، فكانت استغرابهم كبيراً من البون بين المدخلات والمخرجات، إذ رأوا مخرجات هائلة بمدخلات بسيطة ، لو كانت في مؤسسات أخرى لأثمرت نتائج عادية، غير أن استفراغ الوسع في مجال الأسباب، مع الإخلاص وروح التعبد لله، يخلق أسراراً تفعل الأسباب، فتعزز الثمار وتعظم النتائج!"<sup>(٢)</sup>

وفي مقال للأستاذ كولن بعنوان : التشاركية في الأعمال الأخروية ، يذكر أن لهذه التشاركية البناء شروطاً لا بد منها كي تُثمر الثمرة المرجوة ، وتُعطي النتائج المأمولة<sup>(٣)</sup>:-

### ١- التشاركية المبنية على سرّ الإخلاص:

والإخلاص هو: أن يكون الأمر الإلهي هو الدافع إلى العمل لا غير، وأن لا ينتظر الإنسان لعمله ثمرة سوى رضا الله - سبحانه وتعالى- ، ثم يترك جني ثمار هذا العمل إلى الآخرة، ولذا فإن المخلص الحقيقي في الأمور الأخروية لا يهمله سوى إنجاز الخدمات الخيرية، بغض النظر عن يقوم بها، سواء أقام بها هو أو غيره، وبتعبير آخر: المهم هو أن نئن أنين الناي مع القلوب المهمومة التي تخفق معاً فتبعث النشوة في قلوب الناس، أو أن نشكل جوقة<sup>(٤)</sup> نبغ بها الحق والحقيقة إليهم، ونوصلهم إلى الحضرة الإلهية .

ثم يؤكد ضرورة الاصطباغ بروح الجماعة للوصول إلى سرّ الإخلاص حيث أن سرّ الإخلاص لا يتحقق إلا بالانسلال من صبغة النفس والأنانية ، والاصطباغ بروح الجماعة ، ثم الافتخار بمزايا الأصحاب ؛ فالحقيقة أن من ارتبط قلبيا بالخدمة الإيمانية والقرآنية ينبغي له ألا ينسى أبداً أنه ينشد مسؤوليةً ووظيفةً مهمةً جداً تفوق وتسمو فوق كل مظاهر الشهرة والألقاب والنياشين، بل إنه

١- من مقال "التشاركية في الأعمال الأخروية" فتح الله كولن ، موقع مجلة حراء ، مارس ٢٠١٥م

٢- العروج الحضاري بين مالك بن نبي وفتح الله كولن ، د. فؤاد البنا ، ص ١٩٠

٣- العناصر الثلاثة القادمة هي تلخيص من الباحث للمقالة المطوّلة المشار إليها .

٤ - الجوقة : فرقة الموسيقية وهو لفظ محدث ( المعجم الكبير ، مجمع اللغة العربية ، حرف الجيم ، ص ٦٧٥ )

لو قيل لمن هو على وعي وإدراك بالطريق الذي يسير فيه: "هنيئاً لك... أنت فعلت كذا وكذا"، لكان الجواب: "لا أتذكر، ولا أظن ذلك، لقد اجتهد الأصدقاء وسعوا كثيراً، وربما أنني كنت موجوداً بينهم في تلك الأثناء" (١)

## ٢- التساند المبني على سر الأخوة :

حيث يؤكد أن القلوب المؤمنة التي نذرت أنفسها للحق يجدر بها أن تتساند مثل أحجار القبة (٢) كي لا تتهاوى فتسقط ، عليها أن تتكاتف مع بعضها، وألا تسمح بتعثر أي من رفاق الدرب طوال الرحلة التي يقومون بها، فإن توحد كل رجال الخدمة في إطار هذا الفهم وصاروا جسداً واحداً ، وعاشوا الحالة الروحية نفسها، ووصلوا إلى الوحدة والتعاون فلسوف تفيض حسنات الملايين على دفتر كل فرد منهم على نحو مستقل دون أن ينقص من أجر أحدهم شيء (٣)

## ٣- توزيع المساعي المبني على سر الاتحاد :

ويعنى به : اقتسام الأعمال والمسؤوليات والوظائف والمهام المطلوب إنجازها بروح الوحدة والاتحاد، وبعبارة أخرى: اكتساب ملكة العمل والتحرك الجمعي، والحدز كل الحذر من التحرك الفردي، ولأجل هذا ينبغي تقسيم الوظائف قبل الشروع في أي عمل، ويجب على كل شخص أن يقوم بما يستطيع القيام به، ويفعل ما يبذل في عمله وأدائه . (٤)

وبعد استيفاء هذه الشروط في التشارك تأتي أهمية "الشورى" كآلية لاتخاذ القرار في العمل " المؤسسي" ، وهذا مادأب عليه رجال " الخدمة" في كل مؤسساتهم ، إذ اعتمدوا الشورى منهجاً وآلية لاتخاذ القرار .

يقول الأستاذ كولن : " وبعد الوفاء بهذه الشروط الثلاثة إن اجتمع رجال الخدمة وتشاوروا فيما بينهم بأن أودعوا أمرهم إلى العقل الجماعي فلن يسقطوا -بإذن الله وعنايته- في الأخطاء التي سقط فيها العقل الفردي؛ لأنه إذا كان وصول عشرة عقول مجتمعة إلى نتيجة خاطئة يمثل احتمالاً

١- انظر : مقال " التشاركية في الأعمال الإخروية " ، موقع مجلة حراء: مارس ٢٠١٥م

٢- يشبه البناء المتناسك بـ " أحجار القبة" . حيث أنه في بناء القباب يتم رسم كامل محيط الكرة. لينتهي الصف الأول وبعدها يبدأ في بناء الصف الثاني ، وتتوالى اعمال مباني صفوف القبة التي يقل قطرها ويرتفع جسمها حتى تغلق عند مركز الكرة ، ويكون الحمل موزع على الاحجار بالتمائل ، والأحجار في حد ذاتها يسند بعضها بعضاً ويمنعه من الانهيار - الباحث -

٣- انظر : مقال " التشاركية في الأعمال الإخروية " ، موقع مجلة حراء: مارس ٢٠١٥م

٤- المصدر السابق

نسبته واحد في المائة ؛ فإن عدد العقول التي تشاورت وتناصحت إذا وصل إلى "عشرين" فإن نسبة احتمال وقوعها في الخط سوف تقلّ بذلك القدر. (١)

وهكذا كلما كثر العدد في التشاور ، قلّ الخطأ ، وكلما اتُّخذت القرارات الفردية كان احتمال الخطأ أكبر .

والأعمال المؤسسية تحتاج إلى مبدأ "الشورى" ، والشورى مبدأ إسلامي سواء في الأعمال المؤسسية أو في الشؤون الفردية ، وفي حال وقوع الخطأ بعد التشاور ، ففي هذا دليل على استنفاد العقل البشري لطاقته وقدرته على التفكير وتقدير الأمور .

: "فإن أخطأنا أخطأنا جميعاً، أي نتحمل الخطأ معاً، وعندما نقف بين يدي الله تعالى سنقول : يا رب ، تحاورنا وتشاورنا ؛ ولم نُصب ، هذه طاقتنا ، فمعنى هذا أن عقولنا جميعاً لا تقدر على هذا الأمر." (٢)

ولذا فإن الشورى كآلية لاعتماد العمل المؤسسي في تجربة كولن تُعدُّ وصفاً حيويًا وقاعدةً أساسيةً لا يمكن الاستغناء عنها ، بل إن كولن يؤكد أن الأمة التي لاتعتمد الشورى أساساً في حركتها ، أمة لا تقيم الإسلام كما بينته آيات القرآن ، ف : "الشورى وصفٌ حيوي وقاعدة أساسية لريانيي اليوم كما كانت للورثة الأولين ، فهي في القرآن أبرز علامات المجتمع المؤمن وأهم خصوصيات الجماعة التي تهب قلبها للإسلام ، وتوضع الشورى في القرآن الكريم صفاً واحداً مع الصلاة والإنفاق ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣) ، فهذا الاعتبار ، لا يُعدّ المجتمع الذي يهمل الشورى مجتمعاً متكامل الإيمان، كما لا تُعدّ الجماعة التي لا تعمل به جماعة مسلمة بالمعنى الكامل. " (٤)

هذا التشارك وهذه المؤسسية ، تُبهر عقول الناظرين ، فتتطلق السنة بالمدح ، والسنة أخرى بالاتهام واللمز والقدح ، إذ يرى الرائي أن هناك تنظيمًا قويًا محكمًا ، وفي الوقت ذاته لا يوجد "تنظيم" بالمعنى الحركي المتعارف عليه ، وفي شهادة واقعية يقول د. حسن ابو طالب (٥) متحدثًا عن شهادته حول حركة الخدمة ، في مؤتمر القاهرة

١- مقال "التشاركية في الأعمال الإخروية" ، فتح الله كولن ، موقع مجلة حراء: مارس ٢٠١٥م

٢- الجزة المشروخة : مقال " الخط المستقيم بين المركز والمحيط " : سلسلة مقالات لن تُنشر بعد: موقع فتح الله كولن

: "إن ثمة تنظيمًا وفي الوقت نفسه لا تنظيم ، فإن من شروط التنظيم الانضباط ووضوح القيادة، ومن علامات اللا تنظيم انفرط العقد وترهل القيادة بل غيابها ، في حركة فتح الله كولن لا يوجد تنظيم له ثوابت مؤسسية جامدة، بل هناك شبكة من المؤسسات لكل منها دور ووظيفة، ولكنها تتكامل مع باقي المؤسسات ذات الوظائف المختلفة..". (١)

ويمكن رصد سمات مشتركة للتشارك والمؤسسية في حركة الخدمة ، منها :-

**أولاً- أفكار فتح الله كولن نقطة ارتكاز محورية :** ويصبح هذا الأمر أكثر حيوية وعطاء حين تتحول الأفكار إلى مؤسسات، وحين تتحول إلى حركة فعل وتغيير منهجي سلمي للمجتمع والأفراد على السواء..، فهذه المؤسسات وإن كانت لاتعمل بتوجيه مباشر من فتح الله كولن ، إلا أنها تستلهم من فكره ومنهجيته ، فالرجل - المقيم في الولايات المتحدة الأمريكية - لايملك الوقت ولا الجهد لإدارة هذه المؤسسات في عشرات الدول ، بل ولا توجيهها من حيث سياسة العمل ، ورغم هذا فهو الغائب الحاضر دائما في هذه المؤسسات على تعددها وكثرتها . (٢)

وتسمى د. هيلين روز الباحثة في حركة الخدمة هذه السمة بـ"الإلهام الأصيل" ، وتعنى به استلهاهم أفكار الأستاذ كولن ومبادئه في جميع المؤسسات .

ف : " المشروعات التعليمية التي تشمل بيوت الطلبة والدورات التحضيرية والمدارس هي الثمار المباشرة لإصراره الدائم على أن التعليم هو الحل الأمثل للفقر والصراعات الداخلية ، والمؤسسات الإعلامية تقوم على نموذج قوامه الموضوعية والتوازن والمسئولية ، وهو النموذج الذي دعا إليه كولن حين أصرَّ على أن السماح بحرية التعبير عن الرأي هو السبيل الوحيد لتحقيق السلام ، وكذلك فقد تمَّ تأسيس المستشفيات على أساس من روح تعاليم كولن ، الداعية لاحترام كل البشر ، بما فيهم المرضى ، وتوفير الاحتياجات الأساسية للإنسان ، ومن أهمها الرعاية الطبية الملائمة ، وهناك مؤسسة الإغاثة " كيمسه يوك ميو " التي تقتبس من اهتمام كولن بالمعوزين أينما وجدوا . (٣)

**ثانيا - التضامن الشديد نتيجة وحدة الهدف :** وبهذا المعنى فإن الخدمة هي أساس التناغم بين الفرد كأحد أعضاء الجماعة وبين الهدف الأكبر وهو إصلاح حال الأمة الإسلامية على امتداد وجودها المكاني الجغرافي، كمقدمة لإصلاح حال الإنسانية.

١- مؤتمر " مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي " ، د. حسن أبو طالب : شهادة عن المرئى في حركة فتح الله كولن التركية : ص ٥٢٤

٢- لقاءات أجراها الباحث في القاهرة مع عددٍ من الإخوة الأتراك أبناء الخدمة منهم : ، أ. يوسف الدمرداش ، أ. سنان يورولماز ، أ. عثمان أقجا

٣- حركة فتح الله كولن ، تحليل سوسيولوجي لحركة مدنية متجذرة في الاسلام المعتدل ، هيلين روز ايبو ، ص ١٧٥

ثالثاً- تكامل وتقاَسُّم الأدوار : فهناك " التجار"، أو من هم مصدر المال، وهناك أعضاء الحركة ، والذين يوظفون هذا المال الذي يكسبونه في الدنيا لتجسيد فكر الحركة في الإصلاح والتربية والتغيير.

رابعاً - شمول العمل المؤسسي : حيث يشمل العمل المؤسسي جوانب عديدة تغطي كافة أوجه الحياة اليومية، وتغطي هذه المؤسسات جوانب هامه فهناك :

- ج) المدن السكنية الخيرية للطلاب.
- ج) المدارس التربوية والجامعات العلمية الراقية.
- ج) الجمعيات الخيرية ذات الصبغة العالمية .
- ج) الصحف والمجلات الثقافية والقنوات الفضائية.
- ج) المنتديات الحوارية والمؤسسات البحثية.
- ج) المشافي والمصحات النموذجية.
- ج) المؤسسات الاقتصادية العملاقة كالبنوك والشركات التجارية. (١)

والدكتور حسن أبو طالب في شهادته ، يذكر عدداً من مؤسسات الخدمة الإعلامية التي تقدم برامج تلفزيونية هادفة ، ومسلسلات درامية وخدمات إخبارية ، ومؤسسات تعليمية مثل المدارس ، ومؤسسات صحية مثل مستشفى سما .

ثم يقول في ملاحظة له عن كثرة وتعدد المؤسسات ، ورغبة أبناء الخدمة الدائمة في الاستمرار في العمل من خلال مبدأ التشارك والمؤسسية ، يقول أبو طالب : " لاحظتُ اهتماماً كبيراً ببناء المؤسسات ، فالحركة لكي تستمر وتنمو لا بد أن تتحول إلى مؤسسات مدنية فاعلة نشطة وتقابل احتياجات الأفراد والمجتمع في منحى تكاملي يحقق إشباعاً عقدياً ودينياً في آن واحد. " (٢)

ما أريد أن أؤكد عليه في هذا المطلب أن " الخدمة" تحوّل كل فكرةٍ لديها إلى مؤسسة ، وكلّ رؤية إلى عمل مشترك ، وهذه المؤسسات لاتعمل بالشكل الروتيني أو الآلي كالمؤسسات الحكومية ، بل تعمل بروح التشارك ، وبنية نشر الخير في إخلاص وتجرد وتشاور ، دون منافسة على منصب أو التصدر لحيازة الألقاب .

١- العروج الحضارى بين مالك بن نبي وفتح الله كولن ، د. فؤاد البنا ، ص ١٤٤

٢- مؤتمر " مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي " ، د. حسن أبو طالب : شهادة عن المرئى في حركة فتح الله كولن



## المطلب الثالث

### عدم التحزب السياسي

لاتزال قضية : (علاقة السياسة بالدعوة )، في مشروع التجديد الإسلامي، أو بتعبير أدق: موقع (المسألة السياسية) من مشروع التجديد الإسلامي ، مثار جدلٍ بين أبناء الحركة الإسلامية فيما بينهم ، وبين أنفسهم بصيغة ؛ وفيما بينهم وبين العلمانيين وأصحاب التوجهات الأخرى بصيغة مختلفة .

وقد عالج الدكتور فريد الأنصاري<sup>(١)</sup> - رحمه الله - هذه القضية بشجاعة نادرة ، في كتاب له تحت عنوان : **البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي** ( نحو بيان قرآني للدعوة الإسلامية ). وقد ذكر الأنصاري أن هذا الموضوع حسّاسٌ جداً ، وتكمن الحساسية البالغة فيه من جهتين: داخلية وخارجية.

فأما : " **الداخلية**: فهي عدم الاستعداد لتقبُّل النقد الذاتي، لدى بعض قيادات العمل الإسلامي ومنظريه؛ إلا قليلاً ، وأما **الخارجية**: فهي أننا نعالج موضوعاً لا يطرقه في العادة إلا المخالفون للمشروع الإسلامي من اللادينيين؛ رغبةً منهم في تجريد الدين من السياسة، تجريد تضاد وتنافر تكريساً لمقولتهم المشهورة: (دع ما لله لله، وما لقيصر لقيصر)."<sup>(٢)</sup>

ولذلك فإن من يتحدث في هذا الأمر من أبناء الدعوة الإسلامية يكون هدفاً للاتهامات من كل جانب ، فهو متهم من جانب بالتساهل في الدين ومحاولة تمييعه ، ومن جانب آخر على النقيض يُتهم - لكونه من دعاة الإسلام - بالجمود والرجعية .

: "فما أسهل إذن أن يُتهم باحثٌ إسلامي في هذا الموضوع - من لدن الإسلاميين أنفسهم - بالردّة الثقافية، والنكوص عن الاختيار الجهادي، والركون إلى الذين ظلموا!"<sup>(٣)</sup>

وقد انتقد الدكتور فريد الأنصاري في كتابه هذا وفي كتبٍ أخرى مماثلة له ، **حصر العمل الإسلامي في الشأن السياسي** ، وهو يرى أن من شأن : "حصر العمل الإسلامي في الشأن السياسي أن يسلب الإنسان التفكير الكلي، سواء في ذلك الاختيار السياسي الصدامي، أو

١- د. فريد الأنصاري - رحمه الله - الفقيه والأديب صاحب الدراسات القرآنية ، كان من أقطاب العمل الدعوي الإسلامي في المغرب ، إلى جانب كونه أستاذاً في الشريعة توفى عام ٢٠١٠م

٢- البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي(نحو بيان قرآني للدعوة الإسلامية)، د. فريد الأنصاري ،المقدمة ص ٣،

نسخة إلكترونية ٢٠٠٣م

٣- المصدر السابق ص ٤

الاختيار السياسي المشارك ، فهما في هذا السياق وجهان لعملة واحدة ، فكلاهما يفقد طبيعته الدعوية الكلية، وإن ادعى عكس ذلك في أدبياته الحركية؛ وذلك بسبب الطبيعة اليومية المتسارعة للحدث السياسي من جهة، وبسبب انقلاب الموازين التصورية لدى العاملين من جهة أخرى. وهذا أخطر! ذلك أن علاقة السياسي بالديني في الإسلام ، هي علاقة الجزئي بالكلي؛ وإذن فإن تدبير الكلي الديني من خلال الجزئي السياسي هو قلب للميزان ، وتشويه للعمل الدعوي، بل تحريف له وتضليل! (١)

إن الرجل لا ينكر شمول الإسلام لجميع مناحي الحياة - حاشاه - وهو الفقيه الأصولي اللبيب ، ولكنه يرى أن الدين هو قضية الوجود الإنساني ، فكيف يمكن اختزاله في ممارسة سياسية ناجحة أو مخففة؟.

نعم . . إن : " الدين قضية وجودية (٢) كبرى، تتعلق بكينونة الإنسان في الوجود، ومذهبية شاملة في الخلق والمنشأ، والمحيا والممات، ثم المآل والمصير، ومن هنا كان من الخطأ في المنهج الإسلامي الدعوي أن تُختزل الدعوة الإسلامية - كلُّ الدعوة الإسلامية - في برنامج سياسي. " (٣)

## مفهوم الإسلام السياسي

لاشك أن مصطلح " الإسلام السياسي " ، مصطلح غربي، ولعلاقة له بمفهوم الإسلام الشامل لجميع مناحي الحياة ، إسلام القرآن والسنة ، والسلف الصالح - رضوان الله عليهم - يقول أنس أركنة محلاً هذه الظاهرة : " نظرت التحليلات الغربية إلى الإسلام على أنه أيديولوجية سياسية بجانب كونه ديناً، وتركزت أيضاً على أفكار القائمين على هذه الحركات الإسلامية السياسية وفعاليتهم ، ولكن لم يتم في هذه التحليلات تقديم تحليل شافٍ لعلاقة الدين بالسياسة ، ولالموقع السياسي من الدين ، وعلى الجانب الآخر فإن الكثير من الحركات الإسلامية - وتحت تأثير الأيديولوجيات - حاولت إظهار الإسلام في القرن العشرين وكأنه نظامٌ سياسيّ صرف . " (٤)

وأنس أركنة - هنا - يصف واقعاً عانت منه تركيا حبةً من الزمن ، إلا أن محاولة تعميمه على العالم العربي دون الأخذ في الاعتبار الكثير من الظروف والملابسات التي مرَّ بها العمل الإسلامي في العالم العربي ، لن يكون دقيقاً ولا وافياً.

١- البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي (نحو بيان قرآني للدعوة الإسلامية)، د. فريد الانصاري، ص ٧

٢- قضية وجودية : أي مرتبطة بالوجود الإنساني وعلاقته بالكون والخالق - سبحانه -

٣- البيان الدعوي وظاهرة التضخم السياسي، د. فريد الانصاري، ص ٨

٤- فتح الله كولن: جذوره الفكرية و استشرافاته الحضارية ، انس أركنة ، ص ١٤٢

وهو فى نهاية حديثه عن "الإسلام السياسى" يصل إلى هذه النتيجة فيقول: "ويجب أن ننوّه إلى أن فهم الإسلام السياسى لدى المثقف العثمانى ، يختلف عن فهم المثقف العربى بشكل بارز ، فى المنطقة العربية تأسست الحركات الإسلامية على أساس فكرة "الجهاد"، والتعبئة ضد الاستعمار ، كرد فعل للاستعمار الغربى لهذه المنطقة بينما كانت هذه الحركة عند الأتراك متوجهة إلى استيعاب الحركة التقدمية فى أوروبا ، فهى لم تكن حركة رد فعل تجاه الاستعمار ، ولم تشترط الانفصال عن المعاصرة تماما . " (١)

لكن تبقى نقطة الاتفاق مع ماطرحه الأستاذ أنس أركنة ، وما ألمح إليه من قبل الدكتور الأنصارى هى : خطورة تحويل الدين إلى مجرد "أيدولوجية سياسية"، بحيث تُرفع شعاراته فى الحملات الانتخابية ، ويتم تنزيل النص القرآنى على مجموعات بعينها ، أو أفراد بذواتهم !!.

وفى ذات السياق يطرح الدكتور طه جابر العلوانى سؤالاً منهجياً تطبيقياً مفاده : هل يمثل وصول الإسلاميين إلى الحكم حلاً أو منهجاً؟؟

ويجيب على السؤال المطروح قائلاً: "لا يمكن أن يمثل الوصول للسلطة - وحده - حلاً لمشكلات هذه الأمة ، ولا يمكن أن يكون هو المنهج المطلوب لإصلاحها ، وقد يكون هذا التصور - على بساطته - صحيحاً لو أن أزمتنا قد بدأت عند سقوط الخلافة العثمانية ، واجتياح الاستعمار الأوروبى المتعدد الجنسيات لديار المسلمين ، غير أن أزمتنا بدأت قبل ذلك بكثير ، وفى ظل أشكالٍ مختلفة من الأنظمة الإسلامية وماكان الغزو الفرنجى والتتارى قبل سبعة قرونٍ تقريباً ، وإخراجنا من الأندلس قبل مايزيد عن خمسة قرون ، وما انتهت إليه مختلف قضايانا إلا نتيجة لأزماتٍ خانقة انهارت بنا من داخلنا ، وفى ظل سلطةٍ إسلامية - خلافة أو سلطنة- ، فلا يمكن أن يكون العودة إلى السلطة - وحدها - مقدّمة للإصلاح . " (٢)

إن الأزمة ليست أزمة سياسية ، حتى يكون حلها سياسياً ، بل هى أزمة قديمة متجددة ، منبعها من داخل الإنسان وليس من خارجه .

١- فتح الله كولن: جذوره الفكرية و استشرافاته الحضارية ، انس أركنة ، ، ص ١٦٧

٢- أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة ، د. طه العلوانى ، ص٧٦، ط٢ ، دار السلام ،

## العلاقة بين الإسلام والسياسة فى تجربة فتح الله كولن

فى قراءتى لفكر الاستاذ كولن ، لم ألاحظ أن هناك عداءً ما بينه وبين السياسة كمنهج ، أو بين السياسيين كأفراد أو حكام .

فهو لم يلعن السياسة كالإمام محمد عبده ، ولم يستعد بالله منها كالإمام النورسى ، ولكنه تعامل معها من منطلق قد يكون مختلفاً أو يكون أكثر انسجاماً مع التطور الزمنى ، أو التجربة الدعوية التى مارسها .

يرى فتح الله كولن أن : " السياسة هي فن الإدارة التى تجلب رضا الله - تعالى - ورضا الناس ، وبنسبة قيام الحكومات - بما تملك من قوة وقدرة - بالمحافظة على شعبيها من الشرور والمفاسد، وصيانتها من الظلم تكون نسبة نجاحها وتوفيقها. " (١)

وعن العلاقة بين "الأمة" أو الشعب وبين حكومته يرى كولن أن الشعوب هى الأبقى ، وهى الأصل دائماً ، وما الحكومات إلا تبعٌ للأمم والشعوب ، فإذا انقلبت هذه الموازين ، ظهر الاستبداد والفساد .

يقول : " قبل أن نقول الحكومة عن أمتها :ها هي أمتى فمن الأفضل والأهم أن تبادر الأمة قبلها وتقول عنها : ها هي حكومتي ، لأن هذا هو المطلوب ، وبعكس ذلك فإن الأمة ترى فى حكومتها قوة ظلم مُسلطة على رأسها ، أي أن بنية الأمة تكون قد انفصلت تماماً عن رأسها ، ولكي ينمو إحساس الشعور بتوقير الدولة والحكومة واحترامها لا حاجة لقيام الموظفين باستعمال القوة لتحقيق ذلك ، فالتصرف الوقور والجدي لأركان الدولة وإخلاصهم فى عملهم يكفي لذلك ، فلم يستمر حكم أحدٍ ويرسُخ بالظلم ، أو بخداع الجماهير واستغلالها. " (٢)

والأستاذ فتح الله كولن باعتباره صاحب مشروع حضارى لنهضة المجتمع والأمة ، لا يرى أنه لزاماً عليه أن يدعو لتكوين " دولة إسلامية" تتبنى هذا المشروع النهضوى ، فالرجل معنىً بالمجتمع لا بالدولة ، وبالأمة لا بالسياسة .

وهو يحدّد رسالته بأنها : " تجديدٌ مستمدٌ من جذورنا التاريخية ، وتربيةٌ لأبطالٍ جدِّ يستلهمون جذور المعانى ويرتبطون بها ، ولسنا نحتاج حكماً إسلامياً أو حزباً لتحقيق ذلك ، بل أفراداً نوى أخلاق سامية ، يبنون مجتمعا إنسانياً فاضلاً . " (٣)

١- الموازين أو أضواء على الطريق ، فتح الله كولن ، ص١٢٦

٢- المرجع السابق ص ١٢٧

٣ - نحو تنوير إسلامى : حركة فتح الله كولن ، حاقان يافوز ، ص ٧٠

وفى سؤالٍ وجَّه إلى الأستاذ فتح الله كولن فى حوار مع جريدة الشرق الأوسط ، فى مارس ٢٠١٤م : هل تعتقدون أنه يجب إعطاء مساحة أكبر للإسلام فى المجال العام والحياة السياسية؟

جاءت إجابته مطوّلة إلى حد ما ، وأحاول أن أقتطف منها مايفيد البحث فى هذه المسألة .  
أجاب فتح الله كولن : " الإسلام- كدين- هو مجموعة من المبادئ والممارسات التى تستند إلى الوحي الإلهي، وترشد البشر إلى الخير المطلق من خلال إرادتهم الحرة، وتبين لهم كيف يسعون جاهدين ليجعلوا من أنفسهم "أشخاصا أقرب إلى الكمال"....

إنني أرفض دائما فكرة التعامل مع الدين باعتباره أيديولوجية سياسية (politic). كما أرى أن على المسلم أن يتصرف وفقا للأخلاق الإسلامية سواء فى البعد المدني والمجتمعي، أو فى الشأن العام والمجال الإداري، أي عليه الالتزام بقيم الإسلام الأخلاقية فى كل مكان يوجد فيه، فالسرقة والرشوة والنهب والكسب غير المشروع والكذب والنميمة والغيبة والزنا والانحطاط الأخلاقي هي ذنوبٌ وأمور غير شرعية فى كل السياقات ، ولا يمكن ارتكاب هذه المعاصي لأي غرض كان، سياسيا أو غيره ....

وفى هذا السياق اسمح لي أن أقول بكل وضوح: إذا كان المسلمون فى بلد ما يمارسون شعائرهم الدينية بحرية، ويتمكنون من إنشاء مؤسساتهم الدينية بلا عوائق، ويستطيعون أن يلتفتوا قيمهم الدينية لأبنائهم ولمن يرغب فى تعلمها، ولديهم الحرية الكاملة فى التعبير عنها فى النقاشات العامة، ويعلمون عن مطالبهم الدينية فى إطار القانون والديمقراطية، فإن حاجتهم إلى إقامة دولة دينية أو "إسلامية" لا تعود ضرورية." (١)

نعم . . إن الإسلام دينٌ وليس برنامجا سياسيا ، والمسلم مطالبٌ بإقامة هذا الدين فى كل وقت وحين ، بل وفى كل مجال يعمل فيه ، فالإسلام شاملٌ شمول الحياة ذاتها .  
وهنا تبرز فكرة كولن عن إقامة " دولة إسلامية" ، إنه يعلن بوضوح أن لهذه الدولة الإسلامية المطلوب إقامتها ملامح ، ولامحها تكمن فى نشر قيم الحرية والعدالة والمساواة وغيرها من القيم فإذا وجد المسلم دولة تقيم هذه المبادئ ، استطاع من خلالها أن ينشر رسالته ويحقق غايته .

## ج حركة الخدمة والأهداف السياسية

تتقسم تجارب الإصلاح ذات المرجعية الإسلامية في تركيا إلى قسمين : تجارب سياسية تتمثل في الأحزاب ذات الميول الإسلامية ، وتجارب اجتماعية تربية وكانت تجربة النورسي أبرزها . وتنتمي حركة الخدمة إلى النموذج النورسي ، لاسيما في هذه المسألة تحديداً .

" : فهذه الحركة لاتحمل أية أهداف سياسية إلى درجة تعرّضت لاتهام بعض الأوساط الدينية ، وانتقدت لأنها بقيت خارج حلبة الصراع السياسي . " (١)

مامعنى هذا ؟ مامعنى أنها حركة خارج حلبة الصراع السياسي ؟ وما ضرورة أن تؤكد الحركة على هذه النقطة بالتحديد؟ . . إن هذه يعنى ببساطة أن هذه الحركة لاتستمد قوتها وتأثيرها من الشارع ، بمعنى أنها ليست حركة لاستقطاب الراضين في المجتمع من أجل تحريك الشارع مثلا ، بل هي حركة ترى في الأمة بكافة شرائحها رصيدها الذي لاينفذ ، وتعمل لكافة هذه الشرائح بغض النظر عن توجهها السياسي أو حتى التزامها الديني .

ويوضح رائد الحركة ومُلمها الأستاذ فتح الله كولن هذه الأمر في الحوار مع جريدة الشرق الأوسط ، فيقول : " لا بد من التنويه بأن "الخدمة" منذ نشأتها لم تسع إلى تحقيق أي أهداف سياسية ، بل سعت إلى خدمة الإنسان من خلال تنميته في المجالات التعليمية والاجتماعية والثقافية، واستثمرت كل وقتها وطاقاتها في سبيل تحقيق هذه الغاية ، وتصدّت لحل المشكلات الاجتماعية انطلاقاً من الإنسان عن طريق التربية والتعليم ، . . . لقد ذكرتُ - أنا الفقير - في خطبي أن لدينا ما يكفي من المساجد ، - التي كان أغلبها فارغا في ذلك الوقت - ، ولكن ليس لدينا ما يكفي من المدارس ، ولو كان لدينا أي هدف سياسي لكانت قد ظهرت بوادره خلال السنوات الـ ٤٠ أو ٥٠ الماضية كإنشاء حزب سياسي مثلا ، ولقد عرض عليّ وعلى الكثير من إخواني في أوقات مختلفة الكثير من المناصب السياسية، لكننا رفضناها جميعا . " (٢)

وأود هنا - في سياق الحديث عن علاقة حركة الخدمة بالأهداف السياسية أن أسجّل عدة اعتبارات هامة ، تمثل ضوابط ومحدّدات ، من خلال قراءة الخدمة ودراسة التجربة :-

**الاعتبار الأول:** صحيح أن حركة "الخدمة" ليست لها أهداف سياسية ، كما أنه مما لا شك فيه أن هدفهم السامي هو : إحياء الأمة ونهضتها ، وكذلك فإن أهدافهم المرحلية خدمة الإنسان وتغيير الفرد لبناء مجتمع سليم ، إلا أن هذه الأهداف لايد وأن تتلامس مع السياسة من قريب أو بعيد ، سواء في ذلك سياسة الدول المحلية ، أو السياسة العالمية .

١- فتح الله كولن: جذوره الفكرية و استشرافاته الحضارية ، أنس أركنة ، ص ٩٨

٢- حوار مع جريد الشرق الأوسط ٢٤/٣/٢٠١٤ ، " كلمات شاهدة" ص ٣٣

يقول مايمول أحسن خان: " وليس في جهاد مُحَبَّبٍ كولن الفكرى والروحى أية رغبة في الحكم أو فى السياسة فى تركيا أو فى غيرها ، لكن خُطب كولن وكتاباتة حربٌ فكرية دقيقة جداً ضد الأعيب سياسية وعسكرية للاستيلاء على المال العام ".<sup>(١)</sup>

وفى الحوار السابق يقول كولن: " الخدمة ليس عندها هدف سياسي بمعنى تأسيس حزب، بيد أن القيم والمبادئ التي تعمل الخدمة من أجلها والتي تشكل الديناميكية الأساسية لـ"الخدمة"، لا بد أنها تتلامس مع السياسة. "<sup>(٢)</sup>

**الاعتبارالثانى** : أن عدم وجود أهداف سياسية للحركة تعنى أن أبناء " حركة الخدمة " معزولون سياسيا عن الأحداث ، بل هم مواطنون يستعملون كافة حقوقهم الدستورية فى المشاركة السياسية ، والتعبير عن آرائهم تجاه الأحداث ، ف:" أفراد "الخدمة" باعتبارهم مواطنين كان وما زال لهم مطالب من المؤسسات السياسية، شأنهم فى ذلك شأن نظرائهم من المواطنين العاديين أو التريبيين أو كل ناشط مجتمعي ، ولقد كانت هذه المطالب دائما تدور فى إطار القوانين المرعية وتُطلب عبر السبل والطرق المشروعة ، ولم يحاولوا اللجوء إلى أي وسيلة غير قانونية أو غير أخلاقية لتحقيق هذه المطالب .

" إن التعبير عن الآراء فى هذا الصدد ورفع مستوى الوعي العام واجبٌ وطني، وواحدٌ من أهداف المجتمع المدني أيضا ، ولا يلزم بالضرورة تأسيس حزب سياسي من أجل إنجاز هذه المهمة ، كما لا يمكن اتِّهام هؤلاء الذين يقومون بهذه المهام بأنهم يقتحمون السياسة أو يريدون تقاسم السلطة"<sup>(٣)</sup> فمع أنهم لم يخوضوا غمار العمل السياسي، تاركين هذا الأمر لغيرهم، إلا أنهم لم يمارسوا السلبية فى هذا المجال بتاتاً، حيث مارسوا العمل السياسي المطلوب من أفراد المجتمع العاديين، كالمشاركة فى الانتخابات وإبداء الرأى والنصيحة .

والاهتمام بالشأن السياسي بهذا المفهوم عند كولن ذو صلةٍ بخدمة الوطن والأمة، حيث يقول: "من المقاييس والموازن عندنا أن القول: إنني لا أتدخل فى السياسة، ولا تتدخل أنت فى السياسة يعني: إنني لا أتدخل فى شئون الوطن والأمة، ولا أتدخل فى حياة وبقاء الأمة، ولا تتدخل أنت كذلك." <sup>(٤)</sup>

١- فتح الله كولن : الرؤية والتأثير " تجربة فاعلة فى المجتمع المدني "، مايمول أحسن خان ، ص:٧٨

٢- حوار مع جريد الشرق الأوسط ٢٤/٣/٢٠١٤ ، " كلمات شاهدة" ص ٣٤

٣- حوار مع جريدة الشرق الاوسط : المصدر السابق

٤- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ص١٢٨

---

**الإعتبار الثالث :** لأن "الخدمة" ليست تنظيمًا مركزيًا هَرَميًا، فليس هناك وجهة نظر سياسية واحدة يتبناها جميع المشاركين فيها .

وفى هذا يقول فتح الله كولن : "ليس من المعقول القول إن حركة كهذه منحازة إلى حزب بعينه، فضلا عن أن تكون منخرطة فيه ، فللمتعاطفين معها اختياراتهم السياسية الخاصة، ولا تفرض الحركة أي وجهة نظر معينة عليهم، ولا تتدخل في هذا الموضوع على الإطلاق ."<sup>(١)</sup>

لعل هذه السمة من أكثر السمات إثارةً للجدل لمن ينظرون إلى الخدمة من خارجها دون التعمق في منطلقاتها الفكرية والحركية ، ذلك أن " الصراعات السياسية" استحكمت من العقول فى عصرنا ، حتى صرنا لانتخيل "حركة إسلامية " ليست لها أهداف سياسية .



## المطلب الرابع

### الهجرة من أجل الخدمة

يأخذ مفهوم " الهجرة"، شكلاً عملياً ذا بُعدٍ عقديّ عند "حركة الخدمة"، بل يمكن القول إن هذه السمة العملية والتي تعنى : التغرّب لخدمة الناس في بلدانٍ أخرى ، هي السمة الأبرز من الناحية المرئية ، في حركة الخدمة .

ويحتل مفهوم "الهجرة" من أجل خدمة "الإنسانية" مكاناً بارزاً في خطاب فتح الله كولن لأبناء الخدمة ومحبيها ، بل إنه يتناوله من زاوية أن الهجرة من أجل الخدمة "رحلة مقدّسة" .

فهو يرى أن الهجرة مسألة عظيمة تتطوي فيها معانٍ كبيرة ، فكما تعني هذه الكلمة : الهجرة من بلد إلى آخر كذلك تعني الهجرة من مبدأ ومن عقيدة إلى مبدأ وعقيدة أخرى، وتعني أيضاً هجرة الإنسان من نفسه إلى نفسه .

ويقول موضعاً مدى أهمية الهجرة لرجل الدعوة : " الهجرة أساسٌ مهم في كل دعوة كبيرة ، ولا بد من تثبيت النقطة الآتية : لا يوجد رجل دعوة كبرى، ولا رجل فكر كبير ولا رجل تحمل عبء وظيفة عظيمة - وأنا أعني ما أقول - لم يهاجر ، لقد ترك كلُّ رجلٍ دعوةَ البلد الذي وُلد فيه وذهب من أجل دعوته إلى بلدٍ آخر " (١).

وقد ضرب مثلاً لهذا سيدنا "إبراهيم" - عليه السّلام - وأطلق عليه : النبي السائح في الأرض لتبليغ كلمة الله إلى كل أذن ، وبالسيد المسيح - عليه السلام - حيث أن : أحد معاني " المسيح " هو السائح في الأرض، وهو من صيغة الفاعل أي الكثير السياحة ، وبسيدنا موسى - عليه السلام - الذي : شبَّ في قصر فرعون، ومع أنه تعود على حياة القصور الناعمة، إلا أنه كان أيضاً رجل هجرة.

وهكذا يؤكد كولن أنه : " لو بحثنا ودققنا في حياة الأنبياء العظام لرأينا الهجرة سمةً مشتركة بينهم ولا شك أن أكبر مهاجرٍ ضمن هؤلاء المهاجرين المباركين هو رسولنا - صلى الله عليه وسلّم - لأن الهجرة- مثلها في ذلك مثل جميع الأمور -وصلت عنده إلى الذروة " (٢)

صحيحٌ أن الهجرة بالمعنى التاريخي في السيرة النبوية - والتي تعنى الهجرة من مكة إلى المدينة - لم يُكفَّ بها المسلمون في العصور اللاحقة ، فقد روى الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين

١- أسئلة العصر المحيرة ، فتح الله كولن ، ص ٢٦٨

٢- المرجع السابق ، ص ٢٦٩

من حديث عائشة ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، يقول صلى الله عليه وسلم: (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيةً وإذا استنفرتم فانفروا) (١)

يقول الإمام النووي في شرحه للحديث: "قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام باقية إلى يوم القيامة، وتأولوا هذا الحديث تأويلين، أحدهما: لا هجرة بعد الفتح من مكة لأنها صارت دار إسلام، فلا تتصور منها الهجرة، والثاني وهو الأصح أن معناه: أن الهجرة الفاضلة المهمة المطلوبة التي يمتاز بها أهلها امتيازاً ظاهراً انقطعت بفتح مكة، ومضت لأهلها الذين هاجروا قبل فتح مكة، لأن الإسلام قوي وعز بعد فتح مكة عزا ظاهراً بخلاف ما قبله." (٢)

لكن كولن يوجّه رجال الخدمة إلى هجرة من نوع آخر، فهي ليست الهجرة بمعنى الفرار بالدين من الفتن، ولكن بمعنى: التغرب وترك الأوطان لنشر الإسلام، وخدمة الناس في مكان من أرض الله الواسعة.

صحيح أنه لا هجرة إلى المدينة المنورة، لكنه يدعوهم لأن تصير كل مدينة يهاجرون إليها "منورة" بتعاليم الإسلام، يقول: "صحيح أنه لا توجد الآن "مدينة منورة"، يهاجر إليها، ولكن ستكون هناك مدن تحاول تقليد مثال "المدينة"، وبتعبير آخر لكي نستطيع المثل بين يدي صاحب المدينة -صلى الله عليه وسلم- علينا أن ننشئ مدناً عدة، لذا لا نستطيع أن نستخف بموقف الذين رحلوا إلى أرجاء الأرض لنشر الإسلام وهاجروا في هذا السبيل، ذلك لأنهم لم يفعلوا هذا لسبب مادي أو لمصلحة شخصية، لقد كان هدفهم هو نشر الإسلام والحصول على رضا الله -تعالى-." (٣)

إن الأستاذ فتح الله كولن صاحب فكر عالمي ينافس العولمة الغربية التي تقوم على الأثرة والاستغلال، ويسبب ما يعانيه البشر من ويلات وخاصة المسلمين، فقد استشعر كولن المسؤولية، وأعدّ تلاميذه للمساهمة في تربية العقول، وإصلاح ذات البين، وإغاثة الملهوفين، ومساعدة المحتاجين.

١- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، رقم (٢٧٨٣)، (١٥/٤)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد، رقم (١٨٦٤)، (١٤٨٨/٣)، وأخرجه الإمام الترمذي في سننه، في أبواب السير، باب ماجاء في الهجرة، رقم (١٥٨٠)، (١٤٨/٤)

٢- شرح صحيح الإمام مسلم، الإمام يحيى بن شرف النووي، تحقيق، د. وهبة الزحيلي، دار السلام، ١٩٩٦م

٣- الاستقامة في العمل والدعوة، فتح الله كولن، ص ٢٧١

: "ورغم تغرّب أبناء الخدمة عن بلدهم في مجاهل آسيا وأدغال إفريقيا ، إلا أنهم لا يشعرون بالغبية فقد علمهم أستاذهم أن الغريب ليس الذي ابتعد عن وطنه وبيته وأصدقائه وأحبائه، بل هو الذي لا يفهم الناس مبادئه العالية وتضحياته الغالية ، وقد قرر كُولَن بهذا الصدد أن "من كانت هِمَّتُه أُمَّتَه فهو وحده أُمَّة" ، ولذلك لم يجد عشرات الآلاف من وُرود تركيا غضاضةً في الانتقال إلى بلدان مليئة بالأعاصير وبالأسواق من مختلف الأصناف ."<sup>(١)</sup>

وقد عرّض الدكتور فؤاد البنا، ألواناً من الخدمات التي يقدمها تيار "الخدمة" ، في أنحاء مختلفة من العالم ، وفي كل المجالات ، فمنها :

**الخدمات التعليمية** : وأهمها المدارس التي وصلت في عام ٢٠١١م إلى حوالي ألفي مدرسة، وخاصة في وسط آسيا ومنطقة البلقان ثم أوروبا عموماً ، وبدأ الأمر ينتقل إلى الجامعات التي بدأت بالظهور في بعض البلدان، كألبانيا وأسيا الوسطى، فضلاً عن تقديم جامعات الخدمة في تركيا لمئات المنح سنوياً لطلاب من شتى بلدان العالم.

**والخدمات الإعلامية** : فهناك وسائل إعلام ظهرت في بلدان عدّة، كقنوات "أَبْرُو" في الولايات المتحدة الأمريكية، وقناة "دُنْيَا" باللغة الكردية، وقناة أخرى في شرق إفريقيا وبالتحديد في كينيا، بجانب قنوات أخرى يتم الإعداد لها بلغات عدّة ومنها اللغة العربية.

وهناك صحف ومجلات تصدر بعدد من اللغات في بلدان المهجر أو تصدر في تركيا بغير اللغة التركية وتوزع في بلدانها، كمجلة "حراء" الصادرة باللغة العربية في القاهرة ، وتوجد مجلات بعدد من اللغات الأخرى، أهمّها الإنجليزية والروسية والألمانية والفرنسية وغيرها.

**والخدمات الإغاثية** : حيث تتبع تيار الخدمة إحدى أكبر المؤسسات الإغاثية في تركيا، وهي مؤسسة "هل من مُغيث؟"، وقد خرجت من إطار المحليّة إلى العالمية قبل سنوات، وصارت بصماتها الإيجابية واضحة في كثير من الكوارث الطبيعية والحروب الأهلية.

وبدأت الخدمة العابرة للحدود والقارات بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠م، حيث بدأت الجمهوريات الإسلامية بالتحرُّر من القبضة الحديدية للشيوعيين، واتضح أن أبناءها يعانون من مشاكل جمة، مما دفع بـ"كُولَن" إلى إصدار صرخة وقيادة حملة لإغاثة "أخوة الدم والدين"، وأفتى الميسُورين بأن إنفاق المال لإغاثة المحتاجين هناك أولى من تكرار الحج والعمرة

١- انظر : عبقرية فتح الله كولن بين شواطئ الخدمة وقوارب الخدمة ، د. فؤاد البنا ، ص١٤٥ ، ١٤٦ ، بتصرف

وحضرت هذه الجمعية العالمية في إغاثة المسلمين في بلدان كثيرة، كالسودان، وإندونيسيا، وأفغانستان، وقرغيزستان، وأوزبكستان، وغيرها، إضافة إلى إغايتها لغير المسلمين، كما في زلزال اليابان وعواصف الفيليبين. (١)

## ل الأرواح التي وصلت إلى الحق بواسطة الهجرة

في كتاب له بعنوان " شدُّ الرِّحال إلى غايةٍ سامية " ، يشير فتح الله كولن إلى الهدف الأسمى من الهجرة ، وهو : إعلاء كلمة الله -تعالى- في الأرض ، ابتغاء وجهه - سبحانه - ، كما فعل الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم .

يقول : " الحقيقة أن أولئك الناس الذين تركوا منازلهم ودورهم وأوطانهم، وشدُّوا الرحال بهدف تبليغ رسالة الإسلام إلى كل أنحاء العالم هم في سبيلهم للحصول على رضا الحق تعالى بواسطة إعلاء كلمة الله ، إن نجاح هؤلاء في المناطق الجغرافية المتباينة يُعتبر مؤشراً على التأييد الإلهي ، بالرغم من أنهم لم يحصلوا على دورات في فن التعايش مع أصحاب الثقافات والآراء المختلفة في عصر العولمة ، وبهذا الاعتبار يمكن القول بأن هذه الخدمات المنجزة وافقت المراد الإلهي ؛ هؤلاء الذين ساحوا في الطرق في سبيل فكرة مثالية سامية بتواضعٍ وخجلٍ ونكرانٍ للذات، استناداً إلى أسس: العجز، والفقر، والشكر، والتفكر، والشفقة. " (٢)

وعلى أثر هذا فإن أبناء الخدمة - اليوم - منتشرون في أكثر بلدان العالم ، سواء البلدان المجاورة لتركيا جغرافياً ، أم البعيدة عنها ، البلدان الإسلامية وغير الإسلامية ، يقيمون صروح العلم ، يشيّدون المدارس ، ويبنون صروح الحوار بين مختلف الثقافات ، يواجهون بصمت محاولات التصير المستمرة في إفريقيا السوداء وغيرها من الدول الفقيرة ، ليس بالخطب الرنانة ، ولا بالهجوم اللاذع ، بل بالعمل الدؤوب دون كلل أو ملل .

١- انظر : عبقرية فتح الله كولن بين شواطئ الخدمة وقوارب الخدمة ، د. فؤاد البنا ، ص ١٥٠ - ١٥٥ ، بتصريف واختصار .

٢- شدُّ الرِّحال إلى غايةٍ سامية ، فتح الله كولن ، ص ١٧٢

## المطلب الخامس

### التفانى فى الخدمة ونكران الذات

مؤسس هذا التيار "تيار الخدمة" فتح الله كُولَن يكتفى باعتبار تلاميذه خداماً لدينهم ووطنهم وأمتهم وإخوانهم فى الإنسانية ، ولهذا عُرِفَت هذه الحركة بـ"حركة الخدمة"، وهو أكثر الأسماء تعبيراً عن مضمونه الحقيقى ، ورغم بساطة "الاسم" إلا أنه يحمل فى طياته معانٍ كبيرة ، على خلاف ما هو شائعٌ فى عصرنا هذا !! ، فـ"الأسماء" عادة ما تكون كبيرة، لكن "الأفعال" صغيرة . وهذا العنوان (الخدمة) بقدر ما فيه من معانى التواضع ، فإنه يدلّ على الجديّة الكاملة ، فالسنبلة الممثلة لا تتشمخ بأنفها إلى السماء وإنما تتحني تواضعاً بعكس السنبلة الفارغة، والإناء الفارغ أعلى صوتاً من الإناء الممتلئ.

وواضحٌ أن سَمَتى نكران الذات و التفانى فى الخدمة ، هما من المعانى التى استفادها كُولَن من اتصاله الوثيق بالصوفية، واستمدت الحركة منها الزاد الروحي.

فقد : " وصل التفانى فى "الخدمة" إلى حد "الفناء" فيها، لأنها كحركة أنكرت ذاتها، واحتقرت ما تقدّمه لأمتها، بسبب تركيزها الدائم على ما يجب أن يكون وليس على ما قد كان، أي أنهم لا يستحضرون ما فعلوا، ولكن ما يجب أن يفعلوا مما تحتاج إليه مجتمعاتهم لكي تسعد فى دنياها وتفوز فى أخراها، وكأنه بهذا يطبق ما قاله أبو سليمان الداراني: "مَنْ رَأَى لِنَفْسِهِ قِيَمَةً لَمْ يَذُقْ حَلَاوَةَ الْخِدْمَةِ" . فكأن كُولَن أقوى من استوعب هذه العبارة الصوفية وجسّدها فى حياته .<sup>(١)</sup>

فعند تفسيره لقوله تعالى: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ)<sup>(٢)</sup>، يقول فتح الله كُولَن :

" تقدم هذه الآية الكريمة للمسلم فلسفة حركية مهمة ودستورا للحياة ، أجل يجب أن يكون المؤمن فى حركة دائبة فى كل حين ، وإذا قمنا بتقييم هذه المسألة فى إطار الخدمة الإيمانية ، فإننا نرى انعكاس هذا الدستور القرآني فى حياتنا دون أن نشعر وفي السابق قام بعض الأغنياء بالتبرع للطلاب الأذكىاء من الفقراء وإسكانهم خدمةً للأمة ، وبعد مدة شعروا أنهم قد أدّوا مهمتهم وركنوا إلى الدعة وإلى مشاغل الحياة فإذا بأبواب خدماتٍ جديدةٍ وواسعةٍ تفتح أمامهم وتدعوهم لتذوق أدواق خدماتٍ جديدة ، كانت القلوب المخلصة تتساءل بقلق : أيمكن أن تنتهي هذه الأنواع من الخدمات الإيمانية؟ ألا توجد هناك ساحات أخرى وساحات أوسع؟ ، فإذا بساحات خدمات أخرى

١- عبقرية فتح الله كُولَن بين شواطئ الخدمة وقوارب الخدمة، باختصار ، د. فؤاد البنا ، ص ١٣١

٢- سورة الشرح ، الآية : ٧

وفي مناطق جغرافية أوسع تفتتح أمامهم، وإذا بهم يتدوّقون لذة أداء هذه الخدمات في سبيل الله، ويتجرّعون كؤوسها مُترعةً..<sup>(١)</sup>

وبروح التفانى في العمل ، والفناء في ذات الله ، تقدمت "الخدمة" خطوات هائلة في كل ميدان ، فلقد تفوّق أهل الخدمة في الفاعلية التي عُرِفَتْ عنهم واشتهروا بها، وذلك بسبب التوسع الأفقي والعمق الرأسي في هذه الخدمات، حيث خاضوا كل مجالات الخدمة، وجمعوا في كل مجال منها بين الإخلاص الدعوي والإتقان المهني، ولذلك تسابق الناس على الاستفادة من خدماتهم مع أن عدداً من هذه الخدمات تأخذ رسوماً مقابلها، كالخدمات التعليمية والطبية، وذلك لحضور المعنى الإيماني والروحي والذي لا يفصل أي أمر دنيوي عن الآخرة ، ولوجود الرسالة التي لا تُخرج أي خدمة من دائرة العبودية لله تعالى .

وإن الأستاذ فتح الله كولن ليرشدهم ويوجههم - على الدوام - أن يجمعوا بين روح التفانى مع عدم رؤية العمل ، بل إنه يدعوهم إلى مراقبة حديث النفس .

ف: " حديث النفس مثل : أنا فعلتُ كذا ، وقمتُ بكذا ، ليقوِّض ركناً من القاعد التي نرفعها من أجل غاية عظيمة في المستقبل وقد يحملنا على الأنانية والغرور، أجل ، لأن نكون أفراداً عاديين في هذا الأمر لهو أثنى شيءٍ عندنا ، فخيرٌ لك وأقوم أن تكون جندياً بسيطاً بباب الله دائماً. " <sup>(٢)</sup>

بل إنه يتحدث عن الإمعان في ترك حظوظ النفس وهو : محو الذات أمام الحق - سبحانه - ، ويجعل هذا المحو متناسباً تناسباً طردياً مع تحقق النجاح ، وزيادة معدّلات الإنجاز فيقول : " كلما عظم النجاح الذي تم على يديك، بالغ في نكران ذاتك، وأوغل في محو نفسك، وتذلّل أمام الله، وانكسر بين يديه، وأمعن في العبودية له ، ذلك أحرى بك كي لا تتسحق تحت أنقال أنانيتك ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يبكي صباح مساء متضرعاً ويقول: يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلّهُ ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين <sup>(٣)</sup> ، فإن اتخذت هذا الدعاء ورداً لك، لا يفارق لسانك ولا قلبك، فقد وقبت من الانسحاق تحت حوافر النفس الجموح. " <sup>(٤)</sup>

١- فتح الله كولن : أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، ص ٣٥٠

٢- الموشور ، فتح الله كولن ، ص ٣٢

٣ - أخرجه الإمام النسائي في سننه من حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - ، كتاب عمل اليوم والليلة ، باب ما يقول إذا أمسى ، حديث رقم ( ١٠٣٢٠ ) ، (٢١٢/٩) ، وأخرجه الإمام الطبراني في المعجم الأوسط ، باب مناسمه خالد ، حديث رقم (٣٥٦٥) (٤٣/٤) ، وأخرجه الإمام الحاكم في المستدرک ، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل ، رقم ( ١٨٧٥ )

(٦٨٩/١) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

٤- مقال " نكران الذات والمدد الرباني" : المقال الرئيسي ، مجلة حراء ، العدد ٢٤ ، ٢٠١١م

ومع هذه الدعوة إلى "الفناء" في الخدمة ، فهو لايفتأ يدعو إلى التفانى في العمل والأداء ، والاستمرار في العمل للدخول من عملٍ دعوىٍ إلى عملٍ دعوىٍ آخر ، فلا مجال للركون إلى الراحة وفي درسٍ متلفز له ، من ترجمة موقع مجلة حراء يقول : "لاتأتونى بشخصٍ فعل هذا الأمر العظيم ! ، وأسس هذا الصرح العظيم ! ، بل اتتوني بهذا البطل الذى رغم انه أسس "مائة" مدرسة ، لكنه لايتدكر مافعل ، ومتى فعل!! اتتوني بذلك الأسد الذى رغم أنه أخذ بيد الكثيرين ممن ضلوا طريقهم ، فساقهم إلى طريق الإنسانية الحقّه ، وارتنقى بهم إلى القيم الإنسانية الكبرى ، لكنك إن سألته عن هذا قال : لأعرف ..لأتدكر !! اتتوني بمن إذا فتح "اسطنبول" قال : لأدرى كيف حدث هذا، ليس لى من الأمر شئ ، لاتأتونى بالعجب بعمله الذى إذا عمل عملا وزنه مثقال ذرة ، يصوره كالجبل . " (١)

وقد ذكر لى أحد تلاميذ الأستاذ كولن أنه يرفض بشدة أن يقوم مع تلاميذه الذين يدرسون بين يديه بمدارسة كتاب ألقه ، ورغم إلحاحهم على ذلك مرارا إلا أنه يوجّههم إلى قراءة كتب الآخرين . (٢)

وفى إجابة على سؤالٍ وجّه إليه عن: ما هو كتابكم المثالي من بين مؤلفاتكم؟

كانت إجابته : " أستغفر الله.. لم أر أبداً أي كتاب من كتبي ذا أهمية، إلا أن الناس أحسنوا الظنّ بها وأقبلوا عليها، طوال حياتي حاولت أن أوظّف هذا الإقبال والتفاعل الإيجابي - الذي لا أستحقه أبداً - في توجيه أنظار الناس إلى الله تعالى والرسول الأعظم - صلى الله عليه وسلم - والأنبياء الكرام - عليهم السلام - والعلماء والصالحين . " (٣)

وكذلك فإن أحد أهم السمات العملية لحركة الخدمى ، والتي تعتبر أهم أسباب نجاح مؤسسات هذه الحركة هو الالتزام الناشئ عن التفانى فى العمل ونكران الذات .

: "فإن سببا رئيسيا لنجاح مؤسسات الخدمة هو التزام وتفانى الأفراد الذين يديرونها ، وسواء كان من حاورتهم (٤) أطباء أو إداريين للمستشفيات أو مديرى مدارس أو معلمين أو موظفى وكالة الإغاثة ، فقد علّقوا جميعا بأنهم لايعملون من أجل المال فحسب ، بل لأنهم يؤمنون بما يفعلون ، ونتيجة لذلك تمتد ساعات العمل ، مع ندرة الشكوى والتذمر من الوظيفة فى كل المؤسسات ، بل يشعر الأفراد بأنهم جزءٌ من أنشطة تستحق الجهد ، وممتنون لأنهم يخدمون إخوانهم . " (٥)

١- موقع مجلة حراء [www.hiramagazine.com](http://www.hiramagazine.com)

٢- لقاء للباحث مع احد أبناء الخدمة بالقاهرة ، (أ. عثمان أبقا )، فبراير ٢٠١٤م

٣- حوار مع الأستاذ فتح الله كولن : كلمات شاهدة ، ص ٤٨

٤ - الكلام للباحثة د. هيلين روز الأستاذة بجامعة هيوستن

٥ - حركة فتح الله كولن ، تحليل سوسيولوجى لحركة مدنية متجذرة فى الاسلام المعتدل ، هيلين روز ايبو ، ص١٧٧

---

## المبحث الثالث

### التربية والتعليم

### المجال الحيوى لمشروع الخدمة النهضوى

ويتكون من ثلاثة مطالب ، وهى :-

المطلب الأول : "التربية والتعليم" النشاط المركزى للخدمة

المطلب الثانى : "المدرسة" لجنة المشروع وعنصر النهوض

المطلب الثالث : ملامح النموذج المنشود من خلال دراسة ميدانية

" مدرسة صلاح الدين بالقاهرة



## المطلب الأول

### "التربية والتعليم" النشاط المركزي للخدمة

إن اهتمام تجربة فتح الله كولن بالتربية و التعليم كأولوية في مشروع الإصلاح يُنمُّ عن سعة أفق صاحبها في نظرته للإنسان ، وكذلك عن عمق فهمه لروح الإسلام .

فالإسلام هو الدين الذى بدأ الوحي فيه بقوله "اقرأ" ، قال - تعالى - ( **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)<sup>(١)</sup> ، ولم يجعل الإسلام العالم وغير العالم فى المنزلة سواء ، قال - تعالى - ( **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**)<sup>(٢)</sup> ، وقال - سبحانه - ( **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**)<sup>(٣)</sup>

وقد قال النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم " **مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ** " <sup>(٤)</sup> ، وقال - صلى الله عليه وسلم - " **عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ مَثَلْ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكُلَّ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَهَمَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ** " <sup>(٥)</sup>

فالتركيز على التربية و التعليم من أهم الدلائل الواضحة على رشد التجربة ونضجها ، وفهمها لطبيعة المرحلة التى تمر بها الأمة المسلمة ، بل والإنسانية كلها .

١- سورة القلم ، الآيات : ١ - ٥

٢- سورة الزمر ، الآية : ٩

٣- سورة المجادلة ، الآية : ١١

٤- أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن رقم (٢٦٩٩) ، (٢٠٧٤/٤) ، وأخرجه الإمام الترمذى فى سننه ، أبواب العلم ، باب فضل طلب العلم ، رقم (٢٦٤٦) (٢٨/٥) ، وقال الإمام الترمذى : هذا حديث حسن

٥- أخرجه الإمام البخاري فى صحيحه ، كتاب العلم باب فضل من علم وعمل رقم (٧٩) ، (٢٧/١) ، وأخرجه الإمام مسلم فى صحيحه كتاب الفضائل،باب بيان مثل ما بعث به النبي - صلى الله عليه وسلم - ، رقم (٢٢٨٢) ، (١٧٨٧/٤) ، وأخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، من حديث سيدنا أبى موسى الأشعري ، رقم (١٩٥٧٣) ، (٣٤٣/٢٣)

ولذلك عندما تبحث في رؤى الأستاذ فتح الله كولن في مسألة خدمة الإسلام والمسلمين، فإنك تجده يرشد - في خطبه ومواعظه كثيرا- إلى أن بناء مسجد شيء جميل، لكن بناء مدرسة شيء أحسن، و الجمع بين الاثنين أفضل.

فهو يرى أن: " أكبر مشكلة للعصر هي مسألة التربية و التعليم ، لذا فهو يتناولها في العديد من كتاباته بصورة مباشرة أو غير مباشرة، تصرّحا أو تلميحا، و يعدها أكبر مشكلة في بلده. فهو عندما يتناول مواضيع البعث والإحياء أو التجديد أو الرجوع إلى جذورنا التاريخية وبعثنا من جديد كأمة لها عالمها وقيمها الخاصة بها... إلخ، إنما يتناول في كل هذه المواضيع التي يطرقها مشكلة التربية والتعليم بشكل غير مباشر." (١)

ومن هنا كان قطاع التربية والتعليم هو القطاع الحيوي بالنسبة لـ"الخدمة" بل يمكن القول بأن التربية والتعليم هي المجال الحيوي الذي تُعرّف به "الخدمة"، ولذلك يغلب على الأستاذ فتح الله كولن صفة "رجل التربية" أو كونه مرثيا ، لأن الأستاذ فتح الله كولن صاحب نظرية تربوية تجمع بين عدة جوانب، أخلاقية وفكرية، بالإضافة إلى جوانب أخرى تطبيقية.

ويلخص فتح الله كولن فلسفته في النهضة من خلال العملية التربوية والتعليمية بقوله: " إن إصلاح أي أمة لا يكون بالقضاء على الشرور، بل بتربية الأجيال تربية صحيحة وبتثقيفها ثقافة صحيحة، ورفعها إلى مستوى الإنسانية الحق." (٢)

فالعمل الإيجابي المثمر - عنده- مقدّم على مقاومة الشر ومحاربة الباطل ، ومن المعلوم أن منظومة التنمية مرتبطة بمنظومة التعليم ، فالدول التي تبغى النهوض تستثمر اول ماتستثمر في " تعليم أبنائها " وتنشئتهم التنشئة الراشدة .

ويمكن القول بأن مجال التربية و التعليم يمثل محورية مركزية في تجربة فتح الله كولن ، كما أنه يعتبر المجال الأساسي الذي بدأت منه حركة كولن مسيرتها الإصلاحية.

ويرى بعض الباحثين أن: " أهم ما أنشأه فتح الله كولن من شبكات هي الشبكات التعليمية التي تنتشر حول العالم ، لاسيما في آسيا الوسطى وأفريقيا ودول البلقان ، فالتعليم في نظر كولن ضروري لمشروعه الإصلاحى . " (٣)

ولذلك: " كان الأستاذ كولن يخاطب النابغين من طلبته منذ بداية دعوته موجّها إياهم إلى التخصص في مجال التدريس، داعياً إلى الاتجاه إليه رغم ما تُتيحه الدرجات المتقدمة لهؤلاء

١- فتح الله كولن، جذوره الفكرية و استشرافاته الحضارية ، محمد أنس أركنة ، ص ٢٤٨

٢- الموازين أو أضواء على الطريق ، فتح الله كولن ، ص ٧٧

٣ - نحو تنوير إسلامي : حركة فتح الله كولن ، حاقان يافوز ، ص ١٢١

الطلاب من ولوج كليات القمة كالتطب والعلوم السياسية والهندسة المتقدمة ، ولعل هذا الأمر هو ما يُفسّر جزئياً المستوى العالي للمدرسين والأطر التربوية في المؤسسات التعليمية التي نشأت بتأثير من دعوة الأستاذ كولن. (١)

إن تكوين المؤسسات التعليمية هي من عوامل "الدفع" التي تمنع فساد الأرض ومن الإجراءات الوقائية لإنقاذ العالم ، هذا مايرد في خاطر الأستاذ فتح الله كولن عند تفسيره لقول الله - تعالى - :  
(وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (٢) ،  
حيث قال عند الحديث عن هذه الآية الكريمة :

" لذا كان من واجب أهل العقل والإيمان والعرفان القيام بإنقاذ العالم إن كان الفساد قد استشرى فيه فإن لم يكن العالم قد فسد بذل الجهد من أجل استمرار الصلاح إن كان هناك أي احتمال لحدوث الفساد ومجيئه، ولا يكون هذا إلا بفتح دور العلم والتربية والتنقيف ، وفتح مراكز الإرشاد والتوعية ، وتكوين المؤسسات الضرورية في هذا المجال ،... ولينزل فضل الله تعالى وكرمه على من يستطيع تنفيذ هذا، إن النجاح في تنفيذ هذا وتطبيقه سيكون وسام فخر ووسام فضيلة ، لا يُقدَّر بثمن على صدور القائمين به. " (٣)

إن تركيز فتح الله على التعليم والتربية يأتي من اقتناعه باستحالة تصوّر النهضة والبناء دون إصلاح منظومة التربية والتعليم .

وهنا قد نلاحظ فرقا جوهريا بين تجربة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي ، وبين تجربة الأستاذ فتح الله كولن باعتبار الثاني امتدادا للمشروع الفكري والتربوي الذي بدأه الأول ، حيث أن النورسي حين اعتمد على الفرد في قضية التغيير ، وجعل منه المحور الأساسي لتحقيق التغيير والإصلاح ركّز على النخبة باعتبارها وسيلته للتأثير في الجماهير ، أما فتح الله فإلى جانب اهتمامه الفائق ببناء الإنسان في حالته الفردية ، فقد ركّز على الجماهير الواسعة مباشرة ، وعلى عموم المجتمع دون وسيط .

١- مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، ورقة بحثية بعنوان : فلسفة التعليم السباحة في المجال الحيوي ، د.

سمير بودينار ، ، ص ٣٣٥

٢- سورة البقرة ، الآية : ٢٥١

٣- أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، فتح الله كولن ، ص ٩٢

## التمييز بين التربية والتعليم

يميز الأستاذ فتح الله بداية بين التربية والتعليم، فالتربية هي الإطار الكبير الذي يحتوي التعليم، لأنه كما يفهم من مضمون كلام الأستاذ فتح الله كولن لا يمكن لمهمة التعليم أن تتجح إذا لم يتم رعايتها بنظرة تربوية دقيقة، يقول وهو يشير إلى أهمية التربية في البيت والمجتمع:

" المرَبِّيات والمرَبُّون الذين لم يتعلموا على يدٍ خبيرة، ولم يتلقوا التربية من مصدرٍ موثوق يشبهون العمي الذين يحملون المصابيح لإنارة الطريق أمام الآخرين، وعدم التربية المشاهدة عند الصغار تدل على عدم صفاء النبع الذي يتلقون منه التربية. وعدم التوازن الموجود في العائلة من ناحية التصرف أو الفكر ينعكس في روح الطفل ويتضاعف هناك. ومنه يسري طبعاً إلى المجتمع." (١)

فالتعليم شيء والتربية شيء آخر، فمن الممكن أن يكون أكثر الناس معلمين، ولكن القلة فقط منهم يستطيع أن يكون مربياً.

ومن هنا نلاحظ تمييز الأستاذ فتح الله كولن في مشروعات الخدمة التربوية، بين مهمة التربية ومهمة التعليم، وذلك بجعل التربية أساساً للتعليم.. لأن التعليم مسألة تقنية، وباستطاعة كل الناس ممارسة التعليم، لكن القادرين على التربية قلّة، ولذلك كانت التربية أسبق على التعليم، لأنه إذا كان التعليم مسألة تقنيات، فإن التربية هي البوصلة، التي توجه التعليم إلى وجهته الصحيحة.

## الإنسان الجديد : هدف التربية عند فتح الله كولن

في مقارنة لها بين كونفشيوس<sup>(٢)</sup> وأفلاطون<sup>(٣)</sup> والأستاذ فتح الله كولن تبين الدكتورة الأمريكية "جِيل كارول" أن القاسم المشترك بين الثلاثة هو اشتغالهم على الإنسان. وهم من خلال بحثهم عن هذا النموذج المثالي قد ركّزوا على التعليم والتربية من أجل الوصول إلى مُبتغاهم هذا، فنقول:

" التعليم هو القاعدة العامة التي يرتكز عليها أيّ جهد لتحقيق الإنسانية الكاملة أو المثالية... إلى درجة أنهم يقولون: إنه من دون العنصر التعليمي فإن صرح النظام بأكمله سينهار، بل والأكثر من ذلك أن كلا منهم يحدد نوعاً من التعليم هو الذي سيحقق أقصى إمكانية للحصول على نوعية

١- طرق الإرشاد في الفكر والحياة، فتح الله كولن، ص ٩٢-٩٤

٢- فيلسوف صيني شهير (٥٥١ ق.م)، اهتم بإقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية في السلوك الاجتماعي والأخلاقي، ففلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية، وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لمثل أخلاقي أعلى (الخالدون مائة، مايكل هارت، ترجمة أنيس منصور، ص ٣٢)

٣- فيلسوف إغريقي (٤٢٧ ق.م)، من أشهر الفلاسفة في العالم، معلمه سقراط، وتلميذه أرسطو، وقد درس العالم فلسفة أفلاطون أكثر من ٢٣٠٠ سنة، وقد أسس في أثينا مدرسة أسماها الأكاديمية، والتي ظلت تؤدي عملها في نشر الفلسفة أكثر من تسعة قرون، وهو أول من تحدث عن الجمهورية الفاضلة، أو الدولة المثالية (الخالدون مائة، مايكل هارت، ترجمة أنيس منصور، ص ١٧١)

التهديب للشخصية الإنسانية التي يسعى إليه كل منهم باختصار ، يتفق كونفوشيوس وأفلاطون وفتح الله كولن على أن التعليم القوي الموجه هو حجر الزاوية في تنمية الإنسان المثالي الأرقى ، ومن ثم يجب صياغة الأطر الاجتماعية في الأساس حول آليات ذلك التعليم حتى يتمكن المجتمع من تكوين أعلى وأفضل زعمائه من داخله هو. " (١)

التربية التي يريدها الأستاذ فتح الله كولن والتي اجتهد وعمل من أجلها تبتغى إيجاد إنسان له شعور بالمسؤولية تجاه ذاته والآخرين ، ودليل ذلك هو استعداده للتضحية من أجل الآخرين . فإذا اعتبرنا أن التربية " صناعة " فإن "المنتج " الذي يعمل فتح الله كولن ، ومن ورائه حركة الخدمة على إخراج ، هو : الإنسان الجديد .

ويقدم الأستاذ كولن جملةً من السمات التي يئصف بها هذا "الإنسان الجديد" الذي يبشر به ويعمل على إخراجه، فهو - من وجهة نظره - إنسانٌ قادرٌ على تحمُّل أمانة الإنسانية، وعلى القيام بمسؤولياتها، وبالتالي فهو "اللبننة" الأساسية في بناء النموذج الناجح لأي مشروع .

يقول: " سيولد إنسان جديد كل الجدة، إنسان يفكر ويحاسب، ويوازن ويدقق، ويعتمد على التجربة قدر اعتماده على العقل، ويثق ويؤمن بالإلهام والوجدان قدر اهتمامه بالعقل والتجربة ؛ إنسانٌ يحاول دوما بروحه وبدنه الوصول إلى الأفضل، ويرغب في الوصول إلى الكمال والتكامل في كل شيء. إنسانٌ يسمو بالموازنة بين الدنيا والآخرة، ويوفق إلى الجمع بين عقله وقلبه فيصبح نموذجاً جديداً لا مثيل له. " (٢)

بعد ذلك يرسم الأستاذ فتح الله كولن ملامح الإنسان الجديد ، وهي السمات التي تجمع بين التوازن بين داخل الإنسان وخارجه ، وبين رابطة الانتماء والهوية لديه مع الانفتاح في التعامل مع الحياة، والقدرة على التفاعل الإيجابي مع مقتضيات العصر ومُنجزاته لصالح الإنسان.. مطلق الإنسان .

## ل التربية الشمولية

إذا كانت الصفة الأبرز في الأستاذ فتح الله كولن أنه "مربّي" ، فهل يمكن أن نُطلق على حركة الخدمة أنها "حركة تربوية"؟

المتأمل في نشاط الحركة حتى مالا يتصل منها اتصالا مباشرا بالتربية والتعليم ، يلحظ أن الحركة في مجمل أهدافها ووسائلها ، حركة " تربوية" ، تنطلق من التأثير المباشر في "الإنسان" من أجل غرس القيم ، وتحويل الكلام إلى عمل .

١- محاورات حضارية بين كولن وفلاسفة الفكر الإنساني ، د.جيل كارول، ص١٠٦ ، ط١ ، دار النيل ٢٠١١م

٢- الإنسان الجديد، فتح الله كولن، المقال الرئيس مجلة حراء العدد: ١١، لسنة ٢٠٠٨م

ذلك أن : " حجر الزاوية فى حركة الخدمة هو المدارس ، وفى هذه المدارس تتجلى ثمار أفكار كولن التربوية ، وهدفها هو: خلق أجيال قادرة على المنافسة العلمية ، أجيال من المؤمنين المخلصين والمواطنين الأوفياء . " (١)

أما عن مفهوم التربية الشمولية من وجهة نظر كولن ، فإن فتح الله كولن ينطلق من أن شخصية الإنسان تتكون من العناصر الجسمية والعقلية والروحية ، ويجب أن تتحقق كافة الإمكانيات الإنسانية بشكل متوازن ، وهو يعتقد أن هذا التوازن فى "النمو" سوف يتم من خلال التربية الشاملة لهذه الجوانب معا .

حيث يرى كولن أن التربية الشمولية تعد بمثابة حجر الأساس لتنشئة "الجيل الذهبي" على حد قوله ويعبر عن فكرته هذه بـ"تكامّل القلب والعقل" ، ومن الممكن أن نرى تأكيد كولن على الشمولية فى تربية الإنسان والأهمية التي أعطاها للبعد الروحي فى التربية بصفة خاصة ، حيث يعرف التربية كالتالى:

" إن التربية تحد من التأثير الطاغي لهذه النوعية من الأحاسيس التي استقرت بالطبيعة البشرية لتحقيق مقاصد وأهداف معينة، وتكشف الطرق الموصلة إلى الكمال أمام هذه الأحاسيس التي تبدو وكأنها ضارة، وذلك بتوجيهها إلى كل ما هو جميل وطيب، وتعمل على تقوية شعور الفضيلة وقوة الإرادة والقدرة على التفكير ، وحب الحرية لدى الفرد ، حب الحرية يعنى العبودية لله. " (٢)

وهو بهذا يوضح ضرورة الجمع بين الروح والقلب والأشياء المحسوسة فى التربية ويدافع عن ضرورة أن يكون كل شيء يتم تعلمه أو تعليمه مكملاً للشخصية الإنسانية وضرورة إقامة علاقة بين العالم الداخلي للإنسان والأشياء والأحداث.

ولذا فإن كولن ينتقد العلم الذي لا يخدم المقصد التربوي وهو العلم الذي يزيد معلومات الإنسان فحسب .

فحين يقود العلم صاحبه إلى اكتشاف ذاته ، وعلاقته بالكون الذى يعيش فيه ، حينها سيكون العلم خطوة فى تربية شمولية ، وليس عائقاً لها ، ولن يتحول العلم إلى مجرد سباق فى الحفظ والتلقين .

" بدلاً من تعلم المعلومات التي يمكن أن تجعل الإنسان مولعاً بالعلم وحسب ، يجب أن يتعلق القلب بالأشياء التي تؤدي إلى التكامل مع الكون ، هذا الأمر هو المرحلة الأولى للتفكير، هو العلامة الأكثر قوة على روح التعليم وجديته ، إن انتظام الانسان فى سلك العلم بحصوله على

١ - حركة فتح الله كولن : تحليل سوسيلوجى لحركة مدنية متجذرة فى الاسلام المعتدل ، هيلين روزايبو ، ص ١٦٤

٢- مؤتمر " مستقبل الإصلاح فى العالم الإسلامى أ.د. رجب قايماقجان - عضو هيئة التدريس بجامعة سقاريا، كلية الإلهيات ، تركيا ، ص ٣٥٣ ، بحث بعنوان : مفهوم التربية الشمولية لكولن وانعكاسه على المدارس .

هذه الضمانات سيحميه من سباق الحفظ والذاكرة، ويحميه من الهديان والانشغال بالقشور التي سقطت فيها المادية . " (١)

## ل مدارس حركة الخدمة والتربية الشمولية

لم تكن هذه التربية الشمولية مجرد رؤية أو نظرية، بل كانت مسلكا تربويا شرعت فيه مدارس الخدمة ، فقد تأثرت هذه المدارس بفكرة كولن فى إعداد ما أسماه " الجيل الذهبى " ، والذي جعل قوامه : " من حصلوا العلوم الطبيعية والدينية فاستطاعوا حل تناقضات الحياة فى المجتمعات المعاصرة دون التخلّى عن إيمانهم بدينهم ، وعلى هذا الجيل الذهبى تقع مهمة نشر القيم الأخلاقية الإنسانية المتوافقة مع روح الإسلام أصلا ، " (٢)

وفتح الله كولن هو الملهم لحركة الخدمة ، التى تعتبر "التربية" العنصر الرئيس لخدماتها فقد بدأ كولن فى ثمانينيات القرن الماضى فتح المدارس الخاصة ومعاهد الدروس الخاصة فى تركيا. واليوم تدير حركة الخدمة معاهد للدروس الخاصة ومدارس خاصة فى مرحلة التعليم الابتدائي والإعدادي تتجاوز أعدادها المئات.

يوجد اليوم المدارس الخاصة التى يُطلق عليها "المدارس التركية" والمفتوحة من قبل حركة كولن فيما يزيد عن ١٦٠ دولة فى العالم ، ومن المؤكد أن المفهوم التربوي والانسانى لدى كولن الذى يُعدُّ : مهندس الحركة ، له تأثير داخل برنامج المفاهيم التربوية لهذه المدارس.

: "ومن المعروف أن حركة الخدمة لا تستهدف الحصول على الربح فقط بالمعنى الاقتصادي المعروف من وراء فتح المدارس ، لذلك تعتبر المدارس وسيلة فى تنشئة أجيال أُضيئت عقولهم بالعلوم الطبيعية، وقلوبهم بالعلوم الدينية، والذين زودوا بالإيمان الكامل والحب والأخلاق وروح البحث." (٣)

فى هذا السياق : كيف سيتم تحقيق هذا الهدف فى السياق التربوي الحديث بواسطة المدارس المنشأة فى إطاره؟

بمعنى : ماهو الفارق الجوهرى بين هذه المدارس ومثيلاتها من المدارس الأخرى؟ فى الورقة المقدمة إلى مؤتمر "مستقبل الإصلاح فى العالم الإسلامى : خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية " ، والمنعقد فى القاهرة بمقر جامعة الدول العربية ٢٠٠٩م ، وفى الإجابة على هذه

١- مؤتمر " مستقبل الإصلاح فى العالم الإسلامى ، أ.د. رجب قايماقجان ، ص ٣٥٤

- نحو تنوير إسلامى : حركة فتح الله كولن ، حاقان يافوز ، ص ١٢١

٣- مؤتمر " مستقبل الإصلاح فى العالم الإسلامى ، د. رجب قايماقجان: مفهوم التربية الشمولية لكولن وانعكاسه على

التساؤلات ، يشير الدكتور/ رجب قايماقجان إلى أنه لا يوجد فرق بين المدارس الأخرى ومدارس حركة الخدمة في محتوى ومواد المناهج الدراسية الرسمية التي تنشُد الحركة فيها تحقيق التكامل بين العقل والقلب.

بمعنى أن هذه المدارس تحاكي المدارس الخاصة التي تتبع برنامج التعليم في المدارس الموجودة في تركيا أو في أي دولة في العالم. وبعبارة أخرى، فإن هذه المدارس لا تُطبَّق دروساً وبرامج منفصلة تحمل مواصفات دينية وأخلاقية تُدرَّس فيها ما هو معنوي.

لكن هذه المدارس التي أنشئت في إطار المدرسة الحديثة قد احتلت الصدارة بالنجاح الذي أظهرته أكاديمياً ، وقد يكون السبب الأساسي في توجيه الناس أبناءهم إلى هذه المدارس هو نجاح هذه المدارس من الناحية الأكاديمية.

أما السبب الآخر فيمكن في "التربية الشمولية" التي تتمركز حول القيم الإنسانية الأساسية . ولكن يبقى التساؤل مطروحاً: كيف يتحقق تعليم يهدف إلى تحقيق التكامل بين العقل والقلب تحت مظلة حديثة تحمل صبغة مدنية خالصة ؟ أما الإجابة على هذا السؤال باختصار فهي: **تربية القيم التي تتحقق من خلال البرنامج الضمني الموجود داخل ثقافة المدرسة.** (١)

### ج) غرس القيم في العملية التربوية

توجد تعريفات وآراء مختلفة في موضوع "القيم" في العلوم الاجتماعية، ومن التعريفات التي ذكرها أحد الباحثين في التربية ، وتتسق مع " مفهوم القيم " في العملية التربوية ، من منطلق إسلامي : تعريف " القيم " بأنها : " مجموعة المعايير والفضائل التي جاء بها الإسلام كمنهج رباني لتربية الإنسان، وتحقيق سيادته على الأرض، وقد آمن بها عن اقتناع واختيار، حتى أصبحت محل اعتزاز من جانبه، ومن ثمَّ صارت موجَّهات لسلوكه، ومرجعاً لأحكامه، في كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال تنظم علاقته بالله، وبالكون وبالمجتمع وبالإنسانية جمعاء . " (٢)

ويحدد الباحث وسائل تربوية لنقل القيم وغرسها في "الطلاب" ، فيذكر من هذه الوسائل :

ج) **القدوة الحسنة:** فلا بد للقيمة التربوية من سلوك عملي ممارس يحاكيه التلميذ.

١- مؤتمر " مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، د. رجب قايماقجان: مفهوم التربية الشمولية لكون وانعكاسه على المدارس ، ص ٣٦٦

٢- دراسة بعنوان : " تنمية بعض القيم التربوية لتلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي في مصر في ضوء خبرة اليابان "، ص ٤٦ ، وهي رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث محمد رأفت الجارحي، ( كلية التربية - جامعة الزقازيق ٢٠٠٧ م )



الممارسة العملية للمواقف: فلا بد من تقديم "القيم" للتلاميذ من خلال مواقف تعليمية يمارس فيها التلاميذ أساليب المعاملات السليمة، وقواعد السلوك الأخلاقي

ممارسة التعلم التعاوني: مما يساعد التلميذ على اكتساب قيمة التعاون معاشته لمواقف جماعية وتدرجه على ممارسة المشاركة فيها. (١)

مما سبق يتبين لنا المحورية التي يمثلها "المعلم" في العملية التعليمية عامة والتربوية على وجه الخصوص ، فإن أهم وظائف "المعلم" هو نقل القيم الإنسانية والأخلاقية للأجيال القادمة ، وهذا يفسر لنا مدى اهتمام الأستاذ فتح الله كولن بهذا العنصر الفعال : "المعلم" وهنا نعود إلى الإجابة على السؤال الخاص بـ"التربية الشمولية" ، وغرس القيم في مدارس الخدمة. يقول د. رجب قايماقجان : "أعتقد أن جواب هذا يكمن في ثقافة المدرسة. يمكن أن يقال إن القيادة والسلوك النموذجي للمدرسين في الأنشطة داخل الدرس وخارجه لها دور مهم ، وبتعبير آخر فإن المعلمين هم عامل النجاح الأهم في قيام المدارس بتدريس القيم التي تحقق البعد المعنوي أو الروحي للتربية الشمولية ، فإن المعلم في التربية والتعليم هو عنصر النجاح الحاسم في نجاحها من كافة الزوايا. ومدارس كولن في وضع المدارس الخاصة. لذلك يحق لها اختيار معلميه. لذلك فإن أعظم الفروق التي تراعيها هذه المدارس عند اختيار معلميه هو توظيف هذا الطراز من المعلمين الناجحين في تخصصاتهم، والذين يهتمون بتربية الإنسان شموليا ."(٢)

في هذا الشأن يتبادر إلى الذهن السؤال التالي: أين ينشأ المعلم الذي سيتبع هذا المنهج الشمولي في التعليم؟

هنا تكمن أهمية العلاقة بين "حركة الخدمة" وبين "المدارس" ، فمعظم هؤلاء المعلمين قد : "تخرج في مؤسسات التعليم العالي التي تُدرَّب المعلمين في تركيا. إضافة إلى أن الطابع الأساسي لحركة كولن يركز على التعليم، في البداية يتم توجيه الطلاب الموهوبين المتصلين بالخدمة إلى أقسام التربية بالجامعة. وتبذل كثير من الجهود لاتاحة الفرصة أمام هؤلاء المرشحين لأن يكونوا معلمين حتى يعلموا ويتعلموا القيم التربوية سواء في الحياة التعليمية في الجامعة أو ما بعدها." (٣)

١- تنمية بعض القيم التربوية لتلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسي في مصر في ضوء خبرة اليابان وهي رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث محمد رأفت الجارحي، ص ١٠٤ - ١٠٧

٢- مؤتمر " مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، د. رجب قايماقجان: مفهوم التربية الشمولية لكولن وانعكاسه على المدارس ، ص ٣٦٧

٣- مؤتمر " مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، أ.د. رجب قايماقجان: مفهوم التربية الشمولية لكولن وانعكاسه على المدارس ، ص ٣٦٧

ولذلك فإن الأستاذ كولن يُحمّل المعلمين رسالة خاصة فى تربية الجيل الجديد وتأهيله : " فيصف نشاطهم التدريسي بأنه صنو الرسالة الدينية ، وقد وجّه دعوته إلى أفضل العقول للمشاركة فى إعداد الجيل الذهبى ، ويرى كولن أن المعلمين ينهضون بأسمى جوانب الخدمة ، ويصف المدارس بـ " الفضاءات المقدّسة" ، والمعلمين بأنهم " أولياء الله " . " (١)

ولوجود هذا العنصر الفعال فى العملية التربوية والتعليمية ، استطاعت حركة الخدمة أن تتنوّع من أنشطتها التربوية والتعليمية ، فهناك إلى جانب المدرسة مايسمى : بيوت الطلبة ، ومراكز الإعداد قبل الجامعى ، قاعات المطالعة ، والمنارات أو الدرسخانة ، وغيرها من المناشط التى تعتمد بشكل أساسى على وجود عنصر المعلم صاحب الرسالة فى المقام الأول .

بل إن هناك بعض هذه المرافق تقوم أساسا على مدرسين من أبناء الخدمة يتطوّعون بساعات إضافية لتعليم أبناء المناطق الفقيرة ، فيما يسمى : قاعات أو صالات المطالعة .

وهى : " دروس تقوية مجانية فى كل المواد التى يدرسونها فى مدارس الدولة، بواقع ساعتين لكل مادة، إضافة إلى ساعتين للتوعية السلوكية والأخلاقية ، وتعطى الكتب الخارجية والملازم التعليمية وكل ما يلزم من أدوات دراسية مجاناً ، وكثيرا ما يمكن لأبناء الخدمة توفير قاعات مخصصة للمذاكرة والتحصيل ، يقيم فيه بعض الطلاب طوال أيام الأسبوع تحت إشراف واحد من هؤلاء المتطوعين، أو من بعض الطلاب الأكبر منهم سنا فى المرحلتين الثانوية أو الجامعية. ولا يعودون إلى منازلهم إلا فى عطلة نهاية الأسبوع . " (٢)

إن الأستاذ فتح الله كولن يدعو إلى تقديم النموذج ، ويدعو إلى امتثال مبادئ الإسلام بالأفعال قبل الأقوال ، فهو دائما مايناشد هذا الجيش من المتطوعين ألا يكتفوا بالحديث عن الاسلام ، بل بتقديم النموذج العملى وإعطاء القدوة العملية .

وفى هذا السياق ، فإن : " المعلمين فى مدارس الخدمة لايمارسون الدعوة القولية - لاسيما فى حالة وجود قيود - وإنما يقدمون نموذج السلوك القويم ، وينتقلون من الشرح إلى السلوك واستحضار الاسلام عن طريق السلوك من شأنه أن يستحوذ على مشاعر الطلاب ، ولذلك فإن التمثيل أى التعليم بالقدوة هو أهم أدوات حركة كولن التعليمية . " (٣)

١ - نحو تنوير إسلامى : حركة فتح الله كولن ، حاقان يافوز ، ص ١٢١

٢ - شمعنة تضىء ظلام الفقر الحالك ، أ . صابر عبد الفتاح المشرفى ، مجلة حراء ، العدد ٤٥ ، فبراير ٢٠١٥ م

- نحو تنوير إسلامى : حركة فتح الله كولن ، حاقان يافوز ، ص ١٤٥

## المطلب الثاني

### "المدرسة" لبنة المشروع وعنصر النهوض

كانت المدرسة حاضرة في كل مراحل تكوين الخدمة، وقد أشرنا في البحث السابق إلى طرفٍ من هذا، وهنا لا نعنَى: "المدرسة" بمفهومها المادي فقط، الذي هو بناء وفصل دراسي!، ولكن نقصد المدرسة بمفهومها العام والمعنوي. فالمدرسة بمفهومها المعنوي أو المؤسسي ظلت هي الفكرة القوية الذي تتمحور حولها "الخدمة".

#### ﴿ مفهوم المدرسة عند فتح الله كولن ﴾

لقد كانت فكرة "المدرسة"، هو الحلم الذي ظل يراود الأستاذ بديع الزمان النورسي فقد عاش بديع الزمان على أمل أن يُقنع من يستطيع إنشاء مدرسة أطلق عليها اسم "مدرسة الزهراء" حيث تجمع بين العلوم الشرعية والعلوم العقلية لكي تكون دليلاً على أن لا تعارض بينهما بل يكملان بعضهما البعض.

وقد استفاد الأستاذ فتح الله كولن من انتقادات الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي لـ "المدرسة" في شكلها: التقليدي والأوروبي، حيث انتقد النورسي الخلل الخطير الذي أصاب المدرسة في شكلها التقليدي، وكذلك انتقد شكلها الأوربي الحديث، حين لاحظ أن المدرسة التقليدية عاجزة بما تقدمه عن أن تكون مدرسة للعصر الذي نعيش فيه، وأما المدرسة الحديثة بسبب حصر نظرتها في المعرفة مقطوعة الصلة عن النظرة الدينية، فهي غير قادرة على أن تقدم النموذج القادر على البناء والتشييد.

إن النظرية التي تؤسس لفلسفة تجربة فتح الله كولن في التربية والتعليم نظرية تعتمد على مبدأ الجمع بين الروح والمادة، والعقل والإيمان، والأخلاق والعلم، والدنيا والآخرة.

#### ﴿ إشكالية المدرسة المدنية والمدرسة الدينية ﴾

لاشك أن الأستاذ فتح الله كولن كان يدرك أن المشكلة المركزية في وطنه تركيا وفي العالم الإسلامي هي مشكلة التربية والتعليم، لذا فقد رأى الأستاذ فتح الله أن المدرسة التقليدية، التي تدرس العلوم الدينية: "عاجزة عن تقديم هذه العلوم وفق نمط يبيث فيها الحياة ويبعث الحياة فيمن تلقاها، نظراً لوجود هُوة عميقة بين ما تقدمه هذه المدرسة التقليدية وبين التحولات التي كان الواقع الاجتماعي قد دخل فيها، ولم يكن بمقدور المتخرج من هذه المدارس مواجهة تحديات الواقع." (1)

وبذلك يكون أهم انتقاد وجَّه الأستاذ للمدرسة التقليدية هو أنها أغلقت أبوابها أمام العلوم الطبيعية ، رغم كونها عنصراً حتمياً في تكميل أبعاد العلوم الشرعية والعلوم الدينية ، وهو نفس الانتقاد الذي وجَّهه الأستاذ للإمام محمد عبده لطرق التدريس التي كانت متبَّعة في الأزهر الشريف في حينه .

أما انتقاده للمدارس المدنية ، فكان من حيث أنها : " تسلط الضوء بإفراط على العلوم الطبيعية والعقلية ، وتستبعد كل ما هو معنوي ، ومن هنا ، فهي تؤدي إلى انفصال القلب والعقل والمادة والروح . " (١)

وإذا كان كولن يرحب المدرسة المدنية كمؤسسة تعليمية ، لكنه إذ يفعل هذا يحمل المدرسة المدنية معنى مختلفاً عما هو موجود ، وقد عرض د. رجب قايماقجان آراء كولن حول هذه القضية المتعلقة بالمعنى الذي يحمله للمدرسة المدنية : " هدف المدرسة المدنية النموذجية، هو العمل على أن يحصل من يترددون عليها على مؤهلات عالية يتفوقون بها على جميع الأمم مادياً وروحياً، وأن تعرض لهم السبل الكفيلة ببناء حضارة تفوق الحضارات ، كما هو الحال فيما مضى . " (٢)

إن كولن ينتقد التعليم الحديث الآلي الذي يهمل تكامل القلب والعقل في التعليم ، لأن من شأن هذا النوع من التعليم أن يخرج آلات تعمل بشكل آلي ، أما شأن البشر فينبغي أن يكون مختلفاً . ولأن "فتح الله كولن" في الأساس :واعظ وعالم دين ، وهو ابن للمدرسة الدينية التقليدية ، فقد أثار دخوله وتلاميذه مجال "التعليم" ، استياء العديد من الأوساط التي كان في معظمها يغلب عليها الطابع العلماني ، لاسيما وقضية التعليم والثقافة هذه ظلت وفقاً على " العلمانيين" في تركيا وفي غيرها من دول العالم الإسلامي .

: " فقد كانوا يسألون أنفسهم بغيظ : مالذي دعا هذا الرجل وهو عالم دين وخريج مدرسة دينية إلى ولوج ساحة صعبة ومتعبة وذات نفس طويل مثل ساحة التعليم !!؟ مالذي يجعل رجلاً مثله يتعرض يومياً لأزمات قلبية وأزمات مرض السكر إلى ولوج هذا الطريق الطويل المتعب ؟ ... إذا كانت مهمته هي الوعظ فليعمل في ساحة الوعظ! وليترك ساحة التعليم إلى المختصين فيها من العلمانيين !! " (٣)

١- مؤتمر " مستقبل الإصلاح "خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية ، ص ٣٥٧

٢- المرجع السابق ، ص ٣٥٨

٣- فتح الله كولن " جذوره الفكرية واستشرافاته الحضارية، محمد أنس أركنة ، ص ٢٩١

هذه الأسئلة ظلت تدور في الأوساط العلمانية ووسائل الإعلام ، ومن الواضح أنه ليس سؤال من يريد معرفة الجواب ، وإنما سؤال من يستتكر ويستهجّن أن يعمل رجلٌ "متدين" في هذا المجال الحيوى .

مالذى فعله فتح الله كولن إذن ليُخرج "ساحة التعليم" من قبضة العلمانيين ، وليلمزج في آنٍ واحد بين المدرستين :الدينية والمدنية ؟

الذى فعله كولن هو أنه أخرج قضية التعليم من دهااليز "النخبة" إلى ميدان "ال جماهير" وبتعبير أنس أركنة : " لم تكن الجماهير الواسعة تشغل أى مكان في المشاريع الاجتماعية والثقافية والسياسية لهؤلاء المثقفين والساسة ، فهم ينظرون إلى المجتمع على أنه عبارة عن جماهير جاهلة لادور لها سوى تطبيق الأوامر الآتية لهم من فوق !! ، وماقام به فتح الله كولن هو هدم هذه النظرة ، فقد كانت لديه قناعة أن هذا الشعب قادرٌ بهمته وشهامته على الاشتراك في حل أهم مشاكل البلد ، وأنه يستطيع الاستعانة به في حل هذه المعضلة ، لذا كانت تجربته هذه فريدةً في بابها ."<sup>(1)</sup> إذن فقد جعل فتح الله كولن قضية "التعليم" قضية جماهيرية بعد أن كانت قضية "نخبوية" وتناولها في ساحة الوعظ ، ليرفع مستوى الجماهير إلى هموم الأمة ، ومحاولة حل مشكلاتها .

### ل مؤسسة المدرسة من النظرية إلى التطبيق

أهم ما يميز الأستاذ فتح الله كولن باعتباره رجل تربية وباعتباره معلما ومدرسا مارس ولا يزال يمارس مهمة "التدريس" حتى يومنا هذا ، هو أنه : جمع بين النظرية والتطبيق، وربط النقد بإعادة البناء، لأنه يرى أن الهدم الذى لايقود إلى البناء ليس إلا تخريبا .

ولذلك حث رجال الخدمة والمؤمنين بفكره بضرورة الإقدام على فتح المدارس ،وفق المناهج التي تحددها الدولة والجهات الرسمية المشرفة على قطاع التعليم، لكن على أساس الرؤية التي عمل الأستاذ على مدى أكثر من ثلاثة عقود على إيجاد القاعدة الفكرية والبشرية المؤهّلة لكي تقوم المدرسة بدورها.

هذه هى علاقة الأستاذ فتح الله كولن بالمدارس المنتشرة الآن في تركيا وخارجها ، علاقة الرؤية والإلهام ، حيث يؤكد الأستاذ فتح الله أنه لا علاقة عضوية تربطه بالمدارس .

ف: " ما يسمّى اليوم اصطلاحا بـ"مدارس فتح الله كولن" ، ليست على علاقة مباشرة بالأستاذ فتح الله كولن، إلا فيما يتعلق بالفكرة والرؤية التي أفتنت مجموعة من رجال الأعمال بجدوى الاستثمار في مجال التربية والاستثمار المراد هنا هو الاستثمار في الإنسان الذي سيصير عنصرا إيجابيا لذاته

ولوطنه وللإنسانية كلها دون إهمال جانب الربح والاستفادة الاقتصادية، علماً بأن الاستفادة الاقتصادية في مؤسسات الخدمة ليس هو الهدف الأساسي .<sup>(١)</sup>

أما عن علاقة هذه المدارس بعضها ببعض ، وعما إذا كان هناك إطارٌ يجمع كل هذه المؤسسات، سواء تلك التي في تركيا أو التي توجد خارج تركيا.. ؟

هذه المدارس ليس فروعاً من مجموعة واحدة ، بل هي الأصل مجموعات، وكل مجموعة منها تابعة عضوياً لشركة من الشركات التي تنشط في مجال التربية.. بمعنى أن كل مؤسسة تتمتع بالاستقلال المادي وتُدير أمورها باستقلالية تامة. يضاف إلى ذلك أن ما تحصله أو تحققه هذه المؤسسات من أرباح يتم استثماره داخل الشركة نفسها ويوظف في الغالب في تطوير أداء المؤسسة وفي بناء مدارس أخرى في تركيا أو في الخارج.<sup>(٢)</sup>

"وفي هذا يمكن أن نقف على مجموعة من الشركات التي أنشأت في الغالب أقساماً إعدادية، ففي إسطنبول اشتهرت مجموعة فيم (FEM) ومجموعة أنافن (ANAFEN)، ومجموعة الفاتح (FAT H)، ومجموعة جوشكون (CO KUN)؛ وفي محافظة إزمير اشتهرت كورفز (KORFEZ) ويامانلر (YAMANLAR)، وفي أنقرة العاصمة اشتهرت مالتبّه (MALTEPE) سامانيولو (SAMANYOLU)... وتفتح كل مؤسسة من هذه المؤسسات مدارس لها أو فروعاً في أكبر المدن التركية، وتحظى هذه المؤسسات باحترام كبير لدى العائلات نظراً لجودة التعليم ، ونظراً للعناية التي تجدها من الأطر التربوية." <sup>(٣)</sup>

---

١- أشواق النهضة والانبعث، محمد جكيب ، صد٣٠٧، نقلاً عن : Understanding FETHELLAH Gulen.

Journalist and writers Foundation

٢- من لقاء للباحث مع إدارة مدرسة صلاح الدين ، بالقاهرة ، مارس ٢٠١٥م

٣- أشواق النهضة والانبعث، محمد جكيب ، صد٣٠٧، نقلاً عن : Understanding FETHELLAH Gulen.

Journalist and writers Foundation

## المطلب الثالث

# ملامح النموذج المنشود من خلال دراسة ميدانية

## " مدرسة صلاح الدين بالقاهرة "

إن الهدف الأساسي من هذا البحث هو : تقديم نموذج نهضوى يحمل " البذور " الحضارية للإسلام وينطلق بها إلى الآفاق ، نموذج ليس مقدسا بطبيعة الحال ، وبه من أوجه القصور كما به من أوجه الكمال ، فهذه طبيعة الأفكار البشرية والأعمال البشرية . ذلك ان انطلاق التجربة من الإسلام لايعطيها "العصمة " ، أو القداسة ، فالإسلام حقيقةً مطلقة ، لكن فهمنا للإسلام، وتطبيقنا له ليس حقيقة مطلقة .

إذن فإننا فى هذا البحث عموما ، وفى هذا المبحث الخاص بالتعليم ، لانعرض النموذج المنشود على أنه النموذج الكامل ، ولكنه نموذج بشرى، حاول من خلال العمل والبذل والتضحية أن يقدم للأمة نموذجا ، يحول فيه الفكرة إلى واقعٍ حىٍّ ، فإن رأيت الأمة فيه الخير ، وسَّعت من مساحته وعظَّمت من نتائجه ، وإن رأيت فيه انحرافا أو اعوجاجا فالباب مفتوحٌ لتصحيح المسار ، وتقويم التجربة .

## ملامح النموذج المنشود

ويمكن رصد بعض ملامح هذا النموذج المنشود فى إطار تجربة "التربية والتعليم" كأحد أهم أنشطة "الخدمة " ، وأوسعها أثراً ، فالفكرة التي تنطلق منها المدرسة وفق هذا النموذج يمكن اختصارها فى سمات ثلاث:-

- 1- مدرسة ذات منهج فكري وعلمي ونظرة إلى مختلف العلوم من منظور القرآن والسنة، بنظرة تواكب العصر وتنطلق منه؛" وهو أمر يتجلى كأوضح ما يكون فى النشاط التربوي والتعليمي داخل تلك المدارس، والذي يزوج بين تكوين العقل وتربية القلب، أي بُعدي العلم والخلق فى مسارين متوازيين، لا أحد هذين الجانبين على حساب الآخر، وتقديم نظام تربوي يقدمهما معاً فى تعليم يغدِّي الفكر، ممزوجاً بتربية تقوم السلوك تكون الكلمة العليا فيها للنموذج الصالح، أي التربية بالقُدوة وألسان الحال ."<sup>(1)</sup>

١- مؤتمر " مستقبل الإصلاح فى العالم الإسلامى " خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية " د. سمير بودينار ،

١- نظام تربوي يراعي ما يسميه الأستاذ كولن بالأوامر الشرعية والأوامر الكونية ، ويتجنب الصدام بين العلم والدين أو التناقض المفعل بينهما، المتأثر بالتجربة المريرة من الصراع بين البعدين باعتبارهما مجالين مختلفين وذلك في تجربة الغرب الحديث حيث يقول كولن : "إن فلسفة العلم في أوروبا ، قد أوقعت الغرب كله في صراع دائم بين العلم والدين ، فخلف ذلك انفصلاً بين العقل والقلب " (١) فالتآلف بين العلوم التجريبية والعلوم الشرعية هو - عنده - روح الحضارة الإسلامية والإنسانية .

٢- الأولوية في نجاح المشروع التعليمي ليست للإنجاز الفردي بل للإنجاز المؤسسي حيث يكون : " غياب الذوات الفردية إلى أبعد الحدود، ويُعدُّ التوفيق والنجاح نجاحاً وتوفيقاً جماعياً أو ما يطلق عليه كولن : الشخصية المعنوية." (٢)

بهذه السمات أصبحت شبكة المدارس الواسعة التي أنشأها طلاب الأستاذ كولن في مختلف أنحاء العالم تحقق نتائج عالية على المستويات التربوية والتعليمية ، وتبعاً لذلك : " أصبحت السمعة العلمية لبعض هذه المؤسسات تضاهي في سمعتها الأكاديمية بعضاً من أعرق المؤسسات التعليمية في العالم ، وإذا كان هذا الأمر مفهوماً في بعض الدول النامية من العالم الثالث (٣) ، نتيجة لحمل خبرات في التعليم من مختلف دول العالم إلى البلد، فإن الأمر لم يختلف كثيراً في دول معروفة بسعة تجربتها في مجال التعليم بما في ذلك تركيا نفسها، المعروفة بجودة بعض مؤسسات التعليم فيها بشكل عام." (٤)

وقد افتتحت في مصر أول مدرسة دولية على طراز مدارس الخدمة الدولية في عام ٢٠٠٩م ، في التجمع الخامس بالقاهرة الجديدة ، وفي عام ٢٠١١م تم افتتاح مدرسة أخرى في " بنى سويف " ( مدرسة خاصة لغات) ، وفي العام ٢٠١٤م تم افتتاح مدرسة ثالثة (دولية) بمدينة الإسكندرية .

١- الخصوصيات الأساسية للفكر الإسلامي، فتح الله كولن ، مجلة حراء ، العدد: ١٦

٢- مؤتمر " مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي " خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية " ، د. سمير بودينار ، ص ٣٤١ ،

٣- تم في سنة ٢٠٠٧ م فتح مدرسة في ليبيريا ( أحد دول غرب إفريقيا ) ، وفي السنة التالية لإنشائها حازت على المركز الأول ( من تقرير د. سمير بودينار حول التعليم في مؤتمر القاهرة ، ص ٣٤٠ )

٤- المصدر السابق ، ص ٣٤٥



## مدرسة "صلاح الدين" الدولية بالقاهرة

وقد زُرْتُ أول مدرسة أُنشئت في مصر ، تابعة " فكريا " لـ "حركة " الخدمة " ، والمدرسة هي أحد المدارس الدولية في القاهرة ، ومن الجدير بالذكر أن المدارس في مصر تكون :-  
إما تابعة للحكومة: وهي تشمل المدارس العامة والمدارس التجريبية ، وتكون الدراسة فيها مجانية وتخضع لوزارة التربية والتعليم المصرية من حيث الإدارة والإشراف .

أو مدارس خاصة : وهي مدارس أهلية خاصة انتشرت في مصر نتيجة تكديس المدارس الحكومية بأعداد التلاميذ ، ومنها ماتم الدراسة فيها باللغة العربية ، ومنها ماتم الدراسة فيه باللغة الإنجليزية غالبا (لغات ) .، وهذه المدارس تكون بمصاريف تبعا لمستوى المدرسة وجودة الدراسة بها والحي الذي تقع فيه .، وتُدار هذه المدارس من قِبَل أصحابها ، تحت إشراف وزارة التربية والتعليم .

أو مدارس دولية ( international ) : وهي مدارس ذات مستوى خاص من التجهيزات ، باهظة التكاليف ، تخضع لاشتراطات دولية من حيث المواصفات الفنية ، وهي وإن كانت تخضع لإشراف وزارة التربية والتعليم ، إلا أنها تعتمد علي المناهج الأجنبية في طريقة وضع الدروس و المواد و اللغات وجودة المناهج و معاصرتها للتقدم العلمي .

و لكن عيب المناهج الدولية هو إهمالهم لتعليم اللغة العربية و التربية الدينية لاعتمادهم الكلي علي اللغات.

و دراسة نموذج مدرسة " صلاح الدين " ليس بالضرورة معبرا عن جميع النماذج التي تقدمها "الخدمة" ، وإن كانت تعبر عن نفس " المنهجية " ، ويشير أحد التقارير المقدمة إلى " مؤتمر القاهرة" إلى أنواع المدارس التي توجد عليها مدارس "الخدمة" في أنحاء العالم ، فقد تكون مدارس الخدمة :-

مدارس حكومية عامة، وتوجد على الخصوص في آسيا وروسيا.

مدارس خاصة " أهلية " كما في أفريقيا والباسيفيك وتركيا والبلقان، غير أن العائد المادي لهذه المدارس الخاصة لا يخرج من البلدان التي توجد بها، بل يوجه للتمويل والتطوير الذاتي لمؤسسات التعليم بتلك البلاد.

مدارس مشتركة ( بين القطاعين ) وتتركز خاصة في آسيا

هذا فضلا عن أنواع أخرى من المدارس، كالمدارس الدولية التي توجه خدماتها لأبناء الدبلوماسيين والمقيمين من دول أخرى، ومدارس العلوم، ومدارس الاقتصاد، ومدارس المعلومات، ومدارس اللغات .

## ج تجهيزات المدرسة

يتكون المبنى العام لمدرسة " صلاح الدين " من طوابق ثلاثة ، وعند الدخول إلى "صالة الاستقبال" يجد الداخل على يساره إطار زجاجي توضع به الميداليات والأوسمة والجوائز المحلية والدولية التي حصلت عليها المدرسة خلال عمرها الذي لايتجاوز ٦ سنوات .

وهناك فى وسط المبنى لوحة كبيرة ، توضح "روعة الخلق" ، وهى مكتوبة باللغة الإنجليزية فيما عدا الآية الكريمة " سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى " (١)

وتوجد على جدران المبنى فى جميع أدواره لوحات فنية رائعة ذات معنى جمالى وقيمى ، بعضها من عمل الطلاب ، وبعضها يحمل دلالات أخلاقية ونهضوية محددة مثل : "الأخلاق أساس النهضة" ، أو رسالة حضارية مثل : " حب وسلام "

والمبنى من الداخل مُقسَّم إلى أقسامٍ ثلاثة ، يفصل بينها أبواب خشبية ذات طراز عثمانى :  
**قسم الحضانة (K.G) والابتدائى** : وهم الأطفال دون سن التعليم الأساسى ، وكذلك الأطفال فى المرحلة الابتدائية ، وتتميز الفصول بالمساحة الواسعة والتهوية الجيدة ، بالإضافة إلى وجود أحدث التقنيات فى وسائل التعليم والإيضاح مثل: السبورة الذكية و شاشات العرض وغيرها ، كذلك فإن لكل مجموعة فصول (٣ فصول ) ، مساحة مشتركة للترفيه والألعاب التعليمية ، ولهذا القسم حديقته الخاصة به والمزودة بالألعاب الخاصة بالأطفال فى هذه السن .، وهذه الفصول مختلطة

**قسم الإعدادى** : ويتم فيه الفصل بين البنين والبنات ، ليس فى الفصول فحسب بل فى الأدوار ، فالبنين فى الدور الثانى والبنات فى الدور الثالث ، وقد أخبرنى مدير المدرسة ، أن الفترة الترفيهية (الفسحة) لكل من البنين والبنات تكون فى أوقات مختلفة .  
بدءاً من المرحلتين الإعدادية والثانوية .

**قسم الثانوى** : ويتميز قسم الثانوى بالمعامل الفنية المتخصصة ( الفيزياء ، الكيمياء ، الأحياء ،...) ، وكذلك يتم فيه نظام الفصل بين النوعين كما فى الإعدادى وقد لاحظتُ فى المرحلتين الإعدادية والابتدائية ، أنه ليس هناك إلزامٌ بـ"الحجاب" بالنسبة للفتيات ، فمنهن المحجبات ومنهن من لا ترتدى الحجاب، وقد أكَّد لى مدير المدرسة فى لقائى معه أن الإدارة لاتلزم الفتيات إلا بالزى المدرسى وهو بطبيعته زى " محتشم " - على حد تعبيره - ، وهو يرى أن الإلزام فى مثل هذه الأمور لايصنع الفضيلة ، وإنما بغرس القيم وبالقدوة الحسنة .

ومن حيث التجهيزات فإن المدرسة تحتوى على :-

- ج ) مكتبة تتضمن كتب علمية ومنهجية وأخرى عامة.
- ج ) مختبرات حاسوب تحتوي على أحدث الأجهزة مزوده بشاشات عرض. Data Show.
- ج ) مرسم مزود بالمواد الفنية التي تخدم المناهج ، وتحافظ على الإبداع .
- ج ) مسرح حديث مجهز بأحدث الأساليب الصوتية والأجهزة الموسيقية .
- ج ) ملاعب رياضية (عشب صناعي) وصالة مغلقة وساحات واسعة.
- ج ) مختبرات علمية (فيزياء، كيمياء، أحياء....،،،،)
- ج ) غرفة للتربية الموسيقية بها آلات بعدد الطلاب داخل الغرفة الواحدة .

### علاقة المدرسة بحركة "الخدمة"

وقد التقيتُ بالأستاذ / شاتين إيشلاق (Cetin Isilak) مدير مدرسة صلاح الدين ، وتحدثت معه عن علاقة هذه المدرسة بـ"الخدمة" ، وماذا يميزها عن غيرها من مثيلاتها من ناحية "القيمة" التي تقدمها ؟

وقد أفاد أن هذه المدرسة والمدرستين الأخرين ( الاسكندرية وبنى سويف ) تتبع شركة تعليمية أسسها مجموعة من رجال الأعمال الأتراك من المتأثرين بفكر وتجربة الأستاذ فتح الله كولن ، تُسمى هذه الشركة : "الأفق" .

هذه الشركة هي المسؤولة من ناحية الإدارة والتمويل ، وإنشاء مدارس أخرى داخل مصر حتى الآن لكن .. أين تذهب أرباح هذه الشركة من الاستثمار في مجال التعليم في مصر ؟

أجاب أ/ شاتين : أن هذه الأرباح - فى الغالب - تنقسم إلى قسمين :-

قسم يعود على تطوير الخدمات التعليمية داخل المدارس، وتنمية مهارات المدرسين ، ومواكبة التطورات العلمية فى كل مجال .، وهذه مسألة يشهد بها أولياء الأمور والعائلات التي تتوافد على المدرسة .

والقسم الآخر يتم توجيهه إلى إنشاء مدارس جديدة تحمل ذات الرسالة ، ونفس القيم .. ففى ٦ سنوات تم إنشاء مدرستين داخل مصر ، وهناك مخططات لإقامة مدارس أخرى خلال الأعوام القادمة - إن شاء الله - .

أما رجال الأعمال الأتراك الذين تأسست المدرسة الأولى بأموالهم ، فهؤلاء لا يأخذون "جنيهاً" واحداً من هذه الأرباح !! ، فبمجرد تأسيسهم للشركة التعليمية ، تركوا إدارة أمورها لهذه الشركة ، ثقةً

منهم فى أفرادها ( وهم فى الغالب من أبناء الخدمة ) ، ولم يعد أحدهم يسأل حتى : أين ذهبت هذه الأموال !!!؟

وهذا يشير إلى ماسبق ذكره من تأثير الأستاذ فتح الله كولن على رجال الأعمال ليقوموا بالتبرع لإقامة مدارس بدلاً من التبرع للإكثار من إقامة المساجد .

ومن الجدير بالذكر - هنا - أن ننقل ما ذكره أحد رجال الخدمة وهو الدكتور / ألب أصلان دوغان رئيس تحالف القيم المشتركة عن آلية جمع التبرعات داخل حركة الخدمة يقول : " حركة الخدمة حركة حذرة للغاية حيث ترفض أي مساعدة حكومية أو مساهمة مالية من مؤسسات أجنبية للحفاظ على الاستقلال و الطبيعة المدنية للمشاريع، والآلية الرئيسية لجمع الأموال فى الحركة هو اجتماع يسمى بـ " himmet " <sup>(١)</sup>، التي يمكن ترجمتها الى "ضمان التبرع"، وعادة ما يتم هذا الاجتماع خلال شهر رمضان الذي يكون فيها القيام بالأعمال الخيرية أكثر قيمة ، و فى هذه الاجتماعات يقوم المشاركون بالتعهد على إعطاء مساهمات مالية أو عينية للمؤسسات. " <sup>(٢)</sup>

ومن هنا فإن وصف هذه المدارس بأنها "مدارس غير هادفة للربح" يُعدُّ وصفاً صحيحاً، فليس العائد المادى هو الهدف من إنشاء هذه المدارس إلا بالقدر الذى يسمح باستمرارها وتطويرها وتنمية كادرها التعليمى

### "المدرس": العنصر الفعال فى العملية التعليمية :

من الأمور التى لاحظتها من خلال حديثى مع الاستاذ / شاتين ، ومن خلال بعض الحوارات الأخرى مع بعض عناصر الإدارة داخل المدرسة ، اهتمامهم الشديد بـ " المدرس " ، كأحد أهم عناصر العملية التعليمية والتربوية ، بل يمكن القول أن المنحى "القيمي" أو "الرسالي" يعتمد أولاً وأخيراً على أداء المدرسين .

بداية المدرسون داخل المدرسة بعضهم مصريون وبعضهم أتراك ، ويتم اختيار المدرسين بناءً على عاملين :-

1) التفوق المهني : بحيث يكون متميزاً فى تخصصه الذى يتولى تدريسه

2) أن يكون صاحب رسالة : بحيث يعتبر المدرسة بيته الثانى ، والطلاب هم أولاده ، فلا يكون همه الوحيد "الراتب" الذى يتقاضاه آخر الشهر .

١- هى كلمة تركية تعنى : الهمة

٢- د ألب اصلان دوغان، رئيس تحالف القيم المشتركة ، موقع حركة الخدمة باللغة الإنجليزية

وقد أخبرني أحد العاملين في المدرسة أن "طاقم التدريس" ، يكون على أتم استعداد أن يبقى أحدهم في المدرسة بعد مواعيد العمل ولعدة ساعات إضافية ، وبعضهم يحضر إلى المدرسة في أيام الاجازات الرسمية إن لزم الأمر .

أما بالنسبة للمدرسين الأتراك ( وهم من أبناء الخدمة ) ، فعلى الرغم من أن الكثير منهم خريجو أرقى الجامعات في تركيا ، وهذا يعني أن فرص العمل بالنسبة لهم في تركيا أفضل من أى مكان آخر في العالم ، وقد قال لى الأستاذ : شاتين مدير المدرسة أن مايتقاضاه هؤلاء المدرسون الأتراك من أبناء الخدمة من رواتب أقل بقليل جدا مما كان يمكن أن يحصلوا عليه لو أنهم أقاموا في بلادهم ، وأنهم تركوا وطنهم ليقدموا "رسالة" ندبهم إليها أستاذهم ومعلمهم الأستاذ كولن .

وهذا ماقصده د. سمير بودينار حين اعتبر أن المدرس او المعلم أحد عناصر ثلاثة من عناصر نجاح تجربة المدارس : " حيث الأستاذ الذي يمتحن التعليم كعشق وهواية؛ ولذلك يكون الإقبال على العمل في هذه المؤسسات بالتطوع والاختيار ، ويكون لهذا الأمر تأثير لافق على مستوى عطاء المدرس وتواصله مع الطلاب، إذ لا سأم من أسئلتهم وتطلعاتهم للمعرفة، وبالتالي فالمدرس يملك الحد الأدنى - ضمنا - من المقدرة على تحقيق الأهداف التربوية العامة على أرض الواقع " (١)

وهو يشير إلى تأثير الأستاذ فتح الله كولن في هذا المجال فيقول : " ولعل القيم التي يتربى عليها طلاب الأستاذ كولن ممن يتجهون إلى مهن المعلمين والأساتذة، ويتعلمونها في مجالسه وعبر كتبه من قبيل المحبة للناس جميعاً، ومساعدة الغير، وربط علاقات طيبة مع الجميع ما أمكن، تُفسر جانباً مهماً من هذه السمة التي يشترك فيها أكثر معلمي هذه المدارس." (٢)

وبذلك فإن اعتماد المدرسة الأول في "غرس القيم" يكون من خلال القدوة الحسنة التي يمثلها المعلم لطلابه .

وهذا يؤكد ماذكره المرحوم د. فريد الأنصاري ، بقوله : " لم تكن المدارس التي أسسها فتح الله في أول السبعينات من القرن الماضي مدارس عادية ، كانت مدرسة بطوريتها الإعدادي والثانوي تسير في ظاهرها على نظام الدولة ، وبرامج وزارة التربية والتعليم ، لكنها تختلف عن المدارس الأخرى في أمر جوهرى ، ألا وهو **رجل التعليم** ، أعني الأستاذ أو المعلم ، حيث لم تكن البرامج المفروضة من قبل الدولة ، تسمح بأي كلمة "دين" ينطق بها الأستاذ في فصله ، وإلا كان مصير

١- مؤتمر " مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامى "خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية" ، د. سمير بودينار :

المدرسة كلها الإغلاق والمصادرة ، ولكن رجال فتح الله المتخرجين من مدرسته الدعوية ، كانوا يتكلمون بأعينهم ، على قدر ما يتكلمون بألسنتهم وربما أكثر.<sup>(١)</sup>

أما على المستوى التخصصي ، فإن المدرسة تُعنى بالمستوى الفني ( من حيث مواكبة التطور العلمي في تخصصه)، وكذلك المستوى المهاري من حيث طرق التدريس وعرض المعلومات وقد علمت من مدير المدرسة وبعض العاملين بها أنه تجرى حالياً ( وقت إجراء المقابلة) دورة تدريبية تأهيلية بمثابة " دبلومة في التربية" ، يقوم عليها أساتذة في كلية التربية من جامعة عين شمس ، وتُعطي لجميع المدرسين يوم السبت من كل أسبوع ( وهو يوم عطلة دراسية) .

وعلى مستوى أساتذة كل تخصص على حدة يأتي " نظام الزمر " وهو مما تتميز وتنفرد به مدارس " الخدمة" حيث يجتمع المعلمون من كل "مادة" على مستوى المدرسة اجتماعاً أسبوعياً ، يتيح هذا النظام تبادل التجارب بين المعلمين الجدد والقدامى ما يشكل واحداً من أهم أسباب نجاح المعلم في أداء مهماته التربوية، إذ يسمح له " نظام الزمر " بتبادل الخبرات المكتسبة، وتشمل لقاءات الزمر تقنيات التدريس، والدروس النموذجية التطبيقية، وخبرات التعامل مع المشكلات ، ومهارات العرض والإلقاء ، من أجل تحقيق الأهداف التربوية العامة، وتواصل أكثر فعالية مع الطلاب ( التعليم الفعال).

ويتم هذا اللقاء في مدرسة صلاح الدين يوم الخميس من كل أسبوع بعد انتهاء اليوم الدراسي ، كما يحضر بعض المدرسين مؤتمرات سنوية خلال الفصلين، بالإضافة إلى ورشات العمل واللقاءات المستمرة ما يسهم في تطوير التكوين الأكاديمي بين المعلمين ..

### المنهج والمواد التعليمية

هناك أهداف تربوية عامة لهذه المدرسة ولكل مدرسة من مدارس "الخدمة" في ما يخص المناهج أو المواد التعليمية منها:-

**أولاً:** تعليم الطالب المواد التعليمية بالشكل والمستوى المطلوب ( جودة الجانب الأكاديمي)

**ثانياً:** تهيئة الطلاب ذوي المواهب الخاصة بما يناسب كفاءاتهم واستعداداتهم، حيث انتقلت هذه المدارس إلى التنافس في أولمبياد<sup>(٢)</sup> المسابقات العلمية مع غيرها إلى التنافس فيما بينها.. فهناك مسابقات تجرى بين المدارس الثلاث في مصر عامي ٢٠١٤، ٢٠١٥م ، كما تتنافس مدرسة صلاح الدين ، في المسابقات الدولية ، ومن الجوائز التي أحرزتها في المسابقات التي تعقدتها

١- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ٣٠٤

٢- الأولمبياد: عبارة عن فترة زمنية من أربع سنوات، والتي كانت تترافق مع الألعاب الاولمبية القديمة في اليونان ، وتطلق على المسابقات الدورية في أي مجال .

مؤسسة "intel" الدولية ( وهى مؤسسة مستقلة معنية بجودة التعليم فى العالم ) والتي تتنافس فيها ما لا يقل عن ٣٠ دولة ، ومن كل دولة عدد كبير من المدارس المتميزة :-

ل) المركز الأول والثانى فى مادة الرياضيات "math" عام ٢٠١٠م

ل) المركز الأول فى العلوم "science" عام ٢٠١١م

ل) المركز الثالث فى العلوم "science" عام ٢٠١٤م

ويستطيع الزائر للمدرسة أن يرى هذه الميداليات وغيرها فى صالة الاستقبال الخاصة بالمدرسة ، بالإضافة إلى هدايا رمزية وشهادات تكريم من مؤسسات عالمية منها :رابطة الجامعات الإسلامية ، وجامعة الأزهر الشريف .

**ثالثا: تنمية الهوايات** عند الطالب لتغطية وشغل أوقات الفراغ ، من خلال الأنشطة الموازية "نوادي الهوايات الثقافية فى الجانب الثقافى، إضافة إلى الأنشطة الرياضية" ، ويلاحظ دور الأنشطة الثقافية من مسابقات، وتنمية مواهب فى الشعر والفن والموسيقى ، والاهتمام بهذه الأنشطة التى تبدو ثانوية ، لكنها تمثل الكثير عند الطالب .

**رابعا :** تأهيل قدرات الطلاب على استخدام **تكنولوجيا المعلومات** ، وهذا الجانب شديد الأهمية عند إدارة المدرسة ، حيث يتأهل الطالب لمواكبة آليات العصر المختلفة ، والتقنيات المتنوعة ، ليتمكن عند دخوله الجامعة من الاطلاع على مختلف الثقافات .

**خامسا: تنمية تعلم اللغات الأجنبية** عند الطالب "على الأقل لغة أجنبية واحدة" ، وفى مدرسة صلاح الدين - كما فى غيرها من المدارس الدولية - تكون الدراسة باللغة الانجليزية .

**سادسا: العناية بالجانب الخلقى من العملية التربوية** ، حيث يتم التركيز على سلوك الطلاب ، وتتم متابعة السلوك الأخلاقى من قبل الإدارة كما يتم متابعة الجانب التعليمى سواء بسواء ، وقد أشاد عددٌ كبيرٌ من اولياء الأمور بالتحسن الملحوظ فى سلوك أولادهم الأخلاقى ، من خلال التفاعل مع الأنشطة المدرسية ، وتتميز مدرسة صلاح الدين بتخصيص وقت لقراءة القرآن وحفظه وتعلم أحكامه ومعانيه .

**سابعا: تنمية مستوى اللغة المحلية** ، فعلى الرغم من أن مدرسة " صلاح الدين" إحدى المدارس الدولية ، التى تكون الدراسة فيها باللغة الإنجليزية أساسا إلا أنها تهتم باللغة العربية ، بشكل خاص ، وكان هذا ملفتا لكل من زار المدرسة ، حيث أن المعهود عن المدارس الدولية عدم اهتمامها باللغة العربية من الأساس ، واهتمام المدرسة باللغة العربية يعود إلى ترسيخ معانى الانتماء لأمتهم العربية والإسلامية ، ولذلك فإن مدارس الخدمة الثلاث فى مصر يعقدون مايسمى " أولمبياد اللغة العربية" ، وهو مسابقات فى فنون اللغة العربية من الشعر والخطابة والكتابة والتمثيل ، وقد عُقدت

هذا العام ٢٠١٥م ، احتفالية كبيرة فى مقر مدرسة صلاح الدين ، وكُرِّم فيها الفائزون ، وحضر الاحتفالية مدير الإدارة التعليمية بالقاهرة الجديدة .

بل لقد حصلت إحدى مدارس الخدمة بالقاهرة " مدرسة بنى سويف" على المركز الأول فى المسابقة الدولية التى تعقدها دولة الإمارات العربية المتحدة ، تحت عنوان " قطار المعرفة" ، وهى مسابقة فى فنون اللغة العربية بين طلاب المدارس .

ووفقاً للأستاذ شاتين مدير مدرسة صلاح الدين فقد أسند القائمون على مسابقة "قطار المعرفة" ترشيح المتسابقين من جمهورية مصر العربية إلى مدرسة صلاح الدين ، نظراً لتميز طلابها فى فنون اللغة العربية ، بحيث تتم التصنيفات بمعرفة إدارة المدرسة .

حين يحدث هذا فى مدرسة دولية : اللغة العربية فيها لغة ثانية ، فإن هذا يعنى أن لهذه المدرسة رسالة أكبر من "جمع المال" ، و" تحصيل المصروفات " .

**ثامناً: تنمية مستوى الوعي الوطنى للطلاب**، بهدف أن يصير الطالب طرفاً متفاعلاً مع شئون بلده وبالتالى مع واقعه، وقد لاحظت فى الفصول التى دخلتها وجود علم "مصر" فى كل فصل . بدءاً من فصول الحضانة وحتى الثانوى .

ومن المعهود عن المدارس الدولية أنها أماكن لتفريخ جيل يتبنى الثقافة الأمريكية فى العادات والقاليد واللباس ، وقد قال لى الأستاذ شاتين : نحن نتعمد أن نعطي طلابنا ثقافتهم الوطنية ، وليست ثقافات أخرى غريبة عنهم ، ولاحتى ثقافتنا التركية.

وعلى الرغم من هذا فإن الحديث فى السياسة يعد من الممنوعات داخل المدرسة ، ليس فقط بين الطلاب ومعلميهم ، بل حتى بين المعلمين أنفسهم .

قال لى أحدهم : الكلام فى السياسة – داخل المدرسة مع المدرسين أو الطلاب – من الممنوعات ، فنحن منشغولون حتى الأذقان فى مهمتنا ورسالتنا التى نذرنها لها أنفسنا ، ولاوقت لدينا لكلامٍ قد يضر أكثر مما ينفع . (١)



---

## المبحث الرابع

### ثقافة الحوار وآلياته

### السبيل لفتح الآفاق الإنسانية فى مشروع الخدمة النهضوى

ويتكون من ثلاثة مطالب :-

- 1) المطلب الأول : الخدمة وثقافة الحوار
- 2) المطلب الثانى : الحوار الداخلى "وقف الكُتَّاب والصحفيين"
- 3) المطلب الثالث : تقاربُ الشعوب والحوار بين الأديان

## المطلب الأول

### الخدمة وثقافة الحوار

" الحوار " فى حركة الخدمة مرتبط ارتباطا وثيقا بالتربية والقيم التى تمثلها الأجيال التى تربت فى كنف فتح الله كولن وفى كنف الخدمة. والمتأمل فى خطاب فتح الله سيجد خطابا إنسانيا عالميا ، فهو دائم التأكيد على أن الإسلام سيحمل البلمس الشافى لكل مشاكل العالم، ولكل فرد من أفراد المجتمع الإنسانى.

" إن فكر فتح الله كولن مقبولٌ فى الغرب، وهذا عنصر يميز حركته عن أغلب الحركات الإسلامية فى العالم الإسلامى والعربى.. ، فالحركة التى تعرف باسمه والتى أخذت فى الالتفاف حوله فى ستينيات القرن الماضى لا تعتبر تنظيما مهيكلا له إدارة ومجالس كما قد يظن البعض، بل هى مجرد فكرة آمن بها الناس وآمنوا بمعقوليتها، وشحنهم خطاب الأستاذ بروحانية خاصة، فانطلقوا ينفذون آماله التى هى فى الحقيقة آمالهم - هم أنفسهم - الدفينة فى أعماقهم.. حملوها جيلا بعد جيل، وسقاها الأستاذ كولن وتعهدها بالرعاية كي تحيا وتتضح." (١)

إن "الخدمة" نموذج يُحتذى به فى مجالات عديدة، منها مجال الانفتاح على العالم، وما أوج الخطاب الإسلامى اليوم لأن يكون "خطابا منفتحا" على الآخر ، لأن أزمنا - نحن المسلمين - مع الآخر المختلف عنا دينيا تكمن فى الخطاب الذى يتبناه بعض الدعاة إلى الإسلام ، فيصدرون به العنف والكراهية إلى الطرف الآخر.، دعك من الحكومات الغربية المتأثرة بسياسات " اللوى الصهيونى " فى أمريكا ، والمتخذة موقفا مسبقاً من الإسلام ، الحوار ينبغى أن يكون مع الشعوب ومنظمات المجتمع المدنى ، ومراكز الأبحاث المحايدة ، وهذا بالتحديد مادعا إليه وفعله الأستاذ فتح الله كولن وتلاميذه .

ف: "هناك اليوم أكثر من (١٨٠) دولة (٢) و (٦٠٠) مجموعة لغوية و (٥٠٠٠) مجموعة عرقية فى العالم ، و يوجد القليل جدا من البلدان التى يتكلم فيها المواطنون بلغة واحدة ويرجعون إلى المجموعة العرقية نفسها، وهذا التنوع السياسى، والاجتماعى والثقافى والدينى يحمل بذور الخلاف والصراع ، وهذه الخلافات الكامنة المستعدة للانقلاب إلى صراعات ، وضعت فى كثير من البلدان

١- أشواق النهضة والانبعاث، " قراءات فى مشروع الأستاذ فتح الله كولن "، د. محمد جكيب : ص ٣١٣

٢- إحدى أهم الطرق لاحتساب دول العالم هى باستخدام عدد أعضاء منظمة الأمم المتحدة، لكونها منظمة سياسية شاملة تضم جميع دول العالم التى تحظى باعتراف مجمعٍ عليه دولياً. وعدد أعضاء الأمم المتحدة ١٩٣ دولة .

أسئلة وشكوك كثيرة أمام الديمقراطية التي توجّه الحياة السياسية ، وقد أصبحت الصراعات العرقية والثقافية أهم مصدر للعنف السياسي ، كل هذه المشاكل تهدّد مستقبل المجتمعات البشرية، لذا أصبح من الضروري إنشاء أسس ثقافة "التسامح وتقبُّل الآخر" بشكل عاجل، بحيث تكون أوسع وأشمل من التعامل الديمقراطي الموجود حالياً".<sup>(١)</sup>

والسؤال : أين - هنا - دور الإسلام كدين عالمي ، وحضارة إنسانية؟؟ أين مهمة "التبليغ لرسالات الله " التي أمرنا بها ؟ أليس في الإسلام حلٌّ لكل هذه النزاعات والصراعات الطائفية والعرقية سواء بين المسلمين أنفسهم أو بينهم وبين غيرهم من الأمم والثقافات . وعلى هذا الأساس وانطلاقاً من الشعور بمسؤولية التبليغ و إعلاء صوت الحكمة والسلم و إرساء قواعد ثقافة التسامح و الرحمة التي يتحلّى بها الإسلام، أحسّ الأستاذ فتح الله كولن ضرورة وواجب أن يكون هناك "مجال ثقافي" لا يعترف بمنطق الحدود الجغرافية، و يشتغل بفلسفة التواصل الإنساني .

ولأن الأقربين أولى بالمعروف ، وفاقد الشيء لا يعطيه ، فقد بدأ الأستاذ كولن بتبني ثقافة الحوار في الداخل التركي أول مابداً ، في ظرفٍ دقيقٍ تعالت فيه النعرات الأيدولوجية والشعارات السياسية ، فكان "عنصر" اتزان وصمام أمان لتركيا .

ف " قد أتاحت للأستاذ فتح الله كولن ثقافته الواسعة، و تبحره في علوم الدين و علوم العصر، أن يخاطب مختلف الشرائح الاجتماعية في تركيا، بما في ذلك المثقفون وأصحاب التيارات الحداثية و الليبرالية و القومية؛ و قد استجاب كثيرون لندائه ، ودخلوا في حوارات و مراجعات من أجل تصويب آرائهم و تصحيح مساراتهم السابقة. و في هذا المضمار حث في بداية التسعينات على إنشاء مؤسسة عالمية لغرض التحوار و التفاهم و الاحترام المتبادل بين أصحاب تلك التيارات و الأفكار المتباينة، لتقريب وجهات النظر، فتحقق هذا المشروع بالفعل، و انبثقت عنه منتديات للحوار البيني و العالمي، و انعقدت مؤتمرات عالمية مهمة، مما شكل منعطفاً تاريخياً لتأسيس السلام و التعايش بين الأطياف المتناقضة ، و على المستوى الإقليمي و الدولي بين أتباع الديانات و أبناء الحضارات و الثقافات المتعددة، و دعا إلى نهج التعارف و الاحترام المتبادل و التسامح و التعايش، و نبذ التعصب و إدانة العنف. و عُرف في تركيا و في العالم ب"داعية الحوار و التسامح و التوافق".<sup>(٢)</sup>

١- فتح الله كولن " جذوره الفكرية و استشرافاته الحضارية" ، محمد انس أركنة ، ص ٢٧

٢- ملحق مجلة حراء : فتح الله كولن " أشواق أمة، و استنهاض حضارة". ص ٢٢

وانطلاقاً من هذا الفكر المنفتح ، طرح الأستاذ فتح الله كولن مجموعةً من الأفكار والنظريات التي على أساسها تتمحور ثقافة التسامح و التواصل التي تتميز بها تجربته الإصلاحية ، ولذلك كانت دعوته قائمة ولا تزال ، إلى حوار الأديان والثقافات والحضارات من أجل السلام العالمي وإسعاد البشرية و الكرامة الإنسانية.

## ل ثقافة الحوار فى النور الخالد

استقى كولن من سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - نموذج للحوار ، سواء فى ذلك الداخلى بين الفرقاء فى الوطن الواحد أو الخارجى بين الشعوب المختلفة الثقافات ، فتراه يسُلط الضوء على نموذج "النبي محاوراً" فى كتابه :النور الخالد، (وهو من أكثر الكتب تأثيراً فى أبناء الخدمة) ، واستناداً إلى نموذج الحوار عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن الحوار الذى يسعى إليه كولن مستهدياً بالسيرة يستند إلى أربع قواعد أساسية:-

**أولاً :** توافق قواعدهما مع هدف الخلق، وهو العبودية : فالأدلة القرآنية تشير إلى أن هدف الخلق ليس امتلاك الأشياء و لا الاستمتاع بالملذات المادية ولكن قضاء حياة الفرد فى عبادة الله - سبحانه وتعالى - ، فالأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - أرسلوا فقط لتوصيل هذا الهدف للبشر، وكذلك لإرشادهم إلى سبيل الوصول إلى هذا الهدف.

**ثانياً:** أن يكون هدف الحوار هو تبليغ الرسالة الدينية : كما كان الحال فى الرسالة المحمدية ، من أجل إنارة الطريق للبشرية كلها.. أى أنك إن قصرتَ فى وظيفتك التى هى وظيفة تبليغ الرسالة ،فإن هذا القصور لا يُعد قصوراً متعلقاً بحياتك الشخصية والفردية .بل هو موضوع متعلق بالحياة الفردية والاجتماعية لكل الناس ذلك أن وظيفتك هى: نتوير طريق الإنسانية كلها ، فلو قصرت فى إيفاء وظيفتك هذه حقها ، لبقيت البشرية جمعاء فى الظلام .

**ثالثاً:** اعتماد النبي - صلى الله عليه وسلم - فى الحوار على مبدأ الشورى : ذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم - كان يقوم بحل المشكلات التى تعرض عليه عن طريق التشاور ، وهو مع عدم حاجته إلى المشورة ، إلا أنه كان يريد إرساء قضية الشورى كقاعدة مهمة ، لان الذين سيأتون من بعده سيكونون فى أمس الحاجة إليها ، .... لقد سلك هذا المسلك طوال حياته ، واستطاع من خلال الاستشارة تخطى مشاكل صعبة ،وقد بدانا نفهم مؤخرًا ضرورة الشورى فى إقامة العلاقات بين البشر وأهميتها فى إدارة الدولة ، فقد علمنا من خلال مبدأ الشورى وجوب احترام الفكر والعقل ، بحيث تتم مراجعة الفكر البشرى باستمرار وإعادة تقييمه .

**رابعاً:** أن نطاق الحوار بسبب عالمية الرسالة الإسلامية، يشمل العالم كله: فأوروبا تحمل الإسلام فى أحشائها وسوف تلده يوماً ما، فى حين يشهد العالم الإسلامى مخاض الولادة ، ففي

الشرق كما هو في الغرب، يكتشف الناس المحتوى الروحاني والفكري للإسلام وسرعان ما يستمع الدعوة المحمدية للصلاة في كل ركن من أركان العالم . (١)

فالحوار كما هو مبدأ إنساني ، هو في الأساس مبدأً إسلامي ، ومن هذا المنطلق تحرك أبناء الخدمة في كل مكان لإرساء مبدأ " الحوار " عبر آلياتٍ مختلفة .

وقد كان نبي الرحمة - صلى الله عليه وسلم - وهو في أعلى مقام من مقامات قوّة الإسلام- يحاور المشركين، والمنافقين،... ويدعو الجميع إلى الدليل، والجدل بالبرهان: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٢)

و: "تركز دعوة كولن للحوار على تقديم النموذج العملي ، وبذلك تصير الحياة اليومية ذاتها اختباراً للمؤمنين يُظهرون فيه حسن أخلاقهم في الفضاء العام ، في المدارس إن كانوا معلمين ، وفي اجتماعاتهم ؛ إن كانوا رجال اعمال ، أو في المستشفيات إن كانوا أطباء ، ولا يقتصر الحوار على المسجد أو الكنيسة أو الجامعة . " (٣)

إن الفلسفة التي تقوم عليها فكرة الحوار في تجربة فتح الله كولن هي : احتضان البشرية " ، وترك "الأناية" ، والعزوف عن "المنافع " الشخصية ، بحيث لا يجعل الإنسان نفسه "محور" الأحداث ، أو "مركز" الكون ، فيرى لنفسه كل الحقوق ، ولا يرى على نفسه واجباً قط .

١- انظر : النور الخالد ، فتح الله كولن ، باختصار وتصرف ، ص ٥٦ ، ٥٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٤ ، ١٦٧

٢- سورة البقرة ، الآية ١١١

٣- نحو تنوير إسلامي : حركة فتح الله كولن ، حاقان يافوز ، ص ٢٢٨

## المطلب الثاني

### الحوار الداخلي

#### "وقف الكتاب والصحفيين"

مما تجدر الإشارة إليه في قضية " الحوار " هو أن أفكار فتح الله كولن لم تقف عند الحدود النظرية ، فقد انطلقت هذه الأفكار نحو التطبيق العملي ، وجُرِّبت في تركيا ونجحت ، رغم كل ما كان هذا الواقع يعرفه من تناقضات وصراعات أيديولوجية وسياسية. لقد كان شعار الأستاذ دائما هو نبذ الخلاف.

وفي شرح قوله تعالى (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا)<sup>(١)</sup> يقول: " تُخاطب هذه الآية المؤمنين فتوصيهم قائلة لا تدخلوا في أي نزاع مادي أو معنوي، بل حاولوا الاتحاد حول نقطة مشتركة ولا تقفوا في نزاع حتى لو كان حول أمر إيجابي، ولا تدعوا الحسد ولا التنافس ولا الغبطة أن تقودكم إلى النزاع، وإلا فشلتكم وذهبت قوتكم. إنَّ ثمرة العمل الفردي تبقى في مستوى الفرد، أمَّا الأعمال المنقَّذة في ظلَّ وحدة الجماعة فتكافأ برحمة الله تعالى، وهكذا يكتسب كلُّ فرد ثوابَ جماعة كاملة".<sup>(٢)</sup>

في نهاية السبعينات كانت تركيا تعيش حالةً من الفوضى ، والانقسامات الفكرية والسياسية، والتجاذب والعنف اللفظي والفكري ، بل وصل الأمر إلى الاغتيالات المدبرة بين المختلفين ، وفي هذه الأثناء كتب الأستاذ فتح الله كولن مقالة كان موضوعها "كيف نستطيع التغلب على هذه الفوضى". نُشرت عام ١٩٧٨م كمقدمة لكتاب كان تحت عنوان " مسار الصلح " الذي تناول أمر كيفية تأمين وحدة البلاد.

وقد نُشر هذا المقال في كتاب "الموازن " تحت عنوان: " نقاط الالتقاء والاتحاد "، وهو بمثابة "الوثيقة الفكرية" التي اعتمد عليها ماسمى فيما بعد " وقف الكتاب والصحفيين" وهو يرى أن الأزمات والاضطرابات الاجتماعية يمكن أن تكون عوامل اتحاد ، بدلا من أن تكون سبب انهيار وتناقض .

فيقول: " إنَّ الأزمات والاضطرابات الاجتماعية تشبه نزول الثلج وهبوب العواصف، لذا تكون في الأكثر حميدة من ناحية العواقب والنتائج، لأن هذه الأزمات تعمل على تجديد المجتمع وتساعده على فهم طبيعة العصر الذي يعيش فيه ، لأن المجتمع إن لم يدرك طبيعة العصر الذي يعيشه،

١-سورة الأنفال، الآية ٤٦

٢- أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، فتح الله كولن ، ص٤٨

ولم يستطع التفاعل مع أحداث عصره فلا يمكن القول أنه يعيش ذلك العصر، بل نقول إنه في طريق التفتت والانقراض.<sup>(١)</sup>

ويحدّد السبب في أن هذه الأزمات نالت من "المجتمع التركي" وكانت عنصر انهيار وتفتّت إلى مايمكن أن نسميه "ضعف المناعة"، "إن مجتمعنا اليوم ضعيف من ناحية بنيته العلمية والفكرية وفقير من جهة حياته الروحية والقلبية ومحروم من القيادة والتوجيه إلى درجة يرثى لها. وما لم يتم القضاء على مثل هذه الأجواء التي تغذي التعصب وعدم المسامحة فمن العبث الحديث عن الاتفاق والاتحاد."<sup>(٢)</sup>

ومن المفيد - هنا - أن نقل هذه التجربة في حل الصراعات الفكرية والسياسية، لتكون نموذجا قد يفيد - يوماً ما - الباحثين عن استقرار المجتمع وسلامته، وهل فائدة البحث في الأساس إلا تقديم "النموذج"؟

حدّد الأستاذ فتح الله كولن عوامل الانقسام التي لا يمكن التهوين من شأنها والتي مثلت تهديدا للمجتمع التركي آنذاك واعتبر أن ذكره لها من قبيل الاعتراف بالواقع، ويمكن أن نوجز ما ذكره في نقاط، لأن المقال طويل :-

١- قيام كل طائفة من الطوائف المتناحرة باعتبار زعمائها ومرشديها "مجدّداً"، أدى - ولو كان بنية صافية - إلى الاختلاف.

٢- استغلال حب الجاه والشهرة لدى بعض زعماء هذه الجماعات ودفعهم إلى التنافس مع الجماعات الأخرى، مما أدى إلى ظهور محاولات هدم الجماعات الأخرى تحت دعوى العمل باسم الإسلام.

٣- النظر إلى الآخرين وكأنهم كفار أو ضالون أو آثمون أمر خطير ولا فائدة تُرتجى منه، حيث يستطيع كل واحد أن يدعو إلى طريقه ويعلن عنه ويعيش بحب مع الآخرين، فهذا هو طريق المنطق والعقل ومنطق الإيمان والقرآن كذلك. بل يشعر بأن شعور الأخوة يربطه معهم، فلا يبحث عن هفواتهم وأخطائهم، وعندما يرى فضائلها وخدماتها يفرح ولا يتأخر عن تهنئتها.

٤- القيام بتخريب المعاني الدينية والمليّة<sup>(٣)</sup> في هذه المرحلة بينما أدى إلى تنشئة فريق من الملحدّين من جانب، أدى من الجانب الآخر إلى نشوء وظهور جماعات متعددة لا يعرف

١- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ص ٦١

٢- الموازين أو أضواء على الطريق، فتح الله كولن، ص ٦٣

٣- يقصد إبان انتشار العلمانية في البلاد وفرضها بقوة السلاح وقوة الدستور أيضاً .

بعضها البعض الآخر حاولت القيام بتقديم خدمات دينية واجتماعية لسد هذه الحاجات المشروعة ، ولكنها لا تملك مناهج محددة ولا أساليب مدروسة ، وحاولت كل منها - بمعزل عن الجماعات الأخرى- أن تشغل ساحة من ساحات الخدمة في هذا المجال ، وحدثت فيما بينها نزاعات مريرة مؤسفة ونقاشات حادة بين فينة وأخرى، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها. (١)

وفى نهاية مقاله هذا وجّه النصيحة الواجبة إلى الزعماء والسياسيين وقادة الجماعات الإسلامية : "لذا فإننا نتوجه إلى جميع الزعماء المرشدين والقادة بالتذكير الآتي لكي يبادروا بتأليف القلوب ورأب الصدع: ليكن حبكم لله وبغضكم لله، وابتعدوا عن عبادة النفس، لأن من يتبع أهواء نفسه لا يمكن أن يرضي الحق تعالى ولا يمكن أن يرضي الناس. أحبوا أصدقاءكم ضمن مقاييس "الحق"، ولا تبتعدوا عن المروءة. وانتبهوا لمؤامرات أعدائكم، ولا تسقطوا في حبائلهم ومصايدهم، ولا تجعلوا الخلاف في الفكر والخلاف في الفهم وسائل للفرقة وللعداء، بل عدوا هذا الخلاف مصدر غنى فكري." (٢)

### وقف الصحفيين و الكتاب

لم يقف فتح الله كولن عند حد " التنظير" الفكرى ، وإنما نزل إلى الميدان، وبحركيته المعهودة طاف البلاد شرقا وغربا ، وزار جميع الأطراف لوقف نزيف الخلافات والمرارات حيث كان التشجج سيّد الموقف ، وكان الناس يتقاتلون فيما بينهم، لمجرد الاختلاف الفكرى والسياسى ، وهناك تأمل الأستاذ في الحال والمآل، : " فرأى أنّ المثقفين والكتّاب والصحفيين والسياسيين... وكلّ من له أتباع ومستمعون ومهتمون، هم الأصل في المسألة، فإن تسامحوا تسامح الناس، وإن تناحروا تناحر الناس، ووجد أنّ الإسلام هو دين السلم والسلام، بلا منازع، وأنه دين الرحمة والمرحمة، بلا مثيل،.. فشرع هو نفسه في محاوره كلّ الجهات، حتى التي يبدو أوّل وهلة أنّها أعتى أعداء الإسلام والمسلمين، فكان يزورهم ويدعوهم لزيارته، ويدعو الناس في "الخدمة" إلى كسب قلوب كلّ من يعرفونه من أبناء البلد. مهما كان دينهم، وحزبهم، وأيديولوجيتهم، وسلوكهم...

يقول مدير الوقف : "علم الأستاذ كلّ واحد منّا أن يعترّ بإسلامه، ويثق في دينه، ويخلص في عبادته، ويحاور كلّ أحد، بلا استثناء"، وكان يقول لنا: إذا مرض أحد ممن تختلفون معه، فيجب

١- الموازين أو أضواء على الطريق ، فتح الله كولن ، بتصرف واختصار ، ص ٦٤ - ٧٠

٢- الموازين أو أضواء على الطريق ، فتح الله كولن ، ص ٧٣



أن تزوره في المستشفى، حتى إذا فتح عينه لم يجد سوى أهله وأنتم... هكذا كان رسول الرحمة يفعل". (١)

تأسس وقف (جمعية) الكتاب والصحفيين عما ١٩٩٤م، وكان لافتتاحه صدى كبير في وسائل الإعلام، حيث تأسس في البداية لتفعيل وتنشيط جو من الحوار وحسن النية، وكان هذا هو رأس مال الوقف في البداية، ولكن: "سرعان ماتعاقبت الفعاليات الاجتماعية والثقافية المختلفة، فقد امتلك الوقف مجلتين ودار نشر لإرساء القواعد الفكرية لاجتماعات "أبنت" (٢) إلى جانب هذا بدأ الحاضرون من مختلف الاتجاهات والانتماءات بتأسيس صداقات جديدة، وأدرك جميع الأطراف أن الاختلافات ليست سوى وجه من أوجه الغنى والثراء، لأنهم لم يروا منذ سنوات عديدة بل ربما منذ عدة عصور أرضية مشتركة للحوار مثل هذه الأرضية". (٣)

بفضل هذا التصور الحركي المتميز استطاع فتح الله أن يجمع ما يُعتَقَد أنه يستحيل جمعه.، ولذلك فإن نجاح التجربة محليا أعطها المشروعية لتجرب خارجيا.

واليوم، وعلى إثر هذه البدايات فإن وقف الصحفيين والكتاب يحوي سبعة منتديات تُعنى بالحوار، هي:

- **منتدى أبانت (Abant platform)** وهو منتدى عالمي للحوار بين الحضارات، وبين الديانات، وبين التيارات الكبرى... وقد نظم الكثير من الملتقيات العالمية، من أوراسيا إلى أمريكا... إلى الكثير من مناطق الصراع في العالم.
- **منتدى الفن والثقافة (Culture and art platform)** يشارك فيه أكبر المتقنين والفنانين، والشخصيات الشهيرة، من أمثال لاعبي كرة القدم، والمغنين... أي كل من له شعبية في مجال الإعلام، ويتناقشون قضايا التسامح، والحوار،..وغرس قيم الحب، والصداقة، والمعايشة الحسنة، ونبذ سلوك العنف والإقصاء والتصادم... الذي يؤدي بالبلد إلى المهالك لا محالة.
- **منتدى الصحفيين (Medialog platform)** وهو خاص بالصحفيين من كل وسائل الإعلام، ومن كل الاتجاهات، يطوِّرون فيما بينهم أسلوبا صحفيا هادئا مسؤولا، ويزيلون فتائل الجدل الخانق، ويهجرون أسلوب التعبير والشتم والسب غير المبرر، وكل ما يشوش على القيم والأخلاق وعلاقات المواطنة...

١- أرياب المستوى " حضور معرفي في فكر الأستاذ فتح الله كولن"، د. محمد باباعمي ص: ١٣٥

٢- تمت الإشارة من قبل إلى أن هذه الحوارات تمت في البداية في مدينة "أبنت" التركية

٣- فتح الله كولن " جذوره الفكرية و استشرافاته الحضارية" محمد انس أركنة، ص ٤٥

- **منتدى حوار الأديان والثقافات (Intercultural dialog platform)** وهو شبيه بمنتدى "أبانت"، لكنه يهتم بداخل تركيا، وينظم حوارات بين المسلمين والمسيحيين، وبين المسلمين فيما بينهم، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم... ويزيل الوهم والتهمة التي تقول: وراء كل فتنة وعنف في العالم تقف الديانة سببا، بل يظهر أن الدين بريء من هذا، وإنما المصالح السياسية، والحسابات الضيقة، والفهم الخاطيء، هو السبب والدافع والباعث لكل عنف وشدة.
- **منتدى المرأة (Women's platform)** للحوار بين النساء، من مختلف المشارب والمضارب، حول اهتماماتهن، بعيدا عن الادعاءات، والحسابات الضيقة، وبذلك يمنع توظيف المرأة كشعارات ذات حساسية مرهفة وبالغة، من قبل المغرضين والفتانين...
- **منتدى البحث العلمي (Research platform)** وهو منتدى للبحث العلمي، والأطروحات النظرية والفكرية والعلمية العميقة، وهنا تتم مناقشتها بدون خلفيات إيديولوجية أو حسابات لا أخلاقية.
- **منتدى أوراسيا (platform Eurasia)** وهو منتدى يدور حول قضايا أوراسيا (روسيا، وبيلوروسيا، وكازاخستان، وقرغيزيا، وطاجيكستان، وأوزبكستان)، ويشارك فيه أبناء هذه البلاد؛ يسهمون في نزع فتيل الخلاف بين أبناء الأرض الواحدة، والتاريخ الواحد، والحضارة الواحدة؛ لصالح نموهم ورفيهم، ولأجل وضع أكثر سلاما وأمنا وتقبلا للآخر.
- ولقد أصدر "وقف الصحفيين والكتاب" العشرات من الكتب والمؤلفات، بمختلف اللغات، كما أنه يُصدر مجلات دورية وشهرية، حول قضايا الحوار، بالتركية والانجليزية، متميزة الإعداد والطبع، وواسعة النشر والتوزيع.
- وقد أنشئ حديثا "مركز بحوث فتح الله كولن"، ضمن الوقف، وهو المسؤول عن البحث، وعن تنظيم مؤتمرات عالمية، لمناقشة فكر الأستاذ كولن، فقد نظم ملتقيات في كثير من الجامعات العالمية: في أمريكا، وروسيا، والسويد، وألمانيا... وغيرها. أما عن الملتقيات المنظمة في العالم العربي -مصر، اليمن، الأردن...- فهي بإشراف مجلة "حراء" (1)

١- انظر: أرياب المستوى ، د. محمد باباعمي ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ، والموقع الرسمي لمؤسسة وقف الكتاب والصحفيين باللغة الإنجليزية Understanding FETHELLAH Gulen. Journalist and writers Foundation ، وموقع حركة كولن بالإنجليزية www.Gulenmovement.Us

## البحث عن المشترك

السؤال الوارد هنا : كيف فعل فتح الله كولن وتلاميذه هذا ؟

لقد كان فتح الله كولن يواجه ظاهرتين في المجتمع التركي آنذاك ، ولعل أثرهما لا يزال باقيا إلى اليوم ، وهما : الظاهرة العلمانية المتمثلة في حزب الشعب الجمهوري ، ومن وراءه من النخبة والمتقنين ، والظاهرة الإسلامية السياسية المتمثلة في الجماعات والأحزاب الإسلامية ذات التوجه السياسي ، وقد : " نجح في إقناع كلا الجانبين بأن التطرف من أي نوع ليس حلا لأي مشكلة تواجهها تركيا ، فحظيت أفكاره بالقبول لدى الغالبية ، من مختلف الاتجاهات بفضل ثقافته الدينية ومنهجه السامح ، رغم دعاية مكثفة شنتها ضده أقلية علمانية متطرفة ، حاولت تصويره على أنه عدو. " (١)

ولعله استطاع أن يحقق هذا داخل المجتمع المنقسم بفضل خاصيتين :-

**الدعوة إلى تجاوز الماضي الأليم**، وعدم اجترار المآسى التي قادت إلى التعصب الفكري والسياسي ، حيث : " يقوم الحوار عند فتح الله كولن بشكل كبير على إعلاء قيمة التسامح وتخطي العقبات ، ونسيان الماضي الأليم إذا كان هناك خبرات تاريخية كبرى، وهذا منهج للتقارب، وقد ينظر البعض إلى هذا المنهج على أنه منهج تقل فيه المصارحة أو المكاشفة أو الشفافية، ولكن إذا ما نظرنا إلى هذا المنهج في إطار البيئة التي ظهر فيها والضغوط والقيود التي يفرضها المناخ التركي وأيضاً العلاقة مع الغرب بشكل عام، نجده في النهاية محاولة لتقريب الفجوة ما بين أطراف الحوار ليسوا في النهاية متساوين في القوة. " (٢)

**الخاصية الثانية ترجع إلى عزوف فتح الله كولن وتلاميذه عن الخلافات السياسية والدينية**، مما منحهم الكثير من المصداقية عند الأطراف المتنازعة ، إذ أن الخلافات السياسية والدينية - في الغالب - تكون هي عنصر الاختلاف والتفوق ولو من منطلقات شئى .

: " لقد نأى كولن بنفسه عن الخلافات السياسية والدينية كلها ، وصرح بعدم نيته ممارسة السياسة أو دعم أى حزب سياسى ، لكن مع ذلك تراه يعلن انه ليس من حق رجال السياسة الأتراك أن يحرّموا الشعب من نصيبه المستحق في النظام ديمقراطى ، والإصلاح الاقتصادى والاجتماعى الذى تحتاجه البلاد. " (٣)

١- فتح الله كولن " الرؤية والتأثير"، مايمول أحسن خان ، ص ١٦٩

٢- مؤتمر مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامى " خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية"، د. باكينام الشرقاوى : ص ٤٢٧

٣- فتح الله كولن " الرؤية والتأثير"، مايمول أحسن خان ، ص ١٧٠

---

وهنا ينبغي أن نشير إلى طبيعة العلاقة بين فتح الله كولن و حركة الخدمة من جانب والأنظمة العلمانية من جانب آخر ، ذلك أن هذه الانظمة المتعاقبة كانت لاتخفى خوفها من "الإسلاميين" على اختلاف تياراتهم ، وهنا لابد أن نشير إلى : " الفرق الدقيق بين كولن وغيره من القادة الدينيين المعاصرين إذ يرون أن عليك أولا ان تغير قوانين الدولة لتوافق المبادئ الإسلامية ، حتى تتمكن من منع الطغيان الحكومى ، وإقامة العدل ، أما كولن فليس من الحكمة عنده - البتة - أن تحارب طُغانتك بالعنف ، بل حاول أن تغير فى إطار القوانين وهذا قد يفيد كثيرا فى جعل النخبة الحاكمة تدرك أنها لاتستطيع دائما أن تنتهك حقوق الناس وتُفَلت بسهولة ، فإذا لعبت الجماهير دورا مهما فى صياغة رأى عام ، فسيكون بإمكانهم تدريجيا وضع النظام الحاكم الذى يحقق أهدافا سامية تضمن العدالة للناس جميعا . " (١)

## المطلب الثالث

### تقارب الشعوب والحوار بين الأديان

لاشك أن الخطاب القرآني - في الأصل - هو خطاب إلهي إلى الإنسانية كلها ، دون تمييز أو انتقاء ، خطاب موجّه إلى الإنسان - مطلق الإنسان - في كل زمان ومكان ، ولا أدلّ على ذلك من النداء المتكرر في القرآن الكريم " يَا أَيُّهَا النَّاسُ " ، ومنه قول الله - سبحانه - " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ " (١) ، وقوله - جلّ في علاه - : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا " (٢)

وفى سورة النساء ورد نداء ان بهذا الأسلوب الشامل لكل بني الإنسان ، يؤكد الخطاب القرآني من خلالهما على إرسال النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس كافة ، في قوله - تعالى - " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا " (٣) ، وقوله - تعالى - : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا " (٤)

و يذكرهم بنعمائه عليهم - كبشر - بدءاً الخلق والتكوين : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتَّقَىٰ وَيَتَّقَىٰ مِنَ يَرُدُّ إِلَىٰ أُرْدُلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ " (٥) ، ومروراً بتذكير بني الإنسان بعجزهم أمام قدرته وقوته - سبحانه - بل بعجزهم أمام مخلوق بسيط من مخلوقات الله - فأولى بهم إذن أن يستجيبوا له ويؤمنوا به - : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مِّثْلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ

١- سورة البقرة ، الآية : ٢١

٢- سورة النساء ، الآية : ١

٣- سورة النساء ، الآية : ١٧٠

٤- سورة النساء ، الآية : ١٧٤

٥- سورة الحج ، الآية : ٥

اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ  
وَالْمَطْلُوبُ" (١) .

وتذكيرهم بفقيرهم الدائم والأصيل فيهم : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ  
الْحَمِيدُ" (٢) ، فكما خلقهم هو - وحده- يرزقهم : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ  
خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ " (٣)

ووصولاً إلى دعوتهم إلى أن يعبدوا ربهم وخالقهم ورازقهم وصاحب الأمر فيهم - سبحانه -  
فيعرض عليهم هداية السماء فمن اهتدى فلنفسه ومن أعرض عنها فعلى نفسه كذلك : " قُلْ يَا أَيُّهَا  
النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا  
أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ " (٤)

ثم يعلن الخطاب القرآني الحكمة الإلهية من خلق الناس مختلفين: ذكر وأنثى ، أعجمي وعربي،  
أبيض وأسود: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ  
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " (٥)

وفي خطبة الوداع يعلن نبي الإنسانية - صلى الله عليه وسلم - في هذا البيان العالمي الأخير ،  
أن الإنسان متساوٍ في قيمته مع أخيه الإنسان ، لا يفرق بينهما لونٌ أو جنسٌ أو لغةٌ بل التفضل  
لا يكون إلا بـ " التقوى " ، والعمل الصالح النافع للآخرين : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا  
وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ ، أَلَا لَا فَضْلَ لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى ، أَلَا  
قَدْ بَلَغْتُ ؟ " قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : " لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ " (٦)

١- سورة الحج ، الآية : ٧٣

٢- سورة فاطر ، الآية : ١٥

٣- سورة فاطر ، الآية : ٣

٤- سورة يونس ، الآية : ١٠٨

٥- سورة الحجرات ، الآية : ١٣

٦- أخرجه الإمام البيهقي في شعب الإيمان ، حفظ اللسان ، فصل ومما يجب حفظ اللسان منه الفخر بالأبواء ، حديث  
رقم (٤٧٧٤) ، (١٣٢/٧) ، وأخرجه الإمام أبو نعيم في الحلية ، في الطبقة الأولى من التابعين ، من حديث أبي نضرة  
المنذر بن مالك رضى الله عنه - ، وأورده الإمام ابن عساكر في معجمه ، حرف الكاف بروايته عن كثير بن سعيد بن  
عبد الله ، رقم (١٠٤٥) ( ٨٤٣/٢ )

## الإسلام والحوار بين الأديان

لاشك أن هناك جهات كثيرة تبنت فكرة " الحوار بين الأديان " ، إلا أن هذه الجهات إمّا أنها تبنتها من ضوء مقتضيات سياسية ، أو كانت اللقاءات المنبثقة عن هذا "الحوار" غير فاعلة ، فلم تتجاوز حدود المجاملات ، وتبادل كلمات الثناء !!

أدى هذا إلى أن أصبحت الفكرة غير مقبولة بين الجماهير - على الأقل الجماهير المسلمة - ، إذ اعتقدوا أن " الحوار بين الأديان " يعنى محاولة الذوبان والتنازل عن الثوابت .  
في تجربة الأستاذ فتح الله كولن تنطلق فكرة "الحوار بين الأديان " من أصول إسلامية خالصة ، فهو يدعو إلى الحوار لامن أجل الذوبان في الآخر ، وإنما لإقامة علاقة من " التسامح بين الأديان " .

" وعند التأمل في أفكار كولن حول الحوار بين الأديان نلاحظ أنه يؤصّل لفكرة التسامح في ضوء المبادئ الإسلامية الرئيسية ، مُتَّخِذاً من "البسمة" نقطة انطلاق ،لما فيها من تكرار لاسمى " الرحمن " و"الرحيم" ، فإن الله يريد أن يعلم المسلمين بتلك العبارة - إلى جانب حكمه الأخرى - أن يكونوا رحماء في علاقاتهم مع الآخرين من الناس ، ويرى كولن أنه ينبغي الوقوف طويلاً على حكمة تكرار هذه العبارة مائة وأربع عشرة مرّة في القرآن الكريم . " (١)

ويورد د. زكى سارى تَبْرَاكُ مقتطفات من مقالات لفتح الله كولن حول معانى الرحمة الإنسانية منها قوله فى مقال: الرحمة ، من سلسلة " العصر والجيل " ( غير مترجمة إلى العربية ) : " إن الإنسان بوصفه إنساناً مسؤولاً عن إبداء الرحمة بشكلٍ مركزٍ تجاه المجتمع الذى يعيش فيه وتجاه الإنسانية ، بل نحو جميع ذوى الأرواح ، وكلّما كان رحيماً أصبح أكثر رُفِيّاً ، وكلما لجأ إلى الشر والظلم والقسوة كان عاراً على الإنسانية . " (٢)

نستطيع أن نقول : إن الفلسفة التى ينطلق منها فتح الله كولن إلى الحوار البنّاء مع أهل الديانات الأخرى هى فلسفة "التبليغ" ، دون غيرها ، لأنه - وكما جاء فى عدة مواضع من هذا البحث- يرى أن "التبليغ" هى القضية المحورية للمسلم فى هذه الحياة ، فهو يحاورهم ليجلو الصدا الذى تراكم عبر الممارسات الخاطئة والفجّة على مفهوم الإسلام عند الغرب .

كذلك فإن الأستاذ فتح الله كولن : " قد أدرك بأن العالم أصبح -بعد تقدم وسائل الاتصالات- قرية عالمية، لذا فإن أي حركة قائمة على الخصومة والعداء أو العزلة لن تؤدي إلى أي نتيجة إيجابية، وأنه يجب الانفتاح على العالم بأسره بالعقل والوجدان، وإبلاغ العالم كله بأن الإسلام دين الرحمة

١- من كتاب " السلام والتسامح ، د. زكى سارى تَبْرَاكُ : "فتح الله كولن" صوت من تركيا للحوار بين الأديان ، ص ٢١

٢- المصدر السابق ، ص ٢٢

للعالمين، وأنه ليس قائماً على الإرهاب -كما يصوره أعداؤه- وأن هناك مجالات واسعة للتعاون بين الإسلام والمسلمين وبين الأديان الأخرى وأتباعها المخلصين للإنسانية. ووجدت هذه الحركة صداها في تركيا وخارجها ، ووصلت هذه الحركة إلى ذروتها في الاجتماع الذي عقد في الفاتيكان بين الأستاذ فتح الله وبين البابا . " (١)

ومنطلقه الأساس في هذا قوله - تعالى - : " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ " (٢)

فهو يرى أن من معاني هذه الآية الكريمة : " دعوة الأرواح والضمائر المختلفة والثقافات والحضارات المستندة إلى مفاهيم مختلفة، والأمم التي شكّلتها وأنشأتها الكتب المتعددة المنزلة في أزمان مختلفة إلى خطٍ قد نستطيع تسميته بـ "خط الصلح" يقبله كلُّ قلبٍ وضمير، خط يوحد ويؤلف ويتناول كل مسألة في إطار من الرحمة الواسعة الشاملة، وفي دائرة من البعد الكوني مما يُعطي لكل فكرٍ ولكل ضمير فرصة الحل في ظل تحكيم الحق ، وهكذا تستطيع الأرواح التخلص من قبضة الأهواء لتصل إلى العبودية الحقة ، وتنقذ نفسها من العبودية لآلهة الدنيا الزائفة. " (٣)

فهذه الآية وأمثالها تعمل على إقامة الجسور مع أهل الكتاب وتفتح الأبواب أمامهم : "إن دققت جيداً تبين بأنها تقيم فقط الجسور مع أهل الكتاب وتفتح الأبواب أمامه ، أما ما يتم بعد دخول هذه الأبواب فلا يُصرّح به، بل تقوم آياتٌ أخرى بذلك. " (٤)

ولايعنى "التسامح والحوار" هذا بالطبع عدم التمايز ، أو سقوط الاختلافات بين الأطراف المتحاوره ، بل ينبغي أن يكون واضحاً تماماً أننا نتحاور في إطار الحفاظ على الثوابت .

ذلك أنه : " إن بهتت الخلافات الأساسية الموجودة بين المؤمن وغير المؤمن في النواحي الملية والأخلاقية والفكرية غابت الفروق التي يجب وجودها بينهما، ولو استمر هذا الوضع لأصاب **التعفن كلا الطرفين**، .... ففي جانب المحبة الإنسانية والتفاهم إن لم تتم المحافظة على تمايز الخطوط، وإذا تم الاختلاط دون أي حساب أو ميعاد وعض الطرف عن بعض المبادئ القانونية نكون - بأفعالنا وتصرفاتنا التي رجونا منها الإصلاح - سببا في الفتنة وفي الفساد - ....

١- فتح الله كولن ، رائد النهضة الراشدة في تركيا المعاصرة ، د. عبد الحليم عويس ، ص ٢٥

٢- سورة آل عمران ، الآية: ٦٤

٣- أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، فتح الله كولن ، ص ١٠٣

٤- المصدر السابق ، ص ١٠٢



والشروع الناتجة من النيات الحسنة قد تكون لها صفة الدوام، والجماهير غير الواعية عندما تدخل في هذه الدوامة يصعب عليها التراجع. " (١)

كان هذا واضحاً جداً في فكر وتطبيق الأستاذ كولن ومن بعده حركة الخدمة من خلال أنشطتها ومؤسساتها ، إلى الحد الذي أصبح فيه "كولن" مصدر إلهام لبعض الموضوعيين من رجال الدين في الغرب فقد صرح قسّ أمريكي بارزهو: ديرك فيكا (٢) بأن جميع الديانات في حاجة إلى مثل التزام فتح الله كولن، الباحث الإسلامي التركي، والذي يركّز في تعاليمه على حوار الأديان..  
: "إنني لا أعتبر الأستاذ فتح الله كولن بطلاً فقط لما أسداه للمجتمعات المسلمة، بل إنه (يقدم) نموذجاً لجميع الديانات الأخرى . . . إنني معجب جداً بهذا الرجل، وقرأتُ بعضاً من أعماله، واطّلت على أنشطة الحركة التي ألهمها. إنه رجل اجتماعي وسمح ، وقد ألهمت أخلاقه المتسامية الداعية إلى قيم الإسلام العليا ويسره، العديد من المسلمين الأتراك وغيرهم عبر العالم".  
وقد بين "فيكا" كيف ينبغي فهم حوار الأديان ، في ضوء النموذج الذي يدعو إليه كولن وهو ذاته النموذج الذي يتبناه "فيكا" حيث : " يدعم تفرد وخصوصية كل الأديان ويشجّع على اجتماعهم حول مائدة واحدة أجل التواصل ، وقال فيكا أنه يتم أحياناً تقديم الهدف من الحوار على أنه : توحيد جميع الأديان ، لكنه اعتبر هذا شيئاً أبعد عن الحقيقة ، وأضاف أن: الحوار تفاهم متبادل، سواء اتفقنا أو لم نتفق. " (٣)

ولعل هذا التواصل والتفاهم هو أحد الأهداف التي حققتها "الحوار" عند فتح الله كولن ، إنه حوار من يعرض بضاعته "الممتازة" بثقة بالغة وهذوء شديد ،دون تشنّجٍ أو شعارات مستهلكة ، حوار من يرى أن العالم هو الذي يحتاج مالدينا من "هداية" ، فهو يتلطف في عرضها عليه باللغة التي يحسن فهمها .

يقول فتح الله كولن : " إن شعوب العالم لفي حاجة إلينا نحن معشر المسلمين، إذا نحن مثلنا ديننا و حضارتنا حق التمثيل ، وإنه لا عذر لنا اليوم في عدم التواصل الإيجابي مع الآخر، وعرض

١- المصدر السابق ، ص ١٥٤

٢- المدير التنفيذي لمجلس برلمان أديان العالم الواقع بشيكاغو، واحدة من المنظمات غير الحكومية الدولية التي تهدف إلى غرس بذور تفاهم أفضل بين المجتمعات الدينية والروحية عبر العالم من خلال تسليط الضوء على أوجه التشابه مع تمييز الاختلافات بينهم

٣- المصدر: جريدة "زمان اليوم" الإنجليزية، ٢٢ نوفمبر ٢٠١٠م : حوار مع القسّ ديرك فيكا المدير التنفيذي لمجلس

نموذجنا الإسلامي الراقي في أسواق العالم الثقافية. بيد أن أولى الخطوات أن نتواصل فيما بيننا نحن أبناء الأمة الواحدة أولاً." (١)

## ل الخدمة والحوار بين الأديان

يقوم حوار الأديان في حركة الخدمة على مفاهيم: الحب، والتسامح، والتقدير، وما ينتج عن هذه القيم من لغة جديدة للتفاهم والمشاركة.

ف: "غرض الحوار عند كولن هو صياغة لغة مشتركة تخاطب مشكلات الإنسانية الملحة، ويتوقع من ذلك حدوث تلاقح للأفكار ونشأة فهم عام يسمح بتعاون مختلف الديانات لتحسين ظروف الإنسانية، إن أكثر ما يُزعج كولن هو تصوّر الآخرين للإسلام على أنه دين صراع أو عنف، وهو يسعى إلى تغيير هذه النظرة من خلال الحوار." (٢)

غير أن الحوار الذي تتبناه الخدمة ويدعو إليه كولن ليس حواراً أكاديمياً، أو فكرياً، بمعنى أنه ليس تنظيراً حوارياً بين فئات من المتخصصين في علم الأديان، أو حتى بين رجال كل دين، وإنما الحوار هنا هو إيجاد لغة مشتركة من التفاهم من خلال التواصل المباشرة والمعاملة الدائبة، وإيضاح وجهات النظر دون تعقيد أو تسطيح أو مبالغة من أي طرف.

يقول الباحث في الحركة: حاقان يافوز: "بناءً على دراستي لخطاب حوار الأديان ومؤسسات إجراءات الحوار في حركة كولن، أقول: إن الحركة تقدّم التفاعل على المستوى العملي والحواري على المستوى الفكري، فالحوار يسعى إلى إقامة العلاقات بين الناس، إذ يتيح لهم الفهم المتبادل وهو ما يختلف عن الحوار الأكاديمي الرسمي." (٣)

وقد نجحت الحركة في إنشاء مؤسسات عدّة للحوار في مختلف بلدان العالم، لاسيما العالم الغربي والمسيحي: "ولحركة كولن نشاطها في أمريكا وكندا، فلديها ٥٠ مجموعة محلية لحوار الأديان في كل ولايات أمريكا تقريباً، وتتطلق هذه المجموعات من كتابات كولن وتتبني فكره، وأكبر هذه المؤسسات "معهد حوار الأديان لتحقيق السلام العالمي" ومقره أوستن في تكساس، وله ١٧ فرع في مدن أخرى، وينظّم هذا المعهد إفطارات رمضان في المدن الأمريكية الكبرى، ويمنح جوائز لرجال الدين الناشطين في حوار الأديان، ومنها "منتدى الرومي" وغيرها من المؤسسات." (٤)

١- ملحق مجلة حراء: فتح الله كولن، أشواق أمة، و استنهاض حضارة. ص ٥٠.

٢- نحو تنوير إسلامي: حركة فتح الله كولن، حاقان يافوز، ص ٢٤٨.

٣- المرجع السابق، ص ٢٥٠.

٤- المرجع السابق، ص ٢٥٣.

## لزيارة فتح الله كولن لـ"بابا الفاتيكان "

فى إطار محاولته تقديم الصورة الصحيحة عن الإسلام ، وفى إطار دعوة البابا" يوحنا بولس الثانى " بابا الفاتيكان<sup>(١)</sup> لفتح مجال للحوار الدينى من أجل التفاهم والاستقرار ، فكانت خطوة إيجابية من فتح الله كولن فى هذا الوقت عام ١٩٩٨م هدَف بها إلى تقديم صورة صحيحة عن الإسلام أمام العالم ، حيث لقيت هذه المقابلة ترحيباً دولياً كبيراً ، وكان لها صدَى واسع فى وسائل الإعلام العالمية .

وقد كان لقاء كولن ببابا الفاتيكان معبراً عن إيجابيات الإسلام فى التعامل مع الأديان الأخرى ، كما أظهرت قبول الإسلام للتعايش الإيجابى مع الثقافات الأخرى ، فى جوِّ تسوده المودة والتعاون على خير الإنسانية.

وفى أحد اللقاءات الصحفية مع فتح الله كولن وردًا على سؤال وُجِّه إليه عن العوامل التى دعتَه إلى هذا اللقاء قال : " إن فكرة أن العالم على أعتاب صراعات جديدة ، هو مايريده أولئك الذين يعتمد بقاؤهم وسيطرتهم الدائمة على وجود هذا الصراع المستمر ، ومع ذلك فكما يشير القرآن إلى أن الإنسان مخلوقٌ مُكْرَمٌ ونبيل ، يسعى بفطرته إلى السموِّ ، وبينما يسعى إلى ما هو جميل ، فإنه يواجه معوقات كثيرة ، وما يحثُّنى على الدعوة إلى حوار عالمى ، هو مايمكن فى الجنس البشرى من نبلى وجمال ..... وأضاف كولن : إن القرآن الكريم يأمر بالسلام والنظام والاتساق ، ويهدف إلى السلام والنظام العالمى ، ويعارض الصراعات والانشقاقات ..... لقد قام القرآن بدعوة عالمية للحوار مع أصحاب الديانات السماوية ، ولسوء الحظ فإن القرون التى أعقبت هذه الدعوة شهدت صراعات ومعارك أكثر من الحوار والفهم المتبادل ... لقد عقدنا النية على المساهمة فى سلام العالم ، وفى التعايش السلمى . " (٢)

وحول رفض المسلمين دعوة "البابا" ، يلتبس فتح الله كولن العذر لمن تشكك فى مصداقية هذه الدعوة ، ولم يقابلها بمثلاً أو يرحب بها ، يقول : " إن الاستعمار الغربى الذى ظل قروناً تدعمه المسيحية ، يجعل من السهل على المسلمين أن يعتقدوا أن الفاتيكان لديه دافع سياسى للقيام بمثل هذه الدعوة ، ولا ينس المسلمون الحروب الصليبية<sup>(٣)</sup> ، ولهذا فهم حذرون من مثل هذا

١-بابا الكنيسة الكاثوليكية الرابع والستون بعد المائتين منذ ١٦ أكتوبر ١٩٧٨ وحتى وفاته فى ٢ أبريل ٢٠٠٥م

٢- تقارب الشعوب، دعوة المفكر الإسلامى محمد فتح الله كولن نموذجاً ، د. هدى درويش ص: ١٤٨- ١٥٠ ، نقلا عن حوارات أجريت مع فتح الله كولن فى أعقاب لقائه مع بابا الفاتيكان

٣- بدأت هذه الحروب بإيعازٍ من بابا الفاتيكان حينها : أوربان الثانى ، حين دعا الصليبيين إلى الذهاب إلى الشرق بلاد السمن والعسل

الحوار، وذلك لشعورهم أن دعوة المسيحية إلى الحوار ماهو إلا أسلوب جديد للنشاطات التبشيرية ، وقد انطلقت هذه الدعوة إلى الحوار في وقتٍ لم يتوقعه المسلمون ، لذا فقد قوبلت دعوته بشيءٍ من اللامبالاة .<sup>(١)</sup>

بسبب هذه الزيارة تلقى كولن ورفاقه دعماً شعبياً واسعاً من المجتمع التركي المنفتح بطبعه ، غير أنه انتقد بشدة من قبل مجموعتين : " حيث انتقده العلمانيون المتشددون ، ومجموعة صغيرة من الإسلاميين ، إلا ان المجموعتين اختلفتا في طريقة وأسباب انتقادهم لكولن : أما نقد العلمانيين فقد كان متركّزاً حول ضرورة التفويض من الدولة قبل إجراء مثل هذا اللقاء ، فليس من حق كولن أن يتكلم مع شخص مثل " البابا يو حنا بولس الثاني " من تلقاء نفسه دون تصريح حكومي !!

أما بعض الإسلاميين فقد كان انتقادهم مختلفاً ، فقد اعتبروا زيارة كولن نوعاً من التذلل ، إذ أنهم يرون أن المسلم لا يليق به أن يذهب لزيارة غير المسلم ، كما اعتقدوا أن ذهاب مثل هذا القائد الإسلامي البارز لزيارة قائد ديني كاثوليكي يمكن أن يتسبب إلى تنصّر بعض المسلمين .<sup>(٢)</sup> والحقيقة أن كلا الطرفين مناقضٌ لنفسه ، ذلك أن العلماني هذا الذي ينادى بفصل الدين عن الدولة ، لماذا أصبح من الواجب أن تتدخل الدولة - عنده - في شئون دينية ؟ أم أن المطلوب فقط أن لا يتدخل الدين في شئون الدولة أما العكس فمسموحٌ به !!؟

أما الطرف الآخر فإن خشيته أن يتسبب مثل هذا اللقاء في " فتنة" بعض ضعاف الإيمان ، فإنه يدل على أزمة " ضعف الثقة" في الذات ، وفي الإسلام .

وقد كان من نتائج هذا اللقاء : " انعقاد مؤتمر للأديان نظمته إحدى لجان " وقف الكتاب والصحفيين" تحت عنوان " ندوة حول نبيّ الله إبراهيم - عليه السّلام - " في جنوب شرق تركيا ، في مدينة صغيرة تُدعى "أورفا"، يُعتقد أنها مكان ولادة النبي إبراهيم - عليه السّلام - ، كما أثمرت هذه الزيارة فكرة تأسيس جامعة لحوار الأديان بالمدينة نفسها .<sup>(٣)</sup>

إن النموذج الذي تقدمه " الخدمة" من خلال الحوار العالمي بين الحضارات ، يقف اليوم في مواجهة نموذج " صراع الحضارات " ، صحيح أن فتح الله كولن وحركته لم يدعيا أنهما يمثلان العالم الإسلامي ولا حتى تركيا ، إلا أن مشروع " التفاهم والحوار بين الحضارات " الذي يقوده " وقف الكتاب والصحفيين" أدى إلى تغير كبير في عقلية بعض الأوساط الغربية في نظرتها إلى الإسلام كدين وإلى المسلمين كأمة .

١- تقارب الشعوب، د. هدى درويش ، ص ١٥١

٢- "فتح الله كولن" صوت من تركيا للحوار بين الأديان ، د. زكى سارى تيراك ، من كتاب " السلام والتسامح ، ص ٢٦

٣- المصدر السابق ، ص ٢٧

ولذلك فإن تجربة فتح الله كولن في هذا المضمار تُعدُّ تجربة إسلامية نادرة في فكرها و في طريقة عملها، ذلك أننا عندما نبحث في نماذج متعددة للحركات الإسلامية نجد أن أغلبها قد نهج أسلوب المواجهة ، مقابل أسلوب الحوار كمبدأ في التصور و منهج في العمل.

ذلك كله حين تتوافر البيئة المناسبة للحوار ، ولذلك لم يبدأ كولن بالحوار إلا حينما وجد استعدادا للتحاور من الطرف المقابل ، أما حين جاء البابا بندكت السادس عشر وصرَّح بتصريحات مسيئة للإسلام ، حيث : " اقتبس من خطاب معاد للإسلام قول أحدهم : أرني ماالجديد الذي جاء به محمد ، لن تجد سوى أشياء شريرة غير إنسانية ، كأمره بنشر دينه بالسيف . " (١) ، أصدر الأستاذ فتح الله كولن بياناً قوياً حول تصريحات البابا بنديكت السادس عشر بشأن الإسلام ، ومما جاء فيه : " نتمنى ألا يكون تصريح هذا البابا سبباً في حوادث مؤسفة وفي حبك مؤامرات غير مقبولة ، لأن هذا التصريح أظهر استخفافاً بعقيدة الألوهية في الإسلام، ووجه اتهامات شائنة لرسولنا الأكرم - صلى الله عليه وسلم- ، مما أدى إلى جرح مشاعر المسلمين. . . نحن نتمنى صدور ردود فعل حضارية من الفاتيكان، فهذا حق مشروع للمسلمين الذي جاء رسولهم - صلى الله عليه وسلم - بأسس أخلاقية من الرحمة والشفقة، وعدم الانزلاق إلى الألاعيب وسوء التصرفات التي فتحت الرسوم الكاريكاتورية الأبواب لها. " (٢)

### المدارس ونشر ثقافة الحوار

لم يكن الحديث عن الحوار والتسامح والنظر إلى الإنسان باعتبار إنسانيته لا باعتبار دينه ولونه وجنسه في حالة " حركة الخدمة " ليس مجرد شعار بل هو حقيقة، تشهد عليه العديد من التجارب في مناطق مختلفة من العالم معروفة بمشكلاتها العرقية والطائفية ، وتعتبر تجربة المدارس من أهم المحاور في تحقيق فكرة الحوار ونشر ثقافته عبر العالم من خلال "التربية والتعليم" ، حيث استطاعت هذه المدارس جمع المتناقضات واستطاعت دمج الكل في بوتقة واحدة. وهذا هو ما تبيَّنه إحصائية قديمة لعدد المدارس وعدد الطلبة ونسب حضور غير المسلمين فيها.، أوردها الدكتور محمد جكيب (٣)

١- الرؤية والتأثير ، مايمول أحسن خان ، ص ١٧٥

٢- بيان من أ. فتح الله كولن بتاريخ ١٩-٦-٢٠٠٦م ، (تقارب الشعوب، د. هدى درويش ، ص ١٥٣)

٣-أشواق النهضة والانبعاث ، د. محمد جكيب ، ص ٢٢٨-٢٢٩

اسم البلد	عدد المدارس	عدد الطلاب	نسبة المسلمين	نسبة غير المسلمين
كازاخستان	٢٩	٨٢٨٤	%٨٠	%٢٠
أفغانستان	٦	٢١٤١	%١٠٠	
الفلبين	٥	٦٩٤	%٤٥	%٦٥
تاييلاند	٤	١١٩١	%١٠	%٩٠
إندونيسيا	٥	١٢١٦	%٩٩	%١
أستراليا	١٠	٢٦٥٥	%٩٤	%٤
مقدونيا	٤	٤٠٠	%٤٤	%٢٦
نيجيريا	٤	١٤٤٦	%٦٥	%٤٥
السنغال	٤	٦٤٠	%٩٠	%١٠
النيجر	٤	٤٥٠	%٩٩	%١
المغرب	٥	٨٤٤	%١٠٠	
كينيا	٤	٩٤٦	%٢٥	%٤٥
أفريقيا الجنوبية	٤	١٠٢٠	%٤٥	%٦٥
مونغولستان	٥	١٠٢٤	%٢٠	%٨٠
السودان	٤	٢٨٥	%١٠٠	
ألبانيا	١٤	٢٨٣٣	%٩٤	%٤
باكستان	١٤	٤٤٤٥	%٩٩	%١

تبين هذه الإحصائيات التي تعود لتاريخ ٢٠٠٨م أن هذه المدارس تراعي الخصوصية المحلية، إذ تجد فيها المسلمين مع غير المسلمين بل في بعض المدارس تجد أن المسلمين هم أقلية. فوجود طلبة مسلمين إلى جانب طلبة غير مسلمين هو تطبيق عملي لثقافة الحوار وقبول الآخر.

نعم .. أنشأ أبناء التجربة، المراكز الثقافية و الجمعيات الخيرية، و المؤسسات التجارية ، في كل مكان تواجدوا فيه ، لكن الطابع الذي كان يغلب على التجربة في تواجدها في مختلف الأقطار هو إنشائها للمدارس و دور الطلبة ، فقد قامت هذه المدارس بمدرسيها و أساتذتها وكوادر الإدارة فيها بصنع نسيج من العلاقات المشتركة بين أناس يختلفون في الدين و الثقافة والحضارة .

---

## الفصل السادس

# تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية في الميزان

ويتكون من أربعة مباحث : -

المبحث الأول : إقامة الأستاذ فتح الله كولن في أمريكا

المبحث الثاني : موقف الأستاذ كولن وحركة الخدمة من قضايا الأمة

المبحث الثالث : اتهامات حول تقديس أتباع كولن لشخصه

المبحث الثالث : الاتهام بمحاولة بعمل كيان موازى وتحقيق أهداف سياسية

## ل منهج الباحث فى عرض التجربة مالها وما عليها

أود هنا أن أشير إلى المنهجية التى سلكتها فى عرض الشبهات التى تُثار حول الخدمة ومُلمها الأستاذ فتح الله كولن ، من خلال النقاط التالية :-

**أولاً** - التأكيد على أن موضوع البحث هو دراسة التجربة من حيث كونها تجربة دعوية ، دون الخوض فى التداخلات السياسية القائمة ، لاسيما فى الواقع التركى - على ماله من أهمية على حاضر الحركة ومستقبلها - ، إلا أن هذا خارج عن إطار بحثنا ، والذى يعنينا هو الجانب الدعوى ، والذى هو أبرز جوانبها وأكثره تأثيرا ، وإن كنت أرى أن التجربة - فى مجملها - ليست إلا تجربة دعوية خالصة ، لاحقتها السياسةُ ودخلت معها فى صراعٍ لاناقة لها فيه ولا جمل ، وقد عرضتُ فى الفصول السابقة ما يؤكّد هذا ويؤيّدُه ، ولذا فقد حرصتُ على عرض مايمسُّ هذا الجانب الدعوى - خديما كان أو فكريا أو ينال منه ، أو يضع حول أنشطته علاماتُ استفهام ، أو دوائر اتّهام .

**ثانياً** - يدور البحث - فى مجمله - حول ثلاثة محاور، تدور حولها التجربة الدعوية للأستاذ فتح الله كولن :-

### محور الشخص . . محور الفكرة . . محور الحركة

غير أنى لا أزعم الإحاطة بجميع فكر الشيخ ، أو استقصاء جميع مجالات الحركة وأنشطتها حول العالم ، وبالتالي فلا مجال لاستقصاء مايقال عن الخدمة وعن الأستاذ كولن قدحا أو مدحا ، بل سيكون الاقتصار على مايمسُّ هذه المحاور الثلاثة مما يدور البحث فى دائرته

أما الشخص ، فينبغى - ونحن نبحت فى تجربته الدعوية - أن ندرس - ولو بشكلٍ مختصر - خطابه خلال هذه الأزمة ، وكيف كان ردُّ فعله تجاه مايقال عنه ؟ ، هل حاد عن الجادّة ؟ هل فقد صوابه ؟ هل انشغل بالردود أم انصرف إلى العمل ؟ بماذا أوصى تلاميذه ؟ .، وبالجملة ، فإن مايعنينا - حقاً - هو : هل تخلّق الرجل بأخلاق الدعاة ، وأعطى النموذج من نفسه فى التحلى بأخلاق حملة الرسائل ؟ أم دخل فى دائرة الانتقام لنفسه ، والانتصار لذاته ؟

أما الفكرة فلاشك أن الأفكار الصالحة للبقاء هى - وحدها - التى تثبت أمام العواصف ، ولا تنال من صلابتها وقوتها الامواج العاتية ، مثلها فى هذا كمثل الكلمة الطيبة ، التى تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ( أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ )<sup>(١)</sup>



أما الأفكار الضحلة ، والآراء السطحية ، والمعالجات الزائفة ، تلك التي لا تستقر على قرار ، ولا تثبت على حال ، كريشة في مهب الريح لا تثبت على حال ، فهذه أفكار سرعان ما تنتطير مع أول هبوب لريح الفتن ، ك (كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) <sup>(١)</sup> وإذا كان الأستاذ فتح الله كولن قد دعا لتلاميذه إلى العمل التطوعي الخدمي المنبثق من إنكار الذات في سبيل إرضاء الله ، وخدمة الناس في سبيل إسعاد البشرية ، فهل ظلت هذه الأفكار هي الشاغل الرئيسي للأستاذ وتلاميذه ؟ أم أنهم انصرفوا عن هذه الأفكار ، واتخذوا لأنفسهم مسارات أخرى ؟

هنا . . . نجد الأفكار التي عاش الأستاذ من أجلها في موقع الاختبار الحقيقي ، وهذا ماسنراه - بمشيئة الله - من خلال عرض الشبهات التي تطعن في الفكرة ذاتها ودراسة ما وراءها .  
أما عن الحركة ، فأودُّ الإشارة إلى أن ما قصدته بمفهوم " الحركة " في هذا البحث ، هو حركة متطوعي الخدمة في تطبيق أفكار الأستاذ فتح الله كولن على أرض الواقع ، وليس ما يبراد عند إطلاق كلمة " حركة " ، فالمقصود هو الجانب التطبيقي من الفكرة ، ولم أتطرق إلى كل الجوانب ، وإنما اقتصرْتُ على ما رأيتُ أن له علاقة واضحة ومباشرة بموضوع البحث ، وأعنى به ماله علاقة بنهضة المجتمع والأمة من خلال العمل الدعوى ، ومن أبرزها التربية والتعليم ، ونشر ثقافة الحوار ، وهنا نتعرض إلى ما يُقال عن هذه الحركة بهذا المفهوم ، وما يُثار حولها من شبهات فإذا كانت هذه الحركة ليست تنظيمًا هرميًا - كما ذكرنا من قبل - ، فهل انحرفت مؤسساتها التربوية والثقافية عن المسار الذي انتهجته لنفسها منذ البداية ونال استحسان الجميع ؟

هذا هو الميزان الذي أردتُ أن أزن به هذه التجربة من خلال محاورها الثلاثة ، غير أن هذه المحاور متداخلة وليست منفصلة ، بمعنى أنه في كثير من الأحيان يصعب على الباحث في التجربة ، أو حتى القارئ فيها أن يميز بين فكر الأستاذ فتح الله كولن ، وبين الحركة التي استلهمت من أفكاره ، فكثيرا ما يتداخل ما هو متصلٌ بشخص الشيخ ، بما هو متعلق بفكر الحركة ، هذا بالطبع فيما يتصل بفكر الحركة من ناحية استلهام الأفكار وتنزيلها على أرض الواقع ، أما في الآليات التنفيذية للحركة فإن مؤسسات الحركة لا تعتبر مجرد أداة لنشر فكر الشيخ ، بل هي مؤسسات متخصصة تُدار بحرفية لاعلاقة لها بشخص بعينه ، وقد سبق أن ذكرنا هذا فيما يتعلق بالمدارس كمؤسسات تربوية تعمل بعيدا عن التأثيرات الأيديولوجية ، فمؤسسات " الخدمة " التربوية والاقتصادية والخيرية تعمل باستلهام من فكر الأستاذ فتح الله كولن الذي يعمل على نهضة

المجتمع والأمة من خلال هذه المؤسسات الدعوية ، وليست هذه المؤسسات أداة لنشر فكر الأستاذ ، أو ترويجاً لحركة " الخدمة " ، ف" الخدمة" فكرة تتحول إلى مؤسسات ، وليست تياراً سياسياً يسعى إلى اجتذاب المؤيدين والمناصرين أو تكثير عددهم .

**ثالثاً** - تجدر الإشارة كذلك إلى أن تجربة الشيخ فتح الله كولن ليست تجربة قُطرية ، بمعنى أنها ليست مقيدة بقيود الحدود الجغرافية ، بحيث يُقال أنها تجربة تركية مثلاً ، بل هي تجربة دعوية عابرة للحدود ، فإذا كانت مدارس الخدمة- مثلاً - منتشرة في مايقارب ١٦٠ دولة ، فهل يمكن اعتبار هذه التجربة ذات حدود جغرافية ؟ !

**رابعاً** - في عرض القضايا التي تُعرض باعتبارها لائحة اتهامات للخدمة أو للأستاذ فتح الله كولن لم أتعرض لذكر أشخاص أو أحزاب أو جماعات أو هيئات ، وإنما اكتفيتُ بذكر القضية المطروحة ، أو الشبهة المعروضة ، بغضّ النظر عن قائلها أو من يثيرها.

**خامساً** - لم أتعرضُ لقضايا تمّ بحثها والإجابة عنها في ثنايا البحث ، بشكلٍ مباشر ، مثل قضية عدم زواج الأستاذ فتح الله كولن ، واختياره حياة العزوبة ، وهو ما فصلتُ القول فيه عند الحديث عن فترة شبابه في الفصل الأول من هذا البحث ، أما القضايا التي تمّ بحثها بشكل غير مباشر ، فقد ذكرتُها وفصلتُ القول فيها مع الإشارة إليها حيث هي من البحث ، مثل موقف الأستاذ كولن وحركة الخدمة من قضايا الأمة ، فقد أحلتُ إلى الفصل الثاني ، عند الحديث عن حجة الإسلام أبي حامد الغزالي .

**سادساً** - ذكرتُ ماورد من إجابات أو ردود ودفع للشبهات من كلام الأستاذ فتح الله كولن ، أو من كتاباته وحواراته ، أو من مواعظه وخطبه ، أو رسائله ومخاطباته .

**سابعاً** - ذكرتُ رأي الباحث في القضية المطروحة ، من خلال دراسته للتجربة، أو مقابلته لأبناء الخدمة و من خلال متابعته لما يُقال عن الخدمة والأستاذ كولن .

## المبحث الأول

### شبهة إقامة الأستاذ فتح الله كولن في أمريكا

من الأمور التي يأخذها الكثيرون سبباً لاتهامات كثيرة حول الأستاذ فتح الله كولن وحركة الخدمة ، إقامة الرجل في ولاية " بنسلفانيا<sup>(١)</sup> " بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عام ١٩٩٩م ، وما يستدعيه هذا في الأذهان من التفكير بطريقة تجعل من اتهامه بالتآمر على وطنه قضية ذات منطوق ووجهة . .

وعلى الرغم من كون هذه القضية مسألة شخصية جداً ، إلا أن تعلقها برجل يتبع فكره الكثيرون في تركيا والعالم ، يجعلنا نقف حول هذه الشبهة ، ونضعها في الميزان .

ومسألة إقامة الأستاذ كولن في أمريكا ، تمت الإشارة إليها في الفصل الأول من هذا البحث حيث أنه في ١٩٩٧م ، تعرضت تركيا لعاصفة سياسية رهيبة ، وصارت الحياة داخل تركيا جحيماً لا يطاق ، وغادر تركيا بعض العلماء والدعاة ، وفتحت المحاكم ضد آخرين ، وامتدت سلاسل الاعتقال إلى كثير من نشطاء العمل الإسلامي في مختلف الاتجاهات ، أما خدمات الأستاذ فتح الله ، فقد حُوصرت في كل مكان ، ومن كل الجهات ، وكثُر التفتيش على المدارس التي حثَّ على إنشائها وعلى سائر المؤسسات الأخرى .

وأصبح شخص فتح الله كولن مستهدفاً ، فأوصاه تلاميذه والمقربون منه أن يترك أرض الوطن إلى حين .

: " وقد سافر إلى أمريكا بقصد العلاج عام ١٩٩٧م ، وبقي هناك لمدة سبعة أشهر ، فلما شعر بنوع من الانفراج في الحياة السياسية ؛ عاد إلى وطنه ، لكن هذه المرة صار الرجل مهدداً بما يقضي على حياته نهائياً، ربما باغتيال، أو بإعدام ظالم كما وقع من قبل لعدد من الزعماء السياسيين والعلماء الدينيين ، فخرج من البلد من أجل السفر للعلاج ، في الواحد والعشرين من شهر مارس من سنة ١٩٩٩م، لكنه هذه المرة خرج ولم يعد<sup>(٢)</sup> "

هذا ما حدث ، فلماذا امتدت إقامته هناك ؟ ، ولماذا لم يعد إلى وطنه حين تيسر الرجوع ؟

١- بنسلفانيا وهي واحدة من أربع ولايات في الولايات المتحدة الأمريكية تسمى "كومونولث" ، وتقع الولاية في القسم الشمالي الشرقي من الولايات المتحدة الأمريكية ، وتعتبر بنسلفانيا من أكثر الولايات الأمريكية تاريخاً و عاصمتها هاريسبرغ وتحتل ولاية بينسلفانيا المرتبة العاشرة من حيث نسبة عدد السكان من أصل عربي، وتبلغ نسبة المسلمين في الولاية حوالي ٤% من إجمالي السكان طبقاً لتقرير مجلس المنظمات الإسلامية بأمريكا .

٢- عودة الفرسان ، د. فريد الأنصاري ، ص ٣٢٩

تجدُر الإشارة هنا - كذلك - إلى أن هناك دعواتٌ كثيرةٌ وُجِّهت إلى الأستاذ فتح الله كولن من قبل رجال الدولة - بعد استقرار الأوضاع داخل تركيا - ليعود إلى وطنه ويستقر فيه ، منها دعوة رئيس الوزراء في الحفل الختامي لأولمبياد اللغة التركية (١) لعام ٢٠١٢م ، حيث قال في ختام حديثه : " الغربة حُرقة ، والحرقه ثمنها باهظ ، وتكلفتها ثقيلة جدا ، والذين يتحرَّقون شوقاً لهذا الوطن ، نريد أن نراهم بيننا ، نريد لهذه الغربة أن تنتهي . " (٢)

وحين وُجِّهت هذه الدعوة إلى الأستاذ فتح الله كولن ، كان ردُّه : " لقد عبَّر رئيس الوزراء وغيره من رجال الدولة من خلال هذه الدعوات عن شهامتهم وأصالتهم ، التي تليق بهم ، وأنا أشكر لهم هذا غير أن ما سأقوله ربما يكون غير لائق ، فأنا رجلٌ لأهل لي ، ولا مال وولد ، ولا أملك حجراً واحداً على الأرض ، وليس لي أيُّ حبٍّ أو هيام تجاه عَرْضٍ من أعراض الدنيا ، لم أُغرم بشيءٍ ولم أتعلَّق بشيءٍ ، الشيء الوحيد الذي أردته هو أن يرفرف الإسم الجليل المحمدي فوق أرجاء العالم وما أظننني فعلتُ شيئاً يُذكر تجاه هذه القضية (٣) ، وبالنسبة للدعوة الموجهة إليّ ، فإنه إذا لدى غاية سامية ، وأرجو ألا تتدلع مشكلاتٌ جديدة ، أو تضيع بعض المكاسب الدعوية التي قدَّمتموها لأمتكم ، فإذا كانت عودتي لتركيا سوف تتسبب ولو بنسبة واحد بالمائة ، فإنني أفضل البقاء في الغربة - على ما فيها من آلام - على أن أتسبب في شيء من هذا ، وأعتبر هذا إكراماً لوطني ولأمتي ، ولخدماتكم الجليلة ، كي لا يُصاب احدٌ بضرر بسببي . " (٤)

وفي سؤالٍ وُجِّه إلى الأستاذ كولن ، في حوارٍ له مع جريدة "لاريبوبليكا" الإيطالية حول إقامته في هذا المنفى الاختياري ، كانت إجابته : " أشعر بأن بقائي هنا أفضل من الناحية الصحية ، وأخشى من أن تستغل بعض الأوساط عودتي إلى تركيا وتتخذها ذريعة لرفع حدة التوتر السائدة حالياً إلى أسوأ مما هي عليه الآن ، ولقد تعرضت لمضايقاتٍ قضائيةٍ - إن جاز التعبير - كثيرةٍ عقب أحداث الثامن والعشرين من فبراير ١٩٩٧م (٥) ، على يد السلطات القضائية التي كانت تعمل بتوجيه من

١- هي احتفالية سنوية تنظمها المدارس التابعة للخدمة في تركيا ، ويحضرها - عادة - كبار رجال الدولة ، في حضور مئات الآلاف من أبناء الخدمة ، ومن يشاركونهم ، والاحتفال المشار إليه حضره رئيس الوزراء -حينها - رجب طيب أردوغان . - الباحث -

٢- مقتطف من حديث متلفز لاحتفالية أولمبياد اللغة التركية ٢٠١٢م [www.youtube.com](http://www.youtube.com)

٣- ينخرط الشيخ في البكاء عند هذه الفقرة

٤- قناة مجلة حراء على موقع اليوتيوب

٥- في ٢٨ فبراير ١٩٩٧م ، ساد التوتر الشارع التركي ، و تمت الإطاحة بحكومة نجم الدين أربكان من خلال عدة قرارات ، تهدف إلى الحفاظ على علمانية الدولة من خلال وقف نشاط الطرق الصوفية ، وإغلاق المدارس الإسلامية ،

السلطات العسكرية، إثر تعرّضي أيضاً لافتراءاتٍ وحملاتٍ تشويهٍ ممنهجةٍ عبر وسائل الإعلام، وقد ثبت قضائياً أن تلك الاتهامات باطلة لا أصل لها ولا سند ولا دليل، وللأسف الشديد؛ توجّه اليوم أيضاً أنواعٌ شتى من الاتهامات والافتراءات عبر وسائل الإعلام، وتُشنُّ حملةً تشويهيةً ضديّ؛ وفي مثل هذه الظروف أفضلُ البقاء هنا نزولاً على نصيحة الأطباء." (١)

ثم يقول: "لو علمتُ أن موتي سيكون حلاًّ لما تتعرّض له تركيا من مشاكل؛ لاخترتُ أن أموت في اليوم ألف مرة، وإنني لأفضلُ البقاء هنا، وأن أكبتَ أشواقي إلى وطني وأدفنها في أعماق قلبي؛ لكي لا أعطي مبرراً لمن يريدون اغتيال أمن تركيا وسلامها واستقرارها." (٢)

وهنا أريد أن أسجل عدة نقاط ، فيما يخص هذه القضية :-

**أولاً** - من الواضح أن إقامة الشيخ في تركيا ، ترجع إلى سببين رئيسيين - حسب مايعلنه هو - ، وهما الوضع الصحي ، وخشيته من ارتفاع وتيرة التوتر حال عودته ، وما يمكن أن يتبع هذا من ضرر للخدمات والمشاريع الدعوية التي يقوم بها تلاميذه .

**ثانياً** - كانت إقامة الرجل في أمريكا ، مثار لغطٍ كبير لمن يريد أن يترصّد له ولدعوته الأخطاء ، أو يلصق بهم الاتهامات ، من قبيل العمالة والخيانة ، وموالاتة أعداء الأمة ، إلى غيرها من الاتهامات

**ثالثاً** - في لقاءٍ للباحث مع أ. نوزاد صوّاش (٣) ، ذكر لي أن اختيار الأستاذ للولايات المتحدة الأمريكية للإقامة فيها ، لما تتمتع به أمريكا من حريات ، يصعب معها التسليم بأى اتهامات جُزافية من دون تحقيق نزيه ، كما أن إقامته هناك لم تكن مفروشةً بالورود ، بل إنه لم يحصل على الإقامة إلا بحكم قضائي بعد ٩ سنوات من إقامته هناك .

**رابعاً** - وفي هذا اللقاء مع أ. نوزاد ، ذكر أن الأستاذ يقيم في قرية نائية في ولاية " بنسلفانيا" ، تابعة لأحد مؤسسات الخدمة في أمريكا ، في طابق مكّون من غرفتين ، وقاعة

---

ومنع مظاهر اللباس التي تخالف النظام العلماني (نجم الدين أريكان ودوره في السياسة التركية: منال صالح ، ص ١٧٠ ومابعدها)

١- حوار أجراه الصحفي الإيطالي (Ansaldo Marco) مع الأستاذ فتح الله كولن، نشر في الجريدة الإيطالية (La Repubblica) الجمهورية، في تاريخ ٢٨ مارس ٢٠١٤م ، وقد نُشر الحوار في عدة مواقع إلكترونية ، وجمع مؤخرًا في كتاب " كلمات شاهدة " ، ص ١٢٩ ، ط١ ، دار النيل

٢- المصدر السابق

٣- المشرف العام على مجلة حراء ، وأحد التلاميذ المقربين من الأستاذ كولن ، وهو يتقن العربية كأهلها ، وله أسلوبٌ أدبيٌّ رشيق ، ويرجع إليه الفضل في كثير من المقالات المترجمة للأستاذ ، وقد كان لقائي معه في مقر مجلة حراء بالقاهرة ، ٦/١٠/٢٠١٦ م

للدروس يلتقى فيها تلاميذه ، وأنه منذ سنوات لا يغادر مكانه هذا على الإطلاق ، وينفق على نفسه من عائد كتبه .

## ل تعقيبٌ وتعليق

وقد رأيتُ أن أعرض هذه القضية، لتعلقها بشخص الشيخ ، ولكونها - كما رأيتُ وسمعتُ - من أكثر الاتهامات التي تلوكها الألسنة، وبعد عرضها أريد ان ألخص رأياً فيها في النقاط التالية :-  
**أولاً** - من حيث المبدأ أرى أن إقامة شخص ما في مكانٍ ما ، مسألة تخصه - وحده - دون سواه ، وأن إقامة مسلمٍ - وإن علا شأنه - في بلدٍ كالولايات المتحدة الأمريكية ، لا يطعن في دينه، ولا يجيز لأحدٍ النيل منه لهذا السبب .

**ثانياً** - من خلال استقراء ما يستتبطه البعض من إقامة الشيخ في أمريكا منذ سنوات، وما يفسرون به هذه الإقامة من اتهامات العمالة والمؤامرة ، أرى أن هناك مبالغاة لا تتناسب مع تاريخ الرجل ، ولا مع إنجازاته الدعوية ، ولا تتسق مع خطابه الديني ، إضافةً إلى أن أحداً لم يستطع إثبات هذا الاتهامات قضائياً ، كما أن إقامته هناك ليست وليدة اللحظة ، فمنذ عام ١٩٩٩م ، وهو يقيم هناك ، فلماذا لم تظهر هذه الاتهامات إلا في الآونة الأخيرة  
!!!

**ثالثاً** - على الرغم من هذا ، فمن وجهة نظري أرى أن الأسباب التي أعلنها الأستاذ فتح الله كولن تفسيراً لبقائه هناك ، ليست مقنعة تماماً ، وليست كافية لأن يظلَّ رجلٌ في مكانته بعيداً عن وطنه باختياره ، دون إجبارٍ من أحد .

**رابعاً** - وإذا كان الأستاذ كولن يخشى حال عودته من زيادة حدة التوتر ، فالواقع أن الإقامة هناك كانت سبباً من أسباب رفع وتيرة الاتهامات والتكهنات ، وذلك لأن وجود الداعية في الميدان وسط تلاميذه وأبنائه أجدر بأن يرفع عنه اللائمة ، ويسكت عنه الألسنة  
**خامساً** - ولنا في الأستاذ بديع الزمان النورسي المثل ، وهو أستاذ الشيخ فتح الله ، فمع كل ملاقاه من عنتٍ وإرهاق ، ومع تنقله بين المنافى والسجون ، لم يغادر وطنه ، ولم يتركه إلى غيره ، على الرغم من تقدمه في السن ، ومعاناته من الشيخوخة والمرض في كبره .

سادسا - غير أن الإنصاف يقتضى أن نشير إلى المقال الذى كتبه الأستاذ فتح الله كولن فى صحيفة " لوموند" الفرنسية ، وذكر فيه استعداده التام للعودة إلى تركيا ، فى حال ثبوت التهم الموجهة إليه من قبل محكمة دولية محايدة . (١)

سابعا - الجدير بالذكر أن تيار الخدمة يعمل فى الولايات المتحدة فى إطار أنشطة مدنية عديدة لخدمة الأتراك خصوصاَ والمسلمين عموماً ، وبعضها لخدمة الأمريكان أنفسهم ، وتشير الإحصائيات إلى وجود أكثر من ثلاثين مدرسة فى ولاية تكساس وحدها - على سبيل المثال - (٢) ، ويمتلكون مؤسسة للترجمة، وصلت أقسامها فى عام ٢٠١١م إلى اثنين وأربعين لغة، ووجههم أستاذهم إلى عدم كبح الفرامل إلا عند مائة لغة، بحجة أن هناك لغات عالمية كثيرة بحاجة إليهم وكجزء من نشاطهم العالمي، ركزوا على الولايات المتحدة الأمريكية، حتى وصل عدد الأنشطة التى أقاموها فيها إلى مائة وثلاثين نشاطاً، منها بناء المدارس، حيث يوجد لهم ٣٣ مدرسة فى تكساس وحدها على سبيل المثال، بجانب مؤسسات لحوار الأديان والثقافات ومنتديات وصحف وقنوات فضائية (أبرو)، وجمعيات خيرية، وغيرها. وقد ذكر مسؤول الحوار فى الولايات المتحدة بـ"تيار الخدمة" د.أحمد كورجان "نحن الآن نقطع الأشجار فى أمريكا، والجيل الذى سيأتي بعدنا هو الذى سيقوم البناء!" (٣)

---

١- نشر هذا المقال فى صحيفة " لوموند" الفرنسية ، بتاريخ ١١ / ٨ / ٢٠١٦ م ، وأعيد نشره فى جريدة زمان التركية ، وسيأتى اقتطاف فقرات منه .

٢- يراجع : د. باكينام الشرقاوي فى محاضرة لها فى إحدى الورش الفكرية عن فتح الله كولن فى مدينة إسطنبول (فى شعبان ١٤٣٢هـ)

٣- انظر : العروج الحضارى بين مالك بن نبي وفتح الله كولن ، د. فؤاد البنا ، ص١٦٤

## المبحث الثاني

### موقف الأستاذ كولن وحركة الخدمة من قضايا الأمة

من الاتهامات والشبهات التي تُثار حول الأستاذ فتح الله كولن وحركة الخدمة، موقفهما من قضايا الأمة ، بمعنى عدم التفاعل معها ، أو الانحياز إلى أعداء الأمة في هذه القضايا .  
أين هم من قضايا المسلمين في العالم ؟ أين هم من القضية الفلسطينية ؟ ألم ينتقد فتح الله كولن القائمين على سفينة أسطول الحرية أو " ماوي مرمرة" <sup>(١)</sup> التي خرجت من تركيا لتقدم العون إلى الفلسطينيين في قطاع غزة ؟ ألم يقف يعارض الثورة السورية المسلحة ضد النظام السوري الحالي ؟ أين خدماتهم لإنقاذ المسلمين المستضعفين في كل مكان ؟ إلى غير هذا من الشبهات التي تُثار ضدهم

وتتصاعد وتيرة الاتهامات في هذه المسألة لتصل إلى الاتهام بتأييد الكيان الصهيوني، في القضية الفلسطينية .

وهناك قضيتان - على وجه التحديد - تُذكران في هذا السياق ، هما : قضية أسطول الحرية وتصريحات كولن وقتها ، وقضية الثورة السورية ومعارضته لحمل السلاح ضد النظام هناك .  
في قضية السفينة أشيع - حينها - في وسائل الإعلام أن كولن يقف مع الجانب الإسرائيلي ، وأنه يؤيد مافعلته إسرائيل ، وحاول البعض أن يشير إلى أن الخدمة تقف مع أعداء الأمة ضد أبناء شعبها وأمتها .

يقول الأستاذ كولن : " إن الذين يحاولون إظهار الخدمة وكأنها موالية لإسرائيل ، أو كأنها تفضل إسرائيل على أمتها، لا يمكن أن يأتوا بشيء يدلُّ على ذلك ، أما قبولهم كـ"بشر، وإنسان" <sup>(٢)</sup> كما فعل فخر الإنسانية - صلى الله عليه وسلم- ، فهذا موضوع آخر ، ولكنهم يُسندون ادّعاءاتهم إلى سفينة "ماوي مرمرة"، فعقبَ حوارٍ أُجريَ معي سألوني: "ما تقييمكم للموضوع؟"، قلت: "حبذا لو استُخدمت الدبلوماسية إلى حدّها الأخير ولم يلجأ إلى العنف، لأن ذلك سيؤدّي إلى مشكلات

---

١- أسطول الحرية : هي مجموعة قوارب تابعة لأسطول الحرية ، أبحرت في مياه البحر المتوسط ، متجهة إلى قطاع غزة لتقديم المساعدات الإنسانية للفلسطينيين المحاصرين هناك ، وقد وقع عليها اعتداء عسكري قامت به القوات الإسرائيلية حيث اقتحمت قوات خاصة تابعة للبحرية الإسرائيلية فجر الاثنين ٣١ مايو ٢٠١٠م كبرى سفن القافلة" مافي مرمرة" التي تحمل ٥٨١ متضامناً - معظمهم من الأتراك - داخل المياه الدولية للبحر الأبيض المتوسط .

٢- يشير الأستاذ فتح الله كولن - هنا - إلى بعض اللقاءات التي جمت بينه وبين أحد حاخامات اليهود ويدعى : إسحاق ألاتون ، وهو حاخام مُعادٍ لإقامة دولة إسرائيل ، فهو على رغم أنه يهودي ، إلا أنه ضد الصهيونية وقيام دولة إسرائيل



اجتماعية ومضاعفات أخرى“ ، لا أدري كيف رفعت الجريدة كلماتي إلى المانشيت، فكانت التفسيرات في تركيا مختلفة، أي كأنني وقفتُ إلى جانب آخرين ضد إختوتنا ، ولكن لا، إنما أُبديتُ قناعاتي تلك حتى لا تحدث مشكلات أخرى ، ولو حدث الشيء نفسه اليوم لأُبديتُ نفس الملاحظات ، في رأيي ينبغي أن تُستخدَم الدبلوماسية حتى النهاية، وينبغي أن لا يُدفع الناسُ إلى المواجهة لتُسفك دماؤهم وتزهق أرواحهم ، هذا ما أردتُ أن أقوله حينئذٍ، وأعتقد أن إصاق تلك التهمة مرتبط بموقفنا ذاك. (١)

أما في الشأن السوري ، فلأستاذ رأي في الثورة السورية ، وفي غيرها من الثورات التي تحاول إسقاط الأنظمة الظالمة بالقوة والسلاح ، ورأيه أن الهدم من دون خطة واضحة للبناء تخريبٌ ودمار .

يقول : " للأسف، سوريا كلها تجد نفسها في طريق مسدود ، وأظهرت التطورات أن الشهيد الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي (٢) كان محقاً في تقييمه للوضع، إذ كان يمثل نموذج الاعتدال السنّي والذي يمكن تلخيصه في مبدأ : أن أسوأ حكومة أفضل من الفوضى واللاحكومة ، وأن هناك خطر الانزلاق نحو حرب أهلية لدى محاولة إسقاط حكومة فاسدة عندما تكون الظروف غير مواتية وعند انعدام التوازن في القوى ، وعلى ما يبدو، كان البوطي يعلم بوجود حالة من انعدام التكافؤ بين الجانبين ، وقد نبّه - رحمه الله - في ضوء كل هذه الأمور إلى المخاطر المستقبلية ، وفي

---

١- حوار مع قناة بي بي سي BBC الفضائية ، أجرى الحوار تيم فرانكس ، وتونى يلديز ، في ٢٧ / ١ / ٢٠١٤ م ، وتم نشره في جريدة زمان التركية ، وفي موقع الملف التركي الناطق باللغة العربية ، ونُشر ضمن حوارات أخرى في كتاب " كلمات شاهدة " ، ص ١٠٨ ، ١٠٩

٢- الدكتور / محمد سعيد رمضان البوطي ( ١٩٢٩ - ٢٠١٣ م ) ، عالم سوري كبير ، حظي باحترام كبير من قبل العديد من كبار العلماء في العالم الإسلامي، اختارته جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم عام ٢٠٠٤م ليكون «شخصية العالم الإسلامي»، باعتباره «شخصية جمعت تحقيق العلماء وشهرة الأعلام، وصاحب فكرٍ موسوعيّ "واختاره المركز الإسلامي الملكي للدراسات الاستراتيجية في الأردن في المركز ٢٧ ضمن قائمة أكثر ٥٠٠ شخصية إسلامية تأثيراً في العالم لعام ٢٠١٢م ، ويُعتبر ممن يمثلون التوجه المحافظ على مذاهب أهل السنة الأربعة وعقيدة أهل السنة وفق منهج الأشاعرة ، ترك البوطي أكثر من ستين كتاباً في علوم الشريعة، والآداب، والتصوف، والفلسفة، والاجتماع، ومشكلات الحضارة. في فترة أحداث سوريا ٢٠١١-٢٠١٣ أصبحت مكانة البوطي في العالم الإسلامي مثاراً للجدل والخلاف بسبب موقفه الرافض للثورة السورية، انتهت بتعرضه للاغتيال يوم ٢١ مارس ٢٠١٣م وهو يلقي درسه الأسبوعي في المسجد ، وقد اتفقت المعارضة والنظام السوري على إدانة مقتله .

هذه المرحلة ما ينبغي القيام به في المدى القريب هو إيجاد حلول سياسية عاجلة لإيقاف نزيف الدم ، الأمر الذي سيكون بمثابة إغاثة ولو جزئية لملايين الأبرياء الذين يتضررون مما يحدث .<sup>(١)</sup>

**تعبير وتعليق**

في محاولة التعرف على موقف الأستاذ كولن وحركة الخدمة من قضايا وهموم العالم الإسلامي ، وجهت هذه الاسئلة إلى الأستاذ / يوسف الدمرداش<sup>(٢)</sup> ، وقد أجاب بما مفاده : نعم .. نحن مهمومون بقضايا أمتنا ، ولكن لنا أسلوبنا الخاص في المواجهة والمقاومة ، ماذا يفيد أمتنا أن نحمل الشعارات ، أو نحرق علم إسرائيل في أحد الميادين ، لقد تعلمنا من الأستاذ أن نقاوم بالعمل ، وتقديم النموذج الحى .

وقد نقل لى الدمرداش عن فتح الله كولن تشبيهه لخطوهم هذا برجلٍ يحمل سلة بيضٍ على عاتقه ، فهو يسير فى حرص وتؤدة ، ويحسب لكل حركة حسابها ، وإلا كُسر البيض ، أو بمن يربى "كتاكيت" ( يشير إلى هذه الخدمات التى يقدمونها ) ، فعليه أن يحافظ عليها حتى تكبر ويشتدّ عودها .

وذكر لى أن الأستاذ فتح الله لايبكى على شئٍ بكاءه على حال أمته ، والجراحات التى تصيبها ، لكنه يحوّل هذه الدموع إلى عمل وأمل ، وليس إلى تصريحات شجبٍ وإدانته .

إن الحركة فى سياستها هذه تتبنى قول النورسى : " عليك أن تقول الحق دائما ، لكن ليس لك أو عليك أن تقول كل الحق "

إنهم يتعاملون كرجلٍ خطف أحد الظالمين فلذة كبده ، وهو ضعيف ليست بيده القوة لاسترداد ولده من خاطفيه ، فبدلا من أن يشتمهم وبلعنهم - هذا لن يفيد ولده بالتأكيد - فهو يتلطف لإخراج ولده من برائتهم .<sup>(٣)</sup>

ولذلك يظن البعض أن الأستاذ كولن يقف مع الحكومات المستبدة ضد الشعوب المظلومة ، والحقيقة أن هذه مجرد نظرة سطحية لاتبنى إلا على لى الكلمات ، واصطياد التصريحات المقطوعة من سياقها .

إنك حين تريد أن تتعرف على تجربةٍ ما ، ينبغي أن تقف على الفلسفة التى تنطلق منها أولا ، وكذلك حين تريد التعمق فى آراء العلماء والمفكرين ، فما ينبغي أن تكنفى بسماع مايقال عنهم ، دون النظر فيما يقولونه هم بألسنتهم ويكتبونه بأقلامهم .

١- حوار مع جريدة الشرق الأوسط ٢٤ - ٢٤ مارس ٢٠١٤م ، كلمات شاهدة ، ص ٤١

٢- وهو أحد تلاميذ الأستاذ فتح الله كولن منذ بداية التسعينات .

٣- من لقاء للباحث مع الأستاذ يوسف الدمرداش - والكلام له - بمقر دار النيل بالقاهرة ، مارس ٢٠١٥م

إن الفلسفة التي انطلقت الخدمة منها هي ، كما يقول بديع الزمان سعيد النورسي، مواجهة الأعداء الثلاثة الكبار للأمة : **الجهل والفقر والفرقة**، وذلك من خلال مشاريع متوسطة الأمد وطويلة الأمد تدعم التعليم والعلوم والفنون والتجارة والديمقراطية والتسامح والحوار ، وأي سعيٍ إلى الحرية سيفشل ما لم يكن مبنياً على هذه الأسس الراسخة ، ولذلك فقد سعت الحركة ولازالت منذ عقود إلى تحقيق ذلك من خلال تأسيس المدارس والجامعات وإنشاء جمعيات واتحادات رجال الأعمال وفتح المؤسسات الإغاثية وتفعيل دور مراكز الحوار ووسائل الإعلام في استخدام لغة بناءة تسهم في دعم التواصل والتحاور .

ألم تؤكد لنا الأحداث التي يمر بها عالمنا العربي في مرحلة ما بعد ثورات الربيع العربي ٢٠١١م ، صحة نظر الرجل وعمق رؤيته ؟؟ ، وقد كانت رؤيته أن الطاقة التي نحتاجها لبناء نظام جديد يتوافق عليه المجتمع كله، هي عشرة أضعاف الطاقة التي نحتاجها للإطاحة بنظام قائم.

وأخيراً أريد الإشارة فيما يخص هذه القضية إلى نقطتين هامتين :-

**الأولى:** قد تمّت الإشارة في الفصل الثاني من هذا البحث إلى مدرسة الإمام أبي حامد الغزالي الإصلاحية ، ومدرسة الإمام محمد عبده التجديدية ، وفي نهاية الفصل ذكرنا العوامل المشتركة بين هذه المدارس التجديدية ، ومن أهمها ، تبنيّ منهج الإصلاح التدريجي ، الذي يريد اقتلاع جذور المرض ، وليس مجرد الانشغال بأعراضه ، وأوليت هي تهمة واحدة أتهم بها الإمام أبو حامد الغزالي بسلبيته في مواجهة الاحتلال الصليبي !!، وأتهم بها الإمام محمد عبده بموالاته للإنجليز واحتفائه بالورد كرومر !! . لمجرد أن كلاً منهما كان له مشروع الهادف إلى البناء من القاعدة ، ومواجهة المرض الحقيقي دون الاشتغال بالعرض الزائل - الذي لا ينبغي التقليل من أثره أو العزوف عن مواجهته - فيمكن الرجوع إلى الفصل الثاني للاستزادة من هذه النقطة .

**الثانية:** لدى حركة الخدمة جمعية "هل من مغيث ( كيمسة يوك ميو ) Kimse Yok Mu ؟" الخيرية ، والتي تأسست في عام ٢٠٠٤ في تركيا كجمعية غير هادفة للربح ، وقد نشأت هذه الجمعية من خلال برنامج تلفزيوني في قناة درب التبانة Samanyolu (سمانيولو ) (١) ، والذي كان يغطّي أحداث زلزال وقع في عام ١٩٩٩م في منطقة مرمرة وقتل حوالي ٣٥ ألف تركي كان البرنامج يحشد الجهود ويجمع التبرعات لضحايا الزلزال .

١ - قناة تلفزيونية تركية تنبئى منهج " الخدمة" ، وتشارك في أنشطتها

ولهذه الجمعية نشاطٌ كبيرٌ في مجال الإغاثة الإنسانية ، ف: " بعد زلزال باكستان عام ٢٠٠٥ م أرسلت إلى المنطقة المنكوبة ١٢ مليون دولار من المساعدات ، وبالمثل أرسلت التبرعات إلى أندونيسيا بعد كارثة " تسونامي " عام ٢٠٠٤ م ، وكذا إلى " بيرو " بعد الزلزال ، وإلى إثيوبيا وكينيا عام ٢٠٠٦ م للتخفيف من حدة الفقر بعد الحروب القبلية هناك ، وألّزمت الجمعية نفسها بإعادة بناء بلدة بأكملها في إقليم دارفور في السودان خلال ثلاث سنوات بتكلفة ٥٠ مليون دولار .<sup>(١)</sup> كذلك فقد كان للخدمة نشاطٌ كبيرٌ في إدخال المعونات الغذائية والدوائية لقطاع غزة ، عبر معبر رفح المصري بالتعاون مع السلطات المصرية ، وذلك خلال العدوان الإسرائيلي على غزة عام ٢٠٠٩ م ، وقد قابلتُ بعض الإخوة الأتراك الذين كان لهم دورٌ كبيرٌ في جمع هذه المعونات وإيصالها إلى قطاع غزة .

هذا إلى جانب خدمات الرعاية الصحية ، والمساعدات الإنسانية ، في الداخل التركي وخارجه ، والجمعية إذ تقوم بهذه الأنشطة المحلية والدولية ، لارتفاع لافتة لحركة أو جماعة أو حزب أو دولة بل تفعله معلنةً أن ماتقوم به لخدمة الإسلام والإنسان في أي مكان .

ومن بين المشروعات التي تقوم بها الخدمة من خلال مؤسساتها الإغاثية : " مشروع الأسرة الشقيقة والمعونات العينية ، والمعونات التعليمية ، والمعونات الخارجية ، وفي مشروع الأسرة الشقيقة يتم الربط بين أسرةٍ ثريةٍ وأخرى فقيرة لتساعد الأسرة الأفضل حالاً شقيقتها في احتياجات التعليم والمعيشة وفرص العمل ."<sup>(٢)</sup>

وقد عُرضت في مؤتمر " مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، خبرات مقارنه مع حركة فتح الله كولن " ، المنعقد بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة عام ٢٠٠٩ م ، ورقة بحثية مقدّمة من الباحثين : أيمن عبدالله شحاته ، عبدالله محمد عرفان ، تحت عنوان :

**برامج ومشروعات مكافحة الفقر في الداخل والخارج " نماذج مختارة "** ، وقد عقد الباحثان مقارنة بين جمعية : " هل من مُغيث " ، والجمعية الشرعية<sup>(٣)</sup> في مصر ، من حيث الأنشطة الإغاثية والمساعدات الإنسانية وغيرها .

---

١- حركة فتح الله كولن : تحليل سوسيولوجي لحركة مدنية متجدرة في الاسلام المعتدل ، هيلين روز ، ص ١٧٢

٢- المرجع السابق ، ص ١٧٢

٣- تأسست في عام ١٩١٢ على يد الإمام الشيخ محمود محمد خطاب السبكي في مصر ، وهي جمعية دعوية إصلاحية اختطت لنفسها الوسطية والاعتدال تعمل على ترسيخ مفهوم أن الدعوة إلى الله تعالى بالقول والعمل وأن الأمة لن تقوم لها قائمة إلا بعمل دعوى لإقامة فروض الكفاية وقضاء حاجات أهل الحاجة ، وتتخذ الجمعية أربعة مسارات رئيسة لتحقيق هذا الهدف، وهي:

## المبحث الثالث

# اتهامات حول تقديس أتباع كولن لشخصه

## ومبالغته في وصفه لنفسه

يتحدث البعض عن أن أبناء الخدمة يصفون أستاذهم بـ " المهدي " أو " المسيح " ، وأنه يسكت عن هذا عمداً ، بل هناك من ينسب إلى كولن قوله عن نفسه أنه " تكلم مع الله " أو أنه " إمام الكائنات " .

واستطاعت هذه الاتهامات أن تكون صورة ذهنية لدى من يستمعون إليها ، لاسيما ممن لا يعرفون فتح الله كولن ، ولم يلتقوا بأحد من أبناء الخدمة .

وفى ردّه هذه الفرية عن نفسه ، وعن تلاميذه ، يقول الأستاذ فتح الله : " لقد درس عندي العشرات من الطلبة حتى الآن ؛ وجميعهم يشهدون - على اعتبارهم يعرفونني عن كثب - أنني أعدّ القيام بمثل هذه الادعاءات كفراً وضلالاً ، إنهم سمعوني عشرات المرات أقول : تعرفون أمي وتعرفون أبي ، ألا يكفي أن نكون عباداً لله مخلصين ، كن بين الناس فرداً من الناس ، أضف إلى ذلك أنني ما رأيت عاقلاً يتوهم في نفسه رتبة أو مقاماً من هذا القبيل ، لا يقول مثل هذا الكلام إلا من حرم نعمة العقل ، ثم إنني اعتبرت دائماً هذا النوع من الاتهامات ، من أشنع الشتائم وأغلظ السباب كما أن الذين يديرون ألسنتهم بهذه الافتراءات لا يعون أنهم يسخرون من عقول هذه الأمة ، هنا أعود لأقول كما قال مولانا جلال الدين الرومي : أنا خادم القرآن ما حييت ، وغبار قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وإذا نقل أحدهم عني غير ذلك ، فإني أبرأ منه وأشكوه إلى الله . " (١)

أ- الدعوة القولية: ويتم تحقيقها من خلال الدروس - الخطب - الندوات - معاهد إعداد الدعاة المنتشرة على مستوى الجمهورية.

ب- الدعوة العملية، وهي ما يندرج تحت العمل الصالح والذي ينقسم بدوره إلى قسمين وهما : المشروعات الاجتماعية مثل كفالة اليتيم وتحفيظ القرآن الكريم وهي تعمل على تخليص الأمة من الفقر والجهل، والثاني: المشروعات الطبية التي تقدم الخدمات الطبية المجانية للمسلمين وغير المسلمين.

ج- الإغاثة الخارجية والداخلية: وهي تجسد قول الله تعالى **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** .

د- التنمية: ويهدف هذا المسار إلى تحويل الأيدي العاطلة إلى أيدي منتجة وتحويل الأسر الفقيرة التي تتلقى المساعدات إلى أسر ذات دخل يغنيها عن السؤال وهو يؤدي بالتالي إلى حل مشكلة البطالة المستعصية في المجتمع . (دليل التعريف بالجمعية ، ملحق مجلة التبيان ، رجب ١٤٢٩ هـ)

١- حوار الأستاذ فتح الله كولن مع جريدة زمان التركية ، حاوره أكرم دومانلي ، رئيس تحرير جريدة زمان ، في عدة حلقات من ١٧ - ١٢ مارس ٢٠١٤ م ، كلمات شاهدة ، ص ٩٢

وعن فرية اتهامه أنه يقول : تكلمتُ مع الله ، أو حاورتُ ربي ، يقول كولن : " إنني أستغرب ، كيف يقولون هذه الافتراءات بهذه السهولة؟ ومن يدعي ذلك يعرف حق المعرفة حساسيتي تجاه هذا الأمر ، والقرآن يقول بوضوح: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup> ، إن أبسط معلومة إيمانية يمتلكها الإنسان تعلمه الأدب مع الله سبحانه وتعالى ، نحن نشأنا في بيئة كانت قلوب الرجال فيها ترتجف بمجرد سماع اسم "الله" ، وتتحني بانكسار وتذوب بإكبار للذات العلية ، لذا لا يمكن أن تجدوا لا في هذه البيئة ولا في غيرها من يدعي مثل هذه الادعاءات البشعة أبداً."<sup>(٢)</sup>

وعن الادعاء بأنه وصف نفسه بأنه " إمام الكائنات " ، فهو يرى انه اتهام لا يستحق الوقوف عنده أصلاً ، فهو لا يرى أن أبناء الخدمة أتباع له ، ولا لاحد من الناس ، بل تربط بينه وبينهم روابط الأخوة الإيمانية وحسب .

يقول : " أما فرية "إمام الكائنات" فلا تستحق الوقوف عندها أصلاً ، فأني إنصاف وأي وجدان يمكن أن يقبل مثل هذا البهتان ، إنهم يدعون هيكلًا هرميًا للخدمة زائفا وهميا، لم يخطر ببالي قط، أي تلوث هذا الذي أصاب تلك العقول، وأي عفن أصاب تلك الأرواح؟! إنهم يضعون مخططات وهمية وكأنهم يهزؤون بعقول الآلاف بل ربما الملايين من الناس الذين ربطوا قلوبهم بهذه الخدمة المباركة، فهؤلاء الذين يتحدثون عن بنية هرمية<sup>(٣)</sup> ، إما أنهم لم يفهموا هؤلاء الأبطال أبداً، يقول الأستاذ النورسي: إن أساس مسلكنا هو الأخوة في الله، وإن الروابط التي تربطنا ببعضنا هي روابط الأخوة الحقيقية، وليست رابطة الأب مع الابن ولا علاقة الشيخ مع المريـد ، نعم، إن الذين يعرفونني، يعرفون جيداً أنني أعتبر الطالب الذي أدرسه زميلَ مُدرسة لي دائماً، ولم أر نفسي أستاذاً عليه قط."<sup>(٤)</sup>

والملاحظ لدى أبناء الحركة من خلال التعامل المباشر معهم أو من خلال المؤتمرات التي يتحدثون فيها عن فكر الأستاذ وتجربته : توقيهم الشديد لشخصه ، وانبهارهم بتجربته وفكره . وفي لقاءٍ للباحث مع أحد من تتلمذوا مباشرةً على الأستاذ فتح الله كولن وهو الأستاذ يوسف الدمرداش ، في مركز دار النيل بالقاهرة سألته عن مايمثل لهم شخص الأستاذ فتح الله كولن ، وهل يتوقعون استمرار الحركة بعد الأستاذ؟

١- سورة الشورى ، الآية ٥١

٢- حوار مع جريدة زمان ، مصدر سابق

٣- يريد أن يؤكد هنا على أن الخدمة ليست حركة تنظيمية ، ذات بنية هرمية ، تمنح لأصحابها المناصب والألقاب .

٤- حوار مع جريدة زمان التركية ، كلمات شاهدة ، ص ٩٣

أجاب : أنه لاشك أن الأستاذ فتح الله كولن هو الشخصية المحورية فى الخدمة ، بأفكاره وروحانيته وشخصيته الفذة ، وأنهم جميعا سواء من تتلمذوا على يديه مباشرة أم من لم تتح لهم هذه الفرصة ، يعدون "تلاميذ" على فكره ، وهو بالنسبة إليهم القدوة والمعلم والمثال .

إلا أن هذا لايعنى أنهم يقدسونه ففرق بين التقدير والتقديس ، بل هو لايسمح بهذا مطلقا ، ويعتبر نفسه واحدا من "الخدمة" ، ويقول حين يدرّس لتلاميذه : هيا بنا نقرأ سويا كتاب كذا ..

أما مسألة الاستمرار من عدمه ، فيؤكد لى الأستاذ يوسف أنه على الرغم من اشتراكه معى فى التخوف من الانحراف ، وهو يستعيز بالله منه إلا أنهم ليسوا مشغولين بهذه القضية ، كل انشغالهم فى العمل والخدمة ، ومحاولة ابتغاء وجه الله فى كل طرفة عين ، أما مسألة الاستمرار فهذا توفيق من الله يعطيه لمن يشاء ، وإذا رأى الله منا أننا أهل لهذا التوفيق فسيمنحنا إياه (١)

## تعليق وتعليق

لاشك أن مسألة المهدي شغلت المجتمعات الإسلامية منذ القديم بطريقة أو بأخرى ، وقد أسيء استغلالها من قبل أصحاب النوايا السيئة ، ثم إن بعض الأوساط لفقوا مثل هذه الافتراءات بالأستاذ بديع الزمان النورسى كذلك ، واستغلوا التأويلات التي جاء بها في موضوع المهدي والمسيح أيما استغلال ، وادّعوا -بهتانا وزورا- أنه كان يظن نفسه المهدي أو المسيح .

ولاشك أن مثل هذه الاتهامات ، لايمكن أن تنسجم مع خطاب الأستاذ فتح الله كولن الدعوى ، ولايمكن أن تستقيم مع تاريخه الفكرى والحركى على السواء .

إن أى قارئ لكتابات الرجل أو مقالاته على مدى خمسين عاما أو أكثر ، لايجد أى أثر لمثل هذه الافتراءات على الإطلاق .

كما أن مثل هذه الأقوال من شأنها أن تتفر الناس منه ، لا أن تجمعهم حوله ، على افتراض أنه ممن يبتغون الاستكثار من الأتباع ، فكيف يدعى إنسان به ذرة من عقل مثل هذه الدعاوى ؟ .

كما أن الذين يرمونه بهذه الافتراءات لم يأتوا على هذا بدليل واحد ، لا من كلامه المقروء ، ولا من كلامه المسموع ، اللهم إلا قولهم : سمعناه يقول كذا (٢)

١- من لقاء للباحث مع الأستاذ يوسف الدمرداش "من تركيا" من تلاميذ الأستاذ فتح الله كولن ، بمركز دار النيل ، بالقاهرة ، مارس ٢٠١٥م

٢- أذاعت قناة الجزيرة القطرية حوارا مع احدهم فى برنامج " بلاحدود" بتاريخ ١٧/٨/٢٠١٦م ، زعم انه كان النائب الأول لفتح الله كولن ، وذكر انه سمع من كولن هذه الأقوال دون أن يأتى بدليل واحد على زعمه .

بل إن الرجل كثيرا ما يصف نفسه بـ "القطمير"<sup>(١)</sup> ، وهو يستتكر مجرد نسبة هؤلاء "المتطوعين" إلى شخصه ، بل ويرفض رفضا قاطعا تسمية الحركة : حركة فتح الله كولن<sup>(٢)</sup> ولاشك أن في هذا الرفض لنسبة الحركة إلى شخصه<sup>(٣)</sup> ، من معاني التواضع والتجرد ما لا يخفى على أحد ، فكيف يمكن أن يدعى رجلٌ هذا شأنه مع حركةٍ هو ملهمها ، أنه المهدي أو المسيح أو غير هذا من الادعاءات !!

لكن . . وعلى الرغم من تهافت مثل هذه الاتهامات ، وكونها لا تقوم على منطق سليم ، ولا تعتمد على دليل قويم ، إلا أن الإشكالية التي ينبغى الحديث عنها في مثل هذا المقام ، هو : أن الخدمة كحركة مجتمعية وعالمية ، تتبنى منهج إحياء الأمة من جديد لا ينبغى أن تُمحور نفسها حول شخص مؤسسها ، ذلك أن الرجل - مهما بلغت إمكانياته وقدراته ومواهبه - فإن تجربته تبقى محدودة بالنسبة إلى المجموع ، وهو لا يفتأ يدعوهم إلى هذا .

ذلك أن هناك حالة من " الانبهار " بشخص وتجربة الأستاذ فتح الله كولن - لاسيما ممن ارتبطوا بأفكاره واستلهموا منها - ، وهذا الانبهار قد يكون معوقا دون تطوير أفكاره أو حتى نقدها . وهناك أصواتٌ عاقلة تحاول انتقاد الحركة والتجربة بموضوعية ، لا من أجل الهدم وإنما من أجل التقويم ، يقول بعض النقاد في هذا : " لم يحقق كولن نجاحاً كاملاً في التمكين للاجتهاد الفردي ، فهو يقدم لمريديه أفكارا جاهزة للاستعمال ، وبذلك يحمل عنهم عبء تكوين آرائهم الشخصية والتفكير النقدي ، فبعض فئات مريديه يقعون أسرى تعظيمه ، فيرفضون الفردية ويقدمون عليها دور الجماعة والعمل الجمعي . " <sup>(٤)</sup>

ولاشك أن التعميم لا يصلح في مثل هذه الأحوال ، ففي التجمعات البشرية الكبيرة ، يكون من الصعب التأثير بشكل متوازن في جميع الأفراد .

١ - إشارة إلى كلب أصحاب الكهف ، الذي ذكره القرآن لأنه كان في صحبتهم

٢- ذكر لي الأستاذ يوسف الدمرداش أحد الذين تتلمذوا على يد الأستاذ فتح الله كولن أنه " يشمئز " من هذه التسمية ، ويرفض أن تُقال بين يديه ( من لقاء الباحث بتاريخ ١٥ مارس ٢٠١٥ م )

٣- اصطلح على تسمية حركة " الخدمة " بحركة فتح الله كولن ، أو حركة كولن ، تمييزا لها عن غيرها ، ونسبة إلى مؤسسها وملهمها ، باعتباره المعبر عن أفكارها والمنظر لمبادئها ، ولهذا لجأت الكثير من الدراسات إلى هذه التسمية ، وقد اخترت في هذه الدراسة مصطلح " التجربة الدعوية " ، الذي هو أعم من الحركة وأشمل ، فالحركة هي أحد تجليات التجربة الدعوية للشيخ فتح الله كولن .

٤ - نحو تنوير إسلامي : حركة فتح الله كولن ، حاقان يافوز ، ص ٨٨



## المبحث الرابع

### الاتهام بمحاولة عمل كيان موازى وتحقيق أهداف سياسية

اشتهر اتهام الخدمة بأنهم " كيان موازى " ، بمعنى أنهم دولة داخل الدولة ، وأنهم يحاولون التسرب إلى مؤسسات الدولة من خلال أعضائهم فى المؤسسات المختلفة، وأنهم يخترقون أجهزة الدولة لعمل انقلاب داخل هذه الأجهزة ، وأن الأستاذ فتح الله كولن يمثل " العقل المدبر الأعلى " لهذه الحركة .

والذين يطرحون هذه الرؤية عن الأستاذ كولن وحركة الخدمة ، يقولون : تبرز لدى الحركة فكرة النفوذ و"التغلغل" فى أجهزة الدولة المختلفة دون رؤية واضحة أو أهداف محددة لمرحلة ما بعد "التمكين" الذي تتحدث عنه أدبياتها ، وهم يرون الحركة تستخدم "التقية السياسية" وتجزئ عبرها لأعضائها التخلي عن بعض العبادات والشعائر لإخفاء هويتهم ، حتى لا يتم استبعادهم من أجهزة الدولة .

ومن الواضح أن هذه الاتهام يتضمن فى طبيئته أن للخدمة أهدافاً ظاهرة ، وأخرى باطنة ، وأنها تلعب السياسة فى العلن ، لتتمكّن من تحقيق أهدافها السياسية ، والوصول إلى مرحلة التمكين فى الخفاء .

وآخر هذه الاتهامات الموجهة إلى الخدمة ، الاتهام بالوقوف إلى جانب الانقلابات وتأييدها ضد الديمقراطية والإرادة الشعبية ، بل الاتهام بمحاولة تدبير انقلاب فى الخامس عشر من يوليو عام ٢٠١٦م .

وبدايةً فإنه يجدر بنا أن نراجع أولاً موقف فتح الله كولن ، وحركته من السياسة بوجه عام ، ومن الحكم بوجه خاص .

فى الفصل الخامس من هذا البحث ، كان الحديث عن " السمات العملية لحركة الخدمة " ، ومن أهمها : عدم التحزب السياسى .

ويمكن اختصار هذا الموقف فى النقاط التالية :-

**أولاً -** يرفض كولن رفضاً قاطعاً اعتبار أن الإسلام أيديولوجية سياسية ، بمعنى أن ألا يتحول الإسلام كدين إلى برنامج سياسى ، ويمكن اعتباره وفق هذا المفهوم ضد مايسمى بـ "الإسلام السياسى " من حيث المبدأ لامن حيث أشخاص من يمارسونه ، كذلك فهو يرفض اختزال إقامة الشريعة فى العمل على وجود " دولة إسلامية " فقط ، ويقول فى وضوح : " إذا كان المسلمون فى بلد ما يمارسون شعائرهم الدينية بحرية، ويتمكنون من إنشاء

مؤسساتهم الدينية بلا عوائق، ويستطيعون أن يلتفتوا قيمهم الدينية لأبنائهم ولمن يرغب في تعلمها، ولديهم الحرية الكاملة في التعبير عنها في النقاشات العامة، ويعلنون عن مطالبهم الدينية في إطار القانون والديمقراطية، فإن حاجتهم إلى إقامة دولة دينية أو "إسلامية" لا تعود ضرورية." (١)

**ثانياً** - يؤكد كولن أن أعمال "الخدمة" ومشاريعها لا تتحدد وفق التغيرات الانتخابية والسياسية، بل حسب المشاريع التي تدور في فلك القواسم الإنسانية المشتركة ، فلا تتغير سياستها في تركيا أو خارجها وفق المواسم الانتخابية ، أو الصراعات الحزبية بين فريق أو آخر .

فالحركة : " لا تتدخل في الشؤون الداخلية أو التطورات السياسية في أي بلد نهائياً، فحيثما تتجه تركز جهدها على تنفيذ مشاريع مدنية تطوعية في مجالات تعليمية وثقافية وإنسانية. ولكونها تتمسك بهذا المبدأ ولا تفرط فيه، تراها اليوم تحظى بقبول لأنشطتها في أكثر من ١٦٠ بلداً حول العالم . " (٢) أما موضوع التصويت في الانتخابات ، فإن كولن يؤكد أنه لم يدعُ تلاميذه يوماً إلى التصويت لحزبٍ بعينه ، أو ضد حزبٍ بعينه ، ويؤكد أنه يعتبر هذا إكراهاً لا يليق بأصحاب الدعوات .

يقول : " هذا الفقير يقول: "صوتوا حسب قناعتكم الوجدانية" ، ذلك لأنني أعتبر قول "لابد أن تصوتوا للحزب الفلاني" نوعاً من ممارسة الإكراه والضغط النفسي، كما أعتبر الارتباط بحزب معين نوعاً من الانفصال والابتعاد عن شرائح المجتمع الأخرى." (٣)

**ثالثاً** - الأهداف المعلنة والواضحة لحركة الخدمة منذ نشأتها تؤكد بما لا يقبل التأويل أن "الخدمة" لا تسعى أبداً إلى تحقيق أي أهداف سياسية، بل تسعى إلى خدمة الإنسان من خلال تنميته في المجالات التعليمية والاجتماعية والثقافية، وتستثمر كل وقتها وطاقتها في سبيل تحقيق هذه الغاية ، وطريقها لحل المشكلات الاجتماعية يتم عن طريق التربية والتعليم : " فهذه الحركة لا تحمل أية أهداف سياسية إلى درجة تعرّضت لاتهام بعض الأوساط الدينية ، وانتقدت لأنها بقيت خارج حلبة الصراع السياسي . " (٤)

١- حوار مع جريد الشرق الأوسط ٢٤/٣/٢٠١٤م: موقع الملف التركي ، وكتاب " كلمات شاهدة" ص ٣٣

٢- حوار مع جريدة الشرق الأوسط : مصدر سابق

٣- حوار مع جريدة زمان التركية ، كلمات شاهدة ، ص ٨٤

٤- فتح الله كولن: جذوره الفكرية و استشرافاته الحضارية ، أنس أركنة ، ص ٩٨

ويوضح الأستاذ فتح الله كولن هذه الأمر في حوار له ، فيقول : " لا بد من التنويه بأن "الخدمة" منذ نشأتها لم تسع إلى تحقيق أي أهداف سياسية ، بل سعت إلى خدمة الإنسان من خلال تنميته في المجالات التعليمية والاجتماعية والثقافية، واستثمرت كل وقتها وطاقتها في سبيل تحقيق هذه الغاية ، وتصدّت لحل المشكلات الاجتماعية انطلاقاً من الإنسان عن طريق التربية والتعليم ، . . . لقد ذكرتُ - أنا الفقير- في خطبي أن لدينا ما يكفي من المساجد ، - التي كان أغلبها فارغاً في ذلك الوقت- ، ولكن ليس لدينا ما يكفي من المدارس ، ولو كان لدينا أي هدف سياسي لكانت قد ظهرت بوادره خلال السنوات الـ ٤٠ أو ٥٠ الماضية كإنشاء حزب سياسي مثلاً ، ولقد عرض عليّ وعلى الكثير من إخواني في أوقات مختلفة الكثير من المناصب السياسية، لكننا رفضناها جميعاً." (١)

رابعاً - أن عدم وجود أهداف سياسية للحركة لا يعنى أن أبناء " حركة الخدمة " معزولون سياسياً عن الأحداث ، بل هم مواطنون يستعملون كافة حقوقهم الدستورية في المشاركة السياسية ، والتعبير عن آرائهم تجاه الأحداث ، ف: "أفراد "الخدمة" باعتبارهم مواطنين كان وما زال لهم مطالب من المؤسسات السياسية، شأنهم في ذلك شأن نظرائهم من المواطنين أو التربويين أو كل ناشط مجتمعي ، ولقد كانت هذه المطالب دائماً تدور في إطار القوانين المرعية وتطلب عبر السبل والطرق المشروعة ، ولم يحاولوا اللجوء إلى أي وسيلة غير قانونية أو غير أخلاقية لتحقيق هذه المطالب ، ولا يمكن اتّهام هؤلاء الذين يقومون بهذه المهام بأنهم يقتحمون السياسة أو يريدون تقاسم السلطة ." (٢)

أما فيما يخص الاتهام بالتغلغل داخل مؤسسات الدولة ، يقول الأستاذ فتح الله كولن : " إن مواطن بلد ما لا يتسرب إلى مؤسسات بلده. هذا وصف خاطئ لكنه يدخلها ويقدم خدماتها لبلده ، ويمكن لكل من يتوفر فيه الشروط المطلوبة أن يصبح موظفاً في الدولة. لكن هل الذي يزعمهم في ذلك هو عدم مبايعة هؤلاء لهم وعدم انصياعهم لقراراتهم الشخصية؟! ، لكن النظام السياسي الحالي لم يصنف فقط المحبين من الموظفين لحركة الخدمة ضمن الفئات التي يزعمون أنها تضر بالدولة بل

١- حوار مع جريد الشرق الأوسط ٢٤/٣/٢٠١٤م: موقع الملف التركي ، وكتاب " كلمات شاهدة" ص ٣٣

٢- حوار مع جريدة الشرق الأوسط : المصدر السابق

طال هذا التصنيف كل من يقف بعيداً عن الحكومة أو يرغب في عدم المشاركة في أي من فعالياتها". (١)

ويقول الأستاذ كولن عندما سُئل عن توجيه اتهام له بأنه "عقل مدبر أعلى" لحركة الخدمة، بمعنى أنهم لا يصدرن إلا عن أمره ، ولا يتحرّكون إلا وفق إشارته ، وأنه من مكان إقامته في أمريكا يدير الحركة لتكون في مواجهة الدولة .

يقول مستنكراً هذا الاتهام : " هذا بهتان عظيم، ووبأله على صاحبه كبير ، إن كانوا قد عثروا - فعلا- على معلومات لا نعرفها، فعليهم أن يتقاسموها مع الرأي العام فوراً (٢) ، وإلا فهو محض افتراء ، لكن إذا كانوا يلحون على البحث عن "عقل مدبر أعلى" لهذه الخدمة المباركة ، أقول لهم: أجل، إنها الرعاية الربّانية والحماية الإلهية اللتان جاءتا منحةً من الله تعالى تكريماً لروح الأخوة وتتويجاً لروح الاستشارة ، إن هذه الخدمة التي لم تتكل أبداً على قوة زائلة، قطعت المسافات بعناية الله ورعايته ، وما دامت حمايته جل وعلا تظل هذه الخدمة، فلن يتمكن أحد من إيقاع الضرر بها مهما حاول. " (٣)

## ج حركة الخدمة والديمقراطية

أعتقد أنه ينبغي الإشارة هنا إلى موقف الحركة المبدأى من " الديمقراطية :-

حيث تعلن الحركة أن الحفاظ على "الديمقراطية " من أهم القيم التي تسعى الحركة إلى إرسائها ، حتى إن المواقع الرسمية للحركة تذكر " الديمقراطية " كأحد "القيم" التي تسعى الحركة لترسيخ مفاهيمها وثقافتها عند الشعوب (٤)

كيف ينظر فتح الله كولن إلى الديمقراطية ؟ وهل هي - عنده - مناقضة للإسلام أم متوافقة معه ؟ ولماذا هذا الاهتمام البالغ بهذه القضية رغم تركهم مجال العمل السياسي برمته ؟

يرى فتح الله كولن أنه : " من الخطأ أن ننظر إلى الإسلام وكأنه متعارض مع الديمقراطية، بل العكس هو الصحيح ، ويمكن القول إن الديمقراطية هي النظام الأنسب لمبادئ الحكم في الإسلام لكونها تتيح الفرصة للناخبين أن يحاسبوا الحكام المنتخبين ويسألوهم ، ولكونها نقيضاً للاستبداد

١- حوار مع قناة " بي بي سي " الفضائية ، مصدر سابق

٢- يعنى : لينشروا هذه المعلومات على الرأي العام ويعلنونها ، أما الاكتفاء بالاتهامات دون دليل فهو ما يرفضه .

٣- "كلمات شاهدة " ، ص ٤٩ ، نقلا عن حوار مع جريدة زمان بتاريخ ١٧/٣/٢٠١٤م

٤- انظر : موقع حركة كولن [www.Gulenmovement.us](http://www.Gulenmovement.us)

الذي يعتبره الإسلام شراً وفساداً في الحكم، فليس للإسلام مشكلة مع الانتخابات الديمقراطية والمساءلة وسيادة القانون وغيرها من المبادئ الديمقراطية الأخرى. (١)

إن الشورى مبدأً إسلاميًّا عام ، لم تُحدّد في الإسلام صورة معينة لتطبيقه ، ولعل هذا كان واضحاً في آلية اختيار الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم جميعاً - ، إن الديمقراطية ليست هي الشورى قطعاً ، ولكنها ربما تكون الأنسب في عصرنا كألية لتحقيق إحدى صور الشورى .

ولذلك يرى كولن أنه : " بإمكان الإسلام والديمقراطية أن يتعايشا سلمياً ، ليس فقط في تركيا ، بل أيضاً في البلدان المسلمة الأخرى ، وفي البلدان ذات الأغلبية والكثافة الإسلامية ، وللأسف ، يلاحظ أنه في البلدان التي يصر فيها إلى "شيطنة" الديمقراطية تكثرت انتهاكات حقوق الإنسان والاضطرابات الأخلاقية والقانونية والنزاعات والصراعات الدينية والعرقية ، إن الديمقراطية حالياً تتطور لتصبح - إن جاز التعبير - عرفاً وقيمة مشتركة للجنس البشري بأكمله. " (٢)

وهو هنا يوضح - ضمناً - السبب وراء اعتبار الحركة قيمة " الديمقراطية " أحد القيم الأساسية التي تتبناها الحركة ، لأنها الضمانة ضد انتهاك حقوق الإنسان وحرية وكرامته الإنسانية .

إن فتح الله كولن يقف في مكان وسط بين طرفين أحدهما يقول : إن الإسلام دين لعلقة له بالسياسة ، والآخر يقول : إن الإسلام هو السياسة ذاتها ، وهذا الموقف الوسط الذي يتبناه كولن الذي ينطلق منه كولن ينعكس على نظرتة إلى الديمقراطية ف: " الإسلام "دين" ربانى سماوى ، بينما الديمقراطية هي شكلٌ من أشكال الحكومة أسَّسها البشر " ....ويقول : " الإسلام ليس هو الديمقراطية ، والديمقراطية ليست هي الإسلام ، فالديمقراطية نظامٌ استحسنه العالم ، لكنها مازالت في طور التفتيح والتحسين ، فهي مرحلة لاينبغي التراجع عنها . " (٣)

ومن الملاحظ هنا أن الأستاذ فتح الله كولن من أوائل علماء المسلمين الذين أعلنوا موقفهم المؤيد للديمقراطية ، إلى الدرجة التي جعلت الكثير من التيارات الإسلامية في تركيا تعاديه ، وتجرّح في حركته (٤) ، على الرغم من أنه لايعطي الديمقراطية أكثر من حجمها ، بل يعتبرها خطوة لاينبغي التراجع عنها في سبيل نيل الشعوب حريتها وإستقلال إرادتها ، وهي - عنده - ليست إلا وسيلة وآليه لإحداث هذا التحول المطلوب .

١- حوار مع فتح الله كولن : كلمات شاهدة ، ص ٣٥

٢- حوار مع فتح الله كولن : كلمات شاهدة ، ص ٣٦

٣- فتح الله كولن : الرؤية والتأثير ، مايمول أحسن خان ، ص ١٥٨-١٦٠ ، نقلاً عن حوار لفتح الله كولن مع جريدة "

صباح" التركية بتاريخ ٢٧/١/٢٠٠٤م

٤- من لقاء للباحث مع أ. نوزاد صواش المشرف العام على مجلة حراء ، بتاريخ ٦/١٠/٢٠١٦

ومن هنا فإن الرجل يؤكد في رده على من يتهمونه - اليوم - بمحاولة الانقلاب على الديمقراطية : " هناك حوالي ٧٠ كتاباً لي تتضمن مقالاتي التي كتبتها وما طرحته من آراء وأفكار في دروسي طيلة ٤٠ سنة مضت، وهي اليوم متوفرة لمن أراد الاطلاع عليها. هذه الكتب لا تحتوي أي فكر، ولو قدر ذرة، يسوغ فكرة الانقلاب، بل على النقيض من ذلك، تركّز على القيم الإنسانية السامية التي تبني أرضيةً رصينةً للديمقراطية . " (١)

ثم هو يستأنف قائلاً : " إن أكبر خصلة تتميز بها حركة الخدمة هي أن المتطوعين فيها لا يسعون أبداً للاستيلاء على السلطة السياسية، بل يبحثون، بدلاً من ذلك، عن سبل الحلّ للمشاكل والمعضلات التي تهدّد مستقبل المجتمعات، والتي تتطلب جهوداً دائبة طويلة النفس. إن الخدمة كرّست كل جهودها لتربية وإخراج أجيال متعلمة ومثقفة ومفتوحة للحوار تتمكّن من المساهمة الفعّالة في المجتمع الذي تعيش فيه . " (٢)

## اللاعنف

يعتبر الباحثون في حركة الخدمة ، أن الأستاذ كولن هو أحد أهم دُعاة اللاعنف ليس في وطنه الأصل بل في كل ربوع العالم ، ف : " على مدى حياته ، بوصفه داعيةً ومعلماً ، استتكر الأستاذ كولن باستمرار استخدام العنف وسيلة لتحقيق هدف سياسي ، وفي رأيه أن الاوضاع الاقتصادية أو المبررات الأيديولوجية ليست مسوّغاً أبداً للعنف ، وهو يدعو مستمعيه دائماً إلى السعي للحلّ السلمى لأى صراع ، سواء بين الأفراد وبعضهم ، أو بين الدولة والأفراد ، بل إن أحد المبادئ الأساسية التي تنضج بها خطب الأستاذ كولن وكتاباته ، هي : تجنّب الصراع السياسي والأيديولوجي . " (٣)

وهو صاحب المقولة الشهيرة : الإرهابى لا يمكن أن يكون مسلماً ، ولا يمكن لمسلم حقيقى أن يكون إرهابياً (٤)

١ - من مقال له نشر في صحيفة " لوموند " Le Monde الفرنسية ، بتاريخ ١١ / ٨ / ٢٠١٦ م ، وأعيد نشره في جريدة زمان التركية

٢ - المصدر السابق

٣ - حركة فتح الله كولن : تحليل سوسيولوجى لحركة مدنية متجذرة في الاسلام المعتدل ، هيلين روز ، ص ٢١٠

٤ - مقالة نشرتها " النيويورك تايمز " للأستاذ فتح الله كولن ، في اليوم التالى لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠١١م

## تعقيب وتعليق

أولاً - إن الحديث عن اتهامٍ من هذا القبيل ، لا يمكن أن ينسجم إلا مع جماعة تعتمد الانضباط التنظيمي الصارم بين أعضائها ، أما أن تكون حركة كحركة الخدمة لارابط بين أعضائها إلا مجموعة من الأفكار ، فيصعب حينئذٍ على الباحث أو المتابع لهذا الشأن أن يكون مثل هذه الصورة الذهنية .

ثانياً - لاشك أن المتعاطفين مع أفكار الخدمة موجودون داخل السلك البيروقراطي في الدولة، شأنهم شأن بقية شرائح المجتمع الحاملة لأفكار أخرى ، ومن ثم فليست انتماءاتهم مدوّنة على جباههم، وبالتالي فإن محاولة تصنيفهم حسب تعاطفهم أمر غير قانوني وغير أخلاقي على حد سواء ، وفي تركيا تياراتٌ قومية ويسارية ، وتيارات إسلامية ، وأبناء هذه التيارات موجودون كغيرهم داخل مؤسسات الدولة ، فهل يعنى هذا تصنيف الناس وفق ما يحملون في رؤوسهم من مبادئ وأفكار ؟ أم أن الفيصل هنا هو مدى التزامهم بالقانون ، وأدائهم لعملهم على الوجه الأكمل ؟ وهل إذا تربي أحد موظفي الدولة على كتابات ودروس عالم ديني - مثل فتح الله كولن أو غيره - وتأثر به ، هل يقدر هذا في نزاهته وانتمائه للدولة؟؟

ثالثاً - يرى الباحث أن تهمة كهذه ، كما أن أحداً لا يستطيع إثباتها ، فإن أحداً كذلك لا يمكنه نفيها ، إذ لا دليل على إثباتها أو نفيها ، وسبب هذا - من وجهة نظري - هو عدم وجود بيئة تنظيمية هرمية ، تسمح بوجود قائد وأتباع ، أو بإمكانية السمع والطاعة ، وبالتالي فلا يمكن بحال من الأحوال إثبات تهمة ما على الحركة - كتيار فكري - إذا ما انخرط أحد المنتمين إليه في عمل غير قانوني مثلاً ، وفي لقاء أجراه الباحث مع الدكتور نوزاد صواش سألته أسئلة من قبيل : ماذا لو قامت مجموعة تنتمي لأفكار الخدمة بعمل كذا أو كذا . . فابتسم قائلاً : إن الافتراضات والاحتمالات لانهاية لها ، وعلى العموم لو أن أحداً منا خالف القانون أو ارتكب جُرمًا ، فينبغي أن يُحاسب على جُرمه ، هل هذه قضية تحتاج إلى تأكيد ؟ ! ، فليأتوا بدليل واحد فقط على أن هذه الجرائم - إن وُجدت - مردّها إلى أفكار الخدمة أو تعليمات الأستاذ فتح الله ، للأسف كلها افتراضات ، وتخمينات (1)

**رابعاً -** لا ينبغي أن تُحاكَم التجربة الدعوية إلا إلى ماتعلنه من أهدافها ، وماتكتبه في أدبيّاتها ، وخلال عشرات الكتب التي كتبها الأستاذ فتح الله كولن ، وغيرها من الكتابات التي كتبها تلاميذه عنه وعن فكره ، والمؤتمرات المنعقدة عن تجربته ، فإن التجربة تبدو واضحة للعيان تجربة دعوية خالصة ، لالعلاقة لها بالتحزُّب السياسي .

أو كما كتب أحد أبناء الخدمة عن مبادئ الحركة الأساسية : " الاستعاذة بالله من إغواءات الشيطان ، وإغراءات السياسة القائم على الاستقطاب ، هذه من قواعدنا وأصولنا التي لاتقبل التغيير والتبديل ، وسيبقى هكذا حتى الأبد ، فالمتطوعون في الخدمة لا يأخذون أى دور فى أى تكون سياسى باسم حركة الخدمة ، ولا يمكنهم أن ينضوا تحت أى لواء يحلم بالاستيلاء على سلطةٍ ما . " (١).

أما مصطلح " التمكين " وغيره من المصطلحات المستخدمة في كتابات الأستاذ كولن ، فقد أشرنا إليها في سياقها من هذا البحث ، واستخدامها كان في سياق الحديث عن " الأمة " وليس عن " الجماعة " أو الحركة ، وكان في سياق نهضة المجتمع والأمة ، وليس التمكين لفرد أو مجموعة من الناس ، بل إن من يقرأ - حتى قراءة عابرة - ماكتبه الأستاذ في هذا الشأن لا يمكن أن يفهم إلا هذا الفهم ، ويكفى مراجعة كتاب " روح الجهاد " ، وتفسيره لآيات سورة الكهف وتمكين ذى القرنين في كتاب " أضواء قرآنية " ، ليتبين لنا مايقصده ويعنيه.

**خامساً -** من المعروف أن النشاط الأكبر لحركة الخدمة هو : المجال التعليمي ، وإنشاء المدارس وبيوت الطلاب ، ومن المشهور عن هذه المدارس - كما سبق أن بيَّنتُ - تفوق أبنائها وإحرازهم المراكز المتقدِّمة ، فهل حين يتخرَّج هؤلاء الطلاب ، وينخرطون في الحياة العملية ، ويتبعون أماكنهم اللاتئة بتفوقهم ونجاحهم ، سواء في مؤسسات الدولة أم في غيرها من المؤسسات ، هل يُقال حينها : إن هؤلاء قد تسرَّبوا إلى مؤسسات الدولة - الذين هم جزءٌ منها - ؟

وأخيرا . . فإن تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية تبقى نموذجا معروضا أمام الجميع ، قابلا للأخذ والرد ، ككتاب مفتوح يقرؤه الناس فيأخذون منه ويتركون ، لكنها تظل تجربة فرضت نفسها على الواقع الدعوى ، فهي جديرة بالبحث والتأمل والدراسة الجادّة .



## ملحق

### تجربة فتح الله كولن في تسلسل زمني

- ١٩٣٨ م : في ١٠ نوفمبر، وُلد فتح الله كولن، في قرية "كوركجك" بمحافظة "أرضروم"، شمال شرق هضبة الأناضول التركية، لأسرة معروفة بالتدين و الصلاح .
- ١٩٤٣ م : تلقى دروسه في حفظ القرآن الكريم، على يد والدته "رفيعة هانم".
- ١٩٤٥ م : إلتحاقه بأول مدرسة ابتدائية فتحت في قريته.
- ١٩٤٦ - ١٩٥٥ م : صحبة الشيخ العالم "الإمام الألوارلي" و التتلمذ على يده.
- ١٩٥٦ : تعلمه علوم اللغة والبلاغة والفقہ وأصوله على يد الشيخ عثمان بكتاش، الذي يعتبر الشيخ الرسمي الوحيد، الذي يمكن أن نقول . إلى حدّ ما . أن فتح الله قد تخرج على يديه ، رغم قصر المدة التي لازمه فيها.
- ١٩٥٧ م : تعرفه على رسائل النور وتأثره بها وبشخصية صاحبها الأستاذ النورسي ، وهو في الثامنة عشر من عمره .
- ١٩٥٨ م : تعيينه إمام مسجد في مدينة "أدرنة"، و هو في العشرين من عمره، على إثر فوزه بالرتبة الأولى في مسابقة لإمامة المساجد الفارغة على مستوى المحافظة.
- ١٩٦١ م : انخراطه الفعلي الخدمة العسكرية ، حيث تم تعيينه في إحدى الثكنات الكبرى ، والتي امتدت لمدة سنتين عاش فيهما تجربة شاقة صقلت من معدنه الأصيل .
- ١٩٦٢ م : البدايات الأولى في النشاط الدعوى التجميعی ، بحيث أصبح عضوا بجمعية "دار الشعب" التابعة لحزب الشعب الجمهوري آنذاك ، وانتقل مع بعض رفاقه إلى تأسيس نادٍ لمواجهة الشيوعية بأرضروم.
- ١٩٦٦ م : ينتقل للعمل في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم بجامع "كستانه بازاري" أو سوق الكستناء في مدينة إزمير غربي تركيا ، حيث اشتغل كمدير لهذه المدرسة.
- ١٩٦٨ م : يصدر مع بعض رفاقه جريدة "الإتحاد" الأسبوعية في إزمير.
- ١٩٦٨ م : يؤسس برفقة زملائه أول مسكن للطلبة بإزمير ، ويخطو أول الخطوات في اتجاه تأسيس المخيمات الإسلامية في تركيا.
- ١٩٧٢ م : يتعين من جديد واعظا بمدينة أدرميت، بعد قضائه حوالي سنتين مدة اعتقال داخل السجن، التقى فيها مع مجازيب و شيوعيين و تحاور معهم.
- ١٩٧٣ م : بناء أول مدرسة خاصّة بإزمير، و التي ستكون الحلقة الأولى لسلسلة من المدارس الخصوصية الأخرى في جميع تركيا و خارجها.

- ١٩٧٧م : يسافر خارج الحدود لمخاطبة الأتراك العاملين في ألمانيا ، فجال بين كثيرٍ من مدنها الشهيرة، و ألقى كلماته في أبناء وطنه، مجدداً فيهم أصالة الانتماء إلى دينهم و حضارتهم.
- ١٩٧٧م : يبدأ في الاشتغال بكتابة المقال الرئيس لعدد من المجلات التي أصدرها طلابه، في مختلف التخصصات و المستويات ، ومن تلك المقالات تكوّنت الكثير من كتبه التي نُشرت فيما بعد، وترجم الكثير منها إلى لغاتٍ أخرى.
- ١٩٨٩م: يلقي درسا تاريخيا بمسجد السليمانية في إسطنبول، حيث شجّع رجال الدعوة الأتراك ورجال الأعمال المساندين على نقل خدماتهم الإيمانية إلى جمهوريات آسيا الوسطى، مثل كازاخستان، و أذربيجان ، خاصةً وأن هذه الدول كانت قد استقلت من أغلال الإتحاد السوفيتي .
- ١٩٩٦ م : يرحل من مدينة إزمير إلى مدينة إسطنبول بصفة نهائية، حيث استطاع أن يبدأ في تدشين حركة حوار وطني كبرى، حيث بدأ يعقد صلات مع الأقليات من أهل الأديان الأخرى، مثل الكاثوليك و البروتستانت و الأرثوذكس، و طائفة الأرمن و غيرهم ، و امتدّت علاقته إلى رؤساء الأحزاب السياسية من اليمين إلى اليسار، من خلال حوارات كان لها أثر كبير في تخفيف الضغط على الدعوة الإسلامية ، وتيسير أمر الخدمات الإيمانية المنتشرة في كل مكان.
- ١٩٩٨م : لقاءه الشهير ، وحواره مع البابا جون بول الثاني بابا الفاتيكان - حينها - .
- ١٩٩٩م : يؤسس مع زمرة من المثقفين مؤسسة "وقف الصحفيين و الكتاب"، التي كانت وراء تنظيم مؤتمرات للحوار، و تبادل الأفكار، و عرض وجهات النظر المختلفة ، فكان هذا المكان مظلة واسعة لاجتماع عدد من أبرز رجال الثقافة والفكر، و الكتاب الأتراك، من كل الاتجاهات.
- ١٩٩٩م : يقرر الرحيل إلى منفاه الاختياري بأمريكا بولاية بنسلفانيا ، وهناك ارتقت علاقاته لتمتد إلى المؤسسات العلمية ، والجامعات الأمريكية، فصارت له حوارات مع الباحثين الأكاديميين ، والأساتذة الجامعيين هناك .
- ٢٠٠١م : على إثر هجمات الحادي عشر من سبتمبر يصدر مقالا نشر في صحيفة "الواشنطن بوست" يدين فيه تلك الهجمات و يبرئ الإسلام من ثقافة الإرهاب.
- ٢٠٠٨ م : يتصدر قائمة المائة مثقف عالمي الأكثر تأثيرا في العالم ، التي أصدرتها مجلة "فورين بوليسي" الأمريكية **foreign policy magazine**
- للأستاذ فتح الله كولن أكثر من خمسة وستين كتابا تناول فيها القضايا الكبرى في الفكر الإسلامي ومشكلات العصر، بعض كتبه مترجم من التركية إلى ٣٥ لغة ، وله آلاف الخطب والمحاضرات والمواعظ المسجلة ، بالإضافة إلى مئات المقالات المنشورة في المجلات والصحف داخل تركيا وخارجها، وله ديوان شعر منشور

قالوا عن . .

## تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية

الأمر الذي لا ريب فيه هو ضرورة التجديد ، بحثاً عن الإجابة على أسئلة من قبيل : من نحن ؟ ومن الآخر ؟ وكيف نحاوره ونصمّد أمامه ؟ ولعلّ الباحث في حركة الأستاذ فتح الله كولن ، يجد المفتاح الضائع لهذه القضية المغلقة التي قد ضلّ مفتاحها .

أ.د. أحمد الطيب ( شيخ الأزهر/ مصر )

من المحاضرة الافتتاحية لمؤتمر القاهرة : مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن عام ٢٠٠٩ م

5555

لأن العقل - في حضارتنا الإسلامية - هو نورٌ أودعه الله في القلب ، ولأن العلامة الأستاذ فتح الله كولن هو ثمرةٌ طيبة من ثمرات هذه الحضارة ، فلقد جمع بين حكمة العقل وبصيرة القلب ، ولأن القرآن الكريم هو الذي صاغ منهاجه في الفكر والحياة ، فلقد صار كلمة طيبة ، أصلها ثابت ، وفروعها ممتدة ، تؤتي أكلها كل حين بإذن الله .  
ولأن الوحي القرآني قد قرن دائماً بين الإيمان والعمل، فإن كلمات هذا العالم الرباني قد تجسّدت - به وبإخوانه الكرام - أبنيةً شاهقة ، وحياءً خصبة ، تزدهرُ بها كثيرٌ من بقاع هذا الكوكب الذي نعيش فيه .

أ.د / محمد عمارة ( المفكر والكاتب الإسلامي/ مصر )

ملحق مجلة حراء ، ( فتح الله كولن ، أشواق أمة واستنهاض حضارة ) ، العدد : ١٤ ، ٢٠٠٩ م

5555

لم ينحصر مشروع فتح الله كولن في نطاق الفكر ، بل إنه خرج إلى نطاق الحركة والتأثير وتمثّل هذا في جماعة الخدمة التي اعتنقت أفكاره ، وبذلت من روحها وجهدها من أجل تطبيقها ، وتحملت في سبيلها تضحياتٍ ومشقاتٍ وحركةً دائبةً مستمرةً ، في تجرّدٍ كامل ، وإخلاصٍ عظيم ، ودون انتظارٍ لميزة مادية ، أو مكانة اجتماعية ، أو منصب رفيع "

أ.د/ عبد الحميد مدكور ( دار العلوم / الأمين العام لمجمع اللغة العربية - مصر )

من مقال في مجلة "تسمات" ، العدد الأول ٢٠١٦ م

في رحلتي الاستكشافية إلى تركيا، تعرفت على رجل النهضة، الأستاذ فتح الله كولن الذي أثر في كثير من الناس، وتعرفت على عديد ممن استلهموا من أفكاره وأنجزوا أعمالاً عظيمة.. وأعتقد أن الأستاذ كولن لديه من الحكمة ما جعله ينتبه إلى وجوب خدمة وهداية البشرية، وذلك من خلال معرفته لروح العصر الحديث. ومن أجل ذلك الهدف النبيل ربي مجموعة من الناس، أظن أن كل فرد منهم كالأبطال يقومون بأعمال رائعة."

**وحيد الدين خان ( مفكر وداعية إسلامي / الهند )**

من كلمة ألقاها في مؤتمر : السراج النبوي يُنير درب البشرية ٢٠١٢م ( متلفز )

5555

في ظني أن فتح الله كولن يمثل الخبرة الدينية الاجتماعية ، بكل ما تعنيه من عناصر عالمية تصلح لشعوب وأقطار إسلامية أخرى ، وإن استيعاب "فتح الله كولن" لما يراه مناسباً من الفكر الغربي في إطار الهيمنة الثقافية الإسلامية ومسلماتها العقيدية ، إن ذلك يمثل قدراً معتبراً من الإثراء لهذه الثقافة ، وإن من أهم التطبيقات التي تتفرع عن هذا الاستيعاب هي دعوته لتوحيد التعليم الديني والمدني وإشاعة الثقافة الإسلامية في ثنايا التعليم الوضعي الشائع الآن ، وهذه دعوة صالحة للأخذ بها والاستفادة منها في مجالات التعليم الحديث في بلادنا المتعددة ومجتمعاتنا الإسلامية المتنوعة ، وما أحوجنا للاستجابة لهذه الدعوة...

**المستشار / طارق البشري (مفكر وكاتب / مصر)**

من المحاضرة الختامية لمؤتمر القاهرة مستقبل الإصلاح في العالم الإسلامي ، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن عام ٢٠٠٩ م

5555

" مؤيدو" كولن "يشكلون مزيجاً رائعاً في غاية التناغم والانسجام بين متعلمين شغوفين بالعلم، وإيمانين شغوفين بالإيمان، وحركيين يسهمون في تحريك عجلتي الاجتماع والاقتصاد في البلاد"...

**مجلة Foreign Policy / الولايات المتحدة**

مجلة حراء ، العدد ٤٢ ، عام ٢٠١٤م ( عدد خاص )

الأستاذ كولن يريد أن يربط الأمة بفكرة مركزية هي فكرة "الخدمة الإيمانية"، أي أن يتحرك كل إنسان في الفضاء الذي هو فيه من أجل الخدمة الإيمانية. وإذا أردت أن تُحصِلَ فكرة الرجل لقلت فتح الله كولن يساوي الخدمة الإيمانية، فضلا عن ذلك الأستاذ كولن يُقرُّ بأن الخدمة الإيمانية طريق عمومي، لذلك هو يشجع كل من سلك هذا المسلك، لأنه مسلك عام، ولا يريد أن يكون بديلا عن أحد، ولا بديلا لأحد."

أ.د. عمار جيدل (جامعة الجزائر/الجزائر)

ملحق مجلة حراء ، (فتح الله كولن ، أشواق أمة واستنهاض حضارة ) ، العدد : ١٤ . ٢٠٠٩م

5555

"إنني شاهدة عيان لعدد من المبادرات التي قامت بها الحركة في الولايات المتحدة، لأنني كتبتُ كتابي الخاص بالأستاذ فتح الله كولن... الأستاذ لا يتبنّى بمحاضراته ومواعظه وكتبه المفهوم الغربي للفصل ما بين الدين والدولة، ولكنه مع ذلك، يتناسب فهمه لدورالدين مع نفس الأسلوب الذي يمارس به في بعض المناطق بالغرب... ولهذا حققت حركة كولن قدرا كبيرا من النجاح في الغرب.... ومن ثم يقومون بتأسيس مبادرات للمجتمع المدني، وتوحيد الناس جميعا على مبادئ فاضلة ، فهذا هو الشاهد الحقيقي للإيمان، وهو ما يحفز الآخرين لتبني تلك القيم الإنسانية العميقة في قلوبهم وأفكارهم.

د. جيل كارول (كلية العلوم الدينية، جامعة رايس - تكساس / أمريكا )

ملحق مجلة حراء ، (فتح الله كولن ، أشواق أمة واستنهاض حضارة ) ، العدد : ١٤ . ٢٠٠٩م

5555

## الخاتمة

### أولاً : نتائج البحث

بعد هذه الجولة في فكر وتجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية ، يمكن إجمال النتائج التي توصل إليها الباحث فيما يلي :-

**أولاً - الشيخ فتح الله كولن داعيةً ذو تجربةٍ فريدة ، وروحانيةٍ فيّاضة ، وصاحب مدرسة فكرية حضارية جديرة بالبحث والتأمل وإمعان النظر في معطياتها ، وكيفية الاستفادة منها ، فالرجل قد نذر حياته كلها في سبيل دعوته وفكرته ، وتجرد من كل حظٍّ دنيوي ، وأصقلته الحوادث التي مرّ بها في حياته على اختلاف مراحلها ، وتعدّد فصولها .**

**ثانياً - شخصية الشيخ فتح الله كولن شخصيةً متعدّدة المعارف والمواهب ، فهو الخطيب المفوّه صاحب القدرة على التأثير في الجموع الكبيرة، بالإضافة إلى مهارته في الحوار، دون الوقوع في الجدل حتى مع أشرس المعارضين والخصوم، وهذه في حد ذاتها من أهم صفات الداعية الناجح ، إلى جانب هذا فهو كاتبٌ لا يتوقف قلمه، ومؤلف ماهر يحتلّ المقام الأول في مجاله من خلال كتابته للمقال الرئيس في العديد من المجلات والصحف، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والمؤلفات، يزيد عددها عن ستين كتاباً ، وإلى جانب هذه الشخصية تبرز شخصية الأديب والشاعر، فهو ليس مجرد متذوق للأدب ، بل أديب وشاعر ، قصائده الشعرية تنبض بالحياة يلمس فيها المتلقي حرارة المشاعر وصدقها، ويجد في كل نصوصه قلباً واسعاً يحتضن العالم كله بالحب والإخلاص. ولا تكاد مقالة من مقالاته ولا كتاب من كتبه يخلو من إشارة إلى الأدب الرفيع والفن الراقي الجميل ، وبالإضافة إلى ما تقدم فإن لفتح الله رؤاه المميزة في علم الاجتماع وفي علم النفس وفي السياسة والاقتصاد، والفلسفة المعاصرة والقديمة، الإسلامية وغير الإسلامية، بالإضافة إلى معرفة دقيقة بتاريخ الأمم والحضارات، وهو عندما يتحدث في المجال تحسبه مؤرخاً متخصصاً في تاريخ الحضارة والمدنية والعمران.**

والأستاذ فوق كل ذلك رجل تربية وتعليم، وصاحب تجربة عميقة في هذا المجال؛ فقد مارس التعليم بصنوفه المختلفة العصرية والتقليدية، وألف في هذا المجال، وكتابه التعليمي "تعليم العربية بطريقة حديثة" أكبر دليل على أنه رجل تعليم، يستحق أن يصنف كذلك، دون إغفال تلك الأفكار الناضجة التي يثيرها حول التعليم والتربية في مقالاته وكتبه.

**ثالثاً - تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية ، تستمدُّ أفكارها الأساسية من تراثنا الإسلامي ، وتستلهم مبادئها من المدارس الفكرية ، والتجارب الراشدة التي دخر بها تاريخنا الإسلامي ،**

فالتجربة تبنت منهج الإصلاح التدريجي الذى يبدأ من المجتمع ، ويعتمد فى جوهره على تغيير النفوس ، وتربية الأجيال ، دون الاعتماد على التغيير الفوقى من خلال التأثير على الحكومات ، او معارضتها أو التنافس على السلطة .

**رابعاً -** من نتائج البحث ، اعتبار تجربة الشيخ فتح الله كولن ، حركة تجديدية ، بمعنى التجديد فى فهم النصوص الدينية وتنزيلها على أرض الواقع تطبيقاً وعملاً ، وهى حركة تجديدية تأتى فى ظل " العولمة" الغربية ، وهنا تأتى الأهمية الدعوية والحضارية لدعوة الأستاذ فتح الله كولن - والتي هى نتاج فكرى ومورث حضارى لما سبقها من تجارب ودعوات - ، بحيث يمكن اعتبارها هى الأقرب لوراثه حركة التجديد التى ينتظرها العالم الإسلامى اليوم .

**خامساً -** أن تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية ، تنطلق فى معالجتها لنهضة المجتمع والأمة ، من ثوابت الإسلام ، ونصوصه المعصومة من الخطأ والزلل ، فالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما منصة الانطلاق فى هذه التجربة ، كما أنها لا تتجاوز فى الوقت ذاته الثقافة الذاتية للأمة ، باعتبارها مؤثراً مهماً فى الشعور الإنسانى لأفراد هذه الأمة وتنطلق كذلك من الوعى بتاريخ الأمم صعوداً وهبوطاً ، وتأثير هذا الوعى بالتاريخ فى إحداث النهضة المنشودة .

**سادساً -** تحتل مهمة التبليغ والإرشاد فى تجربة الشيخ فتح الله كولن ، مكاناً بارزاً ، ويعتبر الشيخ أن التبليغ هو غاية إرسال الرسل ، ولذا فإن أهم وظيفة حياتية تقع على عاتق المسلمين هى تبليغ الناس رسالة الإسلام ، ومن خلال البحث يتضح تعدد وسائل التبليغ والإرشاد فى هذه التجربة وتنوعها ، بل وحرص الشيخ على صقل الداعية باعتباره أهم عنصر فى عملية الدعوة .

**سابعاً -** للتجربة الصوفية مكانها ومكانتها البارزة ، ومحوريتها الشديدة فى تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية ، ومن خلال قراءة التجربة من جانبيها النظرى والتطبيقي ، يمكن اعتبار أن التصوف بمفهومه الصافى النقى البعيد عن الغلو والانحراف ، يعدُّ من أهم ركائز هذه التجربة الدعوية ، يوضح هذه جلياً من خلال كتابات الشيخ ومواعظه ، ومن خلال الخطاب الدعوى لحركة الخدمة ، والمفاهيم التربوية التى تتبناها الحركة .

**ثامناً -** تنطلق تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية من التأثير فى وجدان الإنسان ، انطلاقاً من قوله - سبحانه- ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ )<sup>(١)</sup> ، هذا ماوعاه الأستاذ فتح الله كولن ، وأقام على أساسه مشروع الحضارى ، بحيث صار "معلماً" من معالم التغيير والإصلاح فى منهجه ، لا تكاد تُخطئه العين ، وفى التجربة موضوع الدراسة نجد أن الأستاذ فتح

الله كولن قد سحر كافة جهوده وجهود تلاميذه لخدمة هذا الإنسان، على المستوى الوطني والأُممي والدولي، حيث يحاولون تقديم كل ما يستطيعون من أجل إسعاد الناس في الدنيا والآخرة .

**تاسعا** - من أهم ما يميز هذه التجربة عن غيرها ، هو اتصال الأقوال بالأفعال ، أو انسجام الفكر مع الحركة ، بحيث يكون التطبيق معبراً عن النظرية ، وليس منفصلاً عنها ، ولذا كان أحد أهم معالم هذه التجربة النموذج هو: حركية الفكر والفعل، بمعنى العمل الدائم على استمرارية الفكر والحركة بهذا الفكر في آن واحد .

**عاشرا** - من أهم النتائج التي يمكن استلهاها من هذا البحث ، الوقوف على أهم الأهداف التي يسعى الشيخ فتح الله كولن ، ومن ورائه حركة الخدمة ، ويمكن تركيز هذا الهدف في : إحياء الأمة ، وتعتبر القضية الكبرى التي تأتي في مقدمة الأولويات لدى الأستاذ فتح الله كولن ومن ورائه حركة الخدمة هي قضية إحياء الأمة ، وتحريك طاقاتها نحو هذا الهدف ، بل يمكن القول إن من لا يدرك من البداية محورية هذا الهدف الأصيل لن يستطيع أن يسبر غور هذه التجربة أو يحيط بها علماً .

**حادى عشر** - من النتائج المترتبة على هذا البحث ، وصول الباحث إلى أن الكثير من التصنيفات التي توصف بها الحركات الإسلامية المعاصرة ، لا تنطبق على تجربة الشيخ فتح الله كولن ، وحركة الخدمة ، فالحركة ليس فيها أعضاء ينتمون إليها كما ينتمي الأعضاء إلى الجمعيات ، لأن الخدمة مجرد أفكار يقتنع بها الناس وينطلقون منخرطين فيها أحراراً في كل ما يقومون به ، وتسميتها بالحركة هو من باب التقريب إلى الأذهان ، ومن قبيل كونها تجمعاً بشرياً يتحرك لهدف واحد .

**ثانى عشر** - حركة الخدمة ، حركة دعوية خالصة ، باعتبارها أبرز تجليات تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية ، وهي حركة تقوم في الأساس على مبدأ " الخدمة الإيمانية " ، وتعتمد في هذا الصدد على التشارك في الأعمال ، والمؤسسية في الأفكار ، فكل فكرة لا تتحول إلى مؤسسة تقوم على تنفيذها فكرة ضائعة .

**ثالث عشر** - التفانى في العمل الدعوى ، وإنكار الذات ، والهجرة في سبيل الفكرة ، من أهم تجليات الخطاب الصوفى لدى الشيخ فتح الله كولن ، وفي الوقت ذاته من أبرز السمات العملية لحركة الخدمة .

**رابع عشر** - من أبرز وأهم النتائج المترتبة على هذه الدراسة ، التأكيد على محورية المشروع التعليمي والتربوي ، في تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية ، ذلك أنه من الواضح للعيان أن قطاع التربية والتعليم هو القطاع الحيوي بالنسبة لـ"الخدمة" ، بل يمكن القول بأن التربية والتعليم



هي المجال الحيوي الذي تُعرَف به "الخدمة"، ولذلك يغلب على الأستاذ فتح الله كولن صفة "رجل التربية" أو كونه مربياً ، والمدارس المنتشرة في أنحاء العالم ، خير دليل على هذا ، وأفضل دعابة لهذه التجربة الحيوية ، فلا يُذكر فتح الله كولن ، ولاتُذكر " الخدمة" إلا بالمدارس وبيوت الطلبة المنتشرة في أنحاء مختلفة من العالم .

**خامس عشر** - يتضح من الدراسة أن المدرسة حاضرة في كل مراحل تكوين الخدمة ، وهنا لا نقصد المدرسة بمفهومها المادي فقط ، ولكن نقصد المدرسة بمفهومها العام والمعنوي ، فالمدرسة بمفهومها المعنوي أو المؤسسي ظلت هي الإطار القوي الذي تتمحور حوله الخدمة ، فقد نتصور تخلي الخدمة بصفة عامة عن مؤسساتها أو أن تترك بعض المجالات، لكنها حتما لن تترك مؤسسة المدرسة ، فهي حاضرة بصورة مباشرة وغير مباشرة في كل محطات الخدمة.

**سادس عشر** - نلاحظ تمييز الأستاذ فتح الله كولن في مشروعات الخدمة التربوية ، بين مهمة التربية ومهمة التعليم، وذلك بجعل التربية أساساً للتعليم.. لأن التعليم مسألة تقنية، وباستطاعة كل الناس ممارسة التعليم، لكن القادرين على التربية قلّة ، ولذلك كانت التربية أسبق على التعليم، لأنه إذا كان التعليم مسألة تقنيات، فإن التربية هي البوصلة ، التي توجه التعليم إلى وجهته الصحيحة **سابع عشر** - كذلك فإن من أبرز هذه النتائج ، أن دعوة الخدمة نموذج يحتذى به في مجالات عديدة، منها **مجال الانفتاح على العالم**، لأن خطاب الخدمة خطاب مبشّر وليس خطابا منفرا ، ولذلك حث الشيخ فتح الله كولن منذ الثمانينيات تلاميذه على الهجرة إلى مناطق مختلفة من العالم ، كانت البداية بآسيا الوسطى بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، ثم إلى أمريكا وأوروبا وإفريقيا ، وقد كانت المدارس والتعليم أهمّ الوسائل التي انفتحت بها الخدمة على كل هذه المناطق .

**ثامن عشر** - من أهم وأبرز نتائج هذا البحث ، عرض التجربة الدعوية للشيخ فتح الله كولن كنموذج لتجربة إسلامية رائده في مجالات عدة ، من أهمها عرض نموذج الإسلام المتسامح الذي يمد يده للإنسانية كلها ، وذلك من خلال تأصيل أسس الائتلاف الإنساني بين أبناء المجتمع الواحد ، على اختلاف مشاربهم ، وآرائهم ومذاهبهم الفكرية والسياسية ، ثمّ بينهم وبين غيرهم من أبناء الأمة الواحدة على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وأجناسهم ، ثم بين أبناء الأمة الواحدة وغيرها من الأمم ، في وحدة إنسانية رائعة ، تؤكد على المشترك الإنساني بين الأمم والشعوب .

**تاسع عشر** - الفلسفة التي ينطلق منها فتح الله كولن إلى الحوار البنّاء مع أهل الديانات الأخرى هي فلسفة "التبليغ" ، دون غيرها ، لانه - وكما جاء في عدة مواضع من هذا البحث- يرى أن

"التبليغ" هي القضية المحورية للمسلم في هذه الحياة ، فهو يحاورهم ليجلو الصداً الذي تراكم عبر الممارسات الخاطئة والفجّة على مفهوم الإسلام عند الغرب .

**عشرون** - في تجربة الأستاذ فتح الله كولن تنطلق فكرة "الحوار بين الأديان " من أصول إسلامية خالصة ، فهو يدعو إلى الحوار لامن أجل الذوبان في الآخر ، وإنما لإقامة علاقة من " التسامح بين الأديان " .

**واحد وعشرون** - من نتائج البحث ، النظر إلى كل تجربة بشرية بموضوعية لاتفقد الباحث حياديته ، فتجربة الشيخ فتح الله كولن ، تجربة بشرية تحاول تطبيق الإسلام ، وتنزيل مبادئه على أرض الواقع ، وهي معرّضة في سعيها هذا للصواب والخطأ ، فهي ككل التجارب البشرية يؤخذ منها ويردُّ عليها .

**اثنان وعشرون** - حركة الخدمة ، حركة إصلاحية وليست ثورية، أي أنها تعترف بوجود إيجابيات كثيرة في المجتمع وتبني عليها، ولا تسعى لإحداث تغيير جذري وشامل للأوضاع ، بشكل فجائي وفي ذات الوقت فإن عملية الإصلاح هذه تبدأ من تحت وليس من فوق، ولذلك ليست لها أي اهتمامات سياسية، وإن كانت تدعو أفرادها إلى أن يكونوا إيجابيين في القضايا الرئيسية الهامة، وخاصة في الانتخابات، من دون تخندق أو تعصّب، بحيث يختار كل فرد ما يراه مناسباً لمنطقته ووطنه وعمله الدعوي والحركي، بل ومصالحته الشخصية إذا كانت جزءاً من المصلحة العامة للمجتمع.

**ثلاثة وعشرون** - من خلال قراءة تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية ، فكراً وممارسة ، يجد المرء أنها تجربة جهادية من طراز رفيع رغم أنها لم تطلق طلقة واحدة، ولم تُرق قطرة دم واحدة؛ إذ أنها تتحرك في إطار الجهاد الأبيض الواسع وتستهلك كل طاقتها هناك، وتتجز كل عام عدداً من الفتوحات المدنية الناعمة في جبهات التربية والتعليم، عبر بناء ما يزيد عن ألفي مدرسة نموذجية في تركيا وفي مائة وستين دولة في العالم؛ وبناء أكثر من خمس عشرة جامعة ضخمة، أهمها "جامعة الفاتح" في إسطنبول؛ وإيجاد المئات من المدن والمباني السكنية الجامعية، بحيث يمكن القول أن هناك مليونين من الطلاب الذين يستفيدون من خدمات هذا التيار أو من جهاده الأبيض الذي يدرأ به فتنة الجهل والفقر والفرقة عن أعداد كبيرة من المسلمين كل عام.

**أربعة وعشرون** - يمكن إيجاز أهم نتائج البحث في تميز تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية في بُعدين رئيسيين ميزا حركة الشيخ فتح الله كولن عن غالبية حركات الإصلاح في العالم الإسلامي : **البعد الأول** هو القدرة على مأسسة الفكر بمعنى القدرة على تحويل الأفكار إلى مؤسسات ، وإكساب الفكر حركية فعالة على أرض الواقع.

---

والبعد الثاني هو القدرة على الجمع بين الثنائيات، بتبنى خطاب تصالحي توافقي يتخطى ويتجاوز الصراعات والاستقطابات الفكرية والسياسية والمجتمعية.

**خمسة وعشرون** - فى تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية ، نستطيع الوصول إلى نتيجة هامة تتعلق بإيجابية الفكر والحركة ، بمعنى عدم الوقوف عند نقد الآخرين وتقنيد سلبياتهم، بل الاهتمام بطرح الحلول والبدائل التي يمكن تطبيقها في ظل قيود الواقع ومعطياته الفعلي ، ومن هنا اعتمدت الحركة سياسة تقوم على أن " تقديم البدائل أهم من انتقاد النواقص"، وأن " إضافة طريق جديد أجدى من المزاومة على الطرق القديمة". وبذلك تم تلافى الدخول في صراعات ومنافسات تهدر الجهد وتزيد العوائق ، إنها إستراتيجية خلق الفرص البديلة أو الجديدة .

## ثانيا : التوصيات

تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية تجربة ثرية ، ونموذج يمكن الاستفادة منه في نهضة المجتمع والأمة من خلال العمل الدعوى ، ولذا فإن الباحث يوصى في خاتمة البحث بما يلي : -

**أولا -** على المستوى الفردى ، فإن الباحث يوصى نفسه وإخوانه من الدعاة إلى الله ، أن نتجرد لدعوتنا من كل غرضٍ أو مصلحة ، وأن يجعل الداعية من نفسه نموذجا لدعوته أينما حلَّ أو ارتحل ، فالداعية ينبغي أن يكون قدوة لغيره ، تنطبق أقواله مع أفعاله ، وتتسجم دعوته مع حركته

**ثانيا -** يوصى الباحث بدراسة المدارس الفكرية ، والحركات الإسلامية في تاريخنا القديم والحديث في ضوء مستجدات العصر ومتطلباته ، وتحدياته الثقافية والحضارية ، لعلنا نستخرج من خبرات السابقين ماينير لنا طريق الدعوة والحركة في يومنا هذا .

**ثالثا -** كذلك ، فإن من التوصيات الهامة ، ألا تقف الحدود الجغرافية ، أو الاختلافات السياسية عائقاً بيننا وبين دراسة التجارب الإسلامية في أيّ قطر من أقطار المسلمين ، فالحكمة ضالة المؤمن ، والأزهر الشريف هو منارة العلم في العالم الإسلامي ، وهو أولى من غيره بدراسة هذه التجارب في رحابه .

**رابعا -** من وحى التجربة ، نرى أن التنوع في أساليب الدعوة ووسائلها ، من أهم الطرق للوصول إلى شرائح أكثر تنوعاً من المدعوين ، ولايقف الأمر عند حدود الوسائل التقليدية ، مثل الخطابة والكتابة ، والمحاضرة والدرس وغيرها - على أهميتها وضرورتها - ، بل تتنوع الوسائل الدعوية لتصل إلى حياة الناس اليومية ، عبر وسائل الإعلام بكل ما تقدّمه من مواد مختلفة ومن خلال المؤسسات التربوية ، وبيوت الطلبة ، وصولاً إلى المؤسسات الخدمية والاقتصادية وغيرها ، مروراً بالتواجد الميداني ، والتواصل الشخصي عبر نؤسّسات دعوية ، لاشبهة فيها ، ولا خلاف عليها .

**خامسا -** يوصى الباحث بالحركات الإصلاحية التي تعمل على نهضة المجتمع والأمة ، أن تبدأ رحلتها من خلال بناء الإنسان ، وأن تعتمد الإصلاح التحتي ، وليس الإصلاح الفوقي ، وأن تدرك هذه الحركات أنه لأمل في نهضة المجتمع ، إلا من خلال زيادة الوعي بين أفرادها ، ولا أمل في نهضة الأمة إلا من خلال ائتلاف شعوبها ، وتوحدّهم على هدف واحد .

**سادسا -** وفي السياق ذاته ، فإن الباحث يوصى العاملين في الحقل الإسلامي ، أن يعملوا جاهدين على عدم التحزّب السياسي ، بحيث تكون دعوتهم لعموم المجتمع ، دون أن يدخل الدعاة في منافسات حزبية تخضم من رصيدهم عند الناس ، ولا تضيف لهم شيئا ، ولا تكسب الدعوة منها أرضا ، وهذا الفصل بين ماهو دعوى وماهو سياسى لايعنى - على الإطلاق -

النَّيل من شمولية الإسلام لجميع مناحى الحياة ، وإنما هو فصلٌ وظيفيٌ فقط ، فمجال الداعية يختلف عن مجال السياسى .

**سابعاً -** يوصى الباحث بتبادل الخبرات الدعوية مع حركة الخدمة - لاسيما فى المجال الثقافى والتربوى والتعليمى - ، وفى هذا الصدد يمكن عقد لقاءات حوارية ، ونقاشات فكرية ، ودراسات علمية ، بين قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ، وبين مؤسسات الخدمة الثقافية فى القاهرة ، فيستفيد أبناء الخدمة من توجيهات الأساتذة وخبراتهم الدعوية ، ويستفيد طلابنا من واقع الخدمة نموذجاً فى الدعوة العملية ، والخبرة الميدانية ، على غرار مؤتمر تبادل الخبرات الذى تمَّ عقده فى القاهرة عام ٢٠٠٩م ، بمقر جامعة الدول العربية

**ثامناً -** يوصى الباحث مؤسسات المجتمع المدنى فى مصر ، بالاهتمام بقضية التعليم ، وجعله محورا لنشاطهم ، بحيث تكون قضية التعليم قضية قومية ، ومهمة عاجلة ، وذلك بالتواصل الدائم مع مؤسسات الدولة التعليمية ، لحنّها على تقديم خدمة تعليمية عالية المستوى ، فلا نهضة لبلدنا بدون تعليم قوى ، تتلاقى فيه الجودة العلمية ، والكفاءة التدريسية ، مع الاهتمام الرسمى والشعبى ، ويتقديم الدّعم الممكن للمدرّس والمدرسة على السواء .

**تاسعاً -** يوصى الباحث الجمعيات الدعوية ، التى تقدّم خدمات ميدانية فى مصر ، مثل الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة المحمّدية ، بالتواصل مع حركة الخدمة ، لتبادل الخبرات فى العمل الميدانى ، لاسيما مع وجود الكثير من النقاط المشتركة فى مجالات كثيرة بينهما .

**عاشراً -** وفى السياق ذاته ، يوصى الباحث الإخوة الباحثين ، بعمل دراسة مقارنة بين حركة الخدمة ، والجمعية الشرعية فى مصر ، فلدَى الخدمة جمعية " هل من مغيث " ، التى تُعنى بالطبقات الفقيرة فى مختلف أنحاء العالم ، وتشارك فى الحملات الإغاثية للمنكوبين ، وأغلب الظن أن مقارنة كهذه سيكون لها نتائجها الجيدة لكلا الجمعيتين .

**حادى عشر -** يوصى الباحث المؤسسات المعنية بجودة التعليم فى مصر ، بالاستفادة من تجربة المدارس المنبثقة عن الخدمة ، والمنتشرة فى أنحاء مختلفة من العالم ، ويوجد منها فى مصر عدّة مدارس ذات جودة عالية ، ومستوى متميّز ، غايتها بناء الشخصية السويّة والمتكاملة للإنسان ، باعتباره وحدة بناء المجتمع والأمة .

**ثانى عشر -** يوصى الباحث بالاستفادة من تجربة الشيخ فتح الله كولن ، فى الحوار الداخلى بين أطياف المجتمع المختلفة ، وفتح قنوات اتّصال لتقارب وجهات النظر حول القضايا الوطنية والدينية المشتركة ، وأن يشترك فى هذا الحوار الداخلى كلُّ أطياف المجتمع وتياراته السياسية

---

والدينية والثقافية ، ويقترح الباحث أن يتولّى الأزهر الشريف هذا الحوار ، باعتباره جهة محايدة تتمتع بثقة واحترام الجميع ، والمفترض فيها ألا تكون طرفاً فى أى نزاع .

**ثالث عشر** - يوصى الباحث المراكز الإسلامية فى الغرب ، بالاستفادة من تجربة الشيخ فتح الله كولن فى الانفتاح على المجتمع الغربى ، وعرض نموذج الإسلام الحضارى ، بحيث لا تنكفى هذه المراكز على نفسها ، وتكتفى بروّادها ، تاركةً المجتمعات الغربية حولهم للإعلام يبيّئ فيهم الدعاية السلبية عن الإسلام والمسلمين .

**رابع عشر** - يوصى الباحث بالاستفادة من التجربة فى الحوار بين الأديان ، ذلك الحوار الذى ينبثق من موقف القوة والعزة وليس من موقف التّبعية ، فالحوار بين ممثلى الأديان ينبغى ان تسوده روحٌ إيجابيةٌ فعّالة ، تنطلق من أن نلتقى مع أهل الكتاب حول كلمة سواء

## ثبت المصادر والمراجع

### أولا : الكتب

أ - القرآن الكريم

ب - كتب السنة النبوية المطهّرة

١- الجامع المسند الصحيح ، للإمام محمد بن إسماعيل البخارى ، تحقيق محمد

زهير بن ناصر ، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة ، ١٤٢٢هـ

٢- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى ، تحقيق محمد فؤاد عبد

الباقي ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت

٣- سنن الإمام أبى داود ، للإمام أبى داود السجستاني ، تحقيق شعيب

الأرنؤوط ، ومحمد كامل قره بللى ، الطبعة الأولى ، المكتبة دار الرسالة

العالمية ، ٢٠٠٩م

٤- سنن الإمام الترمذى ، للإمام محمد بن عيسى الترمذى ، تحقيق / أحمد محمد

شاکر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، وإبراهيم عطوة عوض ، مكتبة الحلبي ،

الطبعة الثانية ، ١٩٧٥م

٥- سنن الإمام ابن ماجة ، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى ، تحقيق شعيب

الأرنؤوط ، عادل مرشد ، محمد كامل قره بللى ، عبد اللطيف حرز الله ،

الطبعة الأولى ، دار الرسالة العالمية ، ٢٠٠٩م

٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وعادل مرشد وآخرون

، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م

٧- المستدرك على الصحيحين ، للإمام أبى عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله

النيسابورى ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب

العلمية ، بيروت ١٩٩٠م

٨- المعجم الكبير ، للإمام أبى القاسم الطبرانى ، تحقيق حمدى عبد المحسن ،

الطبعة الثانية ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ١٩٩٤م

٩- الزهد الكبير ، الإمام أبو بكر البيهقى ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، مؤسسة

الكتب الثقافية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٩٦م

- ١٠- شُعب الإيمان ، للإمام البيهقي ، تحقيق : د. عبد العلي عبد الحميد حامد ، الطبعة الأولى ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض ٢٠٠٣م
- ١١- معجم الشيوخ للإمام ابن عساكر ، تحقيق د. وفاء تقي الدين ، دار البشائر ، دمشق ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م
- ١٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للإمام أبو نعيم الأصبهاني ، الطبعة الأولى بدون تحقيق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٩م
- ١٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، دار المعارف ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م

### ج - كتب التفسير

- ١- تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ ابن كثير ، تحقيق د. كمال علي على الجمل ، ط ١ ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ١٩٩٨ م

### ب - مؤلفات الأستاذ فتح الله كولن

- ١- أسئلة العصر المحيرة ، فتح الله كولن ، الطبعة الرابعة ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٢م
- ٢- أضواء قرآنية في سماء الوجدان ، فتح الله كولن ، الطبعة السادسة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٣م
- ٣- الاستقامة في العمل والدعوة ، فتح الله كولن ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٥ م
- ٤- النُّلال الرُّمُديّة نحو حياة القلب والرُّوح ، فتح الله كولن ، الجزء الأول ، الطبعة الخامسة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٢ م
- ٥- النور الخالد محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مفخرة الإنسانية ، فتح الله كولن ، الطبعة السابعة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٢ م
- ٦- القدر في ضوء الكتاب والسنة ، فتح الله كولن ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٢ م
- ٧- الموشور ، فتح الله كولن ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٥ م



- ٨- الموازين أو أضواء على الطريق ، فتح الله كولن ، الطبعة السابعة ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٢ م
- ٩- الرد على شبهات العصر ، من سلسلة أسئلة العصر المحيرة ، فتح الله كولن ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة .، ٢٠١٥ م
- ١٠- ترانيم روح وأشجان قلب ، فتح الله كولن ، الطبعة الخامسة ، دار النيل ، ٢٠١٠ م
- ١١- جيلنا وإشكالياته العصرية ، فتح الله كولن ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٦ م
- ١٢- حقيقة الخلق ونظرية التطور ، فتح الله كولن ، الطبعة الخامسة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١١ م
- ١٣- روح الجهاد وحقيقته فى الإسلام ، فتح الله كولن ، الطبعة السادسة ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٢ م
- ١٤- شدُّ الرِّحالِ إلى غابَةِ سامية ، فتح الله كولن ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، ٢٠١٤ م
- ١٥- طرق الإرشاد فى الفكر والحياة ، فتح الله كولن ، الطبعة السابعة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٤ م
- ١٦- من البذرة إلى الثمرة ( تربية الأبناء وبناء شخصية متكاملة ) ، فتح الله كولن ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٥ م
- ١٧- نحو عقيدة صحيحة ، من سلسلة أسئلة العصر المحيرة ، فتح الله كولن ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة .، ٢٠١٥ م
- ١٨- عقبات فى سبيل الحق ، فتح الله كولن ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٦ م
- ١٩- كلماتٌ شاهدةٌ حول الدين والمجتمع والدولة بأفق إنسانى، حوارات مع فتح الله كولن ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٤ م
- ٢٠- نفخة البعث : شواهد الحياة بعد الموت ، فتح الله كولن ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٦ م

- ٢١- ونحن نبني حضارتنا ، فتح الله كولن ، الطبعة الثالثة ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٣ م
- ٢٢- ونحن نقيم صرح الروح ، فتح الله كولن ، الطبعة السادسة ، دار النيل ، ٢٠١٢ م

### ج - دراسات عن الأستاذ فتح الله كولن وحركة الخدمة

- أرباب المستوى : حضور معرفى فى فكر الأستاذ فتح الله كولن ، د. محمد باباعمى ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٣ م
- أشواق النهضة والانبعثات : قراءات فى مشروع الأستاذ فتح الله كولن ، د. محمد جكيب ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٣ م
- إلى جبل قاف : قصص واقعية ، أديب إبراهيم الدبّاغ ، نور الدين صوّاش ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١١ م
- " الخدمة" ، د. محمد شاتين ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١١ م  
Muhammed ÇETİN, Hizmet
- الانبعثات الحضارى فى فكر فتح الله كولن ، د. سليمان عشراتي، ط ١ دار النيل، القاهرة ٢٠١٢ م
- البراديم كولن : فتح الله كولن ومشروع الخدمة على ضوء نموذج الرشد ، د. محمد باباعمى ، الطبعة الأولى ، دار النيل، القاهرة ٢٠١١ م
- الضاربون فى الأرض ، أديب إبراهيم الدبّاغ ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٢ م
- الزمن والوقت : نصوص ومفاهيم مؤسسة على الرؤية الكونية لفكر الأستاذ فتح الله كولن ، د. محمد باباعمى الطبعة الأولى ، دار النيل ، ٢٠١٣ م
- السلام والتسامح فى فكر فتح الله كولن ، د سارى توبراك ، ط ١ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٤ م
- العروج الحضارى بين مالك بن نبي وفتح الله كولن ، د. فؤاد البنا ، ط ١ ، كتاب الأمة ، الدوحة ٢٠١٢ م

- تقارب الشعوب، دعوة المفكر الإسلامى محمد فتح الله كولن نموذجا ، د. هدى درويش ، ط ١ ، دار السلام ، ٢٠١٠م
- حركة فتح الله كولن ، تحليل سوسيولوجى لحركة مدنية متجذرة فى الاسلام المعتدل ، هيلين روز أيبو ، ترجمة عبد الرحمن أبو ذكرى ، الطبعة الأولى ، تنوير للنشر والاعلام ، القاهرة ٢٠١٥م
- حركة كولن : خدمة مدنية بلا حدود، د. محمد شاتين ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٠م The gulen movement :civic service whthout borders
- ذى قربتى ، د. محمد با باعمى ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، ٢٠١٣م
- رجالٌ ولا كَأىُّ رجال ، د. فريد الأنصارى، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٣ م
- عبقريه فتح الله كولن بين قوارب الحكمة وشواطئ الخدمة ، فؤاد البنا ، ط١ دار النيل ،القاهرة ٢٠١٢م
- عودة الفرسان : سيرة محمد فتح الله كولن ، د. فريد الأنصارى ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، بالقاهرة ، ٢٠١٠م
- محاورات حضارية، حوارات نصية بين فتح الله كولن وفلاسفة الفكر الإنساني، د. جيل كارول ، الطبعة الأولى ، دار النيل، القاهرة ، ٢٠١١م
- مستقبل الإصلاح فى العالم الإسلامى ، خبرات مقارنة مع حركة فتح الله كولن التركية ( مؤتمر دولى نظمته جامعة الدول العربية ، بالقاهرة ٢٠٠٩م ) الطبعة الأولى ، دار النيل ، بالقاهرة
- فتح الله كولن قصة حياة ومسيرة فكر ، أرطغول حكمة ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٣م
- فتح الله كولن : جذوره الفكرية واستشراقاته الحضارية ، محمد أنس أركنة ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٠م
- فتح الله كولن : الرؤية والتأثير ( تجربة فاعلة فى المجتمع المدنى ) الطبعة الأولى ، دار النيل .القاهرة ، ٢٠١٥م
- فتح الله كولن رائد النهضة الراشدة فى تركيا المعاصرة ، د. عبد الحليم عويس ، الطبعة الأولى ، دار النيل .القاهرة ، ٢٠١٣ م

- فتح الله كولن الرؤية والتأثير : تجربة فاعلة فى المجتمع المدنى ، مايمول  
أحسن خان ، ط ١ ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٥ م
- فتح الله كولن ، ومقومات مشروعه الحضارى ، على أونال ، الطبعة  
الأولى ، دار النيل ، القاهرة ، ٢٠١٦ م
- هندسة الحضارة ، د. سليمان عشراى، الطبعة الأولى ، دار النيل ،  
القاهرة ٢٠١٢ م
- نحو تنوير إسلامى : حركة فتح الله كولن ، حاقان يافوز ، منتدى  
العلاقات العربية والدولية ، الطبعة الأولى ، الدوحة ، ٢٠١٥ م

#### د -المراجع الأخرى

- ١-أبعاد غائبة عن فكر وممارسات الحركات الإسلامية المعاصرة ، د. طه جابر  
العلوانى، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ط٣، دار السلام ٢٠٠٧م
- ٢-ابن حزم وجهوده فى البحث التاريخى والحضارى ، د. عبد الحليم عويس  
الطبعة الأولى ، دار الصحوة ، القاهرة، ٢٠١٠م
- ٣-إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالى ، دار الغد العربى ، المنصورة ٢٠١١م
- ٤-الإسلام بين الشرق والغرب ، على عزت بيغوفتش ، ط٦، دار الشروق ٢٠١٥م
- ٥-الإنسان فى القرآن ، عباس محمود العقاد ، ط٢ ، دار الإسلام ، القاهرة ،  
١٩٧٣م
- ٦-الإنسان كلاً وعدلاً ، جودت سعيد ، ط٣ ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ،  
١٩٨٤م
- ٧-البيان الدعوى وظاهرة التضخم السياسى(نحو بيان قرآنى للدعوة الإسلامية)، د.  
فريد الانصارى ، نسخة إلكترونية ٢٠٠٣م
- ٨-الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، د. محمد على الصلابى ،  
الطبعة الأولى ، دار التوزيع والنشر ، ٢٠٠١م
- ٩-إسلام بلا مذاهب ، د. مصطفى الشكعة ، الدار المصرية اللبنانية

- ١٠- أهداف التربية الإسلامية فى إخراج الفرد والأمة وتنمية الاخوة الإنسانية ، ماجد عرسان الكيلانى ، ط٢ ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٩٩٧م
- ١١- أدب الاختلاف ، د. طه العلوانى ، ط١ ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٩٩١م
- ١٢- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الإمام الشوكانى ، دار المعرفة ، بيروت
- ١٣- البوصلة القرآنية : د. احمد خيرى العمرى ط٣ ، دار الفكر، دمشق ٢٠١٠م
- ١٤- الجوشن الكبير ، مجموعة أدعية ، دار سوزلر ، اسطنبول ، ٢٠١٢ م
- ١٥- الحكم العطائية ، لابن عطاء الله السكندرى ، الطبعة الثانية ، دار السلام ، القاهرة ، ٢٠٠٨م .
- ١٦- الحركات الإسلامية فى تركيا المعاصرة : د. طارق عبد الجليل ، جواد الشرق للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، القاهرة ٢٠٠١م
- ١٧- الخالدون مائة ، د. مايكل هارت ، ترجمة أنيس منصور ، المكتب المصرى الحديث
- ١٨- القاموس المحيط للفيروز آبادى ، مؤسسة الرسالة ، ط٣، بيروت ٢٠١٢م
- ١٩- المحاور الخمسة للقرآن الكريم ، محمد الغزالى ، صد١٤٣ ، ط٤ ، دار الشروق ٢٠٠٤م
- ٢٠- المعجم الفلسفى ، د. مصطفى حسيبه ، ط١ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، ٢٠٠٩م
- ٢١- الموافقات ، الإمام الشاطبى ، الطبعة الثانية ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٧٥م
- ٢٢- العواصم من القواصم ، أبو بكر ابن العربى ، تحقيق محب الدين الخطيب ، الطبعة السادسة ، مكتبة السنة بالقاهرة ، ١٤١٢هـ
- ٢٣- الدولة العباسية ، الشيخ محمد الخضرى، ط١ دار القلم ،بيروت ١٩٨٦م
- ٢٤- الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ،الجزء الثالث ، ط٣ دار الجيل ، بيروت ١٩٩٦م

- ٢٥- أوراق تركية حول الثقافة والحضارة ، الصفصافي أحمد المرسي ، جواد الشرق للنشر، القاهرة، ٢٠٠٢م
- ٢٦- الملل والنحل للشهرستاني ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٢م
- ٢٧- الفرق بين الفرق للبغدادي ، مكتبة دار التراث ، ط ١ القاهرة ٢٠٠٧م
- ٢٨- المنهج الإصلاحى للإمام محمد عبده ، د. محمد عمارة ، ط ١ ، مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٥م
- ٢٩- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الطبعة الرابعة ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ٢٠٠٤م
- ٣٠- الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا حاضرها ومستقبلها ، د.أحمد نورى النعيمى ، ط ١ ، دار البشير، الأردن
- ٣١- الشعاعات ، لبديع الزمان النورسى ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، ط ٦ ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ٢٠١١م
- ٣٢- الملاحق ، كلييات رسائل النور ، ط ٦ دار سوزلر للنشر ، القاهرة ٢٠١١م
- ٣٣- المثنوى العربى النورى ، الامام النورسى ، ط ٦ ، دار سوزلر ، القاهرة ٢٠١١م
- ٣٤- المكتوبات ، الامام النورسى، ط ٦ دار سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠١١م
- ٣٥- الكلمات ، بديع الزمان النورسى، ط ٦ دار سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠١١م
- ٣٦- الشعاعات ، بديع الزمان النورسى، ط ٦ دار سوزلر للنشر، القاهرة ٢٠١١م
- ٣٧- السيرة الذاتية ، الامام النورسى ، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، مكتبة سوزلر ، القاهرة ٢٠١١م
- ٣٨- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، تحقيق د. محمد عمارة ، ج ١ ، دار الشروق ، القاهرة (طبعة خاصة بمكتبة الأسرة )
- ٣٩- أركان ودوره فى السياسة التركية ، منال الصالح ، الطبعة الأولى ، الدار العربية للعلوم ، ٢٠١٢م
- ٤٠- إشرافات قلب ولمعات فكر : النورسى أدبيا ، أديب إبراهيم الدباغ ، دار النيل القاهرة ٢٠١١م

- ٤١- إجماع العوام عن علم الكلام ، الإمام الغزالي ، مطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٣ م .
- ٤٢- إصلاح الفكر الإسلامى بين القدرات والعقبات ، د. طه جابر العلوانى ، سلسلة إسلامية المعرفة ، ط ١ ، الدارالعالمية للكتاب الإسلامى ، الرياض ١٩٩٤ م .
- ٤٣- المنقذ من الضلال ، أبو حامد الغزالي ، تحقيق د. عبد الحليم محمود ط ٣ ، مكتبة الأنجلوالمصرية ، ١٩٦٢ م
- ٤٤- المعجم الفلسفى ، د، مصطفى حسيبة ، ط ١ ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ٢٠٠٩ م
- ٤٥- الطريق من هنا ، محمد الغزالي ، الطبعة الأولى ، دار البشير ، القاهرة ، ١٩٨٧ م
- ٤٦- النورسي رجل القدر فى حياة أمة ، أورخان محمد علي ، ط ١ ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١١ م
- ٤٧- اللمعات ، بديع الزمان النورسى، ترجمة إحسان قاسم الصالحى ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة ٢٠١١ م
- ٤٨- الوعى بالتاريخ وصناعة التاريخ ، د.محمد عمارة ، ط ١ ، دار الرشاد ، القاهرة ، ١٩٩٧ م
- ٤٩- الفتح الربانى والفيض الرحمانى ، للشيخ عبد القادر الجيلانى ، ط ١ ، منشورات الجمل ، بغداد ٢٠٠٧ م
- ٥٠- النبأ العظيم ، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم ، الكويت ، ٢٠٠٨ م
- ٥١- الوطن والمواطنة فى ضوء النصوص العقديّة والمقاصد الشريعية ، د. يوسف القرضاوى ، ط ١ دار الشروق ، القاهرة ٢٠١٠ م
- ٥٢- إيقاظ الهمم بشرح الحكم : للشيخ ابن عجيبة الشاذلى ، الطبعة الأولى ، المكتبة التوفيقية .
- ٥٣- بديع الزمان النورسى : نظرة عامة عن حياته وآثاره ، إحسان قاسم الصالحى ، ط ١ ، دار سوزلر للنشر ، استانبول، ١٩٨٧ م
- ٥٤- جدد حياتك ، محمد الغزالي ، ط ٩ ، نهضة مصر ٢٠٠٥ م

- ٥٥- جند الله تخطيطاً ، سعيد حوى ، سلسلة دراسات منهجية ، ط ٢ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٩٥م
- ٥٦- حصاد قلم ، د. محمد عبد الله دراز ، ط ١ ، دار القلم للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٤م
- ٥٧- حتى يغيروا ما بأنفسهم ، جودت سعيد ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ١٩٨٩م
- ٥٨- حياة الصحابة ، لمحمد يوسف الكاندهلوى ، ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٩م
- ٥٩- تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، محمد أبوزهرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة
- ٦٠- تاريخ الدولة العثمانية ، المؤلف : يلماز أوزتونا ، ترجمة عدنان محمود سليمان ، ط ١ ، مؤسسة فيصل للتمويل ، استانبول . ١٩٨٨م
- ٦١- تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين ، د. على الصلابى ، ط ١ ، مكتبة الصحابة ، الإمارات ٢٠٠١م
- ٦٢- تجديد علوم الدين ، وحيد الدين خان ، ترجمه ظفر الإسلام خان ، الطبعة الأولى ، دار الصحوة ، القاهرة
- ٦٣- تجديد الخطاب الدينى بين التأصيل والتحريف ، محمد بن شاكر الشريف ، الطبعة الأولى ، كتاب مجلة البيان ، الرياض ٢٠٠٤م
- ٦٤- تهذيب مدارج السالكين ، للإمام ابن القيم ، تحقيق وتهذيب : عبد المنعم صالح العزى الطبعة الأولى ، دار التوزيع والنشر ٢٠٠١م
- ٦٥- تذكرة الدعاة ، البهى الخولى ، دارالتراث ، القاهرة ١٩٨٨م
- ٦٦- تيارات الفكر الإسلامى ، د. محمد عمارة ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ٢٠٠٨م
- ٦٧- دولة الإسلام فى الأندلس ، د. محمد عبد الله عنانى ، ط ٤ ، مكتبة الخانجي ، ١٩٩٧م
- ٦٨- رجال الفكر والدعوة فى الإسلام ، أبو الحسن الندوى ، الجزء الأول ، ط ٣ ، دارابن كثير ، بيروت ، ٢٠٠٧م



- ٦٩- روائع إقبال : أبو الحسن الندوي، الطبعة الأولى ، دار وحى القلم ، بيروت  
٢٠١٤ م
- ٧٠- زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، أحمد أمين ، دار الكتاب العربى ،  
بيروت
- ٧١- زاد المعاد فى هدى خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، ط١ ، المكتبة القيّمة  
، القاهرة ، ١٩٨٩م
- ٧٢- شروط النهضة ، مالك بن نبي ، ترجمة د. عبد الصبور شاهين ، ط١ ،  
دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٦م
- ٧٣- شرح صحيح مسلم ، الإمام يحيى بن شرف النووى ، تحقيق ، وهبة  
الزحيلي ، دار السلام ، ١٩٩٦م
- ٧٤- صيد الخاطر لابن الجوزى ، بتحقيق محمد الغزالي ، الطبعة الأولى ،  
نهضة مصر ، ٢٠١٠م
- ٧٥- طبقات الشافعية الكبرى، الجزء السادس ، ط٢ ، دار هجر للطباعة  
، القاهرة ، ١٩٩٢م.
- ٧٦- عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده ، للأستاذ : عباس محمود  
العقّاد ، ط١ ، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة ، القاهرة ٢٠١٢م
- ٧٧- علو الهمة ، محمد إسماعيل المقدم ، دار بن الجوزى ، الطبعة الأولى  
القاهرة
- ٧٨- علماء علّموا العالم ، د. هانى حسن ، ط١ ، دار الأمل للنشر والتوزيع ،  
القاهرة ، ١٩٩٧م
- ٧٩- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ، الإمام الغزالي ، تحقيق :محمود بيجو  
، مطبعة الصباح ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٣.
- ٨٠- فنُّ الذكر والدعاء عند خاتم الانبياء ، محمد الغزالي ، ط٢ ، دار الشروق  
، القاهرة ٢٠٠١م
- ٨١- قواعد العشق الأربعون ، رواية : إليف شافاق ، ترجمة خالد الجبيلي ،  
مكتبة طوى ، بيروت ٢٠١٢م
- ٨٢- كيمياء الصلاة، ج٢، ملكوت الواقع، احمد خيرى العمرى ، الطبعة الأولى  
، دار الفكر ، دمشق ٢٠٠٨ م

- ٨٣- لسان العرب لابن منظور ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٣ م
- ٨٤- لماذا تأخر المسلمون وتقدّم غيرهم ، شكيب أرسلان ، الدار الشامية للطباعة والنشر ، ١٩٩٨م
- ٨٥- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين ، أبو الحسن الأشعري ، الجزء الأول ، ط١ المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٩٠م
- ٨٦- مؤلفات الغزالي ، د. عبد الرحمن بدوى ، دار القلم ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م .
- ٨٧- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، د. عبد الوهاب المسيرى، الطبعة السادسة ، دار الشروق . القاهرة ٢٠٠٦م
- ٨٨- موسوعة الحروب الصليبية ، د. محمد على الصلابى ، الجزء الأول ، دار ابن كثير . ط١ بيروت ٢٠١٢م
- ٨٩- مولانا جلال الدين الرومى ، أ.د.جيهان أوقويجو، ط١ ، دار النيل ٢٠١٤م
- ٩٠- مثنوى مولانا جلال الدين الرومى ، ستة اجزاء ، ترجمة وشرح د. إبراهيم الدسوقي شتا ، المركز القومى للترجمة ، ط٤ ، ٢٠١٥ م
- ٩١- مشكلة الثقافة ، مالك بن نبي ، ترجمة د.عبد الصبور شاهين ، ط٤ ، دار الفكر ، بيروت ٢٠٠٠م
- ٩٢- مراجعات فى الفكر والدعوة والحركة : عمر عبيد حسنة ، المعهد العالمى للفكر الإسلامى ، ١٩٩٠ م
- ٩٣- مع الله ، دراسات فى الدعوة والدعاة ، محمد الغزالي ط٨ ، مكتبة نهضة مصر، ٢٠٠٧م
- ٩٤- من الصحوة إلى اليقظة ، د. جاسم سلطان ، مؤسسة أم القرى ، ط٤ ، المنصورة ٢٠١٠ م
- ٩٥- نظرية النسبية ، ألبرت أينشتين ، ترجمة د. رمسيس شحاته ، ط١ ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، عام ٢٠٠٠م
- ٩٦- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس ، د. ماجد عرسان الكيلانى ، ط١ ، دار القلم ، دبي ٢٠٠٩ م

٩٧- هموم داعية ، محمد الغزالي ، ط ١ ، دار البشير ، القاهرة ، ١٩٨٧ م

### ثانيا : الرسائل العلمية

١- التجديد فى الفكر الدينى المعاصر "نموذج دعوة فتح الله كولن" ، ابوزيد عبد الرحيم : رسالة ماجستير . معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق ، نسخة الكترونية ٢٠٠٨م

٢- الخطاب الإسلامى بين مقتضيات العصر و مشروع الحداثة :نموذج : تجربة فتح الله كولن، هشام الرّس - جامعة عبد المالك السعدي، رسالة ماجستير، ٢٠١٠م، المغرب.

٣- " تنمية بعض القيم التربوية لتلاميذ الحلقة الأولى من التعليم الأساسى فى مصر فى ضوء خبرة اليابان" ، رسالة دكتوراه مقدمة من الباحث محمد رأفت الجارحي، كلية التربية - جامعة الزقازيق ٢٠٠٧م

٤- سنن القرآن فى قيام الحضارات وسقوطها ، د.محمد هيشور، الرسائل الجامعية ، ط ١ ،المعهد العالمى للفكر الاسلامى ، ١٩٩٦م

٥- معوقات النهضة وطرق علاجها فى فكر مالك بن نبي ، رسالة ماجستير ، محمد العاطف ، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة الجزائر ٢٠٠٧/٢٠٠٨

### ثالثا : دواوين الشعر

١- ألوان وظلال ، شعر : فتح الله كولن ، ترجمة : أديب إبراهيم الدباغ ، الطبعة الأولى ، دار النيل ، القاهرة ٢٠١٣م

٢- ديوان حافظ إبراهيم ، الجزء الأول ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٢ م

٣- ديوان المتنبي ، الطبعة الثالثة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٣م

٤- ديوان الإمام الشعراوى ، الطبعة الأولى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٩ م

٥- ديوان "الحياة الاولى " للشيوخ محمد الغزالي ، تحقيق د. مصطفى الشكعة ، دار الشروق ، القاهرة، ١٩٩٨ م

- ٦- ديوان محمد إقبال ، الجزء الأول ، والثاني ، ترجمة د. عبد الوهاب عزام ، والشيخ الصاوي شعلان
- ٧- ديوان ألوان الطيف ، عمر بهاء الدين الأميري ، دار البيان ، دمشق ٢٠٠٨ م
- ٨- مختارات ، ل: مصطفى لطفى المنفلوطي ، مكتبة مصر ، القاهرة ١٩٩٤ م

#### رابعاً : المجلات والدوريات

- ١- مجلة حراء ، العدد : ٤ - السنة الثانية ، ٢٠٠٦ م
- ٢- مجلة حراء ، العدد ١٤ ، السنة الرابعة ، ٢٠٠٨ م
- ٣- مجلة حراء ، العدد ١٧ ، السنة الخامسة ، ٢٠٠٩ م
- ٤- مجلة حراء ، العدد ٢٤ ، السنة السادسة ، ٢٠١١ م
- ٥- مجلة حراء ، العدد ١٦ ، السنة التاسعة ، ٢٠١٤ م
- ٦- مجلة حراء ، العدد ٤٤ ، السنة التاسعة ، ٢٠١٤ م
- ٧- مجلة حراء ، العدد ٤٦ ، السنة العاشرة ، ٢٠١٥ م
- ٨- ملحق مجلة التبيان ، الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية ، رجب ١٤٢٩ هـ
- ٩- مجلة التبيان ، العدد ٢٨٠ ، ذو الحجة ١٤٣١ هـ
- ١٠- مجلة الأزهر ، ١٤١٤ هـ
- ١١- مجلة نسيمات ، دراسات حول مشروع الخدمة ، العدد الأول ، ٢٠١٦ م

#### خامساً : مواقع إلكترونية

- ١- موقع ويكيبيديا ( الموسوعة الحرة ) [www.wikipedia.org](http://www.wikipedia.org)
- ٢- الموقع الرسمي للأستاذ فتح الله كولن [www.fgulen.com](http://www.fgulen.com)
- ٣- صفحة مجلة حراء على اليوتيوب [www.youtube.com](http://www.youtube.com)
- ٤- الموقع الرسمي لـ " تحالف القيم المشتركة " The Alliance for Shared Values
- ٥- موقع "حركة كولن" باللغة الإنجليزية [www.Gulen movement. Us](http://www.Gulen movement. Us)

٦- الموقع الرسمي لوقف الكُتاب والصحفيين : [www.Journalistandwriters Foundation.com](http://www.JournalistandwritersFoundation.com)

٧- الموقع الرسمي لجريدة زمان بالعربية [www.zamanarabic.com](http://www.zamanarabic.com)

٨- موقع الملف التركي

### سادساً : مقابلات ولقاءات

١- محاضرة ل : د. إبراهيم بيومي غانم ، الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، عن حركة فتح الله كولن ، القاهرة ٢٠٠٨م ، بمقر مدرسة صلاح الدين ، التجمع الخامس

٢- لقاء للباحث مع احد أبناء الخدمة بالقاهرة ، (أ. عثمان أقجا )، فبراير ٢٠١٤م

٣- لقاء الباحث مع أسنان ، وأ. عثمان أقجا ، من تلاميذ الأستاذ فتح الله كولن بمركز الخدمات التعليمية ، بالقاهرة ، مدينة نصر ، أغسطس ٢٠١٤م

٤- لقاء الباحث مع أ. يوسف الدمرداش ، أحد تلاميذ الأستاذ فتح الله كولن ، بالقاهرة ، فبراير ٢٠١٥م

٥- لقاء الباحث مع إدارة وهيئة التدريس بمدرسة صلاح الدين ، بالقاهرة ، مارس ٢٠١٥م

٦- لقاء آخر للباحث مع أ. يوسف الدمرداش ، بمقر دار الترجمة والنشر ، بالتجمع الخامس ، في مارس ٢٠١٥م

٧- لقاء الباحث ، مع د. نوزاد صوّاش ، المشرف العام على مجلة حراء ، وقد كان لقائي معه في مقر مجلة حراء بالقاهرة ، ٦/١٠/٢٠١٦م

## سابعا : حوارات مقروءة ومتلفزة

- ١- حوار أجراه الصحفي الإيطالي (Ansaldo Marco) مع الأستاذ فتح الله كولن، نشر في الجريدة الإيطالية (La Repubblica) الجمهورية، في تاريخ ٢٨ مارس ٢٠١٤م
- ٢- مقال في صحيفة " لوموند Le Monde " الفرنسية ، بتاريخ ١١ / ٨ / ٢٠١٦ م ، وأعيد نشره في جريدة زمان التركية .
- ٣- حوار مع قناة بي بي سي BBC الفضائية ، أجرى الحوار تيم فرانكس ، وتونى يلديز ، في ٢٧ / ١ / ٢٠١٤ م ، وتم نشره في جريدة زمان التركية ، وفي موقع الملف التركي الناطق باللغة العربية .
- ٤- حوار مع جريدة الشرق الأوسط ٢٤ - ٢٤ مارس ٢٠١٤م
- ٥- حوار مع جريدة زمان ، في ستة أجزاء ، حاوره رئيس التحرير أكلام دوامانلى ( ١٧ - ٢١ ) مارس ٢٠١٤ ، وتم إعادة نشره في موقع الملف التركي .
- ٦- حوار مع جريدة " وول ستريت جورنال " wall street jornal الأمريكية في ١٢ يناير ٢٠١٤م
- ٧- حوار مع جريدة حوار مع جريدة "سود دويتشه زايونج" الألمانية Süddeutsche Zeitung ( ١٤ ديسمبر ٢٠١٤ م )
- ٨- مقابلة الأستاذ فتح الله كولن مع مذيع CCN الأمريكيه ، ٣٠ يوليو ٢٠١٦ م
- ٩- لقاء متلفز مع قناة الغد المصرية في ٣ أغسطس ٢٠١٦ م
- ١٠- مقال فتح الله كولن في جريدة " لوموند " الفرنسية ١١ أغسطس ٢٠١٦ م
- ١١- مقال فتح الله كولن في جريدة " نيويورك تايمز " الأمريكية ٢٦ يوليو ٢٠١٦م

## فهرس الموضوعات

الموضوع	-----	الصفحة
المقدمة	-----	٢٥ - ١

### الفصل الأول

#### الشيخ محمد فتح الله كولن (الشخص والفكرة )

المبحث الأول : شخصية فتح الله كولن	-----	٢٦
المطلب الأول : ميلاده ونشأته	-----	٢٨
المطلب الثاني : المحاضن التربوية المؤثرة فى شخصيته	-----	٣١
المطلب الثالث : حياته فى مراحل	-----	٣٩
المرحلة الأولى : طالب علم وإرهاصات داعية	-----	٤٤
المرحلة الثانية : المجاهدات الروحية	-----	٤٩
المرحلة الثالثة : فتح الله الداعية	-----	٥٧
المرحلة الرابعة : فترة الخدمة العسكرية	-----	٦٠
المرحلة الخامسة : إلى إزمير ... فتح الفتوح	-----	٦٦
المرحلة السادسة : الحوار مع مختلف الفئات .. والانفتاح نحو العالم	-----	٧٩

#### المبحث الثانى : (كولن) من خلال مؤلفاته ونتاجه الفكرى

المطلب الأول : (كولن) من خلال مؤلفاته	-----	٨٦
أولاً : الكتب المترجمة إلى اللغة العربية	-----	٨٦
ثانياً : الكتب غير المترجمة إلى اللغة العربية	-----	٨٩
المطلب الثانى : ( كولن ) شاعرا وأديبا		
أولاً : ( كولن ) أديبا	-----	٩١
ثانياً : (كولن) شاعرا	-----	٩٩
المطلب الثالث : المقدرة الخطابية لدى فتح الله كولن	-----	١٠٣

## الفصل الثانى

إشكالية النهضة من خلال تجارب الإصلاح والتجديد فى العالم الإسلامى

فى ضوء تجربة فتح الله كولن

المبحث الأول : مشاريع الإصلاح والتجديد فى العالم الإسلامى ----- ١٠٤

مفهوم الإصلاح والتجديد ----- ١٠٥

المطلب الأول : نظرة تاريخية ----- ١٠٩

المطلب الثانى : مدرسة الإمام الغزالى الإحيائية ----- ١١٩

منهج الإمام الغزالى فى الإصلاح والتجديد ----- ١٢٥

المطلب الثانى : حركة التجديد والإصلاح فى العصر الحديث ----- ١٢٩

أولا : مدرسة الشيخ محمد عبده ودورها فى التجديد و الإصلاح ----- ١٣٠

ج) أهم معالم مدرسة محمد عبده الإصلاحية والتجديدية ----- ١٣٤

ثانيا : مدرسة الإصلاح الدينى فى تركيا ( تجربة بديع الزمان النورسى) ----- ١٣٨

ج) ثانياً منهج " النورسى " فى الإصلاح ----- ١٤٨

المبحث الثانى

تجربة الأستاذ فتح الله كولن فى ضوء تجارب التجديد والإصلاح ----- ١٥٦

المطلب الأول: العوامل المشتركة بين هذه المدارس وتجربة فتح الله كولن الدعوية ١٥٩

المطلب الثانى: هل يمكن اعتبار تجربة الشيخ فتح الله كولن مدرسة تجديدية ؟ -- ١٦٣

## الفصل الثالث

مرتكزات نهضة المجتمع والأمة فى تجربة فتح الله كولن الدعوية

المبحث الأول : القرآن الكريم فى عمق الرؤية ----- ١٧١

المبحث الثانى : ثقافتنا الذاتية ----- ١٧٨

المبحث الثالث : الوعى بالتاريخ ودوره فى إحداث النهضة ----- ١٨٥

المبحث الرابع : الدعوة والإرشاد والتبليغ فى تجربة فتح الله كولن --- ١٩٤

المطلب الأول : مكانة "الإرشاد والتبليغ" فى تجربة فتح الله كولن ----- ١٩٥

المطلب الثانى :أصول وقواعد الإرشاد والتبليغ فى تجربة فتح الله كولن -- ٢٠٢



المطلب الثالث : صفات الداعية "المبئع" كما يراها فتح الله كولن ----- ٢١٢

#### المبحث الخامس

الحقائق الصوفية فى تجربة فتح الله كولن الدعوية ----- ٢١٨

المطلب الأول : حقيقة التصوف والصوفى عند "فتح الله كولن " ----- ٢١٩

المطلب الثانى : فتح الله كولن صدى "جلال الدين الرومى" ----- ٢٢٤

#### المبحث السادس

روحُ الجهاد وخدمةُ الخلق :طريقُ الجهاد عند فتح الله كُولن ----- ٢٣٠

المطلب الأول :مفهوم " الجهاد" عند فتح الله كولن ----- ٢٣١

المطلب الثانى : طريق الجهاد من خلال العمل الدعوى وخدمة الخلق ----- ٢٣٧

### الفصل الرابع

#### عوامل النهضة الإسلامية فى تجربة فتح الله كولن الدعوية

المبحث الأول: الاهتمام ببناء الإنسان ----- ٢٤٤

المطلب الأول : من الوجدان إلى إعادة تشكيل العالم ----- ٢٤٥

المطلب الثانى : ورثة الأرض ----- ٢٥٢

المبحث الثانى: المزوجة بين الفكر والحركية ----- ٢٦٠

المطلب الأول : الفكر والحركية عند الأستاذ كولن ----- ٢٦١

المطلب الثانى : المراحل السبعة لتحويل المعرفة إلى سلوك فى "البراديم كولن " -- ٢٦٥

المطلب الثالث : سورة الكهف نموذج المزوجة بين الفكر والحركة عند كولن --- ٢٧٠

#### المبحث الثالث

التركيز نحو الهدف السامى : إحياء الأمة ----- ٢٧٤

المطلب الأول : حاجة الإنسانية والأمة إلى الإسلام ----- ٢٧٥

المطلب الثانى : بين تحديد الهدف ... وتقديم النموذج----- ٢٧٩

المطلب الثالث : تضافر الجهود ... أوالهلاك ----- ٢٨٢

المطلب الرابع : إحياء الأمة .. بين الأهداف والوسائل ----- ٢٨٦

## المبحث الرابع

- صياغة فقه الائتلاف ----- ٢٨٩
- المطلب الأول : أسس فقه الائتلاف ----- ٢٩٠
- المطلب الثانى : وسائل تجسيد فقه الائتلاف ----- ٣٠٥

## الفصل الخامس

### تجربة فتح الله كولين الدعوية بين النظرية والتطبيق

- (حركة الخدمة) ----- ٣١٥
- المبحث الأول : حركة الخدمة . . المفهوم والتصنيف ----- ٣١٦
- المطلب الأول : مفهوم حركة الخدمة ----- ٣١٧
- المطلب الثانى : مراحل التكوين والنشأة ----- ٣٢٧
- المبحث الثانى : السمات العملية لحركة الخدمة ----- ٣٣٦
- المطلب الأول : التخطيط ----- ٣٣٧
- المطلب الثانى : التشارك والمؤسسية ----- ٣٤١
- المطلب الثالث : عدم التحزب السياسى ----- ٣٤٨
- المطلب الرابع : الهجرة من أجل الخدمة ----- ٣٥٦
- المطلب الخامس : التفانى فى الخدمة ونكران الذات ----- ٣٦٠

### المبحث الثالث

- التربية والتعليم . . المجال الحيوى لمشروع الخدمة النهضوى ----- ٣٦٣
- المطلب الأول : "التربية والتعليم" النشاط المركزى للخدمة ----- ٣٨٧
- المطلب الثانى : "المدرسة" لبنة المشروع وعنصر النهوض ----- ٣٧٤
- المطلب الثالث : ملامح النموذج المنشود من خلال دراسة ميدانية ----- ٣٧٨
- " مدرسة صلاح الدين بالقاهرة "

المبحث الرابع

ثقافة الحوار وآلياته . .

- السبيل لفتح الآفاق الإنسانية في مشروع الخدمة النهضوى ----- ٣٨٨  
المطلب الأول : الخدمة وثقافة الحوار ----- ٣٨٩  
المطلب الثانى : الحوار الداخلى "وقف الكُتَّاب والصحفيين" ----- ٣٩٣  
المطلب الثالث : تقارب الشعوب والحوار بين الأديان ----- ٤٠٠

الفصل السادس

تجربة الشيخ فتح الله كولن الدعوية فى الميزان

- منهج الباحث فى عرض التجربة مالها وما عليها----- ٤١٠  
المبحث الأول :شبهة إقامة الأستاذ فتح الله كولن فى أمريكا ----- ٤١٤  
المبحث الثانى : موقف الأستاذ كولن وحركة الخدمة من قضايا الأمة --- ٤٢٩  
المبحث الثالث :اتهامات حول تقديس أتباع كولن لشخصه ----- ٤٢٤  
المبحث الرابع :الاتهام بمحاولة بعمل كيان موازى وتحقيق أهداف سياسية- ٤٢٨  
الخاتمة ----- ٤٤١  
النتائج ----- ٤٤١  
التوصيات ----- ٤٤٧  
المراجع ----- ٤٥٠  
الفهرس ----- ٤٦٦

تم بحمد الله وتوفيقه